حاشية الصاوي

على

تفسير الجلالين

مذيلاً

بلباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

طبعة جديدة منقحة

الجزء الثاني

قدم له وأشرف على تصحيحه

صدقي محمد جميل

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الأنعام

[مكية إلاّ «ومَا قَدَرُوا الله» الآياتِ الثلاث وإلاّ «قُلْ تعالَوْا» الآياتِ الثلاث وهِيَ مائةٌ وخمسٌ أو ست وستونَ آيةً]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الحَمْدُ﴾: وهُو الوصْفُ بالجميلِ ثابتٌ ﴿لله﴾: وهل المرادُ الإعلامُ بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام مكية

إلا ﴿وما قدروا الله﴾ الآيات الثلاث وإلا ﴿قل تعالوا﴾ الآيات الثلاث

وهي مائة وخمس أو ست وستون آية

سُميتْ بذلكَ لذكرِ الأنعام فيها، من باب تسمية الكلِّ باسم الجزءِ، وهذهِ السُّورةُ نزلتْ جُملةً واحدةً مَا عدا السِّتَّ آيات، ونزلَ معهَا سبعونَ ألفَ ملَكٍ، ولهم زجلٌ بالتسبيحِ، ونزلتْ ليلاً فأمر ﷺ بكتابتها حينئذٍ، وحين نزولها صار ﷺ يُسبحُ ويسجدُ حينئذٍ وكل ذلكَ تعظيماً لِشأنها؛ لأنَّ مَا اشتملتْ عليهِ من التوحيدِ، وعدةَ جملةٍ من الرّسلِ تبينَ الحلالَ من الحرامِ في الأنعامِ لم يوجَد في غيرِها وورد أنها فاتحةُ التوراةِ، وخاتمتها قيلَ آخرُ هودٍ، وقيل آخر الإسراءِ، وفيها آية نزلتْ ومعَها أربعونَ ألفَ ملَكٍ وهيَ ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ الآية. وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قرأ ثلاثَ آياتٍ من أول سورة الأنعام إلى ﴿ويعلم ما تكسبون﴾، وكلَ الله له أربعينَ ألفَ ملَكٍ يكتبون له مثلَ عبادتهم إلى يومِ القيامة، وينزلُ ملَكٌ من السماءِ السابعَةِ ومعهُ مرزبة من حديدٍ، فإذا أرادَ الشيطانُ أنْ يوسوسَ له أو يوحيَ في قلبهِ ضربه ضربة فيكونُ بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كانَ يومُ القيامة قال الله: امشِ في ظلي يومَ لا ظلَّ إلا ظلي، وكل من ثمار جنتي، واشرب من الكوثر، واغتسلْ من السلسبيل، فأنتَ عبدي وأنا ربكَ». قوله: [الآيات الثلاث] أي إلى قوله ﴿تستكبرون﴾. قوله: [وإلا] ﴿قل تعالوا﴾ أي إلى قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ هكذا مشى المفسر.

قوله: [وهو] أي الحمد بالمعنى اللغوي، وأما بالمعنى الإصطلاحي فهو فعلٌ ينبىء عن تعظيم المنعِم بسبب كونه منعماً على الحامِدِ أو غيره. قوله: [الوصف بالجميل] زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لإخراج التهكم كقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. قوله: [ثابت] قدره إشارة إلى أن ﴿لله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الذي هو الحمد. قوله: [وهل المراد به الإعلام بذلك] أي فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وقوله: [أو الثناء به] أي فهي خبرية لفظاً إنشائية معنى. قوله: [أو هما] أي فهي مستعملة في حقيقتها ومجازها، فالقصد إعلام

احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾: أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يسوون غيره في العبادة ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾: بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ

العبيد للإيمان به، وإنشاء الثناء به، وهذا هو حمد القديم للقديم، وأل في الحمد يصح أن تكون للاستغراق أو الجنس أو العهد، واللام في لله للاستحقاق. قوله: [قاله الشيخ] أي الجلال المحلي.

قوله: ﴿الذي خلق﴾ صفة لله، وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسموات والأرض، والمراد بالسماوات ما علا، فيشمل العرش، والمراد بالأرض ما سفل، فيشمل ما تحتها، وقدم السماوات لأنها أشرف من الأرض، لكونها مسكن المطهرين لا غير، والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين، ولأنها سابقة على الأرض كما في سورة النازعات، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلى أن قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ ولا منافاة بين آية فصلت، وبين آية النازعات، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم خلقت السماوات من دخان كما دلت عليه آية فصلت، ثم بنى السماء ورفعها(١)، ﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها﴾، وإنما جمع السماوات لاختلاف أجناسها، فإن الأولى من موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء. وأما الأرض وإن كانت سبعاً أيضاً إلا أنها من جنس واحد. واختلف هل الأرض سبعة والتعداد باعتبار أقطارها، وقيل طباق كالسماء، وأما السماء فهي طباق باتفاق. قوله: [خلق] أشار بذلك إلى أن ﴿جعل﴾ بمعنى خلق، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: [أي كل ظلمة] أي حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصي.

قوله: [ونور] أي حسي كالشمس والقمر والنجوم ومعنوي كالإسلام. قوله: [لكثرة أسبابها] أي الظلمة وأما النور فسببه واحد لا يتعدد، لأنه إما معنوي وسببه الإسلام، أو حسي وسببه النار.

قوله: ﴿ثم الذين كفروا﴾ ثم للترتيب الرتبي أي فبعد أن عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم.

قوله: ﴿بربهم﴾ يحتمل أنه متعلق بكفروا، وقوله ﴿يعدلون﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر، ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره، من العدول وهو الميل عن طريق الهدى.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقاً للحمد، كأنه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره، لأنه خلق السماوات والأرض والظلمات والنور، ولأنه خلقكم الخ. قوله: ﴿من طين﴾ من لابتداء الغاية، أي مبتدئاً نشأتكم من الطين. قوله: [بخلق أبيكم آدم منه] دفع بذلك ما يقال إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف، وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون، وعجن بكل ماء، فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق، فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم، واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة، فما من أحد إلا وله جزء يسري له من أبيه، فالطبائع والأخلاق أصلها من آدم، فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم، وقيل لا حذف في الآية بل كل إنسان مخلوق من الطين لأنه ورد ما من مولود إلا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته، فالنطفة عجنت بذلك التراب، فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين، وقيل إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء، وهو ناشىء عن الطين.

---

(١) يشير إلى الآية في سورة النازعات رقم ٢٨: ﴿ورفع سمكها فسواها﴾.

﴿مُسَمًّى﴾ : مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ : لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ : أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾[٢] : تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ : مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ : ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٣] : تعملون من خير وشر ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ : أي أهل مكة ﴿مِنْ﴾ : زائدة ﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[٤] ﴿فَقَدْ

قوله : ﴿ثم قضى﴾ يصح أن يكون بمعنى أظهر، فثم للترتيب الزماني، أي فبعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم، أو بمعنى قدر، فثم للترتيب الذكري، لأن التقدير هو الإرادة المتعلقة بالأجل أزلا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط، وأعلم أن كلا إنسان له أجلان، أجل ينقضي بموته، وأجل ينقضي ببعثه، فابتداء أجل الموت من حين وجوده، وابتداء أجل البعث من حين موته، ومجموع الأجلين محتم لا يزيد ولا ينقص، وما ورد من زيادة العمر للبار الواصل للرحم، ونقصه للعاصي القاطع للرحم، فقيل محمول على البركة وعدمها، وقيل يتداخل أحدهما في الآخر، فالطائع يزداد له في أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ، وبالعكس للعاصي، وبه فسر قوله تعالى ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ ويؤيد ذلك ما حكي أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله، فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوما، فأخبر داود صديقه بذلك، فتأهب حتى إذا جاء اليوم المتمم للخمسين، أخذ غداءه وذهب لداود ليودعه، فمر بفقير فأعطاه غداءه، فنزل جبريل على داود وأخبره بأن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في ذلك اليوم، فلما ذهب إليه وجده مسرورا فأخبره بذلك.

قوله : ﴿وأجل مسمى عنده﴾ أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره، وأضيف له سبحانه لأنه لا يعلم انتهاءه أحد غيره، وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك، وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضا. قوله : [لبعثكم] أي ينتهي إليه، وما وراء ذلك لا نهاية له. قوله : ﴿ثم أنتم تمترون﴾ أي ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة، تشكون في البعث وتنكرونه، وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث، وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار. قوله : [فهو على الإعادة أقدر] هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الابتداء قادر على الإعادة بالأولى، وإلا فالكل في قبضة قدرته سواء لا مزية للإعادة على الابتداء، لأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون.

قوله : ﴿وهو الله﴾ مبتدأ وخبر، والضمير عائد على المتصف بالأوصاف المتقدمة، و ﴿في السموات وفي الأرض﴾ متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم؛ لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد، فيكون المعنى والله المستحق للعبادة في السماوات الخ، وهذا ما درج عليه المفسر، وبذلك يجاب عن آية ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السماوات الخ، على حد قول ابن مالك : ومن المنعوت والنعت عقل.

يجوز حذفه. وقيل متعلق بيعلم والتقدير : يعلم سركم في السماوات والأرض وقيل متعلق بسركم وجهركم، ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه، إلا أن يقال يغتفر في الظروف والمجرورات ما لا يغتفر في غيرها. قوله : ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ إن قلت إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة أجيب : بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية، ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب.

قوله : ﴿وما تأتيهم من آية﴾ كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات. قوله : ﴿من آيات ربهم﴾ من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن، فإتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر

﴿كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بالقرآن **﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾**: عواقب **﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا﴾**: في أسفارهم إلى الشام وغيرها **﴿كَمْ﴾**: خبرية بمعنى كثيراً **﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾**: أمة من الأمم الماضية **﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾**: أعطيناهم مكاناً **﴿فِي الْأَرْضِ﴾**: بالقوة والسعة **﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾**: نعط **﴿لَكُمْ﴾**: فيه التفات عن الغيبة **﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾**: المطر **﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً﴾**: متتابعاً **﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾**: تحت مساكنهم **﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾**: بتكذيبهم الأنبياء **﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً﴾**:

المفسّر أو الكونية كالمعجزات، فالمراد بإتيانها ظهورها، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: **﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾** الجملة حالية من الضمير في تأتيهم، وقوله معرضين ضمّنه معنى غافلين فعدّاه بعن، وإلا فالإعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن. قوله: **﴿فقد كذبوا﴾** تفريع على ما قبله وتفصيل لبعضه. قوله: **[بالقرآن]** أي وغيره من بقية المعجزات.

قوله: **﴿لما جاءهم﴾** ظرف لقوله كذبوا. قوله: **﴿فسوف يأتيهم﴾** وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف، لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار، ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعداً، قال تعالى: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**. قوله: **﴿أنباء﴾** جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج، وجمعه إشارة إلى تكرر الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة. قوله: **﴿ما كانوا به يستهزؤن﴾** ما اسم موصول وكانوا صلته، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذي كانوا يستهزؤن به في العاجل بالقتل والأسر، والآجل بالعذاب الدائم في النار.

قوله: **﴿ألم يروا﴾** هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم، ومع ذلك فلم يهتدوا، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا والرأي إما بصرية، وعليه درج المفسر حيث قال في أسفارهم إلى الشام وغيرها، وعليه فقوله **﴿كم أهلكنا﴾** سدت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدت مسد مفعوليها، والأحسن الأول. قوله: **[وغيرها]** أي كاليمن، فإنه كان لهم رحلتان: رحلة في الصيف للشام، ورحلة في الشتاء لليمن، كما يأتي في سورة قريش. قوله: **[خبرية]** أي وهي مفعول مقدم لأهلكنا. قوله: **[من قبلهم]** أي قبل وجودهم أو قبل زمانهم، فالكلام على حذف مضاف. قوله: **﴿من قرن﴾** بيان لكم، والقرن يطلق على الأمة وعليه درج المفسر، ويطلق على الزمان، واختلف في حده، فقيل مائة سنة وهو الأشهر، وقيل مائة وعشرون، وقيل ثمانون، وقيل ستون، وقيل أربعون، وقيل غير ذلك.

قوله: **﴿مكناهم﴾** وصف للقرن، وجمعه باعتبار معناه، لأن القرن اسم جمع كرهط، وقوم لفظه مفرد، ومعناه جمع. قوله: **[بالقوة والسعة]** أي في الدنيا حتى صاروا ذوي شهامة وغنى عظيم، ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئاً. قوله: **[فيه التفات عن الغيبة]** أي ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة. قوله: **﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾** وصف ثان للقرن. وقوله: **﴿وجعلنا الأنهار﴾** وصف ثالث له، والمعنى أن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شيء، فلا تأمنوا سطوتي بالأولى منهم. وقال الشاعر:

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا ... جنوده ضاق عنها السهل والجبل

قوله: **﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً﴾** كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون، فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم، فإنه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شيء. قوله: **﴿قرناً﴾** هنا بالأفراد، وفي بعض الآيات بالجمع، والمعنى واحد، فإن المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن. قوله: **﴿ولو نزلنا﴾** شروع في بيان زيادة كفرهم وتسلية له ﷺ على عدم ايمانهم به، وهو رد لقول النضر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن

مكتوباً ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ : ورق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ : أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ﴾ : ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٧ تعنتاً وعناداً ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ : هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ : على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ : كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ : بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ ٨ : يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ : أي المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ﴾ : أي الملك ﴿رَجُلًا﴾ : أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَ﴾ : لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا﴾ : شبهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ ٩ : على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا إلا بشر مثلكم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ : فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ : نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ١٠ : وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ﴾ : لهم ﴿سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١١ : الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ :

خويلد (لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق. قوله: [مكتوباً] إشارة إلى أنه أطلق المصدر، وأراد اسم المفعول. قوله: ﴿قرطاس﴾ القراءة بكسر القاف لا غير، ويجوز في غير القرآن فتح القاف وضمها، ويقال قرطس كجعفر ودرهم، ما يكتب فيه مطلقاً رقاً أو غيره، فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الأفصح تفسير بالأخص. قوله: [كما اقترحوه] أي اخترعوه من الآيات. قوله: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ إن نافية بمعنى ما، وهذا مبتدأ، وسحر خبره، ومبين صفته، والجملة مقول القول.

قوله: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ هذا من جملة عنادهم وكفرهم. قوله: [فلم يؤمنوا] مرتب على قوله: ﴿ولو أنزلنا﴾ فهو من تتمة الشرط، والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ فعدم إجابتهم رحمة بهم. قوله: ﴿ولو جعلناه ملكاً﴾ رد لقولهم هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر. قوله: [أي على صورته] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل، فالشبه في الصورة فقط. قوله: [إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك] أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل، ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله ﷺ مرتين: مرة في الأرض عند غار حراء، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الإسراء. قوله: ﴿وللبسنا﴾ جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله: [ولو جعلناه رجلاً] والمناسب للمفسر الإقتصار على ذلك، ويحذف قوله ﴿و﴾ [لو أنزلناه] ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق.

قوله: ﴿ولقد أستهزىء برسل من قبلك﴾ فلا تحزن واصبر على أذاهم، فإن الله كافيك شرهم. قوله: [فكذا يحيق بمن أستهزأ بك] أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب، بل يأخذ المتمرد بخصوصه، وقد فعل الله له ذلك. قال تعالى: ﴿وإنا كفيناك المستهزئين﴾. قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم. قوله: ﴿ثم انظروا﴾ أتى بثم لأنه لا يحسن التفكر والإستدلال، ولا يتم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار. قوله: ﴿كيف﴾ اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها، وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لأن اسم الإستفهام له الصدارة. قوله: [ليعتبروا] أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام، ومن هنا أخذت الصوفية السياحة لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته، قال تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

إنْ لم يقولوه لا جوابَ غيره ﴿كَتَبَ﴾: قضى ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: فضلاً منه وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمانِ ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾: ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾: شكّ ﴿فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾: بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٢ ﴿وَلَهُۥ﴾: تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾: حل ﴿فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي كل شيء فهو ربّه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ١٣: بما يفعل ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾: أعبده ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾: يرزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾: يرزق، لا ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ

قوله: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ الجار والمجرور خبر مقدّم، وما اسْم موصول مبتدأ مؤخر، وفي السمٰوات والأرض صلة الموصول والأصل قل ما في السمٰوات والأرض لمن، وإنما قدم الخبر لأن اسمَ الاستفهام له الصَدارة، وهذه حُجة قاطعة لا يُمكن ردّها أبداً. قوله: ﴿قل لله﴾ أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالإتفاق لقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ قوله: [لا جواب غيره] في معنى التفريع أو التعليل، فالمناسب أن يقول فلا، أو لأنه لا جواب غيره.

قوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ أي ألزم نفسه الرّحمة لأنه وعد بها، ووعده لا يتخلف، فهي واجبة شرعاً لا عقلاً والرحمة هي النعمة، وهي عامة لكلّ مخلوق في الدنيا، قال تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فمن رحمته إمهال العصاة والكفار، وترادف الرزّق عليهم، وأما بعد استقرار الخلق في الدارَين فتختص الرحمة بأهل الجنة، ويختص غضب الله بأهل النار. قوله: [فضلاً منه] رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلاً على الله يستحيل تخلفها، إذ هو نقص، والنقص عليه محال. قوله: [وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان﴾ أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان، فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم.

قوله: ﴿ليجمعنكم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لا بد منه. قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم في القبور ويحشركم إلى يوم القيامة، ويحتمل أنها بمعنى اللام أو في أو زائدة. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي في الجمع يوم القيامة، أو في يوم القيامة الذي يحصل فيه الجمع. قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ الذين مبتدأ، وخسروا صلته، وأنفسهم مفعول لخسروا، و﴿فهم لا يؤمنون﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ. إن قلت: إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران، مع أن الخسران مسبب عند عدم الإيمان. أجيب: بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم في علم الله أي قضى عليهم بالخسران أزلاً، فهم لا يؤمنون فيما لا يزال، فالآية باعتبار ما في علم الله، وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد. قوله: ﴿وله ما سكن﴾ هذا أيضاً من جملة أدلة التوحيد، زيادة في التشنيع على من كفر. قوله: [حل] أشار بذلك إلى أنه لا حذف في الآية، وعليه جمهور المفسرين، فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك، وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة، وعليه ففي الآية حذف تقديره وما تحرك.

قوله: ﴿قل أغير الله﴾ رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك، وغير مفعول أول لا تخذ قدمه اعتناء بنفي الغيرية، ووليا مفعول ثان. قوله: [أعبده] تفسير لأتخذ، فالمراد بالولي هنا المعبود، ويطلق باشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿فالله هو الولي﴾، ﴿الله وليّ الذين آمنوا﴾ ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك في طاعة الله.

قوله: ﴿فاطر﴾ بدل من لفظ الجلالة أو نعت. إن قلت إن فاطر اسْم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، ولفظ

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: لله من هذه الأمة ﴿وَ﴾: قيل لي ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٤: به ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥: هو يوم القيامة ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾: بالبناء للمفعول أي العذاب وللفاعل أي الله والعائد محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾: تعالى أي أراد له الخير ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ١٦: النجاة الظاهرة ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾:

الجلالة أعرف المعارف، وشرط النعت موافقته لمنعوته في التعريف. أجيب بأن محل كون إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث، وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة، فيكون وصفاً ثابتاً له، وهذه الجملة كالدليل لما قبلها. قوله: [مبدعهما] أي موجدهما على غير مثال سبق، ففاطر من الفطرة وهي الخلقة، وفطر خلق وأنشأ، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى فطر وفاطر، حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنشأتها وابتدأتها. قوله: [أي يرزق] تفسير بالأعم، لأن المعنى يرزق مطعوماً أو غيره، فليس المراد من الآية قصره على المطعوم.

قوله: ﴿ولا يطعم﴾ أي لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه، وتنزه الله عن الاحتياج. قوله: ﴿أول من أسلم﴾ يحتمل أن من نكرة موصوفة، فجملة أسلم صفة، والمعنى أن أكون أول فريق أسلم، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والتقدير أول الفريق الذي أسلم. وقوله: ﴿أمرت أن أكون﴾ الخ أي أمرني ربي أن أكون أول المسلمين لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول، وبما جاء به من الشرع والأحكام، فهو أول المسلمين على الاطلاق. قوله: ﴿و﴾ [قيل لي الخ] أشار بذلك إلى أن قوله ﴿ولا تكونن﴾ معمول لقول محذوف، والجملة معطوفة على جملة أمرت، والمعنى أمرني ربي بأن أكون أول من أسلم، ونهاني بقوله ﴿ولا تكونن من المشركين﴾، وهذه الجملة لازمة لما قبلها. قوله: ﴿عذاب يوم عظيم﴾ معمول لأخاف، وجملة ﴿إن عصيت ربي﴾ شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله: ﴿أخاف﴾ وهي معترضة بين الفعل وهو أخاف، ومعموله وهو عذاب.

قوله: ﴿من يصرف عنه﴾ من اسم شرط، ويصرف فعل الشرط، ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى، والفاعل الله على القراءة الثانية، وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف. وقوله: ﴿فقد رحمه﴾ جواب الشرط، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾. قوله: [وللفاعل] أي والمفعول محذوف تقديره العذاب، والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه، وفي ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب. قوله: [والعائد محذوف] الأوضح أن يقول والمفعول محذوف، وهو ضمير يعود على العذاب، لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه، وأيضاً لا يحتاج للعائد إلا الموصول، ومن هنا شرطية لا موصولة. قوله: ﴿وذلك﴾ أي النجاة يوم القيامة.

قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ هذا تأييد من الله لرسوله، فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ ما أنزل إليك من ربك، فإن الله متولي أمرك، بيده الضر والنفع والمنع والإعطاء، فهم عاجزون لا يقدرون على إيصال ضر ولا جلب نفع. قوله: [كمرض وفقر] أي وغلبة واحتياج. قوله: ﴿فلا كاشف له﴾ جواب الشرط، وفعله قوله يمسسك، ولا نافية للجنس، وكاشف اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف تقديره أحد. قوله: ﴿إلا هو﴾ إلا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر. قوله: ﴿وإن يمسسك بخير﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله، كما في آية يونس وإن يردك بخير فلا راد لفضله.

كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٧: ومنه مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: القادر الذي لا يعجزه شيء مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ١٨: ببواطنهم كظواهرهم ونزل لما قالوا للنبي ﷺ ائتنا بما يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: تمييز محول عن المبتدأ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم﴾: أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾: عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾: استفهام إنكاري ﴿قُل﴾: لهم ﴿لَّآ أَشْهَدُ﴾: بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ١٩: معه من الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾: أي محمداً بنعته في

قوله: ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ دليل لكل من الجملتين. قوله: [ومنه ما مسك به] أي من النبوة وغيرها. قوله: [مستعلياً] أشار بذلك إلى أن قوله ﴿فوق عباده﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر. قوله: ﴿فوق عباده﴾ أي فوقية مكانة لا مكان، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره لأن أوصافه كمالية، وأوصاف غيره ناقصة، فوصفة العز والعلم والاقتدار، ووصف غيره الذل والجهل والعجز، فكل وصف شريف كامل فهو لله، وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره. قوله: ﴿وهو الحكيم﴾ [في خلقه] أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿الخبير﴾ أي فيعامل كل شخص بما يليق به. قوله: [ونزل لما قالوا] أي أهل مكة، فقالوا يا محمد ارنا من يشهد لك بالرسالة، فإننا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر. قوله: [إيتنا] بقلب الهمزة الثانية ياء، قال ابن مالك:

ومداً ابدل ثاني الهمزين من كلمة إن يسكن كآثر وائتمن

قوله: [تمييز محول عن المبتدأ] أي والأصل شهادة أي شيء أكبر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزاً. قوله: ﴿قل الله﴾ مبتدأ خبره محذوف أي أكبر شهادة. وقوله: ﴿شهيد﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان، ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد، فالكلام جملة واحدة. قوله: ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده، فإن المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني.

قوله: ﴿وأوحي إلي هذا القرآن﴾ هذا دليل لشهادة الله، والمعنى أن الله شهيد، لأن هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة، وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله الله شهيد، مع أن ذلك لا يكفي من غيره والاقتصار على الإنذار لأن الكلام مع الكفار، وبني أوحي للمجهول للعلم بفاعله. قوله: [عطف على ضمير أنذركم] أي ﴿ومن﴾ موصولة، و ﴿بلغ﴾ صلتها، والعائد محذوف والتقدير وأنذر الذي بلغه القرآن. قوله: [من الأنس والجن] أي إلى يوم القيامة، وفيه دلالة على عموم رسالته، واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿أئنكم لتشهدون﴾ اللام لام الابتداء زحلقت للخبر. قوله: [استفهام إنكاري] أي والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد. قوله: ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ إنما أداة حصر، وما كافة، وهو مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفته، وهو زيادة في الرد عليهم، وهو من حصر المبتدأ في الخبر.

---

* أسباب نزول الآية ١٩: قوله تعالى: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد وقروم بن كعب ويجري بن عمرو فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلهاً غيره، فقال: لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله في قولهم ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ الآية.

كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠: به ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾: بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿إِنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢١: بذلك ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٢٢: أنهم شركاء الله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾: بالتاء والياء ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إِلَّا أَن

قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ أي اليهود والنصارى، فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل. قوله: [أي محمداً] تفسير للضمير في ﴿يعرفونه﴾، ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره. قوله: ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ أي معرفة كمعرفتهم لأبنائهم، وهذا من التنزيلات الربانية، وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روي أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله ابن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة، فقال: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما تصنع النساء. قوله: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ مبتدأ والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب، ويؤيده قول المفسر منهم.

قوله: ﴿فهم لا يؤمنون﴾ خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم، والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه، فلا يتأتى له الإيمان في الدنيا، وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة، ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار، وقد علمت مما تقدم أن المؤمن واحد من ألف، فتكون منازل الكفار التي يرثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله، ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزاد لهم، فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جداً، وأن النار ضيقة جداً لا سيما مع عظم جسم الكافر فيها، حيث يكون ضرسه كأحد. قال تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾. وقال تعالى: ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين﴾. قوله: [به] أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحداً من الأمرين الافتراء والتكذيب، فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب، فإن كلا منهما وقع منه الأمران. قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم. قوله: [بذلك] أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر، والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم، ويصح عوده على المشركين، فقوله بعد ذلك ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ إظهار في محل الإضمار زيادة في التشنيع عليهم. قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من ضمير نحشرهم. قوله: ﴿ثم نقول﴾ أتى بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر، والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة، والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهوله، والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر، وإن كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى: ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة.

قوله: ﴿أين شركاؤكم﴾ إن قلت: مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم، ومقتضى قوله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب بأن السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين، وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم. قال تعالى: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ الآية. قوله: [أنهم شركاء لله]

﴿قَالُوا﴾: أي قولهم ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾: بالجر نعت والنصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ٢٣: قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٢٤ على الله من الشركاء ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية لـ﴿أَن﴾: لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صمماً فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٥: كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطور بالضم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾: الناس ﴿عَنْهُ﴾: عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾: يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾: فلا يؤمنون به وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾:

قدره إشارة إلى أن مفعولي ﴿تزعمون﴾ محذوفان، وهذه الجملة سدت مسدهما. قوله: [بالتاء والياء] فعلى قراءة التاء يصح رفع ﴿فتنتهم﴾ اسم تكن، و﴿إلا أن قالوا﴾ خبرها ونصبها خبر تكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها المؤخر، ويتعين جر ﴿ربنا﴾، وعلى قراءة الياء فليس إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم، وإلا أن قالوا اسمها مؤخر، ويتعين نصب ربنا، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، خلافاً لما توهمه المفسر. قوله: [أي معذرتهم] أي جوابهم، وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به، بل به الفضائح.

قوله: ﴿ما كنا مشركين﴾ إن قلت: كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثاً. قلت: أولاً ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم، ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح، فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، فهم أولاً يظنون أن إنكارهم نافع، فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون ان لو كانوا تراباً ولم يكتموا شيئاً. قوله: ﴿على أنفسهم﴾ إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذباً على الله، لأن ضرره عاد إليهم. قوله: [من الشركاء] بيان لما.

قوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ سبب نزولها: أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر، يستمعون القرآن فقالوا للنضر: يا أبا قتيبة ما يقول محمد؟ قال ما أدري ما يقول، غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقاً، فقال أبو جهل: كلا لا نقر بشيء من هذا، وفي رواية للموت أهون علينا من هذا. وأفرد يستمع مراعاة للفظ من، وسيأتي في يونس مراعاة معناها، والحكمة في مراعاة لفظها هنا أن ما هنا في قوم قليلين، وفيما يأتي في الكفار جميعاً. قوله: ﴿أكنة﴾ جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذي يحفظ فيه الشيء ويجمع على أكنان، والمراد بها هنا الغطاء الساتر. قوله: [فلا يسمعونه] أي القرآن. قوله: ﴿حتى إذا جاؤوك﴾ حتى ابتدائية. وقوله: ﴿يجادلونك﴾ حال من الواو في جاؤوك. وقوله: ﴿يقول الذين كفروا﴾ جواب إذا. قوله: [كالأضاحيك] جمع أضحوكة بالضم، وكذا [الأعاجيب] أي فالمشهور أن أساطير في جمعه ومفرده كالأضاحيك والأعاجيب. قوله: ﴿هم ينهون﴾ أي الكفار ينهون عن اتباع النبي، أو عن سماع القرآن. قوله: [أي عن اتباع النبي] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [وقيل نزلت في أبي

---

* أسباب نزول الآية ٢٦: قوله تعالى: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾ الآية، روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

بالنأي عنه ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٦: بذلك ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾: عُرضوا ﴿عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٧: برفع الفعلين استئنافاً ونصبهما في جواب التمني ورفع الأول ونصب الثاني وجواب لو رأيت أمراً عظيماً قال تعالى: ﴿بَلْ﴾: للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾: إلى الدنيا فرضاً ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا

طالب] أي وعليه فجمع الضمير باعتبار أتباعه. قوله: [كان ينهى عن أذاه] أي وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله:

ولقد علمتُ بأن دينَ محمد ... من خيرِ أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... حتى أوسد في التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير، والقول بأنها نزلت في المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن، والأقرب لسياق ما قبلها وما بعدها المعنى الأول فتأمل. قوله: [بذلك] أي بإهلاكهم أنفسهم. قوله: ﴿ولو ترى﴾ المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه، والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد ما يقع لهؤلاء في الآخرة لرأيت أمراً عظيماً تتسلى به عن الدنيا، فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر. إن قلت: هذا يقتضي أن رسول الله لم يطلع على ذلك، مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة. أجيب: بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أو قلبية، والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح في تدبير حالهم لازددت يقيناً، ولو يحتمل أنها حرف امتناع، فيكون قوله ترى بمعنى رأيت، وإذ على بابها من المعنى، فيكون عبر بالماضي لتحقق الحصول، ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا، فيكون مستقبلاً، والأقرب الأول. قوله: [للتنبيه] أي لدخولها على الحرف.

قوله: ﴿ليتنا نرد﴾ ليت حرف تمن، ونا اسمها، وجملة نرد خبرها. قوله: [برفع الفعلين استئناف] أي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم، فقوله ﴿ولا نكذب﴾ خبر محذوف تقديره ونحن لا نكذب، وكذا قوله ﴿ونكون﴾. قوله: [وبنصبهما في جواب التمني] أي بأن مضمرة بعد واو المعية، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان. قوله: [ورفع الأول] أي على الاستئناف. وقوله: [ونصب الثاني] أي بأن مضمرة وجوباً بعد واو المعية في جواب التمني، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق، تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين، وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، فهذه قراءات ثلاث وكلها سبعية، وقرىء شذوذاً بنصب الأول ورفع الثاني وتوجيهه كما علمت. قوله: [للاضراب] أي الأبطالي، والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا، بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة اعضائهم. قوله: ﴿ما كانوا يخفون﴾ أي وهو الشرك. قوله: [بقولهم] الباء سببية. قوله: [بشهادة جوارحهم] متعلق ببدا. قوله: [فتمنوا ذلك] أي فراراً من العذاب لا محبة في الإيمان.

قوله: ﴿لعادوا﴾ جواب لو. قوله: [في وعدهم بالإيمان] أي الذي وقع منهم بالتمني. قوله: ﴿وقالوا إن هي إلا

عَنْهُ﴾: من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٢٨: في وعدهم بالأيمان ﴿وَقَالُوا﴾: أي منكرو البعث ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾: أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ٢٩ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾: عرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾: لرأيت أمراً عظيماً ﴿قَالَ﴾: لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾: البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾: إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٣٠: به في الدنيا ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَتَّى﴾: غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾: هي شدة التألم ونداؤه مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾: قصرنا ﴿فِيهَا﴾: أي الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾: بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً فتركبهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ ٣١: يحملون حملهم ذلك ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: وفي قراءة ولدار الآخرة أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الشرك ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ٣٢:

حياتنا الدنيا﴾ يحتمل أنه معطوف على لعادوا، فهو من جملة جواب لو، ويحتمل أنه كلام مستأنف في خصوص منكري البعث وهذا هو المتبادر من المفسر، وإن نافية بمعنى ما، وهي مبتدأ، وحياتنا خبره، والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التي نحن فيها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت. قوله: ﴿على ربهم﴾ أي على حسابه وسؤاله، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿قال﴾ [لهم] أي لمنكري البعث الذين قالوا ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾. قوله: [على لسان الملائكة] دفع بذلك ما يقال إن الله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم. قوله: ﴿قالوا بلى وربنا﴾ جواب مؤكد باليمين. قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أي بتسبب الذي كنتم تكفرون به أو بتسبب كفركم. قوله: [غاية للتكذيب] أي لا للخسران فإنه لا غاية له.

قوله: ﴿الساعة﴾ المراد بها مقدمات الموت، فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم. قوله: ﴿بغتة﴾ حال من فاعل جاءتهم، والتقدير جاءتهم مباغتة، أو من مفعوله، والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين. قوله: ﴿يا حسرتنا﴾ يا حرف نداء، وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا. قوله: [هي شدة التألم] أي التلهف والتحسر على ما فات. قوله: [ونداؤها مجاز] أي تنزيلاً لها منزلة العاقل، لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل، والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هو له لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره، ومثله يا ويلنا فتأمل.

قوله: ﴿على ما فرطنا﴾ أي من الأعمال الصالحة في الدنيا. قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ الجملة حالية من الواو في قالوا. قوله: [بأن تأتيهم الخ] ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا، فيقول أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ يعني ركباناً، وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: [أي الاشتغال فيها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمعنى أن الاشتغال في الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو، وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو، بل ما قرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة.

قوله: ﴿خير للذين يتقون﴾ أي لأن منافعها خالصة من الكدورات وعزها دائم. قوله: ﴿أفلا يعقلون﴾ الهمزة

بالياءِ والتاءِ ذلك فيؤمنون ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾: لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: في السرّ لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وضعه موضع المضمر ﴿بِآيَاتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ ٣٣: يكذبون ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾: بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ﴾: مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ٣٤: ما يسكن به قلبك

داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قد نعلم﴾ المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبي ﷺ على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره، وتهديد لهم لعلهم يرجعون، وقد للتحقيق، نظير قوله تعالى ﴿قد يعلم الله المعوقين﴾. قوله: ﴿إنه ليحزنك﴾ بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها، قال ابن مالك:

وكسروا من بعد فعل علقا ... باللام كاعلم إنه لذو تقى

وإن حرف توكيد، والهاء اسمها، واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تأكيد، ويحزنك خبرها، و﴿الذي﴾ فاعل يحزن و﴿يقولون﴾ صلتها، والعائد محذوف تقديره يقولونه، والجملة من إن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي نعلم، فإن التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً كما هو مقرر. قوله: ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ الفاء للتعليل، والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك، واصبر ولا تكن في ضيق مما يمكرون، فإنهم لا يكذبونك في الباطن، بل يعتقدون صدقك، وإنما تكذيبهم عناد وجحود. قوله: [في السر] دفع بذلك ما يقال إن بين ما هنا وبين قوله: ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ تنافياً، وحاصل الجواب أن المنفي التكذيب في السر، والمثبت التكذيب في العلانية. قوله: [وفي قراءة بالتخفيف] أي مع ضم الياء وسكون الكاف وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي لا ينسبونك إلى الكذب] هذا يناسب كلاً من القراءتين، والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطناً، ولذا قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به. قوله: [وضعه موضع المضمر] أي زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم. قوله: ﴿يجحدون﴾ الجحد الانكار مع العلم، والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ما جاء به صدق. قوله: [يكذبونك] أي في العلانية قوله: [فيه تسلية] وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت.

قوله: ﴿فصبروا﴾ الفاء سببية، وصبروا معطوف على ﴿كذبت﴾. قوله: ﴿على ما كانوا﴾ متعلق بصبروا، والمعنى صبروا على تكذيبهم. قوله: ﴿وأوذوا﴾ يصح عطفه على كذبت، والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا، ويصح عطفه على صبروا، والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم، ويصح عطفه على قوله ما كذبوا، والمعنى صبروا على تكذيبهم وإيذائهم. قوله: ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ غاية في الصبر، والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم. قوله: [مواعيده] أي مواعيد الله بالنصر، قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون﴾، وقال تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾.

قوله: ﴿ولقد جاءك﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجاء فعل ماض، والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره

---

* أسباب نزول الآية ٣٣: قوله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عظم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾: سرباً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾: مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾: مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾: ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٣٥ بذلك ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾: دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: سماع تفهم واعتبار

المفسر بقوله ما يسكن به قلبك، وقوله ﴿من نبإ المرسلين﴾ بيان للمحذوف، ويحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل، ويحتمل أن من اسم بمعنى بعض هي الفاعل، والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا وأوذوا فصبروا، فتسل ولا تحزن فإن الله ناصرك كما نصرهم.

قوله: ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ سبب نزولها: أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء رسول الله ﷺ في نفر من قريش، فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فإنا نصدقك، فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه، فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه، فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعاً في إيمانهم فنزلت. وإن حرف شرط، وكان فعل ماض فعل الشرط، واسمها ضمير الشأن، وكبر فعل ماض، وإعراضهم فاعله، والجملة خبر كان، والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخراً، وجملة كبر خبرها مقدم، وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم، وهو وإن كان مؤخراً لفظاً إلا أنه مقدم رتبة.

قوله: ﴿فإن استطعت﴾ هذه الجملة شرطية، وجوابها محذوف تقديره فافعل، والشرط وجوابه جواب الشرط الأول، والمعنى إن عظم عليك إعراضهم، ولم تكتف بالمعجزات التي ظهرت على يديك فإن استطعت أن تأتيهم بآية فافعل. قوله: [سرباً] بفتحتين شق في الأرض، والنفق السرب النافذ في الأرض، ومنه النافقاء أحد أبواب حجرة اليربوع، وذلك أن اليربوع يحفر في الأرض سرباً ويجعل له بابين أو ثلاثة، النافقاء والقاصعاء والراهطاء، ثم يدقق بالحفر ما يقارب وجه الأرض، فإذا نابه أمر، دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج. والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق ما اقترحوا فافعل، وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بإيمانهم، وترق له إلى المقام الأكمل الذي هو التسليم له.

قوله: ﴿فتأتيهم بآية﴾ أي من تحت الأرض أو من فوق السماء. قوله: [هدايتهم] أي جمعهم على الهدى. قوله: [ولكن لم يشأ ذلك] هذا استثناء نقيض المقدم، فينتج نقيض التالي إن كان بينهما تساو كما هنا نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا، وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى. قوله: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ أي الذين لا تسليم لهم، فلا تتعب نفسك في تطلب ما اقترحوه فإنهم لا يؤمنون.

قوله: ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنما يستجيب لك ويتمثل أمرك، ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول، والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم، فللنار أهل، وللجنة أهل، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن، ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات إلا ضلالاً، وهذه الآية في الحقيقة استدراك على قوله: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾. فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى، بل قسم الخلق قسمين: قسم للجنة، وقسم للنار. قوله: [دعاءك إلى الإيمان] هذا هو مفعول يستجيب، والسين والتاء لتأكيد الإجابة، والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة في الأزل، فما

﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾: أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٣٦: يردّون فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَقَالُوا﴾: أي كفار مكة ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿آيَةً﴾: مما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٧: أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها ﴿وَمَا مِنْ﴾: زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾: تمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾: في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾:

يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق. قوله: [أي الكفار] أشار بذلك إلى أن قوله ﴿والموتى﴾ مقابل قوله ﴿الذين يسمعون﴾.

قوله: ﴿يبعثهم الله﴾ أي يحييهم، وقوله [في الآخرة] إشارة للحشر، أن المراد بالبعث الإحياء بعد الموت، وهذا هو الأقرب، وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالإيمان، فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون، ولكن يرده الحصر المتقدم، وأيضاً من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون. قوله: [بأعمالهم] الباء إما سببية أو بمعنى على، والمراد بالأعمال الكفر والمعاصي، وقوله: ﴿ثم إليه يرجعون﴾ أي يوقفون للحساب والجزاء، وأما البعث فهو الإحياء بعد الموت فتغايرا. قوله: ﴿وقالوا﴾ هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة، حيث جعلوا ما جاء به سحراً وكهانة وطلبوا غيره. قوله: [كالناقة والعصا] أي والنار لإبراهيم، وإلانة الحديد لداود، وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة، فنزلوا معجزاته ﷺ منزلة العدم، حتى طلبوا معجزة على صدقه، ولكنهم من عمى قلوبهم، لم يفرقوا بين معجزاته أعلى وأجل، قال العارف البرعي:

وإن قابلت لفظة لن تراني　　　بما كذب الفؤاد فهمت معنى

وقال أيضاً:

وإن يك خاطب الأموات عيسى　　　فإن الجذع حن له وأن

إلى آخر ما قال. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أن نزولها الخ] هذه الجملة في محل نصب مفعول يعلمون. قوله: [بلاء عليهم] أي لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها. قوله: [لوجوب هلاكهم] أي بحسب جري عادة الله، بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله، فعدم أجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعاً لأن الله منّ على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة، ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا، لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنت قبلهم.

قوله: ﴿وما من دابة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره. قوله: [تمشي] قدره خاصاً للدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه، قال العلماء: جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشي والطيران، وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح في الماء، كما أن الطير يسبح في الهواء. قوله: ﴿في الأرض﴾ خصها بالذكر لأن المشاهدة أقطع لحجة الخصم، وإلا فسكان السماء كذلك. قوله: ﴿بجناحيه﴾ صفة كاشفة، نظير قوله: نظرت بعيني وسمعت بأذني.

قوله: ﴿إلا أمم﴾ أي طوائف وجماعات أمثالكم، أي كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك، فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة وبتعب والقوي والضعيف والكبير والصغير والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم. قوله: [في تدبير خلقها] أي وتصريفه فيها في كل لحظة، بجلب المنافع لها، ودفع المضار عنها، ولطفه بها،

تركنا ﴿فِي ٱلْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿مِن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ٣٨: فيقضي بينهم ويقتص للجمَّاء من القرناء ثم يقول لهم: ﴿كونوا ترابا﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿صُمٌّ﴾: عن سماعها سماع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾: عن النطق بالحق ﴿فِي ٱلظُّلُمَاتِ﴾: الكفر ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾: إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ﴾: هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٣٩: دين الإسلام ﴿قُلْ﴾: يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ

فلا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: [وأحوالها] أي من إحيائها وإماتتها وإعزازها وإذلالها ونحو ذلك، وكذلك تعرف ربها وتوحده، كما أنتم تعرفونه وتوحدونه، ولم يوجد كافر إلا من الجن والآدميين، وإلا فجميع المخلوقات عقلاء، وغيرهم مجبولون على التوحيد، قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وإنما كفر من كفر من الجن والأنس عناداً. قوله: [اللوح المحفوظ] أي من الشيطان، ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ، فالعموم ظاهر، فإن فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن، وقيل المراد بالكتاب القرآن، وعليه فالمراد بقوله: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي ويحتاج إليه الخلق في أمورهم.

قوله: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي يجمعون، وهذا بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا. قوله: [فيقضي بينهم] أي الأمم عقلاء أو غيرهم. قوله: ﴿للجماء﴾ أي وهي معدومة القرون، وهذا كله لإظهار العدل، فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء، فلا بد من الحشر والحساب والجزاء، إما بالعدل، وإما بالفضل. قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها. قوله: ﴿في الظلمات﴾ هو معنى قوله في الآية الأخرى، عمي فهم صم القلوب عميها بكمها، فلا يتأى منهم انتفاع ولا اعتبار، ولا يصل إليهم نور أبداً. قوله: [الكفر] أي فهو ظلمات معنوية، فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم في ظلمات فلا يهتدي إلى مقصوده، كما أن الكافر كذلك.

قوله: ﴿من يشأ الله يضلله﴾ هذا دليل لما قبله، ومفعول يشأ في كل محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله وبقوله هدايته، والمعنى أن الإضلال والاهتداء بتقدير الله، فمن أراد الله هدايته، سهل له أسبابها، وجعله منهمكاً في طاعته، وإن وقعت منه معطية وفق للتوبة منها، ومن أراد الله إضلاله، حجبه عن نوره، وتعسرت عليه أسباب الطاعة، حتى لو وقعت منه طاعة، تكون معلولة غير مقبولة، وما في هذه الآية هو معنى قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ الآية. ﴿قل﴾ [يا محمد] أي على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله. قوله: [أخبروني] هكذا فسرت الرؤية في هذه الآية ونظائرها بالإخبار، والأصل في الرؤية العلم أو الإبصار، فأطلق العلم أو الإبصار، وأريد لازمه وهو الإخبار، لأن الإنسان لا يخبر إلا بما علمه أو أبصره، واستعملت الهمزة التي هي في الأصل لطلب العلم أو الإبصار في طلب الإخبار ففيه مجازان، ورأى فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مفعول أول على حذف مضاف، والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني، والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم، والمعنى أخبروني يا أهل مكة، إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة، أتدعون إلهاً غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم، وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله، فإذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة.

قوله: ﴿إن أتاكم﴾ جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون. قوله: [في الدنيا] أي كالصاعقة والصيحة. قوله: [المشتملة عليه] أي على العذاب، لأن الكافر لا يشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم، وأسهله خروج الروح. قوله: [بغتة] أي سرعة.

اللَّهِ تَدْعُونَ﴾: لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٠: في أن الأصنام تنفعكم فادعوها ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾: لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾: في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ﴾ الله ﴿مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾: أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾: كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾: تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ ٤١: معه من الأصنام فلا تدعونه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾: رسلا فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾: شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ٤٢: يتذللون فيؤمنون ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾. أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فلم تلن للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٣: من المعاصي فأصروا عليها ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: وعظوا وخوفوا ﴿بِهِ﴾: من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من النعم استدراجا لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطر ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ٤٤: آيسون من كل خير ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي آخرهم بأن استؤصلوا

قوله: ﴿أغير الله تدعون﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلها غير الله. قوله: [فادعوها] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: ﴿بل إياه﴾ اضراب انتقالي عن النفي الذي علم من الاستفهام. قوله: [في الشدائد] أي كالمرض والفقر وغير ذلك.

قوله: ﴿إن شاء﴾ جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه، أي إن شاء أن يكشفه كشفه، وإن لم يشأ كشفه فلا يكشفه، فليست إجابة الدعاء وعدا لا يخلف، وهذا مخصوص بدعاء الكفار، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يخلف، لكن على ما يريده الله، إما بعين المطلوب أو بغيره، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿أدعوني أستجب لكم﴾. قوله: ﴿وتنسون ما تشركون﴾ أي حين نزول الشدائد بهم لا يلتفتون إلى أصنامهم، بل لا يدعون إلا الله.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا تسلية لرسول الله ﷺ. قوله: [فكذبوهم] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فأخذناهم﴾ مرتب على محذوف. قوله: ﴿يتضرعون﴾ من التضرع وهو التذلل والخضوع. قوله: [فهلا] أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض. قوله: [أي لم يفعلوا ذلك] أي التضرع، وأشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفي. قوله: [مع قيام المقتضى له] أي وهو البأساء والضراء. قوله: ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أي لم يقع منهم تضرع ولا خضوع، بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم. قوله: [فلم تلن للإيمان] أشار بذلك إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر، كما أن التضرع ينشأ عنه الإيمان.

قوله: ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ أي الذي كانوا يعملونه أو عملهم. قوله: [فأصروا عليها] أي على المعاصي، ولم يتعظوا بما نزل بهم من الباساء والضراء. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿حتى إذا فرحوا﴾ غاية للفتح، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمده بالعطايا الدنيوية، فإذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر. قوله: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ إذا فجائية أي فاجأهم الإبلاس بمعنى اليأس من كل خير. قوله: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ الدابر التابع من خلف، يقال: دبر الولد، والده، ودبر فلان القوم، تبعهم، فمعنى دابرهم آخرهم، وهو كناية عن الاستئصال، فلذلك قال بأن استؤصلوا، أي فلم يبق منهم أحد.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٥: على نصر الرسل وإهلاك الكافرين ﴿قُلْ﴾: لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أصمّكم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾: أعماكم ﴿وَخَتَمَ﴾: طبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾: فلا تعرفون شيئاً ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾: بما أخذه منكم بزعمكم ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نبين ﴿الْآيَاتِ﴾: الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ ٤٦: يعرضون عنها فلا يؤمنون ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾: ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٧: الكافرون أي ما يهلك إلا هم ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾: من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾: من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾: بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٤٨: في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٤٩: يخرجون

قوله: ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل، وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك، إذ هو نعمة عظيمة.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لإقامة الحجة عليهم قبل أخذهم. قوله: [أخبروني] تقدم أن استعمال رأى في الإخبار مجاز، وأصل استعمالها في العلم أو في الإبصار، وتقدم أنها تطلب مفعولين: الأول محذوف لدلالة مفعولي أخذ، وهو سمعكم وأبصاركم عليه، فهو من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة، والمفعول الثاني هو قوله: ﴿من إله غير الله﴾ الخ. قوله: ﴿سمعكم﴾ أفرده وجمع ما بعده، لأن السمع مصدر لا يثنى ولا يجمع كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وختم على قلوبكم﴾ المراد بالقلوب العقول أي أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيئاً. قوله: [بما أخذه] أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ما ذكر، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأي واحد مما أخذ منكم. قوله: [بزعمكم] متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه.

قوله: ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة، وكيف منصوب على التشبيه بالحال، والمعنى أنظر يا محمد تصريفنا الآيات على أي كيفية. قوله: ﴿أرأيتكم﴾ أي أخبروني، والمفعول الأول الكاف على حذف مضاف أي أنفسكم، والمفعول الثاني جملة الاستفهام. قوله: ﴿عذاب الله﴾ أي كالصيحة والصواعق. قوله: [ليلاً أو نهاراً] لف ونشر مرتب، وهذا التفسير لابن عباس، وقيل البغتة الذي يأتي من غير سبق علامة، والجهرة الذي يأتي مع سبق علامة كان كل بالليل أو بالنهار. قوله: [الكافرون] أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب، فاندفع ما يقال إن المصيبة إذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع، فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب، وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات، والاستثناء مفرغ، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي كما أشار له المفسر.

قوله: ﴿وما نرسل المرسلين﴾ هذا بيان لوظائف المرسلين، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن، والنذارة لمن كفر، وليسوا قادرين على إيجاد نفع أو ضر، وإنما جعلهم الله سبباً لذلك. قوله: [في الآخرة] احتراز لبيان أن عدم الخوف والحزن هو في الآخرة فقط، وأما الدنيا فهي محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن. قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ، وهذا يؤيد أن من موصولة. قوله: ﴿بما كانوا يفسقون﴾ الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب فسقهم، والفسق الخروج عن الطاعة كلاً أو بعضاً، فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية.

عن الطاعة ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: التي منها يرزق ﴿وَلَا﴾: أني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ما غاب عني ولم يوح إليّ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾: من الملائكة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾: الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: المؤمن لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٥٠: في ذلك فتؤمنون ﴿وَأَنذِرْ﴾: خوّف ﴿بِهِ﴾: أي بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿وَلِيٌّ﴾: ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٥١: الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾:

قوله: ﴿قل لا أقول لكم﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة، وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ. قوله: ﴿خزائن الله﴾ أي لا أدعي أن مقدرات الله من أرزاق وغيرها مفوضة إليّ حتى تطلبوا مني قلب الجبال ذهباً وغير ذلك. قوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ أي ما غاب عني من أفعال الله حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب.

قوله: ﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾ أي حتى تكلفوني بصفات الملائكة، كالصعود للسماء، وعدم المشي في الأسواق، وعدم الأكل والشرب، وهذه الآية نزلت حين قالوا له: إن كنت رسولاً فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا، فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾، وقالوا له أيضاً: أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نتهيأ لذلك، فنحصل المصالح وندفع المضار، فقال لهم: ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون، وقالوا له: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، فقال لهم: ولا أقول لكم إني ملك. قوله: ﴿أفلا تتفكرون﴾ الهمزة داخلة على المحذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تتفكرون. قوله: [فتؤمنون] معطوف على تتفكرون وليس جواباً للنفي وإلا لنصب.

قوله: ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾ محط الأمر قوله لعلهم يتقون، والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصي الخائف، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه إلا الإنذار، فلا ينافي أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولاً، وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار. قوله: [والمراد بهم] أي بالذين يخافون.

قوله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ أي لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك. قوله: ﴿يدعون﴾ أي يعبدون. قوله: ﴿بالغداة والعشي﴾ خص هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر، وقد قيل

---

* أسباب نزول الآية ٥٢: قوله تعالى: ﴿ولا تطرد﴾ الآية، روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله ﷺ اطردهم فإنا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ إلى قوله ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

وروى أحمد والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، وهؤلاء من الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك. فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا﴾ إلى قوله ﴿سبيل المجرمين﴾.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه، فكلم أبو طالب النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فأنزل الله ﴿وأنذر به الذين يخافون﴾ إلى قوله ﴿أليس الله =

بعبادتهم ﴿وَجْهَهُ﴾: تعالى لأشياء من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾: جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ﴾: ٱلظَّالِمِينَ﴾ ٥٢: إن فعلت ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى

أن كلاً هي الصلاة الوسطى. قوله: [لا شيئا] مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيئاً. قوله: [من أعراض الدنيا] يصح ضبطه بالعين المهملة وبالغين المعجمة، والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها. قوله: [وهم الفقراء] أي كعمار بن ياسر وبلال وصهيب. قوله: [وكان المشركون طعنوا فيهم] هذا إشارة لسبب نزولها. وحاصله كما قال الخازن: إنه جاء الأقرع ابن حابس التيمي، وعتبة بن حصن الفزاري، وعباس بن مرداس، وهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي ﷺ جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين، كعمار بن ياسر وصهيب وبلال، فلما رأوهم حوله حقروهم، وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم، وكانت عليهم جبب من صوف ولها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا مجلساً تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فأتى بالصحيفة ودعا علياً ليكتب، فنزل جبريل بقوله: ﴿ولا تطرد الذين﴾ الآية، فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة ثم دعانا وهو يقول: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية، فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه، حتى كادت ركبنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ.

قوله: ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ هذا كالتعليل لما قبله، والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله، وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون، وإلا فقد شهد الله أولاً لهم بالإخلاص، وما نافية مهملة، وعليك جار ومجرور خبر مقدم، وشيء مبتدأ مؤخر، ومن صلة، ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال، وهذا نظير قوله في الآية الأخرى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾. قوله: ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها، إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالاً، وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رد الصدر على العجز، كقولهم: عادات السادات سادات العادات والتتميم، وإلا فأصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى. قوله: [جواب النفي] أي المرتب على النهي، وقوله: ﴿فتكون﴾ معطوفاً على قوله: ﴿فتطردهم﴾. قوله: [إن فعلت ذلك] أي طردهم.

= أعلم بالشاكرين﴾ وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالماً مولى أبي حذيفة وصالحاً مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته، فنزل ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصين، فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به فقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم فنزلت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ الآية، ثم ذكر الأقرع وصاحبه، فقال ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ الآية وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فنزل ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ الآية، قال ابن كثير: هذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فما رد عليهم شيئاً، فأنزل الله ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ الآية.

الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا﴾: أي الشرفاء والأغنياء متنكرين ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾: الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ٥٣: له فيهديهم بلى ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ﴾: لهم ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾: قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ﴾: أي الشأن وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾: منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾: رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾: أي والله ﴿غَفُورٌ﴾: له ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٥٤: به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾: نبين ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: القرآن ليظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: تظهر ﴿سَبِيلُ﴾: طريق ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ٥٥: فتجتنب وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب

قوله: ﴿وكذلك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض. قوله: [والغني بالفقير] أي ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير إلى الإيمان، وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا يتمتع فيها مع كفره. قوله: [بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان] بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء. قوله: ﴿ليقولوا﴾ اللام يصح أن تكون لام كي أو لام الصيرورة والعاقبة. قوله: [منكرين] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي على سبيل التهكم. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم. قوله: [بلى] جواب الاستفهام التقريري.

قوله: ﴿وإذا جاءك﴾ هذا من تتمة ما نزل في الفقراء. قوله: ﴿الذين يؤمنون﴾ وصفهم أولاً بالعبادة وثانياً بالإيمان إظهاراً لمزاياهم. قوله: ﴿فقل سلام عليكم﴾ الخ، أي اذكر لهم هذه الآية إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ في وقت مجيئهم إليك، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم، وإلا فسنة السلام أن تكون أولاً من القادم، وعليه فتكون الجملة إنشائية، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراماً لهم أمر بتبليغه لهم، وعليه فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، وسلام مبتدأ، وعليكم خبره، وسوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء، والدعاء من المسوغات.

قوله: ﴿كتب ربكم﴾ أي ألزم نفسه تفضلاً منه وإحساناً. قوله: [وفي قراءة بالفتح] أي وهي سبعية أيضاً، والحاصل أن القراءات ثلاث، فتحهما وكسرهما، وفتح الأولى وكسر الثانية، وكلها سبعية فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة، والثانية في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لما قبلها، والثانية مستأنفة أيضاً بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبراً لمن الموصولة، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية فالأولى بدل، والثانية استئناف، فتأمل فإنه زبدة احتمالات كثيرة. قوله: [بدل من الرحمة] أي بدل شيء من شيء. قوله: ﴿بجهالة﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿عمل﴾، والتقدير عمل سوءاً حال كونه جاهلاً بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلاً عن جلال الله، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا في حال جهله وغفلته، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا في زمنه ﷺ، بل هي عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة، ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلي حزبه.

قوله: ﴿ولتستبين﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق، فطريق الهدى واضحة، وطريق الضلال واضحة، كما في الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك». قوله: [وفي قراءة بالتحتانية] أي ورفع سبيل، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، ففي الفوقانية الرفع والنصب، وفي التحتانية الرفع لا غير. قوله: [خطاب للنبي] أي والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم.

للنبي ﷺ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾: في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾: إن اتبعتها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَ﴾: قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِ﴾: بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾: من العذاب ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾: القضاء ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ﴾ ٥٧: الحاكمين وفي قراءة يقض أي يقول ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّالِمِينَ﴾ ٥٨: متى يعاقبهم ﴿وَعِندَهُ﴾: تعالى ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: وهي

قوله: ﴿قل إني نهيت﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا في دخول رسول الله ﷺ في دينهم ويرد عليهم بذلك. قوله: ﴿نهيت﴾ أي نهاني ربي بواسطة الدليل العقلي والسمعي، لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له، متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص. قوله: [تعبدون] هذا أحد إطلاقات الدعاء، وبه فسر في غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره. قوله: ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ جمع هوى سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك، وهذه الجملة تأكيد لما قبلها. قوله: ﴿إذاً﴾ حرف جواب وجزاء، ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه. قوله: [إن اتبعتها] أي الأهواء وهو بيان لمعنى إذاً. قوله: ﴿وما أنا من المهتدين﴾ تأكيد لما قبلها. قوله: ﴿قل إني على بينة﴾ هذا زيادة في قطع طمعهم الفاسد، والمعنى لا تطمعوا في دخولي دينكم لأني على بينة من ربي، ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾. قوله: [بيان] أي دليل واضح. قوله: ﴿وكذبتم به﴾ أي بواحدانيته، والجملة حالية، ويشير لذلك تقدير المفسر قد.

قوله: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ ما الأولى نافية والثانية موصولة، وقوله: [من العذاب] بيان لما الثانية. وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم، وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الأنفال ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: ﴿يقضي الحق﴾ قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به، ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض أي بالحق. قوله: [وفي قراءة يقص] من قص الأثر تتبعه، وقص الحديث قاله.

قوله: ﴿لو أن عندي﴾ أي لو كان الأمر مفوضاً إلي. قوله: ﴿ما تستعجلون به﴾ أي من العذاب. قوله: [بأن أعجله] بيان لقوله: ﴿لقضي الأمر﴾ والضمير عائد على ما تستعجلون. قوله: [متى يعاقبهم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين، فلا يستعجلوا ذلك، فإنه لا حق بهم إن لم يتوبوا، وإنما تأخيره من حلم الله عليهم، فلولا حلمه ما بقي أحد، قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ فمن القبيح بعض العامة حلم الله يفتت الأكباد. إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضاً له في تعذيبهم لعجله واستراح، ومقتضى ما ورد من إتيان ملك الجبال يستشيره في أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافي. أجيب: بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية لأن البشر يتأثر بالضر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم الله بها، قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ فرجع الأمر لله فتدبر.

قوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ لما بين سبحانه وتعالى أولاً أنه منفرد بإيجاد كل شيء خيراً كان أو شراً بقوله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ الآية، بين ثانياً أنه منفرد بعلم الغيب بقوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ فهو كالدليل لما قبله كأنه قال

الخمسة التي في قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾[1]: الآية كما رواه البخاري ﴿ويعلم ما﴾: يحدث ﴿في البر﴾: القفار ﴿والبحر﴾: القرى التي على الأنهار ﴿وما تسقط من﴾: زائدة ﴿ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾: عطف على ورقة ﴿إلا في كتاب مبين﴾ ٥٩: هو اللوح المحفوظ، والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾: يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ويعلم ما جرحتم﴾: كسبتم ﴿بالنهار ثم

العذاب والرحمة بقدرة الله، ولا يعلم وقت مجيء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وعنده خبر مقدم، ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر، وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع، فلا ينافي أن بعض الأنبياء والأولياء يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علماً كما أحاط علم الله بها فقد كفر. قوله: [خزائنه] أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزناً ومعنى العلوم المخزومة، وقوله: [أو الطرق] أي فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التي توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبية ﴿لا يعلمها﴾ أي الخزائن أو الطرق تفصيلاً إلا هو، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الإجمال، وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف. قوله: ﴿علم الساعة﴾ أي وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها. قوله: [الآية] أي وهي ﴿ينزل الغيث﴾ أي المطر، أي لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله، ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾، أي من كونه ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً يعيش أو يموت. ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ أي لا تعلم نفس ما يعرض لها في المستقبل من خير أو شر، وغير ذلك من الأحوال التي تطرأ على الأنفس، قال الشاعر: وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ أي بأي محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه، إن الله عليم خبير ببواطن الأشياء كظواهرها، وهذا التفسير لابن عباس، وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب خزائنه الخفية في الأرض، والأقرب والأتم أن المراد بمفاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها. قوله: ﴿ما﴾ [يحدث] ﴿في البر﴾ أي من خير أو شر. قوله: [القرى التي على الأنهار] أي فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك، وقال جمهور المفسرين: المراد البر والبحر المعروفان، لأن جميع الأرض إما بر أو بحر، وفي كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته. قوله: ﴿وما تسقط من ورقة﴾ أي من الشجر إلا يعلمها، أي يعلم وقت سقوطها والأرض التي تسقط عليها. قوله: ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ أي هي والتي يضعها والزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أو لا، وقيل المراد بالحبة التي في الصخرة التي في الأرض التي قال فيها الله يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله وكل صحيح. قوله: ﴿ولا رطب ولا يابس﴾ عطف عام لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة. فإن قلت: إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب، فلم أفردها بالذكر؟ أجيب: بأنه من التفصيل بعد الإجمال، وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد، لكن لا يعلم عددها إلا الله، ثم ما هو أضعف من الورقة وهو الحبة، ثم ذكر مثالاً يجمع الكل وهو الرطب واليابس. قوله: [عطف على ورقة] أي الثلاثة معطوفة على ورقة، لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت. قوله: [بدل اشتمال من الاستثناء قبله] أي وهو قوله إلا يعلمها، وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، فذات الله وصفاته أحاط بها العلم لا اللوح، والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم، وهذا على أن

---

(1) إن يشير إلى آخر آية في سورة لقمان: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ لقمان: ٣٤.

﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: أي النهار برد أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٦٠: فيجازيكم به ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾: وفي قراءة توفاه ﴿رُسُلُنَا﴾: الملائكة الموكلون بقبض

المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر، وإنْ أُرِيدَ بالكتاب علمُ الله يكون بدل كلٍّ من كلٍّ لزيادةِ التأكيدِ والإيضاحِ.

قوله: [يقبض أرواحكم] ما ذكره المفسر بناءً على أنّ الإنسان له روحان: روح تقبض بالنوم وتبقى رُوحُ الحياة فإذا أرادَ الله موته قبضهما جميعاً وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر، قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ الآية، ويقرب هذا أحوال الأولياء لأنّ لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم، والمشهور أنها روح واحدة، ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك. قوله: ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ أي لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات، فهو المغير للأشياء ولا يتغير، قال العارف:

ولِي فِي خيال الظلِّ أكبر عبرة ... لمَنْ كان فِي بحرِ الحقيقة راقي
شخوصٌ وأشكالٌ تمرُّ وتنقضي ... فتفنَى جميعاً والمحركُ باقي

قوله: ﴿ثم يبعثكم﴾ ثُمّ في كلٍّ للترتيب الرتبي لأنّ بعد النوم البعث بالإيقاظ إلى انقضاءِ الأجل ثم بعده البعث بالإحياء من القبور ثم الإخبار بما وقع من العباد. قوله: ﴿ليقضي أجل﴾ الجمهور على بناء يقضي للمجهول، وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أو على الشخص، ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه، وقرىء بالبناءِ للفاعِل، وأجلاً مفعوله، والفاعل مستتر عائد على الله. قوله: [فيجازيكم به] أي إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر.

قوله: ﴿وهو القاهر﴾ أي المستعلي الغالب على أمره الحاكم فلا معقب لحكمه، يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويضرّ وينفع، فلا رادّ لما قضى، ولا ملجأ منه إلا إليه، فهو المتصرف في خلقه بجميع أنواع التصرّفات، من إيجاد وإعدامٍ، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك. قوله: ﴿فوق عباده﴾ أي فوقية مكانة أي شرف ورفعة وعلوّ قدرٍ تليق به، لا فوقية مكانٍ لاستحالة اتصافه به.

قوله: ﴿ويرسل﴾ معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل، وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى.

قوله: [ملائكة تحصي أعمالكم] أي من خير وشر لما ورد أن كل إنسان له ملكان، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالاً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها، فإن لم يتب منها كتبها صاحب الشمال، قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا، قال المفسر: وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتم. إن قلت: إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص أجيب: بأن ذلك تكرمة لبني آدم وإظهاراً لفضلهم، والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك، ربما كان ذلك داعياً للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي.

قوله: ﴿حتى إذا جاء﴾ حتى ابتدائية، والمعنى ينتهي حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حياً، فإذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له. قوله: ﴿الموت﴾ أي أسبابه. قوله: [وفي قراءة توفاه] أي بالإمالة المحضة، وهي ما كانت للكسر أقرب، وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازي التأنيث، أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين. قوله: ﴿رسلنا﴾ أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح. إن قلت:

الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ٦١: يقصّرون فيما يؤمرون به ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾: أي الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ﴾: مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾: الثابت العدل ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ٦٢: يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿قُلْ﴾: يا محمد لأهل مكة ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾: علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾: سرًّا تقولون ﴿لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَنْجَيْتَنَا﴾: وفي قراءة أنجانا أي الله ﴿مِنْ هَذِهِ﴾: الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٦٣: المؤمنين ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمّ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٦٣:

قال تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه، أجيب: بأن الله هو المتوفى حقيقة، فإذا حضر أجل العبد، اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده، فهو القابض لجميع الأرواح. إن قلت: ورد في بعض الأحاديث وتولى قبض أرواحنا عند الأجل بيدك أجيب: بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه، فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح، وإن كان هو القابض لها، وذلك في أهل محبة الله، ومن يموت شهيد حرب أو غريقاً أو حريقاً ونحوهم.

قوله: ﴿وهم لا يفرطون﴾ هذه الجملة حالية من رسلنا، أي والحال أنهم لا يقصرون في ذلك. فقد ورد: ما من أهل بيت شعر ولا مدر، إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين. وورد: أن الدنيا كلها بين ركبتي ملك الموت، وجميع الخلائق بين عينيه، ويداه يبلغان المشرق والمغرب، وكل من نفذ أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه، فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك. وورد: أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافراً ويقال معه سبعة من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب، فإذا قبض نفساً مؤمنة، دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء، وإذا قبض نفساً كافرة، دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها، ثم يصعدون بها إلى السماء، ثم ترد إلى سجين، وروح المؤمن إلى عليين.

قوله: ﴿ثم ردوا﴾ معطوف على توفته، وأفرد أولاً لأن التوفي يكون لكل شخص على حدة، وجمع ثانياً لأن الرد يكون للجميع. قوله: [مالكهم] دفع بذلك ما يقال إن بين هذه الآية وآية ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ تنافياً فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر. قوله: ﴿ألا له الحكم﴾ أي لا لغيره. قوله: [الحديث بذلك] وفي رواية أنه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة. قوله: ﴿قل﴾ [يا محمد] أي توبيخاً لهم وردعاً. قوله: [أهوالهما] أي فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التي تحصل في البر والبحر، وما مشى عليه المفسر أتم لشموله للحقيقة وغيرها، وقيل المراد بالظلمات حقيقتها، فظلمات البر هي ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة. قوله: ﴿وخفية﴾ الجمهور على ضم الخاء، وقرأ أبو بكر بكسرها، وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف.

قوله: ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الجملة في محل نصب مقول القول كما قدره المفسر. قوله: [والشدائد] عطف تفسير. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء، وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية.

به ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: كالخسف أو ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾: فرقاً مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال قال ﷺ لما نزلت: «هذا أهون وأيسر» ولما نزل ما قبله: «أعوذ بوجهك»[1] رواه البخاري. وروى مسلم حديث: «سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها» وفي حديث: لما نزلت قال أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نبين لهم ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾: الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ٦٥: يعلمون أن ما هم عليه باطل ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق ﴿قُل﴾: لهم ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ٦٦: فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبر ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت يقع

قوله: ﴿قل هو القادر﴾ هذا بيان لكونه قادراً على الإهلاك إثر بيان أنه المنجي من المهالك. قوله: [كالحجارة] أي التي نزلت على أصحاب الفيل، وقوله: [والصيحة] أي صرخة جبريل التي صرخها على ثمود قوم صالح. قوله: [كالخسف] أي الذي وقع لقارون. قوله: ﴿شيعاً﴾ منصوب على الحال جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الإنسان ويجمع على أشياع. قوله: [فرقاً] جمع فرقة وهي الجماعة. قوله: [لما نزلت] أي آية ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾. قوله: [أهون وأيسر] أي مما قبله وهو رضا بقضاء الله، وإلا فقد استعاذ منه أو لا فلم يفد. قوله: [ولما نزل ما قبله] أي قوله: ﴿على أن يبعث عليكم﴾ الخ. قوله: [أعوذ بوجهك] أي فقال مرتين: مرة عند نزول قوله: ﴿عذاباً من فوقكم﴾، ومرة عند نزول قوله: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾. قوله: [فمنعنيها] أي منعني هذه المسألة، بمعنى أنه لم يجبني في هذه الدعوة لما سبق في علمه من حصولها، فكان أول ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته ﷺ بخمس وعشرين سنة في وقعة علي ومعاوية، وما زالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة. قوله: [لما نزلت] أي هذه الآية. قوله: [قال أما إنها] أما أداة استفتاح، وإنها بكسر الهمزة، والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذاباً من فوقكم، وعذاباً من تحت أرجلكم، وتفريقكم شيعاً، ونصب القتال بينكم، فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة، لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة، والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة، هكذا ورد، ولكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة، لكن العذاب بهما ليس عاماً كما وقع في الأمم الماضية. قوله: [ولم يأت تأويلها] الضمير يعود على الآية أو الأمور الأربعة، أي صرفها عن ظاهرها، بل هي باقية على ظاهرها، لكن بالوجه الذي علمته.

قوله: ﴿وكذب به قومك﴾ أي أنكره حيث قالوا: إنه سحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك، وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها، وقيل الضمير عائد على العذاب، وقيل على الحق، وقيل على النبي وهو بعيد. قوله: [الصدق] أي لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال، ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله فأجازيكم. والحاصل أن في الآية تفسيرين: الأول أن الآية محكمة، والمعنى لست مجازياً على أعمالكم في الآخرة، والثانية أنها منسوخة، والمعنى لست مقاتلاً لكم إن حصلت منكم المخالفة، إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين.

---

* أسباب نزول الآية ٦٥: قوله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾ الآيات، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت ﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾.

فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ تهديد لهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾: بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي تذكره ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٦٨ فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: أي الخائضين ﴿مِّن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: إذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾: عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾: تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ٦٩: الخوض ﴿وَذَرِ﴾: اترك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾: الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾: باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾: عظ ﴿بِهِۦ﴾: بالقرآن الناس ﴿أَن﴾: لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره

قوله: ﴿لكل نبإ مستقر﴾ نزلت رداً لاستعجالهم العذاب الذي كان يعدهم به، والمعنى لكل خبر من الأخبار رحمة وعذاباً، زمن يقع فيه إما الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه إلا الله. قوله: [وقت يقع فيه] أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان، ويصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان. قوله: ﴿وإذا رأيت﴾ رأى بصرية والذين مفعولها، ويبعد كونها علمية لأنه يقتضي أن المفعول الثاني محذوف، وحذفه إما شاذ أو ممنوع. قوله: ﴿يخوضون﴾ الخوض في الأصل الدخول في الماء فيستعار للشروع والدخول في الكلام، فشبه آيات الله بالبحر، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض، فإثباته تخييل، والجامع بينهما التعرض للهلاك في كل، فإن الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك، فكذلك المتعرض للأباطيل في كلام الله.

قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ الخطاب له ولأصحابه، فالنهي عام وهو منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿في حديث غيره﴾ الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثاً. قوله: ﴿وإما ينسينك﴾ الخطاب له والمراد غيره، لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه. قوله: [بسكون النون والتخفيف] أي للسين من أنساه أوقعه في النسيان، وقوله: [وفتحها] أي النون وقوله: [والتشديد] أي للسين من نساه فيتعدى بالهمزة والتضعيف، وهما قراءتان سبعيتان، ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهي أو ما أمرك الله به. قوله: [فيه وضع الظاهر الخ] أي زيادة في التشنيع عليهم، وأتى في جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق، وفي جانب الإنساء بإن المفيدة إشارة إلى أن خوضهم في الآيات محقق، وإنساء الشيطان غير محقق، بل قد يقع وقد لا يقع. قوله: [وقال المسلمون الخ] بيان لسبب نزول الآية.

قوله: ﴿وما على الذين يتقون﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿من شيء﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [إذا جالسوهم] أي فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر، فهو تخصيص للنهي المتقدم. قوله: ﴿ولكن﴾ [عليهم] ﴿ذكرى﴾ أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى. قوله: [الذي كلفوه] أي وهو دين الإسلام، ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الأديان المشروعة، فكيف أضيف إليهم دين، وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعباً ولهواً. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهو منسوخ بآياته، ويدخل في عموم هذه الآية، من اتخذ دين الإسلام لهواً ولعباً، وأحدث فيه ما ليس منه، كالخوارج وبعض من يدعي الانتساب إلى الصالحين، حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلاً وزمراً، وأحدثوا أموراً لا تحل في دين الله. قوله: ﴿أن تبسل﴾ علة لقوله: ﴿وذكر به﴾ على حذف لام العلة قدرها

﴿وَلِيٌّ﴾: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾: يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تفد كل فداء ﴿لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾: ما تفدي به ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾: ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ٧٠: بكفرهم ﴿قُلْ أَنَدْعُوا﴾: أنعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾: بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾: نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾: أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: متحيراً لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾: رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾: أي ليهدوه الطريق يقولون له ﴿ائْتِنَا﴾: فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾: الذي هو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾: وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾: أي بأن نسلم

المفسر ولا مقدرة، والإبسال هو تسليم النفس في الحرب للقتال، والباسل الشجاع الذي يلقي بنفسه للهلاك. قوله: ﴿ليس لها﴾ إما استئناف أو حال من نفس أو صفة لها. قوله: ﴿ولي﴾ اسم ليس، و﴿لها﴾ خبر مقدم و﴿من دون الله﴾ حال من ولي. قوله: [تفد كل فداء] أي تفتد بكل فداء. قوله: [ما تفدي به] أشار بذلك إلى أن الضمير في لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدي به، فهو مصدر أريد به اسم المفعول.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ اسم الإشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول، و﴿لهم شراب﴾ مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير في أبسلوا، أو مستأنف بيان للإبسال. قوله: [ماء بالغ نهاية الحرارة] أي يقطع الأمعاء كما قال في الآية الأخرى ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾. قوله: [بكفرهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء. قوله: ﴿قل أندعوا﴾ قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام، فنزلت الآية أمراً للنبي ﷺ أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله، وفيه اعتناء بشأن الصديق وإظهار لفضله، حيث وجه الأمر إلى رسول الله، وفي الواقع الأمر لأبي بكر، والمعنى لا يليق منا عبادة من لا ينفعنا إذا عبدناه، ولا يضرنا إذا تركناه. قوله: ﴿ونرد على أعقابنا﴾ معطوف على أندعوا فهو داخل في حيز الاستفهام. قوله: ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ أي بعد وقت هداية الله لنا.

قوله: ﴿كالذي﴾ صفة لموصوف محذوف، أي نرد رداً مثل الذي استهوته، والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل، سمي الاضلال بذلك لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلاً يستند عليه هلك، فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصراً وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد، مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به في المفاوز والمهالك، مع سماعه منادأة من يأخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك، والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الأنس. قوله: ﴿في الأرض﴾ متعلق باستهوته. قوله: [حال من الهاء] أي في استهوته.

قوله: ﴿له أصحاب﴾ جملة في محل نصب صفة لحيران قوله: [والاستفهام الخ] أي وهو قوله أندعوا، والمعنى لا ينبغي أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا، لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله، كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يتوجه، مع كون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم. قوله: ﴿هو الهدى﴾ أي التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، فهو بمعنى ان الدين عند الله الإسلام.

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٧١: ﴿وَأَنْ﴾: أي بأن ﴿أَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾: تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٧٢: تجمعون يوم القيامة للحساب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي محقاً ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾: للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾: في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ٧٣: بباطن الأشياء كظاهرها ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: هو لقبه واسمه تارخ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾: تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ﴾

قوله: ﴿وأمرنا﴾ أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين. قوله: ﴿وأن أقيموا الصلاة﴾ قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم، فهو داخل تحت الأمر أيضاً، وفيه التفات من التكلم للخطاب، وعطف التقوى عليه من عطف العام، وخص الصلاة بعد الإسلام لأنها أعظم أركانه. قوله: ﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾ هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله، والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم. قوله: [أي محقاً] أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال، أي حال كونه محقاً أي موصوفاً بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال، ويحتمل أن يكون المعنى محقاً لا هازلاً ولا عابثاً، بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾.

قوله: ﴿يوم﴾ معمول محذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف. قوله: ﴿يقول كن﴾ هذا كناية عن سرعة الإيجاد، وهو تقريب للعقول، وإلا فلا كاف ولا نون، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ قوله: ﴿فيكون﴾ كل من كن ويكون تام يكتفي بالمرفوع، و[هو] ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله. قوله: [يقول للخلق] أي جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها، من العالم العلوي والسفلي. قوله: ﴿الحق﴾ يصح أن يكون مبتدأ وخبراً أو مبتدأ، والحق نعته خبره قوله يوم يقول. قوله: [لا محالة] أي لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمي، وأما بضم الميم فمعناه الباطل، وليس مراداً هنا. قوله: ﴿يوم ينفخ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿وله الملك﴾ وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقاً، لأنه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيئاً مما كان يملكه في الدنيا، قال تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ أو خبر عن الملك والتقدير والملك ينفخ في الصور كائن له أو بدل من يوم يقول.

قوله: ﴿في الصور﴾ هو نائب الفاعل. قوله: [القرن] أي المستطيل، قال مجاهد: الصور قرن كهيئة البوق، وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها، فإذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة، فالإحياء يحصل بإيجاد الله عند النفخ لا بالنفخ، فهو سبب عادي. قوله: [النفخة الثانية] أي وأما الأولى فعندها يموت كل ذي روح، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾. قوله: [ما غاب وما شوهد] أي بالنسبة، وإلا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء، بل ما في تخوم الأرضين والسموات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء. قوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ كالدليل لما قبله.

قوله: ﴿وإذا قال إبراهيم﴾ الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والجملة معطوفة على جملة ﴿قل أندعوا من دون الله﴾، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا، واحتج عليهم بما وقع لإبراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام. قوله: [واسمه تارخ] يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة، وقيل إن آزر اسمه تارخ لقبه، وهو جمع بين قولين، وتارخ بدل أو عطف بيان، وآزر من الأزر وهو العيب لأنه قام به العيب حيث

﴿وَقَوْمَكَ﴾: باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ ٧٤: بيّن ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ٧٥: بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾: أظلم ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾: قيل هو الزهرة

عبد الأصنام أو العوج، ولا شك أنه قام به الأمران العيب والعوج. قوله: ﴿أصناماً﴾ المراد بها ما صوّر على هيئة الإنسان وعبد من دون الله، كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك، وأصناماً مفعول أول لتتخذ وآلهة مفعول ثان. قوله: [تعبدها] أي أنت وقومك الذين هم الكنعانيون. قوله: [استفهام توبيخ] أي على سبيل الإنكار.

قوله: ﴿إني أراك﴾ أي أعلمك، فالكاف مفعول أول، وفي ضلال مبين مفعول ثان، ومقتضى هذه الآية وآية مريم أن آزر أبا إبراهيم كان كافراً، وهو يشكل على ما قاله المحققون إن نسب رسو الله ﷺ محفوظاً من الشرك، فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط، وبذلك قال المفسر في قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ وقال البوصيري في الهمزية:

وبدا للوجود منك كريم ... من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الإشراك ما دام النور المحمدي في ظهرهم، فإذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك، كذا قال المفسرون هنا، وهذا على تسليم أن آزر أبوه، وأجاب بعضهم أيضاً بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافراً وتارح أبوه مات في الفترة ولم يثبت سجوده لصنم، وإنما سماه أباً على عادة العرب من تسمية العم أباً، وفي التوراة اسم أبي إبراهيم تارح. قوله: [بين] أي ظاهر لا شك فيه. قوله: [كما أريناه إضلال أبيه قومه] أي بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولاً عليه، لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام على قدميه وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت، الحمد لله الذي هدانا لهذا. قوله: [ملك] أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت، من الرغبة والرهبة والرحمة، وعلى هذا فالملكوت والملك واحد، وللصوفية فرق بين الملك والملكوت، فالملك ما ظهر لنا، والملكوت ما خفي عنا كالسموات وما فيها إذ علمت ذلك، فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له من السموات حتى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب، وحتى رأى مكانه في الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب، وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا علمية. قوله: [ليستدل به على وحدانيتنا] أي ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه، فإن توحيده بالمشاهدة لا بالدليل. قوله: ﴿وليكون من الموقنين﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ. قوله: [اعتراض] أي بين قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ وبين الاستدلال عليهم.

قوله: ﴿فلما جن﴾ من الجنة وهي الستر، وحاصل ذلك أن نمروذ بن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته، وكان له كهان ومنجمون، فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض، ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل النساء عن الرجال، وجعل على كل عشرة رجلاً يحفظهم فإذا حاضت المرأة خلوا بينها وبين زوجها، لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت من الحيض حالوا بينهما، فخرج نمروذ بالرجال في البرية وعزلهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود، فمكث بذلك ما شاء الله، ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحداً من قومه إلا آزر، فبعث إليه فأحضره عنده وقال له: إن لي إليك حاجة أحب أوصيك بها، ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك، فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك،

﴿قَالَ﴾: لقومه وكانوا نجامين ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾: في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾: غاب ﴿قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ٧٦: أن اتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعاً ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ٧٧: تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾: ذكره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾: من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾: وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ٧٨: بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له: ما تعبد

فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك، ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بإبراهيم، فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها، فلما وضعته جعلته في نهر يابس ثم لفته في خرقة وتركته، قيل أخبرت أباه به، وقيل لا، وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل، فتجده حياً وهو يمص من أصبع ماء، ومن أصبع لبناً، ومن أصبع سمناً، ومن أصبع عسلاً، ومن أصبع تمراً، وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر، وفي الشهر كالسنة، فمكث خمسة عشر شهراً، قالوا فلما شب إبراهيم وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا، قال فمن ربك قالت أبوك، قال فمن رب أبي قالت اسكت، ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض، ثم أخبرته بما قال، فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم: يا أبتاه من ربي قال أمك، قال فمن رب أمي قال أنا، قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت. قوله: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً﴾ الآية، واختلف في وقت هذا القول، هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما، والصحيح أنه بعد البلوغ وإيتاء الرسالة، وما وقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله، وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقة حاشاه من ذلك، لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها، لأن توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربكم. قوله: [قيل هو الزهرة] خصها لأنها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة. قوله: [وكانوا نجامين] أي عالمين بالنجوم أو عابدين لها. قوله: [في زعمكم] أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم، لا على حسب الواقع واعتقاد إبراهيم. قوله: [غاب] يقال أفل الشيء أفولاً. قوله: [التغير والانتقال] أي لأن الأفول حركة، والحركة تقتضي حدوث المتحرك وإمكانه، فيمتنع أن يكون إلهاً. قوله: [فلم ينجع] أي لم يؤثر ويفد، وهو من باب خضع، يقال نجع نجوعاً ظهر أثره. قوله: ﴿بازغاً﴾ حال من القمر والبزغ الطلوع.

قوله: ﴿قال هذا ربي﴾ أي بزعمكم كما تقدم. قوله: [يثبتني على الهدى] إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه. قوله: [تعريض لقومه] إنما عرض بضلالهم في أمر القمر لأنه أيس منهم في أمر الكوكب، ولو قاله في الأول لما أنصفوه، ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك، أي فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الأذعان والتسليم. قوله: [فلم ينجع فيهم ذلك] أي الدليل المذكور. قوله: [لتذكير خبره] أي وهو ربي وهذا كالمتعين لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شيء واحد، والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث، ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا علامة، وإن كان علامة أبلغ تباعداً عن علامة التأنيث.

قوله: ﴿هذا أكبر﴾ أي جرماً وضوءاً، وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفي رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة، والقمر قدرها مائة وعشرين مرة. قوله: ﴿مما تشركون﴾ ما مصدرية، أي بريء من إشراككم، أو موصولة أي من الذي تشركونه مع الله فحذف العائد. قوله: [والأجرام] عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم.

قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: أي الله ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ٧٩: به ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهو نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء أتجادلونني ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾: تعالى إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾: من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾: من المكروه يصيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٨٠: هذا فتؤمنون ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾

قوله: [قصدت بعبادتي] أي فليس المراد بالوجه الجسم المعروف، بل المراد به القلب، وإنما عبّر المفسر بالقصد؛ لأن القصد والنية محلهما القلب، وإنما انتفى الوجه الحسي لاستحالة الجهة على الله. قوله: [خلق] ﴿السموات والأرض﴾ أي وما فيهما، ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية، لقد أبطل السفلية بقوله إني أراك وقومك في ضلال مبين، والعلوية بقوله فلما جن عليه الليل الخ. قوله: ﴿حنيفا﴾ حال من التاء في وجهت.

قوله: ﴿وحاجه قومه﴾ روي أنه لما شب إبراهيم وكبر، جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها، فيذهب بها وينادي يا من يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رؤوسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه، حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه، وذلك قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه﴾ الخ. قوله: [وهددوه] عطف تفسير على [جادلوه] أي فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين. قوله: [أن تصيبه بسوء] أي كخبل وجنون.

قوله: ﴿قال أتحاجوني﴾ الخ استئناف وقع جواباً لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم، كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه. قوله: [بتشديد النون] أي لادغام نون الرفع في نون الوقاية. وقوله: [تخفيفها] أي تخلصاً من اجتماع مثلين في كلمة واحدة وهما الجيم والنون. قوله: [عند النحاة] أي كسيبويه وغيره من البصريين، مستدلين بأنها نائبة عن الضمة، وهي قد تحذف كما في قراءة أبي عمرو ينصركم ويأمركم بالإسكان، فكذا ما ناب عنها. قوله: [عند القراء] أي مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها. قوله: ﴿وقد هدان﴾ يرسم بلا ياء لأنها من ياءات الزوائد، وفي النطق يجب حذفها في الوقف، ويجوز إثباتها وحذفها في الوصل، وجملة وقد هدان في محل نصب على الحال من الياء في أتحاجوني، والمعنى أتحاجوني في الله حال كوني مهدياً من عنده، وحجتكم لا تجدي شيئاً لأنها داحضة.

قوله: ﴿ما تشركون به﴾ أشار إلى أن ما موصولة، فالهاء في به تعود على ما، والمعنى ولا أخاف الذي تشركون الله به أو تعود على الله، والمحذوف هو العائد على ما. قوله: [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المشيئة ليست مما يشركون به. قوله: [يصيبني] صفة ليشاء وهو إشارة إلى تقدير مضاف، أي إلا أن يشاء ربي إصابة شيء لي، وقوله: [فيكون] بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف، أي فهو يكون. محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو (اشتعل الرأس شيبا) والجملة كالتعليل. قوله: ﴿علما﴾ تمييز محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو (اشتعل الرأس شيباً) والجملة كالتعليل للاستثناء. قوله: ﴿أفلا تتذكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه، أي أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها.

قوله: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ استئناف مسوق لنفي الخوف عنه بالطريق الإلزامي بعد نفيه بحسب الواقع في

﴿مَا أَشْرَكْتُمْ﴾: بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾: أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾: في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾: بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾: حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾: أنحن أم أنتم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨١: من الأحق به أي وهو نحن فاتبعوه قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾: يخلطوا ﴿إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾: أي شرك كما فسر بذلك في حديث الصحيحين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾: من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ٨٢ ﴿وَتِلْكَ﴾: مبتدأ ويبدل منه ﴿حُجَّتُنَا﴾: التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده والخبر ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾: أرشدناه لها حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾: بالإضافة والتنوين في

سابقاً ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ والاستفهام للتعجب. قوله: ﴿ما لم ينزل به﴾ مفعول لأشركتم. قوله: ﴿فأي الفريقين﴾ أي من الموحد والمشرك. قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ إن شرطية وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله فاتبعوه.

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ الخ، يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم، أو من كلام قومه، أو من كلام الله تعالى، أقوال للعلماء، فإن قلنا إنها من كلام إبراهيم، كان جواباً عن السؤال في قوله فأي الفريقين الخ وكذا إن قلنا إنها من كلام قومه، ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم، وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف، وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الإخبار، كان الموصول مبتدأ، وأولئك مبتدأ ثان، والأمن مبتدأ ثالث، ولهم خبره، والجملة خبر أولئك، وأولئك وخبره خبر الأول. قوله: [في حديث الصحيحين] أي ففيهما عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا﴾ الخ، شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ وهذا ما ذهب إليه أهل السنة، وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك، بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضي اجتماعهما، ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك، لأنهما ضدان لا يجتمعان، وأجاب أهل السنة بأن الإيمان قد يجامع الشرك، ويراد بالإيمان مطلق التصديق، سواء كان باللسان أو بغيره، وكذا إن أريد به تصديق القلب، لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته، كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أفاده زاده على البيضاوي.

قوله: ﴿وتلك حجتنا﴾ أعرب المفسر اسم الإشارة مبتدأ، وحجتنا بدل منه، وجملة ﴿آتيناها﴾ خبر المبتدأ. وقوله: ﴿على قومه﴾ متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها، وهو أحسن الأعاريب وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر، وآتيناها خبر ثان، وعلى قومه متعلق بحجتنا، واسم الإشارة عائد على قوله ﴿فلما جن عليه الليل﴾ إلى هنا، أو من قوله ﴿وكذلك نرى إبراهيم﴾ إلى هنا. قوله: [من أفول الكواكب] أي التي هي الزهرة والقمر والشمس. قوله: [وما بعده] أي وهو قوله (وحاجه قومه) الخ.

قوله: ﴿آتيناها إبراهيم﴾ أي بوحي أو الهام. قوله: [حجة] ﴿على قومه﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في آتيناها. قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها. قوله: [بالإضافة والتنوين] أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الإضافة المفعول به هو درجات على التنوين هو من

* أسباب نزول الآية ٨٢: قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر ابن سوادة قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً، ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ نعم، فضرب فرسه، فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلا ثم آخر، ثم قتل قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية.

العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ٨٣: بخلقه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ابنه ﴿كُلًّا﴾: منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾: أي نوح ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾: ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٤ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾: ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ﴾: ابن هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾: منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾: اللام زائدة ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ بن هارون أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾: منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ٨٦: بالنبوة ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾: عطف على كلا أو نوحاً ومن للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾: اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

نشاء، ودرجات ظرف لنرفع، والتقدير نرفع من نشاء في درجات. قوله: [في العلم والحكمة] قيل هي النبوة، فالعطف مغاير، وقيل العلم النافع، فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهاراً لفضله. قوله: ﴿إن ربك حكيم﴾ أي يضع الشيء في محله، وهو كالدليل لما قبله، والمعنى أن الله يحكم لا معقب لحكمه، فيرفع من يشاء، ويضع من يشاء، لا اعتراض عليه، فإنه ﴿حكيم﴾ يضع الشيء في محله، ﴿عليم﴾ لا يخفى عليه شيء.

قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق﴾ الخ، لما أنعم الله على إبراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم، ورفع درجاته حيث جاهد في الله حق جهاده، أتم الله عليه النعمة، بأن وهب له إسحاق ويعقوب وإسماعيل وجعل في ذريته النبوة إلى يوم القيامة، وإسحاق هو من سارة، وجملة وهبنا معطوفة على قوله: ﴿وتلك حجتنا﴾ عطف فعلية على اسمية، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه لأن شرف الوالد يسري للولد. قوله: ﴿كلا هدينا﴾ أي للشرع الذي أوتيه. قوله: ﴿ونوحاً هدينا من قبل﴾ نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف، وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام، وبالنون بعد الكاف ابن متوشلخ، بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو، وسكون الشين المعجمة وكسر اللام، وبالخاء المعجمة ابن إدريس.

قوله: ﴿ومن ذريته﴾ يحتمل أن الضمير عائد على نوح لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر، ويحتمل أنه عائد على إبراهيم لأنه المحدث عنه، ويبعده ذكر لوط في الذرية، مع أنه ليس من ذرية إبراهيم، بل هو ابن هاران وهو اخو إبراهيم. قوله: ﴿وأيوب﴾ هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن إسحاق. قوله: ﴿وموسى﴾ هو ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب، وقوله: ﴿وهارون﴾ أي وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة. قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ أي المؤمنين، أي فمن اتبعهم في الإيمان ألحق بهم ورفع الله درجاته. قوله: [يفيد أن الذرية الخ] أي لأن عيسى لا أب له.

قوله: ﴿وإلياس﴾ [ابن أخي هارون] وقيل هو إدريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح، لأن إدريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية، وإلياس بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، وهذا هو الصحيح، فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي. قوله: ﴿واليسع﴾ الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء، وقرىء بلام مشددة وياء ساكنة، وهو ابن أخطوب ابن العجوز.

قوله: ﴿ويونس﴾ هو ابن متى وهي أمه. قوله: ﴿وكلا فضلنا على العالمين﴾ أي على سائر الأولين والآخرين. قوله: [عطف على كلا] أي والعامل فيه فضلنا، وقوله: [أو نوحاً] أي العامل فيه هدينا، والأقرب الأول. قوله: [ومن للتبعيض] هذا ظاهر في الآباء والأبناء لا الأخوان فإنهم كلهم مهديون. قوله: [لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ] هذا

مُسْتَقِيمٍ ٨٧ ﴿ذَٰلِكَ﴾: الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾: فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: بمعنى الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾: الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾: أي بهذه الثلاثة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ٨٩﴾: هم المهاجرون والأنصار ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾: هم ﴿اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾: طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اقْتَدِهْ﴾: بهاء السكت وقفاً ووصلاً وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿قُلْ﴾: لأهل مكة ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي القرآن ﴿أَجْرًا﴾: تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ ٩٠﴾: الإنس والجن ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾: أي اليهود ﴿اللَّهَ

تعليل لكون من للتبعيض، وقد خصه المفسر بالذرية، ويقال مثله في الآباء. والحاصل أنه ذكر في هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً ثمانية عشر، وبقي سبعة وهم محمد ﷺ وإدريس وشعيب وصالح وهود وذو الكفل وآدم، فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وبقي ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم: لقمان وذو القرنين والعزيز، من أنكر وجودهم كفر، ومن أنكر نبوتهم لا يكفر. قوله: [الذي هدوا إليه] أي وهو التوحيد. قوله: ﴿ولو أشركوا﴾ [فرضاً] أشار بذلك إلى أن الشرك مستحيل عليهم، فلو غير مقتضية للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم.

قوله: ﴿أولئك﴾ أي الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر. قوله: [الحكمة] أي العلم النافع أي المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم. قوله: ﴿فقد وكلنا﴾ أي وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها، وهذا تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لأنا قد وكلنا الخ، وفي هذه وعد من الله بنصره وإظهار دينه. قوله: ﴿ليسوا بها بكافرين﴾ أي بل هم مستمرون على الإيمان بها، والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة، فإن من كفر منهم وباله على نفسه، وأما آيات الله فقد جعل لها أهلاً يؤمنون بها ويعملون إلى يوم القيامة. قوله: [من التوحيد الخ] دفع ذلك ما يقال إن هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء، مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع، وأن كلهم ملتمسون منه، فأجاب بأن الاقتداء في التوحيد والصبر على الأذى، لا في فروع الدين. قوله: [وقفاً ووصلاً] أما الوقف فظاهر، وأما الوصل فإجراء له مجرى الوقف، قال ابن مالك:

وربما أعطي لفظ الوصل ما ... للوقف نثراً وفشا منتظما

قوله: [الإنس والجن] أي ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة، وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله ﷺ أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وإبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل، وإسحاق ويعقوب وأيوب أصحاب صبر على البلاء والمحن، وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم، ويوسف جمع بين الصبر والشكر، وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس من

* أسباب نزول الآية ٩١: قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبراً سميناً، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه ويحك، ولا على موسى؟ فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية مرسل.

وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة، وتقدم حديث آخر في سورة النساء، وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزلت.

﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: أي ما عظّموه حقّ عظمته أو ما عرفوه حقّ معرفته ﴿إِذْ قَالُوا﴾: للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ﴾: لهم ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ﴾:

أصحاب الزهد في الدنيا، وإسماعيل صاحب صدق الوعد، ويونس صاحب تضرع وإخبات، ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدي بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الخازن.

لكن قد يقال إن المزية لا تقتضي الأفضلية، ولذا قال أشياخنا المحققون إنه وإن كان جامعاً لجميع ما تفرق في غيره، فتفضيله من الله لا بتلك المزايا، فقد فاقهم فضلاً ومزايا.

ـ تتمة ـ بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة، وبعث نوح لأربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وقبل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمس وخمسين، وإبراهيم ولد على رأس ألفي سنة من آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين، وولده إسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وأخوه إسحاق ولد بعده بأربع عشر سنة، وعاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مائة وسبعاً وأربعين، ويوسف بن يعقوب بن إسحاق عاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين موسى أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة، وعاش موسى مائة وعشرين سنة، وبين موسى وداود خمسمائة وتسع وتسعون سنة، وعاش مائة سنة، وولده سليمان عاش نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف وسبعمائة سنة، وأيوب عاش ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي.

قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود، وقدر من باب نصر، يقال قدر الشيء إذا سبره وحرزه ليعرف مقداره، والمعنى لم يعترفوا بقدر الله، وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود، وإلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته. واعلم أن هنا معنيين: الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أي ما عرفوه المعرفة التي تليق به، وهذه لا يصل إليها أحد أبداً، ففي الحديث: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك يا معروف لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا منتف في حق كل مخلوق، فلا خصوصية لليهود، الثاني أن معنى وما قدروا الله حق قدره، أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به، وهذا لم يقع من اليهود، وإنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا.

قوله: ﴿إذ قالوا﴾ إما ظرف لقدروا أو تعليل له. قوله: [وقد خاصموه في القرآن] أي كفنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف، فقد جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم، وكان مالك المذكور كذلك، وكان فيها ما ذكر، فقال نعم، وكان يحب إخفاء ذلك، لكن أقر لإقسام النبي عليه السلام، فقال له النبي أنت حبر سمين، فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى، فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا، قال اغضبني محمد فقلته، فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق، فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

قوله: ﴿نوراً﴾ حال إما من به والعامل فيها جاء، أو من الكتاب والعامل فيه أنزل، ومعنى نوراً بيناً في نفسه، وهدى مبيناً لغيره، وللناس متعلق بهدى. قوله: ﴿تجعلونه﴾ حال ثانية، وجعل بمعنى صير، فالهاء مفعول أول،

بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾: أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبْدُونَهَا﴾: أي ما يحبون إبداءه منها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾: أيها اليهود في القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾: من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾: باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ٩١ ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾: بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩٢: خوفاً من عقابها

وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف، أي ذا قراطيس أو في قراطيس أو بولغ فيه. قوله: [بالياء والتاء] فعلى التاء يكون خطاباً لليهود، وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة. قوله: [في المواضع الثلاثة] أي يجعلون ويبدون ويخفون. قوله: [مقطعة] أي مفصولاً بعضها من بعض، ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه. قوله: ﴿وتخفون كثيراً﴾ أي لم يظهروه، بمعنى لم يكتبوه أصلاً أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم، وجعلوا ذلك ستراً بينهم. قوله: [كنعت محمد] أي وكآية الرجم، وآية إن الله يبغض الحبر السمين.

قوله: ﴿وعلمتم﴾ يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر، وتكون الجملة حالية، والمعنى تبدونها وتخفون كثيراً والحال أن محمداً أعلمكم في القرآن بأشياء في التوراة، ما لم تكونوا تعلموها أنتم ولا آباؤكم، ويحتمل أن الخطاب لقريش، وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب. قوله: ﴿قل الله﴾ يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله، وعليه درج المفسر وهو الأولى، لأن السؤال جملة اسمية، فيكون الجواب كذلك، ويحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله، وقد صرح بالفعل في قوله تعالى: ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾. قوله: ﴿في خوضهم﴾ إما متعلق بذرهم أو بيلعبون، ومعنى يلعبون يستهزؤون ويسخرون.

قوله: ﴿وهذا كتاب﴾ مبتدأ وخبر، و﴿أنزلناه﴾ صفة أولى، و﴿مبارك﴾ صفة ثانية، و﴿مصدق الذي بين يديه﴾ صفة ثالثة. قوله: [القرآن] لغة من القرء وهو الجمع، واصطلاحاً اللفظ المنزل على رسول الله ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء. قوله: ﴿مبارك﴾ أي كله خير لمن آمن به، وشر على من يكفر به، ومن بركته بقاء الدنيا، وإنبات الأرض، وإمطار السماء، ولذا إذا رفع القرآن تأتي ريح لينة فيموت بها كل مؤمن ويبقى الكفار، فبقاء الخير في الأرض مدة بقاء القرآن فيها.

قوله: ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ أي موافق للكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه، والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للنبي، وعلى الياء يكون الضمير عائداً على القرآن. قوله: [أي أنزلناه للبركة] هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق، لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية. قوله: [أي أهل مكة] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي أهل أم القرى وهي مكة. قوله: [وسائر الناس] أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قاربها من البلاد، بل المراد جميع البلاد، لأن مكة وسط الدنيا، واقتصر على الإنذار لأنه هو الموجود في صدر الإسلام، إذ ليس ثم مؤمن يبشر.

قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ، و﴿يؤمنون﴾ صلته، و﴿بالآخرة﴾ متعلق بيؤمنون، وقوله: ﴿يؤمنون به﴾ خبره، ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما، والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيماناً معتداً به محصورون في الذي يؤمن بالقرآن، فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانها بالقرآن. قوله: ﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ جملة

﴿وَمَنْ﴾ : أي لا أحدَ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ : بادعاء النبوّة ولم ينبأ ﴿أَوْ قَالَ : أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ : نزلت في مسيلمة ﴿وَ﴾ : من ﴿مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ : وهم المستهزئون قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ : يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ : المذكورون ﴿فِي غَمَرَٰتِ﴾ : سكرات ﴿ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ : إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفاً ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ : إلينا لنقبضها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

حالية من فاعل يؤمنون، وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات. قوله: [خوفاً من عقابها] أي الآخرة. قوله: ﴿ومن أظلم﴾ من اسم استفهام مبتدأ، وأظلم خبره، و﴿كذباً﴾ تمييز، وأشار بقوله: [أي لا أحد] إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿أو قال أوحي إليّ﴾ أو للتنويع والعطف مغاير، وليس من عطف الخاص على العام، ولا من عطف التفسير، لأن ذلك لا يكون بأو. قوله: ﴿ولم يوح إليه شيء﴾ أي من قبل الله، بل استهوته الشياطين، وسلب الله عقله، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر، أنزلت عليّ سورة مثلها، إنا أعطيناك العقعق فصل لربك وازعق إن شانئك هو الابلق، وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب، فإن الآية نزلت فيه كما قال المفسر، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله ﷺ كتاباً مع رسولين يذكر فيه: من عند مسليمة رسول الله، إلى محمد رسول الله، أما بعد، فإن الأرض بيننا نصفين، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة؟ فقالا نعم، فقال رسول الله : لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما، وكتب له : من عند محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قوله: ﴿و﴾ [من] ﴿من قال﴾ قدره المفسر إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن. قوله: [وهم المستهزئون] أي كعقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما، وما ذكره المفسر هو المشهور، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح، كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما أنزل الله، ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي ﷺ نازل بمر الظهران، وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذباً في أي زمان إلى يوم القيامة. قوله: ﴿ولو ترى﴾ لو حرف شرط وجوابها محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمراً فظيعاً، وترى بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين، وإذ ظرف لترى، والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في غمرات الموت الخ. قوله: [المذكورون] أي مسيلمة الكذاب والمستهزئون، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: ﴿في غمرات﴾ جمع غمرة من الغمر وهو الستر، يقال غمره الماء إذا ستره، سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه.

قوله: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾ تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه، لأن الكافر يكره لقاء الله، فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرهاً. إن قلت: إن المؤمن يكره الموت أيضاً. أجيب: بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعد الله له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله، وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد له من العذاب الدائم

---

* أسباب نزول الآية ٩٣: قوله تعالى: ﴿ومن أظلم﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾ قال: نزلت في مسيلمة، ﴿ومن قال سأنزل ما أنزل الله﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ، فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وأخرج عن السدي نحوه وزاد قال: إن كان محمد يوحي إليه فقد أوحي إلي، وان كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد سميعاً عليماً، فقلت أنا عليماً حكيماً.

﴿ٱلْهُونِ﴾: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٩٣: تستكبرون عن الإيمان بها وجواب لو: لرأيت أمراً فظيعاً ﴿وَ﴾: يقال لهم إذا بعثوا ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي حفاة عراة غرلاً ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ﴾: أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾: في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَ﴾: يقال لهم توبيخاً ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾: الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾: أي في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾: لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وصلكم أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٩٤: في الدنيا من شفاعتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾: شاق ﴿ٱلْحَبِّ﴾: عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾: عن النخل

يزداد كراهة في الموت، وعلى ذلك يحتمل ما ورد: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.
قوله: [يقولون لهم تعنيفاً] أي لأن الإنسان لا يقدر على إخراج روحه، وإنما ذلك لأجل تعنيفهم، ويحتمل أن معنى ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ نحوها من العذاب الذي حل بكم تهكماً بهم.

قوله: ﴿اليوم﴾ ظرف لقوله: ﴿تجزون﴾ فالوقف ثم على قوله أنفسكم، وأل في اليوم للعهد أي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم، ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة، والأحسن أن يراد ما هو أعم. قوله: [الهوان] أي الذل والصغار، لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لأن كل عذاب يعقبه عفو فلا يقال له هون، وإنما يقال لعذاب الكافر. قوله: ﴿بما كنتم﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونكم تقولون الخ. قوله: [بدعوى النبوة إلخ] هذا راجع لقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾. قوله: ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ أي وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته، فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون، وهو راجع لقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، ففيه لف ونشر مرتب، وهذا باعتبار سبب النزول، وإلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت.

قوله: ﴿و﴾ [يقال لهم] اختلف في تعيين القائل، فقيل الله سبحانه، وقيل الملائكة ترجماناً عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أو لا. قوله: ﴿فرادى﴾ جمع فرداً وفريداً وفردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها. قوله: [حفاة عراة] أي وذلك عند الحساب، فلا ينفي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان، فإذا حشروا ودنت الشمس من الرؤوس تطايرت الأكفان. قوله: [غرلا] بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة، جمع أغرل كحمر جمع أحمر، أي غير مقطوعين القلفة.

قوله: ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ الجملة حالية من فاعل جئتمونا، وقوله: ﴿وراء ظهوركم﴾ متعلق بتركتم. قوله: [أي في استحقاق عبادتكم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿بينكم﴾ على قراءة الرفع هو فاعل تقطع، والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا ويطلق، ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد. قوله: [وفي قراءة بالنصب] أي وهي سبعية أيضاً، والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شفعاءكم﴾ و ﴿شركاء﴾ لأن بين الشفيع والمشفوع له إيصالاً، و ﴿بينكم﴾ ظرف له، والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر [أي وصلكم] تفسير للضمير المستتر. قوله: ﴿ما كنتم تزعمون﴾ ما اسم موصول فاعل ﴿ضل﴾، وكنتم تزعمون صلته، والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذي كنتم تزعمونه شفيعاً ونافعاً.

---

* أسباب نزول الآية ٩٤: قوله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ إلى قوله ﴿شركاء﴾.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: كالإنسانِ والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾: النطفةِ والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ﴾: الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ٩٥: فكيف تُصرفون عن الإيمانِ مع قيام البرهان ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: مصدر بمعنى الصُّبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّيْلِ سَكَنًا﴾: تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: بالنصب عطفاً على محل الليل ﴿حُسْبَانًا﴾: حساباً للأوقات أو

قوله: ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ لما تقدم ذكر التوحيد، وما يتعلق به أتبعه بذكر ما يدل على ذلك، والمراد بالحب ما لانوى له يرمى، كالقمح والشعير والفول، وبالنوى ضد الحب، كالرطب والمشمش والنبق، فانحصر ما يخرج من الأرض في هذين النوعين، وإضافة فالق للحب يحتمل أنها محضة، ففالق بمعنى فلق، فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب، ويحتمل أنها لفظية، والمراد فالق في الحال والاستقبال. قوله: [شاق] فسر الفلق بالشق لأنه المشهور في اللغة، ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة، وقال ابن عباس إن فالق بمعنى خالق. قوله: [عن النخل] مراده به كل ما له نوى.

قوله: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ يحتمل أنه خبر ثانٍ لأن، ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله، والمراد بالحي كل ما ينمو كان ذا روح أو لا كالحيوان والنبات، وبالميت ما لا ينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة، فتسمية النبات حياً مجاز بجامع قبول الزيادة في كل. قوله: [من النطفة والبيضة] لف ونشر مرتب، وأدخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة، فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين، فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة.

قوله: ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ إنما عبّر باسم الفاعل مع العطف، إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف فالق وليس بياناً له، وإلا لأتى بالفعل. قوله: ﴿من الحي﴾ أي كالإنسان والطائر، ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر، فيخرج الحي كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس. قوله: ﴿ذلكم الله﴾ أتى بذلك وإن علم من قوله إن الله فالق لأجل الرد على من كفر بقوله: ﴿فأنى تؤفكون﴾. قوله: [فكيف تصرفون عن الإيمان] أي لا وجه لصرفكم عن الإيمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء، فهو استفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [مصدر] أي لأصبح بمعنى الدخول في الصباح وليس مراداً، بل المراد الصبح نفسه، فلذا فسّره حيث أطلق المصدر وهو الإصباح، وأراد أثره وهو الصبح، والإصباح بكسر الهمزة وقرىء شذوذاً بفتحها، وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال، وبرد وأبراد، وظاهر الآية مشكل لأن الإنفاق يكون للظلمة لا للصبح. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والأصل فالق ظلمة الإصباح بمعنى الصبح، أو يراد فالق الإصباح بمعنى عمود الصبح، وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل، ثم يعقبه الفجر الصادق، فهو فالق الإصباح الأول عن ظلمة آخر الليل، وعن بياض النهار أيضاً، ويفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق، وسماه فلقاً مشاكلة لما قبله، وكل صحيح. قوله: [وهو أول ما يبدو من النهار] أي وهو الفجر الكاذب. قوله: [عن ظلمة الليل] متعلق بشاق.

قوله: ﴿سكنا﴾ أي محل سكون واستراحة. قوله: [يسكن فيه الخلق] أي جميعها حتى الهوام والمياه. قوله: [عطفا على محل الليل] أي وهو النصب حسباناً معطوف على سكناً ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جاعل، والتقدير: وجاعل الشمس والقمر حسباناً وذلك جائز باتفاق. قوله: ﴿حسبانا﴾ مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فهذه ثلاثة مصادر. قوله: [حسابا للأوقات] أي ضبطاً لها، أي علامة ضبط، لكن الشمس يتم دورانها في سنة

الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ ٩٦: بخلقه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بينا ﴿الْآيَاتِ﴾: الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٧: يتدبرون ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم﴾: خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هي آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾: منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: منكم في الصلب وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٩٨: ما يقال لهم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: أي النبات شيئاً ﴿خَضِرًا﴾: بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾: خبر ويبدل منه ﴿مِن طَلْعِهَا﴾: أو ما يخرج منها والمبتدأ ﴿قِنْوَانٌ﴾: عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبٌ

والقمر في شهر، وذلك لنفع العباد دنيا وديناً، قال تعالى ﴿وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾. قوله: [أو الباء محذوفة] أي فهو منصوب بنزع الخافض. قوله: [وهو حال من مقدر] لو قال متعلق بمقدر لكان أحسن؛ لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال، على أن جاعل بمعنى خالق، وأما إن جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان، وهو إشارة لتقدير ثان في الآية. قوله: ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره. قوله: ﴿العليم﴾ أي ذو العلم التام.

قوله: ﴿وهو الذي جعل﴾ أي خلق، و﴿لكم﴾ متعلق بجعل، و﴿لتهتدوا﴾ بدل من لكم بدل اشتمال، فلم يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، ونظيره قوله تعالى ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ فلبيوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل. قوله: ﴿أنشأكم﴾ إنما عبر به لموافقة ما يأتي في قوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم﴾، وقوله: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾. قوله: [هي آدم] أي فكل أفراد النوع الإنساني منه.

قوله: ﴿فمستقر﴾ بالكسر اسم فاعل وصف، والمعنى منكم من استقر في الرحم، وعبر في جانبه بالاستقرار، لأن زمن بقاء النطفة في الرحم أكثر من زمن بقائها في الصلب. قوله: [وفي قراءة بفتح القاف] أي وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال، لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شيء مودوع وهو النطفة، وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب. قوله: ﴿يفقهون﴾ أي يفهمون الأسرار والدقائق، وعبر هنا بيفقهون إشارة إلى أن أطوار الإنسان وما احتوى عليه الإنسان أمر خفي تتحير فيه الألباب، بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد، فعبر فيها بيعلمون.

قوله: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولاً بالإيجاد حيث قال ﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ امتن ثانياً بإنزال الماء الذي به حياة كل شيء ونفعه، وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم﴾. قوله: [فيه التفات] أي ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج، إشارة إلى أن نعمة عظيمة. قوله: ﴿به﴾ الباء للسببية. قوله: ﴿فأخرجنا﴾ بيان لما أجمل أولاً. قوله: ﴿خضراً﴾ يقال خضر الشيء فهو خضر وأخضر، كعور فهو عور وأعور، وقدر المفسر [شيئاً] إشارة إلى أن خضراً صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿ومن النخل﴾ شروع في تفصيل حال الشجر، بعد ذكر عموم النبات، لمزيد الرغبة فيه. قوله: [ويبدل منه] أي بدل بعض من كل. قوله: [أول ما يخرج منها] أي قبل انفلاق الكيزان عنه، فإذا انفلقت عنه سمي عذقاً. قوله: ﴿قنوان﴾ جمع قنو كصنو وصنوان، وهذا الجمع يلتبس بالمثنى حالة الوقف، ويتميز المثنى بكسر نونه، والجمع بتوارد حركات الإعراب عليه وبالإضافة، فتحذف نون المثنى دون الجمع، فنقول هذان قنواك، وفي الجمع هذه

بعضها من بعض ﴿وَ﴾: أخرجنا به ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً﴾: ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: ثمرهما ﴿انْظُرُوا﴾: يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾: بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾: أول ما يبدو كيف هو ﴿وَ﴾: إلى ﴿يَنْعِهِ﴾: نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٩٩: خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعول أول ويبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾: حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾: قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾: فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُوا﴾: بالتخفيف والتشديد أي اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله

قنوانك، وبالنسب فإذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوي، وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنواني. قوله: [عراجين] جمع عرجون قيل هي الشماريخ، وقيل هي السبائط، ولا شك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض، والسبائط كذلك، واعلم أن أطوار النخل سبع كالإنسان، يجمعها قولك طاب زبرت، فأولها الطلع، ثم الإغريض، ثم البلح، ثم الزهو، ثم البسر، ثم الرطب، ثم التمر، وفي الحديث «أكرموا عمتكم النخلة» ولهذه الأمور قدم على ما بعده.

قوله: ﴿وجنات﴾ معطوف على نبات، من عطف الخاص على العام، والنكتة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم، وكذا قوله: ﴿الزيتون والرمان﴾ معطوفان على النبات. ويكون قوله: ﴿ومن النخل﴾ الخ معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل لعظم منته، ويصح عطف جنات على خضر، أو هذا على قراءة الجمهور، وقرىء شذوذاً برفع جنات والزيتون والرمان، وخرج على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات. قوله: ﴿مشتبهاً﴾ يقال مشتبه ومتشابه بمعنى. قوله: [نظر اعتبار] أي تفكروا في مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد لما يشاء، فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً. قوله: [وهو جمع ثمرة] أي المفتوح والمضموم، وقوله: [كشجرة وشجر] راجع للمفتوح، وقوله: [وخشبة وخشب] راجع للمضموم، فهو لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وينعه﴾ مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس، وقرىء بضم الياء، والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر، حيث يكون بعضه مراً وبعضه ملحاً لا ينتفع بشيء منه، وانتهاؤه إذا نضج فإنه يعود حلواً تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل.

قوله: ﴿إن في ذلكم﴾ الإشارة إلى جميع ما تقدم من قوله ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ إلى هنا. قوله: [لأنهم المنتفعون بها] أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لا تفيد ولا تنفع، إلا إذا كان العبد مؤمناً، وأما من سبق له الكفر، فلا تنفعه الآيات ولا يهتدي بها. قوله: ﴿وجعلوا﴾ الضمير لعبدة الأصنام، وهذا إشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالإشراك. قوله: [مفعول ثان] هذه طريقة في الإعراب، وهناك طريقة أخرى وهي أن ﴿لله﴾ متعلق بمحذوف حال، والجن مفعول أول مؤخر، و[شركاء] مفعول ثان مقدم. قوله: ﴿الجن﴾ قيل المراد بهم الشياطين، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: [حيث أطاعوهم الخ]. وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم لاعتقادهم أنهن بنات الله.

قوله: ﴿وخلقهم﴾ الضمير يصح أن يكون عائداً على الجن، وعليها المفسر، ويصح أن يعود على الجميع، والجملة حال من الجن، ولذا قدر المفسر [قد]. قوله: ﴿وخرقوا﴾ الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب، فاليهود والنصارى نسبوا له البنين، ومشركو العرب نسبوا له البنات، فالكلام على التوزيع. قوله: [اختلقوا]

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٠٠: بأن له ولداً هو ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾: زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٠١ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾: وحّدوه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٠٢: حفيظ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾: أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وحديث الشيخين: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل: المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾: أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط

يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب، وقرىء شذوذاً بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرّف مزوّر مغير للحق بالباطل. قوله: [حيث قالوا عزير ابن الله] كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة، فاليهود قالوا عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله. قوله: ﴿بديع السموات﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو.

قوله: ﴿أنى يكون له ولد﴾ أنى منصوب على التشبيه بالحال، وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر، ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها، والمعنى: كيف يوجد له ولد، والحال أنه لم تكن له صاحبة، مع كونه الخالق لكل شيء. قوله: [من شأنه أن يخلق] دفع بذلك ما يقال إن من جملة الشيء ذاته وصفاته، فيقتضي أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. فأجاب المفسر: بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق، وهو ما عدا ذاته وصفاته. قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ، و﴿الله﴾ خبر أول، و﴿ربكم﴾ خبر ثان، و﴿لا إله إلا هو﴾ خبر ثالث، و﴿خالق كل شيء﴾ خبر رابع، وقوله: ﴿فاعبدوه﴾ مفرع على ما ذكر من هذه الأوصاف، فالمعنى أن المتصف بالألوهية الخالق لكل شيء هو أحق بالعبادة وحده. قوله: ﴿خالق كل شيء﴾ توطئة لقوله: ﴿فاعبدوه﴾. وأما قوله: ﴿وخلق كل شيء﴾ فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي متصرف في خلقه ومتولي أمورهم، فالواجب قصر العبادة عليه، وتفويض الأمور إليه.

قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ جمع بصر وهو حاسة النظر، أي القوة الباصرة، ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل. قوله: [وهذا مخصوص] أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة لأن الفعل إذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام. قوله: [لرؤية المؤمنين] علة لقوله مخصوص، وقوله: [لقوله تعالى] علة للعلة. قوله: [ناضرة] أي قامت بها النضارة، وهي البهجة والحسن، وقوله: [ناظرة] أي باصرة للذات المقدس. قوله: [ليلة البدر] أي ليلة أربعة عشر. قوله: [وقيل المراد الخ] أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة، لكن بلا كيف ولا انحصار. والوجود أدلة عقلية ونقلية، أما النقلية فالكتاب والسنة والإجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز، والمعلق على الجائز جائز، ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى ﷺ إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل، ويستحيل على النبي الجهل، ومنها أن يقال الله موجود، وكل موجود يصح أن يرى، فالله يصح أن يرى، خلافاً للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية، مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي، فيلزم أن يكون المرئي جسماً، وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت، وبأن هذا التلازم عادي لا عقلي، ويجوز تخلف العادة. قوله: [لا تحيط به] أي لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر.

به علماً ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾: بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ١٠٣: بهم قل يا محمد ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾: حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾: عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾: وبال إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ١٠٤: رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾: نبين ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾: أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَارَسْتَ﴾: ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة: درست أي كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٥ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: أي القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ

قوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ فيه تفسيران أيضاً، الأول يراها، والثاني يحيط بها على أسلوب ما تقدم. قوله: [ولا يجوز في غيره الخ] أي لأن رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة، وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر. قوله: [أو يحيط بها علماً] هذا هو التفسير الثاني. قوله: ﴿وهو اللطيف﴾ من لطف بمعنى احتجب، فلا يحيط به بصر ولا بصيرة، فهو راجع لقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾، وقوله: ﴿الخبير﴾ راجع لقوله: ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ فهو لف ونشر مرتب، وهذا هو المناسب هنا، فقول المفسر [بأوليائه] يقتضي أن معنى ﴿اللطيف﴾ الرؤوف المحسن، وهو وإن كان مناسباً في نفسه، إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين، وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة، وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة، وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز، بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم قال العارف:

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي   إليها قلوب الأولياء تسارع

وكذا رؤياه في المنام. قوله: ﴿بصائر﴾ جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف. قوله: [حجج] جمع حجة وهي الأدلة، وسميت الحجج بصائر لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب. قوله: ﴿فمن أبصرها﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف. قوله: ﴿فلنفسه﴾ [أبصر] قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلاً ماضياً مؤخراً، وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء، بل المناسب تقديره اسماً مبتدأ، والجار والمجرور خبره، والتقدير فإبصاره لنفسه، وكذا يقال في قوله: ﴿ومن عمي فعليها﴾. قوله: [لأن ثواب إبصاره] أي نفعه فلا يعود على الله من الطاعة نفع، ولا يصل له من المعصية ضر. قوله: ﴿ومن عمي﴾ [عنها] أي عن البصائر بمعنى الحجج.

قوله: ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفاً، مثل التصريف في هذه السورة. قوله: [كما بينا ما ذكر] أي الأحكام المذكورة. قوله: [نبين] ﴿الآيات﴾ هذا وعد من الله بإكمال الدين وإظهاره، فلذا كان نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ من مبشرات الوفاء لرسول الله. قوله: [ليعتبروا] أي لتقوم بهم العبرة أي الاتعاظ، فيميزوا الحق من الباطل، وقدره المفسر ليعطف قوله: ﴿وليقولوا﴾ عليه. قوله: [في عاقبة الأمر] أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿وليقولوا﴾ لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، وقيل إن اللام للعلة حقيقة، والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها إيماناً، وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفراً، ونظيره قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾. قوله: ﴿دارست﴾ كقاتلت، من المدارسة، والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص. قوله: [وفي قراءة درست] أي قرأت الكتب، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً: وهي درست بفتح الدال والراء والسين، أي عفت وبليت وتكررت على الأسماع. قوله: [وجئت بهذا منها] راجع لكل من القراءتين.

﴿إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٦ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾: رقيباً فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧﴾: فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ـهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْواً﴾: اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي جهلاً منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما

قوله: ﴿ولنبينه﴾ أي الآيات، وذكّر باعتبار معناها وهو القرآن. قوله: ﴿اتبع ما أوحي إليك﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله أخذ يسلي رسوله بقوله: اتبع، أي دم على ذلك، ولا تبال بكفرهم، ولا تلتفت لقولهم، وما اسم موصول، والعائد محذوف، ونائب فاعل أوحي ضمير مستتر عائد على ما، وإليك متعلق بأوحي، ومن ربك متعلق بمحذوف حال، ومن لابتداء الغاية، والتقدير اتبع الذي أوحي إليك هو أي القرآن، حال كونه ناشئاً وصادراً من ربك، ويصح أن تكون مصدرية، ونائب الفاعل هو الجار والمجرور، والتقدير اتبع الإيحاء الجائي إليك من ربك.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد. قوله: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم، وهذا على أنها منسوخة كما يأتي للمفسر، وقيل إن الآية محكمة، والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم، ولا تغتظ من أقوالهم وإشراكهم لأن ذلك بمشيئة الله، ومثل ذلك يقال: «إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها، ففي الحديث «إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون رده فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره». قوله ﴿ولو شاء الله﴾ مفعول ثان محذوف تقديره عدم إشراكهم. قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تأكيد لما قبله، أي لست حفيظاً مراقباً لهم فتجبرهم على الإيمان. قوله: [وهذا قبل الأمر القتال] أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ الخ.

قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ كثر سب المسلمين للأصنام، فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم، فنزلت الآية، وقيل: إن أبا طالب حضرته الوفاة، فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحرث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن أبي البحتري، إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ونَدَعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب: إن هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ: وما يريدون؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي: أرأيتم إن أعطيتكم هذا، فهل أنتم معطي كلمة، إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم العجم، وأدت لكم الخراج؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فأبوا ونفروا، فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي. فقال: يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها، فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو نسبن من يأمرك فنزلت. قوله: ﴿الذين يدعون﴾ أي يعبدون، وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف. قوله: ﴿فيسبوا الله﴾ أي فيترتب على ذلك سب الله وسب الأصنام وإن كان جائزاً، إلا أنه عرض له النهي بسبب ما يترتب عليه من سب الله، ففي الحقيقة النهي عن سب الله.

---

* أسباب نزول الآية ١٠٨ قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله، فأنزل الله ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ الآية.

زيّنّا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾: من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٠٨: فيجازيهم به ﴿وَأَقْسَمُوا﴾: أي كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾: مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾: ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: يدريكم بإيمانهم إذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٩: لما سبق في علمي وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها

قوله: [اعتداء] أشار بذلك إلى أن ﴿عدواً﴾ مصدر، ويصح أن يكون حالاً مؤكدة، لأن السب لا يكون إلا عدواناً.

قوله: [أي جهلاً منهم بالله] أي بما يجب في حقه.

قوله: ﴿كذلك زينا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي زينا لهؤلاء أعمالهم تزييناً مثل تزييننا لكل أمة عملهم. قوله: [من الخير والشر] أشار بذلك إلى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح. قوله: ﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [فأتوه].

قوله: ﴿وأقسموا﴾ أي حلفوا. قوله: [غاية اجتهادهم] أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا أرادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله. قوله: ﴿لئن جاءتهم آية﴾ حكاية عنهم، وإلا فلفظهم لئن جاءتنا آية. قوله: [مما اقترحوا] أي طلبوا، وذلك أن قريشاً قالوا: يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر، فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك، فقال رسول الله: أي شيء تحبون: قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً، وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك، أحق ما تقول أم باطل؟ وأرنا الملائكة يشهدون لك، فقال رسول الله: إن فعلت ما تقولون تصدقونني؟ قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا، فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فقال جبريل: لك ما شئت إن شئت يصبح ذهباً، ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم، فنزلت الآية.

قوله: ﴿ليؤمننّ بها﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ أي لا عندي، فالقادر على إنزالها هو الله، وينزلها على حسب ما يريد. قوله: ﴿وما يشعركم﴾ ما اسم استفهام مبتدأ، وجملة يشعر خبرها، والكاف مفعول أول، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: [بإيمانهم] والخطاب للمؤمنين، أي وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم. قوله: ﴿إنها إذا جاءت﴾ بكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين، وتكذيب للمشركين في حلفهم. قوله: [أي أنتم لا تدرون] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [وفي قراءة بالتاء] ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هي مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله: [وفي أخرى بفتح أن]، فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير، والفتح إما مع الياء أو التاء. قوله: [بمعنى لعل] أي ومجيء أن بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب، والترجي في كلام الله مثل

---

* أسباب نزول الآية ١٠٩: قوله تعالى: ﴿وأقسموا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشاً، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب به الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم الناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاء جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم. وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ إلى قوله ﴿يجهلون﴾.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾: نحوّل قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾: عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾: نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ١١٠:
يترددون متحيرين ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾: كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ
شَيْءٍ قُبُلًا﴾: بضمتين جمع قبيل أي فوجاً فوجاً وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا﴾: لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ١١١:
ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَاطِينَ﴾: مردة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

التحقيق، فهي مساوية لقراءة الكسر. قوله: [أو معمولة لما قبلها] أي على أنها المفعول الثاني، ولا إما صلة أو داخلة على محذوف، والتقدير إذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف، والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، وهو إخبار عن الكفار على قراءة الياء، وخطاب لهم على قراءة التاء.

قوله: ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره، فمن أراد له الهدى حول قلبه له، ومن أراد الله شقاوته حول قلبه لها. قوله: ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون، والمعنى نحول قلوبهم عن الإيمان ثانياً، كما حولناها أولاً عند نزول الآيات لو نزلت، أي فهم لا يؤمنون على كل حال. قوله: ﴿ونذرهم﴾ عطف على لا يؤمنون. قوله: ﴿يعمهون﴾ إما حال أو مفعول ثان، لأن الترك بمعنى التصيير، وعمه من باب تعب إذا تردد متحيراً، مأخوذ من قولهم أرض عمهاء، إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة.

قوله: ﴿لو أننا نزلنا﴾ هذه زيادة في الرد عليهم، وتفصيل ما أجمل في قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. قوله: [كما اقترحوا] أي طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فائتوا بآبائنا. قوله: ﴿كل شيء﴾ أي من أصناف المخلوقات، كالوحوش والطيور. قوله: [بضمتين جمع قبيل] أي كقضيب ونصب، وقضيب وقضب. قوله: [أي فوجاً فوجاً] تفسير لقبيل، وأما قبلاً فمعناه أفواجاً أفواجاً، وعلى هذه القراءة فنصب قبلاً على الحال. قوله: [وبكسر القاف وفتح الباء] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي معاينة] أي فيقال لان قبل فلان، أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال، أي معاينين ومشافهين لكل شيء، وصاحب الحال الهاء في عليهم.

قوله: ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ جواب لو، واللام في ليؤمنوا لام الجحود، ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلاً للإيمان. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ قدر المفسر [لكن] إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته، وذلك لأن المشيئة ليست من جنس إرادتهم، وقال بعضهم: إن الاستثناء متصل، والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لهم بالإيمان. قوله: ﴿يجهلون﴾ [ذلك] أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الإيمان، لو لم تصحبه مشيئة الله، وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم، أنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون، مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم، ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب.

قوله: ﴿وكذلك جعلنا﴾ هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة، والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل. والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك، جعلنا لكل نبي عدواً إلخ، فتسل ولا تحزن، وجعل بمعنى صيّر، فتنصب مفعولين: الأول ﴿عدواً﴾ مؤخراً، والثاني ﴿لكل نبي﴾ مقدم، و﴿شياطين الإنس والجن﴾ بدل، وهذا

﴿يُوحِي﴾: يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: مموّهة من الباطل ﴿غُرُوراً﴾: أي ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: أي الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾: دعْ الكفار ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ١١٢: من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾: عُطف على غروراً أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾: أي الزخرف ﴿أَفْئِدَةُ﴾: قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ ١١٣: من الذنوب فيعاقبوا عليه. ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حَكَماً قل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلبُ ﴿حَكَماً﴾: قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مُفَصَّلاً﴾: مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾: التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿مِنْ رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

ما درج عليه المفسر، وقيل إنّ عدواً مفعول ثان، وشياطين مفعول أول، ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدواً.

قوله: ﴿لكل نبي﴾ أي وإن لم يكن رسولاً، ولذا ورد أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً. قوله: [مردة] جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر، وقدم شياطين الإنس لأنها أقوى في الإيذاء، قال ابن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي. وقال الغزالي: كن من شياطين الجن في أمان، واحذر من شياطين الإنس، فإن شياطين الإنس أراحوا شياطين الجن من التعب. وهذا على أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس، وذلك أنه فرق أولاده فرقتين: ففرقة توسوس للإنس، وتسمى شياطين الإنس، وفرقة توسوس لصلحاء الجن، وتسمى شياطين الجن، وكل صحيح.

قوله: ﴿يوحي بعضهم﴾ أي وهو شيطان الجن، وقوله: ﴿إلى بعض﴾ أي وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾. قوله: [من الباطل] بيان لزخرف القول، وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطل. قوله: [أي ليغروهم] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غروراً﴾ مفعول لأجله. قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم.

قوله: ﴿وما يفترون﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، وجملة يفترون صلة أو صفة، والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه، أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهي منسوخة. قوله: [عطف على غروراً] أي فاللام للتعليل، وما بين الجملتين اعتراض، والتقدير يوحي بعضهم إلى بعض للغرور. قوله: ﴿وليرضوه﴾ أي يحبوه لأنفسهم. قوله: [من الذنوب] بيان لما، وقوله: [فيعاقبوا] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وليقترفوا عقاب ما هم مقترفون. قوله: [لما طلبوا] أي قريش. قوله: [أن يجعل بينه وبينهم حكماً] أي من أحبار اليهود، أو من أساقفة النصارى، ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره.

قوله: ﴿أفغير الله﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أأميل لزخارفكم التي زينها الشيطان. فغير الله أبتغي حكماً. وغير مفعول لأبتغي، وحكماً حال أو تمييز، أو حكماً مفعول وغير حال، والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم، وأما الحاكم فيصدق ولو بمرة، أو لأن الحكم لا يجور أصلاً، والحاكم قد يجور. قوله: ﴿وهو الذي أنزل﴾ الجملة حالية كأنه قال: أفغير الله أطلب حكماً، والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً، فالذي يشهد لي هو القرآن، وأما الكتب القديمة فإنها وإن كانت تشهد له أيضاً، لكن لما غيروا وبدلوا، صارت غير معول عليها. قوله: [وأصحابه] أي ممن أسلم من علماء اليهود.

﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ١١٤ : الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ : بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ تمييز ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ : بنقص أو خلف ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ : لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ١١٥ : بما يفعل ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : دينه ﴿إِنْ﴾ : ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ : في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ : ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ : يكذبون في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ : أي عالم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١١٧ : فيجازي كلا منهم ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ : أي ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ

قوله: ﴿يعلمون أنه﴾ أي الكتاب. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف حال، والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه متلبساً بالحق. قوله: [والمراد بذلك التقرير الخ] دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي، فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به، فأجاب بما ذكر، وأجيب أيضاً بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون، فالخطاب له والمراد غيره.

قوله: ﴿وتمت كلمات ربك﴾ أي القرآن وفيها قراءتان: الجمع والإفراد، فالجمع ظاهر، والإفراد على إرادة الجنس والماهية، وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين، وهكذا كل ما قرىء بالجمع والإفراد إلا موضعين: أحدهما في يونس في قوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ وثانيهما في غافر في قوله تعالى ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ فاختلف فيها المصاحف، فبعضهم بالتاء المجرورة، وبعضهم بالتاء المربوطة. قوله: [بالأحكام والمواعيد] راجع لقوله: ﴿صدقا وعدلا﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، ولو أخره لكان أحسن، والمعنى: تمت كلمات ربك من جهة الصدق، كالأخبار والمواعيد، والعدل كالأحكام فلا جور فيها، وهذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل، كما وقع في الكتب المتقدمة، وذلك سر قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقوله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾. قوله: [تمييز] أي على التوزيع، أي صدقاً في مواعيده وعدلاً في أحكامه، ويصح أن يكون حالاً من ربك، ويؤول المصدر باسم الفاعل، أي حال كونه صادقاً وعادلاً.

قوله: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ هذا كالتوكيد لقوله: ﴿وتمت كلمات ربك﴾، وقوله: [بنقض أو خلف] راجع لقوله: ﴿صدقاً وعدلاً﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: [أي الكفار] تفسير للأكثر. قوله: ﴿إن يتبعون﴾ قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما. قوله: [إذ قالوا الخ] إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها، وذلك أن المشركين قالوا للنبي: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها. قالوا: أنت تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتلها الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما قتله ربكم؟ فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم. قوله: ﴿إلا يخرصون﴾ الخرص في الأصل الحزر والتخمين، ومنه خرص النخلة وقوله: [يكذبون] سمي الخرص كذباً لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة. قوله: [في ذلك] أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم. قوله: [أي عالم] دفع بذلك ما يقال إن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه، فأجاب: بأن اسم التفضيل مؤول باسم الفاعل. وأجيب أيضاً: بأن قوله: ﴿من يضل﴾ مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل، أو منصوب بنزع الخافض، والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾.

قوله: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ هذا رد لقولهم المتقدم، فإن الميتة لم يذكر عليها اسم الله، واختلف في طلب

---

* أسباب نزول الآية ١١٨: قوله تعالى: ﴿فكلوا﴾ الآية. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: =

مُؤْمِنِينَ ١١٨ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾: من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾: بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في آية حُرِّمَتْ عليكم الميتة ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: منه فهو أيضاً حلال لكم المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بيّن لكم المحرّم أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾: بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾: بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ١١٩: المتجاوزين الحلال إلى الحرام ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: علانيته وسِرّه

ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع الذكر، وعند الشافعي السنية، والمراد بذكر اسم الله هنا، عدم ذكر اسم غيره كالأصنام، ليدخل ما إذا نسي التسمية فإنها تؤكل، وسيأتي إيضاح ذلك. قوله: ﴿وما لكم ألا تأكلوا﴾ هذا تأكيد لإباحة ما ذبح على اسم الله، وما اسم استفهام مبتدأ، ولكم خبره، والتقدير أي شيء ثبت لكم في عدم أكلكم الخ.

قوله: ﴿وقد فصل﴾ أي بيّن وميّز، والواو للحال. قوله: [بالبناء للمفعول وللفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي ثالثة، وهي بناء الأول للفاعل، والثاني للمفعول. قوله: [في الفعلين] أي فصّل وحرّم. قوله: [في آية حرمت عليكم الميتة] أي التي ذكرت في المائدة، وفي المقام إشكال أورده فخر الدين الرازي، وهو أن سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة مدنية، من آخر القرآن نزولاً بالمدينة. وأجيب: بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزل، فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك، وقال بعضهم: الأولى أن يقال وقد فصّل لكم الخ أي في قوله: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً﴾ الآية، وهذه وإن كانت مذكورة بعد، إلا أنه لا يمنع الاستدلال بها للاتحاد في وقت النزول.

قوله: ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ استثناء منقطع، لأن ما اضطر إليه ليس داخلاً في المحرّم. قوله: [فهو أيضاً حلال لكم] أي وهل يشبع ويتزود منها، أو يقتصر على ما يسدّ الرمق، خلاف بين العلماء. قوله: [المعنى لا مانع الخ] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [وهذا ليس منه] أي من المحرّم، وأما ما لم ينص على حرمته ولا حله فهو من قبيل الحل، لأنه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها، فالحرام معدود معروف، فمثل القهوة والدخان غير محرّم، إلا أن يطرأ له ما يحرمه، كالإسراف وتنييب العقل. وحاصل ذلك أن يقال: إن اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز، لكن بقدر الضرورة، وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام، وإن اشتغل به عن عبادة مندوبة فهو مكروه، فكثرته إما حرام أو مكروه. قوله: [بفتح الياء] أي من ضلّ اللازم، بمعنى قام به الضلال في نفسه، وقوله: [وضمها] أي من أضلّ الرباعي، بمعنى أوقع غيره في الضلال. قوله: ﴿بأهوائهم﴾ الباء سببية، وفي قوله: ﴿بغير علم﴾ متعلق بمحذوف حال، والمعنى يضلون في أنفسهم، أو يوقعون غيرهم في الضلال، بسبب اتباعهم أهواءهم، ملتبسين بغير علم. قوله: [وغيرها] أي كالدم ولحم الخنزير، إلى آخر ما ذكر في آية المائدة. قوله: ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ أي فيجازيهم على اعتدائهم.

= يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾.

وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ قالوا ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون، فأنزل الله الآية. وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب، يعني الميتة، فهو حرام، فنزلت هذه الآية ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ قال: الشياطين من فارس وأولياؤهم قريش.

والإثم قيل الزنا وقيل كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾: في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ ١٢٠: يكتسبون ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُ﴾: أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾: خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾: الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾: في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ١٢١: ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا﴾: بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾:

قوله: ﴿وذروا﴾ الأمر للمكلفين من الإنس والجن وهو للوجوب. قوله: [علانيته وسره] لف ونشر مرتب. قوله: [قيل الزنا] أي وكان العرب يحبونه، وكان الشريف منهم يستحي من إظهاره فيفعله سراً، وغير الشريف لا يستحي من ذلك فيظهره، فأنزل الله تحريمه ظاهراً وباطناً. قوله: [وقيل كل معصية] أي فالظاهر منها: كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية، والباطن منها: كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية، وهذا التفسير هو الأقرب، وإن كان الأول موافقاً لسبب النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿سيجزون﴾ [في الآخرة] أي بالعذاب الدائم إن كان مستحلاً، أو بالعذاب مدة، ويخرج إن لم يكن مستحلاً، ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه، فإن تاب الكافر قبل قطعاً، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل تقبل ظناً. إن قلت: لأي شيء اختلف في توبة المسلم دون الكافر؟ وأجيب: بأن رحمة الله سبقت غضبه، فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر، لكان مخلداً في النار، مع أن رحمته غلبت غضبه. وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة، فلو لم يقبل توبته وعذبه، فلا بد له من الرحمة، فانتهاء غاية ما هنالك عذابه تطهير له.

قوله: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ اختلف في تفسير هذه الآية، فقال بعض المجتهدين غير الأربعة: الآية عامة في كل شيء، فأي شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله، وقال بعضهم: الآية مخصوصة بالذبيحة، فمن ترك التسمية عمداً أو نسياناً لا تؤكل ذبيحته، وقال بعضهم: إن تركها عمداً لا تؤكل، وإن تركها نسياناً أو عجزاً كخرس أكلت، وبه قال مالك وأبو حنيفة، وقال بعضهم: التسمية سنة، فإن تركها عمداً أو نسياناً أكلت، وبه قال الإمام الشافعي، وعن الإمام أحمد روايتان: الأولى يوافق فيها مالكاً، والثانية يوافق فيها الشافعي، إذا علمت ذلك فمحمل الآية ما أهل به لغير الله فقط لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى: ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾. وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع، وحملها المفسر عليهما معاً وهما طريقتان. قوله: [أو ذبح على اسم غيره] أي وإن لم يذكر اسم غير الله، وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره، فإنها تؤكل، فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك، لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه، وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية، فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته. قوله: [وعليه الشافعي] أي فالتسمية عنده سنة. قوله: [أي الأكل منه] أي المفهوم من لا تأكلوا على حد ﴿اعدلوا هو الأقرب للتقوى﴾ أي العدل المفهوم من اعدلوا.

قوله: ﴿وإن الشياطين﴾ أي إبليس وجنوده من الجن. قوله: [الكفار] أي وهم شياطين الإنس. قوله: ﴿ليجادلوكم﴾ تعليل ﴿ليوحون﴾ وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قال: أتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام فنزلت. قوله: ﴿إنكم لمشركون﴾ أي لأن من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك لأنه أثبت حاكماً غير الله، ولا شك أنه إشراك. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ١٢٢: قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتاً﴾ الآية، أخرج الشيخ عن ابن عباس في قوله ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه﴾ قال: نزلت في عمر وأبي جهل وأخرج ابن جرير عن الضحاك مثله.

بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ : يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ : مَثَل زائدة أي كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ : وهو الكافر لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ : كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾١٢٢ : من الكفر والمعاصي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ : كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ : بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾١٢٣ :

[وغيره] أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي ﷺ، ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم، وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة، أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث؛ فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس، وحمزة لم يكن مؤمناً إذ ذاك، فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس، وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم عقولاً تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية.

قوله: ﴿أو من كان ميتاً﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان، ومن كان ميتاً الخ، ومن اسم شرط مبتدأ، وكان فعل الشرط واسمها مستتر، وميتاً خبرها وقوله: ﴿فأحييناه﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿كمن مثله﴾ خبر المبتدأ. قوله: [بالهدى] أي الإيمان. قوله: [مثل زائدة] أي لأن المثل هو الصفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم. قوله: ﴿ليس بخارج منها﴾ هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأساً، ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ. قوله: [لا] أي لا يستويان، وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: [كما زين للمؤمنين الإيمان] أي لقوله تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾. قوله: ﴿زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ أي والمزين لهم حقيقة هو الله، ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الإغواء والوسوسة.

قوله: ﴿وكذلك﴾ الكاف اسم بمعنى مثل، والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين، جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدي بالرسل الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء، ليكون بين الرسل بربهم ظاهراً وباطناً، وكل آية وردت في ذم الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين، فإن المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد. قوله: [فساق مكة] هو معنى مجرميها، وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر، وأكابر مفعول ثان مقدم، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، وهو أحد أعاريب أربعة، الثاني أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقدم، وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها، وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميراً يعود على المفعول الثاني، فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله:

كذا إذا عاد عليه مضمر ... مما به عنه مبيناً يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين في كل قرية. الثالث: أن في كل مفعول ثان، وأكابر مفعول أول، ومجرميها بدل من أكابر، ولم يضف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين. الرابع: أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها، وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا، والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقاً، ورد بأن هذا التقدير لا فائدة فيه ولا محوج له، فالأحسن الثلاثة الأول. قوله: ﴿ليمكروا فيها﴾ اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، أو لام العلة بمعنى الحكمة، وأما قولهم تنزه الله عن العلة فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها، ﴿سبحانك ما خلقت هذا عبثاً﴾ والمكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل، وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء. قوله:

بذلك ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾: أي أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾: على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ﴾: به ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا
أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾: من الرسالة والوحي إلينا لأنا أكثر مالاً وأكبر سناً قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾:
بالجمع والإفراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا
أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾: ذل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا
يَمْكُرُونَ﴾ ١٢٤: أي بسبب مكرهم ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾: بأن يقذف في قلبه نوراً

[بالصد عن الإيمان] أي لما ورد أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة، يصرفون الناس عن الإيمان بالنبي ﷺ، ويقولون هو كذاب ساحر كاهن. قوله: [لأن وباله عليهم] أي وبال مكرهم لاحق بهم، قال تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وقال أيضاً: ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله﴾ الآية. قوله: ﴿وما يشعرون﴾ [بذلك] أي لم يعلموا بأن وباله عليهم.

قوله: ﴿إذا جاءتهم آية﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي: لو كانت النبوة حقاً لكنت أنا أولى بها منك، لأني أكبر سناً وأكثر منك مالاً، وقيل في أبي جهل حيث قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. قوله: ﴿آية﴾ أي معجزة، كانشقاق القمر، وحنين الجذع، ونبع الماء. قوله: ﴿لن نؤمن﴾ أي نصدق برسالته. قوله: ﴿مثل ما أوتي رسل الله﴾ قال بعضهم: يسن الوقف عليه هنا، ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصاً وهو: اللهم من الذي دعاك فلم تجبه، ومن الذي استجارك فلم تجره، ومن الذي سألك فلم تعطه، ومن الذي استعان بك فلم تعنه، ومن الذي توكل عليك فلم تكفه، ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه، بك أستغيث، أغثني يا مغيث، واهدني هداية من عندك، واقض حوائجنا، واشف مرضانا، واقض ديوننا، واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا، بحق القرآن العظيم، والرسول الكريم، برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم. قوله: [لفعل دل عليه أعلم] دفع بذلك ما يقال من أن حيث مفعول به وليست ظرفاً لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة، واسم التفضيل لا ينصب المفعول به، فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى لأن ما لا تقدير فيه خير مما فيه تقدير، وأيضاً يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث، والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته، كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه. قوله: [والموضع الصالح لوضعها فيه] أي الذات التي تستحق الرسالة وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿الذين أجرموا﴾ أي وماتوا على الكفر.

قوله: ﴿صغار﴾ كسحاب مصدر صغر كتعب، معناه الذل والهوان، وأما الصغر ضد الكبر، فيقال فيه صغر بالضم كعظم فهو صغير. قوله: ﴿عند الله﴾ إما ظرف ليصيب أو لصغار، والعندية مجازية كناية عن الحشر، والوقوف بين يديه، والحساب والجزاء. قوله: [أي بسبب مكرهم] أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية.

قوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره﴾ اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الأزل قسمين: شقي وسعيد، وجعل لكل أمة علامة تدل عليه، فعلامة السعادة شرح الصدر للإسلام، وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام، وعلامة الشقاوة ضيق الصدر، وعلامة قبوله لذلك، وجعل لكل قسم في الآخرة داراً يسكنونها، فلأهل السعادة الجنة ونعيمها، ولأهل الشقاوة النار وعذابها، لما في الحديث «إن الله خلق خلقاً وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي، وخلق خلقاً وقال هؤلاء للنار ولا أبالي» فذكر في هذه الآية علامة كل قسم، فإذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الإيمان،

فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾: الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾: شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾: وفي قراءة: يصاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: إذا كلف الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٢٥ ﴿وَهَٰذَا﴾: الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾: طريق ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة

فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة. وبضدها تتميز الأشياء. ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويشرح جوابه. قوله: ﴿يهديه﴾ أي يوصله للمقصود، وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر.

قوله: ﴿يشرح صدره﴾ الشرح في الأصل التوسيع، والمراد هنا لازمه، وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور، حتى تكون أحواله مرضية لله، لأنه يلزم من الوسع قبول ما يحل فيه. قوله: [كما ورد في حديث] أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية، سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر فقال: «هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح له وينفتح، قيل فهل لذلك أمارة؟ قال نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت، وفي رواية قبل لقي الموت.

قوله: ﴿ومن يرد أن يضله﴾ أي يمنعه عن الوصول، ويسكنه دار العقاب، ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط، ويرد فعل الشرط، ويجعل جوابه، وجعل بمعنى صير، فصدره مفعول أول، وضيقاً مفعول ثان، وحرجاً صفته والمعنى: أن من أراد الله شقاوته، وطرده عن رحمته، ضيق قلبه فلا يقبل شيئاً من أصول الإسلام ولا من فروعه، ولو قطع إرباً إرباً، وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز، وإن نطق بلسانه كأهل النفاق، قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ الآية. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي كميْت وميّت قراءتان سبعيتان. قوله: [شديد الضيق] أي زائدة، فلا يقبل شيئاً من الهدى أصلاً. قوله: [بكسر الراء صفة] أي اسم فاعل كفرح فهو فرح. قوله: [وصف به مبالغة] أي أو على حذف مضاف، أي ذا حرج على حد زيد عدل.

قوله: ﴿كأنما يصعد﴾ أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه. قوله: [وفيهما إدغام التاء في الأصل] أي بعد قلبها صاداً فأصل الأولى يتصعد، وأصل الثانية يتصاعد، وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقاً، وكسر راء حرجاً أو فتحها. وأما قوله: [وفي أخرى بسكونها] فهي قراءة من خفف ضيقاً ويفتح حرجاً فالمخفف للمخفف، والمشدد للمشدد. قوله: [لشدته عليه] أي لتعسر الإيمان عليه، فإن القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء، وليس مملوكاً لصاحبه، وحينئذ فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الإيمان ومحبة الله ورسوله، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وبقوله: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ الآية، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك». ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل، لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الإيمان، ولكن شأن الكريم أن من تمم له نعمة الإيمان لا يسلبها منه، لأنه وعد منه وهو لا يخلف. قوله: [أي يسلطه] أي الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثاني، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقي ويصيب. قوله: [الذي أنت عليه] أي وهو الإسلام. قوله: ﴿صراط ربك﴾ شبه دين الإسلام بالصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية. قوله: [ونصبه على الحال المؤكدة للجملة] المناسب أن يقول المؤكدة لصراط، لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر، قال ابن مالك:

والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيّنا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٢٦: فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾: أي السلامة وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٢٧ و﴿: اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾: بالنون والياء أي الله الخلق (جميعاً) ويقال لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾: بإغوائكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾: الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله: [والعامل فيها معنى الإشارة]. قوله: [معنى الإشارة] المناسب أن يقول: والعامل فيها اسم الإشارة، باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أشير. قوله: [فيه إدغام التاء في الأصل] أي بعد قلبها ذالاً. قوله: [وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون] أي المؤتمرون بأمره، المنتهون بنهيه، وهم الصالحون المتقون، فجاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية وآية ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون، وربما قال أنا لم أر أحداً منهم. فقد قال ابن عطاء الله: أولياء الله عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون.

قوله: ﴿لهم دار السلام﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، ودار السلام مبتدأ مؤخر، والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى، فأجاب بقوله لهم دار السلام، ويحتمل أن يكون حالاً من القوم أو صفة لهم، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون، حال كونهم لهم دار السلام، أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام. قوله: [أي السلامة] أي من جميع المخاوف والمكاره، لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة، قال تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ وقال: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ وقال: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾. قوله: [وهي الجنة] أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعم باقي الجنان، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام.

قوله: ﴿عند ربهم﴾ العندية عندية شرف، بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة، أو المعنى أن من دخلها كان في حضرة ربه، لا يشهد شيئاً سواه، ولا يحجب بنعيمها عن مولاه، بل كلما ازداد من الجنة نعيماً ازداد قرباً من الله، وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا إذا اشتغل بشيء من زينتها بعد عن الله، فكلما ازداد فيها شغلاً، ازداد بعداً عن الله، فلا يخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه. قوله: ﴿وهو وليهم﴾ الجملة حالية، والمعنى ناصرهم ومتولي أمورهم، وقوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ الباء سببية وما مصدرية، والتقدير بسبب عملهم السابق، تولاهم وأدخلهم حضرة قربه. قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أي الله] تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الأخرى. قوله: [الخلق] أي جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿جميعاً﴾ توكيد للضمير أو حال منه.

قوله: ﴿يا معشر الجن﴾ معمول للمحذوف قدره المفسر بقوله: [ويقال لهم] وليس معمولاً لنحشرهم بل هما جملتان، وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق في الموقف، وتصيير غير العاقل تراباً، وقوله: ﴿يا معشر الجن﴾ المعشر الجماعة والجمع معاشر، والمراد بالجن الشياطين. قوله: ﴿قد استكثرتم﴾ السين والتاء لتأكيد الكثرة. قوله: [بإغوائكم] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الإنس.

بِبَعْضٍ﴾: انتفع ٱلْإِنسُ بتزيين الجن لهم الشهوات والجنُّ بطاعة الإنس لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾: وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾: تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾: مأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: من ٱلأوقات التي يخرجون فيها لشرب ٱلحميم فإنه خارجها كما قال ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى مَنْ ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾: في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ [١٢٨]: بخلقه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾: من الولاية ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾: أي على بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من المعاصي ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن نذرهم الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ

قوله: ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ لعل وجه الاقتصار على كلام الإنس الإشارة إلى أن الجن بهتوا فلم يردوا جواباً، وقوله من الإنس في محل نصب على الحال. قوله: ﴿ربنا﴾ منادى حذف منه حرف النداء. قوله: [انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات] أي التي تنوعت فيها الإنس من سحر وكهانة، ودعوى ألوهية، ودعوى نبوة، وسائر الأديان والعقائد الباطلة، ومن ذلك كان الرجل في الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض قفراء، خاف على نفسه من الجن فقال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم. قوله: [بطاعة الإنس لهم] أي في هذه الأمور المزينة، فاستمتاع الجن بالإنس بالسلطنة التي تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم، وكانوا من حزبهم ودخلوا في جاههم. قوله: ﴿الذي أجلت لنا﴾ أي الذي قدرته لنا. قوله: [وهذا تحسر منهم] أي ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ما سلف منهم، من طاعة الشيطان وإتباع الهوى. قوله: [على لسان الملائكة] مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال من الكاف في مثواكم. قوله: [من الأوقات التي يخرجون فيها] تبع المفسر في ذلك شيخه الجلال المحلي في تفسير سورة الصافات، وهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير، فينقلون من عذاب النار، ويدخلون وادياً فيه من الزمهرير، وهو شدة البرد، ما يقطع بعضهم من بعض، فيطلبون الرد إلى الجحيم، كما ذكر في حواشي البيضاوي. قوله: [لشرب الحميم] أي وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء، وذلك حين يستغيثون من شر النار، يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة، قال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾. قوله: [وعن ابن عباس الخ] أي فيحمل على من مات مؤمناً وهو مصر على المعاصي، ونفذ فيه الوعيد، ويكون المراد من النار دار العذب، وإن لم تكن دار خلود كجنهم لعصاة المؤمنين. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿عليم﴾ [بخلقه] أي فيجازي كلاً على عمله.

قوله: ﴿نولي﴾ أي نسلط ونؤمر. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ الباء سببية، وما مصدرية، والمعنى كما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط بعض الظالمين على بعض، بسبب كسبهم من المعاصي، فيؤخذ الظالم بالظالم، لما في الحديث «ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما» ولما في الحديث أيضاً «كما تكونوا يولى عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... وما ظالم إلا سيبلى بظالم

قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ هذا زيادة في التوبيخ عليهم، لأن الله سبحانه وتعالى أولاً وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن، وثانياً خاطبهم جميعاً ووبخهم. قوله: [أي من مجموعكم] دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن

عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾: أن قد بلغنا قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾: فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ١٣٠ ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾: اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ ١٣١: لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم ﴿وَلِكُلٍّ﴾: من العاملين ﴿دَرَجَاتٌ﴾: جزاء ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾: من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣٢: بالياء والتاء ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾: عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يا أهل مكة

من الجن رسلاً، مع أن الرسالة مختصة بالإنس، فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل، فأجاب: بأن المراد من مجموعكم الصادق بالإنس، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أي من أحدهما وهو الملح، وقوله تعالى ﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ أي في إحداهن وهي سماء الدنيا. قوله: [أو رسل الجن نذرهم] أشار بذلك إلى جواب آخر، وهو تسليم أن هناك رسلاً من الجن، لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبي المواعظ والأحكام، ويبلغون قومهم ذلك، قال تعالى ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ الآية، وقال تعالى ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد﴾ الآيات، فيكون المعنى على ذلك: ألم يأتكم رسل منكم، أي من الإنس يبلغونكم عن الله، ومن الجن يبلغونكم عن الرسل؟ والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد، وهو سيدنا محمد ﷺ لأنه لم يرسل لهم غيره، وأما حكم سليمان فيهم، فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه، أن يكونوا مكلفين به.

قوله: ﴿يقصون عليكم آياتي﴾ القص معناه الحديث، أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان. قوله: ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أي يخوفونكم يوم القيامة، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التي توجب الخوف يوم القيامة. قوله: ﴿أن قد بلغنا﴾ يصح بناؤه للفاعل والمفعول. قوله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ عطف سبب على مسبب، أو علة على معلول.

قوله: ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولاً شهدوا بتبليغ الرسل لهم، وثانياً شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به، والتحذير من فعل مثل ذلك. إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به، وهو مناف لقوله تعالى ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ أجيب: بأن مواقف القيامة مختلفة فأولاً حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم، ويمشون على الصراط لدخول الجنة، ينكرون الإشراك، طمعاً في دخولهم في زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتنطق أعضاؤهم قهراً عليهم وتقر بالكفر. قوله: ﴿ذلك أن لم يكن﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وأن لم يكن خبره، واللام محذوفة، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر، والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ. قوله: ﴿لم يكن ربك مهلك القرى﴾ أي لغلبة رحمته، لا ينزل العذاب على من خالف وعصى، حتى يتكرر عليهم الإنذار والتخويف. قوله: ﴿بظلم﴾ [منها] الباء سببية، وقدر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى، والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها، والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول. قوله: [من العاملين] أي طائعين أو عاصين. قوله: [جزاء] دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينا في العموم المتقدم. فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء، وهو صادق بالدرجات والدركات. وأجيب أيضاً: بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾: مِنَ الخَلْقِ ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ١٣٣: أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾: لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ١٣٤: فائتين عذابنا ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾: موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾: يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ١٣٥: الكافرون ﴿وَجَعَلُوا﴾: أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾: الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾: يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾: بالفتح والضم ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾: فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في نصيبها

قوله: ﴿وربك الغني﴾ هذا مرتب على ما قبله، جواب عما يقال حيث كان لكلٍ من الطائعين والعاصين جزاء لا مفر لهم منه، فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟ فأجاب: بأنه الغني، فلا ينتفع بطاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي، وربك مبتدأ، والغني خبره، و﴿ذو الرحمة﴾ خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له، وجملة ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ خبره. قوله: ﴿ذو الرحمة﴾ أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم. قوله: [بالاهلاك] أي جملة واحدة، بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود.

قوله: ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ أي ينشيء ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء. قوله: ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم. قوله: [ولكنه أبقاكم رحمة لكم] أي لوجود نبيكم، لأنه بعث رحمة لا عذاباً. قوله: [من الساعة] بيان لما. قوله: ﴿لآت﴾ خبر إن مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض.

قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي فارين من عذابنا، بل هو مدرككم لا محالة. قوله: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ هذا أمر تهديد وزجر، نظير قوله تعالى ﴿اعملوا ما شئتم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصيلة، أو من الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة، والمفسر جعلها بمعنى الحالة. قوله: ﴿من﴾ [موصولة مفعول العلم] أي ﴿وتكون﴾ صلتها، و﴿عاقبة الدار﴾ اسمها، و﴿له﴾ خبرها، وعلم عرفانية متعدية لواحد، ويصح أن تكون من استفهامية مبتدأ، وجملة تكون مع اسمها وخبرها المبتدأ، والمبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعول ﴿تعلمون﴾. قوله: [أي العاقبة المحمودة في الدار] أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى في، والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل. قوله: [أنحن أم أنتم] هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة، وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار. قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ استئناف كأنه واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما عاقبتهم، فقال إنه لا يفلح الظالمون.

قوله: ﴿وجعلوا لله﴾ هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم، وجعل فعل ماض، والواو فاعل، و﴿لله﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، ﴿ونصيباً﴾ مفعول أول مؤخر، ﴿ومما ذرأ﴾ متعلق بجعلوا. قوله: ﴿من الحرث﴾ متعلق بمحذوف حال من ما ذرأ. قوله: [الزرع] أي ما يزرع كان حباً أو غيره. قوله: ﴿والأنعام﴾ أي الإبل والبقر والغنم. قوله: [ولشركائهم] متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم، وأشار المفسر بذلك إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا. قوله: [إلى سدنتها] أي خدمتها.

قوله: ﴿فقالوا﴾ هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوي. قوله: ﴿بزعمهم﴾ الزعم الكذب ومصبه قوله

شيء من نصيبه تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا كما قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ ١٣٦: حكمهم هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾: بالوأد ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾: من الجن بالرفع فاعل زين وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ١٣٧ ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ﴾: من خدمة

بعد ﴿وهذا لشركائنا﴾ فمحط الكذب التنصيف، حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له، ونصفه لشركائهم، وحق الجميع أن يكون لله، ويحتمل أن الزعم من حيث ادعائهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم، والملك في الحقيقة لله. قوله: [بالفتح والضم] أي فهما قراءتان سبعيتان: الأولى لغة أهل الحجاز، والثانية لغة بني أسد، وفي لغة بالكسر، لكن لم يقرأ بها، والكل بمعنى واحد. قوله: [فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه] أي وكانوا إذا رأوا ما عينوه لله أزكى، بدلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه حباً لها، وإذا هلك ما جعلوه لها، أخذوا بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله. قوله: [أي لجهته] أي لجهة مراضيه، وإلا فيستحيل على الله الوصول والجهة. قوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾ ساء فعل ماض، وما اسم موصول فاعل، ويحكمون صلته، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم، وقوله: [هذا] بدل من حكمهم لأن حكمهم مبتدأ، والجملة قبله خبره.

قوله: ﴿وكذلك﴾ الجملة معطوفة على الجملة قبلها، والكاف بمعنى مثل. قوله: ﴿زين لكثير من المشركين﴾ زين بالبناء للفاعل، ولكثير متعلق بزين، ومن المشركين صفة لكثير، و﴿قتل﴾ بالنصب مفعول لزين، وهو مضاف لأولادهم، وشركاؤهم بالرفع فاعل زين، وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول، وقتل بالرفع نائب فاعل زين، و﴿أولادهم﴾ بالنصب مفعول المصدر الذي هو قتل، وقتل مضاف، وشركائهم مضاف إليه، ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف لأنه ليس أجنبياً، والمضر الفصل بالأجنبي، وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو، خلافاً لمن شذ وعاب على من قرأ بها، كيف وهو أعلى القراءة سنداً، وأقدمهم هجرة، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي زين مبنياً للمفعول، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالجر مضاف لقتل، وشركاؤهم بالرفع فاعل، قال ابن مالك:

وعمد جره الذي أضيف له كمل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر، إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضاً، على أن شركاءهم صفة لهم، بمعنى أنهم يشركونهم في المال والنسب، وقرأ فرقة من أهل الشام، زين بكسر الزاي بعدها ياء ساكنة مبني للمفعول كقيل ربيع، وقتل نائب الفاعل، وأولادهم بالنصب، وشركائهم بالجر، وتوجيهها معلوم مما تقدم، فجملة القراءات خمس: اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر، وثلاثة شواذ. قوله: [بالوأد] هو دفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار، قال تعالى: ﴿وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت﴾. قوله: [من الجن] أي الملابسين للأصنام. قوله: [ولا يضر] رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر. قوله: [وإضافة القتل] مبتدأ، وقوله: [لأمرهم به] خبره، ومباشر القتل هو كثير من المشركين. قوله: ﴿ليردوهم﴾ علة للتزيين، وقوله: ﴿وليلبسوا﴾ معطوف على ليردوهم، وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبساً بمعنى خلط. قوله: ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ مفعول محذوف تقديره عدم فعلهم، والمعنى لو أراد الله عدم

الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: فلا تركب كالسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ ١٣٨: عليه ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾: حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾: أي النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾: بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾: الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾: ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾: في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ١٣٩: بخلقه ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾: بالوأد ﴿سَفَهًۢا﴾: جهلا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ ١٤٠ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ

التزيين والقتل ما فعلوه، لأن الله هو الموجد للخير والشر، وإنما الخلق أسباب ظاهرية في الخير والشر، وإلا فمرجع الكل إلى الله، ومن هنا قول سيدي إبراهيم الدسوقي: من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم، وقال بعض العارفين:

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك إذا زادت وساوسه ... إبليس لما طغى من كان إبليسه

قوله: ﴿فذرهم وما يفترون﴾ أي اتركهم وافتراءهم. قوله: ﴿وقالوا﴾ هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم، قوله: ﴿هذه انعام﴾ الخ الإشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم. قوله: ﴿حجر﴾ بمعنى محجور، كذبح بمعنى مذبوح أي ممنوعة. قوله: ﴿لا يطعمها﴾ أي لا يأكلها، والضمير عائد على الأنعام والحرث. قوله: [وغيرهم] أي من الرجال دون النساء. قوله: ﴿بزعمهم﴾ حال من فاعل قالوا. قوله: [كالسوائب والحوامي] أي والبحائر. قوله: [ونسبوا ذلك] أي التقسيم إلى الأقسام الثلاثة، بأن قالوا: قسم حجر أي ممنوع منه بالكلية، وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبنه وأولاده، وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح، وإنما يذكر اسم الصنم، وقوله: ﴿افتراء﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك. قوله: ﴿بما كانوا يفترون﴾ أي بسبب افترائهم.

قوله: ﴿وقالوا﴾ هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم. قوله: ﴿ما في بطون هذه الأنعام﴾ أي نتاج الأنعام والسوائب والبحائر، فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة، وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والإناث. قوله: ﴿خالصة﴾ خبر عن ما باعتبار معناها، وقوله: ﴿ومحرم﴾ خبر عنها باعتبار لفظها. قوله: [مع تأنيث الفعل] أي باعتبار معنى ما وهو الأجنة، وهذا على النصب، وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة، وقوله: [وتذكيره] أي باعتبار لفظ ما على قراءة النصب، وباعتبار أن تأنيث الميتة مجازي على قراءة الرفع، فالقراءات أربع وكلها سبعية، وكان ناقصة في النصب، واسمها ضمير يعود على ما، وتامة في الرفع فاعلها ميتة. قوله: ﴿فهم فيه﴾ أي ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا. قوله: ﴿وصفهم﴾ أي جزاء وصفهم، والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذي اخترعوه، فالباء في قوله: [بالتحليل والتحريم] لتصوير الوصف. قوله: ﴿إنه حكيم﴾ تعليل لمجازاته إياهم، أي فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك جزاءهم.

قوله: ﴿قد خسر الذين قتلوا﴾ أي في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم، وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [جهلا] روى البخاري عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الأنعام ﴿قد خسر الذين﴾ إلى

﴿أَنشَأَ﴾: خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿مَّعْرُوشَاتٍ﴾: مسبوطات على الأرض كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿وَ﴾: أنشأ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾: ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾: ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾: طعمهما ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: قبل النضج ﴿وَآتُوا حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

قوله ﴿وما كانوا مهتدين﴾. قوله: ﴿وحرموا﴾ معطوف على قتلوا، فهو صلة ثانية. قوله: ﴿افتراء﴾ معمول لحرموا.
قوله: ﴿قد ضلوا﴾ أي عن الطريق المستقيم، وقوله: ﴿ما كانوا مهتدين﴾ فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل، يموتون على الضلال، كأن الله يقول لنبيه: لا تعلق آمالك بهداهم.

قوله: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ هذا امتنان من الله على عباده وبيان أن كل نعمة منه. قوله: ﴿جنات﴾ المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين، أولا بدليل ما بعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف، أو أطلق الخاص وأراد العام، فلا مفهوم لقول المفسر [بساتين]. قوله: ﴿كالبطيخ﴾ أي والعنب إذا لم يوضع على عريش. قوله: [كالنخل] أي وغيره مما له ساق يرتفع به، كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب، وقيل المعروشات المرتفعات على ساق، وغير المعروشات ما لا ساق له، عكس ما ذكر المفسر.

قوله: ﴿والنخل والزرع﴾ قدر المفسر [أنشأ] إشارة إلى أنه معطوف على جنات، عطف خاص على عام، والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لإقامتهما بنية الآدمي، فهما يغنيان عن غيرهما، وغيرهما لا يغني عنهما، والمراد بالزرع جميع الحبوب التي يقتات بها. قوله: ﴿مختلفاً أكله﴾ فالمعنى أنشأه مقدراً في علمه سبحانه أن أكله مختلف، والأكل بالضم المأكول، أي مأكول كل منهما، مختلف في الصفة والطعم واللون والرائحة. قوله: [ثمره وحبه] لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿والزيتون والرمان﴾ معطوف أيضاً على جنات، وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل. قوله: ﴿متشابهاً﴾ هو بمعنى مشتبهاً المتقدم، إلا أن القراءة سنة متبعة. قوله: [طعمهما] أي ولونهما وريحهما وجرمهما.
قوله: ﴿كلوا من ثمره﴾ هذا أمر إباحة. قوله: [قبل النضج] أي استوائه ووجوب الزكاة فيه، فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه، وهو النضج أو التهيؤ له، ولا يحسب عليه شيء للفقراء، أما بعد النضج فكل ما أكله حسبت عليه زكاته. قوله: [زكاته] هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك، واستشكل بأن السورة مكية، وفرض الزكاة كان بالمدينة في السنة الثالثة من الهجرة. وأجيب بأن الآية مدنية، وقيل المراد بالحق إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء، وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد، وعلى هذا القول فقيل الأمر للوجوب، ويكون منسوخاً بآية الزكاة، وقيل للندب ويكون محكماً.

قوله: ﴿يوم حصاده﴾ أي زمن تيسر الإخراج منه، وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية، كالعنب والزيتون والنخل، وأما ما يحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع، فيشمل مدة الحصاد والدراس، أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده، وهو لا ينافي أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها. قوله: [بالفتح والكسر] أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد. قوله: [من العشر] أي فيما سقي بالسيح، أو نصفه أي فيما سقي بآلة.

---

* أسباب نزول الآية ١٤١: قوله تعالى: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ثم تسارفوا ونزلت هذه الآية.

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ١٤١: المتجاوزين ما حدّ لهم ﴿وَ﴾: أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَفَرْشاً﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت فرشاً لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾: طرائقه في التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ١٤٢: بيّن العداوة ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾: أصناف بدل من حمولة وفرشاً ﴿مِنَ ٱلضَّأْنِ﴾: زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾: بالفتح والسكون ﴿ٱثْنَيْنِ قُلْ﴾: يا محمد لمن حرّم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾: الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: ذكراً كان أو أنثى ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾: عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٤٣: المعنى من أين جاء التحريم فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الإناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام

قوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي تتجاوزوا الحد بإخراجه كله للفقراء أو بعد الإخراج من أصله، أو بإنفاقه في المعاصي، والأقرب الأول الذي اقتصر عليه المفسر، لأن سبب نزولها: أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئاً. قوله: ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ أي يعاقبهم. قوله: ﴿ومن الأنعام﴾ معطوف على ﴿جنات﴾، وإليه يشير المفسر حيث قدر [أنشأ]، وفي الحقيقة قوله: ﴿من الأنعام﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿حمولة﴾ لأنه نعت نكرة تقدم عليها، وحمولة هو المعطوف على جنات. قوله: [صالحة للحمل عليها] مشى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش وما عداه، والأحسن تفسير الحمولة بالكبار، أعم من أن تكون إبلاً أو بقراً أو غنماً، والفرش بالصغار منها، ويدل عليه قوله: ﴿ثمانية أزواج﴾، وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وغيرها، والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر. قوله: [سميت] أي الإبل الصغار والغنم.

قوله: ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ أي من جميع الثمار والأنعام والحرث. قوله: [في التحريم والتحليل] أي في الحرث والأنعام، بأن تحللوا شيئاً وتحرموا آخر، كما تقول المشركون. قوله: ﴿إنه لكم عدو﴾ تعليل لما قبله. قوله: [بين العداوة] أي ظاهرها لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل، واتصالها بأبنائه من بعده، ولذلك قيل: إن المولود في حال ولادته ينخسه الشيطان، فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته.

قوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل، وعلى أحدهما، وهو المراد هنا. قوله: [بدل من حمولة وفرشا] أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿من الضأن﴾ بدل من ثمانية أزواج على جواز الإبدال من البدل. قوله: ﴿اثنين﴾ أي وهما الكبش والنعجة. وقوله: ﴿من المعز اثنين﴾ أي التيس والمعز. قوله: [بالفتح والسكون] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [لمن حرم ذكور الأنعام] أي بعض ذكورها. وقوله: [وإناثها] أي بعض إناثها. قوله: ﴿آلذكرين﴾ بمد الهمزة الثانية مداً لازماً قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها، وهو منصوب بالعامل الذي بعده وهو ﴿حرم﴾ قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿أم الانثيين﴾ أم عاطفة على الذكرين، وكذلك أم الثانية عاطفة على الموصولة على ما قبلها، ومحلها نصب أيضاً تقديره أم الذي اشتملت عليه، وأم في كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام.

قوله: ﴿نبئوني بعلم﴾ أي أخبروني خبراً ملتبساً بعلم ناشىء عن إخبار من الله بأنه حرم ما ذكره وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، قصد بها إلزام الحجة لهم. قوله: [عن كيفية تحريم ذلك] أي جهته وسببه. قوله: [فإن كان من قبل الذكورة الخ] أي فإن كان سبب التحريم الذكورة، لزمكم تحريم جميع الذكور، وإن كانت

للإنكار ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾: بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حضوراً ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾: التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بذلك ﴿لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٤٤ ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾: شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾: بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾: بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سائلاً بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: حرام ﴿أَوْ﴾: إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى شيء مما ذكر فأكله

الأنوثة، لزمكم تحريم جميع الإناث، وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع، فلأي شيء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث، فمن أين التخصيص، أي تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالإبل، دون بقية النعم من البقر والغنم. قوله: [والاستفهام للإنكار] أي في المواضع الثلاثة. قوله: ﴿أم كنتم﴾ أم منقطعة، فلذا فسرها ببل والهمزة، فمدخولها جملة مستقلة، والمقصود بها التهكم بهم، حيث نسبهم إلى الحضور في وقت الإبصار. قوله: [حضوراً] أي حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: [لا] أي لم تكونوا حاضرين، ولم يدل كليل على تحريم البعض وتحليل البعض. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿ليضل الناس﴾ متعلق بافترى. وقوله: ﴿بغير علم﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى، أي افترى حال كونه ملتبساً بغير علم بل جاهلاً. قوله: ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا يرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم. قوله: ﴿قل لا أجد﴾ لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم عند أنفسهم لا من عند الله، أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله، فهو نتيجة ما قبله وثمرته، والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحي إلي الخ. قوله: ﴿فيما أوحي إلي﴾ ما اسم موصول، وأوحي صلته، والعائد محذوف، والتقدير في الذي أوحاه الله إلي وهو القرآن. قوله: [شيئاً] ﴿محرماً﴾ قدره المفسر إشارة إلى أن محرماً صفة لموصوف محذوف. قوله: ﴿على طاعم﴾ متعلق بمحرماً. وقوله: ﴿يطعمه﴾ من باب فهم، ومعنى طاعم آكل، ويطعمه يأكله. قوله: ﴿إلا أن يكون﴾ اسمها ضمير مستتر عائد على الشيء المحرم، و﴿ميتة﴾ بالنصب خبرها، فالتذكير باعتبار ما عاد عليه الضمير، وهذا على قراءة الياء، وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة، وهاتان قراءتان على نصب ميتة، وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل، إذا علمت ذلك فقول المفسر: [وفي قراءة بالرفع مع التحتانية] سبق قلم، والصواب الفوقانية، وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلاً باعتبار عموم الأحوال أو منقطعاً لأنه مستثنى من محرماً وهو ذات، والمستثنى كونه ميتة وهو معنى، فليس من جنس المستثنى منه، والأقرب كونه متصلاً.

قوله: ﴿أو دماً﴾ بالنصب عطف على ميتة في قراءة النصب، وعلى المستثنى في قراءة الرفع. قوله: ﴿مسفوحاً﴾ من السفح وهو السيلان أو الصب، والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات، ولو من سمك وذباب، وعند أبي حنيفة لا دم للسمك أصلاً، بدليل أنه إذا نشف صار أبيض. قوله: [كالكبد والطحال] أي فإنهما طاهران، لما في الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال». قوله: ﴿فإنه﴾ أي لحم الخنزير، وخص اللحم بالذكر وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه. قوله: [حرام] الأوضح أن يقول نجس، لأن التحريم علم من الاستثناء.

قوله: ﴿أو فسقاً﴾ عطف على ميتة، وهو على حذف مضاف، أي ذا فسق، أو جعل نفس الفسق مبالغة، على حد زيد عدل. وقوله: ﴿لغير الله به﴾ صفة لفسقاً. قوله: [أي ذبح على اسم غيره] أي قرباناً كما يتقرب إلى الله، كان كذلك

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾: له ما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٤٥: به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾: أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾: وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾: الثروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾: أي ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾: حملته ﴿الْحَوَايَا﴾: الأمعاء جمع حاوياء أو حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: منه وهو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَلِكَ﴾: التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾: به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ١٤٦: في أخبارنا ومواعيدنا ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾: فيما جئت به ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾:

الغير صنماً أو غيره. قوله: ﴿فمن اضطر﴾ أي أصابته الضرورة. قوله: [مما ذكر] أي من الميتة وما بعدها. قوله: ﴿غير باغ﴾ تقدم في سورة البقرة أنه فسر الباغي بالخارج على المسلمين، والعادي بقاطع الطريق، لأن مع كل مندوحة وهي التوبة، فإذا تاب كل جاز له الأكل، وتقدم الخلاف في المضطر، هل له أن يشبع ويتزود، وهو مشهور مذهب مالك، أو يقتصر على سد الرمق، وهو مشهور مذهب الشافعي.

قوله: ﴿فإن ربك غفور﴾ تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه. قوله: [ويلحق بما ذكر] كان المناسب تقديمه على قوله: فمن اضطر. قوله: [كل ذي ناب] أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب. وقوله: [ومخلب من الطير] كالصقر والنسر والوطواط، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وأما عند مالك فجميع الطيور يجوز أكلها ما عدا الوطواط فيكره أكله، وجميع السباع مكروهة ما عدا الكلب الأنسي والقرد، ففيهما قولان بالحرمة والكراهة، وأما الخيل والبغال والحمير الأنيسة، فمشهور مذهب مالك أنها محرمة، ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير.

قوله: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ الجار والمجرور متعلق بحرمنا، وهادوا صلة الذين سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل. قوله: ﴿كل ذي ظفر﴾ القراء السبعة على ضم الظاء والفاء، وقرئ شذوذاً بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء، وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها: أظفور وجمع الأولى أظفار، والأخيرة أظافير قياساً، وأظافر سماعاً. قوله: [كالإبل] أدخلت الكاف الأوز والبط. قوله: ﴿ومن البقر والغنم﴾ متعلق بحرمنا. قوله: [الثروب] جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط، وإلا ناقض ما بعده. قوله: [وشحم الكلى] جمع كلوة أو كلية. قوله: ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصوفة وجملة ظهورهما صلة أو صفة، والعائد محذوف.

قوله: ﴿أو الحوايا﴾ معطوف على ظهورهما، وسميت بذلك لأنها محتوية على الفضلات لأنها تنحل في الكرش، ثم إذا صفيت استقرت في الأمعاء، أو لأنها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة. قوله: [الأمعاء] أي المصارين، والمعنى أن الشحم الذي تعلق بالظهور، أو احتوت عليه المصارين، أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم. قوله: [جمع حاوياء] أي كقاصعاء وقواصع، وقوله: [أو حاوية] أي كزاوية وزوايا، وقيل جمع حوية كهدية. قوله: [وهو شحم الألية] بفتح الهمزة. قوله: [بما سبق في سورة النساء] أي في قوله ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾ إلى أن قال ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾. قوله: [في إخبارنا ومواعيدنا] أي بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم، لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به، فقد كذبوا في ذلك، بل لم يطرأ التحريم إلا بعد موسى، ولم يكن ذلك محرماً على أحد قبلهم، لا في شرع إبراهيم ولا غيره، وإنما حرم إسرائيل على نفسه

حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٤٧ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾: نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾: فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾: بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾: أي لا علم عندكم ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ١٤٨: تكذبون فيه ﴿قُلْ﴾: إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التامة ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾: هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٤٩ ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضروا

بالخصوص الإبل من أجل شفائه من عرق النساء الذي كان به، وقد تقدم الرد عليهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾. قوله: [حيث لم يعاجلكم بالعقوبة] أي فإمهاله للكافر من سعة رحمته، فإذا تاب خلده في الرحمة. قوله: [وفيه تلطف الخ] دفع بذلك ما يقال: إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد، فأجاب: بأنه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ليطمع التائب ولا ييأس.

قوله: ﴿ولا يرد بأسه﴾ هذا من جملة المقول أيضاً، والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر، فأطمعهم في الرحمة بالجملة الأولى، وبقي الاعتراض بالجملة الثانية. قوله: ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ هذا إخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل، وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى: ﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ الخ، وإنما قالوه إظهاراً لكونهم على الحق، لا اعتذاراً من ارتكاب هذه القبائح، مدعين أن المشيئة لازمة للرضا، فلا يشاء إلا ما يرضاه، وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به، فكيف تقول يا محمد إنا نعذب على شيء أراده الله منا ورضيه؟ وحاصل رد تلك الشبه أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا، بل يشاء القبيح ولا يرضاه، ويشاء الحسن ويرضاه، فكل شيء بمشيئته تعالى.

قوله: ﴿لو شاء الله﴾ أي عدم إشراكنا، فمفعول المشيئة محذوف، وهذه المقدمة صادقة، لكنهم توصلوا بها إلى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله: [فهو راض به] قوله: ﴿ولا آباؤنا﴾ معطوف على الضمير في أشركنا، والفاصل موجود وهو لا النافية، وتقدير المفسر نحن بيان للضمير في إشراكنا لا لصحة العطف، إذ يكفي أي فاصل، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما. قوله: [فهو راض به] هذا هو نتيجة قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾. قوله: [قال تعالى] أي تسلية له عليه الصلاة والسلام. قوله: [كما كذب هؤلاء] أي مثل ما كذبوك ولم يصدقوك بما جئت به، كذب الأمم السابقة أنبياءهم. قوله: ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ غاية للتكذيب أي استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ. قوله: ﴿من علم﴾ من زائدة، وعلم مبتدأ مؤخر، وعند ظرف خبر مقدم، والمعنى هل عندكم من شيء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا؟. قوله: [أي لا علم عندكم] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: [إن لم يكن لكم حجة]. قوله: [التامة] أي وهي إرسال الرسل وإنزال الكتب، ومعنى التامة الكاملة التي لا يعتريها نقص ولا خفاء. قوله: [هدايتكم] قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: ﴿لهداكم أجمعين﴾ أي ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل، ومحط التعليق على هداية الجميع، وأما هداية البعض فقد حصلت.

﴿شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾: الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ١٥٠: يشركون ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَن﴾: مفسرة ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾: أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾: بالوأد ﴿مِّنْ﴾: أجل

قوله: ﴿قل هلم﴾ فيها لغتان: لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئاً من العلامات، فهي بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها، وعلى ذلك فهي اسم فعل بمعنى احضروا، ولغة تميم وهي إلحاقها العلامات، فتقول هلموا وهلمي وهلما وهلممن، وعليها فهي فعل أمر، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم، وإقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿فإن شهدوا﴾ أي بعد مجيئهم وحضورهم. قوله: ﴿فلا تشهد معهم﴾ أي لا تصدقهم ولا تمل لقولهم، وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه. قوله: ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ معطوف على قوله: ﴿الذين كذبوا﴾. قوله: ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ الجملة حالية ومعنى يعدلونه يسوون به غيره، والمعنى لا تتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله، وبين الكفر بالآخرة، وبين الإشراك بالله في أهوائهم.

قوله: ﴿قل تعالوا﴾ لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار، بأنه لا تحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرمه كأن سائلاً قال: وما الذي حرمه وأحله؟ فقال سبحانه: ﴿قل تعالوا﴾ الخ، وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل، وهو في الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال، ثم استعمل في الإقبال والحضور مطلقاً، وآثرها إشارة إلى أنهم في أسفل الدركات، وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها، كأنه قال أقبلوا إلى المعالي، لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح، كان في أعلى المراتب. قوله: ﴿أتل﴾ جواب الأمر مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها، وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل، أي أقرأ ما حرم الله عليكم.

قوله: ﴿ما حرم ربكم﴾ ما اسم موصول، وحرم صلته، والعائد محذوف، وربكم فاعل حرم، وقوله: ﴿عليكم﴾ تنازعه كل من أتل وحرم، أعمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف لأنه فضلة. وحاصل ما ذكر في هاتين الآيتين عشرة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر، وقدم المنهي عنه لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ولأن المنهي عنه مأمور باجتنابه مطلقاً، والمأمور به على حسب الاستطاعة لما في الحديث «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم». ووسط بينهما الأمر ببر الوالدين اعتناء بشأنه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد، وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار، بل أجمع عليها جميع أهل الأديان، قال ابن عباس: هذه آيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. قوله: ﴿أن﴾ [مفسرة] أي وضابطها موجود، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، واستشكل بأن هذا يقتضي أن جميع ما يأتي محرم، مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها: أن التحريم في المنهي عنه ظاهر وفي المأمور به باعتبار أضدادها، فالمعنى حرم فعلاً وهي المنهيات، أو تركاً وهي المأمورات، ومنها أنه في الكلام حذف الواو مع ما عطفت، والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به، ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف، والأقرب الأول.

قوله: ﴿لا تشركوا به شيئاً﴾ أي لا في الأقوال، ولا في الأفعال، ولا في الاعتقادات. قوله: ﴿إحساناً﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله: [أحسنوا] والمراد بالوالدين الأب والأم وإن عليا. قوله: [بالوأد] تقدم أنه

﴿إِمْلَاقٍ﴾: فقر تخافونه ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي علانيتها وسرّها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: كالقود وحدّ الردة ورجم المحصن ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١): تتدبرون ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾: أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة

الدفن بالحياة. قوله: ﴿من إملاق﴾ يطلق بمعنى الفقر والإفلاس والإفساد، والمراد هنا الأول. قوله: نحن ﴿نرزقكم وإياهم﴾ هذا في معنى التعليل للنهي المتقدم، والمعنى لا تقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر لأن رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا، وقال هنا ﴿من إملاق﴾، وقال في الإسراء ﴿خشية إملاق﴾ لأن ما هنا في الفقر الحاصل بالفعل، وما في الإسراء في الفقر المتوقع، فهو خطاب للأغنياء، وقدم هنا خطاب الآباء، وهناك ضمير الأولاد قبل تفننا، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلاً لبشارة الآباء الفقراء بأنهم في ضمان الله، وقدم هناك ضمير الأولاد، لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد، وإن كانوا متلبسين بالفقر، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين، ولكن يخافون وقوع الفقر. قوله: ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾ هذه أعم مما قبله، لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد. قوله: [أي علانيتها] أي كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصي الظاهرية، وقوله: [وسرها] أي كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصي القلبية.

قوله: ﴿ولا تقتلوا النفس﴾ عطف خاص على عام، ونكتته الاستثناء بعده. قوله: ﴿التي حرم الله﴾ مفعول حرم محذوف أي قتلها. قوله: ﴿إلا بالحق﴾ في محل نصب على الحال، أو صفة لمصدر محذوف، والتقدير ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا متلبسين بالحق، أو قتلاً ملتبساً بالحق، وهو استثناء مفرغ، أي لا تقتلوها في حال من الأحوال، إلا في حال ملابستكم بالحق. قوله: [كالقود] أي القصاص، وقوله: [وحد الردة] أي لما في الحديث «من بدل دينه فاقتلوه» وقوله: [ورجم المحصن] أي بشروطه، وهو وما قبله المذكورة في الفروع.

قوله: ﴿ذلكم وصاكم به﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: [المذكور] إشارة إلى أن اسم الإشارة عائد على ما تقدم من الأمور. قوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ ختم هذه الآية بذلك لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام، والوصية فيها أبلغ منها في غيرها، لعموم نفعها في الدين والدنيا، فختمها بالعقل الذي هو مناط التكليف. قوله: [أي بالخصلة التي] ﴿هي أحسن﴾ أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى لا تقربوا مال اليتيم في حالة من الحالات، إلا في الحالة التي هي أحسن لليتيم.

قوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ غاية لما يفهم من النهي، كأنه قال: احفظوه إلى بلوغ أشده، فسلموه له حينئذ. قوله: [بأن يحتلم] هذا تفسير لبلوغ الأشد، باعتبار أول زمانه، وسيأتي في الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة، لأن الأشد هو قوة الإنسان وشدته ومبدؤه البلوغ، وينتهي لثلاث وثلاثين سنة. قوله: ﴿بالقسط﴾ متعلق بمحذوف إما حال من فاعل ﴿أوفوا﴾، أو من مفعوله أي أوفوهما حال كونكم مقسطين، أو حال كونهما تامين. قوله: [وترك البخس] أي النقص في الكيل أو الوزن. قوله: [فلا مؤاخذة عليه] أي لا إثم، ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

عليه كما ورد في حديث ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾: في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾: بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾: المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾: قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ١٥٢ بالتشديد تتعظون والسكون ﴿وَأَنَّ﴾: بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً ﴿هَٰذَا﴾: الذي وصيتكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾: حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾: فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٥٣ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة وثم لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾: للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾:

قوله: ﴿وإذا قلتم﴾ المراد بالقول ما يعم الفعل، وقوله: ﴿فاعدلوا﴾ [بالصدق] أي لا تتركوه في القول ولا في الفعل، وإنما خص القول تنبيهاً بالأدنى على الأعلى. قوله: ﴿وبعهد الله﴾ إما مضاف لفاعله أي ما عهده إليكم، أو لمفعوله أي ما عاهدتم الله عليه. قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة، لا بد فيها من الاجتهاد والتذكر. قوله: [والسكون] صوابه والتخفيف إذ لم يقرأ بسكون الذال، فمن شدد قلب التاء ذالاً وأدغمها في الأخرى، ومن خفف حذف إحدى التاءين. قوله: [بالفتح] أي مع التشديد أو التخفيف، وقوله: [والكسر] أي مع التشديد لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية. قوله: [على تقدير اللام] أي على كل من الوجهين، وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول، والتقدير كلفتم بهذا الذي وصاكم به من أول الربع إلى هنا، أو من أول السورة إلى هنا لأن هذا صراطي. قوله: [استئنافاً] أي واقعاً في جواب سؤال مقدر، ومع ذلك فيها معنى التعليل، كأن قائلاً قال: لأي شيء كلفنا بما تقدم؟ فقيل في الجواب: أن هذا صراطي مستقيماً، ثم اعلم أنه على قراءة التشديد فاسم الإشارة اسم أن وصراطي خبرها، وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن، واسم الإشارة مبتدأ، وصراطي خبره، والجملة خبر إن، ومستقيماً حال من صراطي على كل حال. قوله: ﴿وأن هذا﴾ يصح أن يرجع اسم الإشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة. قوله: ﴿صراطي مستقيماً﴾ أي ديني لا اعوجاج فيه، فشبه الدين القويم بالصراط، بمعنى الطريق بجامع أن كلاً يوصل للمقصود، واستعار، اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية.

قوله: ﴿فاتبعوه﴾ أي اسلكوه ولا تحودوا عنه فتقعوا في الهلاك، روى الدارقطني عن ابن مسعود: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية، وفي رواية أنه خط خطاً وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن شماله، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية. قوله: [الطرق المخالفة] أي الأديان المباينة له، فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلاً يوصل صاحبه إلى المهالك، واستعير اسم المشبه به للمشبه. قوله: ﴿فتفرق﴾ بالنصب بأن مضمرة في جواب النهي.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان. قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي تمتثلون المأمورات، وتجتنبون المنهيات، وأتى بالتقوى هنا، لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف، وقد أمر باتباعه، ونهى عن الطرق المعوجة، فناسب ذكر التقوى. قوله: [وثم لترتيب الأخبار] أي الترتيب في الذكر لا في الزمان، وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب، كان قبل نزول القرآن، فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخي؟ وأجيب أيضاً: بأن ثم لمجرد العطف كالواو، فلا ترتيب فيها ولا تراخي. قوله: ﴿تماماً﴾ مفعول لأجله، أي آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ.

قوله: [للنعمة] أي الدنيوية والأخروية.

بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلاً﴾: بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾: أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ١٥٤: ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾: يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾: الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ١٥٥: أنزلناه لـ﴿أَنْ﴾: لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾: مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ ١٥٦: لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾: لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾: أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ ١٥٧:

قوله: ﴿على الذي أحسن﴾ متعلق بتماماً، ومعنى أحسن قام به الحُسْن وهو الصفات الجميلة، وقوله: [بالقيام به] سبب لكونه قام به الحُسْن، والمعنى تمامٌ على المحسن منهم بسبب قيامه به، أي إتباعه له، وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته. قوله: ﴿وتفصيلاً﴾ عطف على ﴿تماماً﴾. قوله: [أي بني إسرائيل] أي المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب. قوله: ﴿بلقاء ربهم﴾ متعلق بيؤمنون، قدّم عليه للفاصلة.

قوله: ﴿وهذا كتاب﴾ مبتدأ وخبر، وجملة ﴿أنزلناه﴾ نعت أول لكتاب، و﴿مبارك﴾ نعت ثان له، أي كثير الخير والمنافع ديناً ودنياً، والمعنى: هذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم نزل مفرقاً على حسب الوقائع، مبارك كثير الخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به، والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة، بتلقي السؤال عن صاحبه وشهادته له، وكونه ظلة على رأسه في حر الموقف، والرقي به إلى الدرجات العلا. قوله: [يا أهل مكة] قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون في ذلك الوقت. قوله: [بالعمل بما فيه] بيان لاتباعه.

قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي تصيبكم الرحمة في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿أن تقولوا﴾ مفعول لأجله، والعامل محذوف قدره المفسر بقوله: [أنزلناه]، ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي، وهو لفظ مبارك، وقدّر المفسر لا لأن الإنزال علة لعدم القول لا للقول، وقال بعضهم: إن الكلام على حذف مضاف أي كراهة أن تقولوا وكلٌّ صحيح. قوله: ﴿إنما أنزل الكتاب﴾ أي جنسه الصادق بالتوراة والإنجيل. قوله: ﴿وإن﴾ [مخففة] أي من الثقيلة. قوله: [واسمها محذوف] الحق أنه شيء، وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت، فلا عمل لها، ووجب اقتران الخبر باللام، وذلك كما في هذه الآية. قوله: [قراءتهم] أي لكتبهم، والمعنى لا نفهم معانيها لأنها بالعبرانية أو السريانية، ونحن عرب لا نفهم إلا اللغة العربية. قوله: ﴿لغافلين﴾ أي لا نعلمها، والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بإنزال القرآن بلغتهم، والمعنى نزلنا القرآن بلغتهم، لئلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما.

قوله: ﴿أو تقولوا﴾ عطف على المنفي وهو قطع لعذرهم أيضاً. قوله: ﴿لكنا أهدى منهم﴾ أي إلى الحق والطريق المستقيم. قوله: ﴿فقد جاءكم بينة﴾ أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿سوء العذاب﴾ أي العذاب السيء بمعنى الشديد. قوله: ﴿بما كانوا يصدفون﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾: بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: أي أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: أي علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾: وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: الجملة صفة نفس ﴿أَوْ﴾: نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾: طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث

قوله: ﴿هل ينظرون﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر. إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها، أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة، عوملوا معاملة المنتظر، ولم يعول على اعتقادهم، فالمعنى لا مفر لهم من ذلك. قوله: [ما ينتظر المكذبون] أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره، تقول: قام الرجال، وقامت الرجال. قوله: ﴿الملائكة﴾ أي عزرائيل وأعوانه، أو ملائكة العذاب لما تقدم أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب. قوله: [أي أمره] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ودفع بذلك توهم حقيقة الإتيان، وهو الإنتقال من مكان إلى آخر، إذ هو مستحيل على الله تعالى. قوله: [بمعنى عذابه] أي المعجل لهم، إما بالسيف أو غيره. قوله: [الدالة على الساعة] أي على قربها، والعلامات الكبرى عشر وهي: الدجال، والدابة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر.

قوله: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها. قوله: [وهو طلوع الشمس من مغربها] ورد أن رسول الله ﷺ قال يوماً: أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، وهكذا كل يوم، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول يا رب إن مسيري بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فقال الناس: يا رسول الله، هل لذلك من آية؟ فقال: آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم، فيصلون ثم يقضون صلاتهم، والليل مكانه لم ينقض، ثم يأتون مضاجعهم فينامون، حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم، فإذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس، فبينما هم ينتظرونها، إذا طلعت عليهم من قبل المغرب. قوله: [كما في حديث الصحيحين] أي وهو كما في البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروي أن أول الآيات ظهور الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وذلك أن الكفار يسلمون في زمن عيسى، فإذا قبض ومن معه من المسلمين رجع أكثرهم إلى الكفر، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها.

قوله: ﴿لا ينفع نفساً﴾ أي كافرة أو مؤمنة عاصية، ويكون قوله: ﴿لم تكن آمنت﴾ راجعاً للأولى، وقوله: ﴿أو كسبت﴾ راجعاً للثانية، ويكون التقدير لا ينفع نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن، ولا ينفع نفساً مؤمنة توبتها من المعاصي، فقوله: ﴿أو كسبت﴾ معطوف على ﴿آمنت﴾، وحينئذ فيكون في الكلام حذف قد علمته. قوله: [الجملة صفة نفس] أي جملة لم تكن آمنت من قبل، وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبي. قوله: ﴿أو﴾ [نفساً لم تكن] ﴿كسبت﴾ أشار بذلك إلى أن المعطوف في الحقيقة محذوف هو معطوف على المنفي. قوله: [كما في الحديث] روي عن صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله ﷺ «باب من قبل المغرب،

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا﴾: أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ١٥٨: ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا شِيَعاً﴾: فرقاً في ذلك وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾: في الآخرة

مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة، خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه». وورد «أن من الاشتراط العظام، طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهذان أيهما سبق الآخر، فالآخر على أثره». وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها، يصير في هذه الأمة قردة وخنازير، وتطوى الدواوين، وتجف الأقلام، لا يزاد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً». وورد «لا تزال الشمس تجري من مطلعها إلى مغربها، حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده، فتستأذن الشمس من أين تطلع، ويستأذن القمر من أين يطلع، فلا يؤذن لهما، فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس، وهم أهل الأوراد وحملة القرآن، فينادي بعضهم بعضاً، فيجتمعون في مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة، ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر، فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور، فتبكي الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت، فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما، فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله، والغافلون في غفلاتهم، إذ نادى منادي: ألا إن باب التوبة قد أغلق، والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودان كالعكمين، أي الغرارتين العظميتين، لا ضوء لهما ولا نور، فذلك قوله: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين، ينازع كل منهما صاحبه استباقاً، ويتصايح أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، وتضع كل ذات حمل حملها، فأما الصالحون والأبرار، فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب لهم عبادة، وأما الفاسقون والفجار، فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ، ويكتب عليهم حسرة، فإذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء، جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب، فيغربهما في باب التوبة، ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما وتصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل، فإذا أغلق باب التوبة، لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة، ولا تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك، فإنه يجري لهم». وورد: «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة، لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه، ثم يعود فيهم الموت ويسرع، فلا يبقى مؤمن، ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم، حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق، يقوم واحد عنها وينزل واحد، وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن، فيكونون على مثل ذلك، حتى لا يولد لأحد من نكاح، ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة، ويكون كلهم أولاد زنا، شرار الناس عليهم تقوم الساعة». قوله: ﴿قل انتظروا﴾ أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ الأقرب كما قال المفسر، أنها نزلت في اليهود والنصارى لما ورد: قام فينا رسول الله ﷺ فقال «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة»، وفي رواية «من كان على ما أنا عليه وأصحابي». قوله: [فأخذوا بعضه] أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿لست منهم في شيء﴾ أي لست مأموراً بقتالهم، وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة، وقيل إنها محكمة، والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم، لقطع نسبهم منك

﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ١٥٩: فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: أي لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾: أي جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١٦٠: ينقصون من جزائهم شيئاً ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: مستقيماً

بكفرهم. قوله: [فيجازيهم به] أي بفعلهم. قوله: [وهذا] أي قوله: ﴿لست منهم في شيء﴾. قوله: ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي يوم القيامة. قوله: ﴿فله عشر أمثالها﴾ هذا إخبار بأقل المضاعفة، وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب، واعلم أن المضاعفة تابعة للإخلاص، فكل من عظم إخلاصه، كانت مضاعفة حسناته أكثر، ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». وفسر الحسنة بلا إله إلا الله، وهو أحد تفسيرين، والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به، فيشمل الذكر والصلاة والصدقة، وغير ذلك من أنواع البر، وهو الأولى، لأنه أراد خصوص ما ينجي من الشرك، فذلك جزاؤه دخول الجنة، وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها، لأن العبرة بعموم اللفظ، وأفرد في الحسنة والسيئة، لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء إجمالي، بحيث يعطي في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها، بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات، لأن الحسنات تتفاوت، فربما جوزي على بعضها عشراً وعلى بعضها أكثر. قوله: ﴿أمثالها﴾ جمع مثل إن قلت: إنه مذكر، فكان مقتضاه تأنيث العدد، قال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة في عد ما آحاده مذكره في الضد جرد الخ.

وأجيب بأنه جرد التاء مراعاة لإضافة مثل لضمير الحسنة، فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه، أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها، فجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله: [أي جزاء عشر حسنات]. قوله: ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي الشرك على ما قال المفسر، حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله، أو ما هو أعم وهو الأولى. قوله: ﴿فلا يجزي إلا مثلها﴾ أي إن مات غير تائب وجوزي، وإلا فأمره مفوض لربه، فإن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، وأما إن مات تائباً فلا سيئة له لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له، قال تعالى: [قوله:] ﴿إن الله يحب التوابين﴾، وقال عليه الصلاة والسلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي العاملون للحسنات والسيئات. قوله: [ينقصون من جزائهم] هذا بالنظر لجزاء الحسنات، أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب، فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء، وتسميته ظلماً تنزل منه سبحانه وتعالى، وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد منه تبارك وتعالى، وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم، بل هو تفضل منه وإحسان، واعلم: أن الحسنة تتفاوت، والسيئة كذلك، فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا، وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا، فعشرة أمثال الحسنة من شكلها، ومثل السيئة من شكلها، واعلم أيضاً: أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة، وأما من هم بحسنة ولم يعملها، كتبت له حسنة واحدة، ومن هم بسيئة ولم يعملها، فإن تركها خوف الله كتبت حسنة، وإن تركها لا لذلك، لم تكتب شيئاً لما في الحديث «قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها، فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بعشر حسنات، وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها، فأنا أغفرها له حتى يعملها، فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها». قوله: ﴿قل إنني هداني﴾ إن حرف توكيد ونصب، والياء اسمها، وجملة هداني ربي خبرها، وهدى فعل ماض، والياء مفعول أول، و﴿إلى صراط مستقيم﴾ مفعول ثان، و﴿ربي﴾ فاعل، والمعنى: قل يا محمد لكفار مكة، إنني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه. قوله: [ويبدل من محله] أي محل: إلى صراط مستقيم،

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٦١ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: عبادتي من حج وغيره ﴿وَمَحْيَايَ﴾: حياتي ﴿وَمَمَاتِي﴾: موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ١٦٢ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾: في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾: أي التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٦٣: من هذه الأمة ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾: إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾: مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: ذنباً ﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ﴾: تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة ﴿وِزْرَ﴾: نفس ﴿أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ١٦٤ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ﴾: جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾: بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾: أي أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾: للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٦٥: بهم.

وهو النصب، لأنه المفعول الثاني. قوله: ﴿قيماً﴾ نعت لديناً، أي لا أعوجاج فيه. قوله: ﴿ملة إبراهيم﴾ بدل ﴿ديناً﴾ أي دينه وشريعته وما أوحي به إليه. قوله: ﴿حنيفاً﴾ حال من إبراهيم، أي مائلاً عن الضلال إلى الإستقامة. قوله: ﴿وما كان من المشركين﴾ عطف حال على أخرى، وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الإسلام عن إبراهيم. قوله: [عبادتي] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ونسكي﴾ عطف عام على خاص.

قوله: ﴿ومحياي ومماتي﴾ قرأ نافع بسكون ياء محياي، وفتح ياء مماتي، والباقون بالعكس. قوله: ﴿لله رب العالمين﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن، ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة، وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة. قوله: [في ذلك] أي الصلاة والنسك والمحيا والممات. قوله: ﴿وأنا أول المسلمين﴾ أي المنقادين لله، واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم، وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته. وأجيب أيضاً بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهي حقيقة.

قوله: ﴿قل أغير الله﴾ نزلت لما قال الكفار: يا محمد ارجع إلى ديننا، وغير منصوب بأبغي، و﴿رباً﴾ تمييز، وقوله: [إلهاً] تفسير لرباً. قوله: [أي لا أطلب] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وهو رب كل شيء﴾ الجملة حالية، والمعنى لا يليق أن أتخذ إلهاً غير الله، والحال أنه مالك كل شيء. قوله: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، أي يكتب علينا ما عملتم من الخطايا. قوله: ﴿إلا عليها﴾ أي إلا في حال كونه مكتوباً عليها لا على غيرها.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة﴾ أي ولا غير وازرة، وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين: اتبعوا سبيلي أحمل عليكم أوزاركم وهو وازر. قوله: ﴿وزر أخرى﴾ إن قلت: كيف هذا مع قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»؟ أجيب بأن ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه، وفي الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه، فعليه وزر المباشرة، ووزر التسبب، ووزر الفاعل لا يفارقه. قوله: ﴿فينبئكم﴾ أي يخبركم ويعلمكم. قوله: ﴿بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي من الأديان والملل. قوله: [أي يخلف بعضكم بعضاً فيها] أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى في.

قوله: ﴿ورفع بعضكم فوق بعض﴾ أي خالف بين أحوالكم، حيث جعل منكم الحسن والقبيح، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف، ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ وليس عجزاً عن مساواتكم. فإنه منزه عنه

. . . .

سبحانه. قوله: [ليختبركم] أي يعاملكم معاملة المختبر، وإلا فلا يخفى عليه شيء. قوله: [أي أعطاكم إياه] أي من الغنى والفقر، ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما. قوله: ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ إن قلت: إن الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟ أجيب: بأن كل آت قريب، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، وأكد الجملة الثانية هنا باللام، وفي الأعراف الجملتين، لأن الوعيد المتقدم هنا أخف من الوعيد المتقدم هناك، فالوعيد هنا هو قوله: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾، وأما في الأعراف فهو قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾، وقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾، فالمقام هنا لغلبة الرحمة فلذلك أكدت دون العقاب، وأما هناك فالمقام لهما، فلذلك أكدا معا. قوله: ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ جعل خبر إن في هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة، وأكده باللام، وجعل خبر إن السابقة، صفة جارية على غير من هي له، للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما، ومعاقب بالعرض، مسامح في العقوبة، ومعنى بالذات مغفرته ورحمته لا تتوقف على تأهل من العبد، ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة الأعراف

[مكية إلاّ وَاسْأَلْهُمْ عن القَرْيَة الثّمان أو الخَمْس آياتٍ مائتان وخمّسَ أو ستّ آيات]

﴿المٓصٓ﴾ [١]: الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: ضيق ﴿مِنْهُ﴾: أنْ تبلغه مخافة أنْ تكذب ﴿لِتُنْذِرَ﴾: متعلق بأنزل أي للإنذار ﴿بِهِ وَذِكْرَى﴾: تذكرة ﴿

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف مكية

إلا ﴿واسألهم عن القرية﴾ الثمان أو الخمس آيات وهي مائتان وخمس أو ست آيات

سُميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيْء بجزئه. قوله: [مكية] تقدم أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة وإن بأرض المدينة. قوله: [الثمان] أي ومنتهاها ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾، وقوله: [أو الخمس] أي ومنتهاها ﴿إنه لغفور رحيم﴾. قوله: [الله أعلم بمرداه بذلك] هذا أحد أقوالٍ تقدّم جملة منها، وقد ذكر هذا القول في الخازن بقوله هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سِرّه في كتابه العزيز. قوله: [هذا] ﴿كتاب﴾ قدره إشارة إلى أن كتاب خبر لمحذوف، واسم الأشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذي نزل منه، وجملة ﴿أنزل إليك﴾ نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه. قوله: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ لا ناهية، و﴿يكن﴾ مجزوم بها، و﴿في صدرك﴾ خبرها مقدم، و﴿حرج﴾ اسمها مؤخر، و﴿منه﴾ صفة لحرج، وهو نهي عن المسبب، وفي الحقيقة النهي عن أسباب الحرج، والمعنى لا تتعاط أسباباً توجب الحرج. قوله: [أن تبلغه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من تبليغه، ويصح أنّ الضمير عائد على المنزل أوْ الإنزال أو الإنذار.

قوله: ﴿لتنذر﴾ من الإنذار، وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته. قوله: [متعلق بأنـزل] أي واللام للتعليل، فهو مفعول لأجله، وإنما جرّ باللام لفقد بعض الشروط لأنه اختلف مع عامله في الزمان والفاعل لأنّ زمن الأنزال غير زمن الإنذار، فاعل الإنزال الله تعالى، وفاعل الإنذار النبي ﷺ. قوله: ﴿وذكرى﴾ إما في محل نصب عطف على تنذر، أو في محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو ذكرى، أو في محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد اللام والفعل، والتقدير أنزل للإنذار والتذكير. ولما كان النبي مكلفاً بالتبليغ للكفار وإنْ لم يتعظوا به، أسند الإنذار له، ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه، أسندت لهم، فالمواعظ للكافة من غيرهم، والمواعظ للمؤمنين من أنفسهم، وحيث كان القرآن منزلاً لإنذار الكفار وإتعاظ المؤمنين، فلا يحسن إخراجه عنهما.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]: به قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾: تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]: بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة ﴿وَكَمْ﴾: خبرية مفعول ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾: ليلا ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [٤]: نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلا ومرة نهارا ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾: قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [٥] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم

كأن يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا، أو ليتغنى به بحيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء، فإن ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة.

قوله: ﴿اتبعوا﴾ أمر لجميع المكلفين أو للكافرين. قوله: ﴿من ربكم﴾ إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول. قوله: ﴿من دونه﴾ إما متعلق بقوله: ﴿لا تتبعوا﴾، والمعنى لا تعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان، أو حال من ﴿أولياء﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها، والمعنى لا تتولوا من دونه أحداً من شياطين الإنس والجن، ليحملوكم على الأهواء والبدع. قوله: [بالتاء] أي مع تشديد الذال بعدها، وقوله: [والياء] أي قبل التاء مع تخفيف الذال، وقوله: [وفيه إدغام التاء] راجع إلى القراءة الأولى، وقوله: [وفي قراءة بسكونها] صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التاءين فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: [وما زائدة لتأكيد القلة] أي وقليلاً نعت مصدر محذوف، أي تذكراً قليلاً أو نعت ظرف زمان محذوف، أي زماناً قليلاً، والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده. قوله: ﴿وكم﴾ [خبرية] أي بمعنى كثيراً، ولم ترد في القرآن إلا هكذا، ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية. قوله: [مفعول] أي لفعل محذوف يفسره قوله: ﴿أهلكناها﴾ من باب الاشتغال، والتقدير وكم من قرية أهلكناها، ويصح أن يكون كم مبتدأ، وجملة ﴿أهلكناها﴾ خبر و﴿من قرية﴾ تمييز لكم على كل حال. قوله: [أريد أهلها] أي فأطلق المحل، وأريد الحال فيه، فهو مجاز مرسل. قوله: [أردنا إهلاكها] جواب عما يقال إن الإهلاك مسبب عن البأس الذي هو العذاب، وظاهر الآية يقتضي أن العذاب مسبب عن الإهلاك، فأجاب بأن الكلام فيه حذف. قوله: ﴿بياتا﴾ يحتمل أنه حال، والتقدير فجاءها بأسنا حال كونه بياتاً أي في البيات بمعنى الليل، أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر.

قوله: ﴿أو هم قائلون﴾ أو للتنويع، والجملة حالية معطوفة على ما قبلها، والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف في الصورة، وقائلون من قال يقيل، كباع يبيع، فألفه منقلبة عن ياء، بخلاف قال من القول فهي منقلبة عن واو. قوله: [والقيلولة استراحة نصف النهار] هذا قول ثان في تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان: النوم وقت الظهر، أو الاستراحة في وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم. قوله: [أي مرة جاءها ليلاً] الخ هذا تفسير مراد للآية، وقوله: [جاءها] أي جاء بعضها ليلاً كقوم لوط، وقوله: [ومرة نهاراً] أي كقوم شعيب. قوله: ﴿فما كان دعواهم﴾ أي استغاثتهم وتضرعهم، أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم. قوله: ﴿إذ جاءهم﴾ ظرف لقوله: ﴿دعواهم﴾. قوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿إنا كنا ظالمين﴾ والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم، وإنما ذلك تحسر وندامة طمعاً في الخلاص.

قوله: ﴿فلنسألن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، والتقدير والله لنسألن، وهذا إشارة لعذابهم في الآخرة، إثر بيان عذابهم في الدنيا، والمقصود من سؤال الأمم زيادة الافتضاح لهم، ومن سؤال الرسل رفع قدرهم، وزيادة

﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٦: عن الإبلاغ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾: لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾: عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا ﴿وَالْوَزْنُ﴾: للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾: العدل صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بالحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٨: الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: بالسيئات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ٩: يجحدون ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾: يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: بالياء أسباباً تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَا﴾: لتأكيد القلة

شرفهم، وتبكيت الأمم حيث كذبوهم. قوله: ﴿بعلم﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن، والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم، وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب، ﴿وقالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب﴾. قوله: ﴿وما كنا غائبين﴾ توكيد لما قبله. قوله: [فيما عملوا] في بمعنى عن، أي عما عملوا. قوله: ﴿والوزن﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿يومئذ﴾ خبره، و﴿الحق﴾ نعته، وهذا هو إعراب المفسر، ويصح أن يكون ﴿الحق﴾ خبر المبتدأ، و﴿يومئذ﴾ ظرف منصوب على الظرفية، وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب، ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط، وهو مختلف باختلاف أحوال العبادة. قوله: [للأعمال أو لصحائفها] هذا إشارة لقولين: فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع في كفة الحسنات، وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع في كفة السيئات، وبقي قول ثالث: وهو أن الوزن للذوات لما في الحديث «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». قوله: [وكفتان] بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد والجمع، كفف بالكسر لا غير.

قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ الخ، إعلم أن الناس في القيامة ثلاث فرق: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون، وكفار، فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وصغائرهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً، وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر، ويؤمر بهم إلى الجنة، وينعم كل على حسب أعماله. وأما الكفار فإنهم يوضع كفرهم في الكفة المظلمة، ولا توجد لهم حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة، فيأمر الله بهم إلى النار، وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحة في آيات الوزن. وأما الذين خلطوا، فقد ثبت في السنة أن حسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله. وأما إن كانت عليهم تبعات، وكانت لهم حسنات كثيرة، فإنه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم، وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فيحمل على الظالم من أوزار من ظلمه، ثم يعذب إلا أن يرضي الله عنه خصماءه. قوله: [بالحسنات] أي بسبب ثقلها في الميزان، ورجحانها على السيئات. قوله: [بالسيئات] أي بسبب رجحانها على الحسنات. قوله: ﴿بما كانوا﴾ متعلق بخسروا، وما مصدرية، و﴿بآياتنا﴾ متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة، وقوله: [يجحدون] أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء.

قوله: ﴿ولقد مكناكم﴾ الخ، لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر، ومن استمر على الإيمان، وذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر. قوله: ﴿معايش﴾ [بالياء] أي باتفاق السبعة؛ لأن الياء أصلية إذ هي جمع معيشة، وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ما قبلها، وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فإنها تبقى في الجمع، وقرىء شذوذاً بالهمزة تخريجاً على

﴿تَشْكُرُونَ﴾ ١٠: على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾: أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: أي صوّرناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ١١ قال﴾: تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا﴾: زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾: حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ١٢ ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا

زيادة الياء وأصالة الميم، وأما إن كانت الياء في المفرد زائدة، فإنها تكون في الجمع همزة، كصحائف وصحيفة. قال ابن مالك:

والمدّ زيد ثالثاً في الواحد ... همزاً يرى في مثل كالقلائد

قوله: [أسباباً تعيشون بها] أي تحيون فيها كالمأكل والمشرب وما به تكون الحياة. قوله: [لتأكيد القلة] أي زائدة لتأكيد القلة، والمعنى أن الشاكر قليل، قال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. قوله: ﴿ولقد خلقناكم﴾ الخ تذكير لنعمة عظيمة على آدم، سارية إلى ذريته موجبة لشكرها. قوله: [أي أباكم آدم] أي حين كان طيناً غير مصور. قوله: [أي صورناه] أي حين كان بشراً بتخطيطه وشق حواسه، وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم، وإنما ينسب الخلق والتصوير للمخاطبين إعطاء لمقام الامتنان حقه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز، إلى أن لهم حظاً من خلق أبيهم وتصويره، لأنهما من الأمور السارية في الذرية جميعاً. قوله: [أو أنتم في ظهره] هكذا في نسخة بأو، وفي أخرى بالواو، فعلى الأول يكون جواباً ثانياً. والحاصل أن الناس اختلفوا في ﴿ثم﴾ في هذين الموضعين، فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيباً، وجعلها بمنزلة الواو، وأبقى الآية على ظاهرها، ومنهم من قال هي للترتيب الزماني، وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير. قوله: [سجود تحية بالإنحناء] أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوي وهو الإنحناء، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، وقد كان تحية للملوك في الأمم السابقة، وعليه فلا إشكال، وقال بعضهم: إن السجود شرعي بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة، ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم، وقولهم إن السجود لغير الله كفر محله إن كان من هوى النفس لا بأمر الله، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل.

قوله: ﴿فسجدوا﴾ أي قبل دخول الجنة، وأول من سجد: جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، واختلف في مدة السجود، فقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة، وقيل غير ذلك. قوله: [أبا الجن] هذا أحد قولين، والثاني هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد. قوله: [كان بين الملائكة] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وأنه ليس من الملائكة، قال في الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج إلى استثنائه، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ وقال بعضهم إنه من الملائكة، فالاستثناء متصل وقوله تعالى كان من الجن أي في الفعل، والمعول عليه الأول.

قوله: ﴿ما منعك﴾ ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء، والجملة بعدها خبر، و﴿أن﴾ في محل نصب أو جر، لأنها على حذف حرف الجر و﴿إذ﴾ منصوب بتسجد، والتقدير أي شيء منعك من السجود حين أمرتك. قوله: [زائدة] أي لتأكيد معنى النفي في منعك، فهو كما في (ص) بحذفها وهو الأصل، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً. قوله: ﴿خلقتني من نار﴾ هذه الجملة لا محل لها من الإعراب، لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية. ـ فائدة ـ قال هنا ﴿ما منعك﴾، وفي سورة الحجر قال ﴿يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين﴾ وفي سورة ص ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ الآية، اختلاف العبارات عند الحكاية، دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث

﴿فَاخْرُجْ﴾: منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ١٣: الذليلين ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾: أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١٤: أي الناس ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ١٥ وفي آية أخرى ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: أي وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾: أي لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٦: أي على الطريق الموصل إليك ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٧: مؤمنين ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾: بالهمز معيباً أو ممقوتاً ﴿مَّدْحُورًا﴾: مبعداً

معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني، والطين جسم كثيف ظلماني، وما كان لطيفاً نورانياً، خير مما كان كثيفاً ظلمانياً، ولما كان ما احتج به على ربه باطلاً، لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة، ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه إليه، ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي، والنار منافعها قليلة، ولا يتوقف عليها نظام العالم، لوجود كثير منه غير محتاج لها، ولا لما يسوى بها، رد عليه المولى بأشنع رد، وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر. بقوله: ﴿فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ الآية.

قوله: ﴿قال فاهبط منها﴾ الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من مخالفة اللعين. قوله: [أي من الجنة] أي وعليه فبقي في السماوات خارج الجنة. قوله: [وقيل من السموات] أي فلم يبق له استقرار في العالم العلوي أصلاً. قوله: ﴿أن تتكبر فيها﴾ أي ولا في غيرها، ففي الكلام اكتفاء، لأن الكبر مذموم مطلقاً. قوله: [الذليلين] تفسير للصاغرين من الصغار، وهو بالفتح الذل والضيم. قوله: ﴿قال أنظرني﴾ لما كره اللعين إذاقة الموت، طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث، ومن المعلوم أن لا موت بعد، فقصد استمرار الحياة في الدنيا والآخرة، فأجابه الله لا على مراده، بل أمهله إلى النفخة الأولى، ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب. قوله: [أي وقت النفخة الأولى] أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين.

قوله: ﴿قال فبما أغويتني﴾ الخ غرضه بهذا أخذ ثأره منهم، لأنه لما طرد ومقت بسببهم، أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. قوله: [والباء للقسم] أي وما مصدرية، وما بعدها مسبوك بها، يشير له قول المفسر بإغوائك لي، ويصح أن تكون للسببية. قوله: [أي على الطريق الخ] أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض. قوله: ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها، وهي الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت، وأما الفوق فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه، كما قال ابن عباس، وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتي من ذلك، ويكثر إتيانه من أمام وخلف، ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت، لكون الآتي من تحت إنما يريد الإزعاج، وهو يريد التأليف للغاوية، والأول أقرب، وإنما عدى الفعل في الأولين بمن الابتدائية، لأن شأن التوجه منهما بخلاف الأخيرين، فالآتي منهما كالمنحرف لليسار. قوله: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد، وشاكرين حال، ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين.

قوله: ﴿قال اخرج منها مذموماً﴾ تأكيد لما تقدم، والمذؤوم بالهمزة من ذامه يذأمه ذأماً إذا عابه ومقته، أي أخرج ممقوتاً معاباً عليك. قوله: [مبعداً عن الرحمة] أي لأن الدحر الطرد والإبعاد، يقال دحره يدحره دحراً ودحوراً، ومنه

(١) ص: ٨١.

عن الرحمة ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٨: أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه ﴿وَ﴾ قال: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾: حواء بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٩

قوله تعالى: ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً﴾ وهما حالان من فاعل أخرج. قوله: [واللام للابتداء] أي داخلة على المبتدأ، فمن اسم موصوف مبتدأ، و﴿تبعك﴾ صلته، و﴿منهم﴾ متعلق بتبعك، وقوله: ﴿لأملأن﴾ جواب قسم محذوف بعد قوله: ﴿منهم﴾ والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ. قوله: [أو موطئة للقسم] والتقدير والله لمن تبعك، ومن اسم شرط مبتدأ، ولأملأن جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. قوله: [وفيه تغليبه الحاضر] أي وهو إبليس، وقوله: [على الغائب] أي وهو الناس. قوله: [وفي الجملة] أي وهي ﴿لأملأن﴾ وقوله: [معنى جزاء من] أي على كونها شرطية، وتقديره أعذبه.

قوله: ﴿ويا آدم﴾ تقدير المفسر قال يفيد أنه معطوف على ﴿أخرج﴾ مسلط عليه عامله، عطف قصة على قصة، ويصح عطفه على قوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ فيكون مسلطاً عليه، قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك. قوله: [تأكيد للضمير في اسكن] أي وليس هو الفاعل، لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستتار، وقوله: [ليعطف عليه] ﴿وزوجك﴾ جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل. قوله: [حواء] سميت بذلك لأنها خلقت من حي وهو آدم، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة، مشى فيها مستوحشاً، فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي ﷺ. إن قلت: إن شرط المهر أن يكون متمولاً، وهذا ليس بمتمول. أجيب: بأن هذا الشرط في شرع محمد، ولم يكن في شرع آدم، وأيضاً الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه، وأيضاً من خصائص رسول الله ﷺ أن يزوج بلا مهر أصلاً، فلما كان هو الواسطة في ذلك، عد كأنه هو العاقد لهما، وإنما كان خصوص الصلاة على النبي ﷺ إشارة إلى أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد، حتى أبيه آدم، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة، قيل قبل دخول الجنة، وتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم بها، فإنها لم تكن خلقت إذ ذاك، وقيل بعد الدخول وهو المعتمد، وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار.

قوله: ﴿فكلا من حيث شئتما﴾ أي في أي مكان، وفي الكلام حذف بعد من، والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما، وترك رغداً من هذا اكتفاء بذكره في البقرة، وأتى بالفاء هنا، وفي البقرة بالواو تفنناً وإشارة إلى أن كلاً من الحرفين بمعنى الآخر، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة، وما ذكره شيخ الإسلام من الجواب بعيد، كما تقدم لنا في البقرة فانظره. بقي شيء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولاً لآدم، وثانياً لهما، وحكمة ذلك أن حواء في السكنى تابعة لآدم، فوجه الخطاب في السكنى لآدم، وأما في الأكل من حيث شاءا، والنهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه، فلذا وجه الخطاب لهما معاً.

قوله: ﴿ولا تقربا﴾ يقال قربت الأمر أقربه من باب تعب، وفي لغة من باب قتل، قرباناً بالكسر فعلته أو دانيته، وحينئذ يكون النهي عن القربان أبلغ من النهي عن الأكل بالفعل. قوله: [وهي الحنطة] وقيل الكرم، وقيل التين، وقيل

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾: يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾: فوعل من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾: وقرىء بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ ٢٠: أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ٢١: في ذلك ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: حطهما عن منزلتهما

البلح، وقيل الأترج، والمشهور ما قاله المفسر. قوله: ﴿من الظالمين﴾ أي لأنفسهما. قوله: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ الوسوسة: الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان على سبيل التكرار. إن قلت: إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم. أجيب: بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة، وإنما باشر حواء، وهي باشرت آدم بذلك، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا أبليس فملعون. إن قلت: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة؟ أجيب: بأن وسوسته وإن كانت خارجة الجنة، إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما، وقوله: ﴿الشيطان﴾ من شاط بمعنى احترق، أو من شطن بمعنى بعد. قوله: [إبليس] أي من أبلس إبلاساً بمعنى يائس، لأنه آيس من رحمة الله، وقد تقدم في البقرة جملة أسمائه فانظرها.

قوله: ﴿ليبدي لهما﴾ هذا من جملة أغراضه في الوسوسة، فتكون اللام للتعليل، ويحتمل أنها للعاقبة، وأن غرضه في الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة. قوله: ﴿ما ووري عنهما﴾ أي غطي وستر عنهما، واختلف في ذلك اللباس، فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار في اليدين والرجلين، تذكرة وزينة وانتفاعاً، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار في حال الضحك يقطعه، وقيل كان نوراً، وقيل كان من ثياب الجنة. قوله: [فوعل] أشار بذلك إلى أن الواو الثانية زائدة، وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة، وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية. قوله: ﴿من سوآتهما﴾ عورتهما سميت بذلك لأن كشفها يسيء صاحبها.

قوله: ﴿وقال ما نهاكما﴾ معطوف على وسوس بيان له. قوله: ﴿إن تكونا ملكين﴾ بفتح اللام أي لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة، أو تكونا من الخالدين في الجنة فالمعنى الذي ادعاه لهما أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها. قوله: [كراهة] أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله، قدره البصريون ﴿إلا﴾ قوله: [كراهة] ﴿أن تكونا﴾ الخ، وقدره الكوفيون أن لا تكونا، وتقدير البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف. قوله: [وقرىء بكسر اللام] أي شذوذاً، ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر. قوله: [أي وذلك] أي أحد الأمرين. قوله: [لازم] أي ناشىء [عن الأكل منها]، وقضية هذه الآية على قراءة الكسر، عدم اجتماع الأمرين، وقضية الآية الأخرى وهي ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ اجتماعهما، وأجيب بأن أو بمعنى الواو، وحكمة ترغيبهما في الملكية أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش، ولهم المنزلة عند الله.

قوله: ﴿وقاسمهما﴾ معطوف على ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ وإنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله، فهو أول من حلف كاذباً، بل هو أول من عصى الله مطلقاً. قوله: [أي أقسم لهما بالله] أي وقبلا منه القسم، فالمفاعلة باعتبار ذلك، وإلا فالواقع أنها ليست على بابها، لأن الحالف هو فقط. قوله: [في ذلك] أي ما ذكر من كونهما يلحقان بالملائكة

﴿بِغُرُورٍ﴾: منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾: أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٢٢: بين العداوة والاستفهام للتقرير ﴿قَالَا: رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٢٣ ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا﴾: أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مكان استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٢٤:

ويكونان من الخالدين. قوله: ﴿فدلالهما﴾ التدلي النزول من أعلى لأسفل. قوله: [حطهما عن منزلتهما] أي الحسنة، لأن غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية، بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت. قوله: ﴿بغرور﴾ الباء سببية، والغرور تصوير الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه، وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيراً، لأن شأن من ذاق الشيء أن يقتصر على ما قل منه. قوله: ﴿بدت لهما سوآتهما﴾ أي سقط عنهما لباسهما فبدت الخ. قوله: [ودبره] أي الآخر، وأما دبر نفسه فلا يظهر له، إلا إن التفت له وتعاناه. قوله: [يسوء صاحبه] أي يوقعه في السوء. قوله: ﴿وطفقا﴾ من باب طرب، أي شرعا وأخذا. قوله: ﴿يخصفان﴾ من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر. قوله: ﴿عليهما﴾ أي القبل والدبر. قوله: ﴿من ورق الجنة﴾ قيل ورق التين وقيل ورق الموز.

قوله: ﴿ناداهما ربهما﴾ يحتمل على لسان ملك أو مباشرة. قوله: ﴿ألم أنهكما﴾ إما تفسير للنداء فلا محل له من الأعراب، أو مقول لقول محذوف، والتقدير قائلاً ﴿ألم أنهكما﴾ الخ. قوله: ﴿وأقل لكما﴾ أي كما في آية طه ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾ الآية. قوله: [بين العداوة] لكما حيث امتنع من السجود له، ورضي بالطرد والبعد. قوله: [استفهام للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار، والمعنى أقر بذلك على حد ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

قوله: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ما وقع منهما، وإنما عاتبهما الله على ذلك، وإن كان ليس بمعصية حقيقة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وليس ذلك بقادح في عصمة آدم لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة، وأما الخطأ في الاجتهاد والنسيان الرحماني فهو جائز عليهم، ونظير ذلك ما وقع في قصة ذي اليدين، حيث سلم رسول الله من ركعتين، فقال له ذي اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال: كل ذلك لم يكن، فقال: بل بعض ذلك قد كان الحديث، وقال رسول الله ﷺ «لم أنس ولكن أنسي لأسن» وحكمة الأكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا، فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة، فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم فقد كفر، كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ فالمخلص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي، وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره.

قوله: ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم. قوله: [بما اشتملتما عليه من ذريتكما] أي فهذا هو وجه الجمع في الآية، وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس. ويكون قوله: ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء. قوله: [مكان استقرار] أي وهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان،

تنقضي فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾: أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾٢٥: بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾: أي خلقناه لكم ﴿يُوَارِي﴾: يستر ﴿سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾: هو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾: العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباساً والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾٢٦: فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: يضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾: أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾: بفتنته ﴿مِنَ الْجَنَّةِ

والمكان الذي يدفن فيه. قوله: ﴿قال فيها تحيون﴾ أصله تحييون كترضيون، تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: [بالبناء للفاعل الخ] أي في ﴿تخرجون﴾ وأما ﴿تحيون﴾ و ﴿تموتون﴾ فللفاعل لا غير.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما، وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموماً بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم، والعداوة للآباء متصلة للأبناء. قوله: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر، فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان، وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير. قوله: ﴿سوآتكم﴾ أي عوراتكم، أي فهو نعمة. قوله: ﴿وريشا﴾ معطوف على ﴿لباسا﴾ وعبر عنه بالريش، لأن الريش زينة الطائر، كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منَّ على بني آدم بلباسين: لباساً يواري سوآتهم، ولباساً ريشاً أي زينة، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿يواري﴾ فيكون وصف اللباس بشيئين: كونه يواري سوآتكم، وكونه زينة لكم، ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم، والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها، كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خالياً من الأغراض الفاسدة، بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

ليس التصوف لبس الصوف والخلق ... بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم ... جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
فرب لابس الديباج مشغله ... حب الذي خلق الإنسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه ... تاج وذلك عند العارفين شقي
فإن ذلك لم يحجبه ملبسه ... وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ أي الناشيء عنها أو الناشئة عنه. قوله: [العمل الصالح] أي المنجي من العذاب، لأن الإنسان يكسى من عمله يوم القيامة. قوله: [خبره جملة] ﴿ذلك خير﴾ أي فاسم الإشارة مبتدأ ثان، وخير خبره، والجملة من المبتدأ الثاني، وخبره خبر الأول، واسم الإشارة عائد على قوله: ﴿ولباس التقوى﴾ وإنما كان خيراً لأنه يستر من فضائح الآخرة، وفي الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة، وباطنه بالإخلاص، فإنه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكري: إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه، وزين سري بالأسرار وعن الأغيار فصنه. قوله: ﴿ذلك من آيات الله﴾ اسم الإشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه. قوله: [فيه التفات عن الخطاب] أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون، ونكتته دفع الثقل في الكلام.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ لما ذكرهم نعمة اللباس نبههم على أن الشيطان حسود وعدو لهم، كما أنه عدو لأبيهم.

﴿يَنزِعُ﴾: حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ﴾: أي الشيطان ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٧ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾: كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾: فاقتدينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: أيضاً ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا

قوله: ﴿لا يفتننكم الشيطان﴾ هو نهي له صورة، وفي الحقيقة نهي لبني آدم عن الإصغاء لفتنته واتباعه، فليس المراد النهي عن تسلطه، إذ لا قدرة لمخلوق على منع ذلك، لأنه قضاء مبرم، بل المراد النهي عن الميل إليه، وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: [أي لا تتبعوه فتفتنوا]. قوله: ﴿كما أخرج﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر، والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم، والجامع بينهما زوال النعم في كل. قوله: ﴿أبويكم﴾ أي آدم وحواء. قوله: [بفتنته] الباء سببية. قوله: [حال] أي من ﴿أبويكم﴾ أو من ضمير ﴿أخرج﴾ وكل صحيح، فإن الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان، وإسناد النزع إليه باعتبار كونه تسبباً فيه، والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة، ومنه قوله تعالى: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان، تزول نعمه بسرعة وقوة. وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضاراً للصورة العجيبة.

قوله: ﴿إنه يراكم﴾ تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي، كأنه قيل: فاحذروه لأنه يراكم الخ. قوله: ﴿وقبيله﴾ معطوف على الضمير المتصل في ﴿يراكم﴾ وأتى بالضمير المنفصل، وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة، والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق، ولذلك فسره بالجنود، والقبيلة الجماعة من أب واحد.

قوله: ﴿من حيث لا ترونهم﴾ ﴿من﴾ ابتدائية، و﴿حيث﴾ ظرف مكان، والتقدير إنه يراكم رؤية مبتدأه من مكان لا ترونهم فيه. قوله: [للطافة أجسامهم] فأجسامهم كالهواء، نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه، فهذا وجه عدم رؤيتنا لهم. وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا، وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة في أبصارهم. وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا بغيرها فتراهم، لأن الله جعل لهم قدرة على التشكيل بالصورة الجميلة أو الخسيسة، وتحكم عليهم الصورة كما في الأحاديث الصحيحة. فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة، أن الملائكة لا يتشكلون إلا في الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وجعلت صدر بني آدم مساكن لهم، إلا من عصمه الله، كما قال تعالى ﴿والذي يوسوس في صدور الناس﴾ فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم. قال مجاهد: قال إبليس جعل لنا أربع نَرى ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا شاباً. وقال مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المجاهدة، إلا من عصمة الله.

قوله: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء﴾ أي صيرناهم أعواناً لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم. فتحرزوا منهم.

قوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ هذه الآية نزلت في كفار مكة، كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار، ونساؤهم بالليل، فكان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربي، فيقول من يعيرني إزاراً. فإن وجد وإلا طاف عرياناً، وإذا فرض وطاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه. قوله: ﴿قالوا وجدنا﴾ الخ أي محتجين بهذين الأمرين: بتقليد الآباء، والافتراء على الله. قوله: ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ أي رد لمقالتهم الثانية، وترك الأولى لوضوح فسادها.

قوله: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي لأنكم لم تسمعوه مشافهة، ولم تأخذه عن الأنبياء الذين هم وسائط

﴿تَعْلَمُونَ﴾ ٢٨ : أنه قاله استفهام إنكار ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ : العَدْلِ ﴿وَأَقِيمُوا﴾ : معطوف على معنى بالقسط أي قال: أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ : لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ : أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ : اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ : من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ : خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ ٢٩ : أي يعيدكم أحياء يوم القيامة ﴿فَرِيقًا﴾ : منكم ﴿هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : أي غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ٣٠ ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ : ما يستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ : عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ : ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٣١ ﴿قُلْ﴾ : إنكاراً عليهم

بيّن الله وخلقه. قوله: [استفهام إنكار] أي وتوبيخ وفيه معنى النهي. قوله: [معطوف على معنى بالقسط] دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿أمر ربي بالقسط﴾ خبر. وقوله: ﴿وأقيموا﴾ إنشاء ولا يصح عطف الإنشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى، والتقدير قال أقسطوا وأقيموا. الثاني أن الكلام فيه حذف، والتقدير قل أمر ربي بالقسط فاقبلوا وأقيموا. قوله: [أي أخلصوا له سجودكم] أي صلاتكم، ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

قوله: ﴿وادعوه﴾ عطف عام. قوله: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث أي يعيدكم أحياء بالأرواح والأجساد بعينها. قوله: ﴿فريقاً هدى﴾ فريقاً معمول لهدى، وفريقاً الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى، والتقدير وأضل فريقاً حق عليهم الضلالة، أي ثبت في الأزل ضلالهم. قوله: ﴿أنهم اتخذوا﴾ علة لقوله: ﴿حق عليهم﴾. قوله: ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ أي يظنون أنهم على هدى، والحال أنه ليسوا كذلك.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ إلخ سبب نزولها كما قال ابن عباس أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، وكانوا لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتاً، ولا يأكلون لحماً ولا دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم. قوله: [ما يستر عورتكم] راعى في هذا المحل سبب النزول، وأصل الواجب وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب في الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعاً تأمل. قوله: ﴿عند كل مسجد﴾ المسجد في الأصل موضع السجود، ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف، من باب تسمية الحال باسم المحل، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالذي ينبغي للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة.

قوله: ﴿وكلوا واشربوا﴾ أي من الحلال فإنه رأس التقوى. قوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم، أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد في الأكل والشرب، كالتعمق في ذلك أو الإكثار المضر لما في الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه» لأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر لما في الحديث «أصل كل داء البردة وهي إدخال الطعام على الطعام» فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع، وأن يقوم ونفسه تشتهي، فإن ملك النفس عن الإسراف في المباح، أكبر دليل على ملكها عن الحرام. قوله: ﴿إنه

---

* أسباب نزول الآية ٣١: قوله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ الآية، روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، فنزلت ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ ونزلت ﴿قل من حرم زينة الله﴾ الآيتين.

﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾: خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ﴾: نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٣٢: يتدبرون فإنهم المنتفعون بها ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي جهرها وسرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: المعصية ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾: على الناس ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: هو الظلم ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٣: من تحريم ما لم يحرم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٣٤: عليه ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة

لا يحب المسرفين﴾ أي يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم. قوله: [إنكاراً عليهم] أي وتوبيخاً لهم، وحيث كان إنكارياً فلا جواب له.

قوله: ﴿التي أخرج لعباده﴾ أي التي خلقها لهم من النبات، كالقطن والكتان. ومن الحيوان كالحرير والصوف، ومن المعادن، كالدروع، وكلها جائزة للرجال والنساء، ما عدا الحرير الخالص للرجال فإنه يحرم عليهم إجماعاً، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز، والمعتمد عدم الحرمة. قوله: ﴿قل هي﴾ أي الزينة من الثياب والطيبات من الرزق قوله: [بالاستحقاق] أي الأصلي، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع، وهذا جواب عما يقال: إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم، فكيف يقال إنها ﴿للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ فأجاب بما ذكر، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً﴾ الآية، ولذا لا يعاقبون عليها، لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته، ولذا إذا عدمت المؤمنون في آخر الزمان تقوم القيامة، إذ لم يبق مستحق للنعم. قوله: [خاصة بهم] أي لا يشاركهم فيها غيرهم. قوله: [بالرفع] أي خبر ثان. قوله: [والنصب حال] أي من الضمير في الخبر المحذوف، والتقدير هي كائنة ﴿للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ حال كونها خالصة لهم يوم القيامة، وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لأن رحمة الله تنفرد بالمؤمنين، وغضبه ينفرد بالكافرين، قال تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾. قوله: ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي نبينها ونوضحها في غير هذا الموضع، مثل ذلك التفصيل والتوضيح في هذا الموضع. قوله: ﴿لقوم يعلمون﴾ أي إنه مستحق للعبادة. قوله: [فإنهم المنتفعون بها] أي وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب. قوله: [كالزنا] أي والقتل وسلب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة. قوله: [أي جهرها وسرها] المراد بالجهر المعاصي الظاهرية، كالقتل وشرب الخمر، وبالسر المعاصي الباطنية القلبية، كالعجب والكبر والرياء. قوله: ﴿والإثم﴾ عطف عام على خاص، وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه. قوله: [هو الظلم] أي للناس، إما بالقتل، أو سلب الأموال، أو التكلم في أعراضهم أو غير ذلك، وقوله: ﴿بغير الحق﴾ إيضاح لمعنى ﴿البغي﴾ فهو صفة كاشفة. قوله: ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ ما نكرة بمعنى شيء، أي شيئاً سواه تعالى. قوله: [حجة] أي دليلاً، لأن دليل الوحدانية لله أبطل الشرك لغيره. قوله: [وغيره] أي كتحليل الحرام، ويدخل في ذلك المفتي بالكذب. قوله: ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي لكل فرد من أفراد الأمة. قوله: [مدة] أي وقت معين. قوله: ﴿ساعة﴾ أي شيئاً قليلاً من الزمن، فالمراد بالساعة الساعة الزمانية، وقوله: ﴿لا يستأخرون﴾ جواب إذا، وقوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية، ولا يصح عطفه على قوله: ﴿لا يستأخرون﴾ لأن المعطوف

﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾: الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٣٥: في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تكبروا ﴿عَنْهَا﴾: فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٣٦ ﴿فَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾: يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾: حظهم ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾: مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا﴾: لهم تبكيتاً

على الجواب جواب، وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلاً، والاستقدام بالنسبة لمجيء الأجل ماض، فلا يصح ترتبه على الشرط.

قوله: ﴿يا بني آدم﴾ هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره، ولكن المقصود من كان في زمنه ﷺ، وفي هذه الآية دليل على عموم رسالته لأن الله خاطب من أجله عموم بني آدم. قوله: [في ما المزيدة] أي للتأكيد. قوله: ﴿يأتينكم﴾ فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، وجملة ﴿فمن اتقى﴾ إلى ﴿خالدون﴾ جواب الشرط، والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم، ومن يحتمل أن تكون شرطية، واتقى فعل الشرط، وجملة ﴿فلا خوف عليهم﴾ جوابه، ويحتمل أنها موصولة، واتقى صلتها، وجملة ﴿فلا خوف عليهم﴾ خبرها، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم. قوله: ﴿منكم﴾ أي من جنسكم يا بني آدم، وإنما كان من جنسهم لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم. قوله: ﴿يقصون﴾ أي يقرأون ويتلون. قوله: ﴿آياتي﴾ أي القرآنية وغيرها. قوله: ﴿فمن اتقى﴾ [الشرك] أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة، وهي اتقاء الشرك بالإيمان لقرينة. قوله: ﴿وأصلح﴾ وأعلى منها تقوى الخواص، وهي ترك المعاصي، وأعلى منها ترك الأغيار، وهي كل مشغل عن الله، ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿وأصلح﴾ [عمله] أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص. قوله: [في الآخرة] أي وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن، لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة، ولو جاءتهم البشرى من الله، فالحزن دأب الصالحين في الدنيا لزيادة درجاتهم. قوله: [فلم يؤمنوا بها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي [تكبروا] عن الإيمان بها. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [بنسبة الشريك] الباء سببية، والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، بسبب نسبة الشريك لله، ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام، والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد. قوله: ﴿أو كذب بآياته﴾ وإن لم ينسب الشريك له، لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له، وأما نسبة الشريك فيلزم معها التكذيب بالآيات.

قوله: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم﴾ أي في الدنيا. قوله: ﴿من الكتاب﴾ من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم، وقوله: [مما كتب لهم] بيان للنصيب. قوله: [من الرزق] أي على حسبه من سعة وضيق، وكونه من حلال أو حرام، وقوله: [والأجل] أي من قصر أو من طول، وقوله: [وغير ذلك] أي كالعمل، وكما أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، مكتوب في صحف الملائكة وهو في بطن أمه، فتحصل أن ما قسم له في الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا إسلام. قوله: ﴿حتى إذا جاءتهم﴾ حتى إما ابتدائية أو جارة. قوله: [الملائكة] قيل إنهم عزرائيل وأعوانه، لقبض أرواحهم، وقيل إنهم ملائكة العذاب، وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب. قوله: [تبكيتاً]

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنَّا﴾: فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ٣٧ ﴿قَالَ﴾: تعالى لهم يوم القيامة ﴿ٱدْخُلُوا فِيٓ﴾: جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلق بادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾: النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا﴾: تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾: وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: أي لأجلهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مضعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ﴾: تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾: منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾: عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٨: بالياء والتاء ما لكل فريق ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء قال تعالى لهم: ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ٣٩ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا﴾: تكبروا ﴿عَنْهَا﴾: فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾:

أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: ﴿ما كنتم تدعون من دون الله﴾ أي الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب. قوله: [فلم نرهم] أي مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت. قوله: ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ كلام مستأنف إخبار من الله بإقرارهم على أنفسهم بالكفر، ولا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ لأن مواقف القيامة مختلفة.

قوله: ﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته. قوله: ﴿في أمم﴾ في بمعنى مع، أي ادخلوا مصاحبين لأمم، وهو حال من فاعل ادخلوا، وتسمى حالاً منتظرة، لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم، وقوله: ﴿قد خلت﴾ صفة أولى لأمم، وقوله: ﴿من قبلكم﴾ صفة ثانية، وقوله: ﴿من الجن والإنس﴾ صفة ثالثة، وقوله: ﴿في النار﴾ في للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد. قوله: ﴿قد خلت﴾ أي سبقت ومضت. قوله: ﴿في النار﴾ المراد بها دار العقاب بجميع طباقها.

قوله: ﴿لعنت أختها﴾ أي في الدين. قوله: [التي قبلها] أي في التلبس بذلك الدين، فالنصارى تلعن النصارى، واليهود تلعن اليهود، والمجوس تلعن المجوس، وهكذا كل من اقتدى بغيره في دين باطل. قوله: ﴿اداركوا﴾ أصله تداركوا، قلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، وأتي بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن. قوله: ﴿أخراهم﴾ أي المتأخرون عنهم في الزمن، فأخرى تأنيث آخر مقابل أول، لا تأنيث آخر الذي بمعنى غير. قوله: [وهم الأتباع] أي كانوا في زمنهم أو تأخروا بعدهم. قوله: [أي لأجلهم] أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿لأولاهم﴾ للتعليل وليست للتبليغ، لأن الخطاب مع الله لا معهم. قوله: [وهم المتبوعون] أي الرؤساء. قوله: ﴿ضعفاً﴾ ضعف الشيء في الأصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء، والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفاً.

قوله: ﴿لكل ضعف﴾ أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم، وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى التاء يكون خطاباً للأخرى، أو للأحياء الذين في الدنيا، وعلى الياء يكون إخباراً عن المتقدمين والمتأخرين. قوله: [ما لكل فريق] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف. قوله: ﴿لأخراهم﴾ اللام هنا للتبليغ لأن الخطاب معهم. قوله: [لأنكم لم تكفروا بسببنا] أي بل كفرتم اختياراً، لا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه لأنه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب. قوله: [قال تعالى لهم] هذه إحدى طريقتين، والأخرى أنه من كلام الرؤساء للأتباع. قوله: ﴿بما كنتم تكسبون﴾ أي بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة.

قوله: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي وماتوا على ذلك. قوله: [فلم يؤمنوا بها] أشار بذلك إلى أن الكلام على

إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾: يدخل ﴿الجمل في سم الخياط﴾: ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وكذلك﴾: الجزاء ﴿نجزي المجرمين﴾ ٤٠: بالكفر ﴿لهم من جهنم مهاد﴾: فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾: أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ ٤١ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: مبتدأ وقوله: ﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾: طاقتها من العمل

حذف مضاف، والتقدير تكبروا عن الإيمان بها. قوله: ﴿لا تفتح﴾ بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية. قوله: [إذا عرج بأرواحهم] ومثلها دعاؤهم وأعمالهم. قوله: [إلى سجين] هو واد في جهنم أسفل الأرض السابعة، تسجن به أرواح الكفار، وقيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وأما عليون فقيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش.

قوله: [ويصعد بروحه إلى السماء السابعة] أي وترى مقعدها في الجنة وترجع مسرورة، فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها. قوله: [كما ورد في الحديث] أي وهو كما قال رسول الله ﷺ في قبض روح الكافر، ويخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾.

قوله: ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أي بعد الموت. قوله: ﴿حتى يلج الجمل﴾ الولوج الدخول بشدة، والجمل: الذكر من الإبل، وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، وهو تعليق جائز على مستحيل، والمعلق على المستحيل مستحيل، فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل. قوله: ﴿في سم الخياط﴾ السم مثلث السين، لكن القراء السبعة على الفتح، وقرئ شذوذا بالضم والكسر وجمعه سمام، وأما ما يقتل فهو مثلث أيضا، إلا أن جمعه سموم، والخياط هو الآلة التي يخاط بها، ويقال لها مخيط أيضا. قوله: ﴿وكذلك﴾ [الجزاء] أي المتقدم، وهو عدم فتح أبواب السماء لهم، وعدم دخول الجنة. قوله: ﴿نجزي المجرمين﴾ أي كما جزينا هؤلاء، نجزي كل من اتصف بالإجرام من مبدأ الزمان إلى منتهاه.

قوله: ﴿لهم﴾ أي للذين كذبوا واستكبروا. قوله: ﴿من فوقهم غواش﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب، وقد ورد أن سقف النار من نحاس، وأرضها من رصاص، وحيطانها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة. قوله: [وتنوينه عوض من الياء المحذوفة] هذا بناء على الصحيح من أن الإعلال مقدم على منع الصرف، فأصله غواش بالتنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما، ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف، فحذف تنوين الصرف خيفة من رجوع الياء، فأتي بالتنوين عوضا عنها، وأما تصريفها على ان منع الصرف مقدم على الإعلال، فأصلها غواشي بترك التنوين، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتي بالتنوين عوضا عن الحركة التي هي الكلمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت لالتقائهما. قوله: ﴿وكذلك﴾ أي مثل الجزاء المتقدم. قوله: ﴿نجزي الظالمين﴾ عبر عنهم أولا بالمجرمين، وهنا بالظالمين إشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معا.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ لما ذكر وعيد الكافرين، أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه في كتابه،

اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٤٢ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾: تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾: عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾: العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾: حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾: مخففة أي إنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾: تقريراً وتبكيتاً ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا

والاسم موصول مبتدأ، و﴿آمنوا﴾ صلته ﴿وعملوا الصالحات﴾ معطوف عليه، وقوله: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر وهو قوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ وهذا ما مشى عليه المفسر تبعاً لأكثر علماء المعاني، وقال بعضهم ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ خبر، والرابط محذوف، أي لا نكلف منهم. قوله: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ أي ما يسعها من الأعمال، وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها، وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى. قوله: [اعتراض] وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على ان الجنة مع عظم قدرها، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة. إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره، فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل؟ أجيب بان المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس، وهي في طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل ما كان في طاقة العبد كان فعلاً أو تركاً.

قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ أي خلقناهم في الجنة مطهرين منه، لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نزع، وحكمة نزع الغل من صدور أهل الجنة، أن كل أحد منهم أعطي فوق أمانيه أضعافاً مضاعفة. قوله: [حقد كان بينهم في الدنيا] الحقد هو ضيق الصدر من الغير، وهو أس الحسد، وهو معصية قلبية تجب التوبة منه، ومجاهدة النفس لتخلص منه، ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم. واعلم أن الناس ثلاثة أقسام: قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية، فهم في الدنيا كأهل الجنة في الجنة، يحبون للناس ما يحبونه لانفسهم، وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم، وقسم لم تخلص قلوبهم، غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك، ويلومون أنفسهم على ما في قلوبهم، وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم، ولا يؤاخذون بذلك حينئذ، وقسم لم تخلص قلوبهم، وهم راضون لأنفسهم بذلك، وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصهم من تلك الآفات. قوله: [تحت قصورهم] أي بجانب جدارها، وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار.

قوله: ﴿الذي هدانا﴾ أي أرشدنا ووفقنا. قوله: [العمل الذي هذا جزاؤه] كذا في نسخة، وفي نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه، وفي أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه. قوله: ﴿وما كنالنهتدي﴾ بالواو ودونها قراءتان سبعيتان، والجملة إما مستأنفة أو حالية على كل. قوله: [لدلالة ما قبله عليه] أي وهو قوله: ﴿وما كنا لنهتدي﴾ والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ هذا إقسام من أهل الجنة شكراً لنعم الله وتحدثاً بها، والمعنى أن ما أخبرونا به في الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عياناً. قوله: ﴿ونودوا﴾ يحتمل أن المنادي هو الله ويحتمل أنه الملائكة. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن، وخبرها الجملة بعدها. قوله: [أو مفسرة] أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله: ﴿ونودوا﴾. قوله: [في المواضع الخمسة] أي من هنا إلى قوله: ﴿أفيضوا علينا من الماء﴾. قوله: ﴿تلكم الجنة﴾ اسم الاشارة مبتدأ، والجنة خبر، وقوله: ﴿أورثتموها﴾ حال من الجنة، أو

﴿رَبُّنَا﴾: من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾: من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ ﴿بَيْنَهُمْ﴾: بين الفريقين أسمعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ٤٤ الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ٤٥ وَبَيْنَهُمَا﴾: أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾: حاجز قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾: وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾: استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾: من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾: أي أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ٤٦﴾: في دخولها قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة

الجنة نعت لاسم الاشارة وأورثتموها خبره، وأتى باسم الاشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حدّ ذلك الكتاب.

قوله: ﴿أورثتموها﴾ أي من الكفار لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار تضم لمنزله، فيجتمع له ألف منزل، فلما كان الغالب منها ميراثاً أطلق على جميعها اسم الميراث، وحكمة إطلاق اسم الارث عليها، أن الكفار سماهم الله أمواتاً بقوله: ﴿أموات غير أحياء﴾ والمؤمنين أحياء، ومن المعلوم أن الحي يرث الميت.

قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب عملكم. ان قلت ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته». أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمول على العمل المجرد عنه. قوله: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ إن قلت: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض، فكيف يسمعون النداء؟ أجيب: بأن القيامة خارقة للعادة، فلا مانع من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كل فرد من أفراد أهل الجنة، لكل فرد من أفراد أهل النار لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد. قوله: ﴿ما وعدكم ربكم حقاً﴾ تسميته وعداً مشاكلة، وإلا فالإخبار بالشر إيعاد لا وعد، وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف، وقوله: [من العقاب] بيان لما. قوله: [نادي مناد] قيل هو إسرافيل، وقيل غيره من الملائكة. قوله: [أسمعهم] تفسير لقوله: ﴿بينهم﴾.

قوله: ﴿الذين يصدون﴾ نعت للظالمين. قوله: [معوجة] أي مائلة عن الحق، والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التي شرع لعباده. قوله: [حاجز] أي يمنع وصول كل منهما للآخر. قوله: [استوت حسناتهم وسيئاتهم] هذا قول من ثلاثة عشر قولاً، وقيل أولاد المشركين الذين ماتوا صغاراً، وقيل أناس خرجوا للغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا، وقيل: ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس، وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة. قوله: [كما في الحديث] أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الأعراف، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم ﴿سلام عليكم﴾ سلام عليكم، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا: ﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ فهناك يقول الله تعالى ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ فكان الطمع دخولاً.

قوله: ﴿ونادوا﴾ أي أصحاب الأعراف. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله: ﴿عليكم﴾

يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال: بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: أي أصحاب الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾: جهة ﴿أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾: في النار ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ٤٧ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾: من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾: من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾: المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٨: أي واستكباركم عن الإيمان ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين ﴿أَهَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: قد قيل لهم ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ٤٩: وقرئ أدخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة

قوله: ﴿لم يدخلوها﴾ كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلاً قال: وما صنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها. قوله: [إذ طلع عليهم ربك] أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه. قوله: [فقال قوموا ادخلوا الجنة] أي فينطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة، حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ، ترابه المسك فيلقوا فيه، فتصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة.

قوله: ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ عبر بالصرف دون النظر، إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود، لأن رؤية العذاب وأهله تسيء للناظرين، بخلاف النظر للنعيم وأهله، ففيه مسرة للناظرين، فلذا لم يعبر في جانبه بالصرف بل قيل: ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾. قوله: ﴿تلقاء﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان، وهي ظرف مكان بمعنى جهة، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجيء من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال، وبعضهم الحق التكرار بذلك. قوله: [في النار] أي لا ابتداء مع العصاة، ولا دواماً مع الكفار. قوله: ﴿رجالاً﴾ أي كانوا عظماء في الدنيا، كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وأضرابهم. قوله: ﴿بسيماهم﴾ أي علامتهم، وتقدم أنها سواد الوجه للكفار.

قوله: ﴿ما يغني عنكم﴾ يحتمل أن ما استفهامية، أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم، ويحتمل أنها نافية، أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئاً من عذاب الله. قوله: [المال] أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله، ومفعوله محذوف قدره بقوله المال، وقوله: [أو كثرتكم] إشارة لتفسير ثان لجمعكم، فيكون معناه جماعتكم. قوله: [أي واستكباركم] سبك المصدر بما بعد كان جرياً على قول من يقول إن كان تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط، ولو مشى على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين، وإنما حمل المفسر على ذلك الاختصار. قوله: [مشيرين] أي أهل الأعراف. قوله: [إلى ضعفاء المسلمين] أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا، وكان المشركون يسخرون بهم، كصهيب وبلال وسلمان وخباب ونحوهم.

قوله: ﴿أهؤلاء﴾ استفهام تقرير وتوبيخ. قوله: ﴿أقسمتم﴾ أي باللات والعزى، وقوله: ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ هذا هو المقسم عليه، ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة، وأهل النار، وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة، وهذا لمزيد الحسرة لهم، فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الأعراف. قوله: [قد قيل لهم] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿ادخلوا الجنة﴾ مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبراً ثانياً لأن الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبراً إلا إذا أولت بخبر. قوله: [وقرىء ادخلوا الخ] هاتان شاذتان على عادته، حيث يعبر عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول، لأن الجملة خبرية. قوله: [جملة

النفي حال أي مقولاً لهم ذلك ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ : من الطعام ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ : منعهما ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ٥٠ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ : نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ : بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ٥١ : أي وكما جحدوا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ : أي أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ : قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ : بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ : حال أي عالمين بما فصل فيه ﴿هُدًى﴾ : حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ : به ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ : ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ : عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ : هو يوم القيامة

النفي] أي جنسها الصادق بالجملتين وهما ﴿لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾. قوله: [حال] أي معمول لحال محذوفة، ففي كلامه تسمح، وهذا على القراءتين الشاذتين، وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك.

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأذن لهم، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول: قد احترقت أفض علي من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن الله حرمهما على الكافرين. قوله: [من الطعام] أي الشامل للمشروب والمأكول، وحينئذ فيضمن ﴿أفيضوا﴾ معنى ألقوا، نظير علفتها تبناً وماءً بارداً، و﴿أو﴾ بمعنى الواو بدليل قوله: ﴿حرمهما﴾ وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفرداً. قوله: [منعهما] أي فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكليف بالموت، ويعلم من هذا أنه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم، ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب.

قوله: ﴿الذين اتخذوا﴾ هذا وصف للكافرين. قوله: ﴿لهواً ولعباً﴾ اللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به. قوله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش. قوله: ﴿فاليوم ننساهم﴾ ليس من كلام أهل الجنة، وإنما هو قول الرب جل جلاله، فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: فإذا كان حال الكافرين فاليوم ننساهم. قوله: [نتركهم في النار] أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل في لازمه وهو الترك، لأن حقيقته مستحيلة على الله، فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار.

قوله: ﴿كما نسوا﴾ الكاف تعليلية، وما مصدرية، أي لأجل نسيانهم. قوله: [بتركهم العمل له] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا. قوله: [أي وكما جحدوا] أشار بذلك إلى أن ما معطوف على الأولى مسلط عليه كاف التعليل، والمعنى نتركهم في النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا. قوله: ﴿فصلناه﴾ القراءة السبعية بالصاد، وقرئ شذوذاً بالضاد المعجمة، أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية. قوله [بالأخبار والوعد] أي وكذا بقية الأنواع التسعة التي جمعها بعضهم في قوله:

حلال حرام محكم متشابه ... بشير نذير قصة عظة مثل

قوله: [حال] أي من الفاعل، ويصح كونه حالاً من المفعول، والمعنى فصلناه حال كونه مشتملاً على علم. قوله: [حال من الهاء] أي أو من كتاب، وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف. قوله: ﴿هل ينظرون﴾ أي أهل مكة. قوله:

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾: هل ﴿نُرَدُّ﴾: إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: نوحّد الله ونترك الشرك فيقال لهم: لا قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ﴾: أي صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٥٣: من دعوى الشريك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثمّ شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: هو في اللغة سرير الملك استواء

[عاقبة ما فيه] أي فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول إليه وعيد القرآن لهم. قوله: ﴿الذين نسوه﴾ أي التأويل. قوله: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أي تبين صدقهم فيما جاؤوا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب. قوله: ﴿فيشفعوا﴾ منصوب بأن مضمرة في جواب الاستفهام، فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح. قوله: ﴿أو﴾ [هل] ﴿نرد﴾ أشار بذلك أن جملة ﴿نرد﴾ معطوفة على التي قبلها، والاستفهام مسلط عليها. قوله: ﴿فنعمل﴾ منصوب بأن مضمرة، جواب الاستفهام الثاني، والمعنى نطلب أحد أمرين: إما الشفاعة لنا فيما سبق منا، أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها. قوله: [من دعوى الشريك] أي من دعوى نفع الشريك لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم.

قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ أي لا غيره. قوله: ﴿في ستة أيام﴾ أي أولها الأحد، وآخرها الجمعة، كما ورد أنه ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وأنه خلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، والسماوات في يومين: الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزرع في: الثلاثاء والأربعاء، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس إن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية ألقى الله الآلفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس، والجواب بأن المراد في قدرها لا يجدي نفعاً إلا أن يقال: إن ذلك التقدير في علم الله، بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك، ثم اعلم أن ما هنا من الأحاديث موافق لما يأتي في سورة فصلت، من أن خلق الأرض مقدم على السماء، ولا تنافي بينه وبين ما يأتي في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ المقتضي تقديم السماء على الأرض، لأن الدحي غير الخلق، فإن الأرض خلقت أولاً كرة، ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض. قوله: [أي في قدرها] جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله: [لأنه لم يكن ثم شمس].

قوله: [التثبت] أي التمهل في الأمور وعدم العجلة. قوله: [هو في اللغة سرير الملك] أي وتسميته عرشاً إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم، وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها. قوله: [استواء يليق به] هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى، وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع، وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف، فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب، وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

يَليق به ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: مخففاً ومشدداً أي يغطي كلّاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثاً﴾: سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾: بالنصب عطفاً على السمٰوات والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾: مذللات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾: جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: كله ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾: مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٥٤ ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً﴾: حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾: سراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥: في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: يبعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفاً﴾: من عقابه ﴿وَطَمَعاً﴾: في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٦: المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

قوله: [مخففاً ومشدداً] أي فهما قراءتان سبعيتان، وعليهما فالليل فاعل والنهار مفعول لفظاً ومعنى، ووجب تقديم ما هو فاعل معنى لئلا يلتبس، نحو أعطيت زيداً عمراً. قوله: [أي يغطي كلاً منهما بالآخر] يشير إلى أن في الآية حذفاً تقديره ويغشي النهار الليل، ويؤيده آية ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾. قوله: ﴿يطلبه حثيثاً﴾ أي ليس بينهما فاصل، والحث والحض بمعنى واحد، وهو الطلب بسرعة، وحثيثاً نعت مصدر محذوف، أي طلباً حثيثاً. قوله: [بالنصب عطفاً على السماوات] أي ونصب ﴿مسخرات﴾ على الحال من ﴿الشمس والقمر والنجوم﴾. قوله: [والرفع] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [مذللات] أي مسيرات، فحيث سيرها سارت، وفي هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب في العالم السفلي، فهي أسباب عادية توجد الأشياء عندها لا بها.

قوله: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ألا للاستفتاح يؤتى بها مبدأ الكلام البليغ الذي يقصد به الرد على المنكر، والمراد بالخلق الإيجاد، وبالأمر التصرف، فهو منفرد بالإيجاد والتصرف فلا شريك له فيهما، وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له، وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبداً، وإنما العبيد مظاهر التصريف، فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الضر على يديه، كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومن أهانه أجرى الشرور على يده.

قوله: ﴿تبارك﴾ فعل ماض جامد لا يتصرف، ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث. قوله: ﴿ادعوا ربكم﴾ أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى، أي فحيث علمتم أن الله هو المتصرف في خلقه إيجاداً وإعداماً وإعطاء ومنعاً، فوجهوا إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط: التضرع والخفية والخوف والطمع. قوله: [حال] أي من الفاعل في ﴿ادعوا﴾ أي ادعوا حال كونكم متضرعين متذللين، لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للإجابة أقرب. قوله: [سراً] أي بإسماع نفسه لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة، فلا يكفي مرور الدعاء على قلبه. واعلم أن الإنسان إذا كان وحده، فالسر أفضل له إن كان ينشط في ذلك إلا فالجهر أفضل له كالجماعة. قوله: [بالتشدق] هو كثرة الكلام من غير حضور في القلب فهو راجع لقوله: ﴿تضرعاً﴾ وقوله: [ورفع الصوت] هو راجع لقوله: ﴿وخفية﴾. قوله: ﴿خوفاً﴾ الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع في المستقبل.

قوله: ﴿وطمعاً﴾ الطمع توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل، ومنه رجاء الإجابة، ففي الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الحديث أيضاً «ما من عبد يرفع يديه ويقول يا رب إلا ويستحي الله أن يردهما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغي للداعي الخوف والرجاء، فيجعلهما كجناحي الطائر، إن مال أحدهما سقط. قوله: [المطيعين] أي ولو بالتوبة، فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر، فيكون أقرب للإجابة.

رحمة لإضافتها إلى الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدراً وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشراً ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾: بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾: أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾: الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: من قبورهم بالأحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾٥٧: فتؤمنون ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾: حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾: ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾: نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾: عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر

قوله: [وتذكير قريب] جواب عما يقال إن ﴿قريب﴾ في الأصل وصف في المعنى لرحمة وهي مؤنثة، فكان حقه التأنيث. فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه، وهو لفظ الجلالة، أو يقال ﴿إن رحمة﴾ مجازي التأنيث فيوصف بالمذكر، أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى.

قوله: ﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ معطوف على قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ الآية، والرياح جمع ريح، وهي أربعة: الصبا والدبور والجنوب والشمال، فالصبا تثير السحاب وهي من مطلع الشمس، والشمال تجمعه وهي من تحت القطب، والجنوب تدره وهي من جهة القبلة، والدبور تفرقه وهي من مغرب الشمس، وفي رواية الرياح ثمانية: أربعة عذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وأربعة رحمة: الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات. قوله: [متفرقة] هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد، بل بعض المفسرين قال: إن معنى نشراً منتشرة متسعة أو ناشرة للسحاب. قوله: [قدام المطر] في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم وله مبشرات، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه، وهو قوله: ﴿بين يدي﴾ فإثباته تخييل. قوله: [تخفيفاً] أي بحذف ضمة الشين، وهي سبعية أيضاً كاللتين بعدها. قوله: [بسكونها وفتح النون] أي وإفراد الريح. قوله: [نشراً] أي إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، أي ناشرة للسحاب أو منشورة. قوله: [ومفرد الأولى] أي ضم الشين ومثلها سكونها، فمفرد الاثنين واحد.

قوله: ﴿حتى إذا أقلت﴾ غاية لإرسال الرياح. قوله: ﴿سحابا﴾ هو ثمر شجرة في الجنة. قوله: [بالمطر] متعلق بثقالاً والباء للسببية. قوله: [عن الغيبة] أي إلى التكلم إذ كان مقتضى الظاهر فساقه. قوله: [لا نبات به] أي فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها. قوله: [بالبلد] أشار بذلك إلى أن الضمير في [به] عائد على البلد، والباء بمعنى في، وقوله: [بالماء] يشير إلى أن الضمير عائد على الماء، والباء سببية، ويصح عوده على البلد، وتكون الباء بمعنى في. قوله: ﴿كذلك﴾ [الإخراج] أي فالتشبيه مطلق الإخراج من العدم، فمن كان قادراً على إخراج الثمار من الأرض، سيما أرض الجبال التي شأنها عدم إنبات شيء من الثمار، قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهو رد على منكري البعث.

قوله: ﴿والبلد﴾ أي الأرض. قوله: [حسناً] أخذه من قوله: ﴿لا يخرج إلا نكداً﴾. قوله: ﴿بإذن ربه﴾ أي بإرادته ولم يذكر ذلك في المقابل وإن كان بإذنه أيضاً تعليماً لعباده الأدب، حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وإن كان منه أيضاً لما ورد: إن الله جميل يحب الجمال، ولقوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل وبيدك الشر، فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد، ولا سبحان من دبب الشوك. قوله: [هذا مثل للمؤمن] أي ولعمله، فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة، ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء، فكما أن الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبتت طيباً، كذلك المواعظ

﴿كَذَلِكَ﴾: كما بيّنا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾: نبيّن ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ٥٨: الله فيؤمنون ﴿لَقَدْ﴾: جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ٥٩: هو يوم القيامة ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾: الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٦٠: بيّن ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾: هي أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦١ ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ﴾: أريد الخير

والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة. قوله: ﴿إلا نكداً﴾ أي إلا نباتاً نكد عديم النفع، ونصب نكداً على الحال، أو نعت مصدر محذوف، أي إلا خروجاً نكداً وهو من باب تعب.

قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبي ﷺ وتركت الواو هنا، وذكرت في سورة هود والمؤمنون، لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي، ونوح اسمه عبد الغفار بن ملك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح، وقيل على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، ومكث في قومه تسعمائة وخمسين، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين، فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون، بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين، وكان نجاراً، وصنع السفينة في عامين، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه، حيث دعا على قومه فهلكوا، وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان، وقيل لأنه مر على كلب مجذوم فقال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب. وقدّم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب. قوله: [جواب قسم محذوف] إنما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين ومما يجب التأكيد فيه. قوله: ﴿إلى قومه﴾ القوم في الأصل: قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد، ويطلق القوم مجازاً على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم، وإن لم يكونوا أقارب له. قوله: ﴿اعبدوا الله﴾ أي وحدوه. قوله: ﴿ما لك من إله غيره﴾ استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة. قوله: [صفة لإله] أي مراعاة للفظه. قوله: [بدل من محله] أي لأن محله رفع بالابتداء ومن زائدة.

قوله: ﴿إني أخاف﴾ علة ثانية للأمر بالعبادة، والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره، ولأني أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك، إما عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة. قوله: ﴿قال الملأ﴾ بالهمز والقصر، سموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم، والقلوب بهيبتهم، والعيون بأبهتهم. قوله: ﴿من قومه﴾ لم يقل الذين كفروا مثل ما قيل في قوم هود، لأن ذلك كان في مبدأ رسالته ولم يكن ثم مؤمن، هكذا قيل، والأحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتي في الآية الأخرى. قوله: ﴿في ضلال مبين﴾ أي حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين في سورة نوح في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ الآية. قوله: [هي أعم من الضلال] أي لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه، والضلالة هي الخروج عن الحق ولو بوجه. قوله: [فنفيها أبلغ] أي لأنها نكرة في سياق النفي فتعم.

قوله: ﴿ولكني رسول﴾ قد وقع الاستدراك أحسن موقع، لكونه وقع بين ضدين: نفي الضلالة المتوهم ثبوتها، وثبوت الرسالة المتوهم نفيها. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿رسالات ربي﴾ الجمع باعتبار تعدد الأزمنة، والمراد بالرسالات المرسل بها التي هي الأحكام. قوله:

﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾٦٢ أ﴿كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾: موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ﴾: لسان ﴿رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾٦٣: بها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: من الغرق ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾٦٤: عن الحق ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾: الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ: يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾: وحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾٦٥: تخافونه فتؤمنون ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾: جهالة

﴿وانصح لكم﴾ النصح يتعدى بنفسه باللام، وهو إرادة الخير للغير كما يريده لنفسه. قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي من الأحكام التي تأتيه عن الله أو من العذاب الذي يحل بهم إن لم يؤمنوا. قوله: [كذبتم] أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: [موعظة] أي تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا. قوله: ﴿لينذركم﴾ علة للمجيء، وقوله: ﴿ولتتقوا﴾ مرتب على الأنذار، وقوله: ﴿ولعلكم ترحمون﴾ مرتب على التقوى، فهذا الترتيب في أحسن البلاغة، وعبر في جانب الرحمة بالترجي، إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل، بل بفضل الله. قوله: [العذاب] قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف. قوله: ﴿ولتتقوا﴾ [الله] قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضاً.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي استمروا على تكذيبه. قوله: ﴿والذين معه﴾ قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة: أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك، وستة من غيرهم. قوله: ﴿في الفلك﴾ يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث. ووزن المفرد قفل والجمع أسد. قوله: [السفينة] وكان طولها ثلثمائة ذراع، وسمكها ثلاثين ذراعاً وعرضها خمسين، وطبقاتها ثلاث: السفلى للوحوش والدواب، والوسطى للانس، والعليا للطيور، وركبها في عاشر رجب، واستوت على الجودي في عاشر المحرم. قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي الدالة على التوحيد، وهي معجزات نوح. قوله: ﴿عمين﴾ أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفاً، وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة، وأما عميان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر.

قوله: ﴿وإلى عاد﴾ جرت عادة الله في كتابه، أنه إذا كان للمرسل إليهم اسم ذكرهم به، وإلا عبر بقوله قومه، وقدر المفسر [أرسلنا] إشارة إلى أن ﴿أخاهم﴾ معطوف على نوحاً، والعامل فيه [أرسلنا] المتقدم، والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه، فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة، وهكذا يقال في باقي القصص. قوله: [الأولى] يحترز به عن عاد الثانية فإنها قوم صالح. قوله: ﴿أخاهم هودا﴾ سمى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم في جد، لأن عاداً ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسميت القبيلة باسم جدهم، وهود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقيل ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فعلى الأول قد اجتمع معهم في عاد، وعلى الثاني لا، وإنما اجتمع معهم في سام، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة، وبين القبيلتين مائة سنة، وعاش أربعمائة وأربع وستين سنة، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسماً للحي، ومنعه باعتبار كونه اسماً للقبيلة، وهذا من حيث العربية، وأما في القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ أتى في قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعاً في دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى في سورة نوح، قال تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ بخلاف هود. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ أي لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه. قوله: ﴿أفلا تتقون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾ ٦٦ : في رسالتك ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ٦٧
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ٦٨ : مأمون علي الرسالة ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ :
لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ : في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ
بَسْطَةً﴾ : قوة وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَٱذْكُرُوا آلَاءَ ٱللَّهِ﴾ : نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٦٩ :
تفوزون ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾ : نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ : به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ
مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ ٧٠ : في قولك ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ : وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ : عذاب ﴿وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي
فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ : أي سميتم بها ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ : أصناماً تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ : أي بعبادتها ﴿مِنْ
سُلْطَانٍ﴾ : حجة وبرهان ﴿فَٱنْتَظِرُوا﴾ : العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ﴾ ٧١ : ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت
عليهم الريح العقيم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ : أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُ﴾ : من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ : القوم

اتركتم التفكر في مصنوعات الله أفلا تتقون. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ صفة للملأ كاشفة، لأن هذه المقالة لا تقع من مؤمن، ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا. قوله: ﴿إنا لنراك﴾ رأى هنا علمية، فمفعولها الأول الكاف، والثاني متعلق بالجار والمجرور. قوله: ﴿في سفاهة﴾ الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة، وقوم نوح بالضلال، أن نوحاً لما خوف قومه بالطوفان، وجعل يصنع الفلك، نسبوه للضلال، حيث أتعب نفسه في عمل سفينة في أرض لا ماء بها ولا طين، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام التي سموها صموداً وصمداً وهبا ونسب من يعبدها للسفه، خاطبوه بمثل ما خاطبهم به.

قوله: ﴿ولكني رسول﴾ تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لكنه وقع بين ضدين. قوله: ﴿أبلغكم﴾ بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وأنا لكم ناصح﴾ الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية، ونوح بالجملة الفعلية، أن هوداً كان نصوحاً مع التراخي، ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية، ونوح كان مكرراً للنصح، وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لأن الفعل للتجدد. قوله: [مأمون على الرسالة] أي فلا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿أوعجبتم﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتموني وعجبتم. قوله: ﴿ذكر﴾ أي موعظة تخوفكم من عذاب الله. قوله: ﴿إذ جعلكم خلفاء﴾ إذ ظرف مفعول لاذكروا، أي اذكروا وقت جعلكم، والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها. قوله: ﴿بسطة﴾ بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: [قوة وطولاً] أي ومالاً. قوله: [مائة ذراع الخ] الذي قاله المحلى في سورة الفجر: إن طويلهم كان اربعمائة ذراع بذراع نفسه، وفي رواية خمسمائة ذراع، وقصيرهم ثلثمائة ذراع، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع. قوله: ﴿آلاء الله﴾ جمع إلى بكسر الهمزة وضمها، كحمل وقفل، أو بكسر ففتح كضلع، أو بفتحتين كقفا. قوله: [تفوزون] أي برضا الله وزيادة النعم، لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها.

قوله: ﴿قالوا أجئتنا﴾ أي جواباً بالنصحة لهم. قوله: [وجب] أي حق وثبت، والتعبير بالماضي إشارة إلى أنه واقع لا محالة. قوله: ﴿وغضب﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿في أسماء﴾ أي مسميات. قوله: [أصناما] قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثاني. قوله: [فأرسلت عليهم الريح العقيم] وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها، وكانت وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال، وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية ايام، فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم، بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته، وفي رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم، فلما دنت منهم نظروا إلى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوها تبادروا إلى

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ٧٢: عطف على كذبوا ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾: بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ: يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾: معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: على صدقي ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾: حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عيّنوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٣: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾: في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾: أسكنكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً﴾:

البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب، فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيراً أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر. قوله: ﴿والذين معه﴾ أي وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم، وسبب نجاتهم أنهم دخلوا في حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به، ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا. قوله: [أي استأصلناهم] أي لم نبق منهم أحداً. قوله: [عطف على كذبوا] أي وفائدته وإن علم منه الاشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم، وانهم لو بقوا ما آمنوا، أي فلا تحزن عليهم أيها السامع.

قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ تقدم أنه معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام بن نوح، قوله: [بترك الصرف] أي للعلمية والتأنيث. ولو أريد به الحي لصرف.

قوله: ﴿أخاهم﴾ أي في النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم، وكان بين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله: ﴿صالحاً﴾ بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ علة لقوله: ﴿اعبدوا الله﴾. قوله: ﴿قد جاءتكم﴾ علة لمحذوف، والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لأنه قد جاءتكم بينة على صدقي. قوله: ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ كلام مستأنف بيان للمعجزة، والإضافة للتشريف واسم الاشارة مبتدأ و﴿ناقة الله﴾ خبر ومضاف اليه ﴿ولكم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿آية﴾ لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان و﴿آية﴾ حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير، وقد أشار له المفسر بقوله: [حال عاملها معنى الاشارة] وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم، كما قال تعالى في سورة هود ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ الآيات. قوله: [من صخرة عينوها] وكان يقال لها الكاتبة، وكانت منفردة في ناحية الجبل، فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت، وتكون عشراء جوفاء وبراء، أي ذات جوف واسع ووبر صوفي، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى، فعند خروجها ولدت ولداً مثلها في العظم، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها.

قوله: ﴿فذروها تأكل﴾ مرتب على كونها آية من آيات الله. قوله: ﴿تأكل من أرض الله﴾ أي وتشرب. قوله: ﴿فيأخذكم﴾ بالنصب في جواب النهي، والتعقيب ظاهر، لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام، رأوا فيها أمارات العذاب، كما يأتي في سورة هود. قوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي مؤلم. قوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ تذكير لهم بنعم الله التي أنعمها عليهم. قوله: [في الأرض] قدره المفسر إشارة إلى أن في الآية الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي أرض الحجر بكسر الحاء، مكان بين الحجاز والشام. قوله: ﴿تتخذون﴾ أي تعملون وتصنعون، واتخذ يصح أن يكون متعديا لواحد، فمن سهولها متعلق باتخذ، أو لاثنين فمن سهولها متعلق

تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: مِنَ ﴿ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَٱذْكُرُوا آلَاءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٧٤ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾: تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾: أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِن رَبِّهِ﴾: إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِٱلَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ ٧٦: وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا ٱلنَّاقَةَ﴾: عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا

بمحذوف مفعول ثانٍ. قوله: ﴿من سهولها﴾ جمع سهل وهو المكان المتسع الذي لا جبل به، ومن بمعنى في، أي تصنعون في الأرض السهلة القصور، ويصح أن تكون من للابتداء، أي تتخذون من السهول، أي الأراضي اللينة القصور، أي طوبها وطينها، والأقرب الأول، وسميت القصور بذلك لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها.

قوله: ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخافض أي من ﴿الجبال﴾ و﴿بيوتا﴾ مفعول ﴿تنحتون﴾، ويصح أن يكون ﴿الجبال﴾ مفعولاً به، و﴿بيوتا﴾ حال مقدرة كما قال المفسر، لأن الجبال لا تصير بيوتاً إلا بعد نحتها، وهو وإن كان جامداً، إلا أنه مؤول بالمشتق أي مساكن. قوله: ﴿مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها لأن العثو هو الفساد. قوله: [تكبروا] أشار بذلك إلى أن السين زائدة. قوله: [عن الإيمان به] أي بصالح. قوله: [بدل مما قبله بإعادة الجار] أي بدل كل من كل، إن كان الضمير في ﴿منهم﴾ عائداً على القوم، ويكون جميع المستضعفين آمنوا، وبدل بعض من كل، إن كان الضمير عائداً على المستضعفين، ويكون بعض المستضعفين آمنوا، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: ﴿أتعلمون﴾ مفعول قول المستكبرين. قوله: ﴿قالوا﴾ [نعم] قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب، وإنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار إيمانهم، وتنبيها على أن رسالته واضحة لا تخفى، فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم.

قوله: ﴿قال الذين استكبروا﴾ إظهار في محل الاضمار تبكيتاً لهم. قوله: ﴿إنا بالذي آمنتم﴾ لم يقولوا إنا بما أرسل به، إظهاراً لمخالفتهم إياهم تعنتاً وعناداً. قوله: [وكانت الناقة لها يوم في الماء] أي فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر، فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج، فيحلبون ما شاؤوا حتى يملأوا أوانيهم فيشربون ويدخرون.

قوله: ﴿فعقروا الناقة﴾ أي في يوم الأربعاء، فقال لهم صالح: تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون في يوم الجمعة ووجوهكم محمرة، ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة. فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم، فأيقنوا العذاب، ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم، ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى، فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض، فلما اشتد الضحى، أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت في ذلك الوقت كل شيء له صوت مما في الأرض، ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعاً، وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هارباً، فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها وانطبقت عليه، قال بعض المفسرين: إنه الدابة التي تخرج قرب القيامة، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه. قوله: [عقرها قدار] أي ابن سالف، وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيراً، وكان ابن زانية، ولم يكن لسالف، وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث. قوله: [بأن قتلها بالسيف] أي فالمراد بالعقر النحر، ففيه إطلاق السبب على المسبب، لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر.

﴿يَا صَالِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ٧٧ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٧٨: باركين على الركب ميتين ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ: يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ ٱلنَّاصِحِينَ﴾ ٧٩ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿لُوطًا﴾: ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ﴾: أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ٨٠: الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ ٨١: متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ

قوله: ﴿وقالوا يا صالح﴾ أي على سبيل التهكم والاستهزاء. قوله: ﴿بما تعدنا﴾ [به] قدره إشارة إلى أن العائد محذوف، وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب، بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما. قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي بعد مضي ثلاثة أيام، والتعقيب ظاهر، لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك. قوله: [والصيحة من السماء] أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء، لأن عذابهم كان بهما معاً. قوله: ﴿في دارهم﴾ أي أرضهم، والمراد بهم الجنس.

قوله: ﴿فتولى عنهم﴾ أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخاً، كما خاطب النبي ﷺ الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب، فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ فقال ﷺ: ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون، وقيل: خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم، عليه: يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره: فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. قوله: ﴿و﴾ [اذكر] خطاب لسيدنا محمد ﷺ، وقدره ولم يقدر أرسلنا، مع أنه يكون موافقاً لما قبله وما بعده لأنه يوهم أن وقت الإرسال قال لقومه ما ذكر، مع أنه ليس كذلك، بل أمرهم أولاً بالتوحيد، ثم بين لهم فروع شريعته، ولوط ابن هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان إبراهيم ولوط ببابل بالعراق، فهاجرا إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام، فأرسله الله إلى أهل سذوم، بالذال المعجمة على وزن رسول، وهي بلد بحمص.

قوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش، ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي من شاهق جبل، وعند مالك الرجم مطلقاً فاعلاً أو مفعولاً أحصنا أو لم يحصنا. قوله: ﴿ما سبقكم﴾ الخ تأكيد للإنكار عليهم، لأن مباشرة القبح قبيحة، واختراعه أقبح. قوله: [الإنس والجن] أي وجميع البهائم، بل هذه الفعلة لم توجد في أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية، وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ وهو فاحشة عظيمة أيضاً. قوله: [بتحقيق الهمزتين] حاصل ما أفاده المفسر أن القراءات أربع: تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها، ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية، وإنما هي لهشام، وبقي قراءة سبعية أيضاً وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيان لتلك الفاحشة، وهي لنافع وحفص عن عاصم، فتحصل أن القراءات خمس، أربع سبعية وواحدة غير سبعية.

قوله: ﴿شهوة﴾ أي لأجل الشهوة. قوله: ﴿من دون النساء﴾ إما حال من ﴿الرجال﴾ أو من الواو في تأتون، وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الإنسان، وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران

قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ٨٢: من أدبار الرجال ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾ ٨٣: الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ٨٤ و: أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: على صدقي ﴿فَأَوْفُوا﴾: أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾: تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: ببعث

الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة والنسل، فإذا تركهن الإنسان، فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الشيء في غير محله، لأن الأدبار ليست محلاً للولادة التي هي المقصودة بالذات.

قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ القراءة على نصب جواب خبراً لكان، واسمها أن وما دخلت عليه، وقرأ الحسن بالرفع اسم كان، وأن وما دخلت عليه خبرها، وما مشى عليه الجماعة أفصح عربية، لأن الأعرف وقع اسماً، والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء في النمل والعنكبوت، لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبي، والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة، فلا ينافي أنهم زادوا في الجواب من الكلام القبيح. قوله: ﴿من قريتكم﴾ أي سذوم. قوله: ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ قالوا ذلك استهزاء.

قوله: ﴿فأنجيناه وأهله﴾ أي ابنتيه، لأنه لم ينج من العذاب إلا هو وابنتاه لإيمانهما به، فخرج لوط من أرضه، وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم، وسيأتي تمام القصة في سورة هود، وإنما ذكرت هنا اختصاراً. قوله: [الباقين في العذاب] أي لأن الغبر من باب قعد، يستعمل بمعنى البقاء في الزمان المستقبل، وبمعنى المكث في الزمان الماضي، والمراد الأول. قوله: ﴿وأمطرنا﴾ يقال غالباً في الرحمة مطر، وفي العذاب أمطر، وعلى كل هو متعد ينصب المفعول. قوله: [هو حجارة السجيل] أي وكانت معجونة بالكبريت والنار، وهلكوا أيضاً بالخسف، قال تعالى: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها﴾، ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء، وكانت خمسة، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطر عليهم الحجارة متتابعة في النزول عليها اسم كل من يرمي بها، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافراً منهم، والخسف لمن كان في المدائن.

قوله: ﴿فانظر﴾ الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل، ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم. قوله: ﴿وإلى مدين﴾ معطوف على قوله: ﴿لقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب، واسم لقريته أيضاً، بينها وبين مصر ثمانية مراحل، سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، فشعيب أخوهم في النسب، وليس من أنبياء بني إسرائيل، وقوله: ﴿شعيبا﴾ بدل من أخاهم، أو عطف بيان عليه، وأرسل شعيب أيضاً إلى أصحاب الأيكة، وهي شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين، قال تعالى: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾. قوله: [معجزة] لم تذكر تلك المعجزة في القرآن، وقيل المراد بها نفسه، بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها، وقيل المراد بها قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ الخ، بمعنى ما يترتب عليها من العز للمطيع، والذل والعقاب للمخالف.

قوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أي وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان. قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ هذا لازم لقوله: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن، وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه، فقد نقص الغير من الثمن. قوله: ﴿بعد إصلاحها﴾ ورد أنه قبل بعث

الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٨٥: مريدي الإيمان فبادروا إليه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾: تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾: بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾: تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾: معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ٨٦: قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾: به ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾: وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ ٨٧: أعدلهم ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ﴾ أ نعود فيها ﴿أَوَلَوْ

شعيب لهم، كانوا يفعلون المعاصي، ويستحلون المحارم، ويسفكون الدماء، فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض، وهكذا كل نبي بعث إلى قومه. قوله: [مريدي الإيمان] جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك. قوله: [فبادروا إليه] جواب الشرط، وما قبله دليل الجواب. قوله: ﴿بكل صراط﴾ أي محسوس بدليل ما بعده. قوله: [تخافون الناس] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿توعدون﴾ محذوف. قوله: [بأخذ ثيابهم] ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق، ويقولون لمن يريد شعيباً: إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك، فإن آمنت به قتلناك.

قوله: ﴿من آمن﴾ هذا مفعول ﴿تصدون﴾. قوله: [تطلبون الطريق] أي المعبر عنه بالسبيل، وهو الطريق المعنوي الذي هو الدين، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج.

قوله: ﴿واذكروا إذ كنتم﴾ ﴿إذ﴾ ظرف معمول لقوله: ﴿اذكروا﴾ أي اذكروا وقت كونكم قليلاً إلخ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة. قوله: ﴿قليلاً﴾ أي في العدة والعدد والضعف، وقوله: ﴿فكثركم﴾ أي فزاد عددكم وقوتكم، فكانوا أغنياء أقوياء ذوي عدد كثير بوجود شعيب بينهم، ولذا لما فر موسى هارباً من فرعون، نزل عند شعيب فطمأنه وأمن روعه، قال تعالى حكاية عن شعيب ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾. قوله: ﴿عاقبة المفسدين﴾ أي وأقربهم إليكم قوم لوط، فانظروا ما نزل بهم. قوله: ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ في الكلام الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذي أرسلت به.

قوله: ﴿فاصبروا﴾ يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه، وأن يكون للكافرين منهم، وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر، فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة، والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾. قوله: [وبينكم] لا حاجة له، لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم، والمعنى حتى يقضي الله بين الفريقين المؤمنين والكفار. قوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة، وغيره حاكم مجازاً، ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة، خير ممن كان له الحكم مجازاً.

قوله: ﴿قال الملأ﴾ أي جواباً لما قاله لهم. قوله: ﴿يا شعيب﴾ إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه زيادة في القباحة والشناعة منهم. قوله: [وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد إلخ] جواب عما يقال: إن شعيباً لم يسبق له الدخول في ملتهم، وإنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع، وقال بعضهم إن عاد تأتي بمعنى صار، وعلى هذا فلا إشكال ولا جواب. قوله: [وعلى نحوه] أي التغليب. قوله: ﴿أ﴾ [نعود فيها] أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف.

كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ ٨٨: لها استفهام إنكار ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾: ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾: احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ ٨٩: الحاكمين ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ٩٠ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ ٩١: باركين على الركب ميتين ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾: مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾: مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يقيموا ﴿فِيهَا﴾: في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٩٢: التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ ٩٣: استفهام بمعنى النفي ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾: فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾: عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ٩٤: يتذللون فيؤمنون ﴿ثُمَّ

قوله: ﴿ولو كنا كارهين﴾ الهمزة لإنكار الوقوع، وكلمة ﴿لو﴾ في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء شيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه، بل هي لمجرد الربط والمبالغة في انتفاء العود، والمعنى لا تطمعوا في عودنا مختارين ولا مكرهين فتأمل. قوله: ﴿إن عدنا في ملتكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه. قوله: ﴿وما يكون لنا﴾ أي لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال، إلا في حال مشيئة الله لنا. قوله: ﴿إلا أن يشاء الله ربنا﴾ يصح أن يكون متصلاً، والمستثنى منه عموم الأحوال أو منقطعاً، وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه، وقد جازاهم الله بأن كفاهم شر أعدائهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قوله: [أي وسع علمه] أشار بذلك إلى أن ﴿علما﴾ تمييز محول عن الفاعل. قوله: ﴿وبين قومنا﴾ أي الكفار، وإنما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعاً لما ظهر له من شدة عنادهم وتعنتهم في كفرهم.

قوله: ﴿وقال الملأ الذين كفروا﴾ الخ إنما قال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفاً على بعضهم من الميل لشعيب، حيث توعدوه بما تقدم، فلم يبال بهم. قوله: ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ أي في الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف، وجملة ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ ذكر هنا وفي العنكبوت الرجفة، وذكر في سورة هود ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ أي صيحة جبريل عليهم من السماء، وجمع بينهما بأن الرجفة في المبدأ، والصيحة في الاثناء فتأمل، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة، كما سيأتي في سورة الشعراء. قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأنهم لم يلبثوا في ديارهم أصلاً لأنهم استؤصلوا بالمرة. قوله: [وغيره] أي وهو ضمير الفصل.

قوله: ﴿وقال يا قوم﴾ ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم أو قبله في قصة صالح يجري هنا. قوله: ﴿فكيف آسي﴾ أصله أأسى بهمزتين، قلبت الثانية ألفاً. قوله: ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص، وإنما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم. قوله: [فكذبوه] قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله: ﴿إلا أخذنا أهلها﴾ لا يترتب على الإرسال، وإنما يترتب على التكذيب. قوله: ﴿لعلهم يضرعون﴾ أصله يتضرعون قلبت التاء ضاداً وأدغمت في الضاد، وإنما قرئ بالفك في الأنعام لأجل مناسبة الماضي في قوله تضرعوا بخلاف ما هنا، فجيء به على الأصل.

بدّلنا﴾: أعطيناهم ﴿مكان السيئة﴾: العذاب ﴿الحسنة﴾: الغنى والصحة ﴿حتى عفوا﴾: كثروا ﴿وقالوا﴾ كفراً للنعمة ﴿قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾: كما مسّنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى: ﴿فأخذناهم﴾: بالعذاب ﴿بغتة﴾: فجأة ﴿وهم لا يشعرون ٩٥﴾: بوقت مجيئه قبله ﴿ولو أن أهل القرى﴾: المكذبين ﴿آمنوا﴾: بالله ورسلهم ﴿واتقوا﴾: الكفر والمعاصي ﴿لفتحنا﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿عليهم بركات من السماء﴾: بالمطر ﴿والأرض﴾: بالنبات ﴿ولكن كذبوا﴾: الرسل ﴿فأخذناهم﴾: عاقبناهم ﴿بما كانوا يكسبون ٩٦ أفأمن أهل القرى﴾: المكذبون ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾: عذابنا ﴿بياتاً﴾: ليلاً ﴿وهم نائمون ٩٧﴾: غافلون عنه ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾: نهاراً ﴿وهم يلعبون ٩٨ أفأمنوا مكر الله﴾: استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ٩٩ أو لم يهد﴾: يتبين ﴿للذين يرثون الأرض﴾: بالسكنى ﴿من بعد﴾: هلاك ﴿أهلها أن﴾: مخففة واسمها فاعل أي أنه ﴿لو نشاء أصبناهم﴾: بالعذاب ﴿بذنوبهم﴾: كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما

قوله: ﴿ثم بدلنا﴾ أي استدراجاً لهم. قوله: [العذاب] أي الفقر والمرض. قوله: [الغنى والصحة] لف ونشر مرتب. قوله: [كفراً للنعمة] أي تكذيباً لأنبيائهم. قوله: [وهذه عادة الدهر] هذا من جملة مقولهم. قوله: [فكونوا على ما أنتم عليه] هذا من جملة قول بعضهم لبعض. قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ مرتب على قوله: ﴿وقالوا قد مس آباءنا﴾ الخ. قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لعدم تقدم أسبابه لهم، وهذه الآية بمعنى آية الأنعام، قال تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ الآية.

قوله: ﴿ولو أن أهل القرى﴾ جمع قرية، والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم. قوله: [ورسلهم] أي أهل القرى، وفي نسخة ورسله أي الله. قوله: ﴿واتقوا﴾ عطف على ﴿آمنوا﴾ عطف عام على خاص، لأن التقوى امتثال المأمورات، ومن جملتها الإيمان. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بركات﴾ جمع بركة، وهي زيادة الخير في الشيء. قوله: ﴿ولكن كذبوا﴾ أي لم يؤمنوا ولم يتقوا. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي بسبب كسبهم من الكفر والمعاصي.

قوله: ﴿أفأمن﴾ الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ وما بينهما اعتراض، وهذه طريقة الجمهور، وعند الزمخشري أن الهمزة داخلة على محذوف، وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف، ولكنه في هذا الموضع وافق الجمهور في كشافه. قوله: ﴿بياتاً﴾ حال من ﴿بأسنا﴾ وجملة ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضمير ﴿يأتيهم﴾. قوله: ﴿وهم يلعبون﴾ أي يشتغلون بما لا يعنيهم. قوله: ﴿مكر الله﴾ المكر في الأصل الخديعة والحيلة، وذلك مستحيل على الله، وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر، بأن يستدرجهم بالنعم أولاً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

قوله: ﴿للذين يرثون﴾ أي وهم كل قوم جاؤوا بعد هلاك من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية، فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الإصابة بذنوبهم، بحيث شاء الله ذلك. قوله: [فاعل] أي المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل، والتقدير أولم يتبين بالعذاب لو شئنا الإصابة. قوله: ﴿لو نشاء﴾ أي إصابتهم، فمفعول نشاء محذوف. قوله: [في المواضع الأربعة] أي وأولها ﴿أفأمن أهل القرى﴾ وآخرها ﴿أو لم يهد﴾ فاثنان بالفاء واثنان

للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً بأو ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ١٠٠: الموعظة سماع تدبر ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَى﴾: التي مرَّ ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مِنْ أَنبَآئِهَا﴾: أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾: كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ١٠١ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾: أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾: أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾: مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ١٠٢ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾: أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَاتِنَآ﴾: التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾: قومه ﴿فَظَلَمُواْ﴾: كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ١٠٣: بالكفر من إهلاكهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٤: إليك فكذبه فقال أنا ﴿حَقِيقٌ﴾: جدير ﴿عَلَىٰ أَن﴾: أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ

بالواو. قوله: [الداخلة] أي الهمزة، وقوله: [عليهما] أي الفاء والواو. قوله: [في الموضع الأول] أي من موضعي الواو، وقوله: ﴿ونطبع﴾ قدر المفسر [نحن] إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله.

قوله: ﴿تلك القرى نقص﴾ اسم الاشارة مبتدأ، و﴿القرى﴾ بدل أو عطف بيان و﴿نقص﴾ خبره. قوله: [التي مر ذكرها] أي وهي قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب. قوله: ﴿من أنبائها﴾ أي بعض أخبارها وما وقع لها. قوله: ﴿ليؤمنوا﴾ اللام زائدة لتوكيد النفي. قوله: [عند مجيئهم] أي الرسل. قوله: [قبل مجيئهم] أي بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق. قوله: [أي للناس] أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها، ويصح أن الضمير عائد على الأمم، فيكون بينهما ارتباط.

قوله: ﴿وأن وجدنا﴾ أي علمنا، فأكثر مفعول أول، وفاسقين مفعول ثان، واللام فارقة، والمراد: ليظهر متعلقي علمنا للخلق على حد لنعلم أي الحزبين أحصى. قوله: ﴿لفاسقين﴾ أي خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد. قوله: [أي الرسل المذكورين] أي وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. قوله: ﴿موسى﴾ وعاش مائة وعشرين سنة، وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة، وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة. قوله: [التسع] أي وهي: العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، وكلها مذكورة في هذه السورة إلا الطمس ففي سورة يونس، قال تعالى: ﴿ربنا اطمس على اموالهم﴾. قوله: ﴿إلى فرعون﴾ هذا لقبه، واسمه الوليد بن مصعب بن الريان، ففرعون في الأصل علم شخص، ثم صار لقباً لكل من ملك مصر في الجاهلية، وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة، ومدة ملكه أربعمائة سنة، لم ير مكروها قط، وكنيته أبو مرة، وقيل أبو العباس، وهو فرعون الثاني، وفرعون الأول أخوه، واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة، وفرعون إبراهيم النمروذ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل.

قوله: ﴿فظلموا بها﴾ ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية، والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها، أي بسبب تكذيبهم بها. قوله: ﴿كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة. قوله: ﴿وقال موسى﴾ تفصيل لما أجمل أولاً، لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس، وهذا القول وما بعده إنما وقع بعد كلام طويل، حكاه الله في سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿فـأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ الآيات، وقوله تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ الآيات، وفي طه أيضاً. قوله: [فكذبه] قدره إشارة إلى أن جملة ﴿حقيق﴾ مرتبة على محذوف.

قوله: ﴿حقيق﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [أنا]. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى أن ﴿على﴾ بمعنى

عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾: وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِيَ﴾: إلى الشام ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ١٠٥ : وكان استعبدهم ﴿قَالَ﴾: فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾: على دعواك
﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١٠٦ فيها ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ١٠٧ : حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾:
أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ﴾: ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ ١٠٨ : خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن
قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ١٠٩ : فائق في علم السحر وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه
على سبيل التشاور ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ١١٠ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي
ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ ١١١ : جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾: وفي قراءة سحار ﴿عَلِيمٍ﴾ ١١٢ : يفضل موسى في علم
السحر فجمعوا ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ أَئِنَّ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على

الباء. قوله: ﴿إلا الحق﴾ مقول القول، وهو مفرد في معنى الجملة، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [مبتدأ] أي وسوغ الابتداء به العمل في الجار والمجرور، فإن على متعلق بحقيق. قوله: ﴿فأرسل معي﴾ [إلى الشام] أي وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤوا مصر لأخيهم يوسف، فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر. قوله: [استعبدهم] أي جعلهم عبيداً بسبب استخدامه إياهم.

قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿ثعبان مبين﴾ الثعبان ذكر الحيات، وصفت هنا بكونها ثعباناً، وفي آية أخرى ﴿كأنها جان﴾(١)، والجان الحية الصغيرة، ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة. ورد أنه لما ألقى العصا، صارت حية عظيمة صفراء شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض قدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب هارباً وأحدث، أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة، واستمر معه هذا المرض، وهو الإسهال إلى أن غرق، مع كونه كان لا يتغوط إلا في كل أربعين يوماً مرة، وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها، وحملت على الناس فانهزموا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أؤمن بربك وأرسل معك بني إسرائيل، فأمسكها بيده فعادت كما كانت.

قوله: ﴿ونزع يده﴾ أي اليمنى. قوله: [ذات شعاع] أي نور يغلب على ضوء الشمس. قوله: [من الأدمة] أي السمرة. قوله: [وفي الشعراء أنه] أي هذا القول. قوله: [فكأنهم قالوه معه] هذا بيان لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي في الشعراء. قوله: ﴿فماذا تأمرون﴾ يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون، ويصح أن يكون من كلام الملأ له، والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك، والأول أقرب. قوله: ﴿أرجه﴾ فيه ست قراءات سبعية، ثلاثة مع الهمز، وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الإشباع وعدمه، وثلاث من غير همز، [أرجه] وهي إسكان الهاء وكسرها بإشباع وبدونه.

قوله: ﴿وأرسل في المدائن﴾ أي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر. قوله: [وفي قراءة سحار] أي بالإمالة وتركها فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: [فجمعوا] أي وكانوا اثنين وسبعين، وقيل

(١) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب﴾ سورة النمل الآية: ٢٧.

الوجهين ﴿لَنا لأجراً إنْ كُنّا نحنُ الغالبين﴾١١٣ قالَ: نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقرَّبين١١٤ قالوا يا موسى إمّا أنْ تُلقيَ﴾: عصاك ﴿وإمّا أن نكون نحنُ المُلقين﴾١١٥: ما معنا ﴿قال ألقوا﴾: أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فلمّا ألقوا﴾: حبالهم وعصيهم ﴿سحروا أعين الناس﴾: صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿واسترهبوهم﴾: خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾١١٦ وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف﴾: بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿ما يأفكون﴾١١٧: يقلبون بتمويههم ﴿فوقع الحق﴾: ثبت وظهر ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾١١٨: من السحر ﴿فغلبوا﴾: أي فرعون وقومه ﴿هنالك وانقلبوا صاغرين﴾١١٩: صاروا ذليلين

اثني عشر ألفاً، وقيل خمسة عشر ألفاً، وقيل سبعين ألفاً، وقيل ثمانين ألفاً، وقيل بضعاً وثمانين ألفاً. قوله: [بتحقيق الهمزتين الخ] كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع، فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة: وهي إن بهمزة واحدة. قوله: ﴿قال نعم﴾ أي لكم الأجر. قوله: ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي في المنزلة عندي، بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج.

قوله: ﴿قالوا يا موسى﴾ الخ، إما أن يكون ذلك تأدباً من السحرة مع موسى، وقد جوزوا عليه بالإيمان والنجاة من النار، وإما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم. قوله: ﴿إما أن تلقي﴾ الخ، أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر إما لقاءك. قوله: [أمر للاذن] جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه؟ فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق. قوله: [عن حقيقة إدراكها] أي عن إدراك حقيقتها.

قوله: ﴿بسحر عظيم﴾ أي عند السحر، وفي باب السحر، وإن كان حقيراً في نفسه، وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وأخشاباً طوالاً، وطلوا تلك الحبال بالزئبق، وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضاً، فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض، حتى تخيل للناس أنها حيات، وكانت سعة الأرض ميلاً في ميل، وكانت الواقعة في اسكندرية، فلما ألقى موسى عصاه، بلغ ذنبها وراء البحر، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحداً واحداً، حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع، ففزعوا ووقع الزحام، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت، فلما رأى السحرة ذلك، عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر، فخروا لله ساجدين، وقالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا، وكانت حمل ثلثمائة بعير، فعدمت بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ أي بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم، أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما في سورة طه ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ الآية. قوله: ﴿تلقف﴾ أي تأخذ وتبتلع بسرعة. قوله: [في الأصل] أي وأصلها تتلقف، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وهذه قراءة الجمهور، وفي قراءة بإدغام التاء في التاء، وفي قراءة تلقف من لقف كعلم، فتكون القراءات ثلاثاً وكلها سبعية. قوله: ﴿ما يأفكون﴾ أي يكذبون، فالإفك الكذب. قوله: [بتمويههم] أي تزيينهم الباطل بصورة الحق.

قوله: ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ أي ظهر بطلانه. قوله: ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان وهو اسكندرية. قوله: ﴿انقلبوا صاغرين﴾ أي فرعون وقومه غير السحرة، فإنهم لم يصبهم صغار، بل أصابهم العز الأبدي بإيمانهم بالله

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ١٢٠ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَى وَهَٰرُونَ﴾ ١٢٢: لعلمهم بأن ما شاهدوه من
العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ﴾: بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿بِهِ﴾: بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾:
أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٢٣: ما
ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ١٢٤ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ ١٢٥: راجعون في الآخرة ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تنكر
﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: عند فعل ما توعده بنا لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ ١٢٦ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: له ﴿أَتَذَرُ﴾: تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بالدعاء إلى
مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم

قوله: ﴿ساجدين﴾ حال من السحرة، وقوله: ﴿قالوا آمنا﴾ في موضع الحال من الضمير في ساجدين، والتقدير قائلين في حال سجودهم ﴿آمنا﴾ الخ.

قوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ بدل من رب العالمين، أو عطف بيان، أو نعت جيء به لدفع إيهام فرعون الناس أنه رب العالمين، حيث قال للسحرة: إياي تعنون، فدفعوا ذلك بقولهم: ﴿رب موسى وهارون﴾. قوله: [بتحقيق الهمزتين] أي همزة الاستفهام والهمزة الزائدة في الفعل، وقوله: [وإبدال الثانية] أي في الفعل وإن كانت ثالثة فهي فاء الكلمة، وفي قراءة سبعية أيضاً بحذف همزة الاستفهام، وفي قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإبدال الثالثة ألفاً، وفي قراءة بقلب الأولى واواً في الوصل، وتسهيل الثانية، وقلب الثالثة ألفاً، فالقراءات أربعة وكلها سبعية.

قوله: ﴿قبل أن آذن لكم﴾ أصله أأذن، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المشهورة، والمعنى أحصل منكم الايمان قبل حصول الإذن مني؟ لا يليق منكم ذلك، والفعل مضارع منصوب بأن. قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾ أي حيلة وخديعة. قوله: ﴿مكرتموه﴾ أي تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا، وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله: ﴿إن هذا لمكر﴾، وقوله: ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾. قوله: [ما ينالكم مني] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تعلمون﴾ محذوف. قوله: ﴿لأقطعن أيديكم﴾ هذا بيان لوعيده الذي توعدهم به، وهل فعل ما توعدهم به أو لا؟ خلاف، بل قال بعضهم انه لم يفعل بدليل قوله تعالى: ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾. قوله: ﴿من خلاف﴾ الجار والمجرور في محل نصب على الحال أي مختلفة. قوله: [بأي وجه كان] أي سواء كان بقتلك أو لا، وفي آية طه ﴿وإنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾.

قوله: ﴿وما تنقم منا﴾ أي تكره منا فقوله: ﴿إلا أن آمنا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لتنقم، والمعنى وما تكره منا إلا إيماننا، ويصح أن يكون المعنى: وما تعذبنا بشيء من الأشياء إلا لأجل إيماننا، فيكون مفعولاً لأجله. قوله: ﴿لما جاءتنا﴾ أي حين أتتنا من عنده. قوله: [عند فعل ما توعده بنا] أي ما توعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب، ففي العبارة قلب. قوله: [لئلا نرجع كفاراً] علة لقوله: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾. قوله: ﴿وتوفنا مسلمين﴾ أي ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولا مبدلين.

قوله: ﴿وقال الملأ﴾ أي المصرون على الكفر، فإنه حين آمنت به السحرة، آمن من بني إسرائيل ستمائة ألف.

قوله: ﴿ويذرك﴾ معطوف على ﴿ليفسدوا﴾ والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وليتركك وآلهتك، والاستفهام إنكاري، والمعنى لا يليق ذلك. قوله: ﴿وآلهتك﴾ بالجمع في قراءة الجمهور، لأنه جعل آلهة يعبدها

الأعلى ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾: المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾: نستبقي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾: كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ١٢٧: قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾: على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾: يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٨: الله. ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ١٢٩: فيها ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: بالقحط ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ١٣٠: يتعظون فيؤمنون ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾: الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾: أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾: من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾: شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: يأتيهم به ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٣١: أن ما يصيبهم من

قومه، وجعل نفسه هو الإله الأعلى، قال تعالى: ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى﴾ وقرئ شذوذاً وآلهتك بتاء التأنيث، لأنه كان يعبد الشمس. قوله: [أصناماً صغاراً] أي على صورة الكواكب. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [المولودين] أي الصغار. قوله: ﴿ونستحيي نساءهم﴾ أي للخدمة. قوله: [من قبل] أي قبل مولد موسى.

قوله: ﴿قال موسى لقومه﴾ أي تسلية لهم. قوله: ﴿استعينوا بالله﴾ أي اطلبوا الإعانة منه سبحانه. قوله: ﴿يورثها﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة، وقوله: ﴿من يشاء﴾ مفعول ثان، والمفعول الأول الهاء. قوله: ﴿للمتقين﴾ [الله] قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف. قوله: ﴿قالوا أوذينا﴾ أي بالقتل للأولاد واستبقاء النساء للخدمة. قوله: ﴿من قبل أن تأتينا﴾ أي بالرسالة، وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة نصف النهار، فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى، استعملهم جميع النهار، وأعاد القتل فيهم. قوله: ﴿كيف تعملون﴾ [فيها] أي من الإصلاح والإفساد.

قوله: ﴿ولقد﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أي ابتلينا، وهذا شروع في تفصيل مبادي هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات. قوله: ﴿بالسنين﴾ جمع سنة، ومن المعلوم أنه يجري مثل جمع المذكر السالم في إعرابه بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً، وتحذف نونه للإضافة، ففي الحديث «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» ويقل إعرابه كحين. قوله: [بالقحط] أي احتباس المطر. قوله: ﴿ونقص من الثمرات﴾ أي إتلافها بالآفات.

قوله: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ أشار بذلك إلى أنهم باقون في غيهم وضلالهم، لم يتعظوا ولم ينزجروا عما هم عليه. قوله: [أي نستحقها] أي بحولنا وقوتنا. قوله: ﴿يطيروا﴾ أصله يتطيروا، أدغمت التاء في الطاء، والتطير في الأصل أن يفرق الشيء بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه، فيشمل النصيب الحسن والسيء، ثم غلب على الحظ، والنصيب السيء والحكمة في التعبير في جانب الحسنة بإذا المفيدة للتحقيق، وتعريفها وفي جانب السيئة بإن المفيدة للشك، وتنكيرها الإشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه، وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى، وإن لم يتأهل لها العبد، بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.

قوله: ﴿ألا إنما طائرهم﴾ ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم. قوله: [شؤمهم] أي عذابهم الذي تشاءموا به. قوله: ﴿عند الله﴾ أي لا عند موسى، فليس له مدخل في إيجاد ذلك. قوله: [يأتيهم به] أي جزاء لأعمالهم السيئة. قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق، وإنما كفرهم

عنده ﴿وَقَالُوا﴾: لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾١٣٢: فدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾: وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجَرَادَ﴾: فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾: السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾: فملأت بيوتهم وطعامهم

مَحض عناد. قوله: ﴿وقالوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله: ﴿مهما تأتنا به﴾ الخ. مَهْمَا اسم شرطٍ جازم، وتأتِ فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها، ونا مفعول و﴿من آية﴾ بيان لمهما، وبه متعلق بتأت، وضميرها راجع لمهما، و﴿لتسحرنا﴾ متعلق بتأتنا و﴿بها﴾ متعلق ﴿بتسحرنا﴾، وقوله: ﴿فما﴾ الفاء واقعة في جواب الشرط، وما نافية و﴿نحن﴾ مبتدأ و﴿بمؤمنين﴾ خبر مرفوع بواو مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفاء التي جلبها حرف الجر الزائد، والجملة في محل جزم جواب الشرط. قوله: [فدعا عليهم] قال سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً، أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي على الشر، فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا، فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد، فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية وعبرة، ففعل الله بهم ما سيذكر.

قوله: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ أي ماء من السماء، والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بني إسرائيل، فامتلأت بيوت القبط، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، ومن جلس منهم غرق، ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني إسرائيل شيء، وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث، ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، فاستغاثوا بموسى، فأزال الله عنهم المطر، وأرسل الريح فجفف الأرض، وخرج من النبات ما لم ير مثله قط، فقالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر، فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فأقاموا شهراً في عافية. قوله: [إلى حلوق الجالسين] في كلام غيره إلى حلوق القائمين، ومن جلس غرق كما علمت.

قوله: ﴿والجراد﴾ أي واستمر من السبت إلى السبت، يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم، وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني إسرائيل، فعظم الأمر عليهم، فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة. قوله: ﴿والقمل﴾ مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد، وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن، والقمل بفتح القاف وسكون الميم، وقيل هو البراغيث، فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملاً، فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت، فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم، ثم أقاموا شهراً في عافية، ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه.

قوله: ﴿والضفادع﴾ جمع ضفدع كدرهم وزبرج. قوله: [فملأت بيوتهم وطعامهم] أي وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم، وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاماً حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر، وورد أن الضفادع كانت برية، فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت، فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء، فصارت من حينها تسكن الماء، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة، فما بقي إلا أن

﴿وَالدَّمَ﴾: في مياههم ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾: مبينات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ ١٣٣
﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾: العذاب ﴿قَالُوا: يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾: من كشف العذاب عنا إن آمنا
﴿لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٣٤ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾: بدعاء موسى
﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ١٣٥: ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: البحر الملح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ١٣٦: لا يتدبرونها
﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾: بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا﴾: بالماء والشجر صفة للأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾: وهي قوله ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الخ ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾: على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾: من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ ١٣٧: بكسر الراء وضمها يرفعون من البنيان ﴿وَجَاوَزْنَا﴾: عبرنا

نتوب ولا نعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك، واستمروا شهراً في عافية ثم عادوا.

قوله: ﴿والدم﴾ أي وكان أحمر خالصاً، فصارت مياههم كلها دماً، فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دماً، فأجهدهم العطش جداً، حتى أن القبطية تأتي للمرأة من بني إسرائيل فتقول لها اسقيني من مائك، فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً، حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ، فتأخذه في فيها ماء، وإذا مجته في فيها صار دماً. واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة فإذا مضغها صار دماً. فمكثوا على ذلك سبعة أيام، من السبت إلى السبت، فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم.

قوله: ﴿آيات﴾ حال من الخمسة المذكورة. قوله: ﴿مفصلات﴾ أي مفرقات، فكانت كل واحدة تمكث سبعة أيام، وبين كل واحدة وأخرى شهراً. قوله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز هذا﴾ موزع على الخمسة، فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة. قوله: [من كشف العذاب] بيان لما. قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ أي في كل واحدة من الخمس. قوله: ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ أي وهو وقت إغراقهم. قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أردنا الانتقام منهم لأن الانتقام هو الإغراق، فلا يحسن دخول الفاء بينهما.

قوله: ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ أي نواحيها وجميع جهاتها. قوله: [صفة للأرض] فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي، والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب. قوله: [وهو الشام] الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى: ﴿التي باركنا فيها﴾ وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى، بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق، وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره، ويؤيده قوله تعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ إلى أن قال: ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ وكذلك آية الشعراء، وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين، وقال بعضهم: المراد بمشارق الأرض الشام، ومغاربها مصر، فإنهم ورثوا العمالقة في الشام، وورثوا الفراعنة في مصر. قوله: ﴿كلمت﴾ ترسم هذه بالتاء المجرورة لا غير وما عداها في القرآن بالهاء على الأصل. قوله: ﴿بما صبروا﴾ أي بسبب صبرهم.

قوله: ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أي أهلكنا وخربنا الذي كان يصنعه فرعون وقومه. قوله: ﴿وما كانوا يعرشون﴾ هذا آخر قصة فرعون وقومه. قوله: [بكسر الراء وضمها] قراءتان سبعيتان. قوله: [من البنيان] أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر. قوله: ﴿وجاوزنا﴾ شروع في قصة بني إسرائيل، وما وقع من كفر النعمة

﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ﴾: فمروا ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ﴾: بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾: صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ ١٣٨: حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾: هالك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ١٣٩ ﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾: معبوداً وأصله أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ١٤٠: في زمانكم بما ذكره في قوله ﴿وَ﴾: اذكروا ﴿إِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾: وفي قراءة أنجاكم ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ﴾: يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشده وهو ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾: الإنجاء والعذاب ﴿بَلَآءٞ﴾: أنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ ١٤١: أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾: بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ﴾

والقبائح، والمقصود من ذلك تسلية النبي ﷺ وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم. قوله: [عبرنا] العبر هو الانتقال من جانب لآخر، لانتقالهم من الجانب الشرقي للغربي. قوله: [بضم الكاف وكسرها] أي من بابي نصر وضرب، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿على أصنام لهم﴾ قيل هي حجارة على صور البقر، وقيل بقر حقيقة، وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك. قوله: ﴿قالوا يا موسى﴾ القائل بعضهم لا جميعهم. قوله: ﴿اجعل لنا إلهاً﴾ قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة، وقيل ليسوا مرتدين، بل هم جاهلون جهلاً مركباً لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله تعالى لا تضرهم في الدين، وعلى كل فهذه المقالة في شرعنا ردة، والجار والمجرور مفعول ثان، والهاء مفعول أول، وقوله: ﴿كما لهم آلهة﴾ صفة لإلهاً، وما اسم موصول ولهم صلتها، وآلهة بدل الضمير المستتر في لهم، والتقدير اجعل إلهاً لنا كالذي استقر لهم الذي هو آلهة. قوله: ﴿إن هؤلاء متبر ما هم فيه﴾ جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم. قوله: ﴿ما هم فيه﴾ أي من الدين الباطل، وهو عبادة الأصنام.

قوله: ﴿قال أغير الله﴾ الاستفهام للانكار والتوبيخ. قوله: ﴿أبغيكم﴾ أي أطلب واقصد لكم. قوله: [وأصله أبغي لكم] أي فحذف الجار فاتصل الضمير. قوله: ﴿وهو فضلكم﴾ الجملة حالية من لفظ الجلالة. قوله: [في زمانكم] أي بإنجائكم وإغراق عدوكم، وإنزال المن والسلوى عليكم، وليس تفضيلهم على جميع العالمين، فإن أمة محمد ﷺ أفضل من جميع الأمم. قوله: ﴿وإذ أنجيناكم﴾ هذا من كلام موسى، فإسناد الإنجاء إليه مجاز، لكونه على يده وسبباً فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق. قوله: [وفي قراءة أنجاكم] أي وهي ظاهرة، فإن الفاعل ضمير عائد على الله، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يسومونكم﴾ من السوم وهو الاذاقة.

قوله: ﴿يقتلون ابناءكم﴾ قدر المفسر [هم] إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم. قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي لخدمتهم. قوله: [الانجاء أو العذاب] أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة يصح عوده على الإنجاء ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا، أو يكفرون فيعاقبوا، وعوده على العذاب ظاهر، فالابتلاء كما يكون في الشر، يكون في الخير، قال تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا، موجب لرضا الله، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. قوله: [بألف ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الألف من المواعدة، وهي مفاعلة من الجانبين، فمن الله الأمر، ومن العبد القبول، وعلى حذف الألف، فالوعد من الله لا غير وهو ظاهر.

﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: نكلّمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾: من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾: وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾: حال ﴿لَيْلَةً﴾: تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾: عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾: كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾: أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ١٤٢: بموافقتهم على المعاصي ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾: أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾: بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ: رَبِّ أَرِنِي﴾: نفسك ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ: لَنْ تَرَانِي﴾: أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾: الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾: ثبت ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ

قوله: ﴿ثلاثين ليلة﴾ إنما عبّر بالليالي دون الأيام، مع أن الصيام في الأيام؛ لأن موسى كان صائماً تلك المدة ليلاً ونهاراً متواصلاً وحرمة الوصال على غير الأنبياء، فعبّر بالليالي لدفع توهّم اقتصاره على صوم النهار فقط، قال المفسرون إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوّهم فرعون، أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما أهلك الله فرعون، سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خرنوب، وقيل أكل من ورق الشجر، فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، فكان فتنة بني إسرائيل في تلك العشر. قوله: [أنكر خلوف فمه] أي كره رائحة فمه من أثر الصوم، وهو بضم الخاء واللام معناه الرائحة. قوله: ﴿وأتممناها﴾ أي المواعدة المأخوذة من قوله: ﴿وواعدنا﴾. قوله: ﴿أربعين﴾ [حال] أي من ميقات.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه. قوله: ﴿وأصلح﴾ [أمرهم] أي أمر بني إسرائيل ولا تغفل عنهم. قوله: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ قال أهل التفسير: لما جاء موسى لميقات ربه، تطهر طهر ثيابه وصام، ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية، وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض، ونحى عنه المكلفين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه وكان جبريل معه، فلم يسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال ﴿رب أرني﴾ الخ. قوله: [أي للوقت] أي وكان يوم الخميس يوم عرفة، فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر. قوله: ﴿وكلمه ربه﴾ أي أزال الحجاب عنه، حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته، لا أن الله أنشأ له الكلام؛ لأن الله سبحانه وتعالى دائماً متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة، ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة.

قوله: ﴿قال رب أرني﴾ لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات، فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر، كما أزال الله عنه حجاب السمع، إذ لا فرق بين الحاستين، فقد سأل جائزاً؛ لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته. قوله: [نفسك] قدره إشارة إلى أن مفعول أرني محذوف. قوله: ﴿أنظر إليك﴾ جواب الشرط، ولا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب؛ لأن المعنى هيئني لرؤيتك ومكني منها، فإن تفعل بي ذلك أنظر إليك. قوله: ﴿لن تراني﴾ أي لا طاقة لك على رؤيتي في الدنيا، وهذا لا يقتضي أنها مستحيلة عقلاً، وإلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل.

قوله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ هذا من تنزلات الحق لموسى، وتسلية له على ما فاته من الرؤية، وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير. قوله: [الذي هو أقوى منك] أي فحجبه عن الرؤية رحمة به، لعدم طاقة الجبل على ذلك

﴿تَرَانِي﴾: أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ﴾: أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالقصر والمد أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من سؤال ما لم أومر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾١٤٣: في زماني ﴿قَالَ﴾: تعالى له ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: أهل زمانك ﴿بِرِسَالَاتِي﴾: بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَامِي﴾: أي تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾: من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾١٤٤: لأنعمي ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾: أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: بدل من الجار

فضلاً عن موسى. قوله: [أي ظهر من نوره] أي نور جلال عرشه، وفي رواية أمر الله ملائكة السماوات السبع بحمل عرشه، فلما بدا نور عرشه، انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى. قوله: [نصف أنملة الخنصر] وفي رواية قدر منخر الثور، وفي رواية قدر سم الخياط، وفي رواية قدر الدرهم. قوله: [بالقصر والمد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [مستوياً بالأرض] أي بعد أن كان عالياً مرتفعاً، وقيل تفرق ستة أجبل، فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى، وثلاثة بمكة: ثبير وثور وحراء.

قوله: ﴿وخر موسى صعقاً﴾ أي سقط مغشياً عليه ذاهباً عن حواسه، ولذا لا يصعق عند النفخة. قوله: ﴿فلما أفاق﴾ أي برد حواسه له. قوله: [من سؤال ما لم أومر به] أي وليس المراد طلب الرؤية معصية، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [في زماني] دفع بذلك ما يقال: إن قبله من المؤمنين كثيراً من الأنبياء والأمم، وفي القصة أن موسى عليه السلام بعدما رجع من المكالمة كان لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات، وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع الشمس، فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها، وورد أيضاً أنه مكث زمناً طويلاً كلما سمع كلام الناس تقايأ.

قوله: ﴿قال يا موسى﴾ هذا تسلية على ما فاته من الرؤية. قوله: [أهل زمانك] دفع بذلك ما يقال: إن من جملة الناس سيدنا محمد ﷺ وإبراهيم الخليل، فيقتضي أنه مختار عليهما، فأجاب: بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم، ولذلك كانت أنبياء بني إسرائيل يتعبدون بالتوراة. قوله: [بالجمع] أي باعتبار تعدد الأحكام الموحى بها. قوله: [والإفراد] أي مراداً بها المعنى المصدري أي إرسالي، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وبكلامي﴾ اسم مصدر بمعنى التكليم، أي تكليمي إياك مباشرة بلا واسطة، ويصح أن يراد بالكلام التوراة، كما يقال للقرآن كلام الله، يقال للتوراة أيضاً كلام الله، لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن. قوله: [لأنعمي] جمع نعمة ويجمع أيضاً على نعم.

قوله: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ أي وكان طول اللوح منها اثني عشر ذراعاً، وقيل عشرة على طول موسى، والكاتب لها هو الله بلا واسطة. قوله: [من سدر الجنة] أي خشبها المسمى بالسدر، والشاقق لها هو الله بلا واسطة. قوله: [أو زمرد] وقيل من ياقوتة حمراء. قوله: [سبعة أو عشرة] وقيل تسعة، وقيل اثنان، ويكون المراد بالجمع ما فوق الواحدة، قال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيراً، يقرأ الجزء منها في سنة، ولم يحفظها إلا أربعة: موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام، وقال الحسن: هذه الآية في التوراة بألف آية. وقوله: [بدل] أي

والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾: قبله قلنا مقدراً ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ ١٤٥: فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾: دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بأن أخذلهم فلا يتكبرون ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ﴾: طريق ﴿الرُّشْدِ﴾: الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: يسلكوه ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾: الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾: الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ١٤٦: تقدم مثله ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾: البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٤٧: من

قوله: ﴿موعظة وتفصيلاً﴾ بدل من محل قوله: ﴿من كل شيء﴾ وهو النصب، وقوله: ﴿لكل شيء﴾ متعلق بتفصيلا.

قوله: [قبله قلنا مقدراً] أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على ﴿كتبنا﴾. قوله: [بجد واجتهاد] أي لا بتراخ وكسل، فإن العلم لا يأتي إلا للمجد المشتاق، كان كسبياً أو وهبياً فلا بد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

وقال بعض العارفين:

فجد بالروح والدنيا خليلي ... كذا الأوطان كي تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى، والمراد غيره، لأنه هو آخذ لها بقوة واجتهاد. قوله: ﴿بأحسنها﴾ أي بالأحوط منها، لأن فيها عزائم ورخصاً، وفاضلاً ومفضولاً، وجائزاً ومندوباً، فأمر قومك يأخذوا بأحوطها، بأن يتبعوا العزائم، ويتركوا الرخص، وذلك كالقود والعفو والانتصار والصبر، فالأخذ بالعفو أحسن من القود، والصبر أحسن من الانتصار، أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه أي بحسنها، والإضافة بيانية، والمعنى يعملون بجميع ما فيها.

قوله: ﴿سأريكم﴾ الخطاب لموسى ومن تبعه، فالكاف مفعول أول، و﴿دار﴾ مفعول ثان، والمعنى أملككم إياها، بدليل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة. قوله: [وهي مصر] هذا هو الأقرب، وقيل المراد بدار الفاسقين، ديار عاد، وثمود، وقوم لوط، وقوم نوح. قوله: [لتعتبروا بهم] أي ففي الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه، وهكذا كل ظالم فاجر، ولو من المسلمين، إذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر، يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾.

قوله: ﴿سأصرف عن آياتي﴾ أي أقسي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي، فلا يتفكرون ولا يتدبرون. قوله: ﴿بغير الحق﴾ حال من ﴿الذين يتكبرون﴾ أي حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق. قوله: ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ أي لوجود الطبع على قلوبهم، وفي الآية إشارة إلى أن المتكبر المعترض لا يستفيد نوراً ولا خيراً من الذي اعترض وتكبر عليه. قوله: ﴿بأنهم كذبوا﴾ أي بسبب تكذيبهم. قوله: [تقدم مثله] أي في قوله: ﴿فأغرقناهم في اليم﴾، ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾. قوله: ﴿والذين كذبوا﴾ مبتدأ، وجملة ﴿حبطت أعمالهم﴾ خبره.

قوله: [لعدم شرطه] أي الثواب وهو الإيمان، فالإيمان شرط في الثواب لأنه مقدار من الجزاء، يعطى للمؤمنين في

التكذيب والمعاصي ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾: صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾: بدل لحماً ودماً ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ إلهاً ﴿اتَّخَذُوهُ﴾: إلهاً ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾١٤٨: باتخاذه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾:

مقابلة أعمالهم الحسنة، فأعمال الكفار الحسنة لا تتوقف على نية يجازون عليها في الدنيا، أو يخفف عنهم من العذاب غير الكفر، لكنه لا يقال له ثواب، كذا قرره الأشياخ. قوله: ﴿هل يجزون﴾ استفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا أشار له المفسر بقوله: [ما].

قوله: ﴿واتخذ قوم موسى﴾ عطف قصة على قصة، والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة في مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين. قوله: ﴿من حليهم﴾ جمع حلي بفتح فسكون، وأصله حلوي، اجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون، قلبت الواو ياء وادغمت في الياء، وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء. قوله: [الذي استعاروه من قوم فرعون] أي قبل غرقهم. قوله: [فبقي عندهم] أي ملكاً لبني إسرائيل، كما ملكوا غيرهم من أموالهم وديارهم، ولذا أضافه الله لهم، وأما قول المفسر [استعاروه] فهو باعتبار ما كان.

قوله: ﴿عجلاً﴾ وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه في البحر، كما قصه الله تعالى في سورة طه. قوله: [صاغه لهم منه السامري] واسمه موسى، كان ابن زنا، وضعته أمه في جبل، فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من اصبعه، فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض، فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون، وكان راكباً فرساً، فكان كل شيء وطئته بحافرها يخضر ويثمر، ففطن موسى السامري لذلك، وعلم أن هذا التراب له أثر، فأخذ شيئاً منه وادخره، فلما توجه موسى للمناجاة، صنع لهم العجل ووضع التراب في فيه فصار له خوار، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي كما في سورة طه، وكان موسى السامري منافقاً، وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقاً، وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلاً، فإن هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله، فقد قال بعضهم:

إذا المرء لم يخلق سعيداً من الأزل ⁂ فقد خاب من ربى وخاب المؤمل
فموسى الذي رباه جبريل كافر ⁂ وموسى الذي رباه فرعون مرسل

قوله: [بدل] أي من ﴿عجلاً﴾ أو عطف بيان [لحماً ودماً] تفسير لجسداً. قوله: ﴿له خوار﴾ هذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً له جؤار بجيم فهمزة، وهو الصوت الشديد. قوله: [فإن أثره الحياة] أي بتأثير الله له. قوله: ﴿لم يروا﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿اتخذوه﴾ كرره لمزيد التشنيع عليهم. قوله: ﴿وكانوا ظالمين﴾ أي أنفسهم أشد الظلم، حيث عبدوا غير الله. قوله: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ فعل مبني للمجهول، والجار والمجرور نائب فاعل، وقرئ شذوذاً بالبناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود على الندم، وقرئ شذوذاً أيضاً أسقط بضم الهمزة، والضمير عائد على الندم، والأصل على القراءة السبعية، سقطت أفواههم على أيديهم، ففي بمعنى على، وذلك من شدة الندم، فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بفمه على يده، فسقوط الفم على اليد لازم للندم، فأطلق اللازم، وأريد الملزوم على سبيل الكناية، ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن.

علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾: بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ١٤٩ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾: من جهتهم ﴿أَسِفاً﴾: شديد الحزن ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿بِئْسَمَا﴾: أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾: ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾: خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾: أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾: غضباً ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾: بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا﴾: قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ﴾: تفرح ﴿بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾: بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١٥٠: بعبادة العجل في المؤاخذة ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾: ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾: أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ١٥١: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾: عذاب ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: فعذبوا بالأمر بقتل

قوله: ﴿ورأوا﴾ الجملة حالية. قوله: [وذلك] أي الندم. قوله: [بعد رجوع موسى] أي وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه. قوله: ﴿لئن لم يرحمنا ربنا﴾ الخ فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء، فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعاً على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوباً على النداء. قوله: ﴿ولما رجع موسى﴾ أي من المناجاة. قوله: ﴿غضبان﴾ أي لما فعلوه من عبادة العجل، وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما في طه ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ الآية. قوله: ﴿أسفاً﴾ حال وكذا ﴿غضبان﴾ فتكون حالاً متداخلة.

قوله: ﴿بئسما خلفتموني﴾ بفعل ماض لإنشاء الذم، وما تمييز وقيل فاعل، وجملة ﴿خلفتموني﴾ صفة لما، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه، والمعنى: بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه. قوله: ﴿من بعدي﴾ متعلق بخلفتموني. قوله: ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق، أو المعنى: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين، وقدرتم موتي وغيرتم بعدي، كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. قوله: ﴿وألقى الألواح﴾ أي وكان حاملاً لها. قوله: [فتكسرت] هذا أحد الأقوال، وقيل إنه تكسر البعض وبقي البعض، وقيل المراد بإلقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه، فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شيء، كما حققه زاده على البيضاوي. قوله: [أي بشعره بيمينه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يجره إليه﴾ حال من فاعل ﴿أخذ﴾. قوله: [بكسر الميم وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فأما قراءة الفتح، فعند البصريين مبني على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر، وعند الكوفيين ﴿ابن﴾ منادى منصوب بفتحة ظاهرة، وهو مضاف لأم، مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً المحذوفة للتخفيف، وبقيت الفتحة لتدل عليها، وأما على قراءة الكسر، فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفاً فهو كسر بناء، وعند الكوفيين كسرة إعراب، وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة. قوله: [وذكرها أعطف] جواب عما يقال إن هرون شقيق موسى، فلم اقتصر في خطابه على الأم، وكان هرون كثير الحلم محبباً في بني إسرائيل، وهو أكبر من موسى بثلاث سنين. قوله: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ أي بذلت وسعي في نصيحتهم، حتى قهروني وقاربوا قتلي. قوله: ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه.

قوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ أي لما تبين له عذر أخيه، جمعه في الدعاء استعطافا وإرضاء له. قوله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ أي وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف، وبقي اثنا عشر ألفاً لم يعبدوه، لأن جملة من عبر البحر مع موسى

أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما جزيناهم ﴿نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ ١٥٢: على الله بالإشراك وغيره ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾: رجعوا عنها ﴿مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾: بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾: أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ١٥٣: بهم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾: التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾: أي ما نسخ فيها أي كتب ﴿هُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ١٥٤: يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾: أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى ﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾: أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم لم يزايلوا قومهم حين

ستمائة ألف وعشرون ألفاً. [قوله إلهاً] قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف. قوله: ﴿سينالهم﴾ الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به، وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض. قوله: [رجعوا عنها] أي عن السيئات التي منها عبادة العجل.

قوله: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي بمراجعة هرون له، حيث ألان له الكلام واعتذر له، وفي الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى، فأمره بالقاء الألواح والأخذ برأس أخيه، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت، فإثباته تخييل، وفي السكوت استعارة تبعية، حيث شبه السكون بالسكوت، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئاً عن سوء خلق وعدم حلم، وإنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافي الحلم، قال بعضهم:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع ... وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وما قيل إن موسى لما كان قليل الحلم، أمره الله بالإنة الكلام لفرعون حيث قال له: ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾، ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم، أمره الله بالأغلاظ على الكفار حيث قال: ﴿واغلظ عليهم﴾ فهو باطل لا أصل له، وإنما الذي يقال إن كلا كامل في الحلم، وكلا إما مأمور بالإنة أولا، فإذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد، أمروا بالأغلاظ، هذا هو الحق، ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر. قوله: ﴿وفي نسختها﴾ أي كتابتها وتسميتها نسخة، باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ، وهذا على ما قاله زاده من أن الألواح لم تنكسر، وأما على ما قاله ابن عباس من أنها تكسرت، فصام موسى أربعين يوماً فردت عليه في لوحين، فمعنى قوله: ﴿وفي نسختها﴾ أي ما نسخ من الألواح التي تكسرت في ألواح أخر، فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشيء نقله. قوله: ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ أي وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة، وإنما هو وبال وخسران، فهي نظير القرآن مع المؤمن والمنافق، قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ قوله: [وأدخل اللام على المفعول لتقدمه] أي فضعف عن العمل فقوي باللام، والمعنى الذين هم يخافون ربهم، أي يخافون عقابه. قوله: [أي من قومه] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿من قومه﴾ مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض، والمفعول الأول قوله: ﴿سبعين﴾. قوله: ﴿سبعين رجلاً﴾ أي من شيوخهم، روي أنه لم يجد إلا ستين شيخاً، فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخاً، فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى الميقات وهو طور سينا، فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عامود من

عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿قَالَ﴾: موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾: أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾: استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾: أي الفتنة التي وقعت فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾: إضلاله ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾: هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ١٥٥ وَاكْتُبْ﴾: أوجب ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾: حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾: تبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾: تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾: تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾: عمت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ

الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجداً، وسمعوا الله وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة)، وهي المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوماً وليلة، وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية، وهذا قول غير ابن عباس، وقال ابن عباس: إن السبعين الذين سألوا الرؤية غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة، فالأولى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية، والثانية أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليه، وإلى هذا القول يشير المفسر بقوله: [قال وهم غير الذين سألوا الرؤية] الخ. قوله: [لم يزايلوا] أي لم يفارقوا قومهم. قوله: [وهم غير الذين سألوا الرؤية] أي لأنهم لم يكونوا في ذلك الميعاد، بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة، فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة.

قوله: ﴿لو شئت أهلكتهم﴾ مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم. قوله: [استفهام استعطاف] أي طلب العفو والرحمة من الله. قوله: [ابتلاؤك] أي اختبارك ليتبين المطيع من العاصي. قوله: ﴿وأنت خير الغافرين﴾ اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سبباً، وهو الغافر الحقيقي.

قوله: ﴿واكتب﴾ أي حقق وأثبت، وهذا من جملة دعاء موسى، فأوله ﴿أنت ولينا﴾ وآخره ﴿إنا هدنا اليك﴾، وحينئذ فلا ينبغي جعل قوله: ﴿واكتب لنا﴾ أول الربع. قوله: ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي ما تحمد عاقبته، كالعافية والإيمان والمعرفة، وقوله: ﴿وفي الآخرة﴾ [حسنة] أي وهي الجنة، وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة. قوله: ﴿إنا هدنا اليك﴾ استئناف مسوق لتعليل الدعاء، أي لأننا ﴿هدنا اليك﴾ أي رجعنا، من هاد يهود، إذا رجع، ولذلك سميت اليهود بذلك، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، وبعد ذلك صار ذماً. قوله: ﴿قال عذابي﴾ جواب من الله لموسى. قوله: ﴿أصيب به من أشاء﴾ أي في الدنيا، كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم، وفي الآخرة بالنار لمن كفر.

قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ ورد أنه لما نزلت هذه الآية، فرح إبليس وقال: قد دخلت في رحمة الله، فلما نزل ﴿فسأكتبها﴾ الخ أيس من ذلك، وفرحت اليهود وقالوا: نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين، فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ الخ. قوله: [في الدنيا] أي فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في الرحمة. قوله: ﴿فسأكتبها﴾ أي أثبتها. قوله: ﴿للذين يتقون﴾ أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: ﴿ويؤتون الزكاة﴾ خصها بالذكر لمشقتها على النفوس، من حيث إن المال محبوب.

قوله: ﴿الذين يتبعون الرسول﴾ أي بالإيمان به بعد بعثته، والعمل بشريعته، ورد أن الله قال لموسى: أجعل لك الأرض مسجداً وطهوراً تصلون حيث أدركتكم الصلاة، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهر قلب، يحفظها الرجل

﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾: باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: مما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ثقلهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾: الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾: منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: أي القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ١٥٧ ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: القرآن

والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير، فقال موسى ذلك لقومه فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس، ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب، ولا نقرؤها إلا نظراً، قال ﴿فسأكتبها﴾ إلى قوله ﴿هم المفلحون﴾ فجعل هذه الأمور لهذه الأمة.

قوله: ﴿الأمي﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسب إما للأم لأنه باق على حالته التي ولد عليها، أو لأم القرى وهي مكة لكونه ولد بها. قوله: [باسمه وصفته] أي من كونه محمداً ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، يقبل الهدية، ويرد الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة، قال الخميس في تاريخه: إن محمد المذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها ألف، ومعناه محمد، وذكر الحسن عن كعب الأحبار، أن اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذموذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله طه ومحمد ﷺ اهـ بحروفه. قوله: ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ الخ هذا وما بعده إلى ﴿المفلحون﴾ من جملة أوصافه المكتوبة في التوراة والإنجيل. قوله: [مما حرم في شرعهم] أي وهي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر. قوله: [من الميتة ونحوها] أي كالدم ولحم الخنزير. قوله: [كقتل النفس] أي وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل يوم السبت، وكون صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها، وتسميتها أغلالاً مجاز، لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الأغلال تمنع منه. قوله: [وقروه] أي عظموه. قوله: ﴿ونصروه﴾ أي أيدوه. قوله: ﴿الذي أنزل معه﴾ أي مقارناً لزمانه ومصحوباً به. قوله: [أي القرآن] تفسير للنور، سمي القرآن بذلك لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره، يهدي من الضلال المعنوي، كما أن النور يهدي من الضلال الحسي. قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات، فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى.

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أتى بهذه الآية دفعاً لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين، فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصراً عليهم، بل كل من تبعه حصل له الفوز، كان من أهل الكتابين أو لا، و﴿الناس﴾ اسم جنس واحده إنسان. قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من ضمير ﴿إليكم﴾. قوله: ﴿الذي له ملك السموات﴾ يصح رفع ﴿الذي﴾ ونصبه على أنه نعت مقطوع، وجره على أنه نعت متصل، وقوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ بيان للصلة. وقوله: ﴿يحيي ويميت﴾ بيان لقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾، فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها، ولا محل لكل من الإعراب، لأن الصلة لا محل لها فكذا مبينها. قوله: ﴿فآمنوا بالله﴾

﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾¹⁵⁸: ترشدون ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾: الناس ﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾¹⁵⁹: في الحكم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾: فرقنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾: حال ﴿أَسْبَاطًا﴾: بدل منه أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾: بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾: في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ﴾: في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹⁶⁰ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾: أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟

تفريع على ما تقدم، أي فحيث علمتم أن محمداً مرسل لجميع الناس، وأن الله له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله. وفيه التفات من التكلم للغيبة، ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله: ﴿النبي الأمي﴾ الخ. قوله: ﴿الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ أي لأنه مرسل لنفسه. قوله: ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي تفلحون، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، فهو بمعنى قوله فيما سبق: قوله: ﴿أولئك هم المفلحون﴾. قوله: [ترشدون] من باب تعب ونصر.

قوله: ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى، بل استمروا على ضلالهم، فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي ﷺ وهم شرذمة قليلة، كعبد الله بن سلام وأضرابه. قوله: ﴿وقطعناهم﴾ الهاء مفعوله، و﴿اثنتي عشرة﴾ حال، و﴿أسباطاً﴾ بدل كما قال المفسر، وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة، ويصح أن قطع بمعنى صير، فالهاء مفعول أول، و﴿اثنتي عشرة﴾ مفعول ثان، و﴿أسباطاً﴾ بدل، وسبب تفرقهم كذلك، أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمي لواحد منهم، والأسباط جمع سبط، وهو ولد الولد، مرادف للحفيد، هكذا في كتب اللغة، وفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد، بأن السبط ولد البنت، والحفيد ولد الولد اصطلاح. قوله: [أي قبائل] أي كالقبائل في التفرق والتعدد. قوله: [بدل مما قبله] أي فهو بدل من البدل.

قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى﴾ أي حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً، وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين، فاطلعوا على أوصاف مهولة لهم، فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام، فأمرهم بالكتم عن قومهم، فخانوا إلا اثنين منهم يوشع وكالب فجبنوا، فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون في الأرض، فلما طالت عليهم المدة في التيه عطشوا، فطلبوا منه السقيا، فدعا الله موسى، فأمره بضرب الحجر بعصاه، وهذا الحجر هو الذي فر بثوبه حين اتهموه بالأدرة خفيف مربع كرأس الرجل. قوله: [فانبجست] أي انفجرت. قوله: ﴿مشربهم﴾ أي عينهم الخاصة بهم. قوله: ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ أي السحاب، يسير بسيرهم، ويضيء لهم بالليل يسيرون بضوئه. قوله: [الترنجبين] هو شيء حلو، كان ينزل عليهم مثل الثلج، من الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل إنسان صاعاً. قوله: [والطير السماني] أي فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم، فيأخذ كل منهم ما يكفيه. قوله: ﴿ما رزقناكم﴾ وهو المن والسلوى. قوله: ﴿وما ظلمونا﴾ أي لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك، فإن ذلك مستحيل.

قوله: ﴿و﴾ [اذكر] خطاب للنبي ﷺ. قوله: ﴿وإذ قيل لهم﴾ أي بعد خروجهم من التيه. قوله: [بيت المقدس] وقيل أريحاء، وقد ذكر القولين في البقرة، فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم في التيه، وعلى الثاني

﴿ٱلْبَابَ﴾: أي بابَ القرية ﴿سُجَّدًا﴾: سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾: بالنونِ والياءِ مبنياً للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٦١: بالطاعة ثواباً ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا حبة في شعرة ودخلوا
يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ ١٦٢ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾: يا محمد
توبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: مجاورة لبحر القلزم وهي أيلة ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يعتدون
﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾: بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾: ظرف ليعدون ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾:
ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يعظمون السبتَ أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾: ابتلاءً من الله ﴿كَذَٰلِكَ

يكون على لسان يوشع، وهو المعتمد كما تقدم في البقرة. قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ قدّر المفسر [أمرنا] إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف، والمعنى: أمرنا حطة أي طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها. قوله: [سجود انحناء] أي فالمراد السجود اللغوي، بأن يكونوا على هيئة الراكعين. قوله: [بالنون والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، ولكن على النون يقرأ: خطايا وخطيئات، وعلى التاء يقرأ: خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والافراد، فالقراءات أربع. قوله: ﴿قولاً غير الذي قيل لهم﴾ أي ما أمروا به. قوله: [فقالوا حبة الخ] يحتمل انه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى، ويحتمل أن يكون له معنى صحيح، كأنهم قالوا مطلوبنا حبة، يعني قمح في كذاكب من شعر، وقد تقدم بسطه في البقرة. قوله: [على أستاههم] جمع سته وهو الدبر. قوله: [عذاباً] أي وهو الطاعون، ومات منهم في وقت واحد سبعون الفاً. قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ أي بسبب ظلمهم، وقد غايرت هذه القصة ما في البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة، فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿وأسألهم﴾ أي اليهود الذين في المدينة، وسبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يوبخ اليهود على كفرهم، ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم في الكفر بأنبيائهم، فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم، ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا علم لأحد غيرهم به، فنزلت الآية، فقصها رسول الله عليهم فبهتوا. إن قلت: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة، فالجواب أنها مكية مما عدا تلك الآيات الثمانية التي أولها ﴿وأسألهم﴾ الخ فإنها مدنية كما تقدم. قوله: [توبيخاً] أي تقريعاً وتبكيتاً. قوله: ﴿عن القرية﴾ أي أهلها. وقوله: [مجاورة لبحر القلزم] أي عند العقبة بجانب القلعة.

قوله: ﴿إذ يعدون﴾ أي يتعدون الحدود، وكانوا في زمن داود عليه السلام، وسبب نهيهم عن الصوم يوم السبت، أن الله أمرهم على لسان داود، أن يتخذوا يوم الجمعة عيداً ينقطعون فيه لعبادة الله، فكرهوا ذلك واختاروا السبت، ومعناه في اللغة القطع، فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير، فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت، وأحله لهم باقي الاسبوع، فكانوا يوم السبت يجدون السمك متراكماً، وباقي الجمعة لم يجدوا منه شيئاً، ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول البحر يوم السبت، فإذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافترقت القرية ثلاث فرق، وكانوا سبعين ألفاً، ففرقة اصطادوا، وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سوراً، وفرقة لم تصد ولم تنه، فبعد أيام قلائل، مسخ من اصطاد قردة وخنازير، مكثوا ثلاثة أيام وماتوا، وأنجى الله الفرقة الناهية، والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك، والصحيح نجاتهم. قوله: ﴿حيتانهم﴾ جمع حوت، وأصل حيتان حوتان، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء. قوله: ﴿شرعاً﴾ حال من فاعل ﴿تأتيهم﴾، أي قريبة من الساحل.

قوله: ﴿ويوم لا يسبتون﴾ أي لا يكون يوم سبت، والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا

﴿نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ١٦٣: ولمّا صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي ﴿وَإِذْ﴾: عطف على إذ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾: لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا﴾: موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾: نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾: لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٦٤: الصيد ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾: تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾: ما وعظوا ﴿بِهِ﴾: فلم يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ ١٦٥: تكبروا ﴿عَنْ﴾: ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ١٦٦: صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: أي اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم

تأتيهم، ولما كانت العبارة موهمة، قال المفسر أي سائر الأيام، أي باقيها. قوله: [ابتلاء من الله] علة لقوله: ﴿تأتيهم﴾ وقوله: ﴿لا تأتيهم﴾. قوله: ﴿كذلك﴾ أي الابتلاء المتقدم. قوله: ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي يتجاوزون الحد. قوله: [ثلث صادوا معهم] المناسب حذف قوله معهم. قوله: [عطف على إذ قبله] أي وهو ﴿إذ يعدون﴾. قوله: ﴿لم تعظون قوماً﴾ إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين، حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم. قوله: ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع، والمعنى مهلكهم في الدنيا، ومعذبهم في الآخرة.

قوله: ﴿قالوا معذرة﴾ قدر المفسر موعظتنا، إشارة إلى أن ﴿معذرة﴾ خبر لمحذوف، وفي قراءة النصب على المفعول من أجله، أي وعظناهم لأجل المعذرة. قوله: [لئلا ننسب إلى تقصير] أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عليهم، ولذا ورد أنه مجمع عليه في جميع الشرائع. قوله: ﴿ولعلهم يتقون﴾ إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الموعظة، وهو عطف على المعنى، إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ﴿ولعلهم يتقون﴾. قوله: ﴿فلمّا نسوا ما ذكروا به﴾ في الكلام حذف دل عليه قوله: ﴿أنجينا الذين ينهون﴾ الخ، والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسي من نسي أنجينا الخ. قوله: ﴿بئيس﴾ فعيل من بؤس إذا اشتد، وقرئ بيئس على وزن ضيغم، وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء، وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة، وبَيْس بفتح الباء وسكون الياء، وبائس على وزن فاعل، هكذا في البيضاوي، وليست كلها سبعية.

قوله: ﴿كونوا﴾ أمر تكوين لا قول، فهو كناية عن سرعة التصيير إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه، وكونهم قردة ليس في طاقتهم. قوله: [فكانوها] أي ﴿قردة﴾ وقيل: إن شبابهم مسخوا قردة، وشيوخهم خنازير، وقيل: إن الذين مسخوا خنازير، هم أصحاب المائدة. قوله: [وهذا] أي قوله ﴿فلما عتوا﴾ تفصيل لما قبله، وهو قوله ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ الخ. قوله: [لأنها كرهت ما فعلوه] أي فهي داخلة تحت قوله ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ فهي وإن لم تنه صريحاً لكنها نهت ضمناً. قوله: [إنه رجع إليه] أي إلى قول عكرمة.

﴿وإذ تأذن﴾ إذ ظرف لمحذوف تقديره ذكر وقت إذ تأذن. قوله: [أعلم] مفعوله محذوف، والتقدير أعلم ربك أسلافهم. قوله: ﴿ليبعثن﴾ أي ليسلطن عليهم. قوله: ﴿من يسومهم﴾ أي يذيقهم. قوله: [بختنصر] علم مركب تركيباً مزجياً كبعلبك، فإعرابه على الجزء الثاني، والأول ملازم للفتح، وهو غير منصرف للعلمية، والتركيب المزجي. وبخت معناه في الأصل ابن، ونصر اسم صنم، سمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند ذلك الصنم. قوله: [وسباهم]

وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾: لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ ١٦٧: بهم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾: فرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فرقاً ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾: ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾: الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ﴾: بالنعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾: بالنقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ١٦٨: عن فسقهم ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾: التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾: أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾: الجملة حال أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾: استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾: الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾: عطف على يؤخذ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾: فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٦٩: بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿بِالْكِتَابِ﴾: منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾:

أي سبي نساءهم وصغارهم. قوله: [وضرب عليهم الجزية] أي عن من لم يقاتل منهم. قوله: [فضربها عليهم] أي لا تزال كذلك إلى نزول عيسى، فلا يقبل منهم إلا الإسلام. قوله: ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ أي إذا تعلقت إرادته به، وإلا فهو واسع الحلم. قوله: ﴿وقطعناهم﴾ أي بني إسرائيل الكائنين قبل زمن النبي ﷺ. قوله: ﴿ومنهم دون ذلك﴾ قدر المفسر [ناس] إشارة إلى أن ﴿دون﴾ نعت لمنعوت محذوف، وهو كثير إذا كان التفصيل بمن، كقولهم: منا ظعن ومنا أقام، أي منا فريق ظعن، ومنا فريق أقام.

قوله: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ أي اختبرناهم بالعطايا: كالنعم والعافية، والبلايا: كالنقم والأسقام والشدائد. ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما هم عليه من الكفر والمعاصي إلى طاعة ربهم، فلم يرجعوا. قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ بسكون اللام للشر، وبفتحها للخير، يقال خلف سوء، وخلف صالح، وهذه صفة من كان في زمن النبي ﷺ إثر بيان صفات أسلافهم. قوله: [التوراة] أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: [عن آبائهم] أي أسلافهم سواء كانوا صلحاء أو لا. قوله: ﴿عرض هذا الأدنى﴾ سمي عرضاً لتعرضه للزوال، ففي الكلام استعارة تصريحية، حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذي لا يقوم بنفسه بجامع الزوال في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي زيادة على طمعهم في الدنيا. قوله: ﴿سيغفر لنا﴾ أي لأنا أبناء الله وأحباؤه، وشأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه. قوله: [مصرون عليه] أي لم يقلعوا عنه، فقد طمعوا في المغفرة مع فقد شروطها، إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع. قوله: ﴿ميثاق الكتاب﴾ أي التوراة، والمعنى أخذ عليهم الميثاق في التوراة، أنهم لا يكذبون على الله، ولا يقولون إلا الحق. قوله: ﴿إلا الحق﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله: ﴿أن لا يقولوا﴾، والتقدير أن لا يقولوا على الله إلا القول الحق. قوله: [فلم كذبوا عليه] أي الله.

قوله: ﴿أفلا يعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلا يعقلون. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: [بالتشديد] أي يمسكون غيرهم بالكتاب، ويدلونه على طريق الهدى. قوله: [والتخفيف] أي يمسكون ﴿بالكتاب﴾، بمعنى يهتدون في أنفسهم. قوله: [منهم] أي من بني إسرائيل. قوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾

كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ١٧٠: الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي أجرهم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾: رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾: بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ١٧١ و﴿﴾: اذكر ﴿إِذْ﴾: حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾: بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: بأن أخرج بعضهم من صلب آدم نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم

خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد. قوله: [وفيه وضع الظاهر موضع المضمر] أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ ﴿المصلحين﴾ لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر: سعاد التي أضناك حب سعاداً، ونكتة ذلك الإشارة إلى شرفهم والإعتناء بهم.

قوله: ﴿وإذ نتقنا﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم، حيث قالوا: إن بني إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة الله. قوله: ﴿الجبل﴾ قيل هو الطور، وقيل هو جبل من جبال فلسطين، وقيل من جبال بيت المقدس، وفي آية النساء التصريح بالطور، وسبب رفع الجبل فوقهم أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم، فلما سمعوا ما فيها من التغليظ أبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذياً لرؤوسهم كالسقيفة، فلما نظروا إلى الجبل فوق رؤوسهم خروا سجداً، فسجد كل واحد على خده وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه، ولذلك لا تسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر.

قوله: ﴿فوقهم﴾ الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس، إما حال منتظرة أو ظرف لنتقنا. قوله: ﴿كأنه ظلة﴾ حال من الجبل. قوله: ﴿وظنوا﴾ الجملة حالية من الجبل، والتقدير ورفعناه فوقهم، والحال أنه مظنون وقوعه عليهم، ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر. قوله: [وقلنا] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿خذوا﴾ معمول لمحذوف، وهو معطوف على ﴿نتقنا﴾.

قوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي تتصفون بالتقوى، وهي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، أو تجعلون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها.

قوله: ﴿وإذ أخذ ربك﴾ عطف على قوله: ﴿وإذ نتقنا﴾ عطف قصة على قصة، وقدر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف، والحكمة في تخصيص بني إسرائيل بهذه القصة الزيادة في إقامة الحجة عليهم، حيث أعلمهم الله بأن أعلم نبيه بمبدأ العالم، فضلاً عن وقائعهم. قوله: [بدل اشتمال] أي من قوله: ﴿بني آدم﴾ والأوضح أنه بدل بعض من كل لأن الظهور بعض بني آدم كضربت زيداً يده. قوله: [بأن أخرج بعضهم من صلب بعض] أي فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره، ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم، وهكذا على حسب الظهور الجسماني إلى يوم القيامة، وميز المسلم من الكافر، بأن جعل ذر المسلم أبيض، وذر الكافر أسود. روي أنهم لما اجتمعوا قال لهم: اعلموا أنه لا إله غيري، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، فإني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن، وإني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي، ومنزل عليكم كتاباً، فتكلموا جميعاً وقالوا: شهدنا أنك ربنا لا رب لنا غيرك، فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فنظر إليهم آدم عليه السلام، فرأى منهم الغني

عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾: أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾: بذلك والإشهاد لـ﴿أَنْ﴾: لا ﴿يَقُولُوا﴾: بالياء والتاء في الموضعين أي الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾: التوحيد ﴿غَافِلِينَ﴾ ١٧٢: لا نعرفه ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ١٧٣: من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ١٧٤: عن كفرهم ﴿وَاتْلُ﴾: يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: رب هلا سويت بينهم؟ فقال: إني أحب أن أشكر، فلما قررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق. قوله: [كالذر] قيل هو صغار النمال، وقيل هو الهباء الذي يطير في الشمس، وقيل غير ذلك. قوله: [بنعمان] مكان بجنب عرفة. قوله: [وركب فيهم عقلاً] أي وسمعاً وروحاً.

قوله: ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ أي قررهم، فإن الشهادة على النفس معناها الإقرار. قوله: ﴿بلى﴾ هي جواب للنفي، ولكنها تفيد إثباته، كان مجرداً أو مقروناً بالاستفهام التقريري كما هنا، ولذا قال ابن عباس: لو قالوا نعم لكفروا، لأن نعم لتقرير ما قبلها مثبتاً أو منفياً، فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم، وإلى ذلك أشار العارف الأجهوري رضي الله عنه بقوله:

بلى جواب النفي لكنه ... يصير إثباتاً كذا قرروا
نعم لتقرير الذي قبلها ... إثباتاً أو نفياً كذا حرروا

قوله: ﴿شهدنا﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك، فيكون الوقف على قوله: ﴿بلى﴾، ويحتمل أن يكون من كلام الذرية، ويكون المعنى أقررنا بذلك، وحينئذ فلا يصح الوقف على ﴿بلى﴾. قوله: [في الموضعين] أي قوله: ﴿أن يقولوا﴾، ﴿أو يقولوا﴾ والمناسب تأخير قوله: [في الموضعين] فعلى الياء يكون إخباراً عنهم، وعلى التاء يكون خطاباً لهم. قوله: [فاقتدينا بهم] أي فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون. قوله: [المعنى لا يمكنهم] أي معنى الجملتين. قوله: [مع إشهادهم على أنفسهم] أي إقرارهم عليها. قوله: [على لسان صاحب المعجزة] أي وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لا يذكره أحد اليوم.

قوله: ﴿ولعلهم يرجعون﴾ عطف على ما قدره المفسر.

فائدة حسنة ـ ذكر القطب الشعراني في رسالة سماها القواعد الكشفية في الصفات الإلهية: قد ذكر العلماء في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ الآية: اثني عشر سؤالاً، ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به، الأول: أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد؟ والجواب: أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان، وهو واد بجنب عرفة، قاله ابن عباس وغيره، وقال بعضهم: أخذه بسرنديب من أرض الهند، وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة، وقال الكلبي: كان أخذ العهد بين مكة والطائف، وقال الإمام علي بن أبي طالب: كان أخذ العهد في الجنة، وكل هذه الأمور محتملة، ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الإعتقاد بأخذ العهد. الثاني: كيف استخرجهم من ظهره؟ والجواب: ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم، وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر، ثم اختلف الناس، هل شق ظهره واستخرجهم منه؟ أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه، وكلا الوجهين بعيد، والأقرب

. . . .

كما قيل: أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره، إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم، مثل سم الخياط في النفوذ لا في السعة، فتخرج الذرة الضعيفة منها، كما يخرج الصئبان من العرق السائل، وهذا غير بعيد في العقل، فيجب اعتقاد إخراجها من ظهر آدم كما شاء الله، ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة، إذ لا اتصال بين الحادث والقديم. الثالث: كيف أجابوه تعالى: بلى، هل كانوا أحياء عقلاء، أم أجابوه بلسان الحال؟ والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء، إذ لا يستحيل في العقل أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم، فإن بحار قدرته تعالى واسعة، وغاية وسعنا في كل مسألة أن تثبت الجواز، ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى. الرابع: فإذا قال الجميع بلى، فلم قبل قوماً ورد آخرين؟ الجواب كما قال الحكيم الترمذي: أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا: بلى: مخافة، فلم يك ينفعهم إيمانهم، فكان إيمانهم كإيمان المنافقين، وتجلى للمؤمنين بالرحمة، فقالوا: بلى، مطيعين مختارين، فنفعهم إيمانهم. الخامس: إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا، فلأي شيء لا نذكره اليوم؟ والجواب: أنا لم نتذكر هذا العهد، لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها، بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ثم استحال تصويرها في الأطوار الواردة عليها، من العلقة والمضغة واللحم والعظم، وهذا كله مما يوجب النسيان، وكان علي كرم الله وجهه يقول: إني لأذكر العهد الذي عهد إلي ربي. وكان سهل التستري يقول: إني لأعرف تلامذتي من ذلك اليوم، ولم أزل أربيهم في الأصلاب حتى وصلوا إلي. السادس: هل كانت تلك الذرات مصورة بصورة الإنسان أم لا؟ والجواب: لم يبلغنا في ذلك دليل، إلا أن الأقرب للعقول، عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الإنسان، إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة، بل يقتضيان محلاً حياً لا غير. السابع: متى تعلقت الأرواح بالذوات التي هي الذرية، هل قبل خروجها من ظهره، أم بعد خروجها منه؟ والجواب: قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء، لأنه سماهم ذرية، والذرية هم الأحياء لقوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾، فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم، ثم أدخلها مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم، ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الأرض، هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقاً.

الثامن: ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم؟ والجواب: أن الحكمة في ذلك، إقامة الحجة على من لم يوف بذلك.

التاسع: هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء، أم استرد أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتاً؟ والجواب: أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره، قبض أرواحهم، قياساً على ما يفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت، فإنه يقبض أرواحهم ويعيدهم فيها. العاشر: أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهره؟ والجواب: أن هذه المسألة غامضة، لا يتطرق إليها النظر العقلي، عندي بأكثر من أن يقال: رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذوات، فمن رأى في ذلك شيئاً فليلحقه بهذا الموضع. الحادي عشر: قوله: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾، والناس يقولون: إن الذرية أخذت من ظهر آدم؟ والجواب: أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بني بنيه من ظهور بنيه، فاستغنى عن ذكر إخراج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم، إذ من المعلوم أن بني بنيه لا يخرجون إلا من بنيه، ومثال ذلك: كمن أودع جوهرة في صدفة، ثم أودع الصدفة في خرقة، ثم أودع الخرقة مع الجوهرة في حقة، ثم أودع الحقة في درج، ثم أودع الدرج في صندوق، فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض، ثم أخرج الجميع من الصندوق، فهذا لا تناقض فيه.

الثاني عشر: في أي مكان أودع كتاب العهد والميثاق؟ والجواب: قد جاء في الحديث، أنه مودع في باطن الحجر الأسود، وأن للحجر الأسود عينين وفماً ولساناً، فإن قال قائل: هذا غير متصور في العقل، فالجواب: أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الإيمان به، ورد معناه إلى الله تعالى اهـ ملخصاً.

أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سُئل أن يدعو على موسى وأهدي إليه شيء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ ١٧٥ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾: إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾: بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾: سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أي الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في دعائه

قوله: ﴿واتل عليهم﴾ عطف على ﴿وأسألهم﴾ عطف قصة على قصة. قوله: ﴿آياتنا﴾ أي وهي علوم الكتب القديمة، ومعرفة الإسم الأعظم، فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه، وكان يرى العرش وهو جالس مكانه، وكان في مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه، وحاصل قصته على ما ذكره ابن عباس وغيره، أن موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين، ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام، أتى بلعم إليه وكان عنده الإسم الأعظم، فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما لا تعلمون، وإني إن فعلت ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فآمر ربه في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد آمرت ربي، وإني نهيت أن أدعو عليهم، فأهدوا إليه هدية فقبلها، وراجعوه فقال: حتى أؤامر ربي، فآمر فلم يؤمر بشيء، فقال: قد آمرت ربي فلم يأمرني بشيء، فقالوا له: ولو كره ربك أن تدعو لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن، فركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسبان، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت، فنزل عنها وضربها، فقامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت فضربها، وهكذا مراراً، فأذن الله تعالى لها في الكلام فأنطقها له، فكلمته حجة عليه فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي، ويحك تذهب إلى نبي الله والمؤمنين فتدعوا عليهم، فلم ينزجر، فخلى الله سبيل الأتان، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسبان، فجعل يدعو عليهم، فلم يدع بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا، فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: الآن قد ذهب مني الدنيا والآخرة، ولم يبق إلا المكر والخديعة، فسأمكر لكم وأحتال، أجملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى عسكر بني إسرائيل يبعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل راودها، فإنه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم، ففعلوا، فلما دخل النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بني إسرائيل، وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال: إني أظنك أن تقول هذه حرام عليك، قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا نطيعك، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله عليهم الطاعون في الوقت، فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار. قوله: [من علماء بني إسرائيل] أي بل قيل بنبوته والحق خلافه لأن الأنبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى. قوله: [وأهدي إليه شيء] أي في نظير الدعاء عليهم، وتسمى تلك الهدية رشوة، وهي محرمة في شرعنا، والذي الجاه المنصب. قوله: [واندلع لسانه] أي تدلى. قوله: ﴿فأتبعه الشيطان﴾ هذا مبالغة في ذمه، حيث كان عالماً عظيماً، ثم صار الشيطان من أتباعه. قوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته. قوله: ﴿بها﴾ أي بسبب تلك الآيات. قوله: [ولكنه

إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُ﴾: صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾: بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾: يدلع لسانه ﴿أَوْ﴾: إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾: وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله ﴿ذَٰلِكَ﴾: المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١٧٦: يتدبرون فيها فيؤمنون ﴿سَاءَ﴾: بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾: أي مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ١٧٧: بالتكذيب ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾ ١٧٨ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُولَٰئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ﴾: في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾ ١٧٩ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث

أخلد] أي مال واطمأن. قوله: ﴿كمثل الكلب﴾ أي الذي هو أخس الحيوانات. قوله: ﴿إن تحمل عليه﴾ أي تشدد عليه وتجهده يلهث أي يخرج لسانه. قوله: ﴿أو تتركه﴾ أي من غير تشدد عليه. قوله: [وليس غيره من الحيوانات كذلك] أي بل غيره يلهث في حال التعب فقط. قوله: [ما بعدها] أي وهو الانسلاخ، وقوله: [من الميل الخ] بيان لما قبلها.

قوله: ﴿ذلك مثل القوم﴾ أي اليهود الذين أوتوا التوراة، وفيها صفات النبي ﷺ وأخلاقه وشمائله، فغيروا وبدلوا. قوله: ﴿فاقصص القصص﴾ أي الذي أوحي إليك، ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون. قوله: [على اليهود] لا مفهوم له، بل المراد قصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك. قوله: ﴿ساء مثلاً القوم﴾ ساء فعل ماض لإنشاء الذم، و﴿مثلاً﴾ تمييز ﴿القوم﴾ فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم.

قوله: ﴿من يهدي الله﴾ هذا رجوع للحقيقة وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿فهو المهتدي﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً باتفاق القراء هنا. قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً﴾ أي بحكم القبضة الإلهية حين قبض قبضة، وقال: هذه للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال: هذه للنار ولا أبالي، وقوله: ﴿كثيراً﴾ يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة، وهو كذلك، لما تقدم من أن من كل ألف واحداً للجنة، والباقي للنار. قوله: [الحق] قدره هو، ونظيره في: ﴿يبصرون﴾ و﴿يسمعون﴾ إشارة إلى أن مفعول كل محذوف. قوله: ﴿بل هم أضل﴾ إضراب انتقالي، ونكتة الإضراب أن الأنعام لا تدري العواقب، والعقلاء تعرفها، فقدومهم على المضار مع علمهم بعواقبها أضل من قدوم الأنعام على مضارها. قوله: ﴿أولئك هم الغافلون﴾ أي قلباً وسمعاً وبصراً، وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها.

قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ذكرت في أربعة مواضع من القرآن: هنا، وفي آخر الإسراء، وفي أول طه، وفي آخر الحشر. قوله: [الوارد بها الحديث] أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة»، ومنها «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة»، ومنها «إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إن الله وتر يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة»، ومنها «إن لله مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له» وكلها مذكورة في الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة. والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على المسمى، إما على الذات فقط، أو على الذات والصفات، والأخبار

الأحسن ﴿فادعوه﴾: سمّوه ﴿بها وذروا﴾: اتركوا ﴿الذين يلحدون﴾: من ألحد ولحد يميلون عن الحق ﴿في أسمائه﴾: حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ﴿سيجزون﴾: في الآخرة جزاء ﴿ما كانوا يعملون﴾ ١٨٠: وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ١٨١: هم أمة محمد ﷺ كما في حديث ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾: القرآن من أهل مكة ﴿سنستدرجهم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿من حيث لا يعلمون﴾ ١٨٢ ﴿وأملي لهم﴾: أمهلهم ﴿إن كيدي متين﴾ ١٨٣: شديد لا يطاق ﴿أو لم يتفكروا﴾:

بأنها تسع وتسعون ليس حصراً، وإنما ذلك إخبار عن دخول الجنة بإحصائها أو استجابة الدعاء بها، وإلا فأسماء الله كثيرة، قال بعضهم: إن لله ألف اسم، وقال بعضهم: إن أسماءه على عدد أنبيائه، فكل نبي يستمد من اسم، ونبينا يستمد من الجميع. قوله: [والحسنى مؤنث الأحسن] أي ككبرى وصغرى، مؤنث الأكبر والأصغر، وإنما كانت حسنى لأن الدال يشرف بشرف مدلوله. قوله: [سموه] ﴿بها﴾ أي وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم.

قوله: ﴿وذروا﴾ أمر للمكلفين. قوله: [من ألحد ولحد] أي رباعياً وثلاثياً، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [يميلون عن الحق] تفسير لكل من القراءتين، ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر، بخلاف الضريح، فإنه الحفر في الوسط. قوله: [حيث اشتقوا] أي اقتطعوا، وهذا الإلحاد كفر، ويطلق الإلحاد على التسمية بما لم يرد، وهو بهذا المعنى حرام، لأن أسماءه توقيفية، فيجوز أن يقال يا جواد، ولا يجوز أن يقال يا سخي، ويقال يا عالم دون عاقل، وحكيم دون طبيب، وهكذا. قوله: [جزاء] ﴿ما كانوا يعملون﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وقدر ليصح الكلام، إذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملونه من الإلحاد، بل المراد جزاؤه. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] اسم الاشارة راجع لقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ فهذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله: ﴿وممن خلقنا﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿أمة﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة أي يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق. قوله: ﴿وبه يعدلون﴾ أي بالحق يجعلون الأمور متعادلة مستوية، لا إفراط فيها ولا تفريط. قوله: [كما في الحديث] أي وهو قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق إلى أن يأتي أمر الله» وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»، وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان، ولا مكان دون مكان، بل هم في كل مكان وفي كل زمان، فالإسلام دائماً يعلو ولا يعلى عليه، وإن كثر الفساق وأهل الشر، فلا عبرة بهم، ولا صولة لهم، وفي هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية، بأن الإسلام في علو وشرف، وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة، حتى تموت حملة القرآن والعلماء، وينزع القرآن من المصاحف، وتأتي الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الإيمان، ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام.

قوله: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده. قوله: ﴿سنستدرجهم﴾ الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة، أو الاستنزال درجة بعد درجة. قوله: [نأخذهم قليلاً قليلاً] أي نمدهم بالعطايا شيئاً فشيئاً، وهم مقيمون على المعاصي، حتى ينتهي بهم الأمر إلى الهلاك، فهم يظنون أنهم في نعم، وهم في نقم، ولذا قيل:

---

* أسباب نزول الآية ١٨٤: قوله تعالى: ﴿أو لم يتفكروا﴾ الآية، أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً فجعل يدعوهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح فأنزل الله ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾.

فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جنون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤﴾: بيّن الإنذار ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾: ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾: في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾: في ﴿أَنْ﴾: أي أنه ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾: قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾: فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾: بالياء والنون مع الرفع استئنافاً والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٨٦﴾: يترددون تحيراً ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾: القيامة ﴿أَيَّانَ﴾: متى ﴿مُرْسَاهَا قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا

إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته، فاعلم أنه مستدرج له. قوله: ﴿إن كيدي متين﴾ الكيد في الأصل المكر والخديعة، وذلك مستحيل على الله، بل المراد الاستدراج وكان شديداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

قوله: ﴿أو لم يتفكروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ سبب نزولها ما روي أنه ﷺ صعد على الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً، يا بني فلان، يا بني فلان، يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم في الأقوال والأفعال، فإنه كان موحداً مقبلاً على الله بكليته، معرضاً عن الدنيا وشهواتها، وهم ليسوا كذلك. قوله: [ملك] ﴿السموات والأرض﴾ إنما فسر الملكوت بالملك، لأن الملكوت ما غاب عنا، كالملائكة والعرش والكرسي، والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا. قوله: ﴿وما خلق الله﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أنه معطوف على ﴿ملكوت السموات والأرض﴾. قوله: ﴿وأن عسى﴾ قدر المفسر في إشارة إلى أن الجملة في محل جر عطفاً على ما قبلها، و﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ خبرها.

قوله: ﴿فبأي حديث﴾ الخ متعلق بيؤمنون، وهو استفهام تعجبي، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظم المعجزات، فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها. قوله: ﴿من يضلل الله﴾ تذييل لما قبله، خارج مخرج المثل. قوله: [بالياء والنون] أي مع الرفع، وبالياء لا غير مع الجزم، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فعلى النون يكون التفاتاً من الغيبة للتكلم، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة. قوله: [على محل ما بعد الفاء] أي وهو الجزم، لأن جملة ﴿فلا هادي له﴾ جواب الشرط في محل جزم.

قوله: ﴿يسئلونك﴾ الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر، لأن السورة مكية إلا ما تقدم من الثمان آيات، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في كفرهم، لأنه ﷺ كان يخوفهم من الساعة وأهوالها. قوله: [القيامة] سميت ساعة إما لسرعة مجيئها، قال تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ أو لسرعة حسابها، لأن الخلق جميعاً يحاسبون في قدر نصف يوم من نهار، أو لأنها ساعة عند الله لخفتها، وإن كانت في نفسها طويلة، لأن الأزمان عنده مستوية، ولها أسماء كثيرة، منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها، والقارعة لأنها تقرع القلوب

---

* أسباب نزول الآية ١٨٧: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة﴾ الخ، أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال حمل بن أبي قشير وسمؤال بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة أن كنت نبياً كما تقول فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ الآية، وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قالت قريش فذكر نحوه.

﴿عِلْمُهَا﴾: متى تكون ﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾: يظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾: اللام بمعنى في ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾: عظمت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: على أهلهما لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾: حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾: تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٧: أن علمها عنده تعالى ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾: أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ما غاب عني ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾: من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾: ما

بأهوالها، والحاقة لأنها ثابتة، والخافضة والرافعة لأنها تخفض أقواماً وترفع آخرين، والطامة لأنه لا يمكن ردها، والصاخة لأنها تصم الآذان، والزلزلة لتزلزل الأرض والقلوب، ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار، واليوم الموعود لأن الله وعد فيه أقواماً بالجنة، وأوعد أقواماً بالنار، ويوم العرض لعرض الناس على ربهم، ويوم المفر لقول الإنسان الكافر يومئذ أين المفر، واليوم العسير لشدة الحساب فيه، وزحمة الناس بعضهم على بعض، حتى يكون على القدم ألف قدم، وفي رواية سبعون ألف قدم على قدم، وتدنو الشمس من الرؤوس حتى يكون بينها وبين الرؤوس قدر المرود، إلى غير ذلك من أسمائها.

قوله: ﴿أيان مرساها﴾ في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الساعة بسفينة في البحر، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإرساء فذكره تخييل، وهذه الجملة من المبتدأ والخبر بدل من الجار والمجرور قبله، والمعنى يسألونك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب، لأن الجار والمجرور في محل نصب معمول ليسألونك. قوله: [متى تكون] أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف، والتقدير إنما علم وقتها عند الله. قوله: [على أهلهما] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، و﴿في﴾ بمعنى على، ويصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لا يطيقها شيء من السماوات لطيها، ولا الأرض لتبدلها، فهي شاقة مفزعة لكل ما تحتوي الله.

قوله: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ أي على حين غفلة، والحكمة في إخفائها ليتأهب لها كل أحد، كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة ليعتني باليوم كله، وليلة القدر في سائر الليالي ليعتني بجميع الليالي، والرجل الصالح في جميع الخلق ليعتقد الجميع، والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للمحافظة على الجميع. قوله: ﴿كأنك حفي عنها﴾ عن بمعنى الباء، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها. قوله: [تأكيد] أي لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه من الرسل، والذي يجب الإيمان به، أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة، فهو يعلمها كما هي عين يقين، لما ورد «رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه»، وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار، ولكن أمر بكتمان البعض. قوله: ﴿لنفسي﴾ معمول لا أملك. قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ أي تمليكه لي فإنا أملكه.

قوله: ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ الخ إن قلت: إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا، أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة، والجواب: أنه قال ذلك تواضعاً أو أن علمه بالمغيب كلا علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه، فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ، إن قلت: إن دعاءه مستجاب لا يرد. أجيب: بأنه لا يشاء إلا ما يشاؤه الله، فلو أطلع على أن هذا الشيء مثلاً لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له، إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله، واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به، وهو سر قوله تعالى: ﴿ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾، وفي ذلك المعنى قال العارف:

﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾: بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾: بالجنة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١٨٨: ﴿هُوَ﴾: أي الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾: هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾: ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾: بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾: ولداً ﴿صَالِحاً﴾: سوياً ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٨٩: لك عليه ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾: ولداً ﴿صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾: وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾: بتسميته عبد الحرث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم، وروى سمرة

وخصك بالهدى في كل أمر ... فلست تشاء إلا ما يشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: إذا أراد الله أمراً أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء ستراً عليهم، لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا. قوله: [للكافرين] أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: ﴿هو الذي خلقكم﴾ الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين. قوله: ﴿من نفس واحدة﴾ أي لأنه المالك المتصرف، وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية. قوله: [أي آدم] أي وهو مخلوق من الماء والطين، والماء والطين موجودان من عدم، فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودان من عدم.

قوله: ﴿وجعل منها زوجها﴾ أي من الضلع الأيسر، فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة. قوله: [حواء] تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حي وهو آدم. قوله: ﴿ليسكن إليها﴾ هذا هو حكمة كون حواء من آدم، فالحكمة في كونها منه، كونه يسكن إليها ويألفها لأنها جزء منه. قوله: [ويألفها] عطف تفسير. قوله: ﴿فلما تغشاها﴾ التغشي كناية عن الجماع، وعبر به تعليماً لعباده الأدب. قوله: [هو النطفة] إن قلت: إن الجنة لا حمل فيها ولا ولادة. أجيب: بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض، وأما جماعه لها في الجنة فبغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة.

قوله: ﴿فمرت به﴾ أي ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه. قوله: ﴿فلما أثقلت﴾ أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل، كأصبح إذا دخل في الصباح. قوله: [وأشفقا] أي خافا، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت لا أدري، فقال لها يحتمل أن يكون كلباً أو حماراً أو غير ذلك، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوفها بهذا كله، فعرضت الأمر على آدم، فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور. قوله: ﴿لئن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله. قوله: [ولذا قدره] إشارة إلى أن صالحاً صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لآتيتنا لأنه بمعنى أعطيتنا. قوله: ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ أي نزيد في الشكر، لأن الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم.

قوله: ﴿شركاء﴾ جمع شريك، والمراد بالجمع المفرد، بدليل القراءة الثانية. قوله: [أي شريكاً] تفسير لكل من القراءتين. قوله: [بتسميته عبد الحرث] أي والحرث كان اسماً لإبليس، فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده. قوله: [وليس بإشراك في العبودية] المناسب أن يقول في العبادة أو في المعبودية، وإنما هو إشراك في التسمية، وهو ليس بكفر بل تعمده حرام، لعدم تعظيمه شرعاً، وأما النسبة للمعظم شرعاً، كعبد النبي، وعبد الرسول، فقيل بالكراهة. والحاصل أن النسبة للمعظم شرعاً لا حرمة فيها، ولغيره حرام إن لم يعتقد المعبودية، وإلا كان كفراً في الجميع. قوله: [وروى سمرة] الحكمة في ذكر هذه الرواية، أن هذا المقام زلت فيه أقدام العلماء،

عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكم وقال صحيح، والترمذي وقال حسن غريب ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ ١٩٠: أي أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض ﴿أيشركون﴾ به في العبادة ﴿ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾ ١٩١ ﴿ولا يستطيعون لهم﴾: أي لعابديهم ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾ ١٩٢: بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ ﴿وإن تدعوهم﴾: أي الأصنام ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾: إليه ﴿أم أنتم صامتون﴾ ١٩٣: عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم ﴿إن الذين تدعون﴾: تعبدون ﴿من دون الله عباد﴾: مملوكة ﴿أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾: دعاءكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ ١٩٤: في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم﴾: بل أ ﴿لهم أيد﴾: جمع يد ﴿يبطشون بها أم﴾: بل أ ﴿لهم أعين يبصرون بها أم﴾: بل أ ﴿لهم آذان يسمعون بها﴾: استفهام إنكاري أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم ﴿قل﴾: لهم يا محمد ﴿ادعوا شركاءكم﴾: إلى هلاكي ﴿ثم كيدون فلا

فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام ويظهر الغث من السمين. قوله: [كان لا يعيش لها ولد] وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فأصابهم الموت، وكان يلح عليها كل مرة فألح عليها في الأخير، فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر. قوله: [والجملة] أي قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾. قوله: [مسببة] عطف على قوله [خلقكم] أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلاً، ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية، ولو كان راجعاً لها لثنى الضمير وقال يشركان. وفي قوله: ﴿يشركون﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة.

قوله: ﴿أيشركون﴾ شروع في توبيخ أهل مكة على الإشراك. قوله: ﴿وإن تدعوهم﴾ هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ. وقوله ﴿إلى الهدى﴾ أي لكم، أي إن تدعوهم إلى أن يهدوكم لا يتبعوكم إلى مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿سواء عليكم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله، أي سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنهم، فإنه لا يتغير حالكم في الحالين، كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية. قوله: [مملوكة] دفع بذلك ما يقال إن الأصنام جمادات لا تعقل، فكيف توصف بأنها مثلكم؟ وأجيب: بأن المراد بكونهم أمثالكم أنهم مملوكون مقهورون، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، فالتشبيه من هذه الحقيقة لا من كل وجه. قوله: [وفضل عابديهم] إما بتشديد الضاد عطف على [بين] وبسكون الضاد عطف على [غاية] ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة. قوله: ﴿أم لهم﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿أم﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والإضراب انتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر. قوله: ﴿يبطشون﴾ من باب ضرب، وبها قرأ السبعة، وقرئ شذوذاً من باب قتل، والبطش هو الأخذ بعنف. قوله: [استفهام إنكاري] أي في المواضع الأربعة، أي ليس لهم شيء من المنافع المذكورة.

قوله: ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ أي واستعينوا بهم في عداوتي. قوله: ﴿كيدون﴾ قرئ بإثبات الياء وصلاً، وحذفها وقفاً، وبإثباتها في الحالين، وبحذفها في الحالين، وكلها سبعية، وفي القرآن ﴿كيدون﴾ في ثلاثة مواضع هنا

﴿تَنظُرُونِ﴾ ١٩٥ تمهلون فإني لا أبالي بكم ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾: متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ
يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ﴾ ١٩٦: بحفظه ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ ١٩٧:
فكيف أبالي بهم ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ﴾: أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ﴾: أي يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٩٨ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: أي اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ﴾: المعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ١٩٩: فلا تقابلهم بسفههم ﴿وَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية
في ما المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: جواب الشرط
وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾: للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٠٠: بالفعل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ﴾:
أصابهم ﴿طَٰٓئِفٌ﴾: وفي قراءة: طائف أي شيء ألم بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾: عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم

وفي هود بإثبات الياء عند السبع في الحالين، وفي المرسلات بحذفها عند السبع في الحالين. قوله: ﴿إن وليي﴾ العامة على تشديد الولي مضافاً لياء المتكلم المفتوحة، وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة. قوله: ﴿والذين تدعون من دونه﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم.

قوله: ﴿وإن تدعوهم﴾ أي أيها المشركون، أي تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم، فضلاً عن المساعدة والأمداد، وهذا أبلغ من نفي الاتباع، وقوله: ﴿وتراهم ينظرون﴾ الخ بيان لعجزهم عن الأبصار بعد بيان عجزهم عن السمع، وبه يتم التعليل ورأى بصرية. قوله: ﴿خذ العفو﴾ هذا أمر من الله لنبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب، ورد لما نزلت هذه الآية، سأل النبي ﷺ جبريل عن معناها، فقال حتى أسأل ربي، فذهب ثم رجع فقال: يا محمد، ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. قوله: [أي اليسر من أخلاق الناس] أي ما سهل منها. قوله: [ولا تبحث عنها] أي لا تفتش عن الأخلاق، بل أقبل ما ظهر، ودع ما بطن لله.

قوله: ﴿وأمر بالعرف﴾ أي ما عرف جنسه في الشرع. قوله: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ إن كان المراد بالجاهلين الكفار، وبالأعراض عدم مقاتلتهم، فالآية منسوخة بآية القتال، وإن كان المراد بالجاهلين، ضعفاء الإسلام وأجلاف العرب، وبالاعراض عدم تعنيفهم والأغلاظ عليهم، فالآية محكمة، وكلام المفسر يشهد للثاني، ومن معنى ذلك قوله تعالى: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهو الذي لا عتاب بعده، وفي هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد، فليس هذا الأمر من خصوصياته ﷺ.

قوله: ﴿وإما ينزغنك﴾ سبب نزولها أنه ﷺ لما أمر بأخذ العفو، والأمر بالعرف، والإعراض عن الجاهلين، قال: وكيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية. والنزغ هو النخس، وهو في الأصل حث السائق للدابة على السير، والمراد منه الوسوسة، فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك، والخطاب للنبي والمراد غيره، لأن الشيطان لا تسلط له عليه. قوله: ﴿فاستعذ بالله﴾ أي اطلب الاستعاذة بالله بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قوله: [جواب الشرط] أي وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية. قوله: ﴿إنه سميع عليم﴾ أي فيجيبك لما طلبت.

قوله: ﴿إن الذين اتقوا﴾ أي الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي. قوله: [أي شيء ألم بهم] تفسير للقراءتين، أي خاطر قليل من الشيطان، فإذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي، أو ترك الطاعات، تذكروا عقاب الله

﴿مُبْصِرُونَ﴾ ٢٠١ : الحق من غيره فيرجعون ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: أي الشياطين ﴿فِي الْغَيِّ ثُمَّ﴾: هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ ٢٠٢ : يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾: أي أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾: مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: أنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾: وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾: حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠٣ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾: عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٢٠٤ : نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾: أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذللا ﴿وَخِيفَةً﴾: خوفاً منه ﴿وَ﴾: فوق السر ﴿دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: أي قصداً بينهما ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ ٢٠٥ : عن ذكر الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ

وثوابه، فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه. قوله: [عقاب الله] أي في متابعة الشيطان، وقوله [وثوابه] أي في مخالفته. قوله: ﴿وإخوانهم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يمدونهم﴾ خبر. قوله: [أي إخوان الشياطين من الكفار] أي والفساق، أشار بذلك إلى أن المراد بالإخوان الكفار والفساق، والضمير عائد على الشياطين.

قوله: ﴿يمدونهم﴾ الواو عائدة على الشياطين، والهاء عائدة على الكفار والفساق، فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى. قوله: ﴿ثم﴾ [هم] أي الإخوان. قوله: ﴿لا يقصرون﴾ أي لا يبعدون عن الغي. قوله: [بالتبصر] أي التأمل والتفكر، والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في الغي، حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه، فجعل الله في هذه الآية للمتقين علامة، ولغيرهم علامة. قوله: ﴿وإذا لم تأتهم﴾ رجوع لخطاب كفار مكة. قوله: [مما اقترحوا] أي طلبوا. قوله: ﴿لولا اجتبيتها﴾ أشار المفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا. قوله: [أنشأتها] أي اخترعتها واختلقتها. قوله: [وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء] أي لا يمكنني ذلك.

قوله: ﴿بصائر﴾ أي سبب فيها، فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به. قوله: ﴿فاستمعوا له﴾ أي للقرآن. قوله: [نزلت في ترك الكلام في الخطبة] أي وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم، ومذهب الشافعي في الجديد، الإنصات سنة، والكلام مكروه. قوله: [وقيل في قراءة القرآن مطلقاً] أي فيحرم الكلام في مجلس القرآن للتخليط على القارىء، بل يجب الانصات والاستماع، فإن أمن التخليط فلا حرمة، وما ذكره المفسر قولان من أربع، وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة، رابعها أنها أنزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام.

قوله: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ أي بأي نوع من أنواع الذكر، كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك. وقوله: [سراً] أي إن لم يلزم عليه الكسل وإلا جهراً. قوله: ﴿تضرعا وخيفة﴾ مفعولان لأجله أو حالان، أي متضرعين خائفين. قوله: ﴿ودون الجهر﴾ معطوف على قوله: ﴿في نفسك﴾. قوله: ﴿بالغدو﴾ جمع غدوة، وهي من طلوع

---

* أسباب نزول الآية ٢٠٤ : قوله تعالى: ﴿وإذا قرىء القرآن﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت ﴿وإذا قرى القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ، وأخرج عنه أيضاً قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت ﴿وإذا قرىء القرآن﴾ الآية، وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله، وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه، وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئاً قرؤوا معه حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ قلت ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

﴿رَبِّكَ﴾: أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ٢٠٦: أي يخصّونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

الفجر إلى طلوع الشمس. قوله: ﴿والآصال﴾ جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب، وإنما خصّ هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يقوم من النوم عند الغداة، فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله، وأما وقت الآصال فلأن الإنسان يستقبل النوم وهو أخو الموت، فينبغي له أن يشغله بالذكر، خيفة أن يموت في نومه فيبعث على ما مات عليه، وقيل إن الأعمال تصعد في هذين الوقتين، وقيل لكراهة النفل في هذين الوقتين، فطلب بالذكر فيهما لئلا يضيع على الإنسان وقته. قوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ خطاب للنبي والمراد غيره.

قوله: ﴿عند ربك﴾ العندية مكانة لا مكان، أو المراد عند عرش ربك، وهذا كالدليل لما قبله، أي فإذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار، فلتكونوا كذلك بالأولى. قوله: [ينزهونه] أي يعتقدون تنزيهه. قوله: [أي يخصونه] أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: [بالخضوع] تفسير للسجود، أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة، لا خصوص السجود المعروف، وإنما خص السجود، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة، والله أعلم.

بسم الله الرَّحْمٰن الرَّحيم
سورة الأنفال

[مَدَنيةٌ أو إلّا ﴿وإذْ يَمْكُرُ بك﴾ الآيَاتِ السَّبع فمكيةٌ خمس أو ست أو سبع وسبعون آيةً]

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان: هي لنا لأنا باشرنا القتال. وقال الشيوخ: كنا ردءاً لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها نزل ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يا محمد ﴿عَنِ الأَنفَالِ﴾: الغنائم لمن

بسم الله الرحمن الرحيم

أو إلا ﴿وإذ يمكر بك﴾ الآيات السبع فمكية. وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

قوله: [سورة الأنفال] مبتدأ مضاف إليه، و[مدنية] خبر أول و[خمس الخ] خبر ثان. قوله: [أو إلا] أو لحكاية الخلاف، فإنه اختلف هل هي مدنية كلها وهو الصحيح، أو إلا سبع آيات أولها ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وآخرها ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فمكيات وهو ضعيف، ولا يلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع في مكة. قوله: [في غنائم بدر] أي لأنها أول غنيمة في الإسلام. قوله: [وقال الشيوخ] أي وكانوا محدقين برسول الله خوفاً عليه من العدو. قوله: [كنا ردءاً] أي عوناً لكم. قوله: [ولو انكشفتم] أي انهزمتم. قوله: [لفئتم] أي رجعتم. قوله: ﴿يسألونك﴾ السؤال إن كان تعيين الشيء وتبيينه تعدى للمفعول الثاني بعن كما هنا، وإن كان بمعنى

روى ابن دواد والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا»، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءاً، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال: إذهب فاطرحه في القبض، فرجعت وبي ما لايعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال النبي ﷺ، إذهب فخذ سفيك.

وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن سعد قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت يا رسول الله: إن الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: هذا ليس لي ولا لك، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائي فجاءني الرسول ﷺ فقال: إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك، قال: فنزلت ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد: أنهم سألوا النبي ﷺ، عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية.

هي ﴿قُل﴾: لهم ﴿ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: يجعلانها حيث شاءا فقسمها ﷺ بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾: أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[١]: حقاً ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: الكاملون الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾: أي وعيده ﴿وَجِلَتۡ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾: تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢]: به يثقون لا بغيره ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾[٣]: في طاعة الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾: صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾: منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[٤]: في الجنة ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلق بأخرج ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

طلب الإعطاء، تعدي للمفعولين بنفسه، كسألت زيداً مالاً، خلافاً لمن فهم أن ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن.

قوله: ﴿عن الأنفال﴾ جمع نفل مثل سبب وأسباب، ويقال نفل بسكون الفاء أيضاً وهي الزيادة، لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة، فإنها لم تكن محلالاً لهم، بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان، فإن قبلها الله منهم أنزل عليها ناراً أحرقتها، وإلا بقيت. قوله: ﴿لله والرسول﴾ قيل: إن معنى ذلك، أنها مملوكة لله، وأعطاها ملكاً لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء، وعلى هذا فقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ الآية ناسخة لها، وقيل إن ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له، والآية محكمة، فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين. قوله: [يجعلانها حيث شاءا] أي فامتثلوا ما يأمركم به.

قوله: ﴿فاتقوا الله﴾ أي امتثلوا أمره وأمر نبيه. قوله: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أي الحالة وهي الوصلة الإسلامية، فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء، والزموا المودة والمحبة بينكم، ليحصل النصر والخير لكم. قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي فيما يأمركم به. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: [حقاً] أي كاملين في الإيمان، فعلامة كمال الإيمان، طاعة الله والرسول، وعدم وجود الحرج في النفس، قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

قوله: ﴿إنما المؤمنون﴾ استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين، فهو كالدليل لما قبله. قوله: [الكاملون الإيمان] بالنصب على نزع الخافض، أي فيه، وفي بعض النسخ بحذف النون، فيكون مضافاً للإيمان. قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله﴾ وصل ﴿الذين﴾ بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب. قوله: ﴿وجلت قلوبهم﴾ أي فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم. قوله: [تصديقاً] أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة، إذ لا يصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق، وما قبل الزيادة قبل النقص، وبذلك أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة. قوله: [به يثقون] أشار بذلك إلى أن ﴿على﴾ بمعنى الباء، و﴿يتوكلون﴾ بمعنى يثقون. قوله: [لا بغيره] حصر أخذ من تقديم المعمول، والمعنى أن ثقتهم بالله لا بغيره، فلا يعتمدون على عمل ولا على مال، ولا يخافون من غيره.

قوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أي يلازمونها في أوقاتها، مستوفية الشروط والأركان والآداب. قوله: ﴿ينفقون﴾ أي النفقة الواجبة كالزكاة، أو المندوبة كالصدقة. قوله: ﴿حقاً﴾ صفة لمصدر محذوف، أي إيماناً حقاً. قوله: [بلا شك] أي لظهور علامة الإيمان الكامل فيهم. قوله: ﴿عند ربهم﴾ العندية عندية مكانة لا مكان. قوله: ﴿ومغفرة﴾ أي غفران لذنوبهم. قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب، مقرون بالتعظيم والتكريم.

---

* أسباب نزول الآية ٥: قوله تعالى: ﴿كما أخرجك﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا =

﴿لَكَارِهُونَ﴾ ۝: الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾: القتال ﴿بَعْدَ

قوله: ﴿كما أخرجك﴾ الكاف بمعنى مثل، وما مصدرية خبر لمحذوف، والتقدير قسم الغنائم عموماً، والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك، مثل إخراجك من بيتك، والحال أنهم كارهون لذلك، فهو تشبيه حكم بحكم، أو قصة بقصة، وهذا أحسن الأعاريب، ولذا درج عليه المفسر، فالمشبه: قسم الغنائم عموماً، والمشبه به: الخروج لقتال ذي الشوكة، بجامع أن كلاً كان فيه كراهة لبعض المؤمنين، بحسب الصورة الظاهرية، وفي الواقع: ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم في كل، لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين، والثاني ترتب عليه عز الإسلام ونصره.

قوله: ﴿من بيتك﴾ أي الكائن بالمدينة، أو المراد بالبيت نفس المدينة. قوله: [متعلق بأخرج] أي والباء سببية، والمعنى أخرجك من بيتك بسبب الحق، أي إظهار الدين ورفع شأنه، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف في أخرجك، أي أخرجك متلبساً بالحق أي الوحي، لا عن هوى نفسك. قوله: [والجملة حال] أي مقدرة، لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين، وإنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذي الشوكة. قوله: [أي هذه الحال] أي وهي قسم الغنائم على العموم. قوله: [في كراهتهم لها] هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما. قوله: [فكذلك أيضاً] أي قسم الغنائم كان خيراً لما فيه من إصلاح ذات البين. قوله: [قدم بعير] أي إبل حاملة تجارة، وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الأربعين. قوله: [فعلمت قريش] أي بأخبار ضمضمة بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان، ليعلم قريشاً بذلك. قوله: [ومقاتلوا مكة] أي وكانوا ألفاً إلا خمسين. قوله: [وأخذ أبو سفيان] أي عدل عن الطريق المعتاد للمدينة، وسار بساحل البحر. قوله: [فشاور ﷺ أصحابه] أي في المضي إلى بدر لقتال النفير. قوله: [فوافقوه] أي آخراً، بعد توقف بعضهم محتجاً بعدم التهيؤ، وكان إذ ذاك ﷺ بوادي دقران، بدال وقاف وراء، بوزن سلمان، واد قريب من الصفراء، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه، فوالله لو سرت إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله، فإنا معك حيثما أحببت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس أشيروا علي، وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ فقال: كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال إنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، فامش يا رسول الله لما أردت فإنا لا نكره أن يلقى عدونا، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقا، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، ثم قال رسول الله: سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

= رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا فخرجنا فسرنا يوماً أو يومين فقال: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله مالنا طاقة بقتال القوم إنما أخرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ فأنزل الله ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

مَا تَبَيَّنَ﴾: ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾٦: إليه عياناً في كراهتهم له ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّائِفَتَيْنِ﴾: العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾: تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾: أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾: لقلة عددها وعُددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: يظهره ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ﴾٧: آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾: يمحق ﴿ٱلْبَاطِلَ﴾: الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾٨: المشركون ذلك اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾: أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾: معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾٩: متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرىء بآلف كأفلس جمع ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ

قوله: ﴿يجادلونك في الحق﴾ أي يقيمون حجة قبالة حجة، فليس المراد بالجدال الجدال في الباطل. قوله: [ظهر لهم] أي تحتم القتال. قوله: ﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾ أي كأنهم مثل من يساق إلى القتل، وهو ينظر بعينه أسبابه. قوله: [في كراهتهم له] هذا هو وجه المشابهة، وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعُددهم، فقد ورد أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكل رجال، وليس فيهم إلا فرسان. قوله: [بخلاف النفير] أي فإنه كثير العدد والعَدد. قوله: [يظهره] جواب عما يقال إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال في قوله: ﴿ويبطل الباطل﴾. قوله: ﴿ليحق الحق﴾ ليس مكرراً مع ما قبله، لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية الدين وإظهار الشريعة مدى الأيام.

قوله: ﴿إذ تستغيثون﴾ إما خطاب للنبي ﷺ فقط، فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبي وأصحابه، روي عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه يقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت هذه الآية. قوله: [تطلبون منه الغوث] أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب.

قوله: ﴿ممدكم بألف﴾ ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه أبو بكر، ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي، ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة إلا في بدر، وأما في غيرها فكانت تنزل الملائكة لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل. قوله: [يردف بعضهم بعضاً] أي يعقبه في المجيء. قوله: [وعدهم بها أولاً] أشار بذلك إلى الجمع بين ما هنا وبين ما في آل عمران. وقوله: [وقرىء] أي شذوذاً. قوله: [كأفلس]

---

* أسباب نزول الآية ٩: قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون﴾ الآية، روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ فأمدهم الله بالملائكة.

عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ١٠: اذكر **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾**: أمناً مما حصل لكم من الخوف **﴿مِنْهُ﴾**: تعالى **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾**: من الأحداث والجنابات **﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾**: وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء **﴿وَلِيَرْبِطَ﴾**: يحبس **﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾**: باليقين والصبر **﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾** ١١: أن تسوخ في الرمل **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾**: الذين أمدّ بهم المسلمين **﴿أَنِّي﴾**: أي بأني **﴿مَعَكُمْ﴾**: بالعون والنصر **﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**: بالإعانة والتبشير **﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾**: الخوف **﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾**: أي الرؤوس **﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾** ١٢: أي أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه

أي فأبدلت الهمزة الثانية ألفاً. قوله: [إلا من عند الله] أي فلا يتوقف على تهيؤ بعَدد ولا عُدد.

قوله: **﴿إذ يغشاكم النعاس﴾** أي دفعة واحدة فناموا كلهم، وهذا على خلاف العادة، فهي معجزة لرسول الله، حيث غشي الجميع النوم في وقت الخوف، وفيه ثلاث قراءات سبعية، يغشاكم كيلقاكم، والنعاس مرفوع على الفاعلية، ويغشّيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة، ويغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة، والنعاس منصوب على المفعولية في هاتين القراءتين. قوله: **﴿أمنة﴾** منصوب على الحال على القراءة الأولى، أو المفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين، قال عبد الله بن مسعود: النعاس في القتال أمنة في الصلاة من الشيطان، قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم، لكثرة عدد العدو وعُددهم، وقلة المسلمين، وعطشوا عطشاً شديداً ألقى الله عليهم النوم، حتى حصلت لهم الراحة، وزال عنهم العطش، وتمكنوا من قتال عدوهم، فكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفاً، بحيث لو قصدهم العدو لتنبهوا له، وقدروا على دفعه. قوله: [من الخوف] بيان لما. قوله: **﴿ليطهركم﴾** الخ أي وذلك أنهم وقفوا في كثيب رمل، فشق المشي عليهم فيه من لينه ونعومته، واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو في تلك الحالة، فألقى الله عليهم النعاس، فاحتلم معظمهم، فاشتد احتياجهم إلى الماء، فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر، فرد الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم، فشربوا وتطهروا وملؤوا القرب، وتلبد الرمل حتى سهل المشي عليه.

قوله: **﴿إذ يوحي ربك﴾** معمول لمحذوف أي اذكر، ولم يقدره المفسر اتكالاً على تقديره فيما سبق. قوله: **﴿إلى الملائكة﴾** أل للعهد الذكري، أي المذكورين فيما سبق في قوله: **﴿أني ممدكم بألف من الملائكة﴾** كما أشار إليه المفسر. قوله: **﴿أني معكم﴾** الجملة في محل نصب مفعول ليوحي. قوله: **﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾** أي قووا قلوبهم، واختلف في كيفية هذه التقوية، فقيل إن الشيطان كما أن له قوة في إلقاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالسوء، كذلك الملك له قوة في إلقاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخير، ويسمى ما يلقيه الملك إلهاماً، وقيل إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم، ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل، وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر، فكان الملك يمشي في صفة رجل أمام الصف ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم عليهم.

قوله: **﴿سألقي في قلوب الذين كفروا﴾** كالتفسير لقوله **﴿إني معكم﴾**، وقوله: **﴿فاضربوا﴾** الخ كالتفسير لقوله: **﴿فثبتوا﴾** فهو لف ونشر مرتب. قوله: [الرؤوس] تفسير للفظ **﴿فوق﴾** وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولاً به، وإن كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية، وقيل إن لفظة **﴿فوق﴾** زائدة، وقد أشار له المفسر بقوله: [يقصد ضرب رقبة الكافر] الخ، فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل إن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف، أي فاضربوهم فوق الأعناق، وقيل إن فوق بمعنى على، والمفعول محذوف أيضاً، أي فاضربوهم على الأعناق. قوله: [أي أطراف اليدين

ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا ﴿ذَٰلِكَ﴾: العذاب الواقع بهم
﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ١٣: لـه ﴿ذَٰلِكُمْ﴾:
العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾: أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾: أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ ١٥: منهزمين ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ﴾: أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: منعطفاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾: بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة ﴿أَوْ
مُتَحَيِّزًا﴾: منضماً ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾: رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ١٦: المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: ببدر

والرجلين] في المصباح: البنان الأصابع، وقيل أطرافها، والواحدة بنانة. قوله: [إلا دخل في عينيه] أي وفي فمه وأنفه.

قوله: ﴿ذلك﴾ [العذاب] أي من إلقاء الرعب والقتل والأسر، وقوله: ﴿بأنهم﴾ الباء سببية. قوله: [خالفوا] ﴿الله ورسوله﴾ أصل معناها المجانبة، لأنهم صاروا في شق، وجانب عن النبي والمؤمنين. قوله: ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ أي وما نزل بهم في هذا اليوم قليل، بالنسبة لما أدخر لهم عند الله. قوله: ﴿ذلكم﴾ [العذاب] اسم الإشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر، وقوله: ﴿فذوقوه﴾ لا تعلق له بما قبله من جهة الإعراب. قوله: ﴿وأن للكافرين﴾ عطف على ذلكم، أو نصب على المفعول معه.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم﴾ خطاب لكل من يحضر القتال. قوله: ﴿زحفاً﴾ حال من المفعول به وهو ﴿الذين﴾ فهو مؤول بالمشتق، أي حال كونهم زاحفين. قوله: [أي مجتمعين] الخ أي فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم في بطء السير، وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضه ببعض يتراءى أن سيره بطيء وإن كان في نفس الأمر سريعاً، وفي المصباح زحف القوم زحفاً من باب نفع. قوله: ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ ويطلق الدبر على مقابل القبل، ويطلق على الظهر وهو المراد هنا، والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام، فهذا اللفظ استعمل في ملزوم معناه كما أشار المفسر بقوله: [منهزمين]، و﴿والأدبار﴾ مفعول ثان لتولوهم، وكذا ﴿دبره﴾ مفعول ثان ليولوهم، وفي الآية تعريض، حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها في تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر. قوله: [أي يوم لقائهم] حل معنى، وإلا فمقتضى التنوين في إذ، أن يقول: يوم لقيتموهم لأنه عوض عن جملة.

قوله: ﴿إلا متحرفاً﴾ في نصبه مع ما عطف عليه وجهان: أحدهما أنه حال، والثاني أنه مستثنى من ضمير المؤمنين. قوله: [الفرة] بفتح الفاء، وهي المرة من الفر، بمعنى الفرار، أي الهرب، وقوله: [مكيدة] أي خديعة ومكراً. قوله: [وهو يريد الكرة] أي الرجعة لأن الكرة المرة من الرجوع، والكر الرجوع، وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها. قوله: ﴿أو متحيزاً﴾ التحيز والتحوز الانضمام، وأصل تحيز: تحيوز، اجتمعت الواو والياء، وسبقت أحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وادغمت الياء في الياء. قوله: [يستنجد] أي يستنصر ويستعين.

قوله: ﴿فقد باء بغضب﴾ جواب الشرط وهو من، والباء للملابسة، أي ملتبساً ومصحوباً بغضب. قوله: ﴿ومأواه﴾ أي مسكنه، وفي الآية وعيد عظيم، ولذلك قيل: إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر. قوله: [مخصوص] أي مقصور، أي فإن زادت عن الضعف، كما إذا كان المسلمون ربع الكفار، فلا يحرم الفرار.

قوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾ نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر، فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا، أسرت كذا، فعلمهم الله الأدب بقوله: ﴿فلم تقتلوهم﴾ الخ، والفاء واقعة في جواب شرط مقدر، أي

بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾: بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: بإيصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾: عطاء ﴿حَسَنًا﴾: هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: ١٧ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالهم ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: مضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ١٨ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾: أيها الكفار أي تطلبوا

افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم. قوله: ﴿ولكن الله قتلهم﴾ قرئ بتشديد لكن وتخفيفها، فعلى التخفيف تكون مهملة، ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء، وعلى التشديد تكون عاملة عمل إن، ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ ظاهره التناقض، حيث جمع بين النفي والإثبات، والجواب أن المنفي الرمي، بمعنى إيصال الحصى لأعينهم، والمثبت فعل الرمي، كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله: [بإيصال ذلك إليهم]. قوله: ﴿ولكن الله رمى﴾ فيه القراءتان المتقدمتان، وقد علمت أن حكمة قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم﴾ التأديب لبعض المؤمنين، وأما حكمة قوله تعالى: ﴿وما رميت﴾ إثبات أنها معجزة من الله لنبيه، لنذكر من جملة معجزاته التي أمر بالتحدث بها، قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾، وقال البوصيري:

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً   ما الحصا عنده وما الإلقاء

قوله: [فعل] أي الله ذلك، أي القتل والرمي، وقوله: [ليقهر] الخ قدره ليعطف عليه ﴿وليبلي﴾. قوله: [عطاء] أي فالمراد من الإبلاء الإعطاء، فهو إبلاء بخير لا بشر، فإن البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختبار، وذلك كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر، يكون بالنعمة لإظهار الشكر. قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: [حق]، وقوله ﴿وأن الله﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ذلكم﴾ فيكون في محل رفع بالابتداء، وخبره محذوف أيضاً، والمعنى ذلكم الإبلاء للمؤمنين حق، وتوهين كيد الكافرين محق، و ﴿موهن﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، فكيد منصوب على المفعولية به، ويقرأ بسكون الواو، وتخفيف الهاء من أوهن، كأكرم، منوناً أو مضافاً، إلى كيد، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: [أيها الكفار] أي فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم لأنهم الذين

---

* أسباب نزول الآية ١٧: قوله تعالى: ﴿وما رميت﴾ الآية، روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتل أبياً، ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين، فمات أبي قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الآية، صحيح الإسناد، لكنه غريب.

وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله ﴿وما رميت إذ رميت﴾ الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه غريب، والمشهود أنها نزلت في رمية يوم بدر بالقبضة من الحصباء. روى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهزمنا. فذلك قوله ﴿وما رميت إذ رميت﴾ الآية. وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر وابن عباس، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه.

* أسباب نزول الآية ١٩: قوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا﴾ الآية، روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة، وكان ذلك استفتاحاً فأنزل الله ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ إلى قوله ﴿وإن الله مع المؤمنين﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال: قال أبو جهل اللهم انصر أعز الفئتين وأكرم الفرقتين، فنزلت.

الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾: القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾: عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا﴾: لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾: لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جماعاتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٩]: بكسر إن استئنافاً وفتحها على تقدير اللام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾: تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾: بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢٠]: القرآن والمواعظ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٢١]: سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾: عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾: عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢٢] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: صلاحاً بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾: عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٢٣]: عن قبوله عناداً وجحوداً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

وقع بهم الهلاك، والفتح وقع لغيرهم. قوله: [أي القضاء] أي الحكم بينكم وبين محمد، بنصر المحق وخذلان المبطل. قوله: [حيث قال أبو جهل] أي وغيره من قريش، حين أرادوا الخروج إلى بدر، وتعلقوا بأستار الكعبة، ودعوا بما ذكره المفسر. قوله: [أينا] أي الفريقين، يعني نفسه ومن معه، ومحمداً ومن معه، وهو يزعم أن محمداً هو القاطع للرحم، حيث خرج من بلده وترك أقاربه. قوله: [فأحنه الغداة] الحين، بالفتح الهلاك، حان الرجل: هلك، وأحانه الله: أهلكه، والغداة ظرف للحين أي أهلكه فيما يستقبل. قوله: [وفتحها على تقدير اللام] أي فهما قراءتان سبعيتان، أي واللام المقدرة للتعليل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله﴾ أي دوموا على طاعته وعلى عدم التولي يدم لكم العز الذي حصل ببدر. قوله: ﴿إن شر الدواب﴾ الخ نزلت في جماعة من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد، وتوجهوا مع أبي جهل حاملين اللواء لقتال النبي وأصحابه ببدر، فقتلوا جميعاً، ولم يسلم منهم إلا اثنان، مصعب بن عمير، وسبيط بن حرملة، والدواب في اللغة ما دب على وجه الأرض، عاقلاً أو غيره، وفي العرف، مخصوص بالخيل والبغال والحمير، وفي الآية غاية الذم لهم، بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير. قوله: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ على عدم إيمانهم، ولو حرف امتناع لامتناع، والمعنى امتنع سماعهم الخير، سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم.

قوله: ﴿ولو أسمعهم﴾ هذا ترق في التسلية، والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم، لتولوا وهم معرضون عنه عناداً فلا تحزن على كفرهم، فإن كفرهم ثابت مطلقاً، فهموا الحق أولا، هذا حاصل معنى الآية، واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت على القياس، حاصله لو علم فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا، ينتج: لو علم الله فيهم خيراً لتولوا وهو فاسد، إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا، وأجيب بجوابين: الأول: أن الحد المكرر لم يتحد معنى، وشرط الانتاج اتحاده معنى، لأن المراد بالاسماع الأول الموجب للفهم والاذعان، والاسماع الثاني للفهم من غير إذعان. الثاني: أن الكلام تم عند قوله: ﴿لأسمعهم﴾ وقوله ﴿ولو اسمعهم﴾ ترق في التشنيع عليهم، فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله، فعدم إيمانهم عند عدمه أولوي، نظير لو لم يخف الله لم يعصه، ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود، وعند عدمه جهل.

﴿ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾: فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ٢٤: فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَٱتَّقُوا فِتْنَةً﴾: إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾: بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ٢٥: لمن خالفه ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾: إلى المدينة

قوله: ﴿استجيبوا﴾ السين والتاء زائدتان للتوكيد. قوله: ﴿إذا دعاكم﴾ أفرد لأن دعوة الرسول في الحقيقة هي لله، وذكر الرسول أولاً لأنه المبلغ عن الله، فعدم طاعته مخالفة لله. قوله: ﴿لما يحييكم﴾ ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة، أو اسم موصول وما بعدها صلة، والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية. قوله: [من أمر الدين] أي وهو الإيمان والإسلام، وقيل هو القرآن لأنه حياة القلوب، وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة، وقيل هو الحق مطلقا، وقيل الجهاد في سبيل الله وأتمها ما قاله المفسر.

قوله: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ أي يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه، ومن قلبه لذاته، بل هو أقرب من السمع للأذن، ومن البصر للعين، ومن اللمس للجسد، ومن الشم للأنف، ومن الذوق للسان، فشبه القرب بالحيلولة، واستعير اسم المشبه به، وهو الحيلولة للمشبه، وهو القرب، واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. قوله: [فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته] تقدم أنه لا مفهوم للكفر والإيمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس في قبضة الله سبحانه، إن شاء أبقاه، وإن شاء أذهبه، وإنما خص الإيمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما. قوله: [فيجازيكم بأعمالكم] أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾ أي سبب فتنة وهي المعاصي، فإنها سبب لنزول المصائب الدنيوية. قوله: ﴿تصيبن﴾ الجملة صفة لفتنة، و﴿لا﴾ نافية، و﴿تصيبن﴾ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو واقع في جواب شرط مقدر، قدره المفسر بقوله: [إن أصابتكم] وليس جواباً للأمر لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحداً لا خصوصاً ولا عموماً، وإنما أكد الفعل المضارع المنفي بالنون، إجراء له مجرى النهي. قوله: [بل تعمهم وغيرهم] أي فالظالم لظلمه، وغير الظالم لإقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر، وفي الحديث ما معناه ومثل الظالم كمثل جماعة في أسفل المركب، ومثل غير الظالم كمثل جماعة في أعلى المركب، فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقاً يستقون منه، فإن سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعاً، وإن قاموا عليهم نجوا جميعاً. قال ابن عباس: إن الله أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب، فيصيب الظالم وغير الظالم، وفي الحديث إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة، وورد إذا عمت الخطيئة في الأرض، كان من شهدها فأنكر، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك، فإذا علمت ذلك، فلا تشكل هذه بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، بما علمت أن الساكت على المنكر، مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر.

قوله: ﴿واذكروا﴾ خطاب للنبي وأصحابه، نزلت بعد غزوة بدر. قوله: ﴿مستضعفون﴾ أي مظهرون الضعف

﴿وَأَيَّدَكُم﴾: قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾: يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾: الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٢٦]: نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ﴾: لا ﴿تَخُونُوٓا أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: ما

العدم أمركم بالقتال. قوله: [الغنائم] أي فلما هاجروا وأمروا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم وفي الحديث «جعل رزقي تحت ظل رمحي».

قوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي فتزدادوا من النعم، لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: [ونزل في أبي لبابة] اسمه مروان كما في بعض النسخ، وقيل رفاعة. قوله: [وقد بعثه] الخ حاصل قصته: أن رسول الله حاصر قريظة خمساً وعشرين ليلة، وقيل خمسة عشر، وقيل بضعة عشر يوماً، فلما اشتد عليهم الأمر، قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد، وعرض عليهم الإيمان، فقال: يا معشر اليهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خصالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا، فقال: هلم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مجردين السيوف من أغمادها، ولم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال: إن هذه الليلة ليلة السبت، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة، فقالوا: نفسد سبتنا، وقد علمت مسخ من خالف السبت، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث لنا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وفزع النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح، فقال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق وسلك طريقاً أخرى، فلم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت، فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه، فأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، وقيل بضعة عشر ليلة، حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره، وكانت امرأته تأتيه في وقت كل صلاة، فتحله للصلاة ثم تربطه، ثم نزلت توبته في بيت أم سلمة على رسول الله ﷺ سحراً، فقام يضحك، فقالت أم سلمة: مم تضحك أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، قالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك، فتسارع إليه الناس ليطلقوه، فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بني قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله، فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة، وكانت تداوي الجرحى حسبة، فأتي به، فلما حضر قال رسول الله ﷺ: قوموا لسيدكم، فقاموا إليه، فقالوا: إن رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء، فقال عليه الصلاة والسلام: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، والرقيع السماء، ففعل بهم كما قال سعد.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إنما عمم الخطاب إشارة إلى الستر عليه، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

---

* أسباب نزول الآية ٢٧: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله﴾ الآية، روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: =

ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾٢٧ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾٢٨: فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم ونزل في توبته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾: بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: بينكم وبين ما تخافون فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾٢٩ ﴿وَ﴾: اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وقد

السبب. قوله: ﴿وتخونوا﴾ معطوف على الفعل قبله، فهو في حيز النهي، ولذا قدر المفسر لا، فهو نهي عن الخيانتين. قوله: ﴿وأنتم تعلمون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تخونوا﴾ قوله: [صادة] أي مانعة. قوله: [فلا تفوتوه بمراعاة الأموال] الخ أي لأنها أمور زائلة فانية، وسعادة الآخرة لا نهاية لها فهي أولى بتقديمها على ما يفنى. قوله: ﴿فرقانا﴾ أي نجاة مما تخافون، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: [فتنجون] وقيل: المراد بالفرقان النور الكائن في القلب الذي يفرق به بين الحق والباطل، وهو أولى. قوله: ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي يمحها، فقوله: ﴿ويغفر لكم﴾ عطف مرادف عليه.

قوله: ﴿وإذ يمكر بك﴾ إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر] وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه، إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾، والمكر الاحتيال على إيصال

= نزلت هذه الآية ﴿لا تخونوا الله والرسول﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه يقول الذبح فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله. وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: ان محمداً يريدكم فخذوا حذركم، فأنزل الله ﴿لا تخونوا الله والرسول﴾ الآية، غريب جداً في سنده وسياقه نظر، وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت.

* أسباب نزول الآية ٣٠ قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن نفراً من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل، فلما رأواه قالوا من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما إجتمعتم له، فأمرت ان أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا أجل فادخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا، فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا وما هذا؟ قال تأخذوا من كل قبيلة وسيطاً شاباً جلداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم وانهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال الشيخ النجدي هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره، فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه ﴿وإذا يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال: من حدثك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك، فاستوص به خيراً، قال: أنا أستوصي به! بل هو يستوصي بي، فنزلت ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآية قال ابن كثير ذكر أبي طالب فيه غريب، بل منكر، لأن القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين.

اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾: بهم بتدبير أمرك بأن أوحي إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ٣٠: أعلمهم به ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا

الضرّ للغير. وحاصل ذلك: أن قريشاً عرفوا لمّا أسلم الأنصار، أنّ أمر رسول الله يتفاخم ويظهر، فاجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكان رؤساؤهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، وأبو سفيان، وطعمة بن عدي، والنضر بن الحرث، وأبو البحتري بن هشام، وزمعة بن الأسود، فجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي، فلما رأوه قالوا له: من أنت؟ قال: أنا شيخ من نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأياً نصحاً، فقالوا له: ادخل فدخل، فقال أبو البحتري: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت مقيداً، وتسدوا باب البيت غير كوّة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك، فصرخ ذلك الشيخ النجدي وقال: بئس الرأي، إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهراً عليكم، فقالوا: صدق الشيخ النجدي، فقال هشام بن عمرو: إني أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي، تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم، فتخرجوه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه، لئن فعلتم ذلك، يذهب ويستميل قلوب آخرين، فيسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً، ويعطى كل شاب سيفاً صارماً، ثم يضربونه به ضربة واحدة، فإذا قتل تفرق دمه في القبائل، ولا أظن أن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها، غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل، فقال إبليس: إنه أجودكم رأياً. فتفرقوا على ذلك، فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك، وبأن الله أذن له في الخروج إلى المدينة، فلما كان الليل، اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام، فأمر رسول الله علياً أن يبيت بمضجعه، وقال له: تسج ببردتي، فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم، وقد أخذ أبصارهم، فلم يره منهم أحد، ونثر على رؤوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس﴾ إلى قوله: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ ثم أتاهم آت فقال لهم: إن محمداً خرج عليكم ووضع التراب على رؤوسكم، فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب، إلا قتل يوم بدر كافراً. قوله: [بدار الندوة] أي بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع، وهي أول دار بنيت بمكة، فلما حج معاوية، اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم، ثم صارت كلها بالمسجد الحرام، وهي في جانبه الشمالي. قوله: ﴿ليثبتوك﴾ هذا إشارة لرأي أبي البحتري.

قوله: ﴿أو يقتلوك﴾ أي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد، وهو إشارة لرأي أبي جهل. قوله: ﴿أو يخرجوك﴾ هو إشارة لرأي هشام بن عمرو. قوله: ﴿ويمكرون﴾ [بك] أي يحتالون ويتدبرون في أمرك. قوله: [بتدبير أمرك] جواب عما يقال: إن حقيقة المكر محالة على الله تعالى لأنه الاحتيال على الشيء من أجل حصول العجز عنه، وأجيب أيضاً: بأن المراد بمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر، حيث خيّب سعيهم وضيّع أملهم، أو المراد جازاهم على مكرهم، فسمي الجزاء مكراً لأنه في مقابلته. قوله: [أعلمهم به] دفع بذلك ما يقال: أن المكر لا خير فيه، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ هذا من جملة قبائح أهل مكة. قوله: ﴿مثل هذا﴾ تنازعه كل من سمعنا وقلنا. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٣١: قوله تعالى: ﴿وإذا تتلى﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي =

﴿مِثْلَ هَٰذَا﴾: قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ ٣١ ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾: الذي يقرأه محمد ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾: المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٣٢: مؤلم على إنكاره قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ٣٣: حيث يقولون في طوافهم: غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم

[الحيرة] بلدة بقرب الكوفة. قوله: [اخبار الأعاجم] أي كالفرس والروم قوله: ﴿إلا أساطير﴾ جمع أسطورة، كأكاذيب جمع أكذوبة وزناً ومعنى، وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى: ﴿قل فائتوا بعشر سور منه﴾، وقال أيضاً ﴿قل فائتوا بسورة مثله﴾، فعجزوا عن ذلك، وقال البوصيري:

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

قوله: ﴿وإذ قالوا﴾ هذا من جملة قبائحهم الشنيعة. قوله: ﴿هو الحق﴾ القراء السبعة على نصب الحق خبراً لكان، وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وقرئ شذوذاً برفعه على أنه خبر للضمير، والجملة خبر لكان. قوله: ﴿من عندك﴾ حال من الحق. قوله: ﴿حجارة من السماء﴾ أي من سجيل مسومة كما أرسلتها على اصحاب الفيل. قوله: ﴿بعذاب أليم﴾ أي كالصيحة والخسف. قوله: [قاله النضر] أي ابن الحرث، وقوله: [وغيره] أي وهو أبو جهل، ولا مانع من أن كلاً قال ذلك. قوله: [استهزاء] أي سخرية به ﷺ. قوله: [وإيهاماً أنه على بصيرة] أي لأن اصعب الأيمان الدعاء على النفس. قوله: [بما سألوه] أي وهو الحجارة أو العذاب الأليم، ولا بالعذاب العام كرفعه ببركته ﷺ. قوله: ﴿وأنت فيهم﴾ أي في بلدهم، فإن خرجت منها أنت والمؤمنون، عذبهم الله على أيديكم عذاباً خاصاً بهم.

قوله: ﴿وما كان الله معذبهم﴾ أي عذاباً عاماً ولا خاصاً. قوله: ﴿وهم يستغفرون﴾ الجملة حالية من الضمير في معذبهم. والمعنى أن الله لا يعذبهم، والحال أنهم يستغفرون، فاستغفارهم نافع لهم، بعدم نزول العذاب عليهم. إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾، وقوله تعالى: ﴿وما دعاء

= معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله آسيري، فقال رسول الله ﷺ: انه كان يقول في كتاب الله ما يقول قال وفيه أنزلت هذه الآية ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا﴾ الآية.

* أسباب نزول الآية ٣٢: قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم﴾ أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله ﴿وإذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق﴾ الآية، قال نزلت في النضر بن الحارث، وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: اللهم أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا غفرانك اللهم، فأنزل الله ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ إلى قوله ﴿لا يعلمون﴾.

وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن أبزى قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ الآية، فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

كما قال تعالى: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٤: أن لا ولاية لهم عليه ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾: ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ٣٥ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ

الكافرين إلا في تباب﴾، أجيب: بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة، فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نية، كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار، تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها، ولا تنفعهم في الآخرة. قوله: [وقيل هم المؤمنون] أي فضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة، وقوله: ﴿وهم﴾ الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون. قوله: [تزيلوا﴾ أي تميز المؤمنون على الكفار.

قوله: ﴿وما لهم أن لا يعذبهم الله﴾ أي: أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم، أي لا مانع لهم منه. قوله: [والمستضعفين] أي وخروج المستضعفين أيضاً. قوله: [وعلى القول الأول] أي وهو كون الضمير عائداً على الكفار. قوله: [هي ناسخة لما قبلها] أي وهي قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ لأنه أخبر أولاً أنه لا يعذبهم مع استغفارهم، وأخبر ثانياً أنه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم، والوجه أنها ليست منسوخة لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ، وأيضاً استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة، لارتباط استغفارهم بالبيت. قوله: ﴿وهم يصدون﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿يعذبهم﴾. قوله: [أن يطوفوا به] أي النبي والمؤمنون.

قوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ رد لقولهم نحن ولاة البيت فنصد من نشاء، وندخل من نشاء. قوله: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ أي المجتنبون الشرك. قوله: [أن لا ولاية لهم عليه] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف. قوله: ﴿إلا مكاء﴾ استثناء من الصلاة على حسب زعمهم، حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة، فالاستثناء زيادة في التشنيع عليهم. قوله: [صفيرا] أي فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما، فيظهر من ذلك صوت. قوله: [تصفيقاً] أي ضرباً بإحدى اليدين على الأخرى. قوله: [أي جعلوا ذلك] الخ، جواب عما يقال: إن المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة، فكيف يصح استثناؤهما منها؟ فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها، فجرى الاستثناء على معتقدهم، كانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ نزلت في كفار مكة، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن المشاهد في

---

* أسباب نزول الآية ٣٥: قوله تعالى: ﴿وما كان صلاتهم﴾ الآية، أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزؤون به ويصفرون ويصفقون، فنزلت.
* أسباب نزول الآية ٣٦: قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا﴾ الآية، قال ابن اسحاق: حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمير بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن، قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة، فقالوا =

تَكُونُ﴾: في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ ٣٦: يساقون ﴿لِيَمِيزَ﴾: متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾: الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٣٧ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾: عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾: من أعمالهم ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾: إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٣٨: أي سنتنا فيهم بالإهلاك فكذا نفعل بهم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾: توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾: شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: وحده ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾: عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا

الكفار ذلك إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فسينفقونها﴾ أي يعلمون عاقبة إنفاقها. قوله: ﴿ثم تكون﴾ [في عاقبة الأمر] أي وهي عدم وصولهم لمقصودهم. قوله: ﴿ثم يغلبون﴾ التعبير بثم إشارة إلى أنهم يمهلون استدراجاً لهم، وزيادة حسرة لهم في العاقبة. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿جميعاً﴾ إما حال من الهاء في ﴿فيركمه﴾ أو توكيد لها. قوله: [يجمعه متراكماً بعضه على بعض] ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار، وحينئذ فيكون بياناً لحالهم في الموقف كما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم. قوله: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ أي الخائبون في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: ﴿قل للذين كفروا﴾ أمر للنبي ﷺ أن يبلغ الكفار ما ذكر. قوله: [كأبي سفيان وأصحابه] إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة لأن الآية نزلت بعد بدر، وفيها قتل من قتل من صناديدهم، وبقي من بقي، فالخطاب لمن بقي. قوله: ﴿إن ينتهوا﴾ [عن الكفر] أي بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين، فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر، فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمناً ومات كذلك، قال السنوسي: فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعاني، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر. قوله: [من أعمالهم] أي السيئة وأعظمها الكفر.

قوله: ﴿وإن يعودوا﴾ وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به، وحينئذ فيكون المعنى وإن يرتدوا عن الإسلام بعد تلبسهم به، ويصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر. قوله: ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ أي كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك، إن قلت: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام، وأما أمة محمد ﷺ فمحفوظة منه. وأجيب بأن التشبيه في مطلق هلاك، وإن كان ما سبق عاماً وهذا خاص، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر، وجملة ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب، وتقدير الجواب: إن يعودوا نهلكم كما أهلكنا الأولين.

قوله: ﴿وقاتلوهم﴾ أي الكفار مطلقاً مشركين أو غيرهم. قوله: ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي شوكة لأهل الشرك، أي بأن ينقرضوا رأساً، أو بدخولهم في الإسلام، أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

= يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا أن ندرك منه ثأراً ففعلوا ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم﴾ إلى قوله ﴿يحشرون﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وأخرج ابن جرير، عن ابن أبزى، وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ.

﴿يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٣٩: فيجازيهم به ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾: هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ٤٠: أي الناصر لكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾: أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾: يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾: قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾: أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾: فاعلموا ذلك ﴿وَمَا﴾: عطف على بالله ﴿أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾: محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: المسلمون والكفار ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤١: ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿إِذْ﴾:

بالیوم الآخر﴾ إلى أن قال ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين. قوله: [توجد] أشار بذلك إلى أن كان تامة و﴿فتنة﴾ بالرفع فاعلها. قوله: ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ﴿يكون﴾ ناقصة و﴿الدين﴾ اسمها و﴿لله﴾ متعلق بمحذوف خبرها. قوله: ﴿بما يعملون﴾ القراء السبعة على الياء التحتية، وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية. قوله: [فيجازيهم به] أي بالذي تعملونه من خير وشر. قوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي أعرضوا ولم يمتثلوا. قوله: ﴿نعم المولى﴾ هذا ثناء من الله على نفسه، فهو حمد قديم لقديم، والمعنى أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه، بخلاف الناصر من الخلق، ينصر ويمن بذلك النصر. قوله: [هو] أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

قوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ تقدم أن الحق أن هذه الآية مفصلة لآية: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ قوله: ﴿من شيء﴾ بيان لما ونكرة ليشمل الجليل والحقير، والشريف والوضيع. قوله: ﴿فأن لله خمسه﴾ بفتح الهمزة خبر لمحذوف، والتقدير فحكمه أن خمسه لله. قوله: [يأمر فيه بما يشاء] أي فالخمس يقسم ستة أقسام، قسم لله يصرف في الكعبة، والخمسة أقسام: للنبي، ولآله، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وبذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة، وقال الأربعة: إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين، وذكر الله للتعظيم، وهذا مما كان في زمنه، وأما بعد وفاته فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال، يصرف في مصالح المسلمين، وهو كواحد منهم، وبهذا قال الشافعي، وقال مالك: النظر فيه للإمام، وقال أبو حنيفة: سقط سهمه وسهم القربى بوفاته، وصار الكل للثلاثة فقط. قوله: [من بني هاشم وبني المطلب] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك الآل بنو هاشم فقط، وعند أبي حنيفة فرق خمسة: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وآل الحرث.

قوله: ﴿والمساكين﴾ المراد بهم ما يشمل الفقراء. قوله: [المنقطع في سفره] أي المحتاج ولو غنياً ببلده. قوله: [أي يستحقه النبي] إنما لم يقل الله، و﴿النبي﴾ إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك، كما هو التحقيق. قوله: [من أن لكل] أي من الأصناف الخمسة. قوله: [والأخماس الأربعة] بيان لمفهوم قوله خمسه. قوله: [فاعلموا ذلك] أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لأن العلم المجرد لا ثمرة له. قوله: [عطف على بالله] أي على مدخول الباء، وهو لفظ الجلالة. قوله: [من الملائكة] الخ بيان لما. قوله: [الفارق بين الحق] أي بظهوره واتضاحه. وقوله: [والباطل] أي بخموده وذهابه. قوله: ﴿يوم التقى الجمعان﴾ بدل من يوم الأول.

قوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ كالتذييل والتعليل لما قبله. قوله: [بدل من يوم] أي الثاني بدل اشتمال.

بدل من يوم ﴿أَنتُمْ﴾: كائنون ﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾: القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾: البعدى منها ﴿وَالرَّكْبُ﴾: العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾: أنتم والنفير للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن﴾: جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: في علمه وهو نصر الإسلام ومحق الكفر فعل ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾: يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾: أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾: يؤمن ﴿مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٤٢: اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾: أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾: فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: جبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾: كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٤٣: بما في القلوب ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾: نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾: ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾

قوله: [بضم العين وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والعدوة الشاطئ والشفير والجانب، سميت بذلك لأن السيل يعدوها ويتجاوزها لعلوها عن الوادي، والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة، وهو بالجانب الآخر، وبينهما مقدار الرامي. قوله: [كائنون بمكان] ﴿أسفل منكم﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿الركب﴾ مبتدأ خبره محذوف وقوله: ﴿أسفل﴾ ظرف صفة لمحذوف، والمعنى أن ﴿الركب﴾ في مكان ﴿أسفل منكم﴾ بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم.

قوله: ﴿ولو تواعدتم﴾ أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال. قوله: ﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ أي لأمكن اختلافكم في التواعد، بمعنى انكم لم توفوا بذلك، بل قد تتخلفون عن الخروج. قوله: ﴿ليهلك﴾ علة لمحذوف قدره المفسر بقوله: [فعل ذلك] وهو جمعهم بغير ميعاد، وإخراجهم بغير تأهل. قوله: [يكفر] أي يستمر على كفره. قوله: [أي بعد حجة] أشار بذلك إلى أن ﴿عن﴾ بمعنى بعد، على حد قوله تعالى: ﴿ولتركبن طبقاً على طبق﴾، والمعنى أنه لم يبق لهم عذر في عدم إيمانهم، بل صار كفرهم عناداً. قوله: ﴿ويحيى﴾ أي يستمر على الحياة وهي الإيمان. قوله: ﴿من حيي﴾ بالفك والإدغام قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وإن الله لسميع﴾ أي بأقوالكم ﴿عليم﴾ بأحوالكم فيجازيكم عليها. قوله: ﴿قليلاً﴾ مفعول ثالث لأن رأى العلمية تنصب مفعولين بلا همز، فإذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة، والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة، وهي رؤيتك إياهم في المنام قليلاً، تشجيعاً لأصحابك وتثبيتاً لهم، وإشارة إلى ضعف الكفار، وأنهم يهزمون، وبهذا اندفع ما يقال: إن رؤيا الأنبياء حق، فكيف يراهم قليلاً مع كثرتهم.

قوله: ﴿ولو أراكهم كثيراً﴾ أي وأخبرت أصحابك بذلك. قوله: ﴿لتنازعتم﴾ عطف على فشلتم، عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿ولكن الله سلم﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر، وقوله: [من الفشل] الخ متعلق بسلم. قوله: [بما في القلوب] أي الخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب، فالمراد بصاحبات الصدور السرائر، و﴿الصدور﴾ القلوب، من باب تسمية الحال باسم محله. قوله: ﴿وإذ يريكموهم﴾ هذه الرؤية بصرية، فتنصب مفعولاً واحداً إن لم تدخل عليها الهمزة، وإلا نصبت مفعولين، فالكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثان، و﴿قليلاً﴾ حال. قوله: [أيها المؤمنون] تفسير للكاف. قوله: [وهم ألف] أي في الواقع ونفس الأمر. قوله: [لتقدموا عليهم] علة لقوله: ﴿يريكموهم﴾ الخ. قوله: [ليقدموا] علة لقوله: ﴿ويقللكم﴾. قوله: [وهذا] أي تقليلكم في أعينهم. قوله:

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ ٤٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٤٥: تفوزون ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: تجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ٤٦: بالنصر والعون ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾: ليمنعوا غيرهم ولم يرعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ ٤٧: علماً

[أراهم] أي الكفار [إياهم] أي المسلمين [مثليهم] أي مثلي الكفار وكانوا ألفاً، فرأوا المسلمين قدر ألفين، لتضعف قلوبهم، ويتمكن المسلمون منهم، فلا تنافي بين ما هنا، وبين ما تقدم.

قوله: ﴿ليقضي الله أمراً﴾ علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضي الخ. قوله: ﴿ترجع﴾ بالبناء للفاعل أو للمفعول، قراءتان سبعيتان، و﴿الأمور﴾ فاعل على الأول، ونائب فاعل على الثاني. قوله: [تصير] هذا على قراءة البناء للفاعل، وأما على القراءة البناء للمفعول فمعناه ترد. قوله: ﴿إذا لقيتم فئة﴾ أي حاربتم جماعة، والفئة اسم جمع لا واحد له من لفظه. قوله: ﴿فاثبتوا﴾ أمر للمؤمنين في أي زمان. قوله: [ادعوه بالنصر] أي فالمراد بالذكر ما يشمل الدعاء، ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه، فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب، وأنه معهم بالعون والنصر. قوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾ الترجي بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لا يخلف.

قوله: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي فيما يأمركم به. قوله: ﴿فتفشلوا﴾ عطف مسبب على سبب. قوله: [تجبنوا] أي عن الحرب. قوله: ﴿وتذهب ريحكم﴾ عطف مسبب على سبب أيضاً، وهذا على الترتيب، فالاختلاف ينشأ عن الجبن، والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح. قوله: [قوتكم] أي ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة. قوله: [ودولتكم] الدولة في الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال، وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال. قوله: ﴿واصبروا﴾ أي على قتالهم.

قوله: ﴿كالذين خرجوا من ديارهم﴾ أي وهم أبو جهل ومن معه، وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة، وافاهم رسول أبي سفيان وقال لهم: ارجعوا فقد سلمت عيركم، فقال أبو جهل: لا والله حتى نقدم بدراً، ونشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان، فيتسامع بذلك الناس ويهابوننا. قوله: [ليمنعوا عيرهم] أي ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التي كانت مع أبي سفيان. قوله: [ولم يرجعوا بعد نجاتها] قدره المفسر إشارة إلا أن ﴿بطراً﴾ وما عطف عليه علة لمحذوف لا لقوله ﴿خرجوا﴾ لأن خروجهم ليس للبطر، بل لمنع الناس عن العير، والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها. قوله: ﴿بطراً﴾ هو وما بعده مفعول لأجله، والبطر كفران النعمة وعدم شكرها. قوله: [القيان] جمع قينة، وهي الجارية المغنية. قال ابن مالك: فعل وفعلة قيام لهما. قوله: [فيتسامع بذلك الناس] أي القبائل فيهابوننا، وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت، وضرب القيان بنوح النائحات، ونحر الجزور بنحر رقابهم.

قوله: ﴿ويصدون﴾ عطف على بطراً، فهو في قوة المصدر أي وصداً، قال ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعلى فعلاً. قوله: [بالياء والتاء] ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة،

---

* أسباب نزول الآية ٤٧: قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عند محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾ الآية.

فيجازيهم به ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾: لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾: من كنانة وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾: التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾: المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾: رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: هارباً ﴿وَقَالَ﴾: لما قالوا له أتخذلنا على هذا الحال ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾: من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ٤٨ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾: إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهماً أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ٤٩: في صنعه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾: بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾: حال ﴿وُجُوهَهُمْ

فذكرها سبق قلم. قوله: ﴿وإذ زين﴾ عطف على ﴿ولا تكونوا﴾ عطف قصة على قصة ﴿وإذ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله: [اذكر]. قوله: [لما خافوا الخروج] أي لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم. قوله: [بني بكر] أي وهم قبيلة كنانة، وكانت قريبة من قريش، وبينهم الحروب الكثيرة.

قوله: ﴿وإني جار لكم﴾ أي مجير ومعين. قوله: [وكان أتاهم] الخ، قال ابن عباس: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه راية في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك، فقال للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس. قوله: [ورأى الملائكة] أي نازلين من السماء. قوله: [أتخذ لنا] أي تترك نصرتنا في هذه الحالة فعلى بمعنى في. قوله: [أن يهلكني] أي بتسليط الملائكة علي. إن قلت: إنه من المنظرين، فكيف يخاف الهلاك حينئذ؟ أجيب: بأنه لشدة ما رأى من الهول، نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسر جواب عما يقال، إن الشيطان لا خوف عنده، وإلا لما كفر وأضل غيره. وأجيب أيضاً بأن قوله: ﴿إني أخاف الله﴾ كذب ولا مانع من ذلك. قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره، أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ أي الكائنون بالمدينة، وقوله: ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي الكائنون بمكة، إذ لم يحضر وقعة بدر منافق، إلا عبد الله بن أبي فقط، ولم يكن فيها ضعيف إيمان. قوله [توهماً] مفعول لخرجوا والضمير في [بسببه] عائد على الدين. قوله: [يغلب] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فإن الله عزيز حكيم﴾ دليل عليه.

قوله: ﴿ولو ترى﴾ الرؤية بصرية، ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت، ﴿ولو﴾ حرف شرط تقلب المضارع ماضياً عكس إن. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الياء الأمر ظاهر، وعلى التاء فلأن

* أسباب نزول الآية ٤٩: قوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون﴾ الآية، روى الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتا بالسيف يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فكانت ليوم بدر، فأنزل الله فيهم ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ الآية، وأنزل ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ رماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية، وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه، فأنزل الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وأنزل في إبليس ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾ الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾، فأنزل الله ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾.

﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾: بمقامع من حديد ﴿وَ﴾: يقولون لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٥٠: أي النار وجواب لو لرأيت أمراً عظيماً ﴿ذَلِكَ﴾: التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: عبّر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾: أي بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ ٥١: فيعذبهم بغير ذنب دأب هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾: كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: على ما يريده ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٥٢ ﴿ذَلِكَ﴾: أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾: أي بسبب أن ﴿اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً﴾

الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ قيل المراد جمع الكفار من وجد وسيوجد، وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر، واختلف أيضاً في وقت الضرب، فقيل عند الموت تعجيلاً للمساءة، وقيل ذلك يوم القيامة، ولا مانع من الجميع. قوله: [حال] أي من الملائكة. قوله: ﴿وجوههم وأدبارهم﴾ المراد أمامهم وخلفهم، فيعمون جميع أجسادهم بالضرب. قوله: [بمقامع من حديد] جمع مقمعة بكسر الميم، وهي العصا من الحديد المحماة بالنار، لو وضعت على جبال الدنيا لدكت.

قوله: ﴿وذوقوا﴾ قدر المفسر [يقولون] إشارة إلى أنه معطوف على ﴿يضربون﴾ فهو حال أيضاً. قوله: ﴿ذلك﴾ اسم الإشارة مبتدأ، وقوله: ﴿بما قدمت أيديكم﴾ متعلق بمحذوف خبر، والباء سببية. قوله: [عبر بها] الخ. دفع بذلك ما يقال إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم، فلم خصت الأيدي؟ فأجاب بما ذكر، وبعضهم فسر الأيدي بالقدر جمع قدرة، فيكون المعنى ذلك بسبب ما قدمته قدرتكم وكسبكم، فإن اليد تطلق ويراد بها القدرة، قال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. قوله: ﴿وإن الله﴾ معطوف على ﴿ما قدمت أيديكم﴾، والمعنى ذلك بسبب ما قدمت أيديكم، وبسبب ﴿أن الله ليس بظلام للعبيد﴾ ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل، فكأنه قال ذلك بسبب الذي قدمته أيديكم، وبسبب عدل الله فيكم. قوله: [أي بذي ظلم] دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية، أن أصل الظلم ثابت لله، والمنفي كثرته، فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب، قال ابن مالك:

ومع فاعل وفعّال فعل ... في نسب أغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى أصل الظلم، بل لا يريده أصلاً، قال تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجائز، والظلم من الله مستحيل عقلاً، لأن حقيقة التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا يتصور العقل ملكاً لغير الله. قوله: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: [دأب هؤلاء] وهذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفصيل للدأب وتفسير له، كما قال المفسر. قوله: ﴿فأخذهم الله﴾ أي أهلكهم، لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والكسف والمسخ من كل عذاب عام، وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف، فالمماثلة في مطلق الهلاك. قوله: ﴿بذنوبهم﴾ الباء سببية.

قوله: ﴿إن الله قوي شديد العقاب﴾ كالدليل لما قبله. قوله: [أي تعذيب الكفرة] أي بسبب ما قدمت أيديهم. قوله: ﴿بأن الله﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الإشارة، والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين. قوله: ﴿لم يك﴾ مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم ... تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ثم حذفت النون تخفيفاً.

نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾: مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: يبدّلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٥٣ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾: من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ ٥٤﴾: ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾: أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾: الله في غدرهم ﴿فَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾: فرّق ﴿بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾: من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾: يتعظون بهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾: عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾: في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَانْبِذْ﴾: اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾: حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا

قوله: [يبدلوا نعمتهم كفراً] أي يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقها، ويرتكبوا عدم الشكر، وعدم القيام بحقها، والمعنى يبدلون ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه، فتغيرت نعمة إمهالهم بمعاجلة العذاب لهم. قوله: ﴿وأن الله سميع﴾ أي لأقوالكم عليم بأحوالكم. قوله: ﴿كدأب آل فرعون﴾ الخ كرره تفصيلاً لما قبله لأنه مقام ذم وهو كالمدح، البلاغة فيه الإطناب. قوله: ﴿والذين من قبلهم﴾ أي كقوم نوح وهود، وقوم صالح وغيرهم. قوله: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي بسببها. قوله: [قومه معه] أشار بذلك إلى أن المراد بآل فرعون هو وآله.

قوله: ﴿كانوا ظالمين﴾ فيه مراعاة معنى كل، ولو روعي لفظها لقيل وكل كان ظالماً، وكل صحيح، وإنما روعي معناها مراعاة للفواصل. قوله: [ونزل في قريظة] أي حين قدم رسول الله المدينة، وعاهدهم أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا أيضاً، وتمالؤا مع الكفار على قتال رسول الله ﷺ يوم الخندق.

قوله: ﴿إن شر الدواب﴾ في ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم، وإنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها، قال تعالى: ﴿وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾. قوله: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الموصول قبله، أو نعت أو عطف بيان. قوله: [لا يعينوا المشركين] أي كفار مكة، فنقضوا أولاً وثانياً. قوله: ﴿فإما تثقفنهم﴾ أي تظفرن بهم. قوله: ﴿فشرد بهم﴾ الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، أي سبب عقوبتهم وتنكيلهم. قوله: ﴿من خلفهم﴾ مفعول لشرد، والمراد بمن خلفهم كفار مكة، والمعنى إذا ظفرت بقريظة فعاقبهم ليتفرق كفار مكة وغيرهم بمن نقض عهدك ويتعظوا بهم، فصيّرهم عبرة لغيرهم، حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك. قوله: ﴿وإما تخافن﴾ خطاب عام للمسلمين وولاة الأمور، وإن كان أصل نزولها في قريظة قوله: ﴿فانبذ إليهم﴾ أي أعلمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشيء الذي يرمى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو النبذ، فإثباته تخييل. قوله: [بأن تعلمهم به] أي لم يكن غدرهم ظاهراً ظهوراً بيّناً، وإلا فلا يحتاج للإعلان. والحاصل أنه

---

* أسباب نزول الآية ٥٥ قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم ابن التابوت.
* أسباب نزول الآية ٥٨: قوله تعالى: ﴿وأما تخافن﴾ الآية، روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿وأما تخافن من قوم خيانة﴾ الآية.

يتهمونك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَائِنِينَ﴾ ٥٨. ونزل فيمن أفلت يوم بدر: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾: الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ٥٩: لا يفوتونه وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم وفي أخرى بفتح أن على تقدير اللام ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾: لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تخوفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ٦٠: تنقصون منه شيئاً ﴿وَإِن

إذا ظهرت أمارات نقض العهد، وجب على الإمام أن ينبذ عهدهم، ويعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم، بحيث لا يعد الإمام غادراً لهم، وإن ظهرت الخيانة ظهوراً مقطوعاً به، فلا حاجة إلى نبذ العهد ولا الأعلام، بل يبادرهم بالقتال. قوله: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بنبذ العهد. قوله: [ونزل فيمن أفلت] أي في الكفار الذين خلصوا وهربوا، وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه، حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار، وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر.

قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ الخطاب لرسول الله، والمعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وفارين من عقابه، إنهم لا يعجزونه، وهذا وإن كان في أهل بدر، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وحسب تتعدى للمفعولين: الأول ﴿الذين كفروا﴾، والثاني: جملة سبقوا، وهذا على قراءة التاء الفوقية، وأما على قراءة الياء التحتية، فالذين كفروا فاعل، والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر، والمفعول الثاني جملة ﴿سبقوا﴾. قوله: [وفي قراءة بفتح أن] أي مع الياء التحتية لا غير، فالقراءات ثلاث، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع: وحاصلها أن التاء فيها وجهان، فتح إن وكسرها، والياء فيها وجه واحد، وهو فتح أن لا غير. قوله: [تقدير اللام] أي التي للتعليل.

قوله: ﴿وأعدوا لهم﴾ أي للكفار مطلقاً، أو لناقضي العهد. قوله: ﴿من قوة﴾ بيان لما. قوله: [هي الرمي] هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً، أخرجه مسلم وقيل: المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو، من سلاح ورمي وخيل ورجال ودروع وغير ذلك، ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام «ألا إن القوة الرمي» لأن المراد معظم القوة الرمي على حد الحج عرفة، والندم توبة، وهذا هو الأحسن. قوله: [مصدر] أي سماعي، وإلا فالقياسي لما يقتضي الاشتراك، كقاتل وخاصم وضارب.

قوله: ﴿ترهبون به﴾ أي بالرباط الذي هو بمعنى الربط. قوله: [أي كفار مكة] هذا باعتبار سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفارة في أي زمان. قوله: [وهم المنافقون] أورد عليه أن المنافقين لا يقاتلون. أجيب بأن المراد بإرهابهم ادخال الرعب والحزن في قلوبهم لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم كان ذلك مرهباً ومخوفاً لهم. قوله: [أو اليهود] أو مانعة خلو، فتجوز الجمع. قوله: ﴿لا تعلمونهم﴾ أي لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه. قوله: ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ أي في جهاد الكفار. قوله: ﴿يوف إليكم﴾ [جزاؤه] أي فالحسنة بسبعمائة، قال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ الآية. قوله: [تنقصون منه شيئاً] أي وسماه ظلماً لأن وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب، وضده مستحيل، وليس المراد الظلم الحقيقي، لأنه التصرف في ملك الغير، ولا يملك أحد معه.

جنحوا﴾: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾: بكسر السين وفتحها الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٦١: بالفعل ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾: بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾: كافيك ﴿ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٢ ﴿وَأَلَّفَ﴾: جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: بعد الإحن ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ ٦٣: لا يخرج شيء عن حكمته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾: حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٦٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾: حث

قوله: ﴿وإن جنحوا﴾ أي الكفار مطلقاً وبنو قريظة، وعلى هذين القولين، يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص، الذي أشار له المفسر بقوله: [قال ابن عباس] الخ، وهذا مبني على أن المراد بالصلح عقد الجزية، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمان فلا نسخ، إذ يصح عقد ذلك لكل كافر، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعي، من أن الجزية لا تضرب إلا على أهل الكتاب فقط، وقال مالك: إن الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه، كان من أهل الكتاب أو لا، فعلى مذهبه ليس في الآية نسخ أصلاً. قوله: [بكسر السين وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وتوكل على الله﴾ أي فوض أمرك له. قوله: ﴿إنه هو السميع العليم﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ شرط حذف جوابه، تقديره فصالحهم ولا تخف من غدرهم. قوله: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ أي قواك بأسباب باطنية، وهي نصره لك من غير واسطة، وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون. قوله: [بعد الإحن] جمع إحنة وهي العداوة والشحناء التي كانت بين الأوس والخزرج. قوله: ﴿وألف بين قلوبهم﴾ أي بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة، مائة وعشرين سنة، حتى لو أن رجلاً من قبيلة لطم لطمة واحدة، لقاتل عنه أهل قبيلته، حتى يدركوا ثأرهم، فلما آمنوا برسول الله، زالت تلك الحالة، وانقلبت العداوة محبة في الله ورسوله، فكان معجزة عظيمة لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض﴾ الخ، هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة.

قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ قيل نزلت ببدر، فالمراد بالمؤمنين: الذين كانوا حاضرين وقعتها، فيكون في ذلك مدح عظيم لهم، ودليل على شرفهم، ويؤخذ من ذلك، أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبداً، وليس في ذلك اعتماد على غير الله، لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله، فرجع الأمر لله، وقيل: نزلت في إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلاً وست نسوة، فيكون هو متمماً للأربعين، فعلى الأولى الآية مدنية كبقيتها، وعلى الثاني تكون الآية مكية في أثناء سورة مدنية، ولا مانع أنها نزلت مرتين بمكة يوم إسلام عمر، ومرة بالمدينة في أهل بدر. قوله: ﴿ومن اتبعك﴾ معطوف على لفظ الجلالة. قوله: ﴿حرض

---

* أسباب نزول الآية ٦٤: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية، روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ وله شواهد، أخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم ان عمر أسلم فكانوا أربعين نزل ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر نزلت ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه ﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾ الآية.

﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾: بالياءِ والتاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾: أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ٦٥: وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة ألفاً ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾: بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِنْ يَكُنْ﴾: بالياء والتاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ٦٦: بعونه. ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

﴿المؤمنين على القتال﴾ أي مرهم أكيداً، أو رغبهم فيه. قوله: ﴿إن يكن منكم﴾ إما تامة وفاعلها ﴿عشرون﴾ و﴿منكم﴾ حال، وإما ناقصة، فعشرون اسمها، ومنكم خبرها، وهكذا يقال فيما بعدها. و﴿يكن﴾ وقع هنا خمس مرات: الأول والرابع بالياء لا غير، والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء، كما سيأتي للمفسر، فما سكت عنه فبالياء لا غير، وما نبه عليه ففيه الوجهان.

قوله: ﴿صابرون﴾ أي محتسبون أجرهم عند الله، وهذا خبر بمعنى الأمر، لقلة المسلمين وكثرة الكافرين، وحكمة ذلك التكليف أن المسلمين وليهم الله فهم معتمدون عليه، ومتوكلون عليه، فبذلك الوصف كان الواحد مكلفاً بقتال عشرة، وأما الكفار فلا ناصر لهم، وهم معتمدون على قوتهم، وذلك داع للضعف والهزيمة، وفي الآية من المحسنات البديعية الاحتباك، وهو الحذف من كل نظير ما أثبت في الآخر، فقد أثبت صابرون في الأول، وحذف الذين كفروا منه، وأثبت الذين كفروا في الثاني، وحذف لفظ الصبر منه. قوله: [وهذا خبر بمعنى الأمر] أي وقد كان هذا في صدر الإسلام، وكان فرار المائة من الألف حراماً، ثم نسخ. قوله: [بضم الضاد وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والمراد الضعف في الأبدان، لكثرة العبادة والتعب، فرحمهم الله وأكرمهم، وأيضاً علم الله ضعف من يأتي بعد الصدر الأول عن القتال، فخفف الله عن الجميع. قوله: [وهو خبر بمعنى الأمر] أي وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة. قوله: [ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر] أي وكانوا سبعين من صناديدهم، روي أنه لما جيء بالأسارى، قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله، أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار، وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وقال ابن رواحة، انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم ناراً فسكت رسول الله ﷺ ولا يجبهم، ثم دخل، فقال ناس يأخذ بقول

* أسباب نزول الآية ٦٥: قوله تعالى: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون﴾ الآية، أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ إلى آخر الآية.
* أسباب نزول الآية ٦٧: قوله تعالى: ﴿ما كان لنبي﴾ الآية، روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ في الأسارى يوم بدر، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله أضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ الآية.

وروى أحمد والترمذي والحاكم وابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى، الحديث، وفيه فنزل القرآن بقول عمر ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى آخر الآيات، وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لم تحل الغنائم، لم تحل لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها. فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم فأنزل الله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.

﴿يَكُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾: أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْآخِرَةَ﴾: أي ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٦٧: وهذا منسوخ بقوله فإما منا بعد وإما فداء ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾: من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٦٨ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٦٩ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾: وفي قراءة الأسرى ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: إيمانا وإخلاصا ﴿يُؤْتِكُمْ

عمر، وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة، ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: إن الله ليلين قلوب رجال، حتى تكون ألين من اللبن، ويشد قلوب رجال، حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم. ﴿قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ ومثل عيسى قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ ومثلك يا عمر مثل نوح قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ ومثل موسى ﴿قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ الآية، ثم قال رسول: «اليوم أنتم عالة، فلا يفلتن أحد منهم، إلا بفداء أو ضرب عنقه» قال عمر بن الخطاب: فهوي رسول الله ما قاله أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب، وقيل أربعون أوقية، إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه، وعن ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث ثمانون، وأخذ منه وقت الحرب عشرون، فجملة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية، قال عمر: فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله وأبو بكر يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله: ابكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء، فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه ﷺ فنزلت الآية، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فرسول الله لن يعمل إلا ما أبيح له، وإنما عتابه تعليما لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة، من أنه لا يقبل الفداء من الكفار، حتى يكون قادرا عليهم، وظافرا بهم. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما سبعيتان، لكن على الفوقية تتعين الإمالة في أسرى، وعلى التحتية تجوز الإمالة وعدمها.

قوله: ﴿حتى يثخن في الأرض﴾ أي حتى تظهر شوكة الإسلام وقوته، وذل الكافرين. قوله: ﴿عرض الدنيا﴾ أي متاعها، سمي عرضا لزواله وعدم ثباته. قوله: ﴿والله يريد الآخرة﴾ أي يرضاها لكم. قوله: [وهذا منسوخ] أي قوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ هكذا مشى المفسر على هذا القول وهو ضعيف، بل ما هنا مقيد بالإثخان، أي كثرة القتال المترتب عليها عز الإسلام وقوته، وما يأتي في سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الإسلام حيث قال: فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإذا علمت ذلك، فالآيتان متوافقتان في أن كلا يدل على أنه لا بد من تقديم الإثخان ثم بعده الفداء.

قوله: ﴿لولا كتاب﴾ ﴿لولا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿كتاب﴾ مبتدأ، وجملة ﴿من الله﴾ صفة له، وكذا قوله: ﴿سبق﴾ والخبر محذوف تقديره موجود، والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب بإحلال الغنائم لمسكم الخ، فهو عتاب على ترك الأولى، لا على فعل منهي عنه، تنزيها لرسول الله عن مثل ذلك. قوله: ﴿فيما أخذتم﴾ أي بسبب ما أخذتم ففي للسببية. قوله: ﴿حلالا﴾ أي أكلا حلالا. قوله: ﴿طيبا﴾ أي خالصا لا شبهة فيه.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى﴾ نزلت في العباس عم رسول الله، وكان أحد العشرة الذين

---

* أسباب نزول الآية ٧٠: قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم﴾ الآية، روى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال العباس: =

﴿خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾: من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٧٠ ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾: أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾: بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: ببدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ٧١: في صنعه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾: النبي ﷺ ﴿وَّنَصَرُوا﴾: وهم الأنصار ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم﴾: بكسر الواو وفتحها ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة

ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر، وكان معه عشرون أوقية من ذهب، فلما أخذ أسيراً أخذت منه، فكلم رسول الله ﷺ أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له: شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال العباس: يا محمد أتتركني أتكفف قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله: فأين الذهب الذي وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل، فقال العباس: وما يدريك يا ابن أخي؟ فإني أعطيتها إياه في سواد الليل، ولم يطلع عليه أحد إلا الله، فقال: أخبرني به ربي، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله، وأنك صادق، وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فأسلما، فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي﴾ الآية، فكان العباس يقول: ابدلني الله خيراً مما أخذ مني، عشرين عبداً تجاراً يضربون بمال كثير، أدناهم يضرب بعشرين ألفاً مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربي. قوله: ﴿من الأسارى﴾ بالإمالة لا غير. قوله: [وفي قراءة الأسرى] أي بالإمالة وتركها، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعية. قوله: [من الفداء] بيان لما. قوله: ﴿خيانتك﴾ أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه، وهو أن لا يحاربوك، ولا يعاونوا عليك المشركين. قوله: [بما اظهروا من القول] أي قولهم: (رضينا بالإسلام). قوله: [فليتوقعوا] هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ أي سبق لهم الإيمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح، الذين قال الله فيهم **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾**. قوله: ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله. قوله: ﴿والذين آووا﴾ [النبي] أي والمهاجرين، ولم يذكرهم المفسر لأنهم تبع لرسول الله. قوله: [وهم الأنصار] أي الذين قال الله فيهم **﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**. قوله: [في النصرة والإرث] أي فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس، وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس. قوله: ﴿ولم يهاجروا﴾ أي بأن أقاموا بمكة. قوله: [بكسر الواو وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿من شيء﴾ [من] زائدة. و﴿شيء﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: [فلا إرث بينكم وبينهم] أي لا إرث بين المهاجرين والأنصار، وبين الذين لم يهاجروا. قوله: [ولا نصيب لهم في الغنيمة] أعترض بأن الغنيمة

= في والله نزلت حين أخبرت رسول الله ﷺ بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم تاجر بمالي في يده، مع ما أرجوا من مغفرة الله.

﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٧٢ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: أي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ٧٣: بقوة الكفر وضعف الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ٧٤: في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ﴾: أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾: أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ﴾: ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في الإرث من

لا يأخذها إلا من قاتل، وهؤلاء لم يقاتلوا، فالأولى حذف هذه العبارة. قوله: [وهذا منسوخ] اسم الاشارة على ما تقدم، من أن الإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالإيمان والهجرة، ومنفي بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين. قوله: [بآخر السورة] أي وهو قوله ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾.

قوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ أي طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين، والضمير عائد على ﴿الذين آمنوا ولم يهاجروا﴾. قوله: ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي من الكفار، وهم أهل مكة. قوله: [وتنقضوا عهدهم] أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين. قوله: [في النصرة والإرث] أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض. قوله: [فلا إرث بينكم وبينهم] أي ولا نصرة. قوله: ﴿إلا تفعلوه﴾ إن شرطية مدغمة في لا النافية، و﴿تفعلوه﴾ فعل الشرط، و﴿تكن﴾ جواب الشرط. والمعنى: إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار، بل توليتم الكفار، وقطعتم المؤمنين، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير لأنه يترتب على ذلك قوة الكفار، وضعف المسلمين، وهذا ما حل به المفسر، ويحتمل أن لا زائدة والمعنى: إن تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين.

قوله: ﴿والذين آمنوا وهاجروا﴾ الخ ليس مكرراً مع ما تقدم، لأن ما هنا بيان لفضلهم، وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض، وأيضاً ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية، وما هنا في الهجرة قبل الفتح، كان قبل الحديبية أو بعدها. قوله: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ أي الكاملون في الإيمان بلا شك. قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم. قوله: ﴿ورزق كريم﴾ أي لا تعب فيه ولا مشقة، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب، وأما ما ورد من أن المبشرين عشرة، فلأنهم جمعوا في حديث واحد. قوله: ﴿من بعد﴾ أي بعد الحديبية قبل الفتح، ولأنه بعد الفتح لا هجرة. قوله: ﴿فأولئك منكم﴾ أي محسوبون منكم، وفي الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة، لأن الله ألحقهم بهم، ومن المعلوم أن المفضول يلحق بالفاضل. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٧٣: قوله تعالى: ﴿والذين كفروا﴾ الآية، أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين فنزلت ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾.

* أسباب نزول الآية ٧٥: قوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن الزبير قال: كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك. فنزلت ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ الآية، وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن السوام وبين كعب بن مالك قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجارحة بأحد، فقلت لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته فنزلت هذه الآية ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة.

التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٥: ومنه حكمة الميراث.

﴿وأولو الأرحام﴾ هذه الآية نزلت بعد الفتح، وهي ناسخة للآية المتقدمة، وهي ميراث المهاجرين للأنصار. قوله: [من التوارث] متعلق بأولى. قوله: [أي اللوح المحفوظ] وقيل المراد بها القرآن، لأن قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن. قوله: [ومنه حكمة الميراث] أي التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسخة والتوارث بالقرابة.

سورة التوبة

[مدنية أو إلا الآيتين آخرها مائة وثلاثون أو إلا آية]

لم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن عليّ أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف وعن حذيفة أنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى

سورة التوبة مدنية

[أو إلا الآيتين آخرها. وهي مائة وثلاثون أو إلا آية]

مبتدأ، و[مدنية] خبر أول، و[مائة] الخ، خبر ثانٍ. قوله: ﴿أو إلا الآيتين﴾ إشارة إلى قول آخر. قوله: [آخرها] حال من آيتين، وأولهما ﴿لقد جاءكم رسول﴾ فعلى أنهما مكيتان يكون معنى قوله ﴿فقل حسبي الله﴾ اكتف بالله واترك قتالهم، ويكون منسوخاً بآية السيف، وعلى أنهما مدنيتان، يكون المعنى: كن مستعيناً بالله واثقاً به في قتالهم ولا نسخ، وهذه السورة من آخر القرآن نزولاً لأنها نزلت بعد عزة الإسلام وانتشاره. قوله: [ولم تكتب فيها البسملة] الخ، جواب عما يقال: إن كل سورة مبتدأة بالبسملة إلا هذه السورة، فما الحكمة في ذلك، فأجاب: بأن رسول الله لم يأمر بذلك، أي لكونه لم ينزل عليه وحي بها، وهذا أصح الأقوال، ولذا صدر به المفسر. وحاصل الخلاف في حكمة عدم الإتيان بالبسملة خمسة أقوال: أولها: ما قاله المفسر، الثاني: أنه سئل عثمان عن ذلك، فأجاب بأنه ظن أنها مع الأنفال سورة، لأن قصتها تشبه قصتها، فعلى هذا القول تكون مع الأنفال تمام السبع الطوال. الثالث: أنها نزلت لنقض عهد الكفار وفضيحة المنافقين، فهي سورة عذاب، والبسملة رحمة، ولا تجتمع رحمة مع عذاب، وتسمى أيضاً الفاضحة، لفضيحة المنافقين بها، وسورة العذاب، وسورة التوبة، لاشتمالها على ذكرها، وغير ذلك من أسمائها. الرابع: تركت البسملة لاختلاف الصحابة في أن الأنفال وبراءة سورة واحدة أو سورتان، فتركت البسملة لقول من قال: هما سورة واحدة، وتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان. الخامس: أن ذلك على عادة العرب في الجاهلية، إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه، كتبوا إليهم كتاباً، ولم يكتبوا فيه البسملة، وهذه السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها، ثم اختلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها، فقال ابن حجر من الشافعية بالحرمة، وقال الرملي بالكراهة، وفي الأثناء يكره عند الأول، ويجوز عند الثاني، ومذهب مالك كذلك، وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله:

ومهما تصلها أو بدأت براءة — لتنزيلها بالسيف لست مبسملا
ولا بد منها في ابتدائك سورة — سواها وفي الأجزاء خير من تلا

البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت. هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]: عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله ﴿فَسِيحُواْ﴾: سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾: أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ﴾[2]: مذلهم في الدنيا بالقتل والأخرى بالنار ﴿وَأَذَانٌ﴾: إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يوم النحر ﴿أَنَّ﴾: أي بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾: بري أيضاً وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر

قوله: ﴿إنها آخر سورة نزلت﴾ أي من الآخر، وإلا فالمائدة متأخرة عنها، وهذه السورة نزلت كاملة، لما ورد أن رسول الله ﷺ قال «ما أنزل علي القرآن إلا آية آية، وحرفاً حرفاً، إلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد، فإنهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة». قوله: ﴿براءة﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿براءة﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: [هذه] قوله: ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله: [واصلة] والمعنى هذه قطع واصلة صادرة ﴿من الله ورسوله﴾، واصلة ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾. قوله: [ونقض العهد] أي في الصورة الثلاثة.

قوله: ﴿فسيحوا﴾ أمر إباحة للمشركين، وهو مقول لقول محذوف، والتقدير فقولوا لهم سيحوا، وهذا بيان لعقد الأمان لهم أربعة أشهر، وإنما اقتصر عليها لقوة الإسلام وكثرة المسلمين، بخلاف صلح الحديبية، فكان عشر سنين، لضعف المسلمين إذ ذاك. قوله: [أولها شوال] أي آخرها المحرم، وقيل أولها عشر ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء، ثم صار في السنة القابلة في العاشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله» الحديث، وقيل أولها عاشر ذي الحجة، وآخرها عاشر ربيع الثاني. قوله: [بدليل ما سيأتي] أي في قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾.

قوله: ﴿واعلموا﴾ الخ، أي فلا تغتروا بعقد الأمان لكم. قوله: ﴿وأذان﴾ معطوف على قوله: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ عطف مفصل على مجمل. قوله: [اعلام] أي فالمراد الأذان اللغوي لا الشرعي الذي هو الاعلام بألفاظ مخصوصة. قوله: [يوم النحر] إنما سمي يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج يكون فيه، كالطواف والرمي والنحر والحلق، واحترز بالحج الأكبر عن العمرة، فهي الحج الأصغر لأن أعمالها اقل من أعمال الحج، لأنه يزيد عليها بأمور: كالرمي والمبيت والوقوف.

قوله: ﴿أن الله بريء﴾ الخ، هذه الجملة خبر عن قوله: ﴿أذان﴾. وقوله: ﴿يوم الحج الأكبر﴾ ظرف للأذان، والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس كائن في يوم الحج الأكبر، بأن الله بريء الخ. قوله: ﴿ورسوله﴾ القراءة السبعة بل العشرة، على الرفع عطف على الضمير المستتر في بريء، ووجد الفاصل وهو قوله: ﴿من المشركين﴾ ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره وبريء منهم أيضاً، وقرئ شاذاً بالنصب، ووجهت بوجهين: الأول أن الواو بمعنى مع، ورسوله مفعول معه، الثاني أنه معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة، وقرئ شاذاً أيضاً بالجر، ووجهت بأن الواو للقسم، واستبعدت تلك القراءة لإيهام عطفه على المشركين، حتى أن بعض الأعراب سمع رجلاً يقرأ بها، فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا بريء منه، فلببه القارىء إلى عمر، فحكى الأعرابي الواقعة، فأمر عمر بتعليم العربية، وتحكى هذه أيضاً عن علي وأبي الأسود الدؤلي. قوله: [وقد بعث] الخ حاصل ذلك، أن رسول الله ﷺ

بمنى بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري. ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾: من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾: أخبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٣: مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾: من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾: يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: من الكفار ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾:

عاهد قريشاً يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، ثم عدت بنو بكر على خزاعة، وأعانتهم قريش بالسلاح، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، ونقضوا عهدهم، خرج عمرو بن سلام الخزاعي، ووقف على رسول الله وأخبره بالخبر، فقال رسول الله: لا نُصِرت إن لم أنصرك، وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة، فلما كان سنة تسع أراد رسول الله أن يحج، فقيل إن المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة، فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فبعث أبا بكر تلك السنة أميراً على الموسم ليقيم للناس الحج، وبعث معه أربعين آية من صدر براءة، آخرها ﴿ولو كره المشركون﴾ ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء، ليقرأ على الناس صدر براءة، فلحق أبا بكر بالعرج ـ بفتح العين وسكون الراء، قرية جامعة بينها وبين المدينة ثمنية وسبعون ميلاً ـ فلما تلاقيا، ظن أبو بكر أنه معزول، فرجع إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أنزل في شأني شيء؟ فقال لا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك معي على الحوض، فقال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميراً على الحاج، وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم، قام أبو بكر فخطب الناس، وحدثهم على مناسكهم، وأقام للناس الحج، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي فأذن بما أمر به، وهو لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو منقوض، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع إذا علمت ذلك، تعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عهود ما عدا قريش، فإن قريشاً تم أمرهم بفتح مكة، وفي ذلك قال المفسرون: لما خرج رسول الله إلى تبوك، فكان المنافقون يرجفون الأراجيف، وجعل المشركون ينقضون عهوداً كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإما تخافن من قوم خيانة﴾ الآية، ففعل رسول الله ما أمر به، ونبذ لهم عهودهم. قوله: [بهذه الآيات] أي وهي ثلاثون أو أربعون آية آخرها ﴿ولو كره المشركون﴾ قوله: [وأن لا يحج] أي وبأن لا يحج، فهو وما بعده من جملة ما أذن به.

قوله: ﴿فهو﴾ أي التوبة المفهومة من قوله: ﴿تبتم﴾ قوله: ﴿خير لكم﴾ أي من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم، أو اسم التفضيل ليس على بابه. قوله: [أخبر] أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الإخبار، وعبر عنه بالبشارة تهكماً بهم. قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم﴾ استثناء من المشركين في قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم، وهذا أولى من جعله متصلاً، لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه.

قوله: ﴿ثم لم ينقصوكم﴾ قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان، وهو يتعدى لواحد واثنين، فالكاف مفعول، و﴿شيئاً﴾ إما مفعول ثان أو مصدر، أي لا قليلاً ولا كثيراً من النقصان، وقرئ شذوذاً بالضاد، والمعنى لم ينقضوا عهدكم، وهي مناسبة لذكر العهد، والقراءة الأولى مناسبة لذكر التمام في مقابلتها. قوله: ﴿ولم يظاهروا﴾ أي هؤلاء

انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾: التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]: بإتمام العهود ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: في حل أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾: بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾: ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]: لمن تاب ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: مرفوع بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أمنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾: أي موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٦] دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا ﴿كَيْفَ﴾: أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦ﴾: وهم كافرون بهما غادرون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾: اقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾: على الوفاء به وما شرطية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٧]:

المشركون وهم بنو ضمرة حي من كنانة. قوله: ﴿إلى مدتهم﴾ أي وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر. قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ أي انقطعت وفرغت، وتقدم للمفسر أن هذا يدل على أن أول المدة شوال، وهو أحد أقوال ثلاثة تقدمت. قوله: ﴿حيث وجدتموهم﴾ أي في أي مكان. قوله: ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي لئلا ينتشروا في البلاد.

قوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ الخ، المراد أتوا بأركان الإسلام، وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لأنهما رأس الأعمال البدنية والمالية. قوله: [ولا تتعرضوا لهم] أي لا لأنفسهم ولا لأموالهم، فلا تأخذوا منهم جزية، ولا أعشاراً، ولا غير ذلك. قوله: ﴿وإن أحد من المشركين﴾ إن حرف شرط جازم، وأحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله ﴿استجارك﴾ وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فأجره﴾ جواب الشرط، وإنما أعرب أحد فاعلاً بفعل محذوف، لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظاً أو تقديراً سيما إن. قوله: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ أي فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن. قوله: ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ أي إن أراد الانصراف ولم يسلم وصله إلى قومه ليتدبر في أمره، ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام الحجة عليهم. قوله: [المذكور] أي من الإجارة والإبلاغ. قوله: [ليعلموا] أي ما لهم من الثواب إن آمنوا، وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا. قوله: [أي لا] ﴿يكون﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب بمعنى النفي، وهذا تأكيد لإبطال عهدهم ونقضه في الآية المتقدمة.

قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم﴾ يصح أن يكون الاستثناء منقطعاً أو متصلاً، فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله ﴿فما استقاموا لكم﴾ الخ، وعلى الاتصال يكون الموصول منصوباً على الاستثناء. قوله: [يوم الحديبية] اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ. قوله: [وهم قريش المستثنون من قبل] أي في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس وهو مشكل لأن هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة، وقريش إذ ذاك مسلمون، لأنها كانت نقضت في السنة السابعة، وحصل الفتح في الثامنة، فالصواب كما قال الخازن: أن ذلك محمول على بني ضمرة، الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل، فكلهم نقضوا إلا بني ضمرة فلم ينقضوا فلذا أمر رسول الله بإتمام عهدهم إلى مدتهم. قوله: [وما شرطية]

وقد استقام ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة ﴿كَيْفَ﴾: يكون لهم عهد ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾: يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾: قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٨: ناقضون للعهد ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا أي تركوا إتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾: دينه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩ عملهم هذا ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ ١٠ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾: أي فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ﴾: نبين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١١: يتدبرون ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: مواثيقهم ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾: عابوه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾: رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾: عهود ﴿لَهُمْ﴾: وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ ١٢: عن الكفر ﴿أَلَا﴾: للتحضيض ﴿تُقَاتِلُونَ قَوْمًا﴾

أيْ بمعنى إنْ، ويصحُّ كونها مصدرية ظرفية، أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. قوله: [حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة] هذا مبني على ما فهمه أولاً، ولو مشى على الصواب لقال: حتى فرغت مدتهم.

قوله: ﴿كيف﴾ [يكون لهم عهد] كرر الاستفهام زيادة في التأكيد. قوله: ﴿إلا﴾ مفعول ليرقبوا، وجمعه إلال كقداح. قوله: [قرابة] وقيل المراد به العهد، وقيل المراد به الله تعالى، وقيل الجوار وهو رفع الصوت عند المحالفة، لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة، والأقرب ما قاله المفسر. قوله: [عهداً] أي فالعطف للتفسير على تفسير الإل بالعهد. قوله: ﴿يرضونكم﴾ هذا بيان لحالهم، عند عدم الظفر بالمسلمين، إثر بيان حالهم عند الظفر بهم. قوله: [وتأبى قلوبهم] أي تمتنع من الإذعان والوفاء بما أظهروه.

قوله ﴿اشتروا بآيات الله﴾ أي استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية والشهوات الزائلة. قوله: ﴿فصدوا عن سبيله﴾ أي منعوا الناس من اتباع دين الإسلام والإيمان. قوله: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ أي إضلالهم وكفرهم وإضلالهم غيرهم.

قوله: ﴿لا يرقبون في مؤمن﴾ كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم، لأن مقام الذم كمقام المدح، البلاغة فيه الإطناب. قوله: ﴿فإن تابوا﴾ الخ ليس فيه تكرار مع ما تقدم لاختلاف جواب الشرط، لأن الأول أفاد تخلية سبيلهم، وهنا أفاد أنهم إخواننا في الدين. قوله: [أي فهم إخوانكم] أشار بذلك إلى أن ﴿إخوانكم﴾ خبر لمحذوف، والجملة في محل جزم جواب الشرط. قوله: [يتدبرون] أي يتعظون فيؤمنون، وإنما فسر العلم بالتدبر لأن المراد به علم يحصل معه الإذعان لا مطلق علم. قوله: ﴿وإن نكثوا﴾ النكث في الأصل الرجوع إلى خلف، ثم استعمل في النقض مجازاً بجامع أن كلاً متأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله ﴿فإن تابوا﴾ الخ، والمعنى فإن أظهروا ما في ضمائرهم من الشر فقاتلوا الخ. قوله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ عطف تفسير أو سبب على مسبب والأقرب الأول.

قوله: ﴿فقاتلوا﴾ أمر لسيدنا محمد وأمته. قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما وتركه، وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وتركه، وبإبدال الثانية ياء، فهذه خمس قراءات غير شاذة هنا، وفي الأنبياء، وفي موضعي القصص، وفي السجدة وأصله أأممة بوزن أفعلة، أريد إدغام أحد الميمين في الأخرى، فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها، وهو الهمزة الثانية. قوله: [فيه وضع الظاهر] الخ أي زيادة في التقبيح عليهم، بحيث وصفهم بكونهم رؤساء في الكفر، وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم. قوله: ﴿لا أيمان لهم﴾ بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى

﴿نَكَثُوا﴾: نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾: عهودهم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾: من مكة لَمَّا تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُمْ بَدَؤُكُمْ﴾: بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: أتخافونهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾: في ترك قتالهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٣ ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ﴾: يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤: بما فعل بهم هم بنو خزاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: كربها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾: بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ١٥ ﴿أَمْ﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾: بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٦ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾:

الحلف، والمعنى لا عهود لهم متممة. قوله: [وفي قراءة بالكسر] أي فيكون مصدر آمن بمعنى أعطاه الأمان، أو من الإيمان وهو التصديق. قوله: ﴿ألا﴾ [للتحضيض] أي وهو الطلب، بحث وإزعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضي القتال.

قوله: ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ إنما اقتصر على الإخراج، مع أنه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالإيثاق أيضاً، لأن أثر الإخراج ظهر عقبه، وهو خروجه منها بإذن ربه لا خوفاً منهم، ولذا ورد «اللهم كما أخرجتني من أحب البلاد إلي، فأسكني في أحب البلاد إليك». قوله: [بدار الندوة] تقدم أنها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث، والباني لها قصي، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي في مقام الحنفي. قوله: [حيث قاتلوا خزاعة] أي أعانوهم بالسلاح، ثم اعلم أن صريح المفسر على ذلك على قريش، وهو مناف لما تقدم، من أن السورة نزلت سنة تسع، وقريش إذ ذاك مسلمون. قوله: [فما يمنعكم أن تقاتلوهم] أشار بذلك إلى أن المراد من التحضيض الأمر مع التوبيخ. قوله: [في ترك قتالهم] يتعلق بقوله: ﴿أتخشونهم﴾. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: ﴿قاتلوهم﴾ هذا أمر ذكر في جوابه خمسة أمور. قوله: [بنو خزاعة] يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون إذ ذاك.

قوله: ﴿ويتوب الله﴾ بالرفع استئناف، ولم يجزم لأن التوبة على من يشاء، ليست جزاء على قتال الكفار. قوله: [بمعنى همزة الإنكار] الحق أنها بمعنى بل، والهمزة معاً كما تقدم له. قوله: ﴿أن تتركوا﴾ أي يترككم الله من غير قتال. قوله: ﴿ولما يعلم الله﴾ الجملة حالية. قوله: [علم ظهور] دفع بذلك ما يقال كيف ينفي علم الله مع أنه متعلق بكل شيء وجد أو لم يوجد. قوله: [بالإخلاص] أي مع إخلاص. قوله: ﴿وليجة﴾ من الولوج وهو الدخول، والمعنى بل ظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا، بل يظهر المجاهد منكم الاخلاص من غيره، ولم تتخذوا في الله ورسوله ولا المؤمنين شيئاً تدخلونه في قلوبكم، غير محبة الله ورسوله والمؤمنين.

قوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله﴾ الخ. سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن جماعة من رؤساء

---

* أسباب نزول الآية ١٤: قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة، وأخرج عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وأخرج عن السدي ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ يشفِ صدورهم من بني بكر.

* أسباب نزول الآية ١٧: قوله تعالى: ﴿ما كان للمشركين﴾ الآيات، أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قال =

لعدم شرطها ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ١٧ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾: أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١٨ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي أهل ذلك ﴿كَمَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: في الفضل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ١٩: الكافرين. نزلت ردًّا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره ﴿ٱلَّذِينَ

قريش أسروا يوم بدر، منهم العباس عمّ رسول الله، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله يعيّرونهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا، وتكتمون محاسننا؟ فقيل له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، نحن أفضل منكم، نعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة أي نخدمها، ونسقي الحجيج، ونفك العاني. قوله: [بالأفراد والجمع] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالأفراد إما على أن المراد المسجد الحرام، أو على أن المسجد اسم جنس، فيدخل فيه جميع المساجد، والجمع إما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد، أو الجمع باعتبار أنه قبلة لسائر المساجد.

قوله: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ قيل: المراد به السجود للأصنام، لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام، فلم يزدادوا بذلك إلا بعداً من الله. قوله: ﴿حبطت أعمالهم﴾ أي الحسنة التي افتخروا بها من خدمة المساجد، وفك الأسير، وسقاية الحاج، وغير ذلك. قوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ بالجمع باتفاق السبعة، وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك. قوله: ﴿أن يكونوا من المهتدين﴾ أي أن يحشروا في زمرتهم يوم القيامة.

قوله: ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ رد على العباس وغيره كما يأتي للمفسر، حيث افتخروا بذلك وقالوا إن هذا شرف لا يضاهى، والسقاية في الأصل هي المحل الذي يجعل فيه الشراب في الموسم، كانوا ينبذون الزبيب في ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج، وكان الفاعل لذلك العباس في الجاهلية، واستمرت معه السقاية في الإسلام، فهي لآل العباس أبداً. قوله: [أي أهل ذلك] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف، والتقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج الخ، وقد دفع بذلك ما يقال: كيف يشبه المعنى وهو السقاية بالذات، وهو من آمن. قوله: ﴿لا يستوون عند الله﴾ [في الفضل] أي الأخروي، لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوي. قوله: [أو غيره] أو بمعنى الواو، لأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك، ويزعمون أن هذا فخر لا يضاهى.

= العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني، فأنزل الله ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية.

وأخرج مسلم وابن حبان وأبو داود عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ إلى قوله ﴿لا يهدي القوم الظالمين﴾.

وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة، فقال للعباس أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله ﷺ، فقال: أعمر المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية، وقال لقوم سماهم: ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ، فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فأنزل الله ﴿قل أن كان آباؤكم﴾ الآية كلها، وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه، وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبة والعباس وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليهم، فقال علي: لقد صليت إلى القبلة قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله ﴿أجعلتم سقاية الحاج﴾ الآية كلها.

آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: رتبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: من غيرهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ٢٠: الظافرون بالخير ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ ٢١: دائم ﴿خَالِدِينَ﴾: حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ٢٢. ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾: اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢٣: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرباؤكم وفي قراءة عشيراتكم ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾: فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٢٤ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾: للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾:

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان، وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد. قوله: [من غيرهم] يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار، فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم، والجواب: أن ذلك إما باعتبار ما يعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة، أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الأوصاف الثلاثة. قوله: ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ أي الكاملون في الفوز، بالنسبة للمؤمن الذي لم يستكمل الأوصاف الثلاثة، أو المراد الذي لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة.

قوله: ﴿يبشرهم ربهم برحمة﴾ الخ ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء، جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقف الرحمة عليه، والرضوان في مقابلة الجهاد لأنه بذلك الأموال والأنفس في مرضات الله، والرضوان منهاية الإحسان، فكان في مقابلته، والجنة في مقابلة الهجرة، لأن الهجرة ترك الأوطان، فبدلوا وطناً في الآخرة أعلى وأجل مما تركوه، وإنما قدمت الرحمة والرضوان إشارة إلى أنهما يكونان في الدنيا والآخرة، وأخرت الجنة إشارة إلى أنها مختصة بالآخرة، ولأنها آخر العطايا. قوله: [حال مقدرة] أي لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون. قوله: [ونزل فيمن ترك الهجرة] قال ابن عباس: لما أمر النبي ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون: ننشدكم بالله أن لا تضيعنا، فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله: ﴿قل إن كان آباؤكم﴾ نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا، نحن إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا، وتخربت ديارنا، وتقطعت أرحامنا، ويؤخذ من ذلك أنه إذا تعارض أمر من أمور الدين، مع مصالح الدنيا، يقدم أمر الدين، ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا. قوله: ﴿وإخوانكم﴾ أي حواشيكم، والمراد هنا إخوان النسب، وإن شاع جمع أخ النسب على إخوة، وأخ الدين على إخوان. قوله: [أقرباؤكم] وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقاً ولو غير قريب، فهو عطف عام على ما قبله على كل حال. قوله: [وفي قراءة عشيراتكم] أي وهي سبعية، وقرأ الحسن عشائركم. قوله: ﴿ترضونها﴾ أي ترضون الإقامة فيها. قوله: ﴿أحب إليكم﴾ خبر كان، واسمها ﴿آباؤكم﴾ وما عطف عليه. قوله: [فقعدتم لأجله] قدره ليرتب عليه قوله: ﴿فتربصوا﴾ وجملة ﴿فتربصوا﴾ جواب الشرط.

قوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ قال ابن عباس هو فتح مكة. إذا علمت ذلك، تعلم أن هذا مشكل مع ما تقدم، ومع ما يأتي من أن السورة نزلت بعد الفتح، إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح، بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح، ولا غرابة في ذلك فتدبر. قوله: [تهديد لهم] أي تخويف. قوله: ﴿الفاسقين﴾ عبر عنهم أولاً

كَبَدْر وقريظة والنضير ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وادٍ بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمانٍ ﴿إِذْ﴾: بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه من شدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [٢٥*]: منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: فردوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: ملائكة ﴿وَعَذَّبَ﴾

بالظالمين، إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح. قوله: ﴿لقد نصركم الله﴾ الخطاب للنبي وأصحابه، بتعداد النعم عليهم. قوله: ﴿في مواطن﴾ جمع موطن كمواعد وموعد، ويرادفه الوطن وهو محل السكنى. قوله: [وقريظة والنضير] الكلام على حذف مضاف، أي وموطن قريظة وموطن النضير.

قوله: ﴿ويوم حنين﴾ ظرف لمحذوف قدّره المفسر بقوله: [اذكر] وقيل معطوف على ﴿مواطن﴾ من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان، ورُدّ بأنه يقتضي أن قوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ يرجع لقوله: ﴿مواطن﴾ أيضاً لأنه بدل من يوم حنين، ولا يصح ذلك، لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، بل في خصوص حنين، فتعين ما قدّره المفسر. قوله: [وادٍ بين مكة والطائف] أي وبينهما ثمانية عشر ميلاً، وفي بعض العبارات ثلاث ليال. قوله: [هوزان] أي وهم قبيلة حليمة السعدية. قوله: [سنة ثمان] أي من الهجرة، وهي سنة فتح مكة، لأن مكة فتحت في رمضان، وغزوة هوازن في شوال عقبه. قوله: [من قلة] أي من عدد قليل. قوله: [وكانوا اثني عشر ألفاً] عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الذين أسلموا في مكة بعد فتحها. قوله: [والكفار أربعة آلاف] الذي في شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفاً.

قوله: ﴿فلم تغن عنكم شيئاً﴾ أي لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيئاً. قوله: [أي مع رحبها] أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع، والجملة حال أي متلبسة برحبها، والرحب بالضم السعة، وبالفتح الواسع. قوله: [وليس معه غير العباس] أي وقد كان آخذاً بلجام بغلته. قوله: [وأبو سفيان] أي ابن الحرث بن عبد المطلب، وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح، وفي بعض السير: أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ في حنين ثمانمائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار، ويجمع بين ما قاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلاً بالبغلة إلا اثنان، والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا. قوله: [فردوا] أي رجعوا جميعاً كالفصيل الضال عن أمه إذا وجدها. قوله: [لما ناداهم العباس] أي وكان صيّتاً يسمع صوته من نحو ثمانية أميال.

قوله: ﴿لم تروها﴾ قيل كانوا خمسة آلاف، وقيل ستة عشر ألفاً ولم يقاتلوا، بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين، وروي عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين، لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما القيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ، قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا، قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا، وروي أن

---

* أسباب نزول الآية ٢٥: قوله تعالى: ﴿ويوم حنين﴾ الآية، أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلاً قال يوم حنين: لن نغلب من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ الآية.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٧ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾: عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: فقراً

الملائكة الذين نزلوا يوم حنين، عليهم عمائم حمر، راكبين خيلاً بلقاً. قوله: [بالقتل] أي لبعضهم وهم أكثر من سبعين. قوله: [والأسر] أي للنساء والذراري وكانوا ستة آلاف، ولم تقع غنيمة أعظم منها، فقد كان فيها من الإبل اثنا عشر ألفاً، وقيل أربعة وعشرون ألفاً، ومن الغنم ما لا يحصى، وكان فيها غير ذلك، ولما هزمهم قصد إلى الطائف، وأمر بجعل الغنائم في الجعرانة حتى يأتي إليهم، فلما رجع ﷺ من الطائف، انتظر هوازن بضعة عشر يوماً، ليقدموا عليه مسلمين، ثم أخذ في قسمة الغنائم، وكان في السبي أخت رسول الله من الرضاع، وهي بنت حليمة السعدية، فأطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها، فأخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الإكرام، فكان ذلك باعثاً على إسلامهم، فأتى منهم جماعة وقالوا: يا رسول الله، أنت خير الناس وأبرهم، فاردد علينا أموالنا وأهلينا، فقال لهم: إن خير القول أصدقه، اختاروا إما أموالكم، وإما ذراريكم ونساءكم، قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم، ثم قال لهم: إذا أنا صليت فتقدموا إلي واخبروني بذلك، ففعلوا كما أمروا، فقال ﷺ: من طابت نفسه بشيء أن يرده فليفعل، فقالوا: رضينا بذلك وسلموه الأموال والأسارى.

قوله: ﴿إنما المشركون نجس﴾ القراءة السبعية بفتحتين، وفيه لغات أخر ككتف وعضد، والمعنى انهم نجس نجاسة معنوية لا حسية، وقال ابن عباس: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير، وقال الحسن: من صافح مشركاً توضأ، وأهل المذهب على خلاف ذلك، فإنهم طاهرون لأنهم داخلون في آية [ولقد كرمنا بني آدم] قوله: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ الخ، قال العلماء: جملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام، احدها: الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال، وجوز أبو حنيفة دخول المعاهد، الثاني: الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله إلا بإذن، ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام، كما في الحديث «لا يبقين دينان في جزيرة العرب» وحدها طولاً من اقصى عدن إلى ريف العراق، وعرضاً من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام» الثالث: سائر بلاد الإسلام، يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان، لكن لا يدخل المساجد إلا لغرض شرعي. قوله: [عام تسع] أي وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح، وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله.

قوله: ﴿إن خفتم عيلة﴾ الخ، سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما أمر علياً أن يقرأ على المشركين أول براءة، خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش، لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. قوله: [فقراً] في المصباح معيلة بالفتح الفقر، وهي مصدر عال يعيل، من باب سار، فهو عائل، والجمع عالة، وفي المختار: وعيال الرجل من يعولهم، وواحد العيال عيل كجيد، والجمع عيائل كجيائد، وأعال الرجل كثرت

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نهو عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام، فأنزل الله ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾، وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ شق ذلك على المسلمين، وقالوا: من يأتينا بالطعام والمتاع، فأنزل الله ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾، وأخرج مثله عن عكرمة وعطية العوني والضحاك وقتادة وغيرهم.

بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾: وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٨ ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾: الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ﴾: بيان للذين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾: الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٍ﴾: حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ ٢٩: أذلاء منقادون لحكم الإسلام ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ﴾: عيسى ﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: لا مستند لهم

عياله. قوله: [وقد اغناهم بالفتوح] أي فأسلم أهل صنعاء وجدّة وتبالة بفتح التاء، وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة، قريتان من قرى اليمن، وجلبوا إليهم الميرة، وصاروا في أرغد عيش.

قوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ الخ شروع في ذكر قتال أهل الكتابين إثر بيان قتال مشركي العرب، وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بقتال الروم، فلما نزلت توجه رسول الله ﷺ لغزوة تبوك. قوله: [وإلا لآمنوا بالنبي] جواب عما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي نفي إيمانهم بالله واليوم الآخر، مع أنهم يزعمون الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي كلام المفسر إشارة بالقياس استثنائي وتقريره أن يقال: لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر، لآمنوا بالنبي ﷺ، لكنهم لم يؤمنوا بالنبي، فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، وأيضاً دعواهم الإيمان بالله باطلة لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه، ولا شك في كونه كفراً، وكذلك دعواهم الإيمان باليوم الآخر باطلة لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد، وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها، ولا يشربون، ولا ينكحون، فتحصل أن كفرهم بهذه الأمور، وتكذيبهم النبي، ومن كذب نبياً، فقد كفر بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً﴾. قوله: [كالخمر] أي والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا، فإنهم مخاطبون بفروع الشريعة، ويعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر.

قوله: ﴿دين الحق﴾ من إضافة الموصوف لصفته. قوله: [الناسخ لغيره] أي الماحي له، فمن اتبع غير الإسلام فهو كافر، قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، ويصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لأن من أسمائه الحق، والمراد بدين الله الإسلام.

قوله: ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ غاية لقتالهم، وسميت جزية لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم. قوله: [الخراج المضروب عليهم] أي الذي يجعله الإمام على ذكورهم الأحرار البالغين الموسرين. قوله: [أي منقادين] تفسير باللازم، أي فاليد كناية عن الانقياد. قوله: [لا يوكلون بها] أي فاليد على حقيقتها، وهذا التفسير يناسب مذهب مالك، لأن عنده لا يجوز التوكيل في دفعها، بل كل واحد يدفع جزيته بيده وحين دفعها يبسط الكافر يده بها، ويأخذها المسلم من يده، لتكون يد المسلم هي العليا، ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه، وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها.

قوله: ﴿وقالت اليهود﴾ الخ هذا من تفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، و﴿عزير﴾ بالصرف وعدمه قراءتان

---

* أسباب نزول الآية ٣٠: قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، ومحمد بن دحية وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فأنزل الله في ذلك ﴿وقالت اليهود﴾ الآية.

عليه بل ﴿يُضَاهِئُونَ﴾: يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾: من آبائهم تقليداً لهم ﴿قَاتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿اللَّهُ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ ٣٠: يصرفون عن الحق مع قيام الدليل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾: علماء اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾: عباد النصارى ﴿أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم وتحريم ما أحل

سبعيتان، فالصرف على أنه عربي فلم توجد فيه إلا علة واحدة، وعدمه على أنه أعجمي ففيه العلتان، و﴿ابن﴾ خبر عزير فيرسم بالألف لأنه ليس بصفة للعلم، وسبب تلك المقالة على ما قاله ابن عباس، أن عزيراً كان فيهم، وكانت التوراة عندهم، والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ومسحها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة، فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه، فأذن في قومه وقال: يا قوم آتاني الله التوراة وردها علي، فعلقوا به يعلمهم، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت، عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه مثله، فقالوا: ما أوتي عزير هذا، إلا لأنه ابن الله.

قوله: ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ المسيح لقب له، إما لأنه ما مسح على ذي عاهة إلا برىء، أو لأنه ممسوح بالبركة، وسبب مقالتهم، أنهم كانوا على الدين الحق، بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة، يصلون إلى القبلة ويصومون، حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص، قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام، ثم قال بولص لليهود: إن كان الحق مع عيسى، فقد كفرنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة، فإني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا، ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه، فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدوكم بولص، قد نوديت من السماء، أنه ليست لك توبة حتى تتنصر، وقد تبت وأتيتكم، فأدخلوه الكنيسة ونصروه، ودخل بيتاً فيها، فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نوديت أن الله قد قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال، اسم واحد نسطوراً، والآخر يعقوب والآخر ملكان، فعلم نسطوراً أن عيسى ومريم آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل، فلما تمكن ذلك فيهم، دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي، وادع الناس لما علمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني، وقال لكل واحد منهم إني سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه، وتفرق أولئك الثلاثة، فذهب واحد إلى الروم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرقوا واختلفوا.

قوله: ﴿بأفواههم﴾ من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه، فذكرها مبالغة في الرد عليهم. قوله: ﴿يضاهؤن﴾ بضم الهاء بعدها واو، وبكسر الهاء بعدها همزة مضمومة، ثم واو، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿قاتلهم الله﴾ أي أبعدهم عن رحمته، فهو دعاء عليهم. قوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ استفهام تعجب، والاستفهام راجع إلى الخلق لأن الله يستحيل عليه التعجب. قوله: ﴿اتخذوا﴾ أي اليهود والنصارى. قوله: ﴿أحبارهم﴾ جمع حبر بالفتح والكسر، والثاني أفصح، العالم الماهر. قوله: [حيث اتبعوهم] أشار بذلك إلى أنهم لم يتخذوهم أرباباً حقيقة، بل المعنى كالأرباب في شدة امتثالهم أمرهم.

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وما أمِرُوا﴾: في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾: أي بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾٣١ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ﴾: شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ﴾: يظهر ﴿نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾٣٢: ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾: محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾: يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾: جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾٣٣: ذلك ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يأخذون ﴿أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَاطِلِ﴾: كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا

قوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ بالنصب عطف على ﴿احبارهم﴾ والمفعول الثاني محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره رباً. قوله: ﴿وما أمروا﴾ الخ الجملة حالية. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ صفة ثانية لإلهاً. قوله: [شرعه وبراهينه] أي الدالة على صدقه ﷺ، وهي ثلاثة أمور: أحدها المعجزات الظاهرات، ثانيها القرآن العظيم، ثالثها كون دينه الذي أمر بأتباعه، وهو دين الإسلام، ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه، والتبري من كل معبود سواه، فهذه أمور نيرة واضحة في صحة نبوته ﷺ، فمن أراد إبطال ذلك فقد خاب سعيه. قوله: ﴿إلا أن يتم نوره﴾ أي يعليه ويرفع شأنه. قوله: ﴿ولو كره الكافرون﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير ولو كره الكافرون إتمامه لأتمه ولم يبال بهم. قوله: ﴿بالهدى﴾ أي القرآن. قوله: ﴿ودين الحق﴾ أي دين الإسلام. قوله: [جميع الأديان المخالفة له] أي بنسخه لها. قوله: ﴿ولو كره المشركون﴾ كرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم، ووصفهم أولاً بالكفر، وثانياً بالإشراك، إشارة إلى أنهم اتصفوا بكل منهما.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار﴾ الخ لما بين عقائد الأتباع وصفاتهم، شرع في بيان صفات الرؤساء، والأحبار علماء اليهود، والرهبان عباد النصارى، وفي قوله: ﴿كثيراً﴾ إشارة إلى أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يكونوا كذلك، كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأحبار، والنجاشي وأضرابه من الرهبان. قوله: [يأخذون] أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل الأخذ، فأطلق الخاص وأريد العام، من باب تسمية الشيء باسم جزئه الأعظم، لأن معظم المقصود من أخذ الأموال أكلها.

قوله: ﴿بالباطل﴾ قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم، وقيل هو تغيير صفات المصطفى ﷺ الكائنة في التوراة والإنجيل، وقيل ما هو أعم وهو الأحسن، والباعث لهم على ذلك حب الرياسة وأخذ الأموال. قوله: [كالرشا] بضم الراء وكسرها، جمع رشوة، بالضم على الأول، والكسر على الثاني، وفي القاموس: الرشوة مثلثة وهي الجعل على الحكم، وهي حرام ولو على الحكم بالحق، فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل، أما بذل الأشقياء، فيقال فيه رشاء بالكسر والمد. قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الإسلام. قوله: ﴿والذين يكنزون﴾ الكنز في الأصل جمع المال ودفنه وعدم الانفاق منه، واختلف في المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة، فقيل المراد بهم أهل الكتاب، لأنه شأنهم الحرص وكنز المال، وقال ابن عباس: نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة، وقال أبو ذر: نزلت في أهل الكتاب والمسلمين، الذين يمنعون الزكاة والحقوق الواجبة. روي أن أبا ذر اختلف مع معاوية في هذه الآية، فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب، وقال أبو ذر: نزلت فينا وفيهم، فكتب معاوية وكان أميراً على الشام إلى عثمان يشكوه، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن أقدم المدينة فقدم، فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك، فأخبر عثمان بذلك، فقال له: إن شئت تنحيت، فكنت قريباً منا، فنزل بالربذة

﴿يُنفِقُونَهَا﴾: أي الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي لا يؤدّون منها حقّه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٣٤: مؤلم ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾: تُحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ ٣٥: أي جزاءه ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾: المعتدّ بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا﴾: أي الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾: أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً

وقال: ولو أمّروا عليّ عبداً حبشياً لسمعت وأطعت. قوله: [أي الكنوز] أي المدلول عليها بقوله: ﴿يكنزون﴾ ودفع بذلك ما يقال: إن المتقدم شيئان، الذهب والفضة، فكان مقتضاه تثنية الضمير، فلم أفرد؟ فأجاب: بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق.

قوله: ﴿فبشرهم﴾ إنما سمي بشارة تهكماً بهم، وإشارة إلى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلفه. قوله: ﴿يوم يحمى عليها﴾ ظرف لقوله: ﴿بعذاب أليم﴾ و﴿يحمى﴾ يجوز أن يكون من حميته وأحميته ثلاثياً ورباعياً، يقال: حميت الحديدة وأحميتها، أوقدت عليها لتحمي، والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها، أي تتقد على تلك الكنوز، ﴿فتكوى بها جباههم﴾ الخ، فلما حذف الفاعل، ذهبت علامة التأنيث، ولذلك قرئ بالتاء من فوق، وأنيب الجار والمجرور منابه، ولتضمنه معنى الإنقياد عدي بعلى. قوله: ﴿جباههم﴾ المراد بها جهة الأمام بدليل المقابلة. قوله: [وتوسع جلودهم] أي حتى لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم، وذلك بعد جعلها صفائح من نار. قوله [أي جزاؤه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن الكنوز لا تذاق، وهذا عذابه في الآخرة، وورد أنه يصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلزمتيه أي شدقيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، فلا مانع من حصول الجميع له، أجارنا الله من أسباب ذلك.

قوله: ﴿إن عدة الشهور﴾ الخ المقصود من ذلك الرد على الجاهلية، حيث يزيدون في الأشهر، بحسب أهوائهم الفاسدة، فراراً من القتال في الأشهر الحرم، فإنهم كانوا يعظمون الأشهر الحرم، فلا يقاتلون فيها، فكانوا إذا اضطروا للقتال فيها، ادعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها، فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهراً أو أزيد بحسب ما تسوله عقولهم الفاسدة. قوله: ﴿عند الله﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور.

قوله: ﴿اثنا عشر شهراً﴾ وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم، كالصيام والحج وسائر أمورهم، وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوماً، والسنة الشمسية وتسمى القبطية، وهي عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع، فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية، إما عشرة أيام، أو أحد عشر يوماً، خمسة أيام نقص الشهور العربية، وخمسة أيام النسيء إن كانت السنة بسيطة، وستة أيام إن كانت كبيسة، فكل أربع سنين تأتي فيها سنة كبيسة. فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية، فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف. قوله: ﴿في كتاب الله﴾ صفة لاثنا عشر. قوله: [محرمة] أي معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات. قوله: [ذو القعدة] بفتح القاف وكسرها، والفتح أفصح عكس الحجة. قوله: [بالمعاصي] أي فظلم النفس يكون بمخالفة الله، لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار. قوله: [فإنها فيها أعظم وزرا] أي أشد إثماً منه في غيرها.

وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾: في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾٣٦: بالعون والنصر ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾: أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هل وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾: بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ﴾: أي النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا﴾: يوافقوا بتحليل شهر وتحريم

قوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ الآية. وقوله: ﴿كافة﴾ مصدر في موضع الحال من فاعل ﴿قاتلوا﴾ أو من ﴿المشركين﴾ ولا يثنى ولا تجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال. قوله: [بالعون والنصر] أي فمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ لأنها معية تصريف وتدبير، وذلك لا يختص بالإنسان، بل مع كل مخلوق حيواناً وجماداً.

قوله: ﴿إنما النسيء﴾ فعيل بمعنى مفعول، والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر، كما في المختار، وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء، وفي قراءة سبعية بإبدال الهمزة ياء، أو إدغام الياء فيها، وقرىء شذوذاً، بسكون السين وبفتح النون وبضم السين بوزن فعول. قوله: [كما كانت الجاهلية تفعله] أي لأن الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكانت معائشهم من الغزو، وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فإذا احتاجوا إلى القتال، أخروا التحريم إلى ربيع الأول، وهكذا، حتى استدار التحريم على السنة كلها، وكانوا يحجون في كل شهر عامين، فحجوا في ذي الحجة عامين، والمحرم كذلك، وهكذا باقي الشهور، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة ذا القعدة، ثم حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، فوافقت شهر الحج المشروع، وهو ذو الحجة، فوقف بعرفة في اليوم التاسع، وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى حيث قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ قلنا بلى، قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن دماءكم وأموالكم ـ قال محمد وأحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم بعضاً، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ثم قال: ألا هلا بلغت؟ مرتين. قوله: [إذا هل] بالبناء للفاعل وللمفعول، ويقال استهل وهل: إذا رفع الصوت عند ذكره، وبذلك سمي الهلال. قوله: [بضم الياء] أي مع فتح الضاد مبنياً للمفعول في السبعة، ومع كسر الضاد مبنياً للفاعل في العشرة. قوله: [وفتحها] أي مع كسر الضاد لا غير، وهي سبعية أيضاً، فتكون القراءات ثلاثاً: واحدة عشرية، واثنتان سبعيتان. قوله: [أي النسيء] المراد به هنا اسم المفعول أي المنسوء أي المؤخر، وهو تحريم بعض الشهور.

قوله: ﴿يحلونه عاماً﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن الجملة تفسيرية للضلال، الثاني: أنها حالية. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٣٧: قوله تعالى: ﴿إنما النسيء﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي مالك قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً فيجعلون المحرم صفراً فيستحلون فيه المحرمات، فأنزل الله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾.

آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾: عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَالِهِمْ﴾: فظنوه حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٣٧. ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾: بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن الجهاد

﴿ليواطئوا﴾ تنازعه كل من يحلونه ويحرمونه، فيجوز الثاني أو الأول. قوله: [إلى أعيانها] أي الأربعة التي اشتهر تحريمها، لأنهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا. قوله: ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ بالبناء للمفعول والمزين لهم الشيطان. قوله: ﴿لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي لا يوصلهم للسعادة. قوله: [ونزل لما دعا] الخ أي من هنا إلى قوله: ﴿إنما الصدقات﴾ فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من المنافقين وغيرهم. قوله: [إلى غزوة تبوك] بالصرف على إرادة البقعة، ومنعه للعلمية والتأنيث، وكانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف، وسبب توجهه لها أنه بلغ رسول الله ﷺ أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام، وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء، وكان ﷺ قليلاً ما يخرج في غزوة إلا ورّى عنها بغيرها، إلا ما كان من غزوة تبوك، وذلك لبعد المسافة لأنها على طرف الشام بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، فأمرهم بالجهاد، وبعث إلى مكة وقبائل العرب، وهي آخر غزواته ﷺ، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، فجهز عشرة آلاف، وأنفق عليها عشرة آلاف دينار، غير تسعمائة بعير ومائة فرس وما يتعلق بذلك، وجاء أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء ابن عوف بمائة أوقية، وجاء العباس بمال كثير، وكذا طلحة، وبعثت النساء بكل ما يقدرون عليه من حليهن، فلما تجهز رسول الله ﷺ بالناس، وهم ثلاثون ألفاً، وقيل أربعون ألفاً، وقيل سبعون ألفاً، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل علي بن أبي طالب، وتخلف عبد الله بن أبي ومن كان معه من المنافقين، فبعد أن خرج بهم إلى ثنية الوداع متوجهاً إلى تبوك، عقد الألوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى للزبير، وراية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر، ودفع لكل بطن من الأنصار، ومن قبائل العرب لواء وراية، ولما نزلوا تبوك، وجدوا عينها قليلة الماء، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة من مائها، فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها، ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم، وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة، وقيل عشرين ليلة، فأتاه يحنة - بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث - ابن رؤبة - بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة - صاحب أيلة، وأهدى له بغلة بيضاء، فكساه النبي رداء، وصالحه على إعطاء الجزية، بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتاباً تركه عندهم ليعملوا به، وقد استشار ﷺ أصحابه في مجاوزة تبوك، فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها، فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة، ولما دنا من المدينة، تلقاه المتخلفون، فقال لأصحابه: لا تكلموا رجلاً منهم، ولا تجالسوهم، حتى آذن لكم، فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه. قوله: [وكانوا في عسرة] أي قحط وضيق عيش، حتى أن الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة. قوله: [وشدة حر] أي حتى كانوا يشربون الفرث. قوله: [فشق عليهم] أي فتخلف عنهم عشرة قبائل، ويقال لها غزوة العسرة الفاضحة، لأنها أظهرت حال المنافقين.

قوله: ﴿ما لكم﴾ ما مبتدأ، و﴿لكم﴾ خبره، و﴿اثاقلتم﴾ حال، و﴿إذا﴾ ظرف لتلك الحال مقدم عليها، والتقدير

---

* أسباب نزول الآية ٣٨: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذ قيل لكم﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، فأنزل الله ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ولذاتها ﴿مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي﴾: جنب متاع ﴿ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٣٨: حقير ﴿إِلَّا﴾: بإدغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين ﴿تنفروا﴾: تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾: أي الله أو النبي ﷺ ﴿شَيْئًا﴾: بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٣٩: ومنه نصر دينه ونبيه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾: أي النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾: حين ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من مكة أي ألجؤه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾: حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾: بدل من إذ قبله ﴿هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾: نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾: بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: بنصره ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾: قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾: أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ

أي شيء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا الخ. قوله: [بإدغام التاء الخ] أي فالأصل تثاقلتم، أبدلت التاء ثاء وأدغمت فيها، وأتي بهمزة الوصل توصلاً للنطق بالساكن. قوله: [وملتم] قدره إشارة إلى أنه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بإلى.

قوله: ﴿أرضيتم﴾ الاستفهام للتوبيخ والتعجب. قوله: [حقير] أي لأن لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالمكدرات والآفات سريعة الزوال، بخلاف لذات الآخرة فهي شريفة منزهة عن الأقذار والأكدار، باقية لا منتهى لها. قوله: [بإدغام لا في نون إن] العبارة فيها قلب، والأصل بإدغام إن في لام لا. قوله: [في الموضعين] أي هذا وقوله ﴿إلا تنصروه﴾. قوله: ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ قيل المراد في الآخرة، وقيل المراد في الدنيا باحتباس المطر، لما روي أنه سئل ابن عباس عن هذ الآية فقال: استنفر رسول الله ﷺ حياً من أحياء العرب فتثاقلوا، فأمسك الله عنهم المطر، فكان ذلك عذابهم. قوله: ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ قيل المراد بهم أبناء فارس، وقيل أهل اليمن. قوله: [ومنه نصر دينه] أي ولو من غير واسطة.

قوله: ﴿إلا تنصروه﴾ شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله، وأما قوله ﴿فقد نصره الله﴾ فتعليل للجواب، ولا يصلح أن يكون جواباً لأنه ماض، وقوله ﴿إذ أخرجه﴾ ظرف لقوله ﴿نصره﴾ وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة. قوله: [بدار الندوة] تقدم إيضاح ذلك في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الخ. قوله: [حال] أي من الهاء في ﴿أخرجه﴾ والتقدير: إذ أخرجه الذين كفروا، حال كونه منفرداً عن جميع الناس إلا أبا بكر. قوله: [بدل من إذ قبله] أي بدل بعض من كل، لأن الإخراج زمنه ممتد، فيصدق على زمن استقرارهما في الغار، وإلا فزمن الإخراج مباين لزمن حصولهما في الغار، لأن بين الغار ومكة مسيرة ساعة.

قوله: ﴿لا تحزن﴾ أي لا تهتم، وكان حزن الصديق على رسول الله لا على نفسه، ورد أنه قال له: إذا مت فأنا رجل واحد، وإذا مت أنت؛ هلكت الأمة والدين. قوله: ﴿إن الله معنا﴾ أي معية معنوية خاصة. قوله: [قيل على النبي]

---

* أسباب نزول الآية ٣٩: قوله تعالى: ﴿إلا تنفروا﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن نجدة بن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ فأمسك عنهم المطر، فكان عذابهم.

﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَى﴾: المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾: الظاهرة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾[٤٠]: في صنعه ﴿ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: نشاطاً وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ليس على الضعفاء ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤١]: أنه خير لكم فلا تثاقلوا ونزل في المنافقين الذين تخلفوا ﴿لَوْ كَانَ﴾: ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾: متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾: سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وسطاً ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾: طلباً للغنيمة ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾: إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾: الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: بالحلف الكاذب ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤٢]: في قولهم ذلك وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: في

أي فيكون المراد زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر، وإلا فرسول الله لم يسبق له انزعاج، لمزيد ثقته بربه. قوله: [وقيل على أبي بكر] أي لأنه هو المنزعج. قوله: [ملائكة في الغار] أي يحرسونه من أعدائه. قوله: [ومواطن قتاله] الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان. قوله: [أي دعوة الشرك] أي دعوة أهل الشرك الناس إليه، أو المراد عقيدة أهل الشرك.

قوله: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ القراء السبعة على الرفع مبتدأ، وهي إما ضمير فصل، أو مبتدأ ثان، والعليا إما خبر عن كلمة، أو عن الضمير، والجملة خبر كلمة وقرئ شذوذاً بالنصب، معطوفاً على مفعول ﴿جعل﴾.

قوله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ ذكر المفسر في معنى ذلك ثلاثة أقوال، وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون، فقيل الخفيف الذي لا ضيعة له، والثقيل الذي له الضيعة، وقيل الخفيف الشاب، والثقيل الشيخ، وقيل غير ذلك، فالمقصود تعميم الأحوال، أي انفروا على أي حال كنتم عليه، وهذا الحكم باق، إذا تعين الجهاد بأن فجأ العدو، وأما في حال كونه فرض كفاية، فليس حكم العموم باقياً، بل منسوخ إما بآية ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ أو بآية ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ الخ. قوله: [نشاطاً] بكسر النون جمع نشيط، ككرام وكريم. قوله: [وهي منسوخة] أي على القولين الأخيرين، لا على الأول فهي محكمة. قوله: [أنه خير] مفعول ﴿تعلمون﴾. قوله: [فلا تثاقلوا] جواب الشرط. قوله: [في المنافقين] أي كعبد الله بن أبي وأضرابه. قوله: [متاعاً من الدنيا] سمي عرضاً لسرعة زواله كالعرض. قوله: [المسافة] أي التي تقطع بالمشقة، فهي مشتقة من المشقة.

قوله: ﴿وسيحلفون﴾ هذا إخبار من الله بالغيب، فإن هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك. قوله: ﴿لخرجنا معكم﴾ هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط. قوله: ﴿يهلكون أنفسهم﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿وسيحلفون﴾ المعنى يزدادون بها هلاكاً لأنهم هالكون بالكفر، ويزيدون هلاكاً باليمين الكاذبة، كما في الحديث «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع». قوله: [لجماعة] أي من المنافقين. قوله: [باجتهاد منه] هذا أحد قولين، والآخر أنه لا يجتهد. والحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى، أو لا يجوز؟ والصحيح الأول، ولكنه في اجتهاده دائماً مصيب، وعتاب الله له إنما هو على فعل أمر مباح له، فهو من باب حسنات الأبرار، سيئات المقربين، لا على وزر فعله، فاعتقاد ذلك كفر.

---

* أسباب نزول الآية ٤١: قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر أن أناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً، فيقول إني آثم، فأنزل الله ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾.
* أسباب نزول الآية ٤٣: قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: اثنتان فعليهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.

التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾: في العذر ﴿وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ٤٣: فيه ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: في التخلف عن ﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٤ ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾: في التخلف ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ﴾: شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: في الدين ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ ٤٥: يتحيرون ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾: معك ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾: أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾: أي لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾: لهم ﴿ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ ٤٦: المرضى والنساء والصبيان أي قدر الله تعالى ذلك ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾: أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يطلبون لكم ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: بإلقاء العداوة

قوله: ﴿عفا الله عنك﴾ أي عن هذا الأمر الذي فعلته. قوله: ﴿لم أذنت لهم﴾ اللام الأولى للتعليل، والثانية للتبليغ، وكلاهما متعلق بأذنت، فلم يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، والمعنى لأي شيء أذنت لهم في التخلف عن الجهاد. قوله: [وهلا تركتهم] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿حتى يتبين﴾ غاية ذلك المحذوف. قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون﴾ أي لا يليق منهم، وليس من عادتهم الاستئذان في الواجب عليهم، بل الخالص في الإيمان، يبادر إليه من غير توقف، فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان، كان دليلاً على نفاقهم. قوله: [في التخلف] أي من غير عذر. قوله: ﴿وارتابت قلوبهم﴾ إنما أسند الريب للقلب؛ لأنه محله، كما أنه محل الإيمان والمعرفة.

قوله: ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ على عدم خروج المنافقين معه، إذ لا فائدة فيه ولا مصلحة، وعتاب الله على الاذن لهم في التخلف إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتهم، كأن الله يقول لنبيه: كان الأولى لك عدم الإذن لهم في التخلف ليظهر حالهم، فإن القرائن دالة على أنهم لا يريدون الخروج لعدم التأهب له.

قوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ استدراك على قوله: ﴿ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة﴾ لأنه في معنى النفي، فهو استدراك على ما يتوهم ثبوته، وهو محبة الله منهم الخروج، والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا، ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم؛ لما فيه من المفاسد، فلم يعدوا له عدة، وهذا أحسن ما يقال. قوله: [أي قدر الله تعالى ذلك] جواب عما يقال: حيث أمرهم الله بالقعود كان قعودهم محموداً لا مذموماً، فأجاب بأنه ليس المراد بالقول حقيقته، بل المراد به الإرادة والتقدير. وأجيب أيضاً بأن القائل الشيخان وهو يأمر بالفحشاء والمنكر، وأجيب أيضاً: بأن القائل الله حقيقة والقول على حقيقته، وهو أمر تهديد على حد: اعملوا ما شئتم.

قوله: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ هذا بيان للمفاسد التي تترتب على خروجهم. إن قلت: إن مقتضى العتاب المتقدم أن خروجهم فيه مصلحة، ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة، وعتاب الله لنبيه، إنما هو على عدم التأني، حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم، وليس في خروجهم مصلحة أصلاً، كما علمت. قوله: ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي ما أحدثوا فيكم إلا خبالاً، وليس المراد أن الخبال كان حاصلاً من قبل، وإنما حصل منهم زيادته. قوله: ﴿إلا خبالاً﴾ يصح أن يكون استثناء منقطعاً، والمعنى ما زادوكم قوة ولكن خبالاً أو متصلاً من عموم الأحوال، والمعنى ما زادوكم شيئاً أصلاً إلا خبالاً.

قوله: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ الإيضاع في الأصل سرعة سير البعير، ثم استعير الإيضاع لسرعة الافساد، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه سرعة الافساد بسرعة سير الركائب، ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا، وفي الخلال

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾: ما يقولون سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٤٧ لَقَدِ ابْتَغَوُا﴾: لك ﴿الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾: أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾: النصر ﴿وَظَهَرَ﴾: عز ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ ٤٨﴾: له فدخلوا فيه ظاهراً ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾: في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾: وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلاد بني الأصفر» فقال: إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: بالتخلف وقرئ سقط ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٤٩﴾: لا محيص لهم عنها ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾: كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾: بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ٥٠﴾: بما أصابك ﴿قُل﴾: لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾: إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾:

استعارة مكنية، حيث شبه الخلال بركائب تسرع في السير، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فإثباته تخييل.

قوله: ﴿يبغونكم الفتنة﴾ حال من فاعل أوضعوا، والتقدير طالبين لكم الفتنة. قوله: ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يتسمعون لهم الأخبار منكم، ويحتمل أن يكون الضمير في فيكم عائداً على المؤمنين، والمعنى أن في المؤمنين ضعفاء قلوب، يصغون إلى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد لظنهم صحة إيمانهم. قوله: ﴿من قبل﴾ أي قبل هذه الغزوة، كالواقع من المنافقين في أحد وفي الأحزاب. قوله: ﴿حتى جاء الحق﴾ أي استمروا على تقليب الأمور حتى الخ. قوله: [وهو الجد بن قيس] وهو منافق عنيد، حتى انه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة في بيعة الرضوان، واختفى تحت بطن ناقته. قوله: [في جلاد بني الأصفر] أي ضربهم بالسيوف، وفي نسخة جهاد، وهي ظاهرة، وبنو الأصفر هم ملوك الروم، أولاد الأصفر ابن روم بن عيص بن إسحاق. قوله: [وقرىء سقط] أي بالإفراد مراعاة للفظ من، والضمير عائد على الجد بن قيس، وهي شاذة كما هي قاعدته.

قوله: ﴿إن تصبك حسنة﴾ أي في بعض الغزوات. قوله: ﴿وإن تصبك مصيبة﴾ أي في بعضها، وقابل الحسنة بالمصيبة إشارة إلى أن الثواب مترتب على كل منهما، وإنما قابلها بالسيئة في آل عمران لأنها خطاب للمؤمنين، وفيهم من يراها سيئة. قوله: ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي أدركنا ما أهمنا من الأمور، وهو موالاة الكفار، واعتزال المسلمين، وغير ذلك من أنواع النفاق. قوله: ﴿وهم فرحون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يتولوا﴾. قوله: ﴿قل لن يصيبنا﴾ أي رداً لقولهم ﴿قد أخذنا أمرنا من قبل﴾. قوله: ﴿الحسنيين﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر

---

* أسباب نزول الآية ٤٩: قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ الآية. أخرج الطبراني وأبو نعيم وابن مردويه عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجد بن قيس: يا جد بن قيس ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، فقال: يا رسول الله إني امرؤ صاحب نساء ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن فأذن لي ولا تفتني، فأنزل الله ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله مثله، وأخرج الطبراني من وجه آخر عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾.
* أسباب نزول الآية ٥٠: قوله تعالى: ﴿إن تصبك حسنة﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم﴾ الآية.

ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥١ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾: فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾: العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾: ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾: بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ٥٢: عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾: في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾: ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ ٥٣: والأمر هنا بمعنى الخبر ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾: بالياء والتاء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾: فاعل وأن تقبل مفعول ﴿كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ ٥٤: النفقة لأنهم يعدونها مغرماً ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾: أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾: أي أن يعذبهم ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ٥٥: فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: أي مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ ٥٦: يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾: يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾:

قوله: [العاقبتين] قوله: ﴿ونحن نتربص بكم﴾ أي العاقبتين السيئتين. قوله: [بقارعة] أي صاعقة. قوله: ﴿فتربصوا﴾ الخ، أي فإنا منتظرون ما يسرنا وأنتم منتظرون ما يسوؤكم.

قوله: ﴿قل انفقوا طوعاً أو كرها﴾ الخ نزلت في الجد بن قيس حيث قال للنبي ﷺ: ائذن لي في القعود، وأنا أعطيك مالي، والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين في الانفاق والصلاة لا يفيدكم شيئاً. قوله: ﴿طوعاً﴾ أي من غير إلزام. وقوله: ﴿أو كرها﴾ أي بإلزام. قوله: ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ أي ولم تزالوا كذلك، فالمراد فاسقون فيما مضى وفي المستقبل. قوله: [والأمر هنا بمعنى الخبر] أي فالمعنى نفقتكم طوعاً أو كرهاً غير مقبولة. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿إلا أنهم كفروا﴾ استثناء من عموم الأشياء، كأنه قيل: ما منعهم قبول نفقتهم لشيء من الأشياء إلا لثلاثة أمور: كفرهم بالله ورسوله، وإتيانهم الصلاة في حال كسلهم، وإنفاقهم مع الكراهة. قوله: [لأنهم يعدونها مغرماً] أي لأنهم لا يرجون عليها ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. قوله: [فهي استدراج] أي ظاهرها نعمة، وباطنها نقمة. قوله: [بما يلقون في جمعها من المشقة] جواب عما يقال: إن المال والولد سرور في الدنيا، فأجاب بأن المراد بكونهما عذاباً باعتبار ما يترتب عليهما من المشقة. إن قلت: إن هذا ليس مختصاً بالمنافق، بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار. أجيب: بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات، فكأنها ليست مشقة، والمنافق ليس كذلك، فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿أنفسهم﴾ أي أرواحهم. قوله: ﴿يفرقون﴾ الفرق بالتحريك الخوف.

قوله: ﴿لو يجدون ملجأ﴾ الخ، أي لو قدروا على الهروب منكم، ولو في شر الأمكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم، والمعنى أنهم وإن كانوا يحلفون لكم أنهم منكم، فهم كاذبون في ذلك، لأنهم لو وجدوا مكاناً يلجؤون إليه، من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات، وهي الأماكن المنخفضة في الأرض أو في الجبل أو سراديب، أي

---

* أسباب نزول الآية ٥٣: قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت ﴿أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم﴾ قال: لقوله: أعينك بمالي.

سراديب ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضعاً يدخلونه ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾٥٧: يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يعيبك ﴿فِي﴾: قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾٥٨ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾: من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾٥٩: أن يغنينا وجواب لو لكان خيراً لهم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾: الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾: أي الصدقات من جاب وقاسم

أماكن ضيقة لفروا إليها. قوله: ﴿وهم يجمحون﴾ في المصباح جمح الفرس براكبه يجمح: استعصى حتى غلبه اهـ، ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه.

قوله: ﴿ومنهم من يلمزك﴾ هذا بيان لحال بعض المنافقين. قوله: ﴿يلمزك﴾ من باب ضرب واللمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص، فهو أخص من الغمز إذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقاً، والمراد هنا الإعابة بالقول. قيل: نزلت في أبي الجواظ المنافق، بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء، ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام، حيث قال: ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم، ويزعم أنه يعدل. وقيل: نزلت في ذي الخويصرة التميمي، وقيل اسمه حرقوص بن زهير، وهو أصل الخوارج. قوله: ﴿في الصدقات﴾ المراد بها قيل الزكاة، وقيل الغنائم، وقيل ما هو أعم، وهو الأولى بدليل ما يأتي للمفسر. قوله: ﴿فإن اعطوا منها﴾ أي ما يريدون. قوله: ﴿إذا هم يسخطون﴾ إذا فجائية قامت مقام الفاء، والأصل فهم. قوله: ﴿ما آتاهم الله ورسوله﴾ نسبة الإعطاء لله حقيقة، وللرسول مجازية، وفيه إشارة إلى أن ما فعله الرسول إنما هو على طبق ما أمر الله به.

قوله: ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي [كافينا]. قوله: [أن يغنينا] أي في أنه يغنينا، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة بيغنينا، ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف، والاعتماد على الله تعالى، وتفويض الأمور إليه، فإن الأرزاق بيده تعالى متكفل بها، لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه.

قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ رد على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولأهل بيته، فبين في هذه الآية المستحق لها الأصناف الثمانية، ورسول الله وأهل بيته محرمة عليهم تشريفاً لهم وتطهيراً، والآية من قصر الموصوف على الصفة، أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بتصرفها لهؤلاء الثمانية. قوله: [مصروفة] قدره ليتعلق به الجار والمجرور. قوله: [الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم] صادق بأن لا يجدون شيئاً أصلاً، أو لا يجدون شيئاً لا يقع الموقع من كفايتهم.

قوله: ﴿والمساكين﴾ [الذين لا يجدون ما يكفيهم] صادق بأن لا يجدوا شيئاً أصلاً، أو يجدوا شيئاً لا يقع الموقع أو يقع، ولكن لا يكفيهم، فالفقير على هذا أسوأ حالاً من المسكين، وهذا مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك بالعكس، فالمسكين من لا يملك شيئاً أصلاً، والفقير من عنده شيء لا يكفيه، والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة، وعند الشافعي كفاية العمر الغالب، وهو ستون سنة. قوله: [من جاب الخ] أي وهو الذي يجمع الزكوات من أربابها،

---

* أسباب نزول الآية ٥٨: قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك﴾ الآية، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ذو الخويصرة، فقال اعدل، فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن جابر نحوه.

وكاتب وحاشر ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾: فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: أي المكاتبين ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾: نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾: في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً ﴿وَمِنْهُمُ﴾: أي المنافقين

والقاسم الذي يقسمها على المستحقين، والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال، والعاشر الذي يجمع أرباب الأموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة. قوله: [ليسلموا] أي يرجى بإعطائهم إسلامهم. قوله: [أو يثبت إسلامهم] أي فهم حديثو عهد بالإسلام، فنعطيهم ليتمكن الإسلام من قلوبهم. قوله: [أو يسلم نظراؤهم] أي فهم كبار قبيلة أسلموا، فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار. قوله: [أو يذبوا عن المسلمين] أي يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين، والحال أنهم مسلمون. قوله: [والأول والأخير] أي الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين. قوله: [لا يعطيان] هذا ضعيف عندهم، والمعتمد عندهم إعطاء الأول. قوله: [بخلاف الآخرين] أي الثاني والثالث، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك المؤلفة قلوبهم، إما كفار يعطون ليسلموا، أو مسلمون يعطون ليثبت إسلامهم.

قوله: ﴿وفي الرقاب﴾ إنما أضيفت الصدقات إلى الأصناف الأربعة الأول باللام، وإلى الأربعة الأخيرة بفي، إشارة إلى أن الأربعة الأول يملكونها ويتصرفون فيها كيف شاؤوا، بخلاف الأربعة الأخيرة فيقيد بما إذا صرفت في مصارفها، فإذا لم يحصل نزعت منهم. قوله: [أي المكاتبين] أي ليستعينوا بها على فك رقابهم، وهذا التفسير على مذهب الإمام الشافعي، وعند مالك وأحمد: أن معناه يشترى بها رقيق كامل الرق، ويعتق وولاؤه للمسلمين، وعند أبي حنيفة: يشترى بها بعض رقبة، ويعان بها مكاتب، لأن قوله: ﴿في الرقاب﴾ يقتضي التبعيض. قوله: [لغير معصيه] أي بأن استدانوا للمباح، ولو صرفوه في معصية، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك: إذا صرفوه في معصية، لا يعطون منها إلا إذا تابوا. قوله: [أو تابوا] أي ظهرت توبتهم، لا بمجرد قولهم تبنا مثلاً. قوله: [أو لإصلاح ذات البين] أي كأن خيف فتنة بين قبيلتين تنازعتا في قتيل لم يظهر قاتله، فتحملوا الدية تسكيناً للفتنة. قوله: [أي القائمين بالجهاد] الخ، أي ويشتري منها آلته من سلاح ودرع وفرس، ومذهب مالك أن طلبة العلم المنهمكين فيه لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياء، إذا انقطع حقهم من بيت المال، لأنهم مجاهدون.

قوله: ﴿وابن السبيل﴾ الإضافة لأدنى ملابسة، أي الملازم للطريق. قوله: [المنقطع في سفره] أي إنه كان سفره في غير معصية، وإلا فلا يعطى، ولو خيف عليه الموت ما لم يتب، ويعطى بشرط أن لا يجد مسلفاً، وهو مليء ببلده. قوله: [فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء] أخذ ذلك من الحصر وهو محل وفاق. قوله: [ولا يمنع صنف منهم] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم تعميم الأصناف، واللام في (للفقراء) الخ لبيان المصرف لا للاستحقاق. قوله: [فيقسمها الإمام عليهم على السواء] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: لا يلزم ذلك، بل يندب إيثار المضطر. قوله: [لعسره] علة لعدم وجوب الاستغراق. قوله: [الإسلام] هذا في غير المؤلفة قلوبهم. قوله: [وأن لا يكون هاشمياً ولا

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾: بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾: إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾: أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾: يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: بالرفع عطفاً على أذن والجر عطفاً على خير ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾: أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: بالطاعة ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ٦٢﴾: حقاً وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله ورسوله

مطلباً] هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الذين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط، وهذا إن كان حقهم من بيت المال جارياً، وإلا فهم أولى من غيرهم، فإعطاؤهم أسهل من تعاطيهم خدمة الذمي والفاجر.

قوله: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ سبب نزولها: أن جماعة من المنافقين تكلموا في حقه ﷺ بما لا يليق، فقال بعضهم لبعض: كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك، فيقع لنا منه الضرر، فقال الجلاس، بضم الجيم وفتح اللام المخففة، ابن سويد: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول، فإنما محمد أذن. قوله: [أي يسمع كل قيل] أي من غير أن يتأمل فيه، ويميز باطنه من ظاهره، فقصدوا بذلك وصفه ﷺ بالغفلة لأنه كان لا يقابلهم بسوء أبداً، ويتحمل أذاهم ويصفح عنهم، فحملوه على عدم التنبه والغفلة، وإنما كان يفعل ذلك رفقاً بهم، وتغافلاً عن عيوبهم، وفي تسميته أذناً مجاز مرسل، من إطلاق الجزء على الكل للمبالغة في استماعه، حتى صار كأنه هو آلة السماع، كما يسمى الجاسوس عيناً.

قوله: ﴿قل أذن خير لكم﴾ أي يسمع الخير، ولا يسمع الشر. قوله: ﴿يؤمن بالله﴾ الخ، هذا إيضاح لكونه أذن خير. قوله: [واللام زائدة] جواب عما يقال: لم زيدت اللام مع أن الإيمان يتعدى بالباء. فأجاب: بأنها زيدت للفرق بين إيمان التسليم وهو قوله: ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾، أي يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما يقولونه، وبين إيمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله: ﴿ويؤمن بالله﴾، أي يصدق بالله ويوحده. قوله: ﴿ورحمة للذين آمنوا﴾ أي أظهروا الإيمان منكم، وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم، وعدم كشف أسرارهم، لا بمعنى التصديق لهم، فإن رحمته في الدنيا عامة للبر والفاجر، وفي الآخرة مختصة بالبر دون الفاجر، إذ هي تابعة لرحمة الله تعالى وإحسانه.

قوله: ﴿يحلفون بالله لكم﴾ أي يحلف المنافقون للمؤمنين، أنه ما وقع منهم الإيذاء للنبي، وقصدهم بذلك إرضاء للمؤمنين ليذبوا عنهم، إذا أراد رسول الله أن يفتك بهم، وسبب نزولها: أنه اجتمع ناس من المنافقين، منهم الجلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، فوقعوا في رسول الله قالوا: إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الحمير، وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس، ثم أتى النبي ﷺ وأخبره، فدعاهم وسألهم، فأنكروا وحلفوا أن عامراً كذاب، وحلف عامر أنهم كذبوا، فصدقهم النبي ﷺ، فجعل عامر يدعو ويقول: اللهم صدق الصادق، وكذب الكاذب. قوله: [ما أتوه] أي ما فعلوه، وفي نسخة آذوه. قوله: ﴿ليرضوكم﴾ علة لقوله: ﴿يحلفون﴾. قوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ الجملة حالية من ضمير يحلفون، والمعنى يحلفون لكم لإرضائكم، والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء.

قوله: ﴿إن كانوا مؤمنين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فليرضوا الله ورسوله. قوله: [وتوحيد

---

* أسباب نزول الآية ٦١: قوله تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه وينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ الآية.

محذوف ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا﴾: بـ﴿أَنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾: يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ٦٣ ﴿يَحْذَرُ﴾: يخاف ﴿ٱلْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾: من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾: مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ٦٤: إخراجه من نفاقكم ﴿وَلَئِن﴾: لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾: عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك

الضمير] الخ أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية حاصله أن لفظ الجلالة مبتدأ، و﴿رسوله﴾ مبتدأ ثان معطوف عليه، وجملة ﴿أحق أن يرضوه﴾ خبر، والضمير مفرد، وما قبله مثنى فلم أفرد الضمير؟ فأجاب المفسر: بأنه أفرده، لأن الرضاءين واحد لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له، فالكلام جملة واحدة، أو الجملة خبر عن رسوله، وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة ما بعده عليه، أو خبر عن لفظ الجلالة، وخبر رسوله محذوف لدلالة ما قبله عليه، ففيه: إما الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه، أو بالعكس.

قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿من يحادد الله﴾ من: شرطية مبتدأ، وقوله: ﴿فإن﴾ الخ خبر لمحذوف أي فحق أن له الخ، والجملة جواب الشرط، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر ﴿من﴾، ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر أن الأولى، وجملة إن الأولى من اسمها وخبرها، سدت مسد مفعولي يعلم. قوله: [جزاء] تمييز. قوله: ﴿خالداً فيها﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿أن تنزل عليهم﴾ أي المؤمنين، وقوله: ﴿تنبئهم﴾ أي تخبر المؤمنين، وقوله: ﴿بما في قلوبهم﴾ أي المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين.

قوله: ﴿قل استهزئوا﴾ الخ نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها، وتنكروا عليه في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم؛ وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله، وسراقة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق، فلما نزل قال لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً؟ فقال: لم أعرف منهم أحداً يا رسول الله، فقال رسول الله: إنهم فلان وفلان، حتى عدهم كلهم، فقال حذيفة: هلا بعثت إليهم من يقتلهم؟ فقال: أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفينا الله بالدبيلة، وهي خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم. قوله: [وهم سائرون معك] أي فكانوا يقولون: هيهات هيهات، يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها، فأطلع الله نبيه على ما قالوه، فقال لهم: هل قلتم كذا وكذا؟

---

* أسباب نزول الآية ٦٥: قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم﴾ الآيات، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء، ولا أرغب بطوناً، ولا أكذب السنة، ولا أجبن عند اللقاء منهم، فقال له رجل: كذبت، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر فأنا رأيته متعلقاً بحقب رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾. ثم أخرج من وجه آخر عن ابن عمر نحوه، وسمى الرجل عبد الله بن أبي، وأخرج عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن فبلغ النبي ﷺ فجاءوا يعتذرون، فأنزل الله ﴿لا تعتذروا﴾ الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله إلا من قتله، وأخرج ابن جرير عن قتادة: أن ناساً من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت.

﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا﴾: عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن يُعْفَ﴾: بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: بإخلاصها وتوبتها كجحش بن حمير ﴿تُعَذَّبْ﴾: بالتاء والنون ﴿طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٦٦﴾: مصرين على النفاق والاستهزاء ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾: أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: جزاءً وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾: دائم أنتم أيها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾: تمتعوا ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾: نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾: أيها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾: في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾: أي كخوضهم

فقالوا: لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بنا السفر.

قوله: ﴿أبالله﴾ أي بفرائضه وحقوقه. قوله: ﴿وآياته﴾ أي كلماته القرآنية. قوله: ﴿رسوله﴾ أي محمد ﷺ. قوله: [عنه] أي الاستهزاء. قوله: [مبنياً للمفعول] الخ، أي ونائب الفاعل عن طائفة، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: [كمخشي بن حمير] وفي بعض النسخ كجحش بن حمير، أسلم وحسن إسلامه، كان يضحك ولا يخوض، وكان ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال: اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود، وتخفق منها القلوب، اللهم اجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، فأصيب يوم اليمامة، فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه. قوله: ﴿المنافقون﴾ أي وكانوا ثلثمائة. قوله: ﴿والمنافقات﴾ أي وكن مائة وسبعين. قوله: [أي متشابهون في الدين] أي الذي هو النفاق فهم على أمر واحد مجتمعون عليه.

قوله: ﴿ويقبضون أيديهم﴾ كناية عن عدم الانفاق، لأن شأن المعطي بسط اليد، وشأن الممسك قبضها. قوله: [تركوا] ﴿الله﴾ جواب عما يقال: إن النسيان لا يؤاخذ به الإنسان. فأجاب: بأن المراد به الترك. قوله: ﴿تركهم﴾ جواب عما يقال: إن النسيان مستحيل على الله تعالى. فأجاب: بأن المراد به الترك. قوله: ﴿هم الفاسقون﴾ أي الكاملون في التمرد والفسق والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقريع.

قوله: ﴿وعد الله المنافقين﴾ يستعمل وعد في الخير والشر، وإنما يفترقان في المصدر، فمصدر الأول وعد، والثاني وعيد. قوله: ﴿والكفار﴾ أي المتجاهرين بالكفر، فهو عطف مغاير. قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ أي غير النار كالزمهرير، أو المراد عذاب في الدنيا. قوله: ﴿كالذين من قبلكم﴾ الجار المجرور خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله أنتم، وهذا خطاب للمنافقين، ففيه التفات من الغيبة للخطاب، والمثلية في الأوصاف المتقدمة، وهي الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، وقبض اليد، ونسيان حقوق الله الآتية بقوله: ﴿فاستمتعوا﴾ الخ. قوله: ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ أي بحظوظهم الفانية، والتشاغل بها عما يرضي الله تعالى. قوله: [أي كخوضهم] مشى المفسر على أن الذي حرف مصدري، وهي طريقة ضعيفة لبعض النحاة، وعليه فيقدر في الكلام

﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٦٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ : خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ : قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ : قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ : قوم شعيب ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ : قرى قوم لوط أي أهلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ : بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٧٠ : بارتكاب الذنب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ ٧١ : لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ : لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ : إقامة

مفعول مطلق، ليكون مشبهاً بالمصدر المأخوذ من الذي، والتقدير وخضتم خوضاً كخوضهم، والصحيح أن الذي اسم موصول صفة لموصوف محذوف، والعائد محذوف تقديره كالخوض الذي خاضوه.

قوله: ﴿ألم يأتهم﴾ أي المنافقين والاستفهام للتقرير. قوله: ﴿قوم نوح﴾ الخ أي وقد أهلكوا بالطوفان، ﴿وعاد﴾ أهلكوا بالريح العقيم، ﴿وثمود﴾ أهلكوا بالرجفة، ﴿وقوم إبراهيم﴾ أهلكوا بسلب النعمة عنهم وبالبعوض، ﴿وأصحاب مدين﴾ أهلكوا بالظلة. قوله: ﴿والمؤتفكات﴾ أي المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها. قوله: ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله: [فكذبوهم فأهلكوا]. قوله: [بأن يعذبهم بغير ذنب] تفسير للظلم المنفي أي الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب، بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلماً لأن الظلم هو التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، ولكن تفضل الله بأنه لا يعذب بغير ذنب، ولا يجوز عليه شرعاً أن يعذب في الآخرة عبداً بغير ذنب وإن جاز عقلاً.

قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات﴾ الخ لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلاً وآجلاً، ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلاً وآجلاً. قوله: ﴿أولياء بعض﴾ أي في الدين، وعبر عنهم بذلك دون المنافقين، فعبر في شأنهم بمن، إشارة إلى أن نسبة المؤمنين في الدين كنسبة القرابة، وأما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية، فهم جنس واحد. قوله: ﴿يأمرون بالمعروف﴾ أي يحبونه لأنفسهم ولإخوانهم، والمعروف كل ما عرف في الشرع وهو كل خير. قوله: ﴿وينهون عن المنكر﴾ أي ينفرون منه ولا يرضون به، والمراد بالمنكر كل ما خالف الشرع. قوله: ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾ أي باللسان والجنان وسائر الأعضاء. قوله: ﴿سيرحمهم الله﴾ أي في الدنيا بالإيمان والمعرفة، وفي الآخرة بالخلود في الجنة ونعيمها، ورضا الله عنهم، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة. قوله: [عن إنجاز وعده] أي للمؤمنين والمؤمنات. قوله: [ووعيده] أي للمنافقين والمنافقات، فهو لف ونشر مشوش.

قوله: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ هذا تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿أولئك سيرحمهم الله﴾. قوله: ﴿جنات﴾ أي بساتين، لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لأحد. قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي بأرضها. قوله: ﴿خالدين فيها﴾ حال من المؤمنين والمؤمنات. قوله: ﴿ومساكن طيبة﴾ أي تستطيبها النفوس وتألفها فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿في جنات عدن﴾ أي في بساتين إقامة، لا تحول ولا تزول، روي أنه سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ قال: قصر من لؤلؤة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً، على كل سرير سبعون فراشاً

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٧٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٧٣﴾: المرجع هي ﴿يَحْلِفُونَ﴾: أي المنافقون ﴿بِٱللَّهِ مَا قَالُوا﴾: مما بلغك عنهم من السب ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾: أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾: من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند

من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، وفي رواية: في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام.

قوله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ التنوين للتقليل، أي أقل رضوان يأتيهم من الله، أكبر من ذلك كله، فضلاً عن أكثره، ورد أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً. قوله: ﴿ذلك﴾ أي الرضوان. قوله: ﴿هو الفوز العظيم﴾ أي الظفر بالمقصود الذي لا يضاهى. قوله: [بالسيف] المراد به جميع آلات الحرب. قوله: [باللسان والحجة] أي لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بذل الجهد في نصيحتهم وتخويفهم. قوله: [بالانتهار والمقت] المراد به القتل بالنسبة للكفار، والإهانة والزجر بالنسبة للمنافقين. قوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم.

قوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ هذا بيان لقبحهم وخيانة باطنهم. قوله: ﴿كلمة الكفر﴾ قيل هي كلمة الجلاس بن سويد حيث قال: إن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير، وقيل: هي كلمة ابن أبي بن سلول حيث قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قوله: [أظهروا الكفر] الخ، دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلاً. فأجاب: بأن المراد أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الإسلام. قوله: [من الفتك] مثلث الفاء الأخذ على حين غفلة. قوله: [ليلة العقبة] أي التي بين تبوك والمدينة.

• أسباب نزول الآية ٧٤: قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فرفع عمير بن سعيد ذلك إلى رسول الله ﷺ، فحلف بالله ما قلت، فأنزل الله ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية، فزعموا أنه تاب وحسنت توبته، ثم أخرجك عن كعب بن مالك نحوه، وأخرج ابن سعد في الطبقات نحوه عن عروة وأخرج ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: سمع زيد بن أرقم رجلا من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب: أن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحد القائل، فأنزل الله ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظل شجرة، فقال انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فطلع رجل ازرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية، وأخرج عن قتادة قال: أن رجلين اقتتلا: أحدهما من جهينة والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني، فقال عبد الله بن أبي للأوس؛ انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسعى رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليه فسأله، فجعل يحلف بالله ما قال فأنزل الله تعالى ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: هم رجل يقال له الأسود بقتل النبي ﷺ، فنزلت ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾، وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة: أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، فقضى النبي ﷺ بالدية اثني عشر ألفاً، وفيه نزلت «وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله».

عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: بالغنائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾: عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾: عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾: بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: يحفظهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٧٤: يمنعهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

قوله: [وهم بضعة عشر رجلا] قيل اثنا عشر، وقيل أكثر من ذلك، لكن لم يبلغوا العشرين، وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبي في العقبة ليقع في الوادي فيموت، فأخبره الله بما دبروه، فلما وصل إلى العقبة، نادى منادي رسول الله بأمره: إن رسول الله يريد أن يسلك العقبة، فلا يسلكها أحد غيره، واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك النبي العقبة، وكان ذلك في ليلة مظلمة، فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة، فلما ازدحموا على رسول الله ﷺ نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه، فصرخ بهم فولوا مدبرين، وأمر عمار بن ياسر، وقيل حذيفة، بضرب وجوه رواحلهم، فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس، فقال له النبي: هل عرفت أحداً منهم؟ قال: لا، كانوا متلثمين والليلة مظلمة، قال: هم فلان وفلان حتى عدهم، قال: هل عرفت مرادهم؟ قال: لا، قال: إنهم مكروا وأرادوا الفتك بي، وإن الله أخبرني بمكرهم، فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا، فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا، فنزلت الآية، ويؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك، وتقدم أنهم تخلفوا، ويمكن الجمع بأن البعض سافر والبعض تخلف. قوله: [فضرب عمار بن ياسر] وقيل حذيفة.

قوله: ﴿وما نقموا﴾ [أنكروا] أي ما كرهوا وما عابوا، وفي الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم كأنه قيل: ليس له صفة تكره وتعاب، إلا إغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء، وهذه ليست صفة ذم، فحينئذ ليس له صفة تذم أصلاً. قوله: [وليس مما ينقم] أو يعاب ويكره. قوله: ﴿وإن يتولوا﴾ أي داموا عليه. قوله: ﴿ومنهم﴾ أي المنافقين، وظاهر الآية أنه حين المعاهدة كان منافقاً، وليس كذلك، بل كان مسلماً صحيحاً، وكان يلزم المسجد والجماعة، حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره، ففيه مجاز الأول. قوله: ﴿لئن آتانا﴾ تفسير لقوله: عاهدوا، واللام موطئة لقسم محذوف، وإن شرطية. و﴿آتانا﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿لنصدقن﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط، لدلالته عليه ولتأخره، على حد قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: [فيه إدغام التاء] الخ أي والأصل لنتصدقن، قلبت التاء صاداً، ثم أدغمت في الصاد. قوله: ﴿ولنكونن

---

* أسباب نزول الآية ٧٥ قوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية، أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة: أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: والله لئن آتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات، ثم أنزل الله على رسوله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ فاستعمل على الصدقات رجلين وكتب لهما كتاباً فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: انطلقا إلى الناس، فإذا فرغتم فمروا بي ففعلا، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا، فأنزل الله ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله﴾ إلى قوله ﴿يكذبون﴾ الحديث، وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه.

﴿الصَّالِحِينَ﴾ ٧٥: وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾: عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٧٦ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾: أي فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾: أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ٧٧: فيه فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته

من الصالحين﴾ أي في صرف المال، بأن نصل به الأرحام، وننفقه في وجوه البر والخير. قوله: [وهو ثعلبة بن حاطب] كان أولاً صحابياً جليلاً ملازماً للجمعة والجماعة والمسجد، ثم رآه النبي يسرع بالخروج إثر الصلاة، فقال له رسول الله: «لم تفعل فعل المنافقين؟ فقال: إني افتقرت، ولي ولامرأتي ثوب، أجيء به للصلاة، ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلي به، فادع الله أن يوسع في رزقي، وحاصل قصته أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه، ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك، فقال له رسول الله: أما لك في أسوة حسنة، والذي نفسي بيده، أو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت، ثم أتاه بعد ذلك فقال له: والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله: اللهم ارزق ثعلبة مالاً، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، وهي تنمو كما ينمو الدود، فكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد إلا الجمعة، ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة، فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة، فكان إذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار، فذكره رسول الله ذات يوم فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا له: يا رسول الله، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد، فقال رسول الله: يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، فلما نزلت آية الصدقة، بعث رسول الله رجلاً من بني سليم، ورجلاً من بني جهينة، وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما: مرا على ثعلبة بن حاطب، وعلى رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وقرآ عليه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي، فانطلقا، وسمع بهما السليمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياه قالا: ما هذا عليك؟ قال: خذاه، فإن نفسي بذلك طيبة، فمرا على الناس وأخذا الصدقات، ثم رجعا إلى ثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، اذهبا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلما: يا ويح ثعلبة، ثم دعا للسليمي بخير، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فنزلت الآية». قوله: [ويؤدي منه] الخ الجملة حالية من فاعل سأل. قوله: [فدعا له] أي في المرة الثالثة. قوله: [فوسع عليه] أي بأن رزق غنماً، فصارت تنمو كالدود.

قوله: ﴿بخلوا به﴾ أي حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لأخذها وقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية. قوله: ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ أي فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم. قوله: ﴿إلى يوم يلقونه﴾ غاية لتمكن النفاق في قلوبهم، وحكمة الجمع في هذه الضمائر، مع أن سبب نزولها في شخص واحد الإشارة إلى أن حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف، من أول الزمان لآخره، وليس مخصوصاً بثعلبة.

قوله: ﴿بما أخلفوا الله﴾ الباء سببية وما مصدرية، والمعنى ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد، وورد: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». قوله: [فجاء بعد ذلك] أي غير تائب في الباطن، وإنما ذلك خوفاً من أن يحكم بردته، فيقتل ويؤخذ ماله كله، ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله، لا توبة من ذنبه، وإلا لقبله

فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه» ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾: أي المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ٧٨: ما غاب عن العيان. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا فنزل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المتنفلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٩ ﴿اسْتَغْفِرْ﴾: يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ: «إني خيرت فاخترت» يعني الاستغفار رواه البخاري ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾: قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم

الله. قوله: [يحثو التراب] أي يهيله على رأسه، قوله: [ثم جاء إلى أبي بكر] أي في خلافته، وكذا في خلافة عمر وعثمان. قوله: [أي المنافقون] أي لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله؛ لأن آيتهم قد انقضت بقوله: ﴿يكذبون﴾. قوله: [ما أسروه] أي أخفوه. قوله: [ما غاب عن العيان] أي بالنسبة للعباد، لا بالنسبة لله، فإن الكل عنده عيان، وليس شيء غائباً عن علمه سبحانه وتعالى. قوله: [جاء رجل] هو عبد الرحمن بن عوف، جاء بأربعة آلاف درهم، وقال كان لي ثمانية آلاف، فأقرضت ربي أربعة، فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله، وأمسكت لعيالي أربعة، فقال له النبي: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت، فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفاً، وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفاً، وأوصى بخمسين ألف دينار، وبألف فرس في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من البدريين إذ ذاك، وكان الباقي مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف. قوله: [وجاء رجل فتصدق بصاع] أي وهو أبو عقيل الأنصاري، جاء بصاع تمر وقال بت ليلتي أجر بالجرير، أي الحبل الذي يستقى به الماء، وكان أجيراً تسقي الزرع بالماء من البئر، قال: وكانت أجرتي صاعين من تمر، فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره النبي أن ينثره على الصدقات. قوله: [فقالوا إن الله غني] الخ، أي وإنما أتى به تعريضاً بفقره ليعطى من الصدقات.

قوله: ﴿الذين يلمزون﴾ مبتدأ خبره ﴿سخر الله منهم﴾ ﴿والذين لا يجدون﴾ عطف على ﴿الذين﴾ الأول وقوله: ﴿فيسخرون﴾ عطف على قوله ﴿يلمزون﴾. قوله: ﴿المطوعين﴾ أصله المتطوعين، أبدلت التاء طاء، ثم أدغمت في الطاء. قوله: ﴿إلا جهدهم﴾ الجهد الشيء اليسير الذي يعيش به المقل.

قوله: ﴿استغفر لهم﴾ الخ خبر جيء به في صورة الأمر، والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء. قوله: [قال ﷺ] دليل على التخيير. قوله: [قيل المراد بالسبعين] الخ، هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له. قوله: [غفر] جواب [لو] الثانية، وقوله: [لزدت] جواب [لو] الأولى. قوله: [وقيل المراد] الخ، بناء على أن العدد له مفهوم. قوله: [لحديثه]

● أسباب نزول الآية ٧٩ قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين﴾ الآية، روى الشيخان عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل ﴿الذين يلمزون المطوعين﴾ الآية. وورد نحو هذا من حديث أبي هريرة وأبي عقيل وأبي سعيد الخدري وابن عباس وعميرة بنت سهيل بن رافع، أخرجها كلها ابن مردويه.

أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٨٠ ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾: عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: أي بقعودهم ﴿خِلَافَ﴾: أي بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾: أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنْفِرُوا﴾: تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾: من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ٨١: يعلمون ذلك ما تخلفوا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾: في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾: في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٢: خبر عن حالهم بصيغة الأمر ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾: ردك ﴿اللَّهُ﴾: من تبوك ﴿إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾: ممن تخلف بالمدينة من المنافقين

أي البخاري. قوله: [حسم المغفرة] أي قطعها. قوله: ﴿ذلك﴾ أي عدم المغفرة لهم. قوله: ﴿بأنهم كفروا﴾ الباء سببية، وأن مصدرية، والتقدير بسبب كفرهم. قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي لا يوصلهم لما فيه رضاه.

قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ جمع مخلف اسم مفعول، والفاعل الكسل، أي الذين خلفهم الكسل، وكانوا اثني عشر. قوله: [أي بعد] أشار بذلك إلى أن ﴿خلاف﴾ ظرف زمان أو مكان، ويصح أن يكون مصدراً بمعنى مخالفة، والمعنى على الأول: فرحوا بقعودهم في خلاف رسول الله، أي بعد سفره، أو بمكانه الذي سافر منه، وعلى الثاني: فرحوا بمخالفة رسول الله، حيث اتصفوا بالقعود، واتصف هو بالسفر. قوله: ﴿وكرهوا أن يجاهدوا﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ﴿كرهوا﴾، والمعنى كرهوا الجهاد لأن الإنسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال، سيما من ينكر الآخرة.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي قال بعضهم لبعض. قوله: ﴿لا تنفروا﴾ أي إلى تبوك لأنها كانت في شدة الحر والقحط. قوله: ﴿أشد حراً﴾ أي لأن حر الدنيا يزول ولا يبقى، وحر جهنم دائم لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون، فمن آثر الشهوات على ما يرضي مولاه، كان مأواه جهنم. ومن آثر رضا ربه على شهوته، كان مأواه الجنة، ولذا ورد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات». قوله: [ما تخلفوا] جواب ﴿لو﴾. قوله: ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ أي بالنسبة لبكاء الآخرة، وإن كان في نفسه كثيراً.

قوله: ﴿وليبكوا كثيراً﴾ أي على ما فاتهم من النعيم الدائم، ورد عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار، حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أن سفناً أجريت فيها لجرت». قوله: ﴿جزاء﴾ إما مفعول لأجله، أو مصدر منصوب بفعل مقدر تقديره يجزون جزاء. قوله: [خبر عن حالهم] أي العاجل والآجل، وإنما جيء به على صورة الأمر، إشارة إلى أنه لا يتخلف، لأن الأمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور.

قوله: ﴿فإن رجعك الله﴾ خطاب النبي ﷺ بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك، ويؤخذ من ذلك أن أهل الفسوق والعصيان، لا يرافقون ولا يشاورون. قوله: [ممن تخلف] بيان للضمير في منهم. قوله: [من المنافقين]

---

* أسباب نزول الآية ٨١ قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف، فقال رجل: يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر، فأنزل الله ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ الآية، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: خرج رسول الله ﷺ في حر شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ الآية. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق ابن اسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قال رجل من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزلت.

﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: معكَ إلى غزوةٍ أخرى ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ ٨٣: المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبي نزل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ٨٤: كافرون ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ٨٥ ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾: أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ﴾: ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ٨٦

بيانٌ للطائفة. قوله: ﴿أول مرة﴾ أي وهو الخروج لغزوة تبوك. قوله: [وغيرهم] أي كالمرضى. قوله: [على ابن أبيّ] اسمه عبد الله، وأبيّ اسم أبيه، وسلول اسم أمه، وكان رئيس الخزرج، وكان له ولد مسلم صالح، قد دعا النبي ليصلي عليه، وسأله أن يكفنه في قميصه ففعل، ويروى أن النبي ﷺ كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي، فقال ﷺ: وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله، والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه. ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي ﷺ. قوله: ﴿منهم﴾ صفة لأحد، وكذا قوله ﴿مات أبداً﴾.

قوله: ﴿ولا تقم على قبره﴾ أي لا تتول دفنه. قوله: ﴿إنهم كفروا﴾ علة لما قبله، ولما نزلت هذه الآية، ما صلى على منافق، ولا قام على قبره بعدها. قوله: [كافرون] أي وإنما عبّر عنهم بالفسق، إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلاً في دينه، بخلاف الفاسق، فأفعاله خبيثة لا ترضي أحداً، وليس له دين يقر عليه، فعبّر عنهم بالفسق، بعد التعبير عنهم بالكفر، إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين: الكفر وخسة الطبع.

قوله: ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾ الخ، الحكمة في تكرارها، المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به، وعبّر في الآية الأولى بالفاء، وهنا بالواو، لأن ما سبق له تعلق بما قبله، فحسن العطف بخلاف ما هنا، فلا تعلق له بما قبله، وأتى بلا فيما تقدم، وأسقط من هنا اعتناء بنفي الأولاد هناك، وبيّن هنا أنهم سواء، وأتى باللام في ليعذبهم هناك، وبأن هنا، إشارة إلى أن اللام بمعنى أن، وليست للتعليل، وأتى فيما تقدم بالحياة، وهنا بإسقاطها، إشارة إلى خسة حياة الدنيا، حيث لا تستحق أن تذكر، وقال هناك كارهون، وهنا كافرون، إشارة إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم، ويشاهدون الأماكن التي أعدت لهم في نظيره، فمن حيث تلك المشاهدة تزهق أرواحهم، وهم كافرون كارهون، بخلاف المؤمن، فإنه يشهد مقعده في الجنة، ولا تخرج روحه إلا وهو كاره للدنيا، محب للآخرة.

قوله: ﴿وهم كافرون﴾ الجملة حالية. قوله: [أي طائفة من القرآن] أي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها. قوله: [ذوو الغنى] أي السعة من المال، وقيل الرؤساء، وخصّوا بالذكر لأنهم قادرون على السفر، وتركوه نفاقاً، إذ العاجز لا يحتاج لاستئذان.

قوله: ﴿وقالوا﴾ عطف على استأذنك. قوله: [أي النساء] ويصح أن يراد بهم الرجال الذين لا خير فيهم من

---

* أسباب نزول الآية ٨٤ قوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾ الآية، روى الشيخان عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين، قال: إنما قد خيرني الله، فقال: ﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيد على السبعين، فقال: إنه منافق، فصلى عليه، فأنزل الله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ فترك الصلاة عليهم، ورد ذلك من حديث عمر وأنس وجابر وغيرهم.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ﴾ ٨٧: الخير ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾: في
الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٨٨: أي الفائزون ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٨٩ ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾: بإدغام التاء في الأصل في الذال أي المعتذرون بمعنى المعذورين
وقرىء به ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾: في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾ ٩٠ ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾: كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾: كالعمي والزمني ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا
يُنْفِقُونَ﴾: في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: في حال قعودهم بعدم الإرجاف

قولهم رجل خالِفة، أي لا خيرَ فيه. قوله: ﴿لكن الرسول﴾ استدراك على ما قد يتوهم أن كسَل هؤلاء جرّ غيرهم. قوله: ﴿الخيرات﴾ [الدنيا والآخرة] أي بالنصر والغنيمة، والجنة والكرامة. قوله: ﴿أعد الله لهم﴾ أي هيأ وأحضر، ويؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن. قوله: ﴿ذلك﴾ أي الجنة المستفادة من قوله ﴿أعد الله لهم جنات﴾.

قوله: ﴿وجاء المعذرون﴾ أي الطالبون قبول العذر وهذا شروع في ذكر أحوال منافقي الأعراب بعد بيان أحوال منافقي المدينة. قوله: [بإدغام التاء في الأصل] أي وأصله المعتذرون، أبدلت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال، وقيل إنه لا أصل له، بل هو جمع معذِّر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذباً، وليس بمعذور. قوله: ﴿من الأعراب﴾ أي سكان البوادي الناطقون بالعربية، والعربي من نطق بالعربية مطلقاً، سكن البوادي أم لا، فهو أعم من الأعراب.

قوله: ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ أي فهم فريقان: فريق جاء واعتذر لرسول الله كذباً وهم أسد وغطفان، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال، وفريق لم يأت أصلاً، وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بالتشديد. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي استمروا عليه وأتى بمن إشارة إلى أن بعضهم أسلم، وهو كذلك. قوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي في الدنيا بالقتل والأسر، والآخرة بالخلود في النار.

قوله: ﴿ليس على الضعفاء﴾ هذا تخصيص لقوله فيما تقدم ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ والضعفاء جمع ضعيف، وهو ضعيف البنية النحيف. قوله: [كالشيوخ] أي النساء والصبيان. قوله: [والزمنى] من الزمانة، وهي العجز والابتلاء. قوله: ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ أي لفقرهم وعجزهم، كجهينة ومزينة وبني عذرة. قوله: ﴿حرج﴾ اسم ﴿ليس﴾ حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه. قوله: ﴿إذا نصحوا﴾ شرط في قوله ﴿حرج﴾ والمعنى ليس على هؤلاء

---

* أسباب نزول الآية: ٩١ قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت، أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآية.

وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله احملنا؟ فقال: والله لا أجد ما أحملكم عليه، فولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ الآية، وقد ذكرت أسماؤهم في المبهمات. قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن مجاهد: أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾. وأخرج عبد الرحمن بن معقل المزني قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا هذه الآية.

والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٩١: بهم في التوسعة في ذلك ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: حال ﴿تَوَلَّوا﴾: جواب إذا أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ﴾: للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾: لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ ٩٢: في الجهاد ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾: في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٩٣: تقدم مثله ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: من الغزو ﴿قُل﴾: لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أي أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ

حرج، وقت نصحهم لله ورسوله. قوله: [بعدم الارجاف] أي إثارة الفتن. قوله: [والتثبيط] أي تكسيل من أراد الخروج. قوله: [والطاعة] معطوف على عدم الإرجاف، والمعنى أن نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله، بأن يخلصوا الإيمان، ويسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين، ويقوموا بمصالح بيوتهم، وبعدم إثارة الفتن، وبعدم تكسيل غيرهم، بل لينشطوا ويرغبوا في الجهاد، وينهوا من أراد التخلف.

قوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ إنما أظهر في مقام الاضمار إشارة إلى انتظامهم بنصحهم في سلك المحسنين، و﴿من﴾ زائدة للتأكيد، والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿من سبيل﴾ مبتدأ مؤخر، ويصح أن يكون فاعلاً بالجار والمجرور لاعتماده على النفي.

قوله: ﴿ولا على الذين﴾ أي ليس عليهم سبيل. قوله: ﴿إذا ما أتوك﴾ ما إذا وقعت بعد إذا تكون صلة. قوله: [إلى الغزو] أي وهي غزوة تبوك. قوله: [وهم سبعة من الأنصار] أي ويقال لهم البكاءون، فحمل العباس منهم اثنين، وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه، وحمل يامين بن عمرو النضري اثنين. قوله: [وقيل بنو مقرن] أي كانوا ثلاثة إخوة، معقل وسويد والنعمان، وقيل: هم أصحاب أبي موسى الأشعري، وقد كان حلف أن لا يحملهم، ثم أتي له ﷺ بإبل من السبي، فأرسلها لهم ليحملوا عليها، فقالوا: لا نركب حتى نسأل رسول الله، فإنه قد حلف أن لا يحملنا، فلعله نسي اليمين، فجاؤوه فقال ما معناه: لا أرى خيراً مما حلفت عليه إلا فعلته، ومثل هذه اليمين لا تكفر عند مالك، لوجود بساط اليمين حين الحلف، فكان يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه، وتكفر عند الشافعي.

قوله: ﴿قلت لا أجد﴾ أي ليس عندي ما تحملون عليه، وفي هذا التعبير مزيد لطف بهم. قوله: [حال] أي من الكاف في أتوك، ويصح أن تكون هي الجواب، وجملة ﴿تولوا﴾ مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، وتقديره فماذا حصل لهم. قوله: ﴿وأعينهم﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تولوا﴾. قوله: [للبيان] أي لجنس الفائض. قوله: ﴿أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول لأجله، والعامل فيه ﴿حزناً﴾ الواقع مفعولاً له أو حالاً. قوله: ﴿إنما السبيل﴾ أي طريق العقاب. قوله: ﴿وهم أغنياء﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يستأذنوك﴾. قوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ إما مستأنف، أو حال مقدرة. قوله: [تقدم مثله] أي فذكره هنا للتأكيد، وعبر هنا بالعلم، وهناك بالفقه، إشارة إلى أن معناهما واحد، إذ الفقه هو العلم، والعلم هو الفقه. قوله: ﴿يعتذرون﴾ أي المتخلفون بالباطل والأكاذيب، استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم، روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلاً، فلما رجع رسول الله ﷺ جاؤوا يعتذرون إليه وإلى أصحابه بالباطل. قوله: ﴿قل لا تعتذروا﴾ أي جواباً لهم. قوله: ﴿لن نؤمن لكم﴾ تعليل للنهي، وقوله: ﴿قد نبأنا الله﴾ علة للعلة.

﴿وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾: بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٩٤: فيجازيكم عليه ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾: رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾: من تبوك إنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: قذر لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٩٥ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ٩٦: أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله ﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾: من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أولى ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾: من الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ٩٧: في صنعه بهم ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو أسد وغطفان ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلص ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾: بالضم والفتح أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ ٩٨: لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالهم ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: كجهينة ومزينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾: في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾: تقربه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَ﴾: وسيلة إلى

قوله: ﴿وسيرى الله عملكم﴾ أي السيء، ومفعول يرى الثاني محذوف تقديره مستمراً، والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده. قوله: [أي الله] أشار بذلك إلى أنه إظهار في موضع الإضمار، زيادة في التشديد عليهم. قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بعملكم أو بالذي كنتم تعملونه. قوله: ﴿سيحلفون بالله﴾ تأكيد لعذرهم بالكذب. قوله: [إنهم معذورون في التخلف] هذا هو المحلوف عليه. قوله: ﴿فأعرضوا عنهم﴾ أي غير راضين بفعلهم. قوله: ﴿إنهم رجس﴾ علة لقوله: ﴿فأعرضوا عنهم﴾. قوله: ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ شرط، حذف جوابه لدلالة قوله: ﴿فإن الله لا يرضى﴾ الخ، أشار المفسر بقوله: [ولا ينفع رضاكم] الخ. قوله: [أي عنهم] أشار بذلك إلى أن المقام للإضمار، زيادة في التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة.

قوله: ﴿الأعراب﴾ أي جنسهم، وهو اسم جمع، لا جمع عرب، لئلا يلزم عليه كون الجمع أخص من مفرده، إن الأعراب سكان البوادي، والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادي أم لا. قوله: [لجفائهم] علة لقوله: ﴿أشد كفراً ونفاقاً﴾. قوله: [من الأحكام والشرائع] بيان للحدود. قوله: [لأنه لا يرجو ثوابه] أي لعدم إيمانه بالآخرة، وهو تعليل للاتخاذ المذكور. قوله: ﴿ويتربص﴾ عطف على ﴿يتخذ﴾. قوله: ﴿الدوائر﴾ جمع دائرة، وهي ما يحيط بالإنسان من المصائب. قوله: [فيتخلصوا] أي من الإنفاق. قوله: [بالضم والفتح] أي فهما قراءتان سبعيتان، وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين.

قوله: ﴿ومن الأعراب﴾ الخ، اعلم أن الأعراب أقسام منهم المنافقون وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً﴾ ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا. قوله: [كجهينة ومزينة] أي وكغفار وأسلم قبائل عظام. قوله: ﴿ويتخذ﴾ فعل مضارع ينصب مفعولين: الأول الاسم الموصول، والثاني ﴿قربات﴾ على حذف مضاف، أي سبب قربات، وقوله: ﴿عند الله﴾ ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات، وقوله: ﴿وصلوات الرسول﴾ معطوف على ﴿قربات﴾ أي وسبب صلوات الرسول.

قوله: ﴿قربات﴾ بضم الراء باتفاق السبعة، جمع قربة، بضم الراء وسكونها، فعلى الضم الأمر ظاهر، وعلى السكون فضم راء الجمع للاتباع لضم قافه، أو جمعاً لمضموم الراء، وقد قرىء بهما في السبع، ومعنى كونها قربات،

﴿صَلَوَاتِ﴾: دعوات ﴿ٱلرَّسُولِ﴾: له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾: أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾: بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمْ﴾: عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جنته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ ٩٩: بهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾: إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾: في العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: وفي قراءة بزيادة من ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ١٠٠ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾: يا أهل المدينة ﴿مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾:

أنها تقرب العبد لرضا الله عليه، وليس معناه أن الله في مكان، وتلك النفقة تقربه من ذلك المكان، فإنه مستحيل، تعالى الله عنه. قوله: ﴿وصلوات الرسول﴾ أي دعواته لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة، فتجب ملاحظته في كل عمل لله، لأنه الله تعبّدنا بالتوسل به، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه وخاب رأيه، قال العارف بن مشيش: ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب ـ كما قيل ـ الموسوط، وقال بعضهم:

وأنت باب الله أي امرىء   أتاه من غيرك لا يدخل

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم، والوصول إليه وصول إلى الله لأن الحضرتين واحدة، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً. قوله: ﴿ألا إنها﴾ ألا: أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بما بعدها. قوله: ﴿قربة﴾ أي تقربهم لرضا ربهم، حيث أنفقوها مخلصين فيها، متوسلين بذلك إلى رسول الله ﷺ. قوله: [جنته] أشار بذلك إلى أن المراد بالرحمة الجنة، من إطلاق الحال وإرادة المحل، لأن الجنة محل للرحمة.

قوله: ﴿والسابقون﴾ مبتدأ، و﴿الأولون﴾ صفته، وقوله ﴿من المهاجرين والأنصار﴾ حال ﴿والذين اتبعوهم﴾ معطوف على ﴿السابقون﴾ والخبر قوله ﴿رضي الله عنهم﴾ الخ. قوله: ﴿والأنصار﴾ أي وهم الأوس والخزرج. قوله: [وهم من شهد بدراً] أي لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وعليه تكون [من] للتبعيض. قوله: [أو جميع الصحابة] أي فتكون [من] بيانية، وقيل المراد بهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وخمسمائة، وقيل المراد بهم أهل أحد، وقيل كل من دخل الإسلام قبل الفتح لقوله تعالى ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾. قوله: [إلى يوم القيامة] أي فيشمل صلحاء كل زمان.

قوله: ﴿رضي الله عنهم﴾ أي قبل أعمالهم، وأثابهم عليها وأعطاهم ما لم يعط أحداً من خلقه. قوله: ﴿ورضوا عنه﴾ أي قبلوا ما أعطاهم الله لما في الحديث «ما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك» فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط بعده أبداً». قوله: [وفي قراءة بزيادة من] أي وهي سبعية لابن كثير، ومعلوم أنه يقرأ بالصلة، فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بأن يشبع ضمة الميم في الجميع. قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما تقدم من الرضا والجنان. قوله: ﴿الفوز العظيم﴾ أي الظفر بالمقصود الذي لا يضاهى.

قوله: ﴿وممن حولكم﴾ خبر مقدم، و﴿منافقون﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿من الأعراب﴾ بيان لمن ﴿ومن أهل المدينة﴾ خبر مقدم، والمبتدأ محذوف تقديره [ومنافقون أيضاً] وجملة ﴿مردوا على النفاق﴾ صفة لذلك المحذوف، فيكون من عطف الجمل، أو خبر بعد خبر، توسط بينهما المبتدأ، ويكون من عطف المفردات. قوله: [كأسلم] الخ أي بعض

لجوا فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: خطابٌ للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ١٠١: هو النار ﴿وَ﴾ قوم ﴿آخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾: من التخلف نعته والخبر ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾: وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم

هذه القبائل، فلا ينافي ما تقدم من مدحهم في قوله ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات﴾. قوله: ﴿مردوا على النفاق﴾ أي تمرنوا عليه، ولم يتوبوا منه. قوله: ﴿لا تعلمهم﴾ إن قلت: كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا، وثبته في قوله ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ فالجواب: أن آية النفي نزلت قبل آية الاثبات. قوله: [بالفضيحة أو القتل] أشار بذلك إلى أنه اختلف في المرة الأولى، ولكن القول الأول هو الصحيح لأن أحكام الإسلام في الظاهر جارية على المنافقين، فلم يقتلوا، ولم يؤسروا، والفضيحة بإخراجهم من المسجد، لما في الحديث عن ابن مسعود، خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن منكم منافقين، فمن سميته فليقم، ثم قال: قم يا فلان فإنك منافق، حتى سمى ستة وثلاثين. قوله: [وعذاب القبر] هذه هي المرة الثانية، وستأتي الثالثة في قوله ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات.

قوله: ﴿وآخرون﴾ حاصله أن من تخلف عن تبوك ثلاثة أقسام: قسم منافقون استمروا على النفاق، وقد تقدم ذكرهم في قوله ﴿وممن حولكم من الأعراب﴾ إلى قوله ﴿عظيم﴾، وقسم تائبون، اعترفوا بذنوبهم، وبادروا بالعذر لرسول الله، وقد ذكرهم في قوله ﴿وآخرون اعترفوا﴾ إلى قوله: ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾، وقسم لم يبادروا بالعذر، وقد ذكرهم الله بقوله ﴿وآخرون مرجون﴾ إلى قوله ﴿حكيم﴾. قوله: ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أي أقروا بذنوبهم

---

* أسباب نزول الآية ١٠٢ قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا﴾ الآية. أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها، ففعلوا وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال: من هؤلاء الموثقون بالسواري؟ فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فقال: لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم، فأنزل الله ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية، فلما نزلت أطلقهم وعذرهم وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ الآية، فجعل أناس يقولون: هلكوا إذا لم ينزل عذرهم، وآخرون يقولون: عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾.

وأخرج ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد: فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا، فقالوا يا رسول الله: هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية، وأخرج هذا القدر وحده عن سعيد بن جبير والضحاك وزيد بن أسلم وغيرهم. وأخرج عبد عن قتادة أنها نزلت في سبعة: أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري، وهم أبو لبابة ومرداس وأوس بن خذام، وثعلبة بن وديعة.

وأخرج أبو الشيخ وابن مندة في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: كان ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة: أبو لبابة، وأوس بن خذام، وثعلبة بن وديعة، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة، فربطوا أنفسهم بالسواري وجاءوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله ذ هذا الذي حبسنا عنك، فقال: لا أحلهم حتى يكون قتال، فنزل القرآن ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية، إسناده قوي.

وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة قالت: إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي، فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السحر، فقلت: ما يضحك يا رسول الله؟ قال: تيب على أبي لبابة، فقلت: أوذنه بذلك؟ فقال: ما شئت، فقمت على باب الحجرة. وذلك قبل أن يضرب الحجاب، فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس ليطلقوه، فقال: حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني، فلما خرج إلى الصبح أطلقه فنزلت ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾.

بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَآخَرَ سَيِّئاً﴾: وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٠٢: نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لمَّا بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلهم لما نزلت ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ﴾: رحمة ﴿لَّهُمْ﴾: وقيل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

لربهم وتابوا منها، وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم، فإن ذلك أمر لا يجوز. قوله: [وهو جهادهم قبل ذلك] أي قبل هذا التخلف. قوله: ﴿وآخر سيئاً﴾ الواو بمعنى الباء، والمعنى أنهم جمعوا بين العمل الصالح، والعمل السيء. قوله: [وهو تخلفهم] أي من غير عذر واضح.

قوله: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ أي يقبل توبتهم، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، لأن ﴿عسى﴾ ونحوها تفيد الأطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء، ثم حرمه منه كان عاراً عليه، والله أكرم من أن يطمع أحداً في شيء، ثم لا يعطيه إياه، لأنه وعد، وهو لا يتخلف، وهذه الجملة مستأنفة، ويصح أن تكون خبراً، وجملة ﴿خلطوا﴾ حالية وقد مقدرة. قوله: [نزلت في أبي لبابة] وهو رفاعة بن عبد المنذر، كان من أهل الصفة، ربط نفسه ثنتي عشرة ليلة، في سلسلة ثقيلة، وكانت له ابنة تحله للصلاة وقضاء الحاجة، وتقدم في سورة الأنفال، أنه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته. قوله: [وجماعة] قيل عشرة، وقيل ثمانية، وقيل خمسة، وقيل ثلاثة، وقد كانوا تخلفوا عن تبوك، ثم ندموا بعد ذلك، فلما قدم رسول الله من المدينة، حلفوا ليربطن أنفسهم بالسواري، ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقها، ففعلوا، فلما رجع رسول الله رآهم، فقال من هؤلاء؟ فقال له: هؤلاء تخلفوا عنك، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت، وترضى عنهم، فقال: وأنا أقسم بالله، لا أطلقهم ولا أعذرهم، حتى أؤمر بإطلاقهم، فنزلت هذه الآية، فعذرهم وأطلقهم. قوله: [ما نزل في المتخلفين] أي من الوعيد الشديد، حيث قال الله فيهم ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ الآية. قوله: [فحلهم لما نزلت] أي آية ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾.

قوله: ﴿خذ من أموالهم﴾ ﴿من﴾ للتبعيض والجار والمجرور حال من ﴿صدقة﴾ ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله ﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ والمعنى خذ بعض الأموال التي خرجوا عنها لله ورسوله، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية، وحلهم رسول الله أتوا وقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا، فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً، فنزلت ﴿خذ من أموالهم﴾ الآية. قوله: ﴿تطهرهم وتزكيهم﴾ الأقرب أن التاء للخطاب، وحذف قوله ﴿بها﴾ من الأول، لدلالة الثاني عليه، والمعنى خذ يا محمد بعض أموالهم صدقة، حال كونك مطهراً لهم بها وتزكيهم بها، ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب أخذها خيراً. قوله: [فأخذ ثلث أموالهم] أي كفارة لذنوبهم، ويؤخذ من ذلك أن من قال: مالي صدقة في سبيل الله أو للفقراء، يكفيه ثلثه وهو مذهب مالك، وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة.

قوله: ﴿إن صلواتك﴾ بالجمع والافراد هنا، وفي هود في قوله: ﴿أصلواتك تأمرك﴾ قراءتان سبعيتان، والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة، وهذا في حياة رسول الله، وأما بعد وفاته، فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبي، وأيضاً الأعمال تعرض عليه صباحاً ومساء، فإن رأى خيراً حمد الله، وإن رأى غير ذلك، استغفر لنا، كما ورد في الحديث حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم في الصباح وفي المساء، فإن وجدت خيراً، حمدت الله،

عَلِيمٌ١٠٣ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ﴾: يقبل ﴿الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾: على عباده
بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾١٠٤: بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة ﴿وَقُلِ﴾: لهم أو
للناس ﴿اعْمَلُوا﴾: ما شئتم ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾: بالبعث ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ﴾: أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾١٠٥: يجازيكم به ﴿وَآخَرُونَ﴾: من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾:
بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾: بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾١٠٦: في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك
وهلال بن أمية تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة
وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد ﴿و﴾: منهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾: وهم اثنا عشر من المنافقين

وإن وجدتُ سوءاً، استغفرتَ لكم» فدعاء رسول الله حاصل في حياته وبعد موته، ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف في ذلك. قوله: ﴿والله سميع عليم﴾ أي بالأقوال والأفعال.

قوله: ﴿ألم يعلموا﴾ أي التائبون. قوله: ﴿إن الله هو يقبل التوبة﴾ ﴿هو﴾ مبتدأ وجملة ﴿يقبل﴾ خبره، والجملة خبر أن وجملة أن واسمها وخبرها، سدت مسد مفعولي يعلم أو مفعولها. قوله: ﴿عن عباده﴾ متعلق بيقبل و﴿عن﴾ بمعنى من، ويجوز أن تكون باقية على معناها للمجاوزة، والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم. قوله: ﴿ويأخذ الصدقات﴾ أي يثيب صاحبها وعبر عن القبول بالأخذ ترغيباً لهم في بذل الأموال. قوله: [والاستفهام للتقرير] أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: [تهييجهم] أي حثهم وترغيبهم. قوله: [لهم أو للناس] تفسيران في الآية. قوله: ﴿اعملوا﴾ [ما شئتم] في ذلك وعد عظيم للطائعين، ووعيد للعاصين، والمعنى اعملوا أيها التائبون، أو أيها الناس عموماً ما شئتم من خير، فيجازيكم عليه بالثواب، أو شر، فيجازيكم عليه بالعقاب، أو يعفو الله عنكم.

قوله: ﴿فسيرى الله عملكم﴾ أي يحصيه ويجازيكم عليه، فالاستقبال بالنظر للجزاء. قوله: ﴿ورسوله﴾ أي لأن الأعمال تعرض عليه. قوله: ﴿والمؤمنون﴾ أي فيكون ذلك الجزاء، إما فرحاً وسروراً بين أهل الموقف، أو حزناً وسوءاً بينهم. قوله: ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ أي فيحاسبكم على جميع ما قدمتموه. قوله: [بالهمز] أي المضموم ﴿وتركه﴾ أي مع سكون الواو، وقراءتان سبعيتان. قوله: [عن التوبة] أي عن قبولها، وإلا فقد وقعت منهم التوبة، غير أنهم لم يعتذروا للنبي صريحاً، وإنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سراً. قوله: ﴿إما يعذبهم﴾ إما للإبهام بالنسبة للمخاطبين. والمعنى أن الله أبهم على المخاطبين أمرهم. قوله: ﴿وإما يتوب عليهم﴾ أي يقبل توبتهم. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي لا يسأل عما يفعل، فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى. قوله: [وهم الثلاثة] أي وكانوا من أهل المدينة. قوله: [مرارة] بضم الميم. قوله: [إلى الدعة] أي الراحة والكسل. قوله: [ولم يعتذروا] أي لشدة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا. قوله: [فوقف أمرهم خمسين ليلة] أي في نظير مدة التخلف لأنها كانت خمسين ليلة، فلما تمتعوا بالراحة فيها، مع تعب غيرهم في السفر، عوقبوا بهجرهم تلك المدة.

قوله: ﴿والذين اتخذوا﴾ بالواو ودونها قراءتان سبعيتان، والأحسن إعراب الاسم الموصول مبتدأ، وعلى كل

---

* أسباب نزول الآية ١٠٧ قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ الآية، أخرج ابن مردويه من طريق ابن اسحاق قال: ذكر ابن شهاب الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبارهم وكان ممن بايع تحت الشجرة يقول: أتى من بنى مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله انا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا =

﴿ضِرَاراً﴾: مضادة لأهل مسجد قُبَاءٍ ﴿وَكُفْراً﴾: لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَاداً﴾: ترقباً ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور

خبره محذوف قدّره المفسر بقوله: [منهم] والواو إما للعطف على الجمل المتقدمة، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ عطف قصة على قصة أو للاستئناف.

قوله: ﴿ضراراً﴾ إما مفعول لأجله، أو مفعول ثانٍ لاتخذوا. قوله: [لأهل مسجد قباء] أشار بذلك إلى أن متعلق الضرار محذوف. قوله: [بأمر أبي عامر الراهب] أي وهو ولد حنظلة غسيل الملائكة. قوله: [معقلاً له] أي ملجأ. قوله: [وكان ذهب] الخ، حاصل ذلك أن أبا عامر قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح وتنصر، فلما قدم النبي ﷺ المدينة، قال أبو عامر: ما هذا الدين الذي جئت به؟ قال النبي ﷺ: جئت بالحنيفية دين إبراهيم، قال أبو عامر: فأنا عليها، قال له النبي: إنك لست عليها، قال أبو عامر: بلى، ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبي ﷺ: ما فعلتُ، ولكن جئتُ بها بيضاء نقية، قال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريداً غريباً وحيداً، فقال النبي ﷺ: آمين، وسماه أبا عامر الفاسق، فلما كان يوم أحد، قال أبو عامر الفاسق للنبي: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر، فخرج هارباً إلى الشام، فأرسل إلى المنافقين، أن أعدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجداً، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء، فلما فرغوا من بنائه، أتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فقال رسول الله: إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه، فلما انصرف ﷺ من تبوك راجعاً، نزل بذي أوان، وهو موضع قريب من المدينة، فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتي مسجدهم، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم، فنزلت هذه الآية، وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله مالك بن الدخشم، ومعن بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشياً، فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه واحرقوه، فخرجوا

= نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه قال: اني على جناح سفر، ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً﴾ إلى آخر القصة فدعا مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه، ففعلا.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردوية من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء خرج رجال من الأنصار منهم يخدج، فبنوا مسجد النفاق، فقال رسول الله ﷺ ليخدج: ويلك ما أردت إلى ما أرى، فقال: يا رسول الله ما أردت إلا الحسنى. فأنزل الله الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن أناساً من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابتنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتي بجند فأخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه، فأنزل الله ﴿تقم فيه أبداً﴾.

وأخرج الواحدي عن سعد بن أبي وقاص قال: ان المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء لأبي عامر الراهب إذا قدم ليكون امامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: انا بنينا مسجداً فصل فيه، فنزلت ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم، وأخرج عمر بن شبة في أخبار المدينة من طريق الوليد بن أبي سندر الأسلمي عن يحيى بن سهل الأنصاري عن أبيه: أن هذه الآية نزلت في أهل قباء كان يغسلون أدبارهم من الغائط ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن عطاء قال: أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء. فنزلت فيهم ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾: ما ﴿أَرَدْنَا﴾: ببنائه ﴿إِلَّا﴾: الفعلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾١٠٧: في ذلك وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل ﴿لَا تَقُمْ﴾: تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾: فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾: بنيت قواعده ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾: منه ﴿أَن﴾: أي بأن ﴿تَقُومَ﴾: تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾: هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾١٠٨: أي يثيبهم وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا: نتبع الحجارة بالماء فقال: «هو ذاك فعليكموه» ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾: مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَ﴾: رجاء ﴿رِضْوَٰنٍ﴾: منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ﴾

مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك: أنظروني حتى أخرج إليكم بنار، فدخل على أهله، فأخذ من سعف النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون، حتى دخلوا المسجد وفيه أهله، فأحرقوه وهدموه وتفرق أهله، وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة، ومات أبو عامر بالشام طريداً وحيداً غريباً.

قوله: ﴿إلا الحسنى﴾ صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: [الفعلة]. قوله: ﴿يشهد﴾ أي يعلم. قوله: [في ذلك] أي الحلف. قوله: [وكانوا سألوا النبي] الخ، أي بعد فراغهم من بنائه، وكان متجهزاً لغزوة تبوك، فوعدهم بذلك لحين يقدم. قوله: ﴿لمسجد﴾ اللام للابتداء، ومسجد مبتدأ، و﴿أسس﴾ نعته، و﴿أحق﴾ خبره. قوله: [يوم حللت بدار الهجرة] أي وهو يوم الإثنين، فأقام فيه الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وخرج صبيحة الجمعة، فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة، وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ، وهذا على القول بأنه أقام بقباء أربعة أيام، وقيل أقام أربعة عشر، وقيل اثنين وعشرين يوماً. قوله: ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، أو باعتبار زعم المنافقين، أو باعتبار ذات المسجد، فإن الخبث في نيتهم لا في ذات المسجد.

قوله: ﴿فيه رجال﴾ هم بنوا عامر بن عوف. قوله: ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ يحتمل أن المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح، وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله، وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث وهو الأقرب لأن مزيتهم التي مدحوا عليها مبالغتهم في طهارة الظاهر، وأما طهارة الباطن فأمر مشترك بين المؤمنين، وقيل المراد ما هو أعم، فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن. قوله: [وفيه إدغام التاء] الخ، أي فأصله المتطهرين، أبدلت التاء طاء، وأدغمت في الطاء. قوله: [في الطهور] بضم الطاء في هذا وفيما يأتي لأن المراد به الفعل. قوله: [فغسلنا كما غسلوا] أي بعد المسح بالأحجار. بدليل الرواية الثانية. قوله: [نتبع الحجارة بالماء] أي وهذا هو الأكمل في الاستنجاء، فإن لم يوجد حجر، فالمدر يقوم مقامه، وإلا فالماء فقط، أو الحجر فقط، أو المدر فقط. قوله: [فعليكموه] أي الزموه.

قوله: ﴿أمن أسس بنيانه على تقوى﴾ الخ، في الكلام استعارة مكنية، حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض

﴿شَفَا﴾: طرف ﴿جُرُفٍ﴾: بضم الراء وسكونها جانب ﴿هَارٍ﴾: مشرف على السقوط ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾: سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير أي الأول خير وهو مثال مسجد قباء والثاني مثال مسجد الضرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٠٩ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوْا۟ رِيبَةً﴾: شكاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾: تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ ١١٠: في صنعه بهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾: بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾: جملة استئناف بيان للشراء وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول أي فيقتل بعضهم ويقاتل

صلبة، يعتمد عليه البنيان، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو التأسيس، فإثباته تخييل، والتأسيس كناية عن أحكام أمور الدين والأعمال الصالحة.

قوله: ﴿أم من أسس بنيانه﴾ أي أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق. قوله: [بضم الراء وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [جانب] الأحسن مما قاله غيره، أن المراد به البئر التي لم تطو. قوله: ﴿هار﴾ إما أصله هاور، أو هائر، فقدمت اللام على العين فصار كقاض، فإعرابه بحركات مقدرة، أو حذفت عينه تخفيفاً بعد قلبها همزة، فإعرابه بحركات ظاهرة، وإما أصله هور أو هير، تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً مثل باب، وإعرابه بحركات ظاهرة كالذي قبله. قوله: ﴿في نار جهنم﴾ ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه. قوله: [خبر] قدره إشارة إلى أن خبر من الثانية محذوف. قوله: ﴿ريبة﴾ أي سبب ريبة، أو بولغ فيه حتى تجعل نفس الريبة.

قوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ مستثنى من محذوف، والتقدير لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم في كل وقت أو كل حال، إلا وقت أو حال تقطيع قلوبهم، وفيها قراءتان سبعيتان: الأولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف إحدى التاءين، وقلوبهم فاعل. الثانية بضم التاء، وقلوبهم نائب فاعل، وقرئ شذوذاً تقطع بالتخفيف، وقرئ أيضاً إلا أن تقطع بضم التاء وكسر الطاء المشددة، وقلوبهم مفعول به، والفاعل ضمير يعود على النبي. قوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي يضع الأشياء في محلها، فمنه جريان عادة الله في كل حسود لأهل الدين والصلاح، أنه لا يزال الكمد به حتى يموت على أسوإ الأحوال.

قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ الخ، لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر، وما فاتهم من الخير العظيم ذكر فضل المجاهدين، وما أعد لهم من الفوز الأكبر، حيث عظم أنفسهم وأموالهم، بأن جعل الجنة ثمناً لهما، ومن المعلوم أن المثمن أغلى من الثمن، وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم، ولم يخلقوا لأجلها. قوله: [يبذلوها في طاعته] أي يصرفوها في مرضاته.

قوله: ﴿بأن لهم الجنة﴾ لم يقل بالجنة إشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصلة إليهم، كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم، ثم إن قوله: ﴿اشترى من المؤمنين﴾ الخ، كناية عن التعويض عن بذل النفوس والأموال بالجنة، وإلا فحقيقة الشراء، أخذ ما لا يملك بعوض، وهذا مستحيل في حق الله تعالى، بل معناه أثابهم وقبلهم في نظير خدمتهم، فشبهت

● أسباب نزول الآية: ١١١ قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال. قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾.

الباقي ﴿وعداً عليه حقاً﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله﴾: أي لا أحد أوفى منه ﴿فاستبشروا﴾: فيه التفات عن الغيبة ﴿ببيعكم الذي بايعتم به وذلك﴾: البيع ﴿هو الفوز العظيم﴾[١٢١]: المنيل غاية المطلوب ﴿التائبون﴾: رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿العابدون﴾: المخلصون العبادة لله ﴿الحامدون﴾: له على كل حال ﴿السائحون﴾: الصائمون ﴿الراكعون الساجدون﴾: أي المصلون ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله﴾: لأحكامه

الإثابة والقبول بالشراء، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الشراء اشترى، بمعنى أثابهم وقبلهم وإنما عبر عنه بالشراء تلطفاً رفقاً بهم. قوله: [بيان للشراء] الأوضح أن يقول بيان للبيع الذي يستلزمه الشراء. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي] أشار بذلك إلى أنه لا يتوقف الفضل على الجمع بين الأمرين معاً، بل المدار على نية إعلاء كلمة الله حصلا، أو أحدهما أو لا ولا. قوله: [بفعلهما المحذوف] أي والتقدير وعده وعداً، وحقه حقاً.

قوله: ﴿في التوراة﴾ الخ، الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعداً، والمعنى ﴿وعداً﴾ مذكوراً ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ وخص التوراة والإنجيل بالذكر، لإقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى، وحينئذ فلا ينافي أن هذا الوعد مذكور في الكتب السماوية، قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ليلة العقبة، وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قال: إذا فعلنا ذلك ما لنا؟ قال: الجنة، قالوا ربح البيع، لا نقيل ولا نستقبل، فنزلت هذه الآية بشارة لهم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿فاستبشروا﴾ خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم، والسين والتاء للتصيير، أي صرتم لكم البشرى بذلك في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿التائبون﴾ الخ، هذه أوصاف تسعة للمؤمنين. الستة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده، والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق، والأخير عام. قوله: [بتقدير مبتدأ] أي وهو التائبون. قوله: [من الشرك والنفاق] متعلق بالتائبون، والتوبة شرطها الندم على ما وقع، والعزم على عدم العود والاقلاع ورد المظالم إلى أهلها. قوله: [المخلصون العبادة لله] أي المنهمكون في طاعة الله سراً وجهراً. قوله: ﴿الحامدون﴾ [له على كل حال] أي في السراء والضراء، قال عليه السلام: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال، في السراء والضراء» أي بأن يكون عن الله راضياً في جميع الأحوال، كالفقر والغنى والصحة والمرض، وغير ذلك. قوله: ﴿السائحون﴾ من السياحة، وهي في الأصل الذهاب في الأرض للعبادة، سمي الصائمون بذلك لأن من شأن السائح ترك اللذات كلها، من المطعم والمشرب والملبس والمنكح، ولا شك أن الصائم كذلك، والصيام عند العامة ترك ما سوى الله تعالى، قال العارف الجيلي:

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى   وفطري أني نحو وجهك راجع

قوله: [أي المصلون] أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكل، وخص الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها، لأن بهما التقرب إلى الله تعالى، لما في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، والركوع يلي السجود في التواضع والذل. قوله: ﴿والناهون عن المنكر﴾ إنما عطف هذا بالواو على ما قبله، لوجود المضادة بينهما، لأن الأمر طلب الفعل، والنهي طلب الترك.

بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١١٢: بالجنة. ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾: ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ ١١٣: النار بأن ماتوا على الكفر ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾: بقوله: سأستغفر لك ربي رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾: بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: وترك

قوله: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ هذا أعم الأوصاف المتقدمة، ولذا عطف بالواو، وهذا معنى التقوى إذ هي امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، ولذا حكى السري السقطي، سأل ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له: أن لا يراك حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك، فقال له أخاف أن يكون حظك من الله لسانك. قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ إظهار في مقام الاضمار، اعتناء بهم، وتشريفاً لقدرهم، وحذف المبشر به إشارة إلى أنه لا يدخل تحت حصر، بل لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: [لعمه أبي طالب] أي لأنه ﷺ قال لأبي طالب حين حضرته الوفاة: يا عم، قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فإني لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار فنزلت، وقصد النبي بهذا الاستغفار، تأليفه للإسلام لعله يهتدي، وإلا فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به.

قوله: ﴿ما كان للنبي﴾ أي لا ينبغي ولا يصح. قوله: [بأن ماتوا على الكفر] أي فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ، وأما الاستغفار للكافر الحي ففيه تفصيل، فإن كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للإسلام جاز، وإن كان قصده أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر، فلا يجوز. قوله: ﴿وما كان استغفار ابراهيم﴾ الخ هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً واقعاً في جواب سؤال مقدر، تقديره إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم، وقد استغفر إبراهيم لأبيه. فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر. قوله: ﴿لأبيه﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه أو عمه، وإنما سمي أباً، لأن عادة العرب تسمي العم أباً والقرآن نزل بلغة العرب. قوله: ﴿وعدها إياه﴾ أي إن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار، قيل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار، لإصراره على الكفر. قوله: ﴿أنه عدو الله﴾ أي أنه مصر ومستمر على الكفر والعداوة، لأن الذي تبين بالموت، إنما هو إصراره على الكفر، وإلا فأصله كان حاصلاً ومتبيناً من قبل.

---

* أسباب نزول الآية: ١١٣ قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي﴾ الآية، أخرج الشيخان من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال أي عم قل: لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه حتى آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية، وأنزل في أبي طالب ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية، وظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة.

وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن علي قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر، فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكيت لبكائه، فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾.

وأخرج أحمد وابن مردويه واللفظ له من حديث بريدة قال: كنت مع النبي ﷺ إذ وقف على عسفان فأبصر قبر أمه فتوضأ وصلى وبكى، ثم قال: إني استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت، فأنزل الله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية. وأخرج الطبراني وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس، وأن ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمراً فهبط عند ثنية عسفان. قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب، متقدم هو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر آمنة، وقصة علي وجميع غيره بتعدد النزول.

الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾: كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ ١١٤: صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾: للإسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١١٥: ومنه مستحق الإضلال والهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾: أيها الناس ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ١١٦: يمنعكم عن ضرره ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ﴾: أي أدام توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾: أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث

قوله: ﴿إن إبراهيم﴾ هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين. قوله: ﴿لأواه﴾ من التأوه وهو التوجع والإكثار من قول آه، واختلف في معناه، فقيل هو الخاشع المتضرع، وقيل كثير الدعاء. وقيل المؤمن التواب، وقيل الرحيم بعباد الله، وقيل الموقن، وقيل المسبح، وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكره الله، الخائف من النار. قوله: ﴿حليم﴾ معناه صفوح عن المسيء له، مقابل له بالعطف والرفق، وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حي قال له: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾ الخ. فأجابه إبراهيم بقوله: ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي﴾ وكعدم دعائه على النمرود حيث ألقاه في النار.

قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوماً﴾ سبب نزولها، أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار، وماتوا قبل نزول آية النهي، فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم، فبين الله أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب، إلا بعد أن يبين حكمه فيه. قوله: ﴿بعد إذ هداهم﴾ أي بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للإيمان. قوله: [ومنه] أي من الشيء. قوله: ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ أي ففوضوا أمركم إليه لأنه الموجد لكل شيء الذي منه العون والنصر.

قوله: ﴿لقد تاب الله﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: [أدام توبته] جواب عما يقال: إن النبي معصوم من الذنوب، والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنباً، بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع. وأجيب أيضاً: بأن معنى توبته على النبي، عدم مؤاخذته في إذنه للمتخلفين، حتى يظهر المؤمن من المنافق، ومعنى توبته على المهاجرين والأنصار، من أجل ما وقع في قلوبهم من الخواطر والوساوس في تلك الغزوة، فإنها كانت في شدة الحر والعسر، وقيل إن ذكر النبي تشريف لهم وإنما المقصود ذكر قبول توبتهم، لأنه لم يقع منه ﷺ ذنب أصلاً حتى يحتاج للتوبة منه.

قوله: ﴿الذين اتبعوه﴾ أي وكانوا سبعين ألفاً، ما بين راكب وماش، من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل. قوله: [أي وقتها] أشار بذلك إلى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسر الشدة والضيق، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، وجيشها يسمى جيش العسرة، لأنه كان عليهم عسرة في المركب والزاد والماء، فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه. وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان تمرهم يسيراً جداً حتى إن أحدهم إذا جهده الجوع، يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها، ثم يعطيها لصاحبه، حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى إلا النواة، وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث، ويجعلون ما يبقى على كبدهم. قال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد وعدك خيراً، فادع الله، قال أتحب ذلك؟ قال: نعم، فرفع رسول الله يديه، فلم يرجعا حتى قالت السماء

---

* أسباب نزول الآية: ١١٧ قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ الآيات. روى البخاري وغيره عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة غزاها، وآذن الناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله، وفيه: فأنزل الله توبتنا. ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين﴾ إلى قوله ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ قال: وفينا أنزل ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾: بالتاء والياء تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾: عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: بالثبات ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ١١٧ وَ﴾: تاب ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾: عن التوبة عليهم بقرينة

فأظلت ثم سكبت، فملؤوا ما معهم من الأوعية، ثم ذهبنا ننظرها، فلم نجدها جاوزت العسكر. قوله: ﴿من بعد ما كاد﴾ هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى إن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف، واسم ﴿كاد﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿تزيغ﴾ في محل نصب خبرها. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ ذكر التوبة أولاً قبل الذنب، تفضلاً منه وتطييباً لقلوبهم، ثم ذكرها بعده تعظيماً لشأنهم، وتأكيداً لقبول توبتهم. قوله: ﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾ هذا تأكيد لما تقدم والرؤوف الرفيق بعباده، اللطيف بهم، والرحيم: المحسن المتفضل. قوله: ﴿وعلى الثلاثة﴾ إشارة إلى معطوف على قوله ﴿على النبي﴾ ويصح عطفه على الضمير في قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ وهو الأقرب لإعادة الجار. قال ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازماً قد جعلا

وإن كان يمكن أن يقال: إنما أعاده تأكيداً. قوله: ﴿على الثلاثة﴾ إنما لم يسمهم الله، لكونهم معلومين بين الصحابة، والتوبة هنا على حقيقتها، بمعنى أنه قبل عذرهم وسامحهم، وغفر لهم ما سلف منهم، وأما التوبة فيما تقدم، فمستعملة في مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي، والحفظ للمهاجرين والأنصار، ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها. قوله: [عن التوبة عليهم] أي عن قبولها من الله، وسبب تأخير القبول من الله عدم إظهار توبتهم، كما فعل أبو لبابة، وقيل: المراد خلفوا عن الغزو، ولم يخرجوا مع رسول الله، وفي صحيح البخاري ما نصه:

باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان يقود كعباً حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، وكان من خبري، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة، حين طابت الثمار والظلال، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك، فلما بلغني أنه توجه قافلاً، حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب وأهيئه لأعتذر به، وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، أي قرب قدومه، انزاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت الصدق، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل رسول الله منهم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك؟ فقلت: بلى إني والله يا رسول الله، لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، أي فصاحة، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث

. . . .

كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد، أي تغضب علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر، ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمت، وبادر رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون، قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يلومونني لوماً عنيفاً، حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، لي فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، فتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، فإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله، فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر، فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله، أي أعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركب رجل إلي فرساً وركضها، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله، فتلقاني الناس وجاؤوا يهنئوني بالتوبة يقولون: لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا، بل من عند الله، وكان رسول الله إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وأنزل الله على رسول الله ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ إلى قوله: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط، بعد أن هداني للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله اهـ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي مع رحبها أي سعتها فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓا﴾: أيقنوا ﴿أَن﴾: مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١١٨ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بترك معاصيه ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ١١٩: في الإيمان والعهود بأن تلزموا الصدق ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾: إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: جوع ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾: مصدر بمعنى وطأ ﴿يَغِيظُ﴾: يغضب ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾: لله ﴿نَّيْلًا﴾: قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾: ليجازوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢٠: أي أجرهم بل يثيبهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾: فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾: ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ١٢١: أي جزاءهم. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا

قوله: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم﴾ الخ أي لم يطمئنوا ولم يسكنوا إلى شيء منها، ﴿وإذا﴾ صلة أو ثم ليستقيم المعنى. قوله: [أي مع رحبها] بضم الراء وأما بفتحها، فمعناه المكان المتسع. قوله: [فلا يسعها سرور] العبارة فيها قلب، أي فلا تسع سروراً. قوله: ﴿أن﴾ [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن. قوله: ﴿لا ملجأ﴾ الخ، ﴿لا﴾ نافية للجنس و﴿ملجأ﴾ اسمها، و﴿من الله﴾ خبرها، والجملة سدت مسد مفعولي ﴿ظنوا﴾. قوله: ﴿من الله إلا إليه﴾ أي من سخطه إلا بالتضرع إليه. قوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي قبل توبتهم. قوله: ﴿ليتوبوا﴾ أي ليحصلوا التوبة وينشؤها.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ خطاب عام لكل مؤمن. قوله: ﴿مع الصادقين﴾ ﴿مع﴾ بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود. قوله: ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ أي لا يصح ولا ينبغي ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ، والمعنى إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو، فلا يجوز لأحد من المؤمنين التخلف، بل ينفرون كافة. قوله: ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم﴾ يجوز فيه النصب عطفاً على ﴿يتخلفوا﴾ والجزم على أن لا ناهية. قوله: [بأن يصونوها] الخ، هذا بيان لحاصل المعنى، وإيضاحه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط، وأن يتلقوا الشدائد معه ﷺ، علماً بأنها أعز نفس وأكرمها عند الله، فإذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض في شدة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتعرض مثلها. قوله: [وهو نهي بلفظ الخبر] أي ما ذكر من قوله ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ الخ، أي فكأنه قيل لا يتخلف واحد منهم. قوله: ﴿ظمأ﴾ أي ولو يسيراً، وكذا يقال فيما بعده.

قوله: ﴿ولا يطؤون موطئاً﴾ أي لا يدوسون بأرجلهم، وحوافر خيولهم، وأخفاف رواحلهم دوساً. قوله: ﴿يغيظ﴾ بفتح الياء باتفاق السبعة، وإن كانوا يجوز في اللغة ضمها. قوله: ﴿ولا ينالون﴾ أي يصيبون. قوله: [قتلا أو أسراً أو نهباً] أمثلة للنيل بسبب جعله مصدراً، ويصح أن يكون بمعنى الشيء المنال، أي المأخوذ. قوله: ﴿إلا كتب لهم﴾ أي بكل واحد من الأمور الخمسة. قوله: [أي أجرهم] غرضه بهذا أن المقام للإضمار والعدول عنه لأجل مدحهم، وليفيد العموم، وعدم الخصوصية للمخاطبين، بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر إلى يوم القيامة. قوله: ﴿وادياً﴾ المراد به هنا مطلق الأرض، وإن كان في الأصل المكان المنفرج بين الجبال. قوله: [ذلك] أي ما ذكر من كل من النفقة وقطع الوادي. قوله: [أي جزاؤه] يشير بها إلى تقدير مضاف، أي جزاء أحسن ما كانوا الخ. قوله: [ولما

جميعاً فنزل ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾: إلى الغزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾: جماعة ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾: أي الماكثون ﴿فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ﴾: من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾١٢٢: عقاب الله بامتثال أمره ونهيه قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: منهم شدة أي أغلظوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوا

وبخوا على التخلف] الخ أي سبب نزولها أنه لما وبخهم الله على التخلف، وظهرت فضيحة المنافقين، وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا أنهم لا يتخلفون عن رسول الله، ولا عن سرية بعثها، فلما رجعوا من تبوك، وبعث السرايا، تهيأ المسلمون جميعاً إلى الغزو. قوله: [سرية] قيل هي اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة، وما زاد عليها إلى ثمانمائة يقال له منسر، وما زاد عليها إلى أربعة الاف يقال له جيش، وما زاد عليها يقال له جحفل، وجملة سراياه التي أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون، وغزواته التي خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون، قاتل في ثمانية منها فقط.

قوله: ﴿وما كان المؤمنون﴾ أي لا ينبغي، ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعاً، بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين، طائفة تكون مع رسول الله لتلقي الوحي، وطائفة تخرج للجهاد. قوله: [فهلا] أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ للتحضيض. قوله: [ومكث الباقون] قدره إشارة إلى أن قوله ﴿ليتفقهوا﴾ الخ علة لمحذوف، ولا يصح أن يكون علة لقوله: ﴿نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ قوله: ﴿ولينذروا قومهم﴾ عطف على قوله: ﴿ليتفقهوا﴾ فيه إشارة إلى أنه ينبغي لطالب العلم تحسين مقصده، بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره، واتعاظه هو في نفسه، لا التكبر على العباد، والتشدق بالكلام. قوله: ﴿إذا رجعوا﴾ أي من كان في الغزو. وقوله: ﴿إليهم﴾ أي إلى من مكث ليتفقه في الدين. قوله: [قال ابن عباس] الخ المقصود من ذلك دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها. قوله: [مخصوصة بالسرايا] أي وهي التي أرسلها ولم يخرج معها. قوله: [فيما إذا خرج النبي] أي لأنه لا عذر، حينئذ لمن يتخلف لأن صاحب الشريعة الذي يتعلمونها منه مصاحب لهم.

قوله: ﴿قاتلوا الذين يلونكم﴾ ليست هذه الآية ناسخة لآية: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ على التحقيق، بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب، حتى يصلوا إلى الأبعد، فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة، لأن قتلهم دفعة واحدة لا يتصور، ولذا قاتل رسول الله أولاً قومه، ثم انتقل إلى سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب، ثم إلى قتال أهل الروم والشام، ثم بعد وفاته ﷺ انتقل أصحابه إلى قتال العراق، ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار. قوله: ﴿يلونكم﴾ من الولي وهو القرب، وفي فعله لغتان: وليه يليه وهو الأكثر، والثانية من باب وعد، والآية منها وهي قليلة الاستعمال، فأصله يوليون، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما. قوله: [شدة] أي صبراً وتحملاً. قوله: [أي أغلظوا عليهم] أشار بذلك إلى أن في الآية استعمال السبب في المسبب لأن وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم.

---

* أسباب نزول الآية: ١٢٢ قوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي، فنزلت ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ وأخرج عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾١٢٣: بالعون والنصر ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾: أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾: لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾: تصديقاً قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾١٢٤: يفرحون بها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾١٢٥ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾: بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾١٢٦: يتعظون ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يريدون الهرب يقولون: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾: على كفرهم ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الهدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾١٢٧: الحق لعدم تدبرهم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي منكم محمد ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾: شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي عنتكم أي

قوله: ﴿وإذا ما أنزلت﴾ المعنى إذا نزلت سورة من القرآن، والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول، وليس فيها فضيحة، وأما ما يأتي فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك، والحال أن فيها بيان أحوالهم، فلا تنافي بين المحلين كما يأتي. قوله: [لأصحابه] أي أو لضعفاء المؤمنين. قوله: [يفرحون بها] أي لأنه كلما نزل شيء من القرآن، ازدادوا إيماناً، وهذا الحكم باق إلى الآن، فمن يفرح بكلام الله وبحامليه فهو من المؤمنين الصادقين، ومن ينفر من سماعه ومن حامليه فهو إما كافر أو قريب من الكفر. قوله: [كفراً إلى كفرهم] أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة معنى الضم، والمعنى زادتهم كفراً مضموماً إلى كفرهم، لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل، وسمي الكفر رجساً، لكونه أقبح الأشياء، والرجس هو الشيء المستقذر. قوله: [بالياء] أي فالاستفهام حينئذ للتوبيخ، وقوله: [والتاء] أي فالاستفهام للتعجب لأن الخطاب حينئذ للصحابة.

قوله: ﴿ثم لا يتوبون﴾ أي لا يرجعون عما هم عليه. قوله: [فيها ذكرهم] أي بيان أحوالهم. قوله: ﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ أي يتغامزون بالعيون. قوله: [يريدون الهروب] أي خوفاً من الفضيحة التي تحصل لهم. قوله: [ويقولون] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿هل يراكم من أحد﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ [على كفرهم] عبارته تفيد أن قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ ليس مرتباً على كونهم [لم يرهم أحد] وليس كذلك، فكان المناسب أن يقول: [قاموا] وهو بمعنى ﴿ثم انصرفوا﴾. قوله: ﴿صرف الله قلوبهم﴾ إخبار أو دعاء. قوله: ﴿لا يفقهون﴾ [الحق] أي لا يفهمونه.

قوله: ﴿لقد جاءكم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي وعزتي وجلالي ﴿لقد جاءكم﴾ الخ. قوله: ﴿من أنفسكم﴾ خطاب للعرب، قال ابن عباس: ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيها نسب. ﴿وأنفسكم﴾ بضم الفاء باتفاق السبعة، وقرىء ﴿من أنفَسكم﴾ بفتح الفاء من النفاسة، والمعنى جاءكم رسول الله من أشرفكم وأرفعكم قدراً، لما في الحديث «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار».

قوله: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ يصح أن يكون ﴿عزيز﴾ صفة لرسول، و﴿ما﴾ مصدرية أو بمعنى الذي، والمعنى يعز عليه عنتكم أو الذي عنتموه، ويصح أن يكون ﴿عزيز﴾ خبراً مقدماً، و﴿ما عنتم﴾ مبتدأ مؤخراً. قوله: ﴿حريص

مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أن تهتدوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ ١٢٨: يريد لهم الخير ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾: كافي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت لا بغيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾: الكرسي ﴿الْعَظِيمِ﴾ ١٢٩: خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وروى الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة.

عليكم﴾ أي يحافظ على هداكم، لتكون لكم السعادة الكاملة. قوله: [أن تهتدوا] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي [حريص على هدايتكم]. قوله: ﴿رؤوف﴾ بالمد والقصر، قراءتان سبعيتان، والرؤوف أخص من الرحيم، قال الحسن بن المفضل: لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى، إلا للنبي ﷺ، فسماه رؤوفاً رحيماً، وقال ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾.

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ أي جميع الخلق، مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ هذا كالدليل لما قبله. قوله: [لا بغيره] أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول. قوله: [الكرسي] مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسي، وهو خلاف الصحيح، والصحيح أن العرش غير الكرسي، فالعرش جسم عظيم، محيط بجميع المخلوقات، والكرسي أقل منه. قوله: ﴿العظيم﴾ بالجر باتفاق السبعة، صفة للعرش، وقرئ شذوذاً بالرفع، صفة للرب. وقوله: [خصه بالذكر] جواب عما يقال: إن الله رب كل شيء، فلم خص العرش بالذكر. قوله: [آخر آية] مراده الجنس، وإلا فهما آيتان، وهذا القول ضعيف لما تقدم أن آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ وعلى ما قاله المفسر يكونان مدنيتين، وهو أحد قولين، حكاهما المفسر أول السورة، وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه، وقد ورد: من قرأهما، ويكرر الآية الثانية سبعاً صباحاً، وسبعاً مساء، أمن من كل مكروه حتى الموت، فمن أراد الله موته أنساه قراءتها.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم
سُورَة يونس

[مكية إلا ﴿فإن كنت في شك الآيتين أو الثلاث أو ﴿ومنهم مَنْ يؤمن به الآية: مائة وتسع أو عشر آيات]

﴿الٓر﴾: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات ﴿آيَاتُ ٱلْكِتَابِ﴾: القرآن والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾[١]: المحكم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة استفهام إنكار والجار والمجرور حال من قوله ﴿عَجَباً﴾:

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة يونس مكية

إلا ﴿فإن كنت في شك الآيتين أو الثلاث. أو ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ الآية:
وهي مائة وتسع أو عشر آيات

سميت بذلك لذكر اسمه فيها وقصته، وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها. قوله: [مكية] أي لنزولها قبل الهجرة. قوله: [أو الثلاث] أو لتنويع الخلاف، وسببه الخلاف في أن آخر الآية الثانية من الخاسرين أو الأليم. قوله: [أو منهم] الخ أي فيكون المدني إما ثلاثاً أو أربعاً بزيادة ﴿ومنهم﴾ الخ، وقال القرطبي نقلاً عن فرقة إن من أولها نحواً من أربعين آية مكي، وباقيها مدني. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] هو أحد أقوال تقدمت في البقرة، وهو أتمها وأسلمها. قوله: [أي هذه الآيات] يحتمل أن يكون اسم الإشارة عائداً على ما تقدم من أول القرآن إلى هنا، ويحتمل أنه عائد إلى الآيات التي سنذكرها في هذه السورة، وأتى باسم الإشارة البعيد إشارة إلى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره.

قوله: ﴿آيات الكتاب﴾ خبر اسم الإشارة. قوله: [والإضافة] أي في قوله ﴿آيات الكتاب﴾ والمعنى تلك آيات من الكتاب لأن المشار إليه بعض القرآن. قوله: [المحكم] أشار بذلك إلى أن فعيلاً بمعنى مفعول، ومعناه الذي

* أسباب نزول الآية: ٢ قوله تعالى: ﴿أكان الناس عجباً﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: ﴿أكان للناس عجباً﴾ الآية، ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ الآية، فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ يقولون أشرف من محمد، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف، فأنزل رداً عليهم ﴿أهم يقسمون رحمة بك﴾ الآية.

بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾: أي إيحاؤنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾: مفسرة ﴿أَنذِرِ﴾: خوف ﴿النَّاسَ﴾: الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ﴾: أي بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ﴾: سلف ﴿صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾: القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٢]: بين وفي قراءة لساحر والمشار إليه النبي ﷺ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾: زائدة ﴿شَفِيعٍ﴾: يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: رد لقولهم أن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الخالق المدبر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: وحدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]: بإدغام التاء في الأصل في الذال ﴿إِلَيْهِ﴾: تعالى

لا يتطرق إليه الفساد، ولا تغيره الدهور، ولا يعتريه الكذب ولا التناقض، ويصح أن يكون بمعنى فاعل، أي الحاكم، أي ذو الحكم لاشتماله على الأحكام الدينية المتعبد بها. قوله: [استفهام إنكاري] أي والمعنى لا يليق، ولا ينبغي لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله ﷺ حيث قالوا: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب.

قوله: ﴿عجباً﴾ العجب استعظام أمر خفي سببه. قوله: [خبر كان] أي المقدم عليها. قوله: [بالرفع اسمها] هذه القراءة شاذة، فكان المناسب للمفسر أن ينبه عليها. قوله: [والخبر] مبتدأ، وجملة ﴿أن أوحينا﴾ خبره، وقوله: [وهو اسمها على الأولى] اعتراض من بين المبتدأ والخبر. قوله: [مفسرة] أي بمعنى [أي] وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: ﴿أنذر﴾ [الناس] أي إن استمروا على الكفر. قوله: ﴿قدم صدق﴾ من إضافة الموصوف للصفة، وسمي الأجر الحسن ﴿قدم صدق﴾ لأن الخير قد سبق لهم عند الله، والشأن أن السعي يكون بالقدم، فسمي المسبب باسم السبب، كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى بها. قوله: [أجراً حسناً] هذا أحد أقوال في تفسير قوله: ﴿قدم صدق﴾ وهو لابن عباس، وقيل هو الأعمال الصالحة، وقيل شفاعة النبي ﷺ، وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلاً في اللوح المحفوظ، وقيل منزلة رفيعة في الجنة، وكل هذه التفاسير ترجع إلى ما قاله المفسر.

قوله: ﴿قال الكافرون﴾ أي حيث رد عليهم في تعجبهم بأبلغ رد. قوله: [المشتمل على ذلك] أي الأنذار والتبشير. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [المشار إليه] أي من القراءة الثانية. قوله: ﴿إن ربكم الله﴾ هذا رد عليهم في تعجبهم، والمعنى لا ينبغي لكم التعجب من إرسال الرسول، لأن ﴿ربكم الذي خلق السموات والأرض﴾ الخ، فمن كان قادراً على ذلك، فلا يستغرب عليه إرسال رسول. قوله: [أي في قدرها] جواب عن قوله: [لم يكن ثم شمس] الخ. قوله: [لتعليم خلقه التثبت] أي التأني والتمهل في الأمور، وتخصيص الستة بذلك، ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه. قوله: [استواء يليق به] هذه طريقة السلف في تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى، وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف، وإلى هاتين الطريقتين أشار صاحب الجوهرة بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب، يطلق على الاستيلاء، وهو المراد هنا، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي يتصرف في الخلائق بأسرها، ولا يشغله شأن عن شأن. قوله: ﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ أي لا يشفع أحد عنده، إلا أن يأذن له في الشفاعة. قوله: ﴿ربكم﴾ أي خالقكم ومربيكم. قوله: [بإدغام التاء

﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّاً﴾: مصدران منصوبان بفعلهما المقدَّر ﴿إِنَّهُ﴾: بالكسر استئنافاً والفتح على تقدير اللام ﴿يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ﴾: أي بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾: يثيب ﴿ٱلَّذِينَ آمَنوا وعَملوا الصَّالحاتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: أي بسبب كفرهم ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً﴾: ذات ضياء أي نور ﴿وَٱلْقَمَرَ نوراً وَقَدَّرَهُ﴾: من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾: ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾: بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾: المذكور

في الأصل] أي في أصله تتذكرون، قلبت التاء ذالاً، وادغمت في الذال. قوله: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ ردٌّ على منكري البعث قالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر. قوله: [بفعلهما المقدر] أي وعدكم وعداً، وحقه حقاً. قوله: [بالكسر] أي وهي القراءة السبعية. قوله: [والفتح] أي وهي شاذة، فكان عليه أن ينبه عليها. قوله: ﴿بالقسط﴾ أي العدل المصحوب بالفضل، أو المراد بالقسط: عدل العبيد بامتثالهم المأمورات، واجتنابهم المنهيات، فتكون الباء سببية.

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ غاير الأسلوب، إشارة إلى أنهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم، وأما المؤمنون فثوابهم بفضل الله، وإلى أن المقصود من البدء والإعادة إنما هو الثواب، وأما العقاب فكأنه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم. قوله: ﴿وعذاب أليم﴾ أي غير الشراب. قوله: [أي بسبب كفرهم] أشار بذلك إلى أن الباء سببية، وما مصدرية.

قوله: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ هذا من جملة أدلة توحيده. قوله: [ذات ضياء] أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر، ويحتمل أنه جمع ضوء، والمعنى ذات أضواء كثيرة، والضوء النور القوي العظيم، فهو أخص من مطلق نور، وقيل الضياء ما كان ذاتياً، والنور ما كان مكتسباً من غيره، فما قام بالشمس يقال له ضياء، وما قام بالقمر يقال له نور. اعلم أن الشعاع الفائض من الشمس: قيل جوهر، وقيل عرض، والحق أنه عرض لقيامه بالأجرام. قوله: ﴿والقمر﴾ معطوف على ﴿الشمس﴾، و﴿نوراً﴾ على ﴿ضياء﴾ ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز بلا خلاف.

قوله: ﴿وقدره﴾ الضمير عائد على ﴿القمر﴾ فقط، وخص بالذكر وإن كانت الشمس لها منازل أيضاً؛ لأن سير القمر في المنازل أسرع، وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين؛ لأن المعتبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية، ويحتمل أن الضمير عائد على كل من الشمس والقمر، وأفرد باعتبار ما ذكر، والأقرب الأول. قوله: [ثمانية وعشرون منزلاً] أي وهي منقسمة على اثني عشر برجاً، وهي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، لكل برج منزلان وثلث، فيكون إقامته في كل برج ستة وخمسين ساعة، وانتقالات الشمس في هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية، لكن الشهر نصفه الأول من آخر برج، ونصفه الآخر من أول برج آخر، فيكون نصفه الأول من نصف السنبلة الأخيرة، ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول، وهكذا. قوله: [ويستتر ليلتين] أي لا يرى، وإن كان سائراً.

قوله: ﴿لتعلموا﴾ هذا هو حكمة التقدير. قوله: ﴿والحساب﴾ معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا، ولا يجوز جره عطفاً على السنين؛ لأن الحساب لا يعلم عدده، ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب، أتنصبه أم تجره؟ فقال: ومن يدري ما عدد الحساب؟ كناية عن كونه لا يجوز جره. قوله: [المذكور] أي من كونه ﴿جعل الشمس ضياء والقمر

﴿إلَّا بِالْحَقِّ﴾: لا عبثاً تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾: بالياء والنون يبين ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٥: يتدبرون ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمٰوَاتِ﴾: من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾: في ﴿الأَرْضِ﴾: من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَهُ﴾ ٦ فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بدل الآخرة لإنكارهم لها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾: سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾: دلائل وحدانيتنا ﴿غَافِلُونَ﴾ ٧: تاركون للنظر فيها ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨: من الشرك والمعاصي ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾: يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ٩ ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾: طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: أي يا الله فإذا ما طلبوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾: فيما بينهم

نوراً﴾. قوله: [بالياء والنون] أي فهما قراءتان سبعيتان، وعلى النون فيه التفات من الغيبة إلى التكلم. قوله: ﴿لقوم يعلمون﴾ خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي في كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه. قوله: [بالذهاب والمجيء] تصوير للاختلاف. قوله: [والزيادة والنقصان] أي فكل واحد يزيد بقدر ما ينقص من الآخر. قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي لا يخافونه ولا يؤمنون به. قوله: ﴿واطمأنوا بها﴾ أي فعلوا فعل المخلدين فيها. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، و﴿مأواهم﴾ مبتدأ ثان، و﴿النار﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والجملة خبر ﴿إن﴾. قوله: ﴿بما كانوا يكسبون﴾ أي بسبب كسبهم. قوله: [من الشرك والمعاصي] بيان لقوله: ﴿يكسبون﴾.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ هذا مقابل قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ الخ. و﴿إن﴾ حرف توكيد ونصب، و﴿الذين﴾ اسمها، و﴿آمنوا﴾ صلته، وجملة ﴿يهديهم ربهم﴾ خبر ﴿إن﴾. قوله: ﴿آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الأعمال المرضية لله ورسوله. قوله: ﴿يهديهم ربهم﴾ أي يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به. قوله: ﴿بإيمانهم﴾ أي بسبب تصديقهم بالله ورسله، أي وبسبب أعمالهم الصالحة أيضاً، فالإيمان والأعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة، أو المراد بالإيمان الكامل، ليشمل الأعمال. قوله: [بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به] أي وتصور لهم الأعمال الصالحة بصورة حسنة، عند خروجهم من القبور، وتقول لصاحبها: كنت أسهرك في الدنيا، وأتعبك فيها، فاركب على ظهري، وذلك قوله تعالى ﴿ونحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ بخلاف الكافر، فيحشر يوم القيامة أعمى، لا يهتدي إلى مقصوده، ويأتيه عمله السيء فيقول له: كنت متلذذاً بي في الدنيا، فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾.

قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ أي بساتين التنعم، وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات، والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته تجري الأنهار بجانب قصورهم، ينظرون إليها من أعلى أماكنهم. قوله: [طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا] الخ، أي فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في جميع ما يطلبونه، فإذا أرادوا الأكل مثلاً قالوا سبحانك اللهم، فيأتونهم بالطعام على الموائد، كل مائدة ميل في ميل، في كل مائدة سبعون ألف صحفة، في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضاً، فإذا فرغوا من الطعام، وحمدوا الله

﴿فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾: مُفسِّرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٠. ونزل لمّا استعجل المشركون العذاب ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم﴾: أي كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾: بالبناء للمفعول وللفاعل ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾: نترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾

على ما أعطاهم، وكذلك قوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ والمراد بما يشتهونه في الجنة ما كان محموداً في الدنيا، فلا يقال: إن نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلاً فيفيد أن يحصل في الجنة، لأنه يقال: المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لأنهم عصموا منها بالموت، فلا تخطر ببالهم في الجنة، ولا يميل إليها طبعهم، وكذلك يقال في شهوة المحارم، كالأم والبنت، وأيضاً أهل الجنة لا أدبار لهم، ولا يتغوطون فيها، لما في الحديث «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، قالوا فما بال الطعام؟ قال: جُشاء، ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

قوله: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ التحية ما يحيا به الإنسان من الكلام الطيب. قوله: [فيما بينهم] أي أو تحية الملائكة لهم. قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾ أو تحيةُ اللهِ لهم. قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ قوله: ﴿وآخر دعواهم﴾ أي خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وليس معناه انقطاع الحمد، فإن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها. قوله: [مفسرة] اعترض بأن ضابط المفسِّرة مفقود هنا، إذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهنا تقدمها مفرد، فكان المناسب أن يقول مخففة من الثقيلة، ويكون اسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ خبرها.

قوله: ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ أي فأهل الجنة يبتدئون مطالبهم بالتسبيح، ويختمونها بالتحميد، فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعيم لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره. قوله: [ونزل لما استعجل المشركون العذاب] أي لما بين الله سبحانه وتعالى، أن يجيب الداعي بالخير، أدب عباده بأنهم لا يطلبون الشر، بل يطلبون الخير فيعطون، وقوله: [لما استعجل المشركون] قيل: النضر بن الحرث وغيره حيث قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء.

قوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾ أي الذي طلبوه لأنفسهم. قوله: [أي كاستعجالهم] أشار بذلك إلى أن استعجالهم مصدر، والأصل استعجالاً مثل استعجالهم، حذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي لهلكوا جميعاً، والمعنى أن الناس عند الغضب والضجر، قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت، وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة، فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به مثل ما يجيبهم إذا دعوه بالخير، لأهلكهم، ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير، ولا يستجيب له بالشر، فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. قوله: [بالبناء للمفعول وللفاعل] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [بالرفع والنصب] لف ونشر مرتب، فالرفع نائب فاعل، والنصب مفعول به. قوله: [بأن يهلكهم] أي قبل قوتهم. قوله: [ولكن يمهلهم] أي فضلاً منه وكرماً إلى أن يأتي أجلهم، فإذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فالمؤمن يلقى النعيم الدائم، والكافر يلقى العذاب الدائم.

قوله: ﴿الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي الذين لا يخافون عقابنا، ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت. قوله: ﴿في

يَعْمَهُونَ﴾١١: يترددون متحيرين ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾: المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾: أي مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾: أي في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾: على كفره ﴿كَأَن﴾: مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ﴾: كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾١٢ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾: الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: بالشرك ﴿وَ﴾: قد ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾: عطف على ظلموا ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾١٣: الكافرين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: جمع خليفة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾١٤: فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهرات حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾: ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾: من تلقاء نفسك ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿مَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِيٓ

طغيانهم﴾ أي الذي هو انكار البعث والمقالات الشنيعة. قوله: ﴿يعمهون﴾ حال على فاعل ﴿يرجون﴾. قوله: [يترددون متحيرين] أي في القرار من العذاب، فلا يجدون لهم مفراً. قوله: ﴿وإذا مس الإنسان الضر﴾ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما وبخهم على الدعاء بالشر لأنفسهم، بين هنا غاية عجزهم وضعفهم، وأنهم لا يقدرون على إيجاد شيء ولا إعدامه. قوله: [الكافر] مثله ناقص الإيمان، المنهمك في المعاصي. قوله: ﴿لجنبه﴾ حال من فاعل ﴿دعانا﴾، واللام بمعنى على. قوله: ﴿أو قاعداً أو قائماً﴾ يحتمل أن أو على بابها، لأن المضار إما ثقيلة تمنعه القيام والقعود، أو خفيفة لا تمنع ذلك، أو متوسطة تمنعه القيام دون القعود. ويحتمل أن أو بمعنى الواو، فهو إشارة لتوزيع الأحوال، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: أي في جميع الأحوال. قوله: ﴿مر﴾ [على كفره] أي استمر عليه. قوله: ﴿كأن لم يدعنا﴾ الجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿مر﴾ والمعنى استمر هو على كفره، مشبهاً بمن لم يدعنا أصلاً أي رجع إلى حالته الأولى، وترك الالتجاء إلى ربه. قوله: ﴿المسرفين﴾ أي المتجاوزين الحد. قوله: ﴿ما كانوا يعملون﴾ أي عملهم فالواجب على الإنسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله في كل حال، سيما في حال الصحة والغنى، لأنه يشدد عليه فيهما، ما لا يشدد عليه في غيرهما.

قوله: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾ أي كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. قوله: ﴿لما ظلموا﴾ أي حين ظلمهم. قوله: ﴿وجاءتهم﴾ قدر المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية من فاعل ﴿ظلموا﴾. قوله: [عطف على ظلموا] أي كأنه قيل: حين ظلموا، وحين لم يكونوا مؤمنين. والمعنى أن سبب إهلاكهم شيئان: ظلمهم وعدم إيمانهم. قوله: ﴿ثم جعلناكم﴾ عطف على ﴿أهلكنا﴾. قوله: ﴿خلائف في الأرض﴾ أي متخلفين من بعد القرون، بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم، فمن يوم بعث الله محمداً فجميع الخلق الموجودون من يومئذ إلى يوم القيامة من أمته مسلمهم وكافرهم، وهم خلفاء الأرض. قوله: ﴿لننظر﴾ أي ليظهر متعلق علمنا، ونعاملهم معاملة من ينظر، وفي الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه حال العباد مع ربهم، بحال رعية مع سلطانها في إمهالهم لننظر ماذا تفعل، واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه، على سبيل التمثيل والتقريب، ولله المثل الأعلى. قوله: ﴿كيف تعملون﴾ أي فهل تصدقون رسلنا أو تكذبونهم.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ فيه التفات من الخطاب للغيبة. قوله: ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ أي من عند ربك، إن كنت صادقاً في أنه من عند الله. قوله: ﴿أو بدله﴾ أي بأن تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم، ومكان الحرام حلالاً، وهذا

﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ﴾: قبل ﴿نَفْسِي إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾: بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥: هو يوم القيامة ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾: أعلمكم ﴿بِهِ﴾ ولا نافية عطف على ما قبله وفي قراءة بلام جواب لو أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾: مكثت ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾: سنيناً أربعين ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٦: إنه ليس من قبلي ﴿فَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بنسبة الشرك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿إِنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: يسعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ١٧: المشركون ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾: إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: إن عبدوه وهو الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ﴾: عنها ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ﴾: لهم ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾: تخبرونه

الكلام من الكفار، يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية، ويحتمل أنه على سبيل الامتحان، ليعلموا كونه من عند الله، فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك، والأول هو المتبادر من حالهم. قوله: ﴿قل ما يكون لي أن أبدله﴾ الخ. أي لا يليق مني ولا يصح. قوله: ﴿إني أخاف﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿قل لو شاء الله﴾ مفعول شاء محذوف، أي عدم إنزاله. قوله: ﴿ولا أدراكم﴾ أدرى فعل ماض، وفاعله مستتر يعود على الله، والكاف مفعول به. قوله: [ولا نافية] أي وجملة ﴿أدراكم﴾ مؤكدة لما قبلها، عطف عام على خاص، والمعنى لو شاء الله عدم إنزاله ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به مني ولا من غيري. قوله: [وفي قراءة] أي وهي شبعية أيضاً. قوله: [بلام] أي وهي للتأكيد، والمعنى لو شاء الله عدم تلاوتي ما تلوته عليكم، ولا أعلمكم به غيري، بأن ينزله على لسان نبي غيري، ونتيجة هذا القياس محذوفة، تقديرة لكن شاء الله إنزاله علي، فأنا أتلوه عليكم، وأنا أعلمكم به.

قوله: ﴿فقد لبثت فيكم عمرا﴾ هذا هو وجه الاحتجاج عليهم، والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه، وعلموا أحواله، وأنه كان أمياً لم يقرأ كتاباً ولا تعلم من أحد. وذلك مدة أربعين سنة، ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن، مشتمل على نفائس العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق، فكل من له عقل سليم وفهم ثابت، يعلم أن هذا القرآن من عند الله. لا من عند نفسه. قوله: [سنينا] منصوب بفتحة ظاهرة، وقد مرّ المفسر على طريقة من يجعله مثل حين. ومنه حديث «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» في احدى الروايتين. قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ أي أعميتم عن الحق، فلا تعقلونه. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [بنسبة الشريك إليه] أشار المفسر إلى أن الخطاب متوجه لهم. والمعنى على ذلك: أنكم افتريتم على الله الكذب، فزعمتم أن له شريكاً والله منزه عنه، وثبت عندكم صدقي بالقرآن، فكذبتم بآياته. قوله: ﴿ويعبدون﴾ عطف على ما تقدم، عطف قصة على قصة، بيان لقبائحهم، وفي الحقيقة عبادتهم غير الله، تسبب عنه ما تقدم من افترائهم وتكذيبهم بالآيات.

قوله: ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ ما اسم موصول أو نكرة موصوفة، ونفي الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم وإثباتهما في قوله تعالى: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ باعتبار السبب. قوله: [وهو الأصنام] بيان لما. قوله: ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم إياه. وقالوا: لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام، فإنها تكون شافعة لنا عند الله، قال تعالى إخباراً عنهم ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. إن قلت إنهم ينكرون البعث ففي أي وقت يشفعون لهم على زعمهم؟ أجيب:

﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لا يخفى عليه شيء ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٨ معه ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي ﴿فَٱخْتَلَفُوا﴾: بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: أي الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ١٩: من الدين بتعذيب الكافرين ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ﴿فَقُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾: ما غاب عن العباد أي أمره ﴿لِلَّهِ﴾: ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو وإنما علي التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوا﴾: العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾: أي كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾: مطراً وخصباً ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾: بؤس وجدب ﴿مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: بالاستهزاء والتكذيب ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: مجازاة ﴿إِنَّ

بأنهم يرجون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معايشهم. قوله: ﴿بما لايعلم﴾ المقصود نفي وجود الشريك بنفي لازمه، لأن علمه تعالى محيط بكل شيء، فلو كان موجوداً لعلمه الله، وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجوداً، وهذا مثل مشهور، فإن الإنسان إذا أراد نفي شيء وقع منه، يقول ما علم الله ذلك مني، أي لم يحصل ذلك مني قط. قوله: ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ حال من العائد المحذوف في يعلم. قوله: [استفهام انكار] أي بمعنى النفي. قوله: ﴿إلا أمة واحدة﴾ أي متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف. قوله: [من لدن آدم إلى نوح] الخ. ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده استمرت من آدم إلى نوح، فظهر في أمة نوح من يعبد غير الله، قال تعالى في شأنهم ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا﴾ الآية، فأخذوا بالطوفان، واستمر من يعبد الله وحده إلى زمن إبراهيم، فظهر في أمته من يعبد غير الله، فأهلكوا بالبعوض، واستمر من يعبد الله وحده، إلى أن ظهر عمرو بن لحي، وهو أول من بحر البحائر، وسيب السوائب في الجاهلية، إلى أن ظهر سيدنا محمد ﷺ.

قوله: ﴿ولولا كلمة﴾ المراد بها حكمه الأزلي، بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة. قوله: ﴿فيما فيه يختلفون﴾ أي في الدين الذي يختلفون بسببه. قوله: [بتعذب الكافرين] متعلق بقضي. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن ﴿لولا﴾ تحضيضية. قوله: ﴿آية من ربه﴾ أي معجزة كما كان للأنبياء، قال تعالى حكاية عنهم ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآية. قوله: ﴿إنما الغيب لله﴾ أي مختص به لا يقدر على الإتيان بشيء منه إلا الله، وإنما لم يجابوا بعين مطلوبهم، لعلمه ببقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة، وقد جرت عادته سبحانه وتعالى، أن القوم الذين يطلبون الآيات، إذا جاءت ولم يؤمنوا بها، يعجل لهم الهلاك، فعدم إجابتهم على طبق ما طلبوا رحمة بهم. قوله: ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ أي لما يفعله بكم.

قوله: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ هذا جواب آخر عن قول أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾، ذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الإذعان، ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين، ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب، فجعلوا ذلك هزواً وسخرية، وأضافوا المنافع إلى الأصنام. وقالوا: لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد، ما حصل لنا بعد ذلك الخصب لأنا لم نتب، فإذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا ما سألوا من إنزال ما طلبوه لا يؤمنون. قوله: [بالاستهزاء] الخ تفسير للمكر. قوله: ﴿أسرع مكراً﴾ أي أعجل عقوبة من سرعة مكرهم، وتسمية عقوبة الله

﴿رُسُلَنَا﴾: الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ٢١: بالتاءِ والياءِ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: وفي قراءةٍ يَنشركم ﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾: السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾: لينة ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾: شديدة الهبوب تكسر كلّ شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أهلكوا ﴿دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الدعاءَ ﴿لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ٢٢: الموحّدين ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بالشرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾: ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: لأن إثمهُ عليها هو ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: تمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ

مكراً مُشاكلة. قوله: ﴿إن رسلنا﴾ تعليلٌ لأسرعية مكره، وتنبيهٌ على أنّ ما دبروه غير خافٍ على الحفظة، فضلاً عن العليم الخبير. قوله: [بالتاء والياء] أي لكن الأولى سبعية والثانية عشرية.

قوله: ﴿هو الذي يسيركم﴾ الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، أي لا مسيّر لكم في البر والبحر إلا هو، وهذا من جملة أدلة توحيده. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً من النشر، وهو البث والتفريق، والمعنى يفرقكم ويبثكم في البر والبحر. والرسم متقارب، لكن طولت السنة الثانية وهي النون في القراءة الثانية، وطولت السنة التي قبل الراء وهي الياء على القراءة الأولى. قوله: ﴿في البر﴾ أي مشاة وركباناً. قوله: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾ غاية للسير في البحر، والفلك يستعمل مفرداً وجمعاً، فحركته في المفرد كحركة قفل، وحركته في الجمع كحركة بدن، وهنا مستعمل في الجمع بدليل وجرين، وفي آية في الفلك المشحون مستعمل مفرداً. قوله: [فيه التفات عن الخطاب] أي إلى الغيبة، وحكمته زيادة التقبيح على الكفار، لأن شأنهم عدم شكر النعمة، وأما الخطاب أولاً فهو لكل شخص مسلم أو كافر بتعداد النعم عليهم. قوله: ﴿بريح طيبة﴾ أي يحصل المقصود بلطف.

قوله: ﴿وفرحوا بها﴾ الجملة حالية من ضمير ﴿بهم﴾ وقد مقدرة. قوله: ﴿وظنوا﴾ أي أيقنوا. قوله: [أي أهلكوا] أي ظنوا الهلاك، لقيام الأسباب بهم. قوله: ﴿مخلصين﴾ أي غير مشركين معه شيئاً من آلهتهم. قوله: ﴿لئن أنجيتنا﴾ هذا معمول لقول محذوف بيان لمحصل الدعاء والتقدير قائلين: وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا. قوله: ﴿من الشاكرين﴾ أي على نعمائك الموحدين لك. قوله: ﴿إذا هم يبغون﴾ إذا للمفاجأة، والمعنى فحين انجاهم فاجؤوا الفساد وبادروا إليه. قوله: ﴿بغير الحق﴾ إما وصف كاشف، أو احترز به عن البغي بحق، كاستيلاء المسلمين على الكفار، وتخريب دورهم، وإتلاف أموالهم، كما فعل رسول الله بقريظة. قوله: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ الكلام على حذف مضاف، أي إثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله: [لأن إثمه عليها] والمعنى أن وبال بغيكم راجع لأنفسكم، لا يضر الله منه شيء، كما لا تنفعه طاعة المطيع، قال تعالى: ﴿إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ وقال العارف: ماذا يضرك وهو عاص، أو يفيدك وهو طائع، فإشراك المشرك لا يثبت لله شريكا، بل هو محض افتراء وكذب، ووباله على صاحبه، وتوحيد الموحد لا يثبت لله وحدة، بل هي ثابتة أزلاً وأبداً، بل معنى وحدت ربي، أقامت وحدته بقلبي وامتزجت بلبي، وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن، فإن هذا هو الكفر بعينه، وفي ذلك قال العارف:

ما وحّد الواحد من واحد ... إذ كل من وحّده جاحد

قوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ قدر المفسر هو إشارة إلى أنه بالرفع خبر لمحذوف. قوله: [تمتعون فيها قليلاً] أي

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾: بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٣: فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تتمتعون ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾: صفة ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ﴾: مطر ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾: بسببه ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾: من البرّ والشعير وغيرهما ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾: من الكلأ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: بهجتها من النبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾: بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾: قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: أي زرعها ﴿حَصِيدًا﴾: كالمحصود بالمناجل ﴿كَأَن﴾: مخففة أي كأنها ﴿لَّمْ تَغْنَ﴾: تكن ﴿بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نبين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢٤ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾: أي السلامة وهي الجنة بالدعاء

زمناً قليلاً. قوله: ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ أي لا مفر لهم من ذلك، وإنما إمهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى. قوله: [فنجازيكم عليه] أي على ما عملتم من خير وشر. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بنصب متاع] أي مفعول لفعل محذوف، قدره المفسر بقوله أي تمتعون. قوله: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ بيان لشأن الدنيا، وأن مدتها قصيرة، والمعنى صفتها في سرعة انقضائها، وكونكم متعززين بها كماء الخ. قوله: ﴿كماء أنزلناه من السماء﴾ حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الأرض، إشارة إلى أن الدنيا تأتي بلا كسب من صاحبها، ولا تعان منه كماء السماء بخلاف ماء الأرض فينال بالآلات. قوله: [وغيرهما] أي كالذرة والحمص واللوبياء والفول ونحو ذلك. قوله: [من الكلأ] هو العشب رطباً أو يابساً. قوله: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ غاية لمحذوف أي ما زال ينمو ويزهو حتى الخ. والمعنى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات، وتم سرور أهلها بها أتاها أمرنا الخ. قوله: [بالزهر] أي أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك. قوله: [وأدغمت في الزاي] أي بعد تسكينها وأتى بهمزة الوصل لأجل النطق بالساكن، فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها. قوله: [متمكنون من تحصيل ثمارها] أي من أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبقول. قوله: ﴿أتاها أمرنا﴾ جواب إذا. قوله: [كالمحصود] أي المقطوع. قوله: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ أي كأن لم تكن تلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض، وهذا مثل للراغب في زهرة الدنيا وبهجتها، الراكن لها، المعرض عن الآخرة، فكما أن النبات الذي عظم الرجاء فيه، والانتفاع به، أتته المتلفات بغتة ويئس منه، كذلك المتمسك بالدنيا، إذا افتخر بها وتعزز، يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها. قوله: ﴿بالأمس﴾ المراد به الزمن الماضي، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك. قوله: ﴿كذلك﴾ أي كما فصلنا في ضرب المثل. قوله: ﴿نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ أي فليس هذا المثل قاصراً على شخص دون شخص، بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر، فينبغي للإنسان أن ينزل القرآن في خطاباته على نفسه، ويتأمل فيها ويتدبر، ليأتمر بأوامره، وينتهي بنواهيه.

قوله: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا، ورغب في الزهد فيها، والتجنب لزخارفها، رغب في الآخرة ونعيمها، حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه، يدعو إلى دار السلام، والسلام اسم من أسمائه تعالى، ومعناه المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال، وأضيفت الدار للسلام، لأنها سالمة من الآفات والكدرات، كما أن معنى السلام السالم من كل نقص، وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص، وعليه درج المفسر. قوله: [وهي الجنة] أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم، ما يشمل جميع الجنات، لا خصوص المسماة بهذا الاسم، من باب تسمية الكل باسم البعض، وكذا يقال في باقي دورها، كدار الجلال، وجنة النعيم، وجنة الخلد، وجنة المأوى، والفردوس، وجنة عدن، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمياتها، يطلق كل اسم منها على جميع

إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾: هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٢٥: دين الإسلام ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: بالإيمان ﴿الْحُسْنَى﴾: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي النظر إليه تعالى كما في حديث مسلم ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾: سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: كآبة ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢٦ ﴿وَالَّذِينَ﴾: عطف على الذين أحسنوا أي وللذين ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾: عملوا الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ﴾: زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾: مانع ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾: ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾: بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أي جزءاً ﴿مِّنَ

دورها، لصدق الاسم على المسمى في كل. قوله: [بالدعاء للإيمان] أي فهو سبب لدخول الجنة، وإن كان صاحبه عاصياً، فالمدار في استحقاق الجنة على مجرد الإيمان.

قوله: ﴿ويهدي من يشاء﴾ أي يوصله إلى السعادة الكاملة. قوله: [هدايته] هذا هو مفعول يشاء. قوله: ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أي طريق قويم لا اعوجاج فيه، وحذف مقابل ﴿ويهدي من يشاء﴾ الخ. تقديره ويضل من يشاء عنه، فالضلال والهدى بيد الله، يعطي أيهما شاء لمن شاء. قوله: ﴿للذين أحسنوا﴾ خبر مقدم، و﴿الحسنى﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [بالإيمان] أي ولو صحبة ذنوب، فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة، وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة، فليس المنهمكون في طاعة الله كغيرهم. قوله: [هي النظرة إليه تعالى] هذا قول جمهور الصحابة والتابعين، وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الأكبر، وقيل مضاعفة الحسنات، وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، ولكن القول الأول هو الذي عليه المعول، لأن النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك، ويدل له ما ورد «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما يعطون شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زاد في رواية: ثم تلا ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾. واعلم أن الناس جميعاً في الجنة ينظرون إليه سبحانه وتعالى في مثل يوم الجمعة من الأسبوع، وفي مثل يوم العيد من السنة، وهذه هي الرؤية العامة لجميع أهل الجنة، وللخواص مراتب متفاوتة، فمنهم من يراه في كل صباح ومساء، ومنهم من يراه في مثل أوقات الصلوات الخمس، ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبداً لما قيل: إن لله رجالاً لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين، لتمنوا الخروج من الجنة.

قوله: ﴿ولا يرهق﴾ الجملة مستأنفة. قوله: [سواد] أي وغبار، فأهل الجنة بيض الوجوه في غاية من البسط والجمال، فلا يتعتريهم نكد ولا كدر، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾. قوله: ﴿أولئك﴾ أي المحدث عنهم أن لهم الحسنى وزيادة. قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ أي لا يخرجون منها أبداً. قوله: ﴿والذين كسبوا السيئات﴾ شروع في ذكر صفات أهل النار، إثر ذكر صفات أهل الجنة. قوله: [عطف على الذين أحسنوا] أي ويكون فيه العطف على معمولي عاملين مختلفين، لأن ﴿الذين﴾ معطوف على ﴿الذين﴾ الأول، والعامل فيه المبتدأ الذي هو الحسنى، وقوله: ﴿جزاء سيئة﴾ معطوف على ﴿الحسنى﴾ والعامل فيه الابتداء، وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين، ولذا حاول بعضهم إعراب الآية، حتى ذكر فيه سبعة أوجه، أحسنها أن قوله: ﴿الذين﴾ مبتدأ أول، و﴿جزاء سيئة﴾ مبتدأ ثان، و﴿بمثلها﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، والباء زائدة، ويدل لزيادتها قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾. قوله: ﴿بمثلها﴾ أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات، فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيئات جزاؤها مثلها، عدلاً منه سبحانه وتعالى، قال صاحب الجوهرة: فالسيئات عنده بالمثل، والحسنات ضوعفت بالفضل.

قوله: ﴿وترهقهم ذلة﴾ أي يغشاهم الذل والكآبة. قوله: ﴿ما لهم من الله﴾ أي من عذابه وسخطه. قوله: ﴿كأنما أغشيت﴾ أي غطيت. قوله: [وإسكانها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على الأولى كأن أجزاء الليل غطتهم

ٱلَّيْلِ مُظْلِماً أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٧ **وَ** ﴿ : اذكر ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ**﴾ : أي الخلق ﴿**جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ**﴾ نصب بـ ﴿الزموا﴾ مقدراً ﴿**أَنتُمْ**﴾ : تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿**وَشُرَكَاؤُكُمْ**﴾ : أي الأصنام ﴿**فَزَيَّلْنَا**﴾ : ميزنا ﴿**بَيْنَهُمْ**﴾ : وبين المجرمين كما في آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴿**وَقَالَ**﴾ : لهم ﴿**شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ**﴾ ٢٨ : ما نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿**فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن**﴾ : مخففة أي أنا ﴿**كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**﴾ ٢٩ ﴿**هُنَالِكَ**﴾ : أي ذلك اليوم ﴿**تَبْلُوا**﴾ : من البلوى وفي قراءة بتاءين من التلاوة ﴿**كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ**﴾ : قدمت من العمل ﴿**وَرُدُّوا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ**﴾ : الثابت الدائم

وليستهم، وعلى الثانية: كأنّ جزءاً من الليل غشيهم وغطى وجوههم، وهذه الآية الاخرى، وهي قوله تعالى: ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة**﴾ وما مشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال في تفسيره، وقيل هو سواد الليل، وقيل هو ظلمة آخر الليل. قوله: ﴿**مظلماً**﴾ حال من الليل. قوله: ﴿**أولئك**﴾ أي الموصوفون بما ذكر. قوله: ﴿**أصحاب النار**﴾ أي المستحقون لها. قوله: ﴿**هم فيها خالدن**﴾ أي ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد.

قوله: ﴿**ويوم نحشرهم**﴾ شروع في ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم، إثر بيان أصحاب النار، و﴿**يوم**﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [**اذكر**] قوله: [**نصب بالزموا**] أي على أنه مفعول به، والمعنى الزموا هذا المكان ولا تبرحوا عنه، أو ظرف يجعل الزموا بمعنى قفوا. قوله: [**تأكيد للضمير المستتر**] أي الذي هو الواو، وتسميته مستتراً فيه مسامحة، إذ الواو من الضمائر البارزة، وقد يجاب بأن المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل. قوله: [**المقدر**] أي الذي هو الزموا، والإخبار بهذا الأمر للتهديد يصدر من الله على لسان ملك لا مباشرة لقوله تعالى: ﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة**﴾.

قوله: ﴿**فزيلنا**﴾ من التزييل وهو التفريق والتمييز، يقال زيل ضأنك من معزك أي فرق بينها وميز هذا من هذا، ووزنه فعّل بالتضعيف، فهو من باب ذوات الياء، أو فيعل وأصله زيول، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وادغمت في الياء فهو من باب ذوات الواو. قوله: ﴿**بينهم**﴾ [**وبين المؤمنين**] هكذا فهم المفسر، وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه، وقيل ميزنا بينهم وبين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وهو الأقرب لأن الكلام فيه.

قوله: ﴿**وقال شركاؤهم**﴾ إنما أضيفت الشركاء لهم، لأنهم اتخذوها شركاء لله في العبادة. قوله: ﴿**ما كنتم إيانا تعبدون**﴾ قال مجاهد: تكون في القيامة ساعة فيها شدة، تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فتقول الآلهة: والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا، فيقولون: والله إياكم كنا نعبد، فتقول الآلهة لهم: ﴿**فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين**﴾. قوله: [**للفاصلة**] أي تناسب رؤوس الآية. قوله: ﴿**لغافلين**﴾ أي لا علم لنا بذلك. قوله: ﴿**هنالك**﴾ إشارة للمكان البعيد، وهو الموقف الذي يدهش العقول. قوله: ﴿**تبلو**﴾ أي تختبر وتعلم. قوله: [**وفي قراءة**] أي وهي سبعية أيضاً من التلاوة، أي تقرأ ما أسلفته وقدمته، فتجده مسطراً في صحف الملائكة. قال تعالى: ﴿**ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك**﴾، أو من التلو، أي تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها، وفي قراءة أيضاً نبلو بالنون بعدها باء موحدة، أم نختبر نحن، وكل بالنصب مفعول به عليها وهي شاذة. قوله: ﴿**وردوا**﴾ أي المشركون. قوله: [**الثابت الدائم**] أي الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٣٠: عليه من الشركاء ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾: بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾: بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾: بمعنى الأسماع أي خلقها ﴿وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿اللَّهُ فَقُلْ﴾: لهم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ٣١: فتؤمنون ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾: الفعال لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾: الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: استفهام تقرير أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ﴾: كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ ٣٢: عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: كفروا

قوله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ أي غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق، فلا ينافي أنهم معهم في النار، وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له: ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ الآية، فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص قلبه من الوهم الذي يلجئه إلى الاعتماد على غير الله، من جاه أو مال أو علم، أو عمل أو غير ذلك، ليرى الحق حقاً، والباطل باطلاً، فيتبع الحق، ويجتنب الباطل. وبهذا الأمر يتبين الولي من العامي. فالولي يرى الأشياء كلها ظاهراً وباطناً من الله، فهو دائماً مطمئن ساكن مسلم لله في كل ما يفعله، والعامي يعتقد ذلك بقلبه، غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضراً أو نفعاً، فيكون دائماً في تعب ونصب، وقد أشار العارف لذلك بقوله:

ومـا الخلق في التمثـال إلا كثلجة — لهـا صورة لكن تبدت عن المـاء
فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده — تبدى بتوصف الثلج من غير إخفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل — تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

قوله: ﴿قل﴾ [لكم] ﴿من يرزقكم﴾ الخ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ، أن يقيم الحجة على المشركين، ويبطل ما هم عليه من الإشراك، بأسئلة ثمانية، أجاب المشركون عن الخمسة الأولى، وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به، وقد صرح به المفسر. قوله: ﴿من السماء والأرض﴾ أي رزقاً مبتدأ من السماء والأرض. قوله: [بالمطر] أي فهو سبب لإخراج نبات الأرض، فصح كون الرزق من السماء.

قوله: ﴿أمن يملك السمع﴾ أي يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة، إذ هو معرض للزوال، لولا حفظ الله ما ثبت. قوله: [بمعنى الاسماع] إنما قال ذلك ليوافق الأبصار. قوله: ﴿والأبصار﴾ جمع بصر، والمعنى أن الله تعالى هو الخالق للأبصار، الواضع للنور فيها، الذي به الإبصار، وهو الحافظ له. قوله: ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ الخ تقدم أن المراد بالحي الإنسان والطير، وبالميت النطفة والبيضة. قوله: ﴿ومن يدبر الأمر﴾ عطف عام على خاص، لأن تدبير الأمر عام في كل شيء.

قوله: ﴿فسيقولون الله﴾ أي جواباً لمن تقدم. قوله: ﴿أفلا تتقون﴾ أي أدمتم على الشرك فلا تتقونه، ويؤخذ من هذا أن المعرفة ليست هي الإيمان، إذ لو كانت هي الإيمان، لكان إقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الأشياء توحيداً وإيماناً، بل الإيمان هو حديث النفس التابع للمعرفة، أي قول النفس: آمنت وصدقت على التحقيق. قوله: [الثابت] أي الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: [استفهام تقرير] المناسب إنكار بدليل قوله [أي ليس بعده غيره]. قوله: [وقع في الضلال] أي الباطل وهو الشرك، لأنه لا واسطة بين الحق والباطل. قوله: ﴿فأنى تصرفون﴾ أي تمنعون، وهو استفهام تعجبي.

قوله: ﴿كذلك﴾ الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف، والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به

وهي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية أو هي ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٣٣ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ٣٤: تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾: يهتدي ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾: أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ٣٥: هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾: في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾: حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

﴿حقت﴾ الخ. قوله: [وهي] ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي فالمراد نفذ القضاء والقدر، بأن جهنم تمتلىء من الجن والإنس، حتى تقول قط قط. قوله: [وهي] ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ أو لتنويع الخلاف، أي فالمراد بكلمة الله على هذا القول، نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم. قوله: ﴿قل هل من شركائكم﴾ الخ. هذا هو السؤال السادس. قوله: ﴿من يبدأ﴾ أي ينشىء الخلق من العدم. قوله: ﴿ثم يعيده﴾ أي الخلق في القيامة للحساب والجزاء، وإنما لم يجيبوا عن هذا السؤال، وتولى الله الجواب عنه، لأنهم منكرون للبعث، فلو أجابوا لكان ذلك إقراراً منهم بالبعث، وصح أن يكون حجة عليهم، لقيام الأدلة والبراهين عليه، فلا يستطيعون أن ينازعوا في ذلك.

﴿قل هل من شركائكم﴾ هذا هو السؤال السابع. والمعنى: هل من شركائكم من يقيم الحجج، ويرسل الرسل، ويوفق العبيد لرشادهم؟ ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضاً. قوله: ﴿قل الله يهدي للحق﴾ أي فهو أحق بالاتباع، لا هذه الأصنام التي لا تهتدي بنفسها. قوله: ﴿أفمن يهدي إلى الحق﴾ هذا هو السؤال الثامن، وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الأول [أحق]. قوله: ﴿أحق أن يتبع﴾ خبر قوله ﴿أفمن يهدي﴾ والمعنى: أفمن يهدي إلى الحق حقيق بالاتباع، أم من لا يهدي إليه. قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ أصله يهتدي، نقلت فتحة التاء إلى الهاء، وأبدلت التاء دالاً، وادغمت في الدال، ويهدي بفتح الهاء وكسرها، وبكسر الياء والهاء معاً، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين، وكسر الياء اتباعاً لكسر الهاء.

قوله: ﴿إلا أن يهدى﴾ استثناء من أعم الأحوال. والمعنى لا يهتدي في حال من الأحوال، إلا في حال إهداء الغير إياه. ومعنى هداية الأصنام، كونها تنقل من مكان لآخر، فالمعنى لا تنتقل من مكان لآخر، إلا أن تحمل وتنقل، وهذا ظاهر في الأصنام، وأما مثل عيسى والعزير، فمن لا يهدي لا يخلق الهدى، لا في نفسه ولا في غيره، فالخلق كلهم عاجزون، إذ لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن غيرهم. قوله: ﴿فما لكم﴾ أي أي شيء ثبت لكم في هذه الحالة؟ قوله: ﴿كيف تحكمون﴾ أي بالباطل، وتجعلون لله شركاء.

قوله: ﴿وما يتبع أكثرهم﴾ يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال، غير أنهم يكفرون عناداً. قوله: [حيث قلدوا فيه آباءهم] أي فقالوا ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾. قوله: ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ المراد بالظن خلاف التحقيق، فيشمل الشك والوهم، وهذا الكلام في حق الكفار، الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلدوهم فيه، فلا عذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى، وأما المؤمن الخالص، الذي امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد، وقلد العارف فيه، فليس من هذا القبيل، بل هو مؤمن جزماً لأنه ليس عنده ظن، بل جزم مطابق للواقع، وربما إن دام على الصدق، ومتابعة من يقلده، يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده، وأما القول بأنه كافر، فإنما يعرف لأبي هاشم الجبائي من المعتزلة، فلا يعول عليه. قوله: ﴿إن

﴿يَفْعَلُونَ﴾٣٦: فيجازيهم عليه ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾: أي افتراء ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿وَلَٰكِن﴾: أنزل ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَابِ﴾٣٧: تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾: متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ تصديق وتفصيل بتقدير هو ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ﴾: اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾: في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُوا۟﴾: للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿إِن كُنتُم

الله عليم بما يفعلون﴾ هذا تهديد لهم، على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة.

قوله: ﴿وما كان هذا القرآن﴾ المقصود من هذا الكلام، الرد على من كذب القرآن، وزعم أنه ليس من عند الله، والمعنى: لا ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل، لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين، وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه، ولا أحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعاً لكونه في أعلى طبقات البلاغة، ولذلك قال صاحب الهمزية:

أعجز الإنس آية منه والجن فهلا أتى به البلغاء

إلى أن قال:

سور منه أشبهت صوراً منا ومثل النظائر النظراء

قوله: [أي افتراء] أشار بذلك إلى أن خبر كان ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر. قوله: ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ هذا الاستدراك وقع أحسن موقع، لأنه وقع بين نقيضين: الكذب والصدق، وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة، والتقدير ولكن مكان تصديق الخ، أو مفعول لأجله بفعل محذوف، قدره المفسر بقوله [أنزل]، و﴿تصديق﴾ بمعنى مصدق، أو بولغ فيه، حتى جعل نفس التصديق على حد زيد عدل، وكذا يقال في قوله: ﴿وتفصيل الكتاب﴾. قوله: [من الكتب] أي السماوية المنزلة على الأنبياء.

قوله: ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي مفصل لما في الكتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالقرآن مفصل لما كتب في اللوح المحفوظ، من علم ما كان وما يكون، وما هو كائن في الدنيا والآخرة، فمن أعطي شيئاً من أسرار القرآن، فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ، بل يأخذ منه ما أراده. قوله: [وغيرها] أي المغيبات. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ حال من التصديق والتفصيل، وهذا هو الأظهر. قوله: [متعلق بتصديق أو بأنزل] أي يكون قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ معترضاً بين المتعلق والمتعلق. قوله: [وقرئ] أي شاذاً. قوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ أم منقطعة وتفسر ببل والهمزة، والمعنى أنهم أصروا على تلك المقالة، ولم يذعنوا للحق. قوله: [اختلقه محمد] أي افتعله وليس من عند الله.

قوله: ﴿قل فأتوا بسورة﴾ هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة، وهي جواب شرط مقدر، والتقدير إن كان الأمر كما تزعمون، فأتوا بسورة مثله. واعلم أن مراتب تحدي رسول الله ﷺ بالقرآن أربعة: أولها: أنه تحداهم بجميع القرآن. قال تعالى: ﴿ولئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾. ثانيها: أنه تحداهم بعشر سور. قال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ ثالثها: أنه تحداهم بسورة واحدة. قال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾. رابعها: أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾. قوله: ﴿من استطعتم من دون الله﴾ أي من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فأتوا بسورة وادعوا، الخ.

﴿صَادِقِينَ﴾ ٣٨: في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: أي القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾: التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ٣٩ بتكذيب الرسل أي آخرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿وَمِنْهُم﴾: أي أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾: لعلم الله ذلك منه ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ٤٠: تهديد لهم ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾: لهم ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: أي لكل جزاء عمله ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٤١: وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾: شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾: مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٤٢: يتدبرون ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ٤٣: شبههم بهم في عدم

قوله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أي بفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة، فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه، وجهلهم بفضله، ففي المثل: من جهل شيئاً عاداه، وقال البوصيري:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

قوله: ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أي لم ينزل بهم الوعيد، فيحملهم على التصديق قهراً، فتكذيبهم لأمرين جهلهم بفضله، وعدم إتيان الوعيد لهم. قوله: [من الوعيد] وهو العذاب الموعود به. قوله: ﴿كذلك﴾ [التكذيب] أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى مثل، نعت لمصدر محذوف، أي مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم. قوله: [فكذلك نهلك هؤلاء] أي بأن نسلطكم عليهم لتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف والمسخ مثلاً، فإن ذلك مرفوع ببركته ﷺ.

قوله: ﴿ومنهم﴾ أي من أهل مكة المكذبين. قوله: ﴿من يؤمن به﴾ أي في المستقبل، والمعنى أن أهل مكة المكذبين للقرآن اقتسموا قسمين: قسم آمن بعد، وقسم لم يؤمن. قوله: ﴿وإن كذبوك﴾ أي داموا على تكذيبك. قوله: [أي لكل جزاء عمله] أي جزاء ما عمله من خير أو شر. قوله: [وهذا منسوخ بآية السيف] أي فبعد نزولها لم يقل ذلك، وفيه أن شرط الناسخ أن يكون رافعاً لحكم المنسوخ، ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف، إذ مدلول هذه الآية إختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر، وهذا حاصل مطلقاً، فالوجه أنه لا نسخ في هذه الآية.

قوله: ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ أي من كفار مكة المكذبين للقرآن، فريق يصغون إلى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم، فلا تطمع في إيمانهم لوجود الختم على قلوبهم، فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه، وفي هذا تسلية له ﷺ، كأن الله يقول له لا تحزن على عدم إيمانهم، فإنك لا تقدر أن تسمع الصم، ولو كانوا لا يعقلون.

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، المعنى أنت لا تقدر أن تسمع من سلبه الله السمع. قوله: [شبههم] أي الكفار، وقوله: [بهم] أي بالصم، وقوله: [في عدم الانتفاع] هذا هو وجه الشبه، أي فكما أن معدم السمع لا ينتفع بالأصوات، فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن، لوجود الحجاب على قلوبهم. قوله: ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي لو كان مع الصمم عدم العقل، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم إن عقلوا، بل ولو كانوا لا يعقلون، فأنت لا تسمعهم، فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم عقلوا أو لم يعقلوا، فهم كالأنعام بل هم أضل.

قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي يبصرك بعينه. قوله: ﴿أفأنت تهدي العمي﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله. قوله:

الإهتداء بل أعظم فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن﴾: أي كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾: في الدنيا أو القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾: لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ٤٥ وَإِمَّا﴾: فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: مطلع

﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي لا يتأملون ولا يتفكرون بقلوبهم، فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة، والمعنى أنت لا تهدي عمي القلوب، أبصروا أو لم يبصروا. قوله: [بل أعظم] أي لأنهم عدموا البصيرة، والمشبه بهم عدموا البصر، وفقد البصيرة أعظم في الضرر من فقد البصر. قوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر، وتعذيبهم على عدم الهدى ظلم، فدفع ذلك بأن الظلم هو التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى، فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه، لأنه هو المالك الحقيقي، وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء. قوله: ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ إنما قال ذلك، لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب الاختياري، فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقي على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختياري. فإن قيل: هو الخالق لذلك الكسب. يقال: لا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿ويوم نحشرهم﴾ أي نجمعهم للحساب، والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث، والمعنى ويوم نجمع المشركين في القيامة، ويعرف بعضهم بعضاً، حال كونهم في وقت حشرهم، مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمناً قليلاً من النهار. قوله: [لهول ما رأوا] أي فبسبب ذلك، يعد الزمن السابق عليه يسيراً، وإن كان في نفسه طويلاً. قوله: [حال من الضمير] أي في ﴿نحشرهم﴾ قوله: [إذا بعثوا] دفع بذلك ما يقال: إن هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم. وحاصل الجواب: أنهم يتعارفون أولاً، فإذا اشتد الهول نسي بعضهم بعضاً. قوله: [والجملة حال] أي من الواو في ﴿يلبثوا﴾ أو من الضمير ﴿في نحشرهم﴾ وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر. قوله: [أو متعلق الظرف] أي فهو معمول له، والتقدير يتعارفون وقت حشرهم. قوله: ﴿قد خسر الذين كذبوا﴾ هذا إخبار من الله بحالهم الشنيع. قوله: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ معطوف على جملة ﴿قد خسروا﴾ المعنى وما كانوا واصلين للجنة أبداً.

قوله: ﴿وإما نرينك﴾ هذا تسلية له ﷺ، كأن الله يقول له: لا تحزن، فإما نرينك عقوبتهم في حياتك، أو نؤخرهم إلى يوم القيامة، فهم لا يفلتون من عذابنا على كل حال، فاصبر ولا تضق، فإن الأمر لنا فيهم. قوله: [فذاك] أي هو المراد، وقد حصل ذلك؛ بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه، بسبب تسليمة الأمر فيهم لمالكهم، وهكذا يفعل الله بالظالم، إذا سلم المظلوم أمره لسيده، ولم يعترض على افعاله، وصبر على أحكامه، فبهذا ينال رضا الله، ويظفر بمطلوبه ممن ظلمه. وفي هذا المعنى قلت:

أرح قلبك العاني وسلم له القضا ... تفز بالرضا فالأصل لا يتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة ... إيمان وتسليم وصبر مجمل

قوله: ﴿فإلينا مرجعهم﴾ هذا هو جواب الشرط. قوله: ﴿ثم الله شهيد﴾ ثم لترتيب الأخبار، لا للترتيب الزماني.

﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤٦: من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: إليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل فيعذبوا وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ٤٧: بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: للعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨: فيه ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾: أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٤٩: يتقدمون عليه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾: أي الله ﴿بَيَاتًا﴾: ليلا ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾: أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾: أي العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٠: المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك إذا أتيتك ماذا تعطيني والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: حل بكم ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾: أي الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم ﴿آلْآنَ﴾: تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥١: استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ

قوله: ﴿رسول﴾ أي أرسله الله لهم. قوله: [فكذبوه] قدره إشارة إلى أن قوله ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ مرتب على محذوف لا على قوله: ﴿فإذا جاء رسولهم﴾. قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي لأن تعذيبهم بسبب كسبهم، لما تقدم أن الرحمة تأتي من غير سابقة تقتضيها، وأما العذاب فلا بد وأن يكون بسبب فعل يقتضيه. قوله: ﴿ويقولون﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿متى هذا الوعد﴾ أي الذي تعدنا به، وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية. قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ خطاب للنبي والمؤمنين.

قوله: ﴿قل لا أملك لنفسي ضراً﴾ الخ. أي لا أستطيع أن أدفع الضر، إن أراد الله نزوله بي، ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عني. قوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ يحتمل أن يكون متصلاً، والتقدير إلا ما شاء الله أن أملكه وأقدر عليه، أو منقطعاً، والتقدير لكن ما شاء الله من ذلك فإني أملك لكم الضر وأجلب العذاب.

قوله: ﴿لكل أمة أجل﴾ هذا من جملة ما أجابهم به، والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لا تتعداه، فلا معنى لاستعجالكم العذاب. قوله: [يتأخرون] الخ. أشار بذلك إلى أن السين في ﴿يستأخرون﴾ و﴿يستقدمون﴾ زائدة، والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذي قدره الله لكل أمة، فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه إن لم يجيء. إن قلت: ورد أن الصدقة تزيد في العمر. فالجواب: أن المراد بالزيادة البركة، لأن الأجل الذي سبق في علم الله لا يتغير.

قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ أي قل للذين يستعجلون العذاب. قوله: [موضع المضمر] أي وهو الواو التي مع تاء المخاطب، والتقدير ماذا تستعجلون، وعدل عنه لأجل الوصف بالاجرام تبكيتاً عليهم. قوله: [وجملة الاستفهام جواب الشرط] أي تقدير الفاء، لأن الجملة اسمية. قوله: [والمراد به] أي الاستفهام. قوله: [لإنكار التأخير] أي المستفاد من ثم، والتقدير أأخرتم ثم آمنتم به إذا وقع. والمعنى لا ينبغي هذا التأخير، لأن الإيمان في هذه الحالة غير نافع.

قوله: ﴿آلآن﴾ منصوب على الظرفية، والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله: [تؤمنون] والفعل المقدر معمول على إضمار القول، وهو يقال لكم آلآن بهمزتين، الأولى همزة الاستفهام، والثانية همزة أل المعرفة، فإذا اجتمعت هاتان الهمزتان وجب في الثانية، إما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات، وهما قراءتان سبعيتان، وقد وقع ذلك في القرآن في ستة مواضع: اثنان في الأنعام ﴿آلذكرين﴾ مرتين، وثلاثة في هذه السورة ﴿آلآن﴾ مرتين، و﴿آلله أذن لكم﴾، وواحد

﴿الْخُلْدِ﴾: أي الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾: ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾: جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾٥٢ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾: يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾٥٣: بفائتين العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: كفرت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: جميعاً من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾: من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾: على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾٥٤ شيئاً ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾: ثابت

في النمل ﴿الله خير﴾، وأما تحقيق الهمزتين فلا يجوز. قوله: ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿آلآن﴾. قوله: [استهزاء] أي تستعجلون على سبيل الاستهزاء.

قوله: ﴿ثم قيل للذين ظلموا﴾ إخبار عما يقع لهم في القيامة. قوله: ﴿هل تجزون﴾ الواو نائب الفاعل مفعول أول، وقوله: ﴿بما تكسبون﴾ مفعول ثان، وقوله ﴿إلا﴾ [جزاء] مفعول مطلق لتجزون. والمعنى لا تجزون إلا الجزاء الذي كنتم تكسبونه من الكفر والتكفير. قوله: ﴿ويستنبئونك﴾ السين والتاء للطلب، والمعنى يسألونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب: أحق هو؟ الخ ﴿ويستنبئونك﴾ فعل مضارع، والواو فاعل، والكاف مفعول أول، وجملة ﴿أحق هو﴾ في محل المفعول الثاني، وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس، أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر، والشرط موجود، وهو اعتماد المبتدإ على الاستفهام.

قوله: ﴿إي وربي﴾ الخ. هذا أمر من الله لرسوله بأن يجيبهم بثلاثة أشياء: ﴿إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾. قوله: [نعم] أشار المفسر بذلك إلى أن ﴿إي﴾ من أحرف الجواب، ولكنها مختصة بالقسم لا تستعمل في غيره، ومنه قول الناس إي والله، وقولهم إيوه فالواو للقسم، والهاء مأخوذة من الله، ويحتمل أن الهاء للسكت، والمقسم به محذوف للعلم به، تقديره إي والله، وهذا هو الأقرب لأن تقطيع اسم الجلالة غير لائق. قوله: ﴿إنه لحق﴾ جواب القسم. قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ يصح أن يكون معطوفاً على إي، فيكون من جملة مقول القول، ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطاباً من الله لهم، وليس من جملة مقول القول، وما يحتمل أنها حجازية، فاسمها الضمير، وبمعجزين خبرها، أو تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر. قوله: [بفائتين العذاب] أي فارين منه، بل هو مدرككم لا محالة.

قوله: ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ الخ. المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفتدي به، وهو جميع ما في الأرض. قوله: [كفرت] أي وماتت على كفرها. قوله: ﴿لافتدت به﴾ أي لجعلته فداء لها من العذاب، لكنه لا يحصل ذلك. قوله: ﴿وأسروا الندامة﴾ الضمير عائد على الرؤساء، والإسرار على حقيقته. والمعنى أن الرؤساء حين يرون العذاب يخفون الندامة خوف التعيير، وهذا ما مشى عليه المفسر، وقيل إن أسروا بمعنى أظهروا، من تسمية الأضداد، ولعل هذا هو الأقرب. قال تعالى: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله﴾ الآية.

قوله: ﴿لما رأوا العذاب﴾ ظرف لأسروا بمعنى حين، أو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه. قوله: [مخافة التعيير] أي التوبيخ الواقع من الأتباع لهم. قوله: [بين الخلائق] أي فيقضي للمسلمين بالجنة، وللكفار بالنار، ويصح أن يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين. قوله: [العدل] أي وهو عدم الجور والظلم. قوله: ﴿ألا﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها للاعتناء بما بعدها، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تتمنى أنها لو تملك ما في الأرض

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٥٥: ذلك ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٥٦: في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءٌ﴾: دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾: من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾: من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٧: به ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾: الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾: القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾: الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ

لافتدت به، بيّن هنا أنه لا يملك ذلك لعدم ملكها، فإن لله ما في السموات والأرض. قوله: ﴿ألا إن وعد الله حق﴾ أي لا محيص عنه، بل هو واقع ولا بد.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك، والتعبير بأكثر، إشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك، وهو واحد من ألف لما تقدم في الحديث «يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك، فيخرج من كل ألف واحداً للجنة والباقي للنار». قوله: [فيجازيكم بأعمالكم] أي خيرها وشرها. قوله: [أي أهل مكة] أشار بذلك إلى أن الخطاب لهم، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿موعظة﴾ مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال، وزجر عما يضر من قبائحها.

قوله: ﴿من ربكم﴾ صفة لموعظة، وفي هذا تنزل من الله لعباده، كأن الله يقول: الفداء في الآخرة لا ينفع، وأما في الدنيا فذلك نافع. قوله: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ المراد بها القلوب، من باب تسمية الحال باسم المحل، والمعنى أن القرآن مذكر وواعظ، وبه الشفاء لما في القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة. قوله: ﴿وهدى﴾ أي نور يقذف في قلوب الكاملين، يميزون به الحق والباطل، وفي هذه الآية إشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة، فأشار للشريعة بقوله: ﴿موعظة من ربكم﴾ لأن الشريعة بها تطهير الظواهر، وأشار للطريقة بقوله: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لا ينبغي، وأشار للحقيقة بقوله: ﴿وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ لأن بالحقيقة التجلي بالأنوار الساطعة في القلوب التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه، فعند ذلك يرى الله في كل شيء، وأقرب إليه من كل شيء، علماً ذوقياً، لا علماً يقينياً، فالحقيقة ثمرة الطريقة ولا تحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة، ولذا قيل: حقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة.

قوله: ﴿قل بفضل الله﴾ الخ، متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده، والأصل ليفرحوا ﴿بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة الحصر، ثم دخلت الفاء لإفادة السببية، والمعنى أن من اتصف بهذه الصفات المتقدمة، ينبغي له أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه، ويجود بروحه وجسمه في خدمة ربه ولا يتوانى، فمن قذف الله في قلبه نور محبته، فالواجب عليه إفناء جسمه في خدمته، كي يتم له ذلك النور ويزداد السرور، وهذه المحبة هي التي يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والحميا، لأن بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى، قال العارف رضي الله عنه:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف:

ولا تنظر لجسمي يا عذولي ... فإن الجسم مطلوبي سلاه
ولا تنكر شراب حمى قلبي ... فإن القلب محبوبي سقاه

﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ٥٨: من الدنيا بالياء والتاء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾: خلق ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً﴾: كالبحيرة والسائبة والميتة ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في ذلك بالتحليل والتحريم لا ﴿أَمْ﴾: بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ٥٩: تكذبون بنسبة ذلك إليه ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: أي أيُّ شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾: أيحسبون أنه لا يعاقبهم لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٦٠ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾: يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾: أي من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾: أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾: خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾: رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾:

وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة:

فتلك خمر الشهود تدعى لا خمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا لنفتنهم فيه﴾، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل محبته، وأن يحشرنا في زمرة أهل قربه ومودته. قوله: ﴿هو خير مما يجمعون﴾ أي من الدنيا وزخارفها وأبهمها إشارة إلى أنها خسيسة لا تساوي جناح بعوضة. قوله: [بالياء والتاء] راجع لقوله: ﴿يجمعون﴾ وأما ﴿فليفرحوا﴾ فالتاء عشرية والياء سبعية. قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿أرأيتم﴾ بمعنى [أخبروني] وحينئذ فتنصب مفعولين: الأول الموصول وصلته، والثاني جملة ﴿الله أذن لكم﴾ و﴿قل﴾ تأكيد للأولى، وليست من جملة المفعول الثاني. قوله: [كالبحيرة والسائبة] مثالان للحرام، وتقدم أن البحائر والسوائب نعم يوقفونها على الأصنام، يحرمون ظهورها ونتاجها وألبانها ولحومها، وقوله: [والميتة] مثال للحلال. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿أم﴾ [بل] أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى [بل] ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة، والمعنى أخبروني أحصل إذن من الله لكم، أم ذلك افتراء منكم وكذب، فهو استفهام لطلب التعيين وهو الأولى.

قوله: ﴿وما ظن الذين﴾ ﴿ما﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿ظن﴾ خبره، و﴿يوم﴾ ظرف متعلق بظن، والمعنى أي شيء ظنهم بالله يوم القيامة. قوله: [أيحسبون] الخ قدر المفسر هذه الجملة، إشارة إلى أن مفعولي الظن محذوفان، فهذه الجملة سدت مسدهما. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري، أي لا ينبغي هذا الظن، ولا يليق ولا ينفع، وأما قوله في الحديث "أنا عند ظن عبدي بي" فذلك في حق المؤمن، فظن الخير بالله ينفع المؤمن، وأما الكافر فلا ينفعه ذلك ما دام على كفره. قوله: ﴿لذو فضل على الناس﴾ أي الطائع منهم والعاصي، وذلك في الدنيا، فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى، بل هي ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر. قوله: [بإمهالهم] أي تأخير عذابهم. قوله: [والإنعام عليهم] أي بأنواع النعم، كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك. قوله: ﴿لا يشكرون﴾ أي لا يصرفون النعم في مصارفها، وحينئذ فلا تنفعهم تلك النعم، إلا إذا صحبها الإيمان والشكر، فإن عدموا الإيمان صارت النعم نقماً، وقوله: ﴿ولكن أكثرهم﴾ يفيد أن القليل هو الشاكر وهو كذلك. قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾.

قوله: ﴿وما تتلوا منه﴾ الضمير إما عائد على الشأن أو على الله، كما قال المفسر. فعلى الأول تكون من للتعليل، وعلى الثاني تكون ابتدائية، وقوله: ﴿من قرآن﴾ من صلة، والمعنى وما تتلوا من أجل هذا الشأن قرآنا، أو وما تتلوا قرآناً مبتدأ وصادراً من الله. قوله: ﴿إلا كنا عليكم شهودا﴾ استثناء من أعم الأحوال، والمعنى ما تتلبسون بشيء من هذه الثلاثة في حال من الأحوال، إلا في حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له. إذا علمت ذلك، فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير في فيه لكل من الثلاثة، وقد يجاب بأنه أعاده على الفعل لعمومه وشموله لباقي الثلاثة.

تأخذون ﴿فِيهِ﴾: أي العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [٦١]: بين هو اللوح المحفوظ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ

قوله: ﴿إذ تفيضون﴾ ظرف لقوله شهوداً. قوله: ﴿وما يعزب﴾ بضم الزاي وكسرها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿عن ربك﴾ أي عن علمه. قوله: [أصغر نملة] وقيل هو الهباء، وقيل أصغر بعوضة. قوله: ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ أي في سائر الموجودات، وعبّر عنه في السماء والأرض لمشاهدة الخلق لهما. واعلم أن عالم الملك ما يشاهده الخلق، كالأرض وما حوته، وما ظهر من السماء، وعالم الملكوت ما لا يشاهد، كما فوق السماء من العرش والكرسي والملائكة وغير ذلك، وعالم الجبروت هو عالم الأسرار، وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه، كعلم ذاته وصفاته ومراداته.

قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان، فالرفع إما على الابتداء والخبر، أو على أن ﴿لا﴾ عاملة عمل ليس، والخبر على كلا الإعرابين قوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها، والنصب على أنها عاملة عمل إن، لأن أصغر وأكبر شبيهان بالمضاف، تعلق بهما شيء من تمام معناهما، وهو العمل في الجار والمجرور، وهاتان القراءتان هنا فقط، وأما في سبأ فالرفع باتفاق السبعة.

قوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ الاستثناء منقطع، والمعنى لكن جميع الأشياء في كتاب مبين، فهو استدراك على ما يتوهم نفيه لأن قوله لا يعزب عن ربك الخ. ربما يتوهم منه أنه لم يحط بها غير علم الله، فدفع ذلك بقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ أي لكن جميع الأشياء مثبتة في كتاب مبين أيضاً، ولا يصح أن يكون متصلاً، لأنه يصير المعنى لا يغيب عن علمه شيء في حال من الأحوال، إلا في حال كونه مثبتاً في كتاب مبين فيغيب، فيفيد أن ما في الكتاب غائب عن علم الله وذلك باطل، وهذا الإشكال لا يرد إلا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر، معطوفاً على مثقال، وأما إن جعل مستأنفاً كما تقرر، فلا يرد الإشكال فتأمل.

قوله: ﴿ألا﴾ أداة تنبيه، يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها، ويعتني بها لعظمه. قوله: ﴿أولياء الله﴾ جمع ولي من الولاء، وهو العز والنصر، سموا بذلك لأنهم هم المنصورون بالله المعززون به، لا يطمعون في شيء سوى القرب منه، وولي فعيل، إما بمعنى فاعل، أي متولي خدمة ربه بكل ما أمكنه، بروحه وجسمه ودنياه، أو بمعنى مفعول، أي تولى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته، فلم يكله لشيء سواه، فحيث تولى الخدمة، تولاه الله بالنعمة والنفحة، وهو سر قوله في الحديث «يا دنيا من خدمني فاخدميه» فحينئذ صار معنى الولي المنهمك في طاعة ربه، الذي أفيضت عليه الأنوار والأسرار، لما ورد «من تقرب مني شبراً، تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً، تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة» وعلامة الولي كما في الحديث «سئل رسول الله عن علامة الأولياء فقال: هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى» وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة في قلوبهم على ظواهرهم وذلك سر قوله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ وقال أبو بكر الأصم: أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم، وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه، والولي من الولاء، وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض الله عليه، ويكون مشتغلاً بالله، مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى، فإن رأى، رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع، سمع آيات الله، وإن نطق، نطق بالثناء على الله، وإن تحرك، تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله، فهذه صفات أولياء الله، وإذ كان العبد كذلك، كان الله وليه وناصره ومعينه، قال تعالى: ﴿الله ولي

اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢: في الآخرة هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٦٣: الله بامتثال أمره ونهيه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴿وَفِي

الذين آمنوا﴾. وروي عن ابن مالك الأشعري قال: «كنت عند النبي ﷺ فقال: إن لله عباداً، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال: وفي ناحية القوم أعرابي، فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال: حدثنا يا رسول الله عنهم، من هم؟ قال: فرأيت في وجه رسول الله البشرى، فقال: هم عباد من عباد الله، ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروح الله، يجعل الله وجوههم نوراً، ويجعل لهم منابر من لؤلؤة قدام الرحمن، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون». وروي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله أناساً، ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة، بمكانهم من الله، قالوا: يا رسول الله تخبرنا بأمرهم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾». وروي عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم».

قوله: ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لحفظ الله لهم في الدنيا من الأسباب التي توجب الخوف والحزن في الآخرة. قوله: [في الآخرة] أي لما في الحديث «لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس». قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ قدر المفسر [هم] إشارة إلى أن الاسم الموصول خبر لمبتدإ محذوف، وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما صفات أولياء الله؟ فأجاب: بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمان، وهو الاعتقاد الصحيح المبني على الدلائل القطعية والتقوى، وهي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع، ولذا قال القشيري: شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض، فهو مغرور مخادع، وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة: إذا لم تكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه. قوله: [فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة] الخ أي لأنه لم يبق من النبوة إلا المبشرات، وهي الرؤيا الصالحة. وفي الحديث «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». وقيل: المراد بالبشرى في الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وقيل: البشرى في الحياة الدنيا الثناء الحسن، ومحبة الخلق لهم، لما ورد عن أبي ذر: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، قال «عاجل بشرى المؤمن» وورد أيضاً «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فيقول له: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» قال بعض المحققين: إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نوراً فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه، فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع، فيحبه الناس ويثنون عليه، فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه، وقيل: البشرى في الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة، فكلما توجه العبد المحبوب لشيء من أموره قضي عاجلاً، والأحسن أن يراد بالبشرى في الدنيا جميع ما تقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله، وراحة الجسد في طاعة الله، وانشراح الصدر لذلك، وأما البشرى في الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم، قال تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: الجنة والثواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ﴾: لا خلاف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ٦٤ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: لك لست مرسلاً وغيره ﴿إِنَّ﴾ استئناف ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾: القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٦٥: بالفعل فيجازيهم وينصرك ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَآءَ﴾: له على الحقيقة تعالى عن ذلك ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أي ظنهم إنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا﴾

تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم. قوله: [لا خلف لمواعيده] أي التي وعد الله بها أولياءه وأهل طاعته، في كتابه وعلى ألسنة رسله، والمعنى لا تغيير لذلك الوعد. قوله: ﴿ذلك﴾ أي الوعد المتقدم من كونهم ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ وكون هذا الوعد لا يتغير ولا يتبدل. قوله: ﴿هو الفوز العظيم﴾ أي الظفر بالمقصود الكامل الذي لا يضاهى.

قوله: ﴿ولا يحزنك﴾ إمّا بفتح الياء وضم الزاي من باب نصر، أو بضم الياء وكسر الزاي من باب أكرم، قراءتان سبعيتان، والمعنى لا تهتم بأقوالهم ولا تحزن لها، فإن الله معزك وناصرك، وهذا تسلية له ﷺ عمّا يلقاه من أذاهم، وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود. قوله: [استئناف] أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿قولهم﴾ وقوله: ﴿إن العزة﴾ الخ كلام مستأنف من كلام الله تعالى في قوة التعليل لقوله: ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أو واقع في جواب سؤال مقدر تقديره: إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم، مع أن أقوالهم توجب الحزن، فأجاب الله تعالى: بأن العزة لله يعطيها لمن يشاء، فأقوالهم لا تفيد شيئاً، فحينئذ لا يبالي بهم ولا بقولهم.

قوله: ﴿إن العزة لله﴾ أي الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله، يخلعها على من يشاء، ولذا قال في سورة المنافقون ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾. قوله: ﴿جميعاً﴾ حال من العزة. قوله: [فيجازيهم] أي على ما قدموا من خير وشر. قوله: [وينصرك] أي على من عاداك، وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها، وتعرض له الحسّاد بالإيذاء، فيقال له لا يحزنك قولهم وغيبهم وحسدهم لأن العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد، فلا تنزعج منهم ولا تلتفت لهم. قوله: ﴿ألا﴾ أداة تنبيه. قوله: ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ من واقعة على العاقل، فالمراد بمن في السموات الملائكة، وبمن في الأرض الإنس والجن، وخصهم بالذكر لشرفهم، وليعلم أن غيرهم من باقي المخلوقات، مملوكون لله بالطريق الأولى، وهذا هو الحكمة في تعبيره في الآية الأولى بما وفي هذه الآية بمن، أو يقال في الحكمة: إن التغاير إشارة إلى أن الخلق جميعاً في قبضته، ومملوكون له سبحانه وتعالى، فإن ما مستعملة في غير العاقل كثيراً، ومن بالعكس، فأفاد أن جميع ما في السموات وما في الأرض، مملوكون له حقيقة.

قوله: ﴿وما يتبع الذين﴾ ﴿ما﴾ نافية، ﴿ويتبع﴾ فعل مضارع، و﴿الذين﴾ فاعل، و﴿يدعون﴾ صلته، و﴿دون الله﴾ متعلق بيدعون، و﴿شركاء﴾ مفعول ﴿يتبع﴾ ومفعول ﴿يدعون﴾ محذوف قدره المفسر بقوله: [أصناماً] والمعنى لا يتبع الذين يعبدون غير الله أصناماً شركاء حقيقة، فالمنفي كونها شركاء حقيقة، وأما ادعاؤهم الشركة لله فثابت، وهذا نتيجة قوله: ﴿ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض﴾ فيصير المعنى حيث ثبت أن له جميع ما في السموات وما في الأرض عقلاء وغيرهم، تحقق وثبت أنه ليس له شريك أصلاً إذ ليس شيء مما جعلوه إلهاً خارجاً عن السموات والأرض، فكيف يكون المملوك شريكاً تعالى الله عن ذلك.

قوله: ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي لأنهم مقلدون لآبائهم، حيث قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

﴿يَخْرُصُونَ﴾ ١٦٦: يكذبون في ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً﴾: إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأيَٰتٍ﴾: دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٦٧: سماع تدبر واتعاظ ﴿قَالُواْ﴾: أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾: قال تعالى لهم: ﴿سُبْحَٰنَهُ﴾: تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾: عن كل أحد وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: حجة ﴿بِهَٰذَا﴾: الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦٨: استفهام توبيخ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ ٦٩: لا يسعدون لهم ﴿مَتَٰعٌ﴾: قليل ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾: بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ وَٱتْلُ﴾: يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أي كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿نُوحٍ﴾: ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: شق ﴿عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾: لبثي فيكم

قوله: ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ هذا من حصر الموصوف في الصفة، أي ليس لهم صفة إلا الكذب، والخرص في الأصل الحزر والتخمين، والمراد منه هنا الكذب، كما أفاده المفسر. قوله: [يكذبون في ذلك] أي اتباعهم الظن. قوله: ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ هذا من جملة الأدلة القطعية، على أنه واحد لا شريك له، وفي هذه الآية احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر، فحذف من الأول وصف الليل وهو مظلماً وذكر حكمته، وحذف من الثاني الحكمة وذكر وصفه، والأصل هو الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتبتغوا وتتحركوا فيه. قوله: ﴿لتسكنوا فيه﴾ أي لتستريحوا من تعب النهار. قوله: [مجاز] أي عقلي من الاسناد للظرف.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي الجعل المذكور. قوله: ﴿لقوم يسمعون﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك. قوله: [أي اليهود] أي حيث قالوا: ﴿عزير ابن الله﴾، وقوله [والنصارى] أي قالوا: ﴿المسيح ابن الله﴾ [ومن زعم] أي وهم مشركو العرب. قوله: ﴿سبحانه﴾ أي تقدس وتنزه عن ذلك، قال تعالى: ﴿تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمـٰن أن يتخذ ولداً﴾ الآية. قوله: ﴿هو الغني﴾ أي المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، وهو دليل لما قبله.

قوله: ﴿له ما في السموات﴾ الخ دليل لقوله: ﴿هو الغني﴾. قوله: [استفهام توبيخ] أي تقريع وتهديد لهم. قوله: ﴿قل﴾ أمر من الله لنبيه ﷺ، أن ينبههم على سوء عاقبتهم، لعلهم ينزجرون عما هم عليه. قوله: [لا يسعدون] أي لا يفوزون بمطلوبهم، بل هم خائبون خاسرون، وإن تكاثرت عليهم النعم فمآلها للزوال. قوله: ﴿متاع﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: [لهم] وحينئذ فالوقف على قوله: ﴿لا يفلحون﴾ وهذا جواب عما يقال: إنا نراهم في حظوظ كثيرة، وسعة عيش وسلامة بدن، وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية، فدفع ذلك بقوله: ﴿متاع﴾ [قليل] فلا يستمر، وليس بنافع في الآخرة. قوله: ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي بسبب كفرهم.

قوله: ﴿واتل عليهم﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى، أحوال كفار قريش، وما كانوا عليه من القبائح، وما وعظهم الله به على لسانه ﷺ، شرع في ذكر ما وقع للأنبياء مع أممهم، ليكون ذلك تسلية له ﷺ، وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون. قوله: ﴿نبأ نوح﴾ أي بعض نبئه إذ لم يذكر جميع خبره، وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن إدريس ونوح لقبه، وبينه وبين إدريس ألف سنة، وقدم قصة قوم نوح لأنهم أول الأمم هلاكاً، وأشدهم كفراً. قوله: ﴿كبر﴾ بضم

﴿وَتَذْكِيرِي﴾: وعظي إياكم ﴿بِآيَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾: اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: مستوراً بل أظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾: امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ٧١: تمهلون فإني لست مبالياً بكم ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: ثواب عليه فتولوا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٢ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: أي من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: في الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا

الباء في المعاني، وأما في الأجسام فهو بكسر الباء. قوله: ﴿مقامي﴾ بفتح الميم باتفاق السبعة، وقرىء شذوذاً بضمها، فالأول ثلاثي، والثاني رباعي، وهو من باب الاسناد المجازي، وحق الاسناد أن يكون للذات، نظير ثقل علي ظله. قوله: [لبثي فيكم] أي مكثي بينكم. وقوله: ﴿وتذكيري﴾ الخ الواو بمعنى مع، والمعنى إن كان عظم عليكم مكثي بينكم، مع تذكيري بآيات الله، فأجمعوا أمركم الخ، وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله، ففي الحقيقة الذي شق عليهم، إنما هو دعاؤه إلى التوحيد، ونصحه لهم، لأن النصيحة لا يقبلها إلا الطبع السليم. قوله: ﴿فعلى الله توكلت﴾ أي وثقت به لا بغيره، وفوضت أموري إليه.

قوله: ﴿فأجمعوا﴾ هذا هو جواب الشرط، وجملة ﴿فعلى الله توكلت﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه، ولا يصح أن تكون جواباً، لأنه لا يحسن ترتبها على الشرط، إذ هو متوكل على الله دائماً، وأجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة، وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وأما ما يأتي في طه في قوله: [فأجمعوا كيدكم] فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان، فأجمع بهمزة القطع، مستعمل في المعاني كثيراً، وبهمزة الوصل في الأجسام كثيراً، يقال: أجمعت أمري، وجمعت جيشي. قوله: [اعزموا] أي صمموا ولا ترددوا. قوله: [على أمر تفعلونه] أي كهلاكي. قوله: [الواو بمعنى مع] أي فشركاءكم منصوب على المعية، لا معطوف على أمركم لأن الشركاء ذوات، لا يتسلط عليه أجمعوا إلا بقلة، ويصح النصب بإضمار فعل لائق، والتقدير فاجمعوا أمركم، واجمعوا شركاءكم، بهمزة الوصل على حد: علفتها تبناً وماء بارداً، أو بقدر مضاف في المعطوف، والتقدير أمر شركائكم.

قوله: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أي لا يكن أمركم مخفياً، بل أظهروا ما في ضمائركم، فإني لست مبالياً بكم، لأن توكلي على ربي، فالغمة مأخوذة من قولهم: غم الهلال إذا خفي على الناس. قوله: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ أي أدوا إلي ما أردتموه وأوصلوه لي، وقرىء شذوذاً ثم أفضوا إلي بقطع الهمزة وبالفاء، من أفضى بالشيء، إذا انتهى إليه وأسرع، والمعنى ثم أسرعوا إلي بما عزمتم عليه. قوله: ﴿فإن توليتم﴾ أي دمتم على التولي والكفر، وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر علي، وقوله: ﴿فما سألتكم﴾ الخ تعليل لذلك المحذوف. قوله: [ثواب عليه] أي على التذكير. قوله: [فتولوا] منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، وفيه حذف إحدى التاءين، والأصل فتتولوا. قوله: ﴿إن أجري إلا على الله﴾ أي ثوابي عليه لا على غيره، فأطلبه منه. قوله: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي المنقادين لامتثال أوامره واجتناب نواهيه، في نفسي وتبليغ غيري.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ أي داموا واستمروا على تكذيبه. قوله: ﴿فنجيناه﴾ أي أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه. قوله: ﴿ومن معه﴾ أي من الإنس، وكانوا أربعين رجلا، وأربعين امرأة. قوله: ﴿في الفلك﴾ تقدم أنه يستعمل مفرداً وجمعاً. قوله: ﴿وجعلناهم﴾ أي صيرناهم. قوله: ﴿وأغرقنا﴾ إنما أخر ذكره، والانجاء إشارة إلى أن الرحمة سابقة على

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ﴾ ٧٣: من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾: أي نوح ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاؤُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤: فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾: قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾: التسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ ٧٥ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ٧٦: بيّن ظاهر ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: إنه لسحر ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُونَ﴾ ٧٧: والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾: لتردنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَاءُ﴾: الملك ﴿فِي

الغضب، والتعجيل المسرة لمن يمتثل الأمر. قوله: [فكذلك نفعل بمن كذبك] هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص. قوله: ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ أي فكل رسول بعث إلى قومه. قوله: [كإبراهيم] أي فكذبوه وآذوه، حتى رموه في النار. قوله: [وهود] أي فكذبوه وآذوه، فأهلكهم الله. قوله: ﴿فجاؤوهم﴾ أي جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات.

قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ أي لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان، فالمراد بعدم الإيمان الاصرار على الكفر والتكذيب. قوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الطبع. قوله: [فلا تقبل الايمان] أي لوجود الحجاب المانع منه، ففي الحقيقة لا يمكنهم الإيمان، إن كانوا في الظاهر مختارين. قوله: ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ هذا عطف قصة على قصة، وخاص على عام، لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون، وكل هذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿موسى وهارون﴾ أي فكل منهما رسول إلى فرعون وقومه، لكن هارون وزير لموسى ومعين له، قال تعالى حكاية عن موسى ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾ الآية. وهذا لا ينافي أن كلا منهما رسول من عند الله، فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر.

قوله: ﴿وملئه﴾ تقدم أن الملأ بالقصر والهمز، الأشراف الذين يملؤون العيون بمهابتهم، والمجالس بأجسامهم، والقلوب بجلالهم، ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم، فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الأتباع، وقيل المراد بالملأ خصوص الأشراف، وخصوا بالذكر لأن غيرهم تبع لهم، فإذا آمن الرؤساء آمن الأتباع، وإذا كفروا كفر الأتباع. قوله: [التسع] تقدم منها في الأعراف ثمانية: العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وستأتي التاسعة هنا في قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ الآية. قوله: ﴿فاستكبروا﴾ الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له. قوله: [عن الإيمان بها] أي بتلك الآيات التسع، وفي نسخة بهما، أي موسى وهارون.

قوله: ﴿فلما جاءهم الحق﴾ أي الآيات التسع، ففيه إظهار في مقام الإضمار، وفي الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم، أن ما جاء به سحر، إنما هو في اليد والعصا. قوله: ﴿إن هذا لسحر مبين﴾ هذه المقالة وقعت منهم بعد مجيء السحرة، وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيهم. قوله: ﴿قال موسى﴾ أي رداً عليهم بثلاث جمل، الأولى: ﴿أتقولون للحق لما جاءكم﴾ [إنه لسحر] الثانية ﴿أسحر هذا﴾ الثالثة ﴿ولا يفلح الساحرون﴾. قوله: [إنه لسحر] مقول لقوله: ﴿أتقولون﴾ حذف لدلالة ما قبله عليه، ولأنه لا ينبغي أن يذكر. قوله: [وقد أفلح من أتى به] الجملة حالية. قوله: ﴿ولا يفلح الساحرون﴾ أي لا يفوزون بمطلوبهم، والجملة حالية من فاعل ﴿أتقولون﴾ قوله: [للإنكار] أي فالمعنى لا يليق، ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام.

قوله: ﴿قالوا أجئتنا﴾ لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها، رجعوا للتقليد المحض، فقالوا ما ذكر. قوله: ﴿عما

﴿ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مِصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٧٨: مصدِّقين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ٧٩: فائق في علم السِّحر ﴿فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: بعدما قالوا له إما أنْ تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ٨٠ ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾: حبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا﴾: استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾: بدل وفي قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾: أي سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ٨١ ﴿وَيُحِقُّ﴾: يثبت ويظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ٨٢ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: طائفة ﴿مِّن﴾: أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾: أي فرعون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾:

وجدنا عليه آباءنا﴾ أي من عبادة الأصنام. قوله: ﴿وتكون﴾ معطوف على تلفتنا، أي ولتكون. قوله: [الملك] أي وسمّي بالكبرياء، لأنه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا، ولأنه يورث الكبرياء والعز. قوله: ﴿وقال فرعون﴾ ليس هذا مرتباً على ما تقدم، فإن هذا القول وقع في ابتداء القصة، فالمقصود هنا بيان ذكر القصة لا بقيد ترتبها، فإن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

قوله: ﴿فلما جاء السحرة﴾ عطف على محذوف تقديره فأتوا بالسحرة. قوله: [بعدما قالوا له] الخ. أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف، وأصل الكلام، فلما جاء السحرة، وجمعوا حبالهم وعصيهم، وقالوا لموسى: إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين، قال موسى الخ. قوله: ﴿ما أنتم ملقون﴾ أبهمه إشارة إلى تحقيره. قوله: ﴿فلما ألقوا﴾ أي السحرة، وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفاً. قوله: [حبالهم وعصيهم] أي وتقدم أنها كانت حمل ثلاثمئة بعير. قوله: [استفهامية] أي أي شيء جئتم به؟ وهو للتوبيخ والتحقير. قوله: [بدل] أي من ما الاستفهامية، وأعيدت همزة الاستفهام، لتكشف استفهام المبدل منه، على حد قول ابن مالك:

وبدل المضمن الهمز يلي همزاً كمن ذا أسعيد أم علي

قوله: [بهمزة واحدة إخبار] أي بإسقاط همزة الاستفهام، ووجهت هذه القراءة، بأن ما اسم موصول مبتدأ، وصلتها ﴿جئتم به﴾ والخبر ﴿السحر﴾، والحاصل: أن في همزة السحر الثانية وجهين، التسهيل والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات، وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية، وخبرها ﴿جئتم به السحر﴾ بدل من ما، وأما على إسقاطها فالجملة خبرية، وما اسم موصول مبتدأ، ﴿وجئتم به﴾ صلته، ﴿والسحر﴾ خبر، وتحذف همزة أل عند الدرج.

قوله: [سيمحقه] أي فلا يبقى له أثر أصلاً.

قوله: ﴿إن الله﴾ الخ. تعليل لقوله: ﴿سيبطله﴾. قوله: ﴿ويحق الله الحق﴾ عطف على قوله: ﴿سيبطله﴾.

قوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾ أي الكافرون. قوله: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية﴾ الذرية اسم يقع على القليل من القوم. قوله: [أي فرعون] أشار بذلك إلى أن الضمير في قومه، عائد على فرعون، والمراد بذرية قومه، ناس يسير، منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون، وخازنه وأولاد خازنه، وما شطته، وقيل: إن الضمير عائد على موسى، وهم ناس من بني إسرائيل نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بني إسرائيل، كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت ابناً وهبته لقبطية، خوفاً عليه من القتل، فنشأوا بين القبط، فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به، وقيل: هم بنو إسرائيل وهو الأقرب.

قوله: ﴿على خوف﴾ أي مع خوف. قوله: ﴿وملئهم﴾ أي ملأ الذرية التي نشأوا بينهم، على التفسير الثاني، وأقاربهم حقيقة، على التفسير الأول الذي ذكره المفسر. قوله: ﴿أن يفتنهم﴾ أي فرعون، وأفرد لأنه هو المباشر للفتنة

يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾٨٣: المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾٨٤ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾٨٥: أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾٨٦ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ﴾: اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾٨٧: بالنصر والجنة ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾: آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا﴾: في عاقبته ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾: دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: امسخها

والخوف من الملأ كان بواسطته هو. قوله: ﴿وقال موسى﴾ أي تطميناً لقلوبهم، وهذا يؤيد أن الضمير في قومه عائد على موسى، وقد يجاب عن المفسر بأنه سماهم قومه من حيث إنه مرسل لهم. قوله: ﴿إن كنتم آمنتم﴾ جوابه ﴿فعليه توكلوا﴾ وقوله: ﴿إن كنتم مسلمين﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير توكلتم عليه، أو هو شرط في الشرط، لأن الشرطين متى لم يترتبا في الوجود، فالشرط الثاني شرط في الأول. قوله: ﴿إن كنتم مسلمين﴾ أي منقادين لأحكام الله. قوله: ﴿فقالوا﴾ أي جواباً لموسى. قوله: ﴿ربنا لا تجعلنا﴾ الخ، دعاء منهم لله سبحانه وتعالى. قوله: [أي لا تظهرهم علينا] أي لا تجعلهم ظاهرين علينا، وغالبين لنا. قوله: ﴿ونجنا﴾ أي خلصنا. قوله: ﴿برحمتك﴾ أي إحسانك وإنعامك. قوله: ﴿من القوم الكافرين﴾ أي الجاحدين لآياتك. قوله: ﴿أن تبوآ﴾ يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها، وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، ويحتمل أنها مصدرية، أي أوحينا التبوء، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه، أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها، رغماً عن أنف عدوهم فرعون، وهذا طمأنينة للقوم، فإنهم كانوا خائفين من فرعون. قوله: ﴿لقومكما﴾ الأقرب أن اللام زائدة في المفعول الأول، وبيوتاً مفعول ثان. قوله: ﴿بمصر﴾ متعلق بتبوآ، والمراد بمصر مصر القديمة.

قوله: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي اجعلوا مساكنكم مصلى، والمراد بالقبلة مكان التوجه لله، لا خصوص الفجوة المعلومة، واختلف في قبلتهم، قيل: هي الكعبة، وقيل بيت المقدس. قوله: [وكان فرعون منعهم من الصلاة] أي في أول أمرهم، فأمر الله موسى ومن معه، أن يصلوا في بيوتهم خفية، لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، وذلك كما كان عليه المسلمون في أول الإسلام بمكة. قوله: [أتموها] أي بشروطها وأركانها المعلومة عندهم. قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي قومك الذين آمنوا بك، وهذا خطاب لموسى وحده، لأن البشارة على لسانه، وما قبله من قوله: واجعلوا، وأقيموا، خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم في ذلك.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ أي لما رأى فرعون وقومه طغوا وبغوا، ولم ينقادوا للإسلام، واستمروا على الكفر والعناد، جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم، وقدم سبب الدعاء، وهو بطر النعم، إذ هو من أعظم المعاصي الموجبة لغضب الله وسلب النعم. قوله: ﴿زينة﴾ هي عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأمور الجميلة، قال ابن عباس: كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة، جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت. قوله: ﴿ربنا﴾ كرره تأكيداً للأول، وتلذذاً بخطاب الله. قوله: ﴿ليضلوا﴾ متعلق بآتيت في كلام الله، وأما قول المفسر [آتيتهم ذلك] إنما هو تتميم للجملة المؤكدة، واللام للعاقبة والصيرورة، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: [في عاقبته]. قوله: ﴿عن سبيلك﴾ أي طاعتك وتوحيدك.

﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٨٨: المؤلم دعا عليهم وأمّن هارون على دعائه ﴿قَالَ﴾: تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٨٩: في استعجال قضائي روي أنه مكث بعدها أربعين سنة ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ

قوله: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أي أزل صورها وهيئاتها، قال قتادة: بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة، ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحاً أو أنصافاً أو أثلاثاً، وهذا الطمس آخر الآيات التسع. قوله: ﴿واشدد على قلوبهم﴾ أي اربط عليها، حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وإنما دعا بذلك، لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لا يؤمنون، فوافق دعاء موسى ما قدر وقضي عليهم، فكان ترجماناً عن الله، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحل. قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ عطف على ﴿ليضلوا﴾ فيكون منصوباً، أو هو مجزوم بجعل لا دعائية. قوله: [دعاء عليهم] الأقرب أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره هذا دعاء عليهم، أي قوله: ﴿فلا يؤمنوا﴾ الخ، ودفع بذلك ما قيل إنه خبر، وليس من جملة الدعاء فتأمل. قوله: [وأمن هارون على دعائه] أي والمؤمن أحد الداعيين، فصحت التثنية في قوله: ﴿دعوتكما﴾ وهو جواب عما يقال إن الداعي موسى، فلم ثنى الضمير في دعوتكما. قوله: [فمسخت أموالهم] أي الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك، وقيل: مسخت صورهم أيضاً، فكان الرجل مع أهله فصارا حجرين، والمرأة قائمة تخبر صارت حجراً، وهذا قول ضعيف، لأن موسى دعا على أموالهم، ولم يدع على أنفسهم بالمسخ.

قوله: ﴿فاستقيما﴾ أي دوما على الاستقامة. قوله: ﴿ولاتتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ خطاب لموسى وهارون، والمراد غيرهما على حد: لئن أشركت ليحبطن عملك، والمعنى لا تسلكا طريق الجاهلين، الذين يظنون أنه متى دعا الإنسان أجيب بعين مطلوبه في الحال، لأن الإجابة على مراد الله، فربما يجاب الشخص بغير مطلوبه، أو تتأخر إجابته، لحكم يعلمها الله، وفي ﴿تتبعان﴾ ثلاث قراءات سبعيات، تشديد النون مع تشديد التاء فقط، وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها. فعلى الأولى: تكون النون للتوكيد الثقيلة، وكسرت تشبيهاً بنون المثنى، والفعل مجزوم بحذف النون. وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية، والنون نون الرفع، والتقدير وأنتما لا تتبعان. قوله: [روي أنه] أي نزول العذاب بهم، مكث أربعين سنة من حين الدعوة، وهذا التأخير لحكمة يعلمها الله.

قوله: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ الخ لما استجاب الله دعاء موسى وهارون، بالطمس على أموالهم، والربط على قلوبهم، أوحى الله إلى موسى وهارون، أن أسر بعبادي، وأخرج بهم من أرض مصر، ورد أن يعقوب لما دخل مصر مع ذريته، لاجتماعهم بيوسف، كانوا اثنين وسبعين، فلما خرج موسى بهم، كانوا ستمائة ألف، وكان فرعون غافلاً عن ذلك، فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته، خرج في عقبهم، فلما أدركهم قالوا لموسى: أين المخلص، والبحر أمامنا والعدو وراءنا، فلما قربوا، أوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، فقطعه موسى وبنو إسرائيل، فلحقهم فرعون، وكان على حصان أدهم، وكان معه ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه، سوى سائر الألوان، وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى، وميكائيل يسوقهم حتى لا يبقى منهم أحد، فدنا جبريل بفرسه، فلما وجد الحصان ريح الأنثى، لم يتمالك فرعون نفسه، فنزل البحر وتبعه جنوده، حتى إذا اكتملوا جميعاً في البحر، وهم أولهم بالخروج، انطبق عليهم، وحصان بوزن كتاب، وجمعه حصن ككتب، كذا في القاموس.

قوله: ﴿وجاوزنا﴾ من المجاوزة وهي التخطية والتعدية، والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر، بأن جعلناه يبساً

وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً﴾: مفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ: آمَنتُ أَنَّهُ﴾: أي بأنه وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ آمَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٩٠: كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له: ﴿آلْآنَ﴾: تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ٩١: بضلالك وإضلالك عن الإيمان ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: بعدك ﴿آيَةً﴾: عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿عَنْ آيَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ ٩٢: لا يعتبرون بها.

وحفظناهم حتى بلغوا الشط. قوله: ﴿البحر﴾ أي بحر السويس. قوله: [لحقهم] أي مشى خلفهم. قوله: ﴿بغياً﴾ أي في الأقوال ﴿وعدواً﴾ أي في الأفعال، ففرعون متعد على بني إسرائيل، بالأقوال الكاذبة والأفعال الجائرة. قوله: [مفعول له] أي لأجله، ويصح نصبهما على الحال، أي باغين ومعتدين.

قوله: ﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾ غاية لاتباعه. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [استئنافاً] أي واقعاً في جواب سؤال مقدر، أو على إضمار القول، والتقدير قائلاً إنه الخ. قوله: [كرره ليقبل منه] أي كرر الإقرار بالإيمان ثلاث مرات بقوله: ﴿آمنت﴾، وقوله: ﴿أنه﴾ الخ، وقوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾. قوله: [فلم يقبل] أي فمات على كفره، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما قيل من أنه مات مؤمناً، فلا يلتفت له. قوله: [ودس جبريل] أي بأمر من الله، وهو لا يسأل عما يفعل، وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار، وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازي في هذا المقام. قوله: [من حمأة البحر] بسكون الميم وتحريكها، وهي الطين الأسود. قوله: [مخافة أن تناله الرحمة] أي وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم إيمانه. إن قلت: ما الحكمة في عدم قبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات؟ أجيب بأجوبة، منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، وهو حينئذ غير نافع، قال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ ومنها: أن الإيمان بالله، من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع، وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام، فلم يصح إيمانه. ومنها: أن قوله: ﴿آمنت﴾ ليس قاصداً به الإيمان حقيقة، بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته، إذا أصابته مصيبة رجع واستجار. وحكي أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى: ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه، وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه. يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده، الكافر نعمته، أن يغرق في البحر، فلما غرق، رفع جبريل إليه خطه. قوله: [وقال له] معطوف على قوله ودس، وقدره إشارة إلى أن قوله: ﴿آلآن﴾ ظرف لمحذوف، والجملة مقول لذلك القول المقدر.

قوله: ﴿آلآن﴾ استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿وقد عصيت قبل﴾ الجملة حالية، والمعنى الآن تتوب، وقد ضيعت الإيمان في وقته الذي يقبل فيه، وهو غير وقت العذاب. قوله: ﴿فاليوم ننجيك﴾ بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ببدنك﴾ حال من الضمير في ﴿ننجيك﴾ والمعنى فاليوم نخرجك من البحر، ملتبساً ببدنك فقط، لا مع روحك كما هو مطلوب، وقيل المراد بالبدن الدرع، لأن له درعاً كان يعرف بها، فلما ألقي على وجه الأرض وعليه درعه عرفوه. قوله: [فيعرفوا عبوديتك] أي ويبطلوا دعوى ألوهيتك، لأن الإله لا يموت ولا يتغير. قوله: [شكوا في موته] إنما وقع منهم الشك، لشدة ما حصل في قلوبهم من الرعب منه، فأمر الله البحر، فألقاه على الساحل أحمر قصيراً كأنه ثور، فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتاً أبداً.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزلَ كرامةٍ وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾: بأن آمن بعضٌ وكفر بعضٌ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾٩٣: من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾: يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: من القصص فرضاً ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل» ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾٩٤: الشاكين فيه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾٩٥ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾٩٦ ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾٩٧: فلا ينفعهم حينئذ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾: أريد أهلها ﴿آمَنَتْ﴾: قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾: لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾:

قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل﴾ هذا امتنان من الله تعالى على بني إسرائيل بنعم عظيمة. قوله: ﴿مبوأ صدق﴾ أي أنزلناهم منزلاً محموداً صالحاً وإنما وصف المكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق يقولون هذا قدم صدق ورجل صدق. قوله: [وهو الشام ومصر] أي وقيل مصر فقط لأنها التي كانت تحت أيدي فرعون وقومه.

قوله: ﴿فما اختلفوا﴾ أي من فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبي مؤمنين به غير مختلفين في نبوته لما يجدونه مكتوباً عندهم فلما بعث اختلفوا فيه فآمن بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وكفر بعض. قوله: ﴿حتى جاءهم العلم﴾ أي القرآن وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر. قوله: [فرضاً] جواب عما يقال إن الشك محال على رسول الله فأجاب بأنه على فرض المحال، وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، وهذا هو الأتم في تلك الآيات.

قوله: ﴿فاسأل الذين يقرأون﴾ الخ أي فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم. قوله: [يخبروك] مجزوم في جواب الأمر وهو اسأل. قوله: ﴿لقد جاءك الحق﴾ أي اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقاً، وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق الخ. قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي دم على ما أنت عليه من عدم الشك والامتراء. قوله: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ أي ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يأتي منهم الإيمان أصلاً إذ لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿حتى يروا﴾ غاية في النفي. قوله: [فلا ينفعهم حينئذ] أي كفرعون وأضرابه.

قوله: ﴿فلولا﴾ أشار المفسر بقوله: [هلا] إلى أنها تحضيضية، وهو للتوبيخ مع النفي، وكان فعل ماض تام، و﴿قرية﴾ فاعلها، و﴿آمنت﴾ صفة قرية، وقوله: ﴿فنفعها﴾ معطوف على ﴿آمنت﴾ عطف مسبب على سبب، والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التي تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت، فيتسبب على إيمانها كونه نافعاً لها، والحاصل: أن الآية تضمنت تحضيضاً وتوبيخاً ونفياً، فالنفي راجع لمن مضى، والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع. قوله: [أريد أهلها] أشار بذلك إلى أن في الكلمة مجازاً مرسلاً من باب تسمية الحال باسم المحل، لا مجازاً بالحذف.

قوله: ﴿إلا قوم يونس﴾ أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع، حيث عبر بلكن، وضابط الاستدراك موجود، وهو

عند رؤية أمارة العذاب لم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٩٨ : انقضاء آجالهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشاء الله

رفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه، فأتي به هنا لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب، فرفع ذلك التوهم، بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب، بل عند حضور أماراته، فلذلك نفعهم إيمانهم، وأما غيرهم، فلم يؤمن قبل نزوله، أعم من أن يكون آمن وقت نزوله، أو لم يؤمن أصلاً. قوله: [ولم يؤخروا إلى حلوله] أي بل عجلوا الإيمان عند ظهور أماراته وحاصل قصتهم، على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم، قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه السلام، يدعوهم إلى الإيمان بالله، وترك عبادة الأصنام، فدعاهم فأبوا عليه، فقيل له أخبرهم أن العذاب يصبحهم إلى ثلاث، فأخبرهم بذلك، فقالوا: إنا لم نجرب عليه كذباً قط، فانظروا، فإن بات فيكم فليس بشيء، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان جوف الليل، خرج يونس من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس، حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل، فلما دعوا كشفه الله عنهم، وقال قتادة: قدر ميل، وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب، كما يغشى الثوب القبر، وقال وهب: غامت السماء غيماً أسود هائلاً، يدخن دخاناً شديداً، فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم، فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك، فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه، فقذف الله في قلوبهم التوبة، فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، ولبسوا المسوح، وأظهروا الإيمان والتوبة، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب، فحن البعض للبعض، فحنت الأولاد إلى الأمهات، والأمهات إلى الأولاد، وعلت الأصوات، ولجؤوا جميعاً إلى الله تعالى، وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس، وتابوا إلى الله وأخلصوا النية، فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم، وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلهم، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، وكان يوم الجمعة، قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم، حتى أنه كان الرجل يأتي إلى الحجر، وقد وضع عليه أساس بنائه فيقلعه فيرده، وروى الطبراني بسنده قال: لما غشي قوم يونس العذاب، مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له: إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ قال: قولوا يا حي حين لا حي، ويا حي يحيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت. فقالوها فكشف الله عنهم العذاب، ومتعوا إلى حين، وقال الفضيل بن عياض: إنهم قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم وأجل، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً، فقيل له: ارجع إلى قومك، قال: وكيف أرجع إليهم فيجدوني كذاباً؟ وكان كل من كذب ولا بينة له قتل، فانصرف عنهم مغاضباً فنزل في سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت، وكان من عادتهم أن السفينة لا تقف إلا إذا كان فيها عبد آبق، فضربوا القرعة فخرجت على يونس، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات: أن لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، فاستجاب الله نداءه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفاً فأنبت الله عليه شجر القرع، ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مائة ألف، ففرحوا به وأحبوه وآمنوا به، فهنيئاً لمن رجع إلى مولاه، وندم على ما جناه، فإن الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات. قوله: [انقضاء آجالهم] تفسير للحين، ودفع بذلك ما قيل: إن قوم يونس من المنظرين لا يموتون إلا عند النفخة الأولى، فأجاب المفسر: بأن معنى الحين انقضاء آجالهم.

قوله: ﴿ولو شاء ربك﴾ مفعول شاء محذوف، أي إيمان جميع الناس. قوله: ﴿كلهم﴾ توكيد لمن، و﴿جميعاً﴾ حال منها، والمعنى لو أراد الله إيمان من في الأرض لآمنوا كلهم، حال كونهم مجتمعين. قوله: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسف عليه، أفأنت

منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾٩٩: لا ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾: بإرادته ﴿ويجعل الرجس﴾: العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾١٠٠: يتدبرون آيات الله ﴿قل﴾: لكفار مكة ﴿انظروا ماذا﴾: أي الذي ﴿في السموات والأرض﴾: من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾: جمع نذير أي الرسل ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾١٠١: في علم الله أي ما تنفعهم ﴿فهل﴾: فما ﴿ينتظرون﴾: بتكذيبك ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾: من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿قل فانتظروا﴾: ذلك ﴿إني معكم من المنتظرين﴾١٠٢ ﴿ثم ننجي﴾: المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿رسلنا والذين آمنوا﴾: من العذاب ﴿كذلك﴾: الإنجاء ﴿حقا علينا ننج المؤمنين﴾١٠٣: النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين ﴿قل يأيها الناس﴾: أي أهل مكة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾: إنه حق ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾: أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾: يقبض أرواحكم ﴿وأمرت أن﴾: أي أن ﴿أكون من المؤمنين﴾١٠٤ و﴿: قيل لي ﴿أن أقم وجهك للدين حنيفا﴾: مائلاً إليه ﴿ولا تكونن من المشركين﴾١٠٥ ﴿ولا تدع﴾: تعبد ﴿من دون الله ما لا

تكره الخ. قوله: [لا] أي لست بمكره للناس على الإيمان، والمعنى ليس عليك إلا البلاغ، لا خلق الإيمان في قلوبهم وإكراههم عليه، فإن الأمر لله لا خالق سواه.

قوله: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن﴾، الخ بيان وتعليل لما قبله، والمعنى ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال، إلا في حال إرادة الله الإيمان لها. قوله: ﴿ويجعل الرجس﴾ معطوف على محذوف، والتقدير فيريد الله الإيمان للبعض ويجعل الرجس، الخ. قوله: ﴿قل انظروا﴾ بضم اللام وكسرها، قراءتان سبعيتان، فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام، والكسر على أصل التخلص، والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا. قوله: [من الآيات] بيان لما. قوله: ﴿وما تغني الآيات﴾ أي المذكورة في قوله: ﴿ماذا في السموات والأرض﴾ ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار، والمعنى لا تنفع الآيات والنذر قوماً لا يؤمنون. قوله: [أي مثل وقائعهم من العذاب] أي وهو القتل بالسيف. قوله: ﴿فانتظروا﴾ [ذلك] أي مثل وقائع الأمم السابقة.

قوله: ﴿ثم ننجي﴾ بالتشديد باتفاق العشرة، وبثبوت الياء لفظاً وخطاً. قوله: ﴿رسلنا﴾ أي على سبق على محمد. قوله: ﴿كذلك﴾ صفة لمصدر محذوف، أي إنجاء مثل ذلك الانجاء، والعامل فيه ﴿ننج المؤمنين﴾ و﴿حقا علينا﴾ جملة معترضة بين العامل والمعمول. قوله: ﴿ننج المؤمنين﴾ بالتخفيف والتشديد، تحذف منه الياء لفظاً وخطاً. قوله: [حين تعذيب المشركين] أي في الدنيا والآخرة. قوله: [أي أهل مكة] أي الكفار المعارضون. قوله: ﴿من ديني﴾ أي الذي جئت به عن ربي. قوله: [إنه حق] بدل من ديني، والمعنى إن كنتم في شك من حقية ديني وصحته، فلا أعبد الخ. قوله: [لشككم فيه] أي في ديني الحق، أي فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم في حقيقة ديني، وأما أنا فليس عندي شك في حقيته، فلذلك لا أعبد غير الله، فكفرهم بالشك لأنه لا يتأتى منهم إنكار كون الله حقاً، ودين الإسلام حقاً، على سبيل الجزم بذلك، لقيام الأدلة العقلية على ذلك. قوله: ﴿الذي يتوفاكم﴾ خص هذا الوصف بالذكر، تهديداً وتخويفاً لهم.

قوله: ﴿أن أكون﴾ أن مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر، أي بكوني من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله، لأنه مرسل لنفسه، فهو واجب عليه الإيمان بما أرسل به. قوله: ﴿أن أقم﴾ قدر المفسر القول إشارة إلى أن ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في محل نصب مقول لذلك القول. قوله: [مائلاً إليه] أي مخلصاً له العمل ظاهراً

﴿يَنفَعُكَ﴾: إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾: إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾: ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٦ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يصبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾: دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾: الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: أي بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٠٧ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: أي أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ ١٠٨: فأجبركم على الهدى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: من ربك ﴿وَاصْبِرْ﴾: على الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾: فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ١٠٩: أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

وباطناً، فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله، بأن لا يميل لغير الله ظاهراً وباطناً، يكون كله لله، فلا يشرك معه غيره أصلاً، لا في الظاهر، ولا في الباطن، فكما أن الخالق لا شريك له فيما خلقه، كذلك ينبغي للمخلوق أن لا يشرك في عبادته غيره.

قوله: ﴿ولا تدع من دون الله﴾ أي غيره. قوله: [فرضاً] جواب عما يقال: إن عبادة النبي غير الله مستحيلة، فكيف يخاطب بذلك، أجاب المفسر: بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير، وأجيب أيضاً: بأن الخطاب له والمراد غيره. قوله: ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أي لا دافع ولا مانع له، إلا الله حقيقة، فنسبة النفع أو الضر لغير الله باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك، لا باعتبار أنهم الخالقون له، فإن ذلك لهم من هذه الحيثية كفر.

قوله: ﴿وإن يردك بخير﴾ عبّر في جانب الخير بالإرادة دون المس، إشارة إلى أن الخير، لا يتوقف إتيانه على سبب وتهييء من العبد، بخلاف الضر، فلا بد من تقدّم سببه، قال تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾. قوله: ﴿وهو الغفور﴾ أي الستار للذنوب الماحي لها. قوله: ﴿الرحيم﴾ أي المنعم المحسن الغفور المنجي من النار، بسبب محو الذنوب، والرحيم المدخل للجنة بسبب الإنعام والاحسان. قوله: ﴿الحق﴾ أي القرآن ومن جاء به، وهو النبي ﷺ. قوله: [لأن ثواب اهتدائه له] أي فلا يصل لله ممن كفر ضر، ولا ممن آمن نفع، تنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكمل بمخلوق. قوله: [لأن وبال ضلاله عليها] أي عذاب ضلاله على نفسه، فلا يشاركه أحد لا في هداية نفسه، ولا في ضلاله، بل كل امرىء بما كسب رهين. قوله: ﴿بوكيل﴾ أي بحفيظ موكول إلى أمركم، وإنما أنا بشير. قوله: [فأجبركم على الهدى] أي أكرهكم عليه.

قوله: ﴿ما يوحى إليك﴾ أي من القرآن. قوله: [على الدعوة] أي دعائك إياهم للإيمان. قوله: [وأذاهم] أي لك، فكان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم. قوله: [أعدلهم] أي فلا يخطىء في حكمه أصلاً، وأما غيره فتارة يخطىء في حكمه، وتارة يعدل، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل، فإثابته المؤمن بالفضل، وتعذيبه العاصي بالعدل. قوله: [بالقتال] أي الجهاد، وأشار المفسر بذلك إلى قول ابن عباس: إن هذه الآية منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١١] - سُورة هود

[مكية إلا ﴿وأقم الصلاة﴾ الآيةَ وإلّا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآيةَ مائة واثنتانِ أو وثلاث وعشرونَ آيةً]

﴿الر﴾: الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾: بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بيّنتْ بالأحكامِ والقصص والمواعظ ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١]: أي الله ﴿أَنْ﴾: أي بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

سورة هوُد مكية

إلا ﴿أقم الصلوة﴾ الآية. أو إلا ﴿فلعلك تارك﴾ الآية. ﴿وأولئك يؤمنون به﴾ الآية. وهي مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

بالصّرفِ وتركه، فإنْ لوحظَ أنه اسْم للسورةِ منع الصّرفَ، وإنْ لوحظ أن المراد السّورة المذكورة فيها هود صُرِف، ومثل ذلك يقال في سورة نوح، لأنّ الأسماء مصروفة، وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين. قوله: [مكية] وقوله [مائة]. قوله: [إلا أقم الصلوة] التلاوة بالواو، فالصواب أن يقول إلا وأقم الصلوة الخ، وهذا قول ابن عبّاس. وقوله: [وإلا فلعلك] الخ، هو قول مقاتل، فالحاصل أن المدني عند ابن عباس آية واحدة وهي وأقم الصلاة الآية، وعند مقاتل آيتان. قوله: [فلعلك تارك بعض ما يوحَى إليك] الآية. وقوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ الآية. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] تقدم أنّ هذا هو الأسلم في تفسير الحروف المقطعة.

قوله: ﴿كتاب﴾ خبرُ المحذوف قدّره المفسر بقوله [هذا] يدلّ عليه قوله في آية أخرى ﴿ذلك الكتاب﴾ واسم الإشارة يصح عوده على ما ذكر في هذه السورة فقط، أو على جميع القرآن، وتقدم ذلك. قوله: ﴿أحكمت﴾ صفة لكتاب، إما من الإحكام أي الإتقان، ففعله متعدٍّ، والمعنى أتقنت آياته لفظاً ومعنى، فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى، ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن، أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف، بمعنى جُعلت حكيمة. قوله: ﴿ثم فصلت﴾ يحتمل أن ثم لمجرد الإخبار، والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الإحكام، مفصّل أحسن التفصيل، كما تقول: فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل، ويحتمل أنها للترتيب الزماني بحسب النزول لأنها أحكمت أولاً حين نزلت جملة واحدة، ثم فصلت ثانياً، بحسب الوقائع. قوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ صفة ثانية

﴿مِنْهُ نَذِيرٌ﴾: بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾[٢]: بالثواب إن آمنتم ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾: في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾: في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾: في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾: جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٣]: هو يوم القيامة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]: ومنه الثواب والعذاب ونزل كما رواه البخاري عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء وقيل في المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: أي الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ

لكتاب، وفيه طباق حسن، لأن حكيم يناسب أحكمت، وخبير يناسب فصلت، ويصح أن يكون من باب التنازع، أعمل الأول وهو أحكمت، وأضمر في الثاني وحذف، والأحسن الأول.

قوله: ﴿أن لا تعبدوا﴾ الأحسن أن ﴿أن﴾ تفسيرية لوجود ضابطها، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهو قوله ﴿ثم فصلت﴾. قوله: ﴿منه﴾ يصح عود الضمير على الله، أو على الكتاب. قوله: [إن كفرتم] أي دمتم على الكفر. قوله: ﴿وأن استغفروا﴾ عطف على قوله: ﴿أن لا تعبدوا﴾ والسين والتاء للطلب، والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى. وقوله: ﴿ثم توبوا إليه﴾ أي في المستقبل، لأن شرط التوبة الندم على ما فات، والاقلاع في الحال، والعزم على عدم العود في المستقبل، فلا يقال: إن الاستغفار هو التوبة، بل بينهما التغاير.

قوله: ﴿يمتعكم﴾ جواب الأمر. قوله [بطيب عيش] أي في أمن وراحة ورضا، فمن تاب من ذنوبه، وأخلص عبادة ربه، عاش في أمن وراحة ورضا، وإن ضيقت عليه الدنيا، فهي رفع درجات له، بوجود رضا الله عليه، ومن لم يتب وأصر على المعاصي والكفر، عاش في خوف ونصب وسخط، وإن وسعت عليه ملاذ الدنيا، إذ لا خير في عيش بعده النار، وحينئذ فلا ينافي هذا، كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. قوله: [فيه حذف إحدى التاءين] أي والأصل تتولوا. قوله: [أي تعرضوا] أي عن الأوامر والنواهي، وتدوموا على الكفر، وجواب الشرط محذوف، والتقدير فلا تلوموا إلا أنفسكم. وقوله ﴿فإني أخاف﴾ الخ تعليل للجواب المحذوف.

قوله: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ أي فلا مفر لكم منه. قوله: [ومنه الثواب] أي من الشيء المقدور عليه. قوله: [فيمن كان يستحي] أي من المسلمين. قوله: [أن يتخلى] أي يقتضي حاجته من البول والغائط. قوله: [فيفضي] معطوف على [يتخلى] وتنزيل الآية على حكم هذا القول، باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة، كأن الله يقول لهم: لا تظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله، بل الله يعلم ما تسرون وما تعلنون، فلا ينافي أن التغطية عند التخلي والجماع مندوبة، وليس المراد ذمهم على هذا الفعل، إذ هو مطلوب حياء من الله والجن والملائكة. قوله: [وقيل في المنافقين] قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلاً طلق الكلام، حلو المنظر، وكان يلقى رسول الله بما يحب، وينطوي بقلبه على ما يكره، وقيل: كان الرجل من الكفار يدخل بيته، ويرخي ستره، ويحني ظهره، ويستغشي بثوبه، ويقول الكفر، ويظن أن الله لا يعلمه في تلك الحالة.

قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ من الثني وهو طي الشيء ليكون مستوراً، فالمراد يعطفون صدورهم على

---

* أسباب نزول الآية ٥: روى البخاري عن ابن عباس في قوله ﴿ألا أنهم يثنون صدورهم﴾، قال: كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم وأخرج ابن جرير وغيره عن عبد الله بن شداد قال: كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره لكن لا يراه، فنزلت.

﴿ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ﴾: تعالى ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥: أي بما في القلوب ﴿وما من﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: هي ما دبّ عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾: تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: مسكنها في الدنيا أو الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: بعد الموت أو الرحم ﴿كُلٌّ﴾: مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ٦: بيّن هو اللوح المحفوظ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾: قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾: وهو على متن الريح

ما فيها من الكفر، ليكون مخفياً مستوراً، وأصله يثنيون، نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو، وهذا المعنى على أن سبب النزول في المنافقين، وأما على أنه فيمن يستحي، حال قضاء الحاجة والجماع، فالمراد بثني الصدر، انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة، وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع، فتأمل. قوله: ﴿ليستخفوا منه﴾ هذا هو علة ثني الصدر على ما فيه.

قوله: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي يأوون إلى فراشهم ويرتدون ثيابهم. قوله: ﴿ما يسرون﴾ أي في قلوبهم وقوله ﴿وما يعلنون﴾ أي بأفواههم. قوله: [أي بما في القلوب] أي فالمراد بالصدور القلوب وما فيها هو الخواطر، فأطلق المحل وأريد الحال فيه. قوله: [وما من دابة] النكرة في سياق النفي تعم، فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة. قوله: [وهي ما دب عليها] أي مشى وسار. قوله ﴿إلا على الله رزقها﴾ ليس المراد أن ذلك واجب عليه، تنزه سبحانه وتعالى، بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاماً لا يتخلف، ففي الحقيقة على بمعنى من، إنما التعبير بعلى ليزداد العبد ثقة بربه توكلاً عليه، وإن أخذ في الأسباب فلا يعتمد عليها، بل يثق بالله ويعتمد عليه، وليكن أخذه في الأسباب امتثالاً لأمره تعالى، لأن الله يكره العبد البطال، وخص دواب الأرض بالذكر، لأنهم المحتاجون للأرزاق، وأما دواب السماء، كالملائكة والحور العين، فليسوا محتاجين لذلك، بل قوتهم التسبيح والتهليل.

قوله: ﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ أتى بذلك دفعاً لما يتوهم من كونه متكفلاً لكل دابة في الأرض برزقها، أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب، فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة، فلا تخفى عليه خافية، والمعنى أنه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها. قوله: [بعد الموت] أي وهو القبر. قوله: ﴿كل﴾ [مما ذكر] أي من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها، فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها، وهذا من باهر قدرته تعالى، لزيادة طمأنينة العبيد، ومراجعة الملائكة الموكلين بالأرزاق، لا خوفاً من نسيانه، إذ هو مستحيل عليه. قوله: ﴿وهو الذي خلق السموات﴾ هذا بيان لكونه قادراً على جميع الممكنات، وما تقدم بيان لكونه عالماً بالمعلومات كلها.

قوله: ﴿والأرض﴾ أي وما فيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك، والكلام على التوزيع، إذ خلق السموات في يومين، والأرض في يومين، والأقوات في يومين، كما يأتي في سورة فصلت. قوله: [أولها الأحد] تقدم أن هذا مشكل، لأنه لم يكن ثم زمان فضلاً عن تفصيله أياماً، فضلاً عن تخصيص كل يوم باسم، وتقدم الجواب عنه، بأن ذلك باعتبار ما تعلق به علمه سبحانه وتعالى، لأن كل شيء كان أو يكون، فهو في علمه على ما هو عليه، فالمعنى أولها الأحد الذي علم الله أنه يكون.

قوله: ﴿على الماء﴾ أي لم يكن بينهما حائل، بل هو في مكانه الذي هو فيه الآن، وهو ما فوق السماوات السبع، والماء في المكان الذي هو فيه الآن، وهو تحت الأرضين السبع، وذلك أن أول ما خلق الله النور المحمدي، ثم خلق

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: متعلق بخلق أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾: أي أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾: يا محمد لهم ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا﴾: القرآن الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾٧: بيّن وفي قراءة ساحر والمشار إليه النبي ﷺ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ﴾: مجيء ﴿أُمَّةٍ﴾: أوقات ﴿مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ﴾: استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من النزول قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾: مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾٨: من العذاب ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: الكافر ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾: غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾: قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾٩: شديد الكفر به ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾: فقر وشدة ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾: المصائب ﴿عَنِّي﴾: ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾: بطر ﴿فَخُورٌ﴾١٠: على الناس بما أوتي

منه العرش، ونشأ الماء من عرق العرش، فخلق الله منه الأرضين والسموات فالأرضون من زبده، والسماوات من دخانه. قوله: [ليختبركم] أي ليتميز المحسن من المسيء بتلك النعم، فمن شكر فهو المحسن، ومن كفر فهو المسيء، والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه في الآخرة على طاعته، والعاصي فيعاقبه في الآخرة على عصيانه. قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معمولة ﴿ليبلوكم﴾ علق عنها بالاستفهام. قوله: ﴿ولئن قلت﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وإن حرف شرط، وقوله ﴿ليقولن﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لتأخره، قال ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿إلا سحر﴾ أي كالسحر، فالكلام على التشبيه البليغ، من حيث إنه كلام مزين الظاهر، فاسد الباطن، قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ أي الذي استعجلوه. قوله: ﴿إلى أمة﴾ أي طائفة من الأزمنة. قوله: [معدودة﴾ أي قليلة. قوله: ﴿ليقولن﴾ الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله، وأعرب مع وجود نون التأكيد ولم يبن، لأن نون التوكيد تباشره، إذ الأصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت، وهذا بخلاف ليقولن المتقدم، فإنه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير. قوله: ﴿ما يحبسه﴾ أي أي شيء يمنعه من النزول؟ وهذا الاستفهام على سبيل السخرية.

قوله: ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ ﴿ألا﴾ أداة افتتاح، داخلة على ليس في المعنى، و﴿يوم﴾ معمول لخبر ليس، واسمها ضمير فيها يعود على العذاب، وكذلك فاعل ﴿يأتيهم﴾ ضمير يعود على العذاب، والتقدير ألا ليس هو أي العذاب، مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب، ففي هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها. قوله: [من العذاب] بيان لما.

قوله: ﴿ثم نزعناها منه﴾ أي أخذناه قهراً. قوله: [قنوط] أي لقلة صبره وعدم رجائه في ربه. قوله: ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ أي على حسب عادة الدهر، ولا ينظر لفضل الله في ذلك، فهو مغضوب عليه على كل حال. قوله:

• أسباب نزول الآية ٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ قال ناس: إن الساعة قد اقترب فتناهوا، فتناهى القوم قليلاً ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾ الآية وأخرج ابن جرير عن ابن جريج مثله.

﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: في النعماء ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١١: هو الجنة ﴿فَلَعَلَّكَ﴾: يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾: بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَا﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾: فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢: حفيظ فيجازيهم ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾: في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾: فإنكم عربيون فصحاء مثلي تحداهم بها أولاً ثم بسورة ﴿وَادْعُوا﴾: للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٣: في أنه افتراء ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾: أي من دعوتموهم للمعاونة

﴿إلا الذين صبروا﴾ مستثنى من قوله ﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ الخ، وقد أشار المفسّر، إلى أنّ هذا الاستثناء منقطع، حيث عبّر بلكنّ، ويصح أن يكون متصلاً، باعتبار أنّ المراد بالإنسان الجنس لا واحد بعينه. قوله: ﴿لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم. قوله: ﴿وأجر كبير﴾ أي عظيم مدخولهم في الآخرة.

قوله: ﴿فلعلك تارك﴾ لعل تأتي للترجي في الأمر المحبوب، كما تقول: لعل الحبيب قادم، وتأتي للتوقع في الأمر المكروه، كما تقول: لعل العدو قادم، والآية من هذا الثاني، غير أنّ التوقع ليس على بابه، إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك، بل المقصود منه الاستفهام الانكاري، والتحضيض على التبليغ، مع عدم المبالاة بمن عاداه، كأن الله يقول لنبيه: بلّغ ما أمرت به، ولو كره المشركون ذلك، ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم، وذلك أن رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم نفروا وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدّله، ونحن نتبعك، فرد الله عليهم ذلك، حيث حضه على التبليغ، ونهاه عن الكتم. قوله: ﴿بعض ما يوحى إليك﴾ أي وهو ما فيه سب آلهتهم.

قوله: ﴿وضائق به صدرك﴾ أي لا يكن منك ضيق صدر، بسبب استهزاء الكفار بك، فإن الله حافظك وناصرك عليهم وخاذلهم. قوله: ﴿أن يقولوا﴾ أي فقد قالوا: إن كنت صادقاً في الرسالة من عند الله الذي تصفه بالقدرة التامة، وأنك حبيبه وعزيز عنده، مع أنك فقير، فهلا أنزل عليك ما تستغني به أنت وأصحابك؟ وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة؟ قوله: ﴿كنز﴾ أي مال كثير، وسمي بذلك لأن شأنه أن يكتز. قوله: [فلا عليك إلا البلاغ] أي فلا تبال بقولهم، ولا تغتم منهم. قوله: [حفيظ] أي فيحفظك ويجازيهم.

قوله: ﴿أم يقولون﴾ ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى بل والهمزة، والإضراب انتقالي، والهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب. قوله: ﴿افتراه﴾ أي اختلقه من عند نفسه. قوله: ﴿قل فائتوا﴾ الخ رد لما قالوه، والمعنى أنكم عربيون مثلي، فائتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به، فإنكم تقدرون على ذلك، بل أنتم أقدر مني، لممارستكم الأشعار والوقائع. قوله: ﴿مثله﴾ نعت لسور، وإن كان بلفظ الافراد، فإنه يوصف به: المثنى والجمع والمذكر والمؤنث. قوله: [تحداهم بها أولاً] أي بعد أن تحداهم بجميع القرآن كما في سورة الإسراء، قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية، ثم تحداهم بعشر سور كما هنا، ثم بسورة كما في البقرة ويونس فالإسراء قبل هود نزولاً ثم هود ثم يونس ثم البقرة. قوله: [على] أي الإتيان. قوله: [أي غيره] أي من الأصنام أو من جميع المخلوقات.

قوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ أي أيها المشركون. قوله: ﴿أي من دعوتموهم﴾ تفسير للواو في

﴿فَاعْلَمُوا﴾: خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾: ملتبساً ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾: وليس افتراء عليه ﴿وَأَنْ﴾: مخففة أي أنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ١٤: بعد هذه الحجة القاطعة أي أسلموا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾: بأن أصر على الشرك وقيل هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾: بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾: أي الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ ١٥: ينقصون شيئاً ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾: بطل ﴿مَا صَنَعُوا۟﴾: ه ﴿فِيهَا﴾: أي الآخرة فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ١٦ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: وهو النبي ﷺ أو المؤمنون وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبعه

﴿يستجيبوا﴾. قوله: ﴿بعلم الله﴾ أي فكما أن علمه لا يشابهه علم، كذلك كلامه لا يشابهه كلام، لأن الكلام على حسب علم المتكلم، فكلما كان المتكلم متسع العلم، كان كلامه فصيحاً بليغاً، ولا أوسع من علم الله، لأنه أحاط بكل شيء علماً. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن. قوله: [أي أسلموا] أي فهو استفهام فيه معنى الطلب لزوال العذر المانع من ذلك.

قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ اختلف في سبب نزولها، فقيل في اليهود والنصارى، وقيل في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم، لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، وقيل في المرائين، والحمل على العموم أولى، فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن، الذي يأتي بالطاعات على وجه الرياء والسمعة. قوله: ﴿وزينتها﴾ أي ما يتزين به فيها، من الصحة والأمن والسعة والرياسة، وغير ذلك. قوله: [بأن أصروا على الشرك] هذا شامل للقولين المتقدمين. قوله: [وقيل هي في المرائين] أي ومعنى قوله ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ أي ابتداء، ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها، ويدل على أن له هذا الوعيد الشديد ما روي، يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه، وهذا القول اختاره البيضاوي لحديث «يقال لأهل الرياء: حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك، فقد قيل ذلك، ثم قال: إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار» رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: صدق رسول الله (من كان يريد الحياة الدنيا) الخ.

قوله: ﴿نوف﴾ بالنون مبنياً للفاعل وفيه ضمير يعود على الله، وبالياء مبنياً للمفعول ﴿وأعمالهم﴾ بالرفع نائب فاعل، والفاء مشددة على كل حال قراءتان: الأولى سبعية، والثانية شاذة. قوله: [أي جزاء ما عملوه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [بأن نوسع عليهم رزقهم] أي فهذا جزاء أعمالهم الحسنة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لهم في نظير ذلك شيء، قال تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن. قوله: [فلا ثواب له] أي لأنهم قد استوفوا في الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة، فليس لهم في الآخرة إلا العذاب، قال تعالى ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾. قوله: ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي في الدنيا من الخيرات.

قوله: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ لما تقدم ذكر أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة، وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة، الذين يريدون بأعمالهم وجه ربهم، واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر فيما يأتي بقوله [كمن ليس كذلك] وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله [لا] وقد صرح بهذين المحذوفين في قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾. قوله: [بيان] أي نور واضح ودليل ظاهر، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾. قوله: [وهو النبي] أي وعليه فالجمع للتعظيم في قوله ﴿أولئك يؤمنون

﴿شَاهِدٌ﴾: له يصدقه ﴿مِنْهُ﴾: أي من الله وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾: أي القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾: التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾: حال كمن ليس كذلك لا ﴿أُولَئِكَ﴾: أي من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي بالقرآن فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: جميع الكفار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْهُ﴾: من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٧ ﴿وَمَنْ﴾: أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾: بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾: يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ١٨: المشركين ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الإسلام

به﴾، وقوله [أو المؤمنون] والجمع فيها ظاهر، وفي نسخة والمؤمنون، وهي ظاهرة. قوله: ﴿وهو القرآن﴾ تفسير للبينة، وقد أخذ هذا التفسير مما يأتي في سورة البينة في قوله تعالى: ﴿حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾.

قوله: ﴿ويتلوه﴾ الضمير عائد على من. قوله: [وهو جبريل] تفسير للشاهد، والمعنى من كان متمسكاً بالحق، والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل لأنه مقوي ومصدق للرسول، ويصح أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن، والضمير في ﴿منه﴾ إما عائد على الله أو على القرآن، والمعنى على هذا، ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله، وهو الاعجاز في نظمه واشتماله على عجائب المغيبات في معناه فلا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، كلاً أو بعضاً، ويصح أن يراد بالشاهد، المعجزات الظاهرة على يد رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿ومن قبله﴾ الجار والمجرور حال من كتاب موسى، الواقع معطوفاً على شاهد. قوله: [شاهد له أيضاً] الأوضح أن يقول يتلوه أيضاً، إذ هو المسلّط عليه. قوله: ﴿إماماً﴾ أي مقتدى به. قوله: ﴿ورحمة﴾ أي إحساناً ولطفاً لمن أنزل إليهم. قوله: [أي من كان على بينة من ربه] أشار بذلك إلى أن اسم الإشارة عائد على قوله: ﴿أفمن كان على بينة﴾.

قوله: ﴿ومن يكفر به﴾ اسم الموصول راجع لقوله: [كمن ليس كذلك] فهو لف ونشر مرتب. ﴿فلا تك﴾ أصله تكون، دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، وحذفت النون تخفيفاً. قوله: ﴿في مرية﴾ بكسر الميم باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بضمها وهي لغة قليلة، وهو خطاب للنبي والمراد غيره. قوله: ﴿إنه الحق﴾ أي الثابت والذي لا محيص عنه. قوله: ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يفيد أن الأقل مؤمن، وهو كذلك في كل زمن إلى يوم القيامة، وإنما خص المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم. قوله: [أي لا أحد] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، وهذا شروع في ذكر أوصافهم، وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفاً أولها قوله: ﴿ومن أظلم﴾ وآخرها قوله: ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾.

قوله: ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ أي عرض فضيحة وهتك ستر. قوله: [وهم الملائكة] أي والنبيون والأصفياء. قوله: ﴿ألا لعنة الله﴾ هذا من كلام الله تعالى بقوله لهم يوم القيامة، فيطردون بذلك عن الرحمة الصالحة في الآخرة، وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا. قوله: ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس عن

﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبون السبيل ﴿عِوَجاً﴾: معوجة ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ﴾: تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾١٩ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾: الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ه٢٠ أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾٢١: على الله من دعوى الشريك ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾٢٢ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾: سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾٢٣ ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكفار والمؤمنين ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾: هذا مثل

الدخول في دين الإسلام، والمعنى أنهم كما ضلوا في أنفسهم، يضلون غيرهم. قوله: ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي ينسبونها للإعوجاج، والحال أنه قائم بقلوبهم.

قوله: ﴿أولئك لم يكونوا معجزين﴾ أي فارين من عذاب الله لأن الله وإن أمهلهم لا يهملهم. قوله: ﴿من أولياء﴾ من زائدة في اسم كان، والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله، يمنعون عذاب الله عنهم. قوله: [بإضلالهم غيرهم] أشار بذلك إلى جواب سؤال، وأراد على الآية. وحاصله أن المضاعفة مخصوصة بالحسنات، وأما السيئات فلا تضاعف. قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ فأجاب المفسر: بأن معنى المضاعفة الشدة، لأنهم يعذبون عذابين، عذاباً على ضلالهم في أنفسهم، وعذاباً على إضلالهم غيرهم. قوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ أي لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم. قوله: ﴿وما كانوا يبصرون﴾ أي لم يقدروا على ذلك.

قوله: ﴿أولئك﴾ أي الذين لا يستطيعون السمع ولا الإبصار. قوله: [من دعوى الشريك] بيان لما. قوله: ﴿لا جرم﴾ اختلف العلماء في معنى لا جرم، على ثلاثة أوجه: أولها: أن لا نافية لأماني الكفار، وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت، وقوله: ﴿أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ الجملة في محل رفع فاعل بجرم، ويصير المعنى لا عبرة بأمانيهم بل حق، وثبت خسرانهم في الآخرة، وهذا الوجه أحسنها. ثانيها: أن لا كذلك، وجرم بمعنى كسب، وأن وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مفعوله، والفاعل ما دل عليه السياق، والمعنى كما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسرانهم في الآخرة. ثالثها: أن لا جرم بمعنى لا بد، أي لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون، فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح، وجملة أنهم في محل رفع خبرها، إذا علمت ذلك، فقول المفسر حقاً لم يوافق واحداً من هذه الثلاثة، إلا أن يقال إنه مر على الأول، ويكون حقاً مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، والتقدير حق حقاً، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع، ويقال في كل واحد منها ما قيل هنا.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ لما ذكر الله أحوال الكفار، وما آل إليه أمرهم، أتبعهم بذكر المؤمنين، وما آل إليه أمرهم. قوله: ﴿وأخبتوا﴾ من الاخبات وهو الخشوع والخضوع، ويتعدى باللام وإلى، فإن عدي باللام، فمعناه خشع وخضع، وإن عدي بإلى، فمعناه اطمأن وسكن، وقد اقتصر المفسر على هذا الثاني. قوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة﴾ التعبير بأصحاب إشارة إلى أن أهل الجنة، كما يكون لمنازلها ملكاً لا يحول ولا يزول. قوله: ﴿مثل الفريقين﴾ لما ذكر أحوال الكفار، وما هم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق، وذكر أحوال المؤمنين، وما هم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه، أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق.

قوله: ﴿كالأعمى والأصم﴾ هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم في علم الله، والمراد

الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾: هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٢٤: فيه إدغام التاء في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنِّي﴾: أي بأني وفي قراءة بالكسر على حذف القول ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ٢٥: بيّن الإنذار ﴿أَنْ﴾: أي بأنْ ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٦: مؤلم في الدنيا والآخرة ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: وهم الأشراف ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾: ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أسافلنا كالحاكة والأساكفة ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: بالهمز وتركه أي ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أي وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾:

من الأعمى والأصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين، فإنه هو الذي لا يقبل الهدى لمقصوده بأي وجه كان، ومثل ذلك يقال في نظيره، وهو البصير والسميع. قوله: ﴿مثلاً﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، والأصل هل يستوي مثلهما. قوله [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعميتم وتركتم الهدى فلا تذكرون، فهو خطاب للمشركين الذين كانوا في زمنه ﷺ. قوله: [فيه إدغام التاء] الخ، أي والأصل تتذكرون، أبدلت التاء الثانية ذالاً، وأدغمت في الذال، وفي قراءة سبعية بحذف إحدى التاءين تخفيفاً.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ جرت عادة الله في كتابه العزيز، أنه إذا أقام الحجج على الكفار، ووبخهم وضرب لهم الأمثال، يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأممهم، لعلهم يهتدون، وفي هذه السورة سبع قصص، الأولى قصة نوح مع قومه. الثانية: قصة هود مع قومه. الثالثة: قصة صالح مع قومه. الرابعة: قصة إبراهيم مع الملائكة. الخامسة: قصة لوط مع قومه. السادسة: قصة شعيب مع قومه. السابعة: قصة موسى مع فرعون. وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزماني، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، ونوح لقبه، سمي بذلك لكثرة نوحه لما ورد أنه رأى كلباً مجذوماً فقال له: إخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب، فكان ذلك عتاباً له، فاستمر ينوح ﷺ على نفسه، فسمي بذلك. قوله: [أي بأني] أشار بذلك إلى أن قراءة الفتح على إضمار حرف الجر. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [على حذف القول] أي ومتى وقعت إن بعد القول كسرت. قوله: ﴿مبين﴾ أي بيّن الإنذار وواضحه.

قوله: ﴿إني أخاف عليكم﴾ هذا في قوة التعليل لقوله: ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾. قوله: ﴿أليم﴾ صفة لليوم، وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلي، وحق الاسناد للعذاب. قوله: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ اعلم أنهم احتجوا عليه بثلاث حجج، أولها قوله: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾ وآخرها قوله: ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ وقد أجابهم عنها إجمالاً بقوله: ﴿أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾ الخ. وتفصيلاً بقوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ الخ. قوله: ﴿إلا بشراً مثلنا﴾ أي آدمياً مثلنا. قوله: [ولا فضل لك علينا] أي لا مزية لك علينا، وهذا من فرط جهلهم، استبعدوا فضل الله على البشر، وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة.

قوله: ﴿أراذلنا﴾ إما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذل بسكونها، ككلب وأكلب وأكالب، أو جمع المفرد وهو أرذل، كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح. قوله: [كالحاكة] جمع حائك وهو القزاز. قوله: [والأساكفة] جمع إسكاف وهو صانع النعال، وهذه عادة الله في الأنبياء والأولياء، أن أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم، فلا يتكبرن عن الاتباع. قوله: [بالهمز وتركه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من غير تفكر فيك] أي ولو تفكروا لما اتبعوك. قوله:

فتستحقون به الإتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾٢٧: في دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه في الخطاب ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً﴾: نبوة ﴿مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾: خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾: في قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾٢٨: لا نقدر على ذلك ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مَالًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: كما أمرتموني ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾: بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾٢٩: عاقبة أمركم ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: أي عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾: أي لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾: فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾٣٠: بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال تتعظون ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا﴾: إني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: بل أنا بشر مثلكم ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾: تحتقر ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: قلوبهم ﴿إِنِّي إِذًا﴾: إن قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾٣١ ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾٣٢: فيه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾:

﴿من فضل﴾ أي مزية من مال وغيره. قوله: [في الخطاب] أي في قوله: وما نرى لكم بل نظنكم.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ هذا خطاب في غاية التلطف بهم. قوله: [بيان] أي حجة وبرهان. قوله: ﴿فعميت﴾ أي النبوة أي خفيت عليكم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [والبناء للمفعول] أي والأصل أعماها الله عليكم أي أخفاها، فأطلق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء، لأن الأعمى تخفى عليه الأشياء، فلا يهتدي ولا يهدي غيره. قوله: [أنجبركم على قبولها] أي لا قدرة لنا على إلزامكم إياها، والحال أنكم كارهون لها، بل الإيمان إنما هو بالرضا والتسليم الباطني، والمعنى أخبروني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي وأعطاني نبوة من عنده، فأخفاها عليكم، أأجبركم على قبولها والإيمان بها، والحال أنكم كارهون منكرون لها، لا أستطيع ذلك، بل لا قدرة لي إلا على البلاغ.

قوله: ﴿إلا على الله﴾ أي فهو المتكفل لي بالثواب والعطايا. قوله: [كما أمرتموني] أي فقد قالوا له: امنع واطرد هؤلاء الأسافلة عنك ونحن نتبعك، فإنا نستحي أن نجلس معهم في مجلسك، وهذا كما قالت قريش لمحمد ﷺ كما في سورة الأنعام، فنزل رداً عليهم ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ الآية. قوله: [فيجازيهم] أي على ما قدموا من الأعمال الصالحة. قوله: ﴿تجهلون﴾ أي لا تحسنون خطاباً. قوله: [أي لا ناصر لي] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿أفلا تذكرون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتأمروني بطردهم فلا تذكرون.

قوله: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ هذا رد لقولهم: ﴿وما نرى لكم علينا فضل﴾ والمراد بخزائن الله، مغيباته التي لا يعلمها ولا يطلع عليها إلا هو. قوله: ﴿ولا أعلم الغيب﴾ رد لقولهم: ﴿وما نراك اتبعك﴾ الخ، والمعنى ما قلت لكن إني أعلم الغيب فأطلع على بواطنكم. قوله: ﴿ولا أقول إني ملك﴾ رد لقولهم: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾. قوله: ﴿تزدري﴾ أصله تزتري فقلبت تاء الافتعال دالاً. قوله: ﴿لن يؤتيهم الله خيراً﴾ أي توفيقاً وهدى. قوله: ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ أي من إيمان وكفر.

قوله: ﴿قد جادلتنا﴾ أي شرعت في جدالنا. قوله: [به] قدره إشارة إلى أن عائد الموصول محذوف، ويصح أن

تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إليّ ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ٣٣: بفائتين الله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾: أي إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٣٤: قال تعالى: ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾: أي كفار مكة ﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾: إثمي أي عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ ٣٥: من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦: من الشرك فدعا عليهم بقوله: ربّ لا تذر على الأرض الخ فأجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾: السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأى

تكون ما مصدرية، والمعنى بوعدك إيانا. قوله: [فيه] أي في الوعد. قوله: [تعجيله] إشارة بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف. قوله: [بفائتين الله] أي بفارين من عذابه. قوله: [وجواب الشرط] أي الأول، وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين: إن جواب الشرط لا يتقدم عليه، وجوزه الكوفيون، وحينئذ يكون تقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي، وذلك لأن القاعدة إذا اجتمع في الكلام شرطان، وجوابه يجعل الجواب للثاني، والشرط الثاني وجوابه، جواباً عن الأول. قوله: [أي كفار مكة] هذا أحد قولين، والثاني وعليه أكثر المفسرين، أن هذه الآية من جملة قصة نوح، ويكون الضمير في ﴿افتراه﴾ عائداً على الوحي الذي جاءهم به نوح.

قوله: [أي عقوبته] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿وأوحي﴾ الجمهور على أنه مبني للمفعول، وأنه بالفتح في تأويل مصدر نائب فاعل، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، وأنه بالكسر، إما على إضمار القول: أي أوحى الله إلى نوح قائلاً له إنه الخ، أو بتضمين الإيحاء معنى القول. قوله: ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ أي لن يستمر على الإيمان إلا من ثبت إيمانه وحصل، فاندفع ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل. قوله: [فدعا عليهم] أي بعد اليأس من إيمانهم، وحصول غاية المشقة له منهم، فكانوا يضربونه حتى يسقط، فيلقونه في اللبد ويلقونه في بيت يظنون موته، فيخرج في اليوم الثاني، ويدعوهم إلى الله تعالى، وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، وكان الوالد منهم يوصي أولاده بعدم اتباعه ويقول: قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنوناً، فلا يقبلون منه شيئاً. فلما أوحي إليه بعدم إيمانهم دعا عليهم كما قال المفسر.

قوله: ﴿واصنع الفلك﴾ يطلق مفرداً وجمعاً، والمراد هنا المفرد، وكان طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعاً، والذراع إلى المنكب، وهذه أشهر الروايات، وقيل كان طولها ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وقيل غير ذلك، وجعلها ثلاث طبقات، فالسفلى للوحوش والسباع والهوام، وفي الوسطى الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في العليا، وقيل السفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس والعليا للطير، وأول ما حمله نوح الذرة، وآخر ما حمل الحمار، فلما أراد أن يدخل الحمار، أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه، فاستثقل رجلاه، وجعل نوح يقول: ويحك ادخل، فينهض فلا يستطيع حتى قال له: ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل، فقال له نوح: ما أدخلك عليّ يا عدو الله؟ قال: ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك؟ قال: اخرج عني يا عدو الله، قال: لا بد أن تحملني معك، هكذا قيل، وقيل إنه لم يحمله معه في السفينة وهو الصحيح، لأنه لم يثبت في حمله خبر صحيح، ومكث في صنع السفينة مائتي سنة، مائة في غرس الأشجار، ومائة في عملها، وهي من خشب الساج.

قوله: [بمرأى منا وحفظنا] دفع بذلك ما يقال إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين، بمعنى الجارحة المعلومة على الله. فأجيب: بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم، لأنه يلزم من كون الشيء بالأعين، أنه مبالغ في حفظه.

منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرنا ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا﴾: كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ ٣٧ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾: حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾: جماعة ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ٣٨: إذا نجونا وغرقتم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٣٩: دائم ﴿حَتَّىٰٓ﴾: غاية للصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: للخبّاز بالماءِ وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾: أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذكراً وأنثى وهو مفعول وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾: أي منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثٍ فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ٤٠: قيل: كانوا ستة رجالٍ

قوله: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ أي لا تراجعني في شأنهم، فإن الهلاك لا بد لهم منه. قوله: [حكاية حال ماضية] أي فالمضارع بمعنى الماضي. قوله: ﴿وكلما مر عليه ملأ﴾ الجملة حالية، والتقدير يصنع الفلك، والحال أنه كلما مر الخ استهزؤوا به، أي فقالوا صرت نجاراً بعد أن كنت نبياً، وكان يعمل السفينة في برية لا ماء فيها، واستهزاؤهم إما لكونهم لا يعرفون السفينة ولا الانتفاع بها، أو لكونهم يعرفونها، غير أنهم تعجبوا من صنعه لها في أرض لا ماء بها. قوله: ﴿فإنا نسخر منكم﴾ أي أنتم محل السخرية والاستهزاء، لأن من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية، ولا حاجة لكون الكلام من باب المشاكلة. قوله: [موصولة] أي وعلم عرفانية تنصب مفعولاً واحداً، ويصح أن تكون استفهامية، وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين، ويكون الثاني محذوفاً. قوله: ﴿عذاب﴾ أي وهو الغرق. قوله: [غاية للصنع] أي في قوله ويصنع الفلك.

قوله: ﴿وفار التنور﴾ وكان من حجارة ورثه من أمه حواء، والأشهر أنه كان بالكوفة، على يمين الداخل مما يلي باب كندة، والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون. قوله: [للخباز] أي وهي امرأة نوح، وكان فورانه وقت طلوع الفجر. قوله: [وكان ذلك] أي فوران التنور وغليانه. قوله: [علامة لنوح] أي على الطوفان، وكان في ثالث وعشرين من أبيب في شدة القيظ. قوله: ﴿من كل زوجين﴾ المراد بالزوجين كل اثنين، لا يستغني أحدهما عن الآخر، كالذكر والأنثى ويقال لكل منهما زوج، والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى، قال الحسن: لم يحمل نوح معه إلا ما يلد أو يبيض، وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض، فلم يحمل منه شيئاً، وروى بعضهم: أن الحية والعقرب أتيا نوح وقالا: احملنا معك، فقال: إنكما سبب البلاء فلا أحملكما، فقالا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾، لم يضر. قوله: [وهو مفعول] أي لفظ اثنين، وقوله: ﴿من كل زوجين﴾ حال منه مقدم عليه. قوله: [أي زوجته] أي التي أسلمت لأنه كان له زوجتان، إحداهما آمنت فحملها، والأخرى لم تؤمن فتركها. قوله: [وأولاده] أي الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ أي القضاء بالغرق. قوله: [أي منهم] أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون. قوله: [وهو زوجته] أي التي لم تؤمن واسمها واعلة، وقيل واعكة، ورد أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعقم، فلم يلدوا في تلك المدة، كي لا تصيبهم الرحمة من أجل وجود الصغار بينهم. قوله: [بخلاف سام] وهو أبو

ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَقَالَ﴾: نوح: ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: بفتح الميمين وضمهما مصدران أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٤١: حيث لم يهلكنا ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾: في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ﴾: كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: عن السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ ٤٢ ﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ: لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: عذابه ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن رَّحِمَ﴾: الله فهو

العرب، وحام أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك. قوله: [ثمانون] أي اثنان وسبعون من الأمة، وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم.

قوله: ﴿وقال اركبوا﴾ خطاب لمن معه. قوله: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ حال من الواو في اركبوا، والتقدير قائلين بسم الله الخ. وبسم الله خبر مقدم، وقوله: ﴿مجراها ومرساها﴾ مبتدأ مؤخر، روي أنه كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست. قوله: [بفتح الميمين] سبق قلم إذ فتح مرساها شاذ، فالصواب أن يقول بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية. قوله: [مصدران] راجع لكل من الفتح والضم. قوله: [أي جريها] هذا يناسب الفتح، وأما الضم فيقال في تفسيره، أي إجراؤها وإرساؤها.

قوله: ﴿كالجبال﴾ روي أن الله أرسل المطر أربعين يوماً وليلة، وخرج الماء من الأرض، قال تعالى: ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء من أمر قد قدر﴾ وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعاً، حتى أغرق كل شيء، وروي أنه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء، فارتفعت حتى بلغت ثلثيه، فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي، ولا ينافي ما تقدم من أنهم أصابهم العقم أربعين سنة، لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين.

قوله: ﴿ونادى نوح ابنه﴾ أي قبل سير السفينة. قوله: ﴿وكان في معزل﴾ الجملة حالية من ضمير ابنه، وقوله: ﴿يا بني﴾ الخ هذا هو المنادى به بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير، والثانية لام الكلمة. والثالثة ياء المتكلم، تحركت ياء المتكلم وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان، حذفت لالتقائهما، وأدغمت إحدى الياءين في الأخرى، فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿اركب معنا﴾ بإظهار الباء وإدغامها في الميم سبعيتان.

قوله: ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ أي في البعد عن الركوب معنا، إن قلت: لا يخلو الحال، إما أن يكون هذا الولد مسلماً أو كافراً، فإن كان مسلماً فبعده كونه في معزل، وإن كان كافراً، فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره؟ أجيب: بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقاً، يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فعند مجيء الطوفان أظهر ما كان يخفيه، ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره، وقيل كان ولد خبث، ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط. قوله: ﴿ساوي﴾ أي ألتجىء. قوله: ﴿من رحم﴾ عبر المفسر بلكن، إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، لأن ما بعد إلا هو المعصوم، وما قبلها هو العاصم، ولا شك أنه غيره.

المعصوم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ ٤٣ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ﴾: الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾: امسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾: نقص ﴿ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾: وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾: جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْداً﴾: هلاكاً ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾ ٤٤: الكافرين ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ: رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي﴾: كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾: وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾: الذي لا خلف فيه ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ﴾ ٤٥: أعلمهم وأعدلهم ﴿قَالَ﴾: تعالى: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾: أي سؤالك إياي بنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل

قوله: ﴿وحال بينهما﴾ أي بين نوح وابنه. قوله: ﴿فكان من المغرقين﴾ أي الهالكين بالماء، ورد أنه أوى إلى جبل عال، فدخل في غار منه، وسد على نفسه من كل جهة، فغرق في بوله وغائطه. قوله: ﴿وقيل يا أرض﴾ الخ، أي أمر الله الأرض بذلك، والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ وهذا القول وقع يوم عاشوراء، ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر، فلما نجوا صاموا جميعاً، حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكراً لله على النجاة، ومرت السفينة بهم بالبيت الحرام، فطافت به سبع مرات، وأودع الله الحجر الأسود في جبل أبي قبيس، وورد أن نوحاً حمل أباه آدم معه في السفينة. قوله: [فصار أنهاراً وبحاراً] أي فماء السماء، بقي في أماكن من الأرض أنهاراً وبحاراً، وماء الأرض ابتلعته الأرض في باطنها. قوله: [نقص] أي ولم يذهب بالكلية، لما علمت من بقاء ماء السماء. قوله: [جبل بالجزيرة] هي مدينة بالعراق، روي أن الله أوحى إلى الجبال، أن السفينة ترسي على واحد منها، فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول تواضعاً لله، فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها، وفي الحديث «بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الأمة» ورد أنهم لما خرجوا من السفينة، بنوا قرية وسموها الثمانين لأنهم كانوا ثمانين.

قوله: ﴿وقيل بعداً﴾ منصوب على المصدر بفعل مقدر، أي بعدوا بعداً، فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم. قوله: ﴿للقوم الظالمين﴾ أي فهلكوا جميعاً، حتى البهائم والطيور والأطفال، على القول بأنهم لم يعقموا، ولا يسأل عما يفعل، وهذا الغرق عقوبة للمكلفين لا غيرهم، قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن، لاحتوائها على أحد وعشرين نوعاً من أنواع البديع، والحال أن كلماتها تسعة عشر، وخوطب في الأرض أولاً بالبلع، لأن الماء نبع منها أولاً، قبل أن تمطر السماء.

قوله: ﴿ونادى نوح ربه﴾ أي قبل سير السفينة. قوله: ﴿فقال﴾ هذا تفصيل للنداء. قوله: [وقد وعدتني بنجاتهم] أي المدلول عليها بقوله: ﴿قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك﴾ قوله: [الناجين أو من أهل دينك] أشار المفسر إلى أن الكلام، إما على حذف الصفة، أو على حذف المضاف. قوله: [أي سؤالك] أشار بذلك إلى أن الضمير في أنه عائد على نوح على حذف المضاف، والمعنى قال الله يا نوح، إن سؤالك عمل غير صالح أي غير مقبول، لأن الله لا يقبل الشفاعة إلا في المسلمين، فسؤالك خطأ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه، وهذا غير قادح في منصب النبوة لأن نوحاً كان يظن إسلام ولده، لأنه كان يظهره، ومن المعلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر، وقيل إن الضمير عائد على الولد، ويقال في الإخبار عنه بعمل ما قيل في زيد عدل وهو الراجح. قوله: [وفي قراءة] أي وهي

ونصب غير فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: من إنجاء ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٤٦: بسؤالك ما لم تعلم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾: من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾: ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٤٧ ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾: انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾: بسلامة أو بتحية ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾: خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾: في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾: بالرفع ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤٨: في الآخرة وهم الكفار ﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾: على التبليغ وأذى قومك كما صبر

سبعية أيضاً. قوله: [ونصب غير] أي على المفعولية لعمل. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فعلى التخفيف تسكن اللام، وعلى التشديد تفتح اللام، وفي قراءة التخفيف وجهان: حذف الياء وإثباتها، وفي قراءة التشديد ثلاث: فتح النون مع حذف الياء لا غير، وكسر النون مع حذف الياء وإثباتها، وكل هذا في حال الوصل، وأما عند الوقف فلا تثبت أصلاً.

قوله: ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا. قوله: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ هذا العتاب فيه رفق وتلطف، والمعنى كأن الله يقول له: إن مقامك عظيم، فشأنك أن لا تسأل ولا تشفع؛ إلا فيمن يرجى فيه النجاة، وأما فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه، فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه. قوله: ﴿إني أعوذ بك﴾ أي أتحصن بك. قوله: ﴿أن أسألك﴾ أي بعد ذلك. قوله: [ما فرط مني] أي تقدم وسلف، وهو الإقدام على سؤال ما ليس به علم، وهذا لا يقتضي صدور ذنب من نوح، إذ هو معصوم من الذنوب، كبيرها وصغيرها؛ لأن الله وعد نوحاً عليه السلام، بأن ينجيه وأهله، فأخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل، حيث ظن أن ولده من جملة اهله الناجين، فلما عاتبه ربه، رجع على نفسه باللوم والندم مما وقع منه، وسأله المغفرة والرحمة، وذلك كما وقع لآدم في الأكل من الشجرة، وليست هذه ذنوباً، بل هي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قوله: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام﴾ أي سلامة وأمن، ودخل في هذا السلام، كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، وفيما بعده من المتاع والعذاب، كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة. قوله: [انزل من السفينة] ورد أنه لما نزل منها، أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض، فقال له الدجاج أنا، فأخذه وختم على جناحه وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً تنتفع بك أمتي فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس، فلعنه ودعا عليه بالخوف، فلذلك يقتل في الحل والحرم ولا يألف البيوت، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً، فوقفت على شجرة بأرض سبا، فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح، فعلم أنها لم تتمكن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك، فطارت حتى وقفت بوادي الحرم، فإذا الماء قد ذهب موضع الكعبة، وكانت طينتها حمراء، فاختضبت رجلاها، ثم جاءت إلى نوح فقالت: بشراي منك، أن تهب لي الطوق في عنقي، والخضاب في رجلي، وأن أسكن الحرم، فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها، ودعا لها ولذريتها بالبركة. قوله: [أي من أولادهم] الخ، أشار بذلك إلى أن من تبعيضية، والكلام على حذف مضاف، والمعنى وعلى أمم من ذرية ممن معك. قوله: ﴿وامم سنمتعهم﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله، أي وأمم من ذرية من معك سنمتعهم الخ. والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن فعليه السلام، وبعضها كافر فيمتع في الدنيا، ثم يمسه العذاب الأليم في الآخرة، والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدم، فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم. قوله: ﴿تلك﴾ مبتدأ، أخبر عنه بثلاثة أخبار. قوله: ﴿ما كنت تعلمها﴾ أي تفصيلاً. قوله: ﴿فاصبر﴾ هذا هو

نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ﴾: المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٩ ﴿وَ﴾: أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾: من القبيلة ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾: زائدة ﴿إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾: في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ ٥٠:
كاذبون على الله ﴿يَا قَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التوحيد ﴿أَجْرًا إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾:
خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٥١ ﴿وَيَا قَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة ﴿يُرْسِلِ
ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر وكانوا قد منعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾: بالمال
والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢: مشركين ﴿قَالُوا۟ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ
ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾: أي لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٣ ﴿إِن﴾: ما ﴿نَّقُولُ﴾: في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾: أصابك
﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾: فخبّلك لسبك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾: عليّ ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا

المقصود من ذكر تلك القصة، أي فتسل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين، ولا تنزعج من أذاهم. قوله: ﴿وإلى عاد﴾ الجملة معطوفة على جملة ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ عطف قصة على قصة، وأخر هوداً لأنه متأخر عن نوح في الزمن، إذ هو من أولاد سام بن نوح، وبين هود ونوح ثمانمائة سنة، وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد، من ذرية سام بن نوح، وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة، لأن عاداً ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهود ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد، وعاش هود أربعمائة سنة وأربعاً وستين سنة. قوله: [وحدوه] أي وسمى التوحيد عبادة، لأنه أساسها ورأسها. قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ ما نافية، ولكن خبر مقدم، وإله مبتدأ مؤخر، وغيره صفته، ومن زائدة كما قال المفسر. قوله: [كاذبون على الله] أي حيث ادعيتم أن لله شركاء وعبدتموهم. قوله: ﴿لا أسألكم عليه أجراً﴾ أي ليس مقصدي من تبليغ التوحيد والأحكام لكم أنكم تعطوني أجراً على ذلك من مال أو غيره؛ والمقصود من ذلك الخطاب إراحة قلوبهم واللطف بهم، عسى أن يقبلوا ما جاء به بقلب سليم، وعبر هنا بأجر، وفي قصة نوح بما لا تفتنا.

قوله: ﴿إن أجري إلا على الذي فطرني﴾ أي لأنه هو المعطي المانع الضار النافع، المقدم المؤخر، أطلب من غيره.

قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أجهلتم وعميتم فلا تعقلون.

قوله: ﴿استغفروا ربكم﴾ أي من كل ذنب مضى، وقوله: ﴿وتوبوا إليه﴾ أي أقلعوا واعزموا على عدم الرجوع في المستقبل. قوله: [وكانوا قد منعوه] أي ثلاث سنين. قوله: ﴿مدراراً﴾ حال من السماء، أي كثيرة النزول والتتابع. قوله: [كثير الدرور] أي فيقال: درّ يدرّ درّاً ودروراً، فهو مدرار. قوله: [بالمال والولد] أي وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد.

قوله: ﴿قالوا يا هود﴾ أي استهزاءً وعناداً. قوله: ﴿ببينة﴾ أي معجزة، وكانت معجزته التي قامت بها الحجة عليهم، ما يأتي في قوله: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون﴾ فعصمته منهم هي معجزته، وكذا معجزة نوح التي قامت بها الحجة عليهم هي قوله: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ الآية، وأما الريح والطوفان، وإن كان كل معجزة فيهما هلاكهم، لا إقامة الحجة عليهم. قوله: [برهان] أي دليل واضح على صحته. قوله: [أي لقولك] أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل. قوله: ﴿أن نقول﴾ أي في شأنك. قوله: [فخبلك] أي أفسد عقلك.

قوله: [لسبك] علة لقوله: فخبلك. قوله: [فأنت تهذي] أي تتكلم بالهذيان، وهو الكلام الساقط الذي لا معنى له.

تُشْرِكُونَ ۝٥٤ به ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعاً﴾: أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ ۝٥٥: تمهلون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن﴾: زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾: نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: أي مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ۝٥٦: أي طريق الحق والعدل ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾: بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ۝٥٧: رقيب ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾: هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ۝٥٨: شديد ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: إشارة إلى آثارهم أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالها فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾: جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾: أي السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ۝٥٩: معاند للحق من رؤسائهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: من الناس ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لعنة على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ﴾: جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً﴾: من رحمة الله ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ ۝٦٠ وَ: أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾: من

قوله: ﴿أني بريء مما تشركون﴾ أي خالص ومتبرىء من جميع ما تشركونه مع الله. قوله: ﴿فكيدوني﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً هنا لجميع القراء، والتي في المرسلات بحذفها لجميعهم، وأما التي في الأعراف فمن ياءات الزوائد، فتحذف وقفاً، ويجوز حذفها وإثباتها في الوصل. قوله: ﴿ثم لا تنظرون﴾ أي لا تؤخرون حتى آتي بشيء يحفظني من قراءة أو سلاح أو غير ذلك، وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه.

قوله: ﴿إني توكلت﴾ أي فوضت أموري إليه واعتمدت عليه. قوله: ﴿ربي وربكم﴾ هذا تبكيت عليهم. قوله: [فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه] أي وأنتم من جملة الدواب، فليس لكم تأثير في شيء أصلاً. قوله: ﴿فإن تولوا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة قوله: ﴿فقد أبلغتكم﴾ الخ عليه، والتقدير فلا عذر لكم ولا مؤاخذة علي، فقد أبلغتكم الخ. قوله: ﴿ويستخلف ربي﴾ الخ، هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم، والمعنى فإن تعرضوا عن الإيمان، فلا مؤاخذة علي، بل يقبلني ربي ويهلككم ويستخلف غيركم، ولا تضرونه شيئاً بإعراضكم، بل ما ضر إلا أنفسكم.

قوله: ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ أي فلا تخفى عليه أحوالكم، بل يجازي كل أحد بعمله. قوله: [عذابنا] أي وهو الريح الصرصر المذكور في قوله تعالى: ﴿سخرها عليهم سبع ليال﴾ الآية، فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكان يدخل في أنف الواحد، ويخرج من دبره، فيرفعه في الجو فيسقط على الأرض فتقطع أعضاؤه، وقد تقدم بسطها في الأعراف. قوله: ﴿والذين آمنوا معه﴾ أي وكانوا أربعة آلاف. قوله: ﴿وتلك عاد﴾ مبتدأ وخبر على حذف مضاف، كما أشار له المفسر، أي آثار عاد. قوله: [في الأرض] أي أرضهم. قوله: [وانظروا إليها] أي لتعتبروا، وهو خطاب للنبي ﷺ وأمته، ولكن المراد الأمة. قوله: [لأن من عصى رسولاً] الخ، جواب عما يقال لم جمع الرسل، مع أنهم عصوا رسولاً واحداً وهو هود. قوله: ﴿عنيد﴾ أي معاند متجاوز في الظلم. قوله: ﴿لعنة﴾ أي طرداً وبعداً. قوله: ﴿ويوم القيامة﴾ [لعنة] أي طرداً عن رحمة الله، وهي الجنة وما فيها، لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود في النار. قوله: ﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾ هذا بيان لسبب استحقاقهم للعنتين.

قوله: ﴿ألا بعداً لعاد﴾ هذا هو معنى قوله: ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ وذكر تأكيداً وإشارة إلى أنهم مستحقون لذلك. قوله: ﴿قوم هود﴾ بدل من عاد، واحترز به عن عاد الثانية المسماة بثمود، وهي قوم صالح الآتية

القبيلة ﴿صَالِحاً قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾: وحِّدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾: ابتدأ خلقكم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾: بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾: بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: من خلقه بعلمه ﴿مُجِيبٌ﴾ ٦١: لمن سأله ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً﴾: نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هٰذَا﴾: الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ ٦٢: موقع في الريب ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ اللهِ﴾: أي عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ٦٣: تضليل ﴿وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾: حال عاملها

قصتهم بعد قوله: ﴿وإلى ثمود﴾ عطف على قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، وقدر المفسر [أرسلنا] إشارة إلى أن قوله أرسلنا الأول مسلط عليه فهو من عطف الجمل، وثمود هنا يمنع الصرف باتفاق القراء العشرة، وقرىء شاذاً بالصرف، بخلاف ما يأتي في قوله: ﴿ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾ فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان، وثمود اسم أبي القبيلة، سميت باسمه لشهرته، وبين صالح وبينه خمسة أجداد، وبين صالح وهود مائة سنة، وعاش صالح مائتي سنة وثمانين سنة.

قوله: ﴿هو أنشأكم﴾ هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره. قوله: ﴿من الأرض﴾ أي مباشرة أو بواسطة، فالأول كخلق أبينا آدم منها، والثاني كخلق مواد النطف التي منها النوع الإنساني. قوله: [جعلكم عماراً تسكنون بها] أي خلفاء في الأرض، ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد أن خربت. قوله: ﴿فاستغفروه﴾ أي من الذنوب التي مضت. قوله: ﴿ثم توبوا إليه﴾ أي أقلعوا عن الذنوب في المستقبل. قوله: [بعلمه] أي فالمراد قرب مكانة ورفعة، والمعنى أن الله قريب من خلقه قرباً معنوياً، منزهاً عن الإحاطة والجهة، فهو أقرب من نور العين لها، ومن سمع الأذن لها، ومن لمس الجسم له، ومن الأنف له سبحانه وتعالى. قوله: ﴿مجيب﴾ أي فلا يخيب سائلاً. قوله: [نرجو أن تكون سيداً] أي لأنه كان يعين ضعيفهم ويعطي فقيرهم، وكانوا يرجعون إليه في الأمور قبل تلك المقالة، فلما حصلت قالوا قد انقطع رجاؤنا فيك. قوله: [الذي صدر منك] أي وهو نهيهم عن عبادة الأوثان.

قوله: ﴿أتنهانا أن نعبد﴾ أي أتنهانا عن عبادة الذي كان يعبده آباؤنا، وقوله: [من الأوثان] بيان لما. قوله: ﴿وإننا﴾ هذا هو الأصل، ويصح وإنا بنون واحدة مشددة ولذا قرىء به في سورة إبراهيم. قوله: ﴿مريب﴾ وصف للشك والإسناد مجازي، وحق الإسناد لصاحبه. قوله: [موقع في الريب] أي الدائم. قوله: ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني. قوله: ﴿إن كنت على بينة﴾ أتى بإن مشاكلة لاعتقادهم فيه ومسايرة لخطابهم. قوله: [بيان] أي برهان وحجة واضحة. قوله: [أي عذابه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿إن عصيته﴾ أي على فرض وقوع المعصية مني، وإلا فهي مستحيلة عليه، كبيرها وصغيرها، قبل النبوة وبعدها. قوله: [بأمركم لي بذلك] أي بعصيانه وموافقتكم. قوله: [تضليل] أي لي إن اتبعتكم، والمعنى أخبروني إن كنت على بينة ونبوة من ربي، فلا أحد يمنعني من عذاب الله إن اتبعتكم وعصيته، وحينئذ أكون خاسراً مضيعاً لما أعطاني الله من الحق، وهل رأيتم نبياً صار كافراً، وكل هذا تنزل منه لهم. قوله: ﴿هذه ناقة الله﴾ أي وقد طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها، حيث قالوا: أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، فدعا الله، فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة، فخرجت منها ناقة كما وصفوا، فولدت الناقة في الحال فصيلاً، قدرها في الجثة يشبهها، وأضيفت الناقة لله تشريفاً، أي لا اختصاص لأحد بها.

الإشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾: عقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ٦٤: إن عقرتموها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: عقرها قُدَار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾: صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾: عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ٦٥: فيه ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾: وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ﴾: نجيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾: بكسر الميم إعراباً وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني وهو الأكثر ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ٦٦: الغالب ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٦٧: باركين على الركب ميتين ﴿كَأَنْ﴾: مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾: يقيموا ﴿فِيهَا﴾: في دارهم ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ ٦٨: بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: مصدر ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ﴾

قوله: ﴿تأكل في أرض الله﴾ أي من العشب والنبات، وفي الكلام اكتفاء، أي وتشرب من ماء الله، على حد ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي والبرد. قوله: ﴿قريب﴾ أي عاجل لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام. قوله: [عقرها قدار] أي ابن سالف، حيث ضربها في رجليها، فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء.

قوله: ﴿في داركم﴾ أي أرضكم. قوله: ﴿ثلاثة أيام﴾ والحكمة في ذلك بقاء الفصيل بنوح على أمه ثلاثة أيام، ثم فتحت له الصخرة ودخل فيها، قالوا: وما العلامة؟ قال: تصبحون في اليوم الأول وجوهكم مصفرة، وفي اليوم الثاني وجوهكم محمرة، وفي اليوم الثالث وجوهكم مسودة. قوله: ﴿غير مكذوب﴾ [فيه] أشار المفسر بتقدير فيه، إلى أنه من باب الحذف والإيصال.

قوله: ﴿برحمة منا﴾ أي وهي الإيمان. قوله: ﴿من خزي يومئذ﴾ أي يوم إهلاكهم بالصيحة. قوله: [لإضافته إلى مبني] أي فهي من أسباب البناء. قوله: [وهو الأكثر] أي عربية، وأما في القراءة فمستويان.

قوله: ﴿وأخذ الذين ظلموا﴾ حذفت تاء التأنيث من الفعل، إما لكون المؤنث مجازياً كما يقال طلع الشمس، أو للفصل بالمفعول، كأتى القاضي بنت الواقف. قوله: ﴿الصيحة﴾ أي مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم، والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء، فسمعوا صوت كل شيء فماتوا جميعاً. قوله: ﴿ألا بعداً﴾ أي طرداً دائماً عن رحمة الله، فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة. قوله: [بالصرف وتركه] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [على معنى الحي] راجع للصرف، وقوله: [والقبيلة] راجع لتركه، فهو لف ونشر مرتب، وقد تقدم بسط تلك القصة في الأعراف.

قوله: ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ أتى هنا بقصة إبراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالاً، لأن الهلاك هنا لم يكن لقوم إبراهيم، ولذا غاير الأسلوب، فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى قومه مثلاً، ورسلنا بضم السين وإسكانها قراءتان سبعيتان في جميع القرآن، متى أضيفت رسل للضمير، فإن أضيفت للظاهر قرئ بضم السين لا غير، واختلف في عدة الرسل الذين جاؤوه، فعن ابن عباس ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل تسعة، وقيل اثنا عشر، وقيل غير ذلك، وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين نوح ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة، وابنه إسحاق عاش مائة وثمانين سنة، ويعقوب بن إسحاق عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة. قوله: ﴿بالبشرى﴾ هي الخبر السار، سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها. قوله: [بإسحاق ويعقوب بعده] أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هي ما يأتي في قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ الخ، ويحتمل أن المراد بقوله هنا: ﴿بالبشرى﴾ ما هو أعم من ذلك، فيشمل بشراه بنجاة لوط، وهلاك الكافرين، وغير ذلك.

﴿حَنِيذٍ﴾ ٦٩: مشوي ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾: بمعنى أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خوفاً ﴿قَالُوا: لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ ٧٠: لنهلكهم ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾: أي امرأة إبراهيم سارة ﴿قَائِمَةٌ﴾: تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾: استبشاراً بهلاكهم ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ﴾: بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ٧١: ولده تعيش إلى أن تراه ﴿قَالَتْ: يَا وَيْلَتَى﴾: كلمة تقال عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الإضافة

قوله: ﴿قالوا سلاماً﴾ هذه تحيتهم الواقعة منهم، وهو منصوب بفعله المحذوف، والتقدير سلمنا عليك سلاماً. قوله: [مصدر] أي نائب عن لفظ الفعل. قوله: ﴿قال سلام﴾ إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية في الرد، لتفيد الدوام والثبوت، فيكون الرد أحسن من الابتداء؛ لأن الجملة الاسمية أشرف من الفعلية. وقوله: [عليكم] قدره المفسر إشارة إلى أن السلام مبتدأ، والخبر محذوف، والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم، على حد أشر هو ذا ناب، أو الدعاء. قوله: ﴿فما لبث أن جاء بعجل﴾ ما نافية، ولبث فعل ماض، وأن جاء في تأويل مصدر فاعل، والمعنى لم يتأخر مجيئه بعجل حنيذ. قوله: [مشوي] أي على الحجارة المحماة في حفرة في الأرض، وهو من فعل أهل البادية، وكان سميناً يسيل منه الودك كما في آية الذاريات، وكان عامة مال إبراهيم البقر.

قوله: ﴿فلما رأى أيديهم﴾ هذا مرتب على محذوف، كما في الآية الأخرى، فقربه إليهم قال ألا تأكلون، فلما رأى الخ. في بعض الروايات قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن له ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل قال: وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً. قوله: [خوفاً] أي من أجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة، على عادة الخائن، أنه لا يأكل طعام من أراد خيانته. إن قلت: كيف يخاف إبراهيم منهم، مع كونه خليل الرحمن، وهم محصورون في بيته؟ أجيب: بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته، فخوفه من ربه لا من ذواتهم.

قوله: ﴿قالوا لا تخف﴾ أي جواباً لقوله لهم كما في سورة الحجر ﴿إنا منكم وجلون﴾. قوله: ﴿إلى قوم لوط﴾ أي وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وهو أول من آمن به، وأبوه هاران أخو إبراهيم. قوله: [لنهلكهم] أخذ هذا المقدر من قوله في سورة الذاريات ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة﴾ الخ. قوله: [سارة] بالتخفيف والتشديد، وهي بنت عمه. قوله: [تخدمهم] أي على عادة نساء العرب، لا يتحاشون خدمة الضيوف. قوله: ﴿فضحكت﴾ في سبب ذلك الضحك أقوال، قيل: للبشرى بهلاك قوم لوط، كما قال المفسر، وقيل: من خوف إبراهيم، وهو في خدمه وحشمه، وقيل: سروراً بالولد، وقيل: تعجباً من إتيان الولد على كبر، وقيل: لموافقة مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لإبراهيم، فإنها قالت له قبل مجيء الملائكة: اضمم إليك ابن أخيك لوطاً، فإن العذاب نازل بقومه، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿فبشرناها﴾ إنما نسبت البشارة لها دونه، لأنها كانت أشوق منه إلى الولد، لأنه لم يأتها ولد قط بخلافه هو، فقد أتاه إسماعيل قبل إسحاق بثلاثة عشر سنة. قوله: ﴿بإسحاق﴾ ولد بعد البشارة بسنة، فإسماعيل أسن منه بأربعة عشر سنة. قوله: ﴿يعقوب﴾ بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان. قوله: [كلمة تقال] أي على سبيل التعجب من مخالفة العادة لا من قدرة الله، فإن ذلك كفر، حاشاها منه. قوله: [عند أمر عظيم] أي خيراً كان أو شراً، ولكن المراد هنا الخير. قوله: [والألف مبدلة من ياء الإضافة] أي فيقال في إعرابها: ويلتى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً، منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة لمناسبة الألف، وويلتي مضاف،

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾: له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ٧٢: أن يولد ولد لهرمين ﴿قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قدرته ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾ ٧٣: كريم ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالولد أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يجادل رسلنا ﴿فِى﴾: شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾ ٧٤ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ ٧٥: رجاع فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا: لا قال: إن فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ ٧٦ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ

والألف مضاف إليه مبني على السكون في محل جر، وترسم بالياء وتقرأ بالألف والإمالة. قوله: ﴿وهذا بعلي﴾ سمي الزوج بذلك، لأن البعل هو المستعلي على غيره، ولا شك أن الزوج مستعل على المرأة، قائم بأمورها.

قوله: ﴿رحمت الله وبركاته﴾ هذا دعاء من الملائكة لهم. قوله: ﴿أهل البيت﴾ أشار المفسر بتقدير [يا] إلى أن أهل البيت منصوب على النداء، ويصح أن يكون منصوباً على الاختصاص. قوله: ﴿حميد﴾ أي كثير الحمد. قوله: ﴿مجيد﴾ أي عظيم شريف. قوله: ﴿فلما ذهب﴾ جوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: [أخذ]. قوله: ﴿وجاءته البشرى﴾ أي بعد الروع. قوله: [يجادل رسلنا] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿إن إبراهيم لحليم﴾ أي فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه، فغرضه تأخير العذاب عنهم، لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح. قوله: [كثير الأناة] أي التأني في الأمور وعدم العجلة. قوله: ﴿أواه﴾ في تفسيره أقوال كثيرة، تقدم بعضها في سورة براءة. قوله: [فقال لهم] هذه صورة المجادلة، والحاصل أنه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها. قوله: [الخ] أي إلى آخر ما في سورة العنكبوت. قوله: ﴿أمر ربك﴾ أي قضاؤه وحكمه. قوله: [غير مردود] أي غير مصروف عنهم، فإنه قضاء مبرم لا محيص عنه.

قوله: ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ أي الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى أنهم ارتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط، وتسمى سدوم بلد بحمص، وبينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار، فوجدوا لوطاً يعمل في أرض له، وقيل كان يحتطب، وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فاستضافوه فانطلق بهم، فلما مشى بهم ساعة قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرها؟ قال: أشهد بالله أنها أشر قرية في الأرض عملاً، قال ذلك أربع مرات، فمضوا معه حتى دخلوا منزله، وقيل إنه مر مع الملائكة على جماعة من قومه، فتغامزوا فيما بينهم، فقال لوط: إن قومي شر خلق الله، قال جبريل: هذه واحدة، فمر على جماعة أخرى فتغامزوا، فقال مثله، ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك، فقال لوط مثل ما قال أولاً، حتى قال ذلك أربع مرات، وكلما قال لوط هذا القول، قال جبريل للملائكة اشهدوا، وقيل إن الملائكة جاؤوا إلى بيت لوط، فوجدوه في داره، فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط. فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت: إن في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم.

﴿بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدراً لأنهم حسانُ الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[٧٧]: شديد ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾: لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾: قبل مجيئهم ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾: لوط: ﴿يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾: أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[٧٨]: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[٧٩]: من إتيان الرجال ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: طاقة ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٨٠]: عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾: بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾: بالرفع بدل من أحد وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل أي

قوله: ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ الأصل فيه، أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوته، فإذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه، فأطلق الذرع وأريد منه الصدر، فالمراد ضاق صدره، لعدم الخلاص من ذلك المكروه. قوله: [فخاف عليهم قومه] منصوب بنزع الخافض أي من قومه. قوله: ﴿عصيب﴾ مأخوذ من العصب وهو الشدة، ومنه العصابة التي يشد بها الرأس. قوله: [لما علموا بهم] أي إما لأنهم رأوهم مع لوط في الطريق، أو أعلمتهم زوجته. قوله: ﴿يهرعون﴾ أي يسوق بعضهم بعضاً. قوله: ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ أي فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها.

قوله: ﴿قال يا قوم﴾ هذا الخطاب وقع من لوط، وهم خارج الباب. قوله: ﴿هؤلاء بناتي﴾ [فتزوجوهن] أي وكان في شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة، وقيل: عرض بناته عليهم بشرط الإسلام، وقيل: قال ذلك لتخليص أضيافه، لا إباحة لتزويجهم بهن، لعلهم إذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته، ينزجروا ويرتدعوا ويتركوا هذا الأمر، وقيل: المراد بناته نساء قومه وأضافهن إليه، لأن كل نبي لقومه كالأب لأولاده، في الشفقة واللطف بهم. قوله: ﴿هن أطهر لكم﴾ إن قلت: إن تلك الفعلة لا طهارة فيها، أجيب: بأن أفعل التفضيل ليس على بابه، نظير قوله تعالى ﴿أذلك خير نزلاً أو شجرة الزقوم﴾. قوله: [تفضحون] أي تعيبوني. قوله: [في ضيفي] أي في شأنه.

قوله: ﴿أليس منكم﴾ استفهام توبيخ. قوله: ﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾ أي لو ثبت أن لي بكم قوة، أو أني آوي جواب لو محذوف، قدره المفسر بقوله: [لبطشت بكم] وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسباً، بل كان غريباً فيهم، لأنه كان أولاً بالعراق مع إبراهيم ببابل، فهاجر إلى الشام بأمر من الله، فنزل إبراهيم بأرض فلسطين، ونزل لوط بالأردن، فأرسله إلى أهل سدوم، فمن ذلك الوقت، لم يرسل الله رسولاً إلا من قومه.

قوله: ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك﴾ أي فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب ودخلوا، فاستأذن جبريل ربه في عقوبته فأذن له، فتحول إلى صورته التي يكون فيها، ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم، فأعماهم وطمس أعينهم، حتى ساوت وجوههم، فصاروا لا يعرفون الطريق، فانصرفوا وهم يقولون: النجاة النجاة في بيت لوط سحرة، قد سحرونا يا لوط، سترى منا غداً ما ترى.

قوله: ﴿فأسر﴾ بقطع الهمزة ووصلها، وفعله أسرى وسرى، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بأهلك﴾ أي وهم بنتاه، فخرجوا وطوى الله لهم الأرض، حتى وصلوا إلى إبراهيم في وقته. قوله: ﴿بقطع﴾ الباء للمصاحبة، والمعنى نصف الليل. قوله: ﴿ولا يلتفت منكم﴾ خطاب له ولبنتيه. قوله: [بالرفع] بدل من أحد، أي والمعنى ولا يلتفت منكم

فلا تسر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ : فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت : واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا : ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ : فقال : أريد أعجل من ذلك قالوا : ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٨١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ : بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ : أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ : أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ : طين طبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾[٨٢] : متتابع ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ : معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ : ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ : الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ : أي أهل مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾[٨٣] و﴿ : أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾ : وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ : نعمة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ : إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[٨٤] : بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا

أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت. قوله : [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله : [فقيل لم يخرج بها] راجع لقراءة الرفع. قوله : [وقيل خرجت والتفتت] راجع لقراءة النصب. قوله : [بأن رفعها جبريل إلى السماء] أي بأن أدخل جناحيه تحتها، وهي خمس مدائن، أكبرها سدوم، وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة، ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف، فرجع جبريل المدن كلها، حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ولم ينكب لهم إناء، ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها.

قوله : ﴿وأمطرنا عليها﴾ أي على أهلها الخارجين عنها في الأسفار وغيرها، وقيل على القرى بعد قلبها، فمن جملة ما وقع، أن رجلاً منهم كان في الحرم، فجاءه حجر ووقف في الهواء أربعين يوماً ينتظر ذلك الرجل، حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله. قوله : [متتابع] أي في النزول. قوله : [عليها اسم من يرمى بها] أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به.

قوله : [الحجارة أو بلادهم] هذان تفسيران في مرجع الضمير، قيل : يعود على الحجارة لأنها أقرب مذكور، وقيل : يعود على القرى المهلكة، وعلى الأول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الأمة، ففي الحديث : سأل رسول الله ﷺ جبريل عن المراد بالظالمين، فقال له جبريل : يعني ظالمي أمتك، ما من ظالم منهم، إلا وهو بعرض حجر، يسقط عليه من ساعة إلى ساعة. قوله : ﴿ببعيد﴾ أي بمكان بعيد، بل بمكان قريب يمرون عليها في أسفارهم.

قوله : ﴿وإلى مدين﴾ معطوف على قوله : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ عطف قصة على قصة، ومدين اسم قبيلة، سميت باسم جدهم مدين بن إبراهيم، ويسمى شعيب خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه. قوله : ﴿أخاهم شعيباً﴾ أي في النسب لا الدين لأنه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم. قوله : ﴿اعبدوا الله﴾ أمرهم بالتوحيد أولاً لأنه أهم الأشياء وأصلها، وغيره فرع، فإذا صلح الأصل صلح الفرع. قوله : ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ نقص يتعدى لمفعولين : فالمفعول الأول قوله : ﴿المكيال والميزان﴾ والمفعول الثاني محذوف تقديره شيئاً، والمعنى لا تنقصوهما شيئاً أصلاً عند الأخذ ولا عند الدفع، فنقصهما عند الدفع ظاهر، ونقصهما عند الأخذ بأن يزيد على حقه في المبيع، وهو في الحقيقة نقص من الثمن، قال تعالى ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾.

قوله : ﴿إني أراكم بخير﴾ أي فاقنعوا بما أعطاكم الله، ولا تطففوا الكيل والميزان. قوله : [ووصف اليوم به] أي

﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: أتموهما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٨٥: بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من البخس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ٨٦: رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيراً ﴿قَالُوا۟﴾: له استهزاء: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾: بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾: من الأصنام ﴿أَوْ﴾: نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾: المعنى هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ ٨٧: قالوا: ذلك استهزاء ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالاً أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾: وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: فأرتكبه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾: لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾: قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٨٨: أرجع ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم ﴿شِقَاقِىٓ﴾: خلافي فاعل يجرم والضمير مفعول أول والثاني ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ

بقوله محيط. قوله: [مجاز] أي عقلي في الإسناد للزمان. قوله: ﴿ولا تبخسوا﴾ كرر ذلك ثلاث مرات، أولها قوله: ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾، وثانيها قوله: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾، وثالثها قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ تأكيداً لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه. قوله: ﴿أشياءهم﴾ أي أموالهم، ودخل في ذلك من يسوم السلع بنقص قيمتها، وهو مشهور تقتدي به الناس، فالواجب إعطاء كل سلعة قيمتها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وحينئذ فهو عطف عام على خاص.

قوله: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ هذا أعم مما قبله، والمعنى لا تكونوا من المفسدين في الأرض بالمعاصي، بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم. قوله: ﴿بقيت الله﴾ ترسم بالتاء المجرورة، وعند الوقف عليها للاضطرار، يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة، وليس في القرآن غيرها. قوله: ﴿خير لكم﴾ أي لوجود البركة فيه. قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين بما أمرتكم به ونهيتكم عنه، وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال. قوله: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أي حافظ لكم من القبائح، ولا حافظ عليكم النعم، إنما أنا مبلغ لكم الأحكام.

قوله: ﴿يا شعيب﴾ خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم، لقباحتهم وسوء فعلهم. قوله: ﴿أصلواتك تأمرك﴾ أي وكان كثير الصلاة، وقيل المراد بها الدين، وخصت بالذكر لأنها أعظم الشعائر. قوله: [بتكليف] قدره دفعاً لما يقال: إن الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب، والإنسان يؤمر بفعل نفسه لا فعل غيره. قوله: [من الأصنام] بيان لما. قوله: ﴿أو أن نفعل﴾ قدر المفسر [نترك]، إشارة إلى أنه معطوف على ﴿ما يعبد آباؤنا﴾. قوله: [قالوا ذلك استهزاء] إلخ، أي أو أرادوا السفيه الغاوي، من باب تسمية الأضداد، أو المراد الحليم الرشيد في زعمك. قوله: ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني. قوله: ﴿على بينة﴾ أي نبوة وصدق. قوله: [أفأشوبه] أي أخلطه، قوله: [من البخس والتطفيف] بيان للحرام.

قوله: ﴿وما أريد أن أخالفكم﴾ أي فأنا آمركم بما آمر به نفسي، وليس قصدي أن أنهاكم عن شيء وأفعله. قوله: ﴿ما استطعت﴾ أي مدة استطاعتي. قوله: ﴿وما توفيقي﴾ أي وما كوني موفقاً. قوله: ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أموري إليه. قوله: [يكسبنكم] أي فهو متعد لمفعولين: الأول للضمير، والثاني أن وما دخلت عليه، والمعنى لا يكن

قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: مِنَ العذاب ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾: أي منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿مِنكُم بِبَعِيدٍ﴾ ٨٩: فاعتبروا ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ ٩٠: محبّ لهم ﴿قَالُوا﴾: إيذاناً بقلة المبالاة ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾: نفهم ﴿كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾: ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: بالحجارة ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ٩١: كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾: فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾: أي الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾: منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ٩٢: علماً فيجازيكم ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾: موصولة مفعولة العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾: انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ٩٣: منتظر ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾: صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ٩٤: باركين على الركب ميتين ﴿كَأَن﴾: مخففة أي كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾: يقيموا ﴿فِيهَا أَلَا بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ ٩٥ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٩٦: برهان بيّن ظاهر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا

شقاقي مكسباً لكم إصابة مثل ما ذكر، فلا تستمروا على مخالفتي، حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب الخ. قوله: [أي منازلهم] أي لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط، وبلادهم قريبة من بلادهم، وقوله: [أو زمن هلاكهم] أي فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريباً من قوم شعيب.

قوله: ﴿واستغفروا ربكم﴾ أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم. قوله: ﴿ثم توبوا إليه﴾ أي ارجعوا إليه بفعل الطاعات. قوله: ﴿ودود﴾ صيغة مبالغة، إما بمعنى فاعل أي محب لهم، كما قال المفسر، أو بمعنى مفعول أي إن عباده يحبونه، ويمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه. قوله: ﴿ضعيفاً﴾ أي لا قوة لك. قوله: ﴿لرجمناك﴾ أي رميناك بالحجارة، وقيل المعنى لشتمناك وأغلظنا عليك بالقول. قوله: [هم الأعزة] أي لموافقتهم لهم في الدين. قوله: ﴿ظهرياً﴾ منسوب للظهر، والكسر من تغيرات النسب، والقياس فتح الظاء، والهاء مفعول أول، وظهرياً مفعول ثان لاتخذوا، ووراءكم ظرف له. قوله: [منبوذاً خلف ظهوركم] أي جعلتموه نسياً منسياً.

قوله: ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ هذا وعيد عظيم وتهديد لهم. قوله: ﴿سوف تعلمون﴾ استئناف بياني، كأن قائلاً قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ قوله: [موصولة] أي بمعنى الذي. قوله: ﴿ومن هو كاذب﴾ معطوف على قوله: ﴿من يأتيه﴾ والمعنى سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب. قوله: [صاح بهم جبريل] أي فخرجت أرواحهم جميعاً، وهذا في أهل قريته، وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة، وهي سحابة فيها ريح طيبة باردة، فأظلتهم حتى اجتمعوا جميعاً، فألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت الأرض من تحتهم، فاحترقوا وصاروا رماداً. قوله: ﴿ألا بعداً﴾ أي هلاكاً. قوله: كما ﴿بعدت ثمود﴾ أي كما هلكت ثمود، والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ هذه هي القصة السابعة. قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي التسع، تقدم منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس، وتقدم الكلام عليها. قوله: ﴿وسلطان مبين﴾ قيل: المراد بالعصا، وخصت بالذكر لكونها أكبر الآيات وأعظمها، وقيل: المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة، وسميت الحجة سلطاناً، لأن بها

أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ٩٧: سديد ﴿يَقْدُمُ﴾: يتقدم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا
﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ ٩٨ هي ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾: أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: لعنة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾: العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ ٩٩: رفدهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ
نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مِنْهَا﴾: أي القرى ﴿قَآئِمٌ﴾: هلك أهله دونه ﴿وَ﴾: منها ﴿حَصِيدٌ﴾ ١٠٠: هلك بأهله
فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: بالشرك
﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾: دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مِن﴾: زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا
جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾: بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ ١٠١: تخسير ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الأخذ
﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾: أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾: بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ١٠٢: روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا
أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ الآية ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: المذكور من القصص ﴿لَءَايَةً﴾:

قهر الخصم، كما أن السلطان به قهر غيره، فيكون عطف عام. قوله: ﴿وملئه﴾ أي جماعته وأتباعه. قوله: ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾ أي ما هو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة. قوله: [سديد] أي صائب محمود العاقبة، بل لا يدعو إلى خير.

قوله: ﴿يقدم﴾ مضارع قدم كنصر، ومصدره قدم كقفل، وقدوم بمعنى يتقدم. قوله: [كما اتبعوه في الدنيا] أي في دخول البحر والكفر والضلال. قوله: ﴿فأوردهم النار﴾ الورد في الأصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه، فشبه النار بماء يورد، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود، فإثباته تخييل، وشبه فرعون في تقدمه على قدمه إلى النار، بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم. قوله: [هي] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف. قوله: ﴿لعنة﴾ أي طرداً وبعداً عن الرحمة. قوله: ﴿يوم القيامة﴾ هذا وقف تام، وقدر المفسر لعنة، إشارة إلى أن فيه الحذف من الآخر لدلالة الأول عليه.

قوله: ﴿بئس الرفد المرفود﴾ المراد بالرفد اللعنة الأولى. قوله: ﴿المرفود﴾ أي المعان باللعنة الثانية، والمعنى أن اللعنة الأولى أرفدت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها، وتسميتها رفدة تهكم. قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما تقدم في هذه السورة من القصص. قوله: ﴿من أنباء القرى﴾ أي أخبار أهل القرى، وهم الأمم الماضية. قوله: ﴿نقصه عليك﴾ أي لتخبر به قومك لتعتبروا. قوله: ﴿منها قائم﴾ أي أثر قائم موجود. قوله: ﴿حصيد﴾ [هلك بأهله] أي محي فلم يبق له أثر، وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع، الذي بعضه قائم على ساقه، وبعضه قد حصد وذهب أثره. قوله: ﴿لما جاء﴾ أي حين جاء.

قوله: ﴿وما زادوهم﴾ الضمير المرفوع للأصنام، والمنصوب لعابديها، وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم. قوله: ﴿غير تتبيب﴾ التباب الخسران، يقال تببته وتبت يده، تتب بمعنى خسرت. قوله: ﴿وهي ظالمة﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿أليم شديد﴾ أي غير مرجو الخلاص منه. قوله: [إن الله ليملي للظالم] أي يمده بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة. قوله: [ثم قرأ] الخ، أي فيؤخذ من ذلك أن من قدم على ظلم، يجب عليه أن يتوب، ويرجع عما هو عليه، ويرد المظالم لأهلها، لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم، فإن هذه الآية ليست مخصوصة بالأمم

لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ﴾: أي يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾: فيه ﴿النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ١٠٣: يشهده جميع الخلائق ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ ١٠٤: لوقت معلوم عند الله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾: فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾: أي الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾: منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ ١٠٥: كتب كل في الأزل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾: في علمه تعالى ﴿فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ١٠٦: صوت ضعيف ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾: غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٠٧ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾: بفتح السين وضمها ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا﴾: غير ﴿مَا

الماضية، بل هي عامة في كل ظالم، غير أن هذه الأمة المحمدية لا ينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال إكراماً لنبيها ﷺ. قوله: [من القصص] أي السبع.

قوله: ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي لأنه إذا تأمل ما حصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب كان ذلك باعثاً له على الخوف من ذلك اليوم. قوله: [فيه] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى في، والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الانس والجن وغيرهما. قوله: [يشهده] أي يحضره. قوله: ﴿وما نؤخره﴾ أي ذلك اليوم وهو يوم القيامة. قوله: [لوقت معلوم] أي وهو مدة الدنيا. قوله: ﴿يوم يأت﴾ [ذلك اليوم]. إن قلت: إن اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم، وإلا لزم تعيين الشيء بنفسه. وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أي هوله وعذابه، أو المعنى حين يأتي ذلك اليوم الخ.

قوله: ﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ أي فجميع الخلائق يسكنون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحد إلا بإذنه. إن قلت: كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾؟ أجيب: بأن القيامة مواطن مختلفة ففي بعضها لا يقدرون على الكلام لشدة الهول، وفي بعضها يحتاجون ويتجادلون، أو المراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجي، بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع به، بل لإظهار بطلان حججهم. قوله: [كتب كل في الأزل] أي وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب. قوله: [في علمه] أي وهم من ماتوا كفاراً وإن تقدم منهم إيمان.

قوله: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ الزفير في الأصل ترديد النفس في الصدر، حتى تنتفخ منه الأضلاع، والشهيق رد النفس إلى الصدر، وهذا التفسير الذي ذكره المفسر لابن عباس، وقيل: الزفير أول صوت الحمار، والشهيق آخره، وقيل: الزفير صوت الحمار، والشهيق صوت البغل، وقيل غير ذلك. قوله: [أي مدة دوامهما] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ظرفية، ودام تامة لأنها بمعنى بقيت أو مقدار دوامهما. قوله: [في الدنيا] أي فالمراد سموات الدنيا وأرضها. قوله: [غير] ﴿ما شاء ربك﴾ أفاد أن ﴿إلا﴾ بمعنى غير، والمعنى أنهم يخلدون في النار مقدار مكث الدنيا، غير الزيادة التي شاءها الله، وما شاء الله قد بين في آيات أخر، منها قوله: ﴿خالدين فيها أبداً﴾، ومنها ﴿وما هم بخارجين من النار﴾، ومنها قوله: ﴿لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون﴾.

قوله: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف. فأجاب بقوله: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكافر لأنه متى أراد شيئاً حصل ولا بد، وما قيل إن وعيده قد يتخلف، فالمراد وعيد العاصي لا وعيد الكافر. قوله: ﴿وأما الذين سعدوا﴾ هذا مقابل قوله: ﴿فأما الذين شقوا﴾ وفي

شَاءَ رَبُّكَ﴾: كما تقدم ودل عليه فيهم قوله ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ١٠٨: مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذي يظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده ﴿فَلَا تَكُ﴾: يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾: من الأصنام

هذه الآية من المحسنات البديعية، الجمع والتفريق والتقسيم، فالجمع في قوله: ﴿يوم يأتِ لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ والتفريق في قوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، والتقسيم في قوله: ﴿فأما الذين شقوا﴾ الخ ﴿وأما الذين سعدوا﴾ الخ.

قوله: [بفتح السين وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان، فالفتح من قولهم: سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة، والضم من قولهم: سعده الله أي أسعده، فالأول قاصر، والثاني متعد، والمعنى: إن الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الإيمان، وإن سبق منهم الكفر في الدنيا، فهم في الجنة، والمراد بالسعادة رضا الله على العبد، وعلامة ذلك أن يكون العبد محباً لربه، ساعياً في مرضاته، دائم الإقبال على طاعته، راضياً بأحكامه.

قوله: ﴿ففي الجنة﴾ المراد بها دار النعيم بجميع دورها، فشمل جنة الفردوس وغيرها. قوله: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا، والمعنى قدر مكث السماوات والأرض، من أول الدنيا إلى آخرها. قوله: [كما تقدم] أي فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها، فالمعنى خالدين فيها أبداً، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ فالزيادة التي شاءها الله، فسرت في آيات أخر بالخلود المؤبد. قوله: [ودل عليه] أي على الخلود المؤبد، وقوله: [فيهم] أي السعداء.

قوله: ﴿عطاء﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وتقديره أعطاهم ذلك عطاء، وعطاء اسم مصدر أعطى، والمصدر إعطاء. قوله: [مقطوع] أي ولا ممنوع، بل هو عطاء دائم، لا يزول ولا يحول. قوله: [هو الذي ظهر] أي من نحو عشرين وجهاً في تفسير تلك الآية، منها أن المراد بالسماوات والأرض سقف الجنة والنار وأرضهما، ويحتمل الاستثناء في جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة، فيكون المعنى خالدين فيها أبداً، إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد، فلا يخلدون أبداً، بل يخرجون بشفاعة النبي ﷺ، والاستثناء حينئذ إما منقطع لعدم دخول هؤلاء في الأشقياء، أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار، وسعداء باعتبار آخر، وفي جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضاً، لكن باعتبار تعذيبهم أولاً، فيتأخرون في الدخول مع السابقين، فتحصل أن الاستثناء في كل محمول على العصاة، لكن في جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود، وفي جانب أهل السعادة مستثنون من المبدأ، كأنه قال: فأما الذين سعدوا ففي الجنة من أول الأمر، إلا ما شاء ربك من العصاة، فليسوا في الجنة من أول الأمر، بل هم في النار يعذبون ثم يخرجون. ومنها أن المراد بالذين شقوا الكفار، وبالذين سعدوا المؤمنون، والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد ينقل من النار إلى غيرها كالزمهرير، وبعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، إلى أعلى منه، وهو رؤية وجه الله الكريم ومخاطبته. ومنها أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار، كمدة الدنيا والبرزخ لأنهم لم يدخلوهما حين خلقوا سعداء وأشقياء. ومنها غير ذلك. وما تقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها، والأخذ بظاهرها كفر، فمنها ما قيل إن الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر هذه الآية، ومنها أن أهل النار تنقلب عليهم النار نعيماً، حتى لو صب عليهم ماء الجنة يتأذون، ومنها أن النار تخرب حتى لا يصير فيها أحد، ومنها غير ذلك، وهذه الأقوال باطلة، ونسبتها لمحيي الدين بن العربي كذب، وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها.

قوله: ﴿فلا تك في مرية﴾ هذا شروع في ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة، إثر بيان المخالفين من غيرهم، وهذا الخطاب للنبي والمراد غيره. قوله: [من الأصنام] بيان لما. قوله: ﴿ما يعبدون﴾ أي فليس لهم في ذلك إلا محض

إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾: أي كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾: مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ ١٠٩: أي تاماً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ ١١٠: موقع الريبة ﴿وَإِنْ﴾: بالتخفيف والتشديد ﴿كُلًّا﴾: أي كل الخلائق ﴿لَمَّا﴾: ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة وفي قراءة بتشديد لما بمعنى إلا فإن نافية ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ﴾

تقليد آبائهم. قوله: [وقد عذبناهم] أي آباءهم، وإنما قدره لتتم المشابهة. قوله: ﴿وإنا لموفوهم﴾ أي هؤلاء. قوله: [أي تاماً] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿غير منقوص﴾ حال من نصيب مبينة له. قوله: ﴿فاختلف فيه﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ أي فلا تحزن على ما وقع لك، فإنه قد وقع لغيرك. قوله: ﴿لقضي بينهم﴾ أي لجوزي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته في الدنيا. قوله: [أي المكذبين به] أي بالقرآن.

قوله: ﴿لفي شك منه﴾ أي من القرآن. قوله: [موقع في الريبة] أي لأنهم إذا نظروا لآبائهم وما كانوا عليه قالوا: لو كان ما هم عليه ضلالاً ما اجتمعوا عليه، وإذا نظروا إلى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا إنه لحق، وما جاء به صدق، فهم في شك، ولا شك أنه كفر، وكل ناشئ من الطبع على قلوبهم، وإلا فالحق ظاهر لمن تدبره.

قوله: ﴿وإن كلاً﴾ أي من الطائعين والعاصين، وأتى بالجملة الإسمية المؤكدة بإن، ولام القسم زيادة في تأكيد بشرى المطيع ووعيد العاصي. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي ولما كذلك فتكون القراءات أربعاً وكلها سبعية. قوله: [أي كل الخلائق] أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. قوله: [ما زائدة] أي والأصل ليوفينهم، فاستثقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما، لدفع ذلك الثقل. قوله: [واللام موطئة] أي والأخرى للتأكيد. قوله: [أو فارقة] أي أتي بها فرقاً بين المهملة والنافية، وفيه أن إن عاملة على كل حال، فليست حينئذ فارقة، فكان المناسب حذف قوله أو فارقة، إلا أن يقال إنها مهملة، وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره وإن يرى كلاً، وفيه أن هذا تكلف، وما لا كلفة فيه خير مما فيه كلفة، وما ذكره المفسر من الإعراب مبني على قراءة تشديد إن وتخفيفها مع تخفيف لما، وتوضيحه أن يقال إن حرف توكيد ونصب، وكلا اسمها، واللام موطئة لقسم محذوف، وما زائدة، واللام الثانية للتأكيد، ويوفينهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والهاء مفعول، وربك فاعل، وجملة القسم في محل رفع خبر إن. قوله: [بمعنى إلا فإن نافية] هذا ظاهر على قراءة تخفيف إن، وحينئذ فيقال إن نافية، وكلا منصوب بفعل مقدر، والتقدير وإن يرى كلا إلا ليوفينهم الخ، ولم يتكلم على تشديدها، هذا حاصل تقرير المفسر، ولا يخفى عليك ما فيه من المناقشة والكلفة والإعراب السالم، من ذلك كله أن يقال: إن القراءات السبعية أربع: تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف إن فقط، وتخفيف لما فقط، مع نصب كلا في الجميع، فعلى الأولى إن مخففة من الثقيلة، وكلا اسمها، واللام الأولى لام الابتداء، وما اسم موصول، واللام الثانية موطئة لقسم محذوف، ويوفينهم جواب القسم، وجملة القسم وجوابه صلة الموصول، والموصول وصلته خبر إن، وعلى الثانية إن عاملة، ولما أصلها لمن ما بدخول اللام على من الجارة، قلبت النون ميماً لتوالي الأمثال، حذفت إحدى الميمات، وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى، فما اسم موصول، وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول، وهو وصلته خبر إن، وعلى الثالثة فإن المخففة عاملة، وأصل لما: لمن ما، فعل بها ما تقدم، وعلى الرابعة إن المشددة عاملة، واللام لام الابتداء، وما اسم موصول، وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول، وهو صلته خبر إن، فتحصل أن إن عاملة، وما اسم موصول في جميع الأوجه كلها، واللام الثانية

﴿أعمالهم﴾: أي جزاءها ﴿إنه بما يعملون خبير﴾ ١١١: عالم ببواطنه كظواهره ﴿فاستقم﴾: على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كما أمرت و﴾: ليستقم ﴿من تاب﴾: آمن ﴿معك ولا تطغوا﴾: تجاوزوا حدود الله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ ١١٢: فيجازيكم ﴿ولا تركنوا﴾: تميلوا ﴿إلى الذين ظلموا﴾: بمودة أو مداهنة أو رضى بأعمالهم ﴿فتمسكم﴾: تصيبكم ﴿النار وما لكم من دون الله﴾: أي غيره ﴿من﴾: زائدة ﴿أولياء﴾: يحفظونكم منه ﴿ثم لا تنصرون﴾ ١١٣: تمنعون من عذابه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾: الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر ﴿وزلفا﴾: جمع زلفة أي طائفة ﴿من الليل﴾: أي المغرب والعشاء ﴿إن الحسنات﴾: كالصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾: الذنوب الصغائر نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال: لجميع أمتي

موطئة للقسم، والأولى لام الابتداء فتأمل، وما قررناه زبدة كلام طويل في هذا المقام فليحفظ. قوله: [أي جزاؤها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿فاستقم﴾ أي دم على الاستقامة التي أمرت بها في خاصة نفسك، كقيام الليل، وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق، وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا، وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به. قوله: ﴿ومن تاب معك﴾ قدر المفسر قوله: [ليستقم] جواباً عما يقال إن قوله: ﴿من تاب﴾ معطوف على الضمير المستتر في استقم، فيلزم عليه أن فعل الأمر قد رفع الظاهر، فأجاب المفسر: بأن ذلك من عطف الجمل، والمحذور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات، ويجاب أيضاً: بأنه قد يغتفر في التابع، ما لا يغتفر في المتبوع.

قوله: ﴿ولا تطغوا﴾ خطاب للنبي والأمة، ولكن المراد الأمة، فإن الطغيان مستحيل على النبي ﷺ، وهذه الآية صعبة التكليف، ولذلك قال رسول الله ﷺ «شيبتني هود وأخواتها». قوله: ﴿إلى الذين ظلموا﴾ أي بالكفر أو بالمعاصي. قوله: [بمودة] مصدر وادد كقاتل، أي محبة. قوله: [أو مداهنة] أي مصانعة، فالمداهنة بذل الدين لإصلاح الدنيا. قوله: [أو رضا بأعمالهم] أي وتزيينها لهم، ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. قوله: ﴿فتمسكم النار﴾ أي لأن المرء يحشر مع من أحب. قوله: [يحفظونكم منه] أي من عذاب النار.

قوله: ﴿طرفي النهار﴾ منصوب على الظرفية لإضافته إلى الظرف. قوله: [الغداة والعشي] تفسير للطرفين. قوله: [أي الصبح] راجع للغداة، وقوله: [والظهر والعصر] راجع للعشي. قوله: ﴿وزلفا﴾ بضم ففتح كغرف، وقوله: [جمع زلفة] أي كغرفة.

قوله: ﴿الحسنات﴾ أي الواجبة أو المندوبة. قوله: [نزلت فيمن قبل أجنبية] أي وهو أبو اليسر، قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت لها: إن في البيت تمراً أطيب من هذا، فدخلت معي البيت فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً، فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً،

---

* أسباب نزول الآية ١١٤: وروى الشيخان عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ فقال الرجل: ألي هذه؟ قال ﷺ: لجميع أمتي كلهم. وأخرج الترمذي وغيره عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت إن في البيت أطيب منه، فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلف غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟! وأطرق طويلاً حتى أوحي الله إليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ إلى قوله ﴿للذاكرين﴾، وورد نحوه من حديث أبي أمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم، وقد استوفيت أحاديثهم في ترجمان القرآن.

كلهم» رواه الشيخان ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ ١١٤: عظة للمتعظين ﴿وَاصْبِرْ﴾: يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١١٥: بالصبر على الطاعة ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾: أصحاب دين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾: المراد به النفي أي ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾: نهوا فنجوا ومن للبيان ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالفساد وترك النهي ﴿مَا أُتْرِفُوا﴾: نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ١١٦ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾: منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ١١٧: مؤمنون ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: على دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ١١٨:

فلم أصبر حتى أتيتُ رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: أخنتَ رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا، وأطرق طويلاً حتى أوحي إليه ﴿وأقم الصلاة﴾ إلى ﴿الذاكرين﴾، فقرأها رسول الله ﷺ فقلتُ: ألي هذا خاصة أم للناس عامة؟ فقال: بل للناس عامة. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده. قوله: ﴿واصبر﴾ أي ولا تنزعج من قومك. قوله: ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي بل يعطيهم فوق ما يطلبون.

قوله: ﴿فلولا كان من القرون﴾ الخ، لما بيّن سبحانه وتعالى ما حلّ بالأمم الماضية من عذاب الاستئصال، بيّن هنا أن السبب في ذلك أمران، الأول: عدم وجود من ينهى عن الفساد. الثاني: عدم رجوعهم عما هم فيه. قوله: [فهلا] أفاد المفسر أن لولا تحضيضية، والمراد بها النفي. قوله: ﴿من قبلكم﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون، ﴿وأولوا﴾، فاعل كان، وقوله: ﴿من القرون﴾ حال من فاعل ﴿كان﴾. قوله: [أصحاب دين وفضل] أي وسموا ﴿أولوا بقية﴾ لأن أهل البقاء بربهم لا يتحولون عما هم عليه من الدين والصلاح، فلهم البقاء والنجاة من الهلاك. قوله: [والمراد به] أي بالتحضيض المستفاد من لولا. قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ هذا استثناء منقطع، ولذا عبّر المفسر بلكن، فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيهم عن المنكر، والمستثنى من أنجاه الله من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

قوله: ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أي داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله. قوله: [نعموا] أي من النعيم الذي يغضب الله تعالى، والمعنى أن سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها. قوله: ﴿وكانوا مجرمين﴾ الجملة حالية، أي والحال أنهم فاعلون الجرائم مصرون عليها.

قوله: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ هذا كالدليل لما قبله، والمعنى ما صح أن يهلك القرى بظلم منه، والحال أن أهلها مصلحون، وسمي الأخذ من غير ذنب ظلماً تكرماً منه، وإلا فحقيقة الظلم التصرف في ملك الغير من غير إذنه، ولا مُلك لأحد معه، وهو بهذا المعنى مستحيل عقلاً على الله، وأما أخذه بغير ذنب، فهو وإن كان جائزاً عقلاً فمستحيل شرعاً لأنه سماه ظلماً تفضلاً منه، ونزّه نفسه سبحانه عنه، كما ألزم نفسه بالرحمة تفضلاً منه. قوله: [منه لها] ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم، ويراد بالظلم الشرك، والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم، إذا كانوا مصلحين فيما بينهم، لفرط مسامحته تعالى في حقوقه، ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوق خالقهم.

قوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ أي لكنه لم يشأ ذلك، فلم يجعلهم أمة واحدة، فلو امتناعية، والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له. قوله: [أهل دين واحد] أي وهو دين الإسلام. قوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ أي على أديان شتى، واستفيد من هذا، أن الاختلاف كما كان حاصلاً في الأمم الماضية لا يزال مستمراً في هذه الأمة، فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصي، ولذلك ورد في الحديث «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة،

فيِ الدِّين ﴿إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: أي أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وهي ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾: الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ١١٩ ﴿وَكُلاًّ﴾ نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أي كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾: بدل من كلا ﴿نُثَبِّتُ﴾: نطمئن ﴿بِهِ فُؤَادَكَ﴾: قلبك ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾: الأنباء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٠: خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ ١٢١: على حالتنا تهديد لهم ﴿وَانْتَظِرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ١٢٢: ذلك ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: أي علم ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾: بالبناء للفاعل يعود وللمفعول يرد ﴿الأَمْرُ كُلُّهُ﴾: فينتقم ممن عصى ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثق به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

وستفترقون ثلاثاً وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والمراد بالفرقة الواحدة، أهل السنّة والجماعة».

قوله: [فلا يختلفون فيه] بل هم على دين واحد لا يتفرقون، قال تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾.

قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، والمعنى خلق أهل الاختلاف، لتكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف، وخلق أهل الرحمة، لتكون عاقبة أمرهم الرحمة.

قوله: ﴿وتمت﴾ أي حقت ووجبت. قوله: ﴿لأملأن جهنم﴾ أي حتى تقول قط قط، بمعنى يكفي يكفي كما في الحديث، وذلك بعد أن تمد أعناقها وتطلب الزيادة، فيتجلى الله عليها بصفة الجلال، فتخضع وتذل وتقول قط قط. قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ أي الكفار منهم، لأن الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون إلا من الكفار. قوله: [نصب بنقص] أي على أنه مفعول له.

قوله: ﴿من أنباء الرسل﴾ أي أخبارهم. قوله: ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ أي القصص والأخبار التي بها يزداد فؤادك ثباتاً على أداء الرسالة، وتحمل أذى قومك، وتعلماً بفضل أمتك وشرفها، بحيث انقاد منها خلق كثير في مدة يسيرة، بخلاف الأمم الماضية. قوله: [الأنباء] أي الأخبار، وقوله: [أو الآيات] تفسير ثان، والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر، وإن كان جاءه الحق في جميع السور تشريفاً لها، لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية ما لم يكن في غيرها. قوله: ﴿وموعظة﴾ أي اتعاظ، وقوله: ﴿وذكرى﴾ أي تذكر وتدبر. قوله: [حالتكم] أي وهي الكفر. قوله: [على حالتنا] أي وهي الإيمان. قوله: [تهديد لهم] أي تخويف، وليس المراد الأمر بدوامهم على الكفر، بل هو على حد: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». قوله: ﴿إنا منتظرون﴾ [ذلك] أي عاقبة أمركم.

قوله: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ قال كعب الأحبار: خاتمة التوراة هي خاتمة سورة هود. قوله: [أي علم ما غاب فيهما] أي فلم يكلفنا بمعرفته. قوله: [للمفعول] أي فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد. قوله: ﴿الأمر كله﴾ أي أمر الخلائق كلهم في الدنيا والآخرة من خير وشر. قوله: [فينتقم ممن عصى] أي ويثيب من أطاع. قوله: ﴿فاعبده﴾ هذا مفرع على قوله: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ الخ، أي فحيث كان هو العالم بما غاب في السماوات والأرض، وإليه مرجع الأمور كلها، فهو حقيق بعبادته هو لا غيره، وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الأمور إليه. قوله: [ثق به] أي اعتمد عليه ولا تلتفت لغيره، فإنه لا يضر ولا ينفع، بل الضار النافع، المعطي المانع، هو الله، وبهذا تعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد، فالتوحيد ينفي الشرك، والتوكل ينفي الأوهام المعطلة عن مراتب الأخيار. قوله: ﴿وما ربك

تَعْمَلُونَ﴾ ١٢٣: وإنما يؤخرهم لوقتهم وفي قراءة بالفوقانية.

بغافل عما يعملون﴾ ﴿ما﴾ حجازية، و﴿ربك﴾ اسمها، و﴿بغافل﴾ خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [بالفوقانية] أي خطاباً للنبي والمؤمنين.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٢] - سورة يوسف

[مكية مائة وإحدى عشرة آية]

﴿الٓر﴾: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: القرآن والإضافة بمعنى من ﴿الْمُبِينِ﴾[١]: المظهر للحق من الباطل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾: بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ياأهل مكة

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

سورة يوسف مكية

وهي مائة وإحدى عشرة آية

مناسبة هذه السورة لما قبلها، جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، وهذه من محاسن قصص الأنبياء، وأيضاً ليتسلى النبي ﷺ بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، على ما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم ويتعلق بأخلاقهم، فيكون جامعاً لكمالات الأنبياء. وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبي ﷺ وقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة، ما لا يدخل تحت حصر، ولذا قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة، وقال عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها. قوله: [مكية] خبر أول عن سورة، وقوله: [مائة] الخ خبر ثان.

قوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ مبتدأ وخبر، وأشير إليها بإشارة البعيد، إشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شأنها. قوله: [هذه الآيات] أي آيات هذه السورة. قوله: [المظهر للحق] أي فهو مأخوذ من أبان المتعدي، ويصح أخذه من اللازم، ويكون المعنى البين حلاله وحرامه.

قوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ أي نحن بعظمتنا وجلالنا. قوله: ﴿عربياً﴾ نعت للقرآن، والعربي منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم، والمعنى أن القرآن نزل بلغة العرب، فليس فيه شيء غير عربي. فإن قلت: قد ورد فيه شيء غير عربي، كسجيل ومشكاة وإستبرق وغير ذلك. أجيب: بأن هذا مما توافقت فيه اللغات، والمراد أن تراكيبه وأساليبه عربية، وإن ورد فيه غير عربي، فهو على أسلوب العرب، وعلى أسلوب غيرهم، وإنما كان عربياً لأن تلك اللغة أفصح اللغات، ولأنها لغة أهل الجنة في الجنة. قوله: ﴿لعلكم تعقلون﴾ علة لكونه عربياً، والمعنى لكي تفهموا معانيه وتتأملوا فيها، فتعلموا أنه من عند الله.

﴿تَعْقِلُونَ﴾[٢]: تفهمون معانيه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِن﴾: مخففة أي وأنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ﴾[٣]: اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾: يعقوب ﴿يَا أَبَتِ﴾: بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾: في المنام ﴿أَحَدَ

قوله: ﴿أحسن القصص﴾ صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق، والتقدير قصصاً أحسن القصص، والقصص في اللغة من قصّ الأثر تتبعه، سمي الكلام الذي يحكي عن الغير بذلك لأن المتكلم يقص الخبر شيئاً فشيئاً، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسن البيان، وقيل المراد خصوص قصة يوسف، وإنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت، وسير الملوك والمماليك والعلماء، ومكر النساء، والصبر على الأذى، والتجاوز عنه أحسن التجاوز، وغير ذلك من المحاسن. قوله: [بإيحائنا] الباء سببية، وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والجار والمجرور متعلق بنقص. قوله: ﴿هذا القرآن﴾ اسم الإشارة مفعول لأوحينا، والقرآن بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان أو نعت. قوله: ﴿وإن كنت من قبله﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿من الغافلين﴾ أي لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط، بل كنت خالي الذهن منها، وهذا من معجزاته ﷺ، حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين، بأحسن تعبير وأبلغ وجه، ولذا قال البوصيري:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

فأكبر دليل على فضل الإنسان غزارة علمه وسعة اطلاعه، على ما أعطاه الله من العلوم الدينية والمعارف الربانية. قوله: [اذكر] قدره إشارة إلى أن ﴿إذ﴾ ظرف لمحذوف، وقيل معمول لقوله تعالى: ﴿يا بني﴾ وهو الأولى لما فيه من عدم الحذف. قوله: ﴿يوسف﴾ اسم عبراني ممنوع من الصرف، وعاش من العمر مائة وعشرين سنة، وعاش أبوه مائة وسبعاً وأربعين سنة، وعاش جده إسحاق مائة وثمانين سنة، وعاش جد جده إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة. قوله: [بالكسر] أي وأصلها يا أبي، حذفت الياء وعوض عنها تاء التأنيث، ونقلت كسرة ما قبلها لها، وفتحت الياء لمناسبة تاء التأنيث، وتقول في إعرابها: يا حرف نداء، وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المعوض عنها تاء التأنيث. قوله: [والفتح] أي وأصلها أبيَ، بكسر الباء وفتح الياء، ففتحت الباء ثم تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، حذفت الألف وعوض عنها تاء التأنيث، وفتحت للدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين: أبت وأمت، وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهي خمس، جمعها ابن مالك في قوله:

واجعل منادى صح إن يضف ليا   كعبد عبدي عبد عبدا عبديا

فيكون في أبت وأمت سبعة أوجه، يجوز منها وجهان قراءة لا غير. قوله: ﴿إني رأيت﴾ هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر، وكان سنه إذ ذاك اثني عشرة، وقيل سبع سنين، وقيل سبع عشرة سنة، وبين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل اثنتان وعشرون، وقيل ثمانية عشر، وسيأتي تحقيق ذلك، والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء، وقيل حقيقة السجود.

* أسباب نزول الآية ٣: روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل على النبي ﷺ القرآن فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا، فنزل ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الآية، زاد ابن أبي حاتم: فقالوا يا رسول الله: لو ذكرتنا، فأنزل الله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزل ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود مثله.

عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾: تأكيد ﴿لي سَاجِدِينَ﴾ ٤: جُمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء ﴿قَالَ: يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾: يحتالون في هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٥: ظاهر العداوة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾: بالنبوة ﴿وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾: أولاده ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾: بالنبوة ﴿عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ

قوله: ﴿أحد عشر كوكباً﴾ أي وهو: جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرع ووثاب وذو الكتفين، قد رأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له، وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية، وقابس بقاف وموحدة وعين مهملة، وعمودان تثنية عمود، والفليق بفاء آخره قاف، والمصبح اسم مفعول، والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة، ووثاب بتشديد المثلثة، وذو الكتفين تثنية كتف. قوله: [تأكيد] أي هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى، ويصح أن يكون قوله: ﴿رأيتهم لي﴾ جواباً لسؤال مقدر نشأ من قوله: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر﴾ كأن قائلاً قال: وما كيفية رؤياك فيهم؟ فقال: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾. قوله: [جمع بالياء والنون] أي قوله: ﴿ساجدين﴾.

قوله: ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ إنما نهاه أبوه عن ذلك لأنه فهم من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوق إخوانه فخاف عليه حسدهم، ويؤخذ من ذلك أن الإنسان إذا رأى خيراً في منامه، فلا يخبر به إلا حبيباً أو لبيباً غير حسود، لما قيل: إن الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت، بخلاف رؤيا المكروه، فلا يقصها، لما في الحديث: «إذا رأى أحدكم ما يحب، فلا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره، فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها، فإنها لن تضره». قوله: [والشمس أمك والقمر أبوك] حكمة تأويل أمه بالشمس، لأنها يظهر منها الأقمار وهم الأنبياء، وأبيه بالقمر، لأن القمر يهتدي به في الظلم، فكذلك الرسل يهتدي بهم في ظلمات الجهل والشرك، والإخوة بالكواكب لأن نورهم لا يبلغ نور أبيهم، إما لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل، أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء، وما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالشمس أمه أحد قولين، وقيل إن أمه راحيل قد ماتت، والمراد بالشمس خالته ليا.

قوله: ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ أي فيوقع الإنسان في المعاصي لفرط عداوته له. واعلم أن ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتي في القصة، باق على ظاهره، ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوتهم، لأن الولي تجوز عليه المعصية، ولكن لا يصر عليها بل يتوب، وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة، وأما على القول بنبوتهم، فهو مشكل غاية الإشكال، إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء؟ فأجاب العلماء عن ذلك، بأن هذا مبني على أن النبي معصوم بعد النبوة لا قبلها، أو كانوا لم يبلغوا الحلم، وكل هذا ليس بسديد، بل الحق أن النبي معصوم ظاهراً وباطناً قبل النبوة وبعدها، وإنما الواجب الذي يشفي الغليل ويريح العليل أن يقال: إن الله أطلعهم على أن يوسف يعطى النبوة والملك بمصر، ولا يتصور ذلك إلا بهذا الفعل، فهم مأمورون به باطناً مخالفون ظاهراً، إذ ليسوا مشرعين، فلا يكلمون إلا بخلوص بواطنهم مع ربهم، ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى، حيث قال بعد ما فعل ما فعل: ﴿وما فعلته عن أمري﴾، فهم مأمورون بحكم الباطن، مخالفون بحكم الظاهر، وقصة آدم في أكله من الشجرة، وتقدم ما يفيد ذلك في البقرة بأبلغ وجه.

قوله: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة، يختارك ويصطفيك ربك. قوله: [تعبير الرؤيا] أي تفسيرها. قوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أي يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة. قوله: ﴿وعلى آل يعقوب﴾

﴿رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾[٦]: في صنعه بهم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾: خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: وهم أحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾: عِبَرٌ ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾[٧]: عن خبرهم اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾: أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿لَيُوسُفُ﴾: مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾: شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾: خبر ﴿إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾: خطإ ﴿مُّبِينٍ﴾[٨]: بين بإيثارهما علينا ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أي بأرض بعيدة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ﴾: أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[٩]: بأن تتوبوا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾: اطرحوه ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: مظلم البئر وفي قراءة

لم يقل بالنبوة إشارة للخلاف في نبوتهم. قوله: ﴿إبراهيم وإسحاق﴾ إما بدل من أبويك، أو عطف بيان عليه. قوله: ﴿عليم﴾ [بخلقه] أي فيصطفي من يشاء. وقوله: ﴿حكيم﴾ [في صنعه] أي فيضع الأشياء في محلها.

قوله: ﴿لقد كان﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، والتقدير والله لقد كان الخ. قوله: [وهم أحد عشر] أي وهم: يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر، وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا، ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل، وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الأختين محرماً في شرعه، فولدت له بنيامين ويوسف، وأما الأربعة الباقية: دان ونفتالي وجاد وأشر، فمن سريتين زلفة وبلهة. قوله: ﴿آيات للسائلين﴾ أي وغيرهم، ففيه اكتفاء، وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، وقيل سألوا عن انتقال أولاد يعقوب، من أرض كنعان إلى أرض مصر، فذكر لهم تلك القصة، فوجدوها مطابقة لما في التوراة، وحينئذ فهي من دلائل نبوته ﷺ، حيث قص عليم تلك القصة بأبلغ وجه، مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد، ولا قرأ ولا كتب. قوله: ﴿ليوسف﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: [بنيامين] بكسر الباء وفتحها، وهو أصغر من يوسف. قوله: ﴿أحب﴾ [خير] أي عن يوسف وأخوه، ولم تحصل المطابقة لأنه اسم تفضيل مجرد، وهو يلزم التذكير والتوحيد، قال ابن مالك:

وإنْ لِـمَـنْـكُـورٍ يُـضَـفْ أو جُـرِّدا ... أُلْـزِمَ تَـذْكِـيـراً وأَنْ يُـوَحَّـدا

و﴿أحب﴾ مصوغ من حب المبني للمفعول وهو سماعي، ولو جاء على القياس لتوصل إليه بأشد، قال ابن مالك:

وأشـدد أو أشـد أو شـبـهـهـمـا ... يُـخْـلَـفُ مـا بـعـض الـشـروط عـدمـا

واعلم أن مادة الحب والبغض إذا بني أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بإلى، وللمفعول باللام، أو بفي، والآية الكريمة من الأول، فإن الأب هو فاعل المحبة، وإذا قلت: زيد أحب لي من عمرو، وأحب في منه، كان معناه أن زيداً يحبني أكثر من عمرو. قوله: ﴿ونحن عصبة﴾ الجملة حالية، والعصبة قيل من العشرة إلى الأربعين، وقيل من ثلاثة إلى عشرة، وقيل من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل غير ذلك. قوله: [خطأ] أي في أمر الدنيا وما يصلحها، لأنا أشد قوة وأكبر سناً وأكثر منفعة من يوسف، فلم آثره علينا في المحبة، إن هذا الخطأ بين، وليس المراد الخطأ في الدين، فإن اعتقاده كفر. قوله: [بإيثارهما] أي تقديمهما.

قوله: ﴿اقتلوا يوسف﴾ الخ، إنما قالوا ذلك لأن خبر المنام بلغهم، فتشاوروا في كيده بين أحد أمرين: إما قتله أو تغريبه بأرض بعيدة. قوله: [أي بأرض] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أرضاً﴾ منصوب على نزع الخافض، ويصح نصبه على الظرفية، لأن المقصود أي أرض بعيدة. قوله: ﴿وجه أبيكم﴾ أي قلبه، والمعنى لا يكون لكم منازع في محبته فيكم حينئذ. قوله: [بأن تتوبوا] أي تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة. قوله: ﴿قال قائل﴾ هذا رأي ثالث أرفق بيوسف مما

بالجمع ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ١٠: ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك ﴿قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ ١١: لقائمون بمصالحه ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلى الصحراء ﴿نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾: بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ١٢ قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا﴾: أي ذهابكم ﴿بِهِ﴾: لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾: المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ١٣: مشغولون ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾: لام قسم ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة ﴿إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ ١٤: عاجزون فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾: عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ﴾: وجواب لما محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط

تقدم عن الخصلتين. قوله: [هو يهوذا] بدال مهملة، وأصله بالعبرانية المعجمة، لكن لما استعملته العرب أهملته، وكان أكبرهم سناً وأحسنهم رأياً، وقيل القائل روبيل.

قوله: ﴿في غيابت الجب﴾ الغيابة الشيء المظلم، والجب البئر التي لم تطو، والمعنى اطرحوه في قعر البئر المظلم، وكان بأرض بيت المقدس، وقيل بالأردن، وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب. قوله: ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي لأن هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين. قوله: [فاكتفوا بذلك] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف.

قوله: ﴿قالوا يا أبانا﴾ هذا مرتب على محذوف، وذلك أنهم قالوا أولاً ليوسف: أخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد، وقالوا له: سل أباك أن يرسلك معنا، فسأله فتوقف يعقوب، فقالوا مالك الخ، والمعنى أي شيء ثبت لك في عدم أمننا؟ قوله: ﴿تأمنا﴾ اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة، واتفقوا أيضاً على إدغامها مع الاشمام كما في الخطيب، ومن الشواذ ترك الإدغام كما في أبي السعود. قوله: [لقائمون بمصالحه] أي لعاطفون عليه حافظون له. قوله: ﴿غداً﴾ منصوب على الظرفية، والغد اليوم الذي بعد يومك. قوله: [بالنون والياء فيهما] أي في نرتع ونلعب، وهما قراءتان سبعيتان، والرتع التمتع في أكل الفواكه ونحوها، واللعب بالاستباق والانتضال تمريناً لقتال الأعداء؛ وهو غرض صحيح مباح، لما فيه من تعلم المحاربة والإقدام على العدو. قوله: ﴿ليحزنني﴾ الحزن ألم القلب بفراق المحبوب.

قوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان، وسبب خوفه أنه كان رأى في المنام أن ذئباً تعرض ليوسف، فكان يخاف عليه الذئب. قوله: ﴿قالوا لئن أكله الذئب﴾ هذا جواب عن عذره الثاني وهو قوله: ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ وأما الأول وهو قوله: ﴿إني ليحزنني﴾ الخ، فلا يجيبوا عنه، لأن غرضهم حصوله. قوله: ﴿ونحن عصبة﴾ الجملة حالية. قوله: [عاجزون] أي فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه.

قوله: ﴿فلما ذهبوا به﴾ تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة، لم تجف فيها عين يعقوب. قوله: [بأن نزعوا قميصه] الخ، روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه، حتى كادوا يقتلونه، فصار يصيح ويستغيث، فقال يهوذا: أما عاهدتموني على ألا تقتلوه؟ فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها، ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم، فقال: يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به، فقالوا له: ادع الأحد عشر كوكباً، والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك، وفي القصص، أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، جرد عن ثيابه، فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، ودفعه إسحاق

في الماء ثم آوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: في الجب وحي حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٥: بك حال الأنباء ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾: وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾ ١٦ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾: نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾: ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بمصدق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ١٧: عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ﴾: محله نصب على الظرفية أي فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه ﴿قَالَ﴾: يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا جزع فيه وهو خبر مبتدأ محذوف أي أمري ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوب منه

إلى يعقوب فجعله في قصبة من فضة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه الملك إياه حين ألقي في الجب، فأضاء له الجب، وسيأتي أنه القميص الذي أرسله مع البشير بأمر جبريل، وأخبره أنه لا يلقى على مبتلى إلا عوفي. قوله: [ثم أوى إلى الصخرة] أي جاء له بها الملك فأجلسه عليها، قال الحسن: لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤها، فكان يغنيه عن الطعام والشراب، ودخل عليه جبريل فأنس به، فلما أمسى نهض ليذهب فقال: إنك إذا خرجت استوحشت، فقال: إذا رهبت من شيء فقل: يا صريخ المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، فقد ترى مكاني وتعلم حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالها يوسف، حفته الملائكة واستأنس في الجب، وفرج الله عنه بخروجه من ليلته، وقيل إنه مكث في الجب ثلاثة أيام، فكان إخوته يرعون حوله، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. قوله: [أو دونها] قيل خمسة عشر، وقيل اثني عشر، وقيل سبعة.

قوله: ﴿لتنبئنهم﴾ أي كما سيأتي في قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه﴾ الآية. قوله: ﴿عشاء﴾ أي ليكونوا في الظلمة ليقبل اعتذارهم، فلما بلغوا منزل يعقوب، جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسألهم، فأجابوه بما ذكر. قوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ الخ، في هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لا يخفى. قوله: [لاتهمتنا] الخ، قدره المفسر إشارة إلى أن لو شرطية، وجوابها محذوف، والأسهل من هذا جعل الواو حالية، ولو زائدة، والتقدير وما أنت بمؤمن لنا، والحال إذا كنا صادقين في نفس الأمر. قوله: [محله نصب] أي فعلى ظرف بمعنى فوق. قوله: [أي ذي كذب] أشار بذلك إلى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف، ويصح أن يكون مبالغة على حد زيد عدل. قوله: [سخلة] هي الصغيرة من الغنم. قوله: [وذهلوا عن شقه] أي عن تمزيقه، لأن العادة أن الذئب إذا أكل الإنسان يشق قميصه، وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لا تتم لهم. قوله: [لما رآه صحيحاً] روي أنه قال: ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني ولا يقد قميصه، وقيل: إنهم أتوه بذئب وقالوا: هذا أكله، فقال يعقوب: أيها الذئب، أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي؟ فأنطقه الله قال: والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء، فقال له يعقوب: فكيف وقعت بأرض كنعان؟ فقال: جئت لصلة الرحم، فأخذوني وأتوا بي إليك، فأطلقه يعقوب.

قوله: ﴿بل سولت﴾ أي سهلت لكم أنفسكم أمراً عظيماً، ففعلتموه بيوسف وهونتموه في أعينكم. قوله: [لا جزع فيه] فسر المفسر الصبر الجميل، بأنه الذي لا جزع فيه، والأولى أن يفسره كما في الحديث بأنه الذي لا شكوى فيه لغير الله، وأما الهجر الجميل، فهو الذي لا إيذاء معه، وأما الصفح الجميل، فهو الذي لا عتاب بعده، وقد تحقق

العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ١٨: تذكرون من أمر يوسف ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون من مَدْيَنَ إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾: أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾: في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ: يَا بُشْرَى﴾: وفي قراءة بشرى ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا غُلَامٌ﴾: فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾: أي أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَاعَةً﴾: بأن قالوا: هذا عبدنا ابق وسكت يوسف خوفاً

بجميعها كل من يوسف ويعقوب». قوله: [المطلوب منه العون] أي فالسين والتاء للطلب. قوله: ﴿على ما تصفون﴾ أي على تحمل المكاره التي تذكرونها في أمر يوسف.

قوله: ﴿وجاءت سيارة﴾ جمع سائر أي مسافر، سموا بذلك لسيرهم في الأرض. قوله: [من مدين إلى مصر] أي فأخطؤوا الطريق، ونزلوا بأرض قفراء قريباً من الجب. قوله: ﴿فأرسلوا﴾ ذكر باعتبار المعنى، ولو راعى اللفظ لقال: فأرسلت واردها. قوله: ﴿واردهم﴾ وهو مالك بن دعر الخزاعي، وهو من أهل مدين. قوله: ﴿فأدلى دلوه﴾ يقال أدلى بالهمز إذا أرسل الدلو في البئر ودلاه بالتضعيف إذا نزعه، والدلو مؤنث وقد يذكر. قوله: [فأخرجه] أي بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل، ولما خرج صارت جدران البئر تبكي عليه.

قوله: ﴿قال يا بشراي﴾ منادى مضاف لياء المتكلم. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [ونداؤها مجاز] أي لتنزيلها منزلة العاقل. قوله: ﴿هذا غلام﴾ التنكير للتعظيم، لأنه كان عليه السلام حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، وخميص البطن، صغير السرة، وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحكه وإذا تكلم ظهر من ثناياه، وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد ﷺ، فإن يوسف أعطي شطر الحسن، ورسول الله أعطي الحسن كاملاً، قال البوصيري:

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

إن قلت: إذا كان كذلك، فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد ﷺ كما افتتن بجمال يوسف؟ أجيب: بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس، لا يستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها، ولذا لم ترو الشمائل الشريفة، إلا عن صغار الصحابة، كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم، لا عن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه، وأما جمال يوسف فهو ظاهر، لم يستتر بجلال كالبدر، فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف، غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض:

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة ... في وجهه نسي الجمال اليوسفي

قوله: [فعلم به إخوته] أي حين نظروا إلى القافلة واجتماعها على البئر، فأتوهم وقد ظنوا موت يوسف، فرأوه أخرج حياً، فضربوه وقالوا: هذا عبد أبق منا، فإن أردتم بعناه لكم، ثم قالوا له بالعبرانية: لا تنكر العبودية نقتلك، فأقر بها، فاشتراه مالك بن دعر الخزاعي. قوله: ﴿وأسروه﴾ الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم، وهو مالك بن دعر، والمعنى أن البائع والمشتري أخفوا أمره وجعلوه بضاعة أي قالوا: إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه. وقوله: [جاعليه] حال من فاعل ﴿أسروه﴾، وقوله: ﴿بضاعة﴾ معمول لتلك الحال، وهذا في الحقيقة، وأما بحسب الظاهر، فهو حال من الواو في أسروه، ومعنى قوله بضاعة، أنه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم، ويصح أن يعود الضمير على الإخوة، ويكون معنى البضاعة الشيء المعمول الذي يباع ويشرى، وعليه درج المفسر.

أنْ يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾١٩ ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: عِشْرين أو اثْنَيْن وعشْرين ﴿وَكَانُوا﴾: أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾٢٠: فجاءت به السَّيَّارة إلى مصْر فباعه الـذي اشتَراه بعشرين ديناراً وزوجي نَعْل وثوبَيْن ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾: وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾: زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾: مقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: وكان حَصوراً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصْر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا عَطْف على مقدَّر متعلِّق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾٢١: ذلك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: وهو ثلاثون سنة أو

قوله: ﴿بما يعملون﴾ أي من العمَل الذي ظاهره قبيح وباطنه حسن، حيث ترتب عليه من الأسْرار والفوائد العظيمة، ما لا يدخل تحت حصْر، وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له في شأن إخوة يوسف، والمعنى لا تخض أيها السامع في شأنهم بسوء، فإن الله عليم بما يعملون. قوله: [باعوه] أي إخوته، وقوله: [منهم] أي السيارة، والمعنى باعه إخوته للسيارة، أي لبعْضهم وهو مالك بن دُعر الخزاعي. قوله: [ناقص] أي عن قيمته لو كان رقيقاً، وقيل إن البخس معناه الحرام، لأنه ثمن حر وهو حرام.

قوله: ﴿معدودة﴾ أشار بذلك إلى أنها قليلة، لأنهم كانوا لا يزنون ما قل عن أربعين درهماً، ويأخذونها عداً، ويزنون ما بلغها وهو أوقية. قوله: [أي إخوته] ويصح أن يعود الضمير على السيارة، وإنما زهدوا فيه لخوفهم منه، حيث وصف لهم بالإباق. قوله: [الذي اشتراه] أي وهو مالك بن دعر الخزاعي. قوله: [بعشرين ديناراً] الخ، وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس في ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهباً، وقيل فضة، وقيل مسكاً، وقيل حريراً، وكان وزنه أربعمائة رطل. قوله: [وهو قطفير العزيز] أي وكان وزيراً للريان ملك مصر، وقد آمن بيوسف ومات في حياته، وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث يوسف في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة. قوله: [زليخا] بفتح الزاي وكسر اللام والمد، أو بضم الزاي وفتح اللام.

قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي يكفينا بعض أمورنا إذا قوي وبلغ، أو يربح إذا أردنا بيعه. قوله: ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه، وأو مانعة خلو تجوز الجمع، وهو المقصود لهما. قوله: [وكان حصوراً] أي لا يأتي النساء أو عقيماً.

قوله: ﴿وكذلك﴾ إلى قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ معترض بين وصية العزيز، وما وقع من زوجته. قوله: [من القتل] أي الذي عزم عليه إخوته، وقوله: [والجب] أي الذي رموه فيه. قوله: [وعطفنا عليه قلب العزيز] أي خلقنا فيه الميل والمحبة، حيث دفع فيه المال الكثير، وأوصى زوجته عليه. قوله: ﴿مكنا ليوسف﴾ أي أعطيناه مكانة ورتبة عالية في الأرض. قوله: [حتى بلغ ما بلغ] أي من السلطنة والعز. قوله: [لنملكه] إما من الملك بكسر الميم، أي نجعله مالكاً لما فيها، أو من الملك بضمها، أي نجعله سلطاناً على أهلها. قوله: [والواو زائدة] أي والمعنى: مكنا ليوسف في الأرض لنعلمه الخ. قوله: [لا يعجزه شيء] أي لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فلا راد لما قضاه.

قوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ جمع شدة كنعمة وأنعم، ولم يقل هنا واستوى كما قال في حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهي سن النبوة، فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة، وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذه السن. قوله:

وثلاث ﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾: حكمة ﴿وَعِلْماً﴾: فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢: لأنفسهم ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾: هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: أي طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾: له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾: أي هلم واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾: أي الذي اشتراني ﴿رَبِّي﴾: سيدي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾: أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ٢٣: الزناة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾: قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد ذلك ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت

[حكمة] هي العلم مع العمل. قوله: ﴿وعلما﴾ عطف عام على خاص. قوله: [كما جزيناه] أي بكل خير. قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ أي فاعلي الإحسان، والمعنى: لا خصوصية ليوسف بذلك، بل سنة الله في خلقه أن كل محسن له من الله الجزاء الحسن.

قوله: ﴿وراودته﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله ﴿وقال الذي اشتراه من مصر﴾ الخ، وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف، من السيادة والخير العظيم، والمراودة مفاعلة، وهي في الأصل تكون من الجانبين، ولكنها هنا من جانب واحد، ولما كان الجانب الآخر سبباً في حصول الفعل نزل منزلته، فقيل فيه مفاعلة، وذلك أن جمال يوسف سبباً لميلها وطلبها له، فالمفاعلة ليست على بابها، نظير مداواة المريض، فإن سبب المداواة المرض القائم بالمريض. قوله: [هي زليخا] أي ولم يصرح باسمها، استهجاناً له وستراً وتعليماً للأدب، كأن الله يقول: من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها، بل يكني عنها، ولم يذكر في القرآن اسم امرأة إلا مريم، وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا أنها زوجة الله، فذكرها باسمها رداً عليهم، كأنه يقول: إن أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس، فلو كانت زوجة له كما تزعمون لكنى عنها كما يكني الرجل عن زوجته. قوله: [أي طلبت منه] أشار بذلك إلى أن المراودة من جانبها فقط.

قوله: ﴿وغلقت الأبواب﴾ أي وكانت سبعة. قوله: ﴿هيت لك﴾ أي بفتح الهاء والتاء ككيف. قوله: [وفي قراءة بكسر الهاء] أي مع فتح التاء كقيل. قوله: [وأخرى] بضم التاء أي مع فتح الهاء كحيث، فهذه ثلاث قراءات، وبقي قراءتان وهما: هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها وكلها سبعية. قوله: [واللام للتبيين] أي تبيين المفعول الذي هو المخاطب، كأنها تقول: الخطاب لك نظير سقياً لك ورعياً لك. قوله: ﴿معاذ الله﴾ منصوب على أنه مصدر نائب عن الفعل، والأصل أعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى أسبح الله.

قوله: ﴿إنه ربي﴾ الهاء اسم إن، وربي خبرها، و﴿أحسن﴾ جملة حالية أو خبر ثان، وما درج عليه المفسر من أن الضمير للحال والشان، ومراده بربه الذي اشتراه أحد تفسيرين، والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى، وهو الأقرب والأظهر. قوله: ﴿أحسن مثواي﴾ تعهدي حيث أمرك بإكرامي، فلا يليق مني أن أخونه، وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بلطف. قوله: [قصدت منه الجماع] أي مع العزم والتصميم. قوله: [قصد ذلك] أي بمقتضى الطبع البشري من غير رضا ولا تصميم، كميل الصائم للماء البارد، ولكن يمنعه دينه عنه، وهذا لا يؤاخذ به الإنسان، بل في مدافعته الثواب الجزيل والأجر الجميل، فمخالفة النفس عن شهواتها، مع وجود ميل الطبع أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها، ولذا يباهي الله بالشاب التارك لشهواته الملائكة الكرام، قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾. قوله: [قال ابن عباس] أي وفي رواية: أنه انفرج سقف البيت، فرأى يعقوب عاضاً

أنْ يقتلوه ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ١٩ ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾: أي إخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ٢٠: فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾: وهو قطفير العزيز ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾: زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾: مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾: وكان حصوراً ﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾: تعالى لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢١: ذلك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: وهو ثلاثون سنة أو

قوله: ﴿بما يعملون﴾ أي من العمل الذي ظاهره قبيح وباطنه حسن، حيث ترتب عليه من الأسرار والفوائد العظيمة، مما لا يدخل تحت حصر، وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له في شأن إخوة يوسف، والمعنى لا تخض أيها السامع في شأنهم بسوء، فإن الله عليم بما يعملون. قوله: [باعوه] أي إخوته، وقوله: [منهم] أي السيارة، والمعنى باعه إخوته للسيارة، أي لبعضهم وهو مالك بن دعر الخزاعي. قوله: [ناقص] أي عن قيمته لو كان رقيقاً، وقيل إن البخس معناه الحرام، لأنه ثمن حر وهو حرام.

قوله: ﴿معدودة﴾ أشار بذلك إلى أنها قليلة لأنهم كانوا لا يزنون ما قل عن أربعين درهماً، ويأخذونها عداً، ويزنون ما بلغها وهو أوقية. قوله: [أي إخوته] ويصح أن يعود الضمير على السيارة، وإنما زهدوا فيه لخوفهم منه، حيث وصف لهم بالإباق. قوله: [الذي اشتراه] أي وهو مالك بن دعر الخزاعي. قوله: [بعشرين ديناراً] الخ، وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس في ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهباً، وقيل فضة، وقيل مسكاً، وقيل حريراً، وكان وزنه أربعمائة رطل. قوله: [وهو قطفير العزيز] أي وكان وزيراً للريان ملك مصر، وقد آمن بيوسف ومات في حياته، وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث يوسف في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة. قوله: [زليخا] بفتح الزاي وكسر اللام والمد، أو بضم الزاي وفتح اللام.

قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي يكفينا بعض أمورنا إذا قوي وبلغ، أو يربح إذا أردنا بيعه. قوله: ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي نتبناه، وأو مانعة خلو تجوز الجمع، وهو المقصود لهما. قوله: [وكان حصوراً] أي لا يأتي النساء أو عقيماً.

قوله: ﴿وكذلك﴾ إلى قوله: ﴿نجزي المحسنين﴾ معترض بين وصية العزيز، وما وقع من زوجته. قوله: [من القتل] أي الذي عزم عليه إخوته، وقوله: [والجب] أي الذي رموه فيه. قوله: [وعطفنا عليه قلب العزيز] أي خلقنا فيه الميل والمحبة، حيث دفع فيه المال الكثير، وأوصى زوجته عليه. قوله: ﴿مكنا ليوسف﴾ أي أعطيناه مكانة ورتبة عالية في الأرض. قوله: [حتى بلغ ما بلغ] أي من السلطنة والعز. قوله: [لنملكه] إما من الملك بكسر الميم، أي نجعله مالكاً لما فيها، أو من الملك بضمها، أي نجعله سلطاناً على أهلها. قوله: [والواو زائدة] أي والمعنى: مكنا ليوسف في الأرض لنعلمه الخ. قوله: [لا يعجزه شيء] أي لأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فلا راد لما قضاه.

قوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ جمع شدة كنعمة وأنعم، ولم يقل هنا واستوى كما قال في حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهي سن النبوة، فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة، وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذه السن. قوله:

﴿وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾ ٢٦ ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾: خلف ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾ ٢٧ ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾: زوجها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾: أي قولك ما جزاء من أراد الخ ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾: أيها النساء ﴿عَظِيمٌ﴾ ٢٨: ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾: الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَٱسْتَغْفِرِي﴾: يا زليخا ﴿لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ﴾ ٢٩: الآثمين واشتهر الخبر وشاع ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: مدينة مصر ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾: عبدها ﴿عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾: خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾ ٣٠: بين بحبها إياه ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدت ﴿لَهُنَّ﴾

قوله: ﴿إن كان قيمصه﴾ الخ إن قلت: إن القميص أمر ثان من قبل، فلا معنى للتعليق عليه، والجواب أن يقال: إن المعنى إن ثبت أن قميصه قد من قبل الخ. قوله: ﴿فصدقت﴾ الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء في الجواب، لأن جواب الشرط لا يقرن بالفاء، إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة، وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها.

قوله: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ أي فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة، وإلا فالرجال أعظم في الحيل والمكايد، وإنما وصف كيد النساء بالعظم، وكيد الشيطان بالضعف، لأن كيد النساء أقوى، بسبب أنهن حبائل الشيطان، فكيدهن مقرون بكيد الشيطان، فهما كيدان، بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد، ولذا قال بعضهم: أنا أخاف من النساء، أكثر مما أخاف من الشيطان، لأن الله تعالى يقول ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وقال في حق النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾.

قوله: ﴿واستغفري لذنبك﴾ إن قلت: إنهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنباً مع خالقهم، فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه؟ أجيب: بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها، وفي هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة، ولذا قال بعضهم: إن تربة مصر تقتضي ذلك؟ ولذا لا ينشأ فيها الأسد، ولو دخل فيها لا يبقى. قوله: [الآثمين] أي برمي يوسف وهو بريء. قوله: [واشتهر الخبر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿وقال نسوة﴾ مرتب على محذوف، وهذا الإشتهار منها، وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك، وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن.

قوله: ﴿وقال نسوة في المدينة﴾ اختلف في عدتهن، فقيل خمس وقيل أربعون، وجمع بينهما بأن أصل الإشاعة كان من خمس وهن: امرأة صاحب الملك، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة خبازه، وامرأة ساقيه، وامرأة صاحب سجنه، ونسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه. قوله: ﴿امرأت العزيز﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿تراود فتاها﴾ خبر أول، وقوله: ﴿قد شغفها حباً﴾ خبر ثان، وحباً تمييز محول عن الفاعل، والأصل قد شغف حبه قلبها. قوله: ﴿فتاها﴾ الفتى هو الشاب القوي. قوله: [أي دخل حبه شغاف قلبها] الشغاف جلدة رقيقة على القلب، تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب، وحينئذ يكون المعنى أن حبه خرق تلك الجلدة، ووصل القلب وسكنه، وقيل: إن معنى شغفها صار محيطاً بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب، حتى لا تكاد تنظر لغيره. قوله: [خطأ] ﴿مبين﴾ أي حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحبت غير زوجها. قوله: ﴿بمكرهن﴾ أي حديثهن، وسمي مكراً لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله، فتعلقن به وأحببن أن يرينه. قوله: [غيبتهن] إنما سميت الغيبة مكراً، لإخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر.

قوله: ﴿أرسلت إليهن﴾ أي وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة، فصنعت لهن ضيافة عظيمة. قوله: ﴿وأعتدت﴾ أي هيأت وأحضرت. قوله: ﴿متكأ﴾ سمي الطعام بذلك لأنه يتكأ عنده، على عادة المتكبرين من أكل

﴿مُتَّكَأً﴾: طعاماً يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج ﴿وَآتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ﴾: ليوسف ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾: أعظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾: أي يوسف ﴿بَشَراً إِنْ﴾: ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٣١ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية وفي الحديث: أنه أعطي شطر الحسن ﴿قَالَتْ﴾: امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن ﴿فَذَلِكُنَّ﴾: فهذا هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾: في حبه بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾: امتنع ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ﴾: به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ٣٢: الذليلين فقلن له أطع مولاتك ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ﴾: أصر ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ٣٣: المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: دعاءه ﴿فَصَرَفَ

الفواكه حال الاتكاء. قوله: [وهو الأُتْرُجّ] بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة، ويقال فيه ترنج، والأولى هي الفصحى. قوله: ﴿سكيناً﴾ أي خنجراً، وكان من عادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين. قوله: ﴿وقالت أخرج عليهن﴾ أي وقد زينته بأحسن الزينة وحبسته في مكان آخر.

قوله: ﴿فلما رأينه﴾ مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ. قوله: [أعظمنه] أي هبنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله، يقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة، وقيل: إنهن أعظمنه لأنهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات إليهن، فوقع الرعب في قلوبهن وتعجبن منه. قوله: ﴿وقطعن أيديهن﴾ أي جرحنها حتى سال الدم، قال وهب: مات منهن جماعة. قوله وقلن ﴿حاش﴾ بإثبات ألف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان، وهذا بالنظر للنطق، وأما في الرسم فلا تكتب فيه ألف بعد الشين.

قوله: ﴿ما هذا بشراً﴾ أي معاذ الله أن يكون هذا بشراً، إنما هذا ملك كريم على ربه. قوله: ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ المقصود من هذا، إثبات الحسن العظيم ليوسف، لسماعهم أنه لا شيء أحسن من الملك، ولأنه لما كان الملك مطهراً من بواعث الشهوة مهاباً لا تحكم عليه الصورة شبه به. قوله: [شطر الحسن] أي نصفه، والمعنى أن الله خلق حسناً، فأعطي يوسف نصفه، وقسم نصفه بين الخلائق. قوله: ﴿فذلكن﴾ ذا اسم إشارة القريب لحضوره بالمجلس، وقرن باللام المفيدة للبعد رتبته عن غيره، ولذا فسرها المفسر بهذا التي للقريب. قوله: ﴿الذي لمتنني فيه﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله [هو]. قوله: [امتنع] أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان.

قوله: ﴿ولئن لم يفعل﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وإن شرطية، وقوله: ﴿ليسجنن﴾ جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة في اجتماع الشرط، والقسم أنه يحذف جواب المتأخر منهما. قوله: [فقلن له أطع مولاتك] ورد أنه ما من امرأة إلا دعته لنفسها.

قوله: ﴿قال رب﴾ لما اشتد به الكرب، توجه لربه في الفرج. قوله: ﴿أحب إلي﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، إذ ليس له فيما يدعونه إليه محبة ورغبة. إن قلت: هو مجاب الدعوة، فلم طلب النجاة بالسجن، ولم يطلب النجاة العامة؟ أجيب: بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به لأن النبي لا ينطق عن الهوى. قوله: ﴿مما يدعونني﴾ فعل مضارع مبني على سكون الواو، والنون الأولى للنسوة فاعل، والثانية نون الوقاية، وهو مثل النسوة يعفون، فالواو ليست ضميراً بل هي لام الكلمة. قوله: [والقصد بذلك] أي بقوله والانصراف عني الخ، كأنه قال: اللهم اصرف عني

عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾٣٤: بالفعل ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْآيَاتِ﴾: الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ﴾: إلى ﴿حِينٍ﴾٣٥: ينقطع فيه كلام الناس فسجن ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾: وهو الساقي ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: أي عنبا ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾: وهو صاحب الطعام ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾: خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾٣٦

كيدهن، لأجل أن لا أصير من الجاهلين، لأنك إن لم تصرفه عني صرت منهم، إذ لا قدرة لي على الامتناع إلا بإعانتك لي.

قوله: ﴿ثم بدا لهم﴾ أي للعزيز وأصحابه، وذلك أن زليخا قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس، يخبرهم أني قد راودته عن نفسه، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر إليهم، وإما أن تسجنه فظهر لهم سجنه، لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم، مع علمهم ببراءته ونزاهته. قوله: [أن يسجنوه] أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل بدا. قوله: ﴿ليسجننه﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، والجملة في محل نصب لقول محذوف، والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه. قوله: ﴿حتى حين﴾ أي وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة، وسيأتي ذلك.

قوله: ﴿ودخل معه﴾ أي صحبته، والمعنى كانا مقارنين له في الدخول، وهذا مرتب على قول المفسر فسجن. قوله: [غلامان] تثنية غلام، وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يشب، وقوله: [للملك] أي ملك مصر، وهو الريان بن الوليد العمليقي. قوله: [أحدهما ساقيه] أي واسمه شرهم، وقوله: [والآخر] صاحب طعامه أي واسمه برهم، وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك، فجعلوا لهما رشوة، على أن يسما الملك في طعامه وشرابه، فأجابا، ثم إن الساقي ندم ورجع، والخباز قبل الرشوة وسم الطعام، فلما حضر الطعام بين يدي الملك، قال الساقي: لا تأكل أيها الملك، فإن الطعام مسموم، فقال الخباز: لا تشرب أيها الملك، فإن الشراب مسموم، فقال الملك للساقي: اشرب من الشراب فشرب، وقال للخباز: كل من الطعام فأبى، فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت، فأمر بحبسهما، فاتفق أنهما دخلا مع يوسف. قوله: [فرأياه يعبر الرؤيا] أي ينشر علمه ويقول: إني أعبر الأحلام. قوله: [لنختبرنه] أي لنمتحننه ليظهر لنا حاله.

قوله: ﴿قال أحدهما﴾ أي بعد مضي خمس سنين من دخولهم السجن. قوله: ﴿إني أراني﴾ أرى تنصب مفعولين، الياء مفعول أول، وجملة ﴿أعصر خمراً﴾ مفعول ثان. قوله: [أي عنباً] أي فتسميته خمراً من باب مجاز الأول أي عنباً يؤول إلى كونه خمراً، وفي القصة أنه قال: رأيت في المنام كأني في بستان، وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب، وكأن كأس الملك في يدي، فعصرتها فيه وسقيت الملك. قوله: ﴿إني أراني﴾ أي رأيتني، فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية. قوله: ﴿أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ وذلك أنه قال: رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال، وفيها الخبز وألوان الأطعمة، وسباع الطير تنهش منها.

قوله: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ أي العالمين بتعبير الرؤيا وإنما قالا ذلك، لأنهما رأياه في السجن يعود المرضى، ويقوم الليل ويصوم النهار، ويصبر أهل السجن ويبشرهم، ويواسي فقيرهم، فكان يقول: اصبروا وأبشروا، فيقولون: بارك الله لنا فيك يا فتى، ما أحسن وجهك وحديثك، لقد بورك لنا في جوارك، فمن أين أنت؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم، فقال له صاحب السجن: يا فتى والله لو

قال﴾: لهما مخبراً إنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾: في منامكما ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾: في اليقظة ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾: تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: فيه حث على إيمانهما ثم قوّاه بقوله ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾: دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾: تأكيد ﴿كَافِرُونَ﴾٣٧ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾: ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾: التوحيد ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾٣٨: الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال ﴿يَا صَاحِبَيِ﴾: ساكني ﴿السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾٣٩: خير، استفهام تقرير ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: أي غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾: سميتم بها أصناماً ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾: بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: حجة وبرهان ﴿إِنِ﴾: ما ﴿الْحُكْمُ﴾: القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ﴾: التوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾٤٠: ما

استطعت لخليت سبيلك، ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك، واختر أي بيوت السجن شئت. قوله: [مخبراً أنه عالم] أي لأجل أن يقبلوا عليه ويؤمنوا به، وهكذا ينبغي للعالم العامل، أن يظهر نفسه ليقتدى به ويؤخذ عنه، وإنما أخبرهما بذلك، توطئة لدعائهما إلى الإيمان. قوله: [في منامكما] أي فالمعنى: أي طعام رأيتماه في المنام وأخبرتماني به، إلا فسرته لكما قبل أن يقع في الخارج، وخص رؤية الطعام لأنهما من أهل الطعام والشراب، والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة، وقيل المراد إتيان الطعام لهما في اليقظة، والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما، إلا أخبرتكما بقدره وكيفيته، والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يصلكما، فهو إشارة إلى أن من معجزاته الإخبار بالمغيبات، وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ فقالا ليوسف: هذا من علم العرافين والكهنة، فمن أين لك هذا العلم؟ فقال: ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ الخ. قوله: [فيه حث] أي تعريض لطلب الإيمان.

قوله: ﴿إني تركت﴾ المراد بالترك عدم التلبس بالشيء من أول الأمر. قوله: ﴿واتبعت ملة آبائي﴾ لما بين أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة، بين هنا أنه لا غرابة في ذلك لأنه من بيت النبوة، لأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كانوا مشهورين بالرسالة، وذكر الفخر الرازي أنه نبيء في السجن، ولا مانع أنه نبيء قبل الأربعين، كيحيى وعيسى، وذلك لأن إخوته رموه في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة، ومن جملتها مدة السجن، فتكون الجملة ثلاثين سنة.

قوله: ﴿ما كان لنا﴾ أي لا يصح ولا يليق منا معاشر الأنبياء، أن نشرك بالله شيئاً، مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بأنواع النعم، وهذا تعريض لهم بترك ما هم عليه من الشرك كأنه قال: لا يصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غير من هو مفتقر إليه ومنعم عليه. قوله: [لعصمتنا] أي فليس المراد أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد أنه طهرهم من الكفر. قوله: ﴿من فضل الله علينا﴾ أي بالوحي. قوله: ﴿وعلى الناس﴾ أي بإرشادهم.

قوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾ قدر المفسر [ساكني] إشارة إلى أن الإضافة لأدنى ملابسة، ويصح أن يكون المعنى يا صاحبي في السجن، فالإضافة للظرف. قوله: ﴿متفرقون﴾ أي من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك. قوله: ﴿ما تعبدون﴾ خطاب لأهل السجن جميعاً. قوله: ﴿سميتموها﴾ أي فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة، والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه للألوهية عقل ولا نقل، ثم أخذتم تعبدونها. قوله: [المستقيم] أي الذي

يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿يَا صَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾: أي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾: سيده ﴿خَمْرًا﴾: على عادته ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ﴾: فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾: هذا تأويل رؤياكما. فقالوا ما رأينا شيئاً فقال: ﴿قُضِيَ﴾: تم ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ ﴿٤١﴾: سألتما عنه صدقتما أم كذبتما ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: وهو الساقي ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سيدك فقل له إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾: أي الساقي ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾: يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾: مكث يوسف ﴿فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾: قيل: سبعاً وقيل اثنتي عشرة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾: ملك مصر الريان بن الوليد

لا اعوجاج فيه. قوله: [ما يصيرون] قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف.

قوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾ هذا شروع في تعبير رؤياهما. قوله: [فيخرج بعد ثلاث] أي من الأيام وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها. قوله: [سيده] أي وهو الملك. قوله: ﴿وأما الآخر﴾ [فيخرج بعد ثلاث] أي من الأيام وهي السلال الثلاث. قوله: [فقالا ما رأينا شيئاً] هذا أحد قولين، وقيل إنهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين، فسألهما عن شأنهما، فذكر كل واحد رؤياه. قوله: ﴿قضي الأمر﴾ المراد به الجنس، أي قضي أمر كل واحد، ويؤول إليه شأنه كذب أو صدق. قوله: [سألتما] تفسير لتستفتيان، فالمراد من المضارع الماضي.

قوله: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج﴾ إن كان الظن واقعاً من الساقي، فالأمر ظاهر، وإن كان من يوسف فهو بمعنى اليقين، كما قال المفسر على حد ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾. قوله: [سيدك] أي وهو الملك. قوله: [محبوساً] أي طال حبسه ظلماً خمس سنين. قوله: [أي الساقي] أي والمعنى أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عند الملك، وذلك للحكم الباهرة التي ستظهر، وهذا أحد قولين، وقيل إن الضمير عائد على يوسف، والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق، وإسناد الإنساء للشيطان لأنه يفرح به ويحبه، ظاناً أن يوسف يطرد بذلك، وإلا فالذي أنساه ذلك ربه لا الشيطان، فإنه لا تسلط له على المرسلين، قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ فلما وقع من يوسف ذلك، عوتب ببقائه في السجن تلك المدة من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: [قيل سبعاً] أي وهي مدة مكث أيوب في البلاء، وقوله: [وقيل اثنتي عشرة] هذا قول ثان في مدة السجن، وقيل خمساً ونصفاً قبل قوله: ﴿اذكرني﴾ وسبعاً بعده، وقيل أربع عشرة سنة، خمس قبل القول، وتسع بعده، وحكمة مكثه تلك المدة في السجن ليؤمن أهل السجن، وليصل أمره للملك فيخرج، والحال أنه مطلوب لا طالب، فيتحقق له العز الذي بشر به سابقاً، فترتب على طلبه السجن وإبقائه فيه الزمن الطويل، من الحكم العظيمة، والأسرار الفخيمة، والعز والسؤدد، ما لا تحيط به العبارة، ولا تحصيه الإشارة، فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذل، وباطنها غاية العز، على حد قول البوصيري:

لو يمس النضار هون من النار ... لما اختير للنضار الصلاء

فبلايا الأنبياء والمقربين، لا تزيدهم إلا رفعة وعزاً. قوله: ﴿وقال الملك﴾ الخ. أي لما أراد الله الفرج عن يوسف، وإخراجه من السجن، رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته، فجمع سحرته وكهنته ومعبريه، وأخبرهم بما رأى في منامه، وسألهم عن تأويلها، فأعجزهم الله جميعاً، ليكون ذلك سبباً لخلاص يوسف من السجن. قوله: [أي رأيت] أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، استحضاراً للحال الماضية، وحاصل رؤياه: أنه رأى في منامه، سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر، ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف، في غاية الهزال والضعف، فابتلعت العجاف

﴿إني أرى﴾: أي رأيت ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن﴾: يبتلعهن ﴿سبع﴾: من البقر ﴿عجاف﴾: جمع عجفاء ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر﴾: أي سبع سنبلات ﴿يابسات﴾: قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿يأيها الملأ أفتوني في رؤياي﴾: بيّنوا لي تعبيرها ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ ٤٣: فاعبروها ﴿قالوا﴾: هذه ﴿أضغاث﴾: أخلاط ﴿أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ ٤٤ ﴿وقال الذي نجا منهما﴾: أي من الفتيين وهو الساقي ﴿وادكر﴾: فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال أي تذكر ﴿بعد أمة﴾: حين يوسف قال: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ ٤٥: فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا ﴿يوسف أيها الصديق﴾: الكثير الصدق ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس﴾: أي الملك وأصحابه ﴿لعلهم يعلمون﴾ ٤٦: تعبيرها ﴿قال تزرعون﴾: أي ازرعوا ﴿سبع سنين دأباً﴾: متتابعة وهي تأويل السبع السمان ﴿فما

السمان ودخلت في بطونها، ولم ير منهن شيء، ولم يتبين على العجاف شيء منها، ورأى سبع سنبلات خضراً قد انعقد حبها، وسبعاً أخر يابسات قد استحصدن، فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن، ولم يبق من خضرتهن شيء. قوله: [جمع عجفاء] أي جمع سماعي والقياس عجف، قال ابن مالك: فعل لنحو أحمر وحمرا. قوله: ﴿خضر﴾ أي انعقد حبها، قوله: ﴿وأخر يابسات﴾ أي بلغت أوان الحصد، وهو معطوف على سبع، ويكون قد حذف اسم العدد منه؛ لدلالة ما قبله عليه.

قوله: ﴿يا أيها الملأ﴾ أي السحرة والمعبرون. قوله: ﴿تعبرون﴾ من عبر بالتخفيف، يقال عبر البحر جاوزه، وعبر الرؤيا فسرها، كأن المعبر لما فسر الرؤيا خلص من ورطتها، كالذي يجاوز البحر، وزيدت اللام في الرؤيا تقوية للعامل لتأخره عن معموله. قوله: [فاعبروها لي] قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله. قوله: ﴿أضغاث احلام﴾ أي تخاليطها جمع ضغث، وأصله ما جمع وحزم من النبات، كالحزمة من الحشيش، استعير للرؤيا الكاذبة، والمعنى أنهم قالوا: إن هذه الرؤيا أخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر، وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها، على العادة أن من جهل شيئاً عاداه.

قوله: ﴿وقال الذي نجا﴾ الخ، أي بعد أن جلس بين يدي الملك وقال له إن في السجن رجلاً عالماً بتعبير الرؤيا. قوله: ﴿وادكر﴾ إما حال من ﴿الذي﴾ أو عطف على ﴿نجا﴾. قوله: [فيه إبدال التاء] أي تاء الافتعال، والأصل إذتكر بتاء بعد الذال، قلبت التاء دالاً فاجتمع متقاربان، أبدل الأول من جنس الثاني وأدغم. قوله: [وإدغامها في الدال] المناسب قلب العبارة بأن يقول: وإدغام الذال في الدال أي بعد قلبها دالاً. قوله: ﴿بعد أمة﴾ بضم الهمزة وتشديد الميم، هي في الأصل الجماعة من الناس، ثم أطلق على الجماعة من الأيام. قوله: [حين] أي وهو سنتان أو سبع أو تسع. قوله: [حال يوسف] أي من كونه عالماً بتعبير الرؤيا.

قوله: ﴿فأرسلون﴾ إنما جمع وإن كان الخطاب لواحد لأجل التعظيم. قوله: ﴿فأرسلون﴾ أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف ثلاث جمل، وجملة مجيء الرسل ليوسف في السجن أربع مرات: الأولى في قوله ﴿فأرسلوا يوسف﴾ الخ. والثانية في قوله: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك﴾. والثالثة في قوله: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه﴾ الخ. والرابعة في قوله: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ الخ. قوله: [الكثير الصدق] وصفه بذلك لأنه جربه في السجن في تعبير الرؤيا وغيره. قوله: [أي الملك] أي ومن عنده. قوله: [أي ازرعوا] إنما حمله على الأمر

﴿حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ﴾: أي اتركوا ﴿فِي سُنبُلِهِ﴾: لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ٤٧: فادرسوه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي السبع المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: من الحب المزروع في السنين المخصبات أي تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ٤٨: تدخرون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي السبع المجدبات ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ٤٩: الأعناب وغيرها لخصبه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾: أي بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾: أي يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾: وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾: قاصداً إظهار براءته ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾: أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾: حال ﴿النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾: سيدي ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ٥٠: فرجع فأخبره الملك فجمعهن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾: شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾: هل وجدتن منه ميلاً إليكن ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ﴾: وضح ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٥١: في قوله هي راودتني عن نفسي فأخبر يوسف بذلك فقال ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾: العزيز ﴿أَنِّي لَمْ

قوله: ﴿فذروه﴾ وإلا فالمناسب إبقاؤه على حاله من الأخبار لأنها تفسير للرؤيا، وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك، لتحتم حصوله في علمه تعالى. قوله: ﴿دأباً﴾ بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان، وهو مصدر وقع موقع الحال. قوله: [وهي تأويل السبع السمان] أي والسبع الخضر. قوله: [لئلا يفسد] أي يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها، ومنعه من الفساد ببقائه في سنبله من خصوصيات يوسف، وإلا ففي زمننا بقاؤه في سنبله لا يدفع عنه الفساد. قوله: [وهي تأويل السبع العجاف] أي والسبع اليابسات. قوله: [أي تأكلونه فيهن] أشار بذلك إلى أن الإسناد مجازي من الإسناد للظرف، كما في: نهاره صائم. قوله: [تدخرون] أي للبذر.

قوله: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾ الخ، هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا. قوله: ﴿يغاث الناس﴾ إما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب، أو من الغيث وهو المطر. والمعنى: فيه يزول كرب الناس، ويفرج عنهم بنزول المطر، وتتابع الخير عليهم. قوله: [الأعناب] أي يعصرونها خمراً، وقوله: [وغيرها] أي كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغير ذلك. قوله: ﴿وقال الملك﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [لما جاءه الرسول] الخ، وذلك أن الساقي لما رجع إلى الملك، وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك، وعرف أن الذي قاله كائن لا محالة، قال ائتوني به حتى أبصره، فرجع الساقي وقال له أجب الملك، فقال له ارجع الخ.

قوله: ﴿فلما جاءه الرسول﴾ مرتب على محذوف، أي فذهب الرسول إلى طلبه، فلما جاءه الخ. قوله: [إظهار براءته] أي لتظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلماً. قوله: ﴿إلى ربك﴾ أي وهو الملك. قوله: ﴿إن ربي﴾ [سيدي] أي فالمراد به العزيز، وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن، ويصح أن يكون المراد بالرب الله تعالى، وحينئذ يكون في كلامه التفويض لله تعالى وهو الأقرب. قوله: [فجمعهن] أي وكانت زليخا معهن، وخاطبهن جميعاً ولم يخص زليخا بالخطاب ستراً عليها. قوله: ﴿من سوء﴾ أي خيانة.

قوله: ﴿قالت امرأة العزيز﴾ هذا إقرار منها بالحق، والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال ﴿ما بال النسوة﴾ الخ، ولم يذكرها، مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها، فكافأته بأن اعترفت بأن الذنب منها. قوله: [وضح] أي اتضح. قوله: [فأخبر يوسف بذلك] أي بجواب النسوة المذكور. قوله: [فقال] أي يوسف وهذا أحد قولين، وقيل إن قوله: ﴿ذلك ليعلم﴾ من كلام زليخا، ويكون المعنى: ذلك الذي قلته ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم

﴿أَخُنْهُ﴾: في أهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾: حال ﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ٥٢ ثم تواضع لله فقال ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي﴾: من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾: الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا﴾: بمعنى مَنْ ﴿رَحِمَ رَبِّي﴾: فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٥٣ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: أجعله خالصاً لي دون شريك فجاءه الرسول وقال: أجبْ الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثياباً حساناً ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾: له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ٥٤: ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل قال: اجمع الطعام وازرع زرعاً

أكذب عليه، وجئتُ بما هو الحق الواقع، وما أبرّىء نفسي من الخيانة، إن النفس لأمارة بالسوء، إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف. قوله: ﴿ليعلم﴾ [العزيز] أي زوج زليخا. قوله: [حال] أي إما من الفاعل أي وأنا غائب عنه، أو من المفعول أي وهو غائب عني. قوله: ﴿كيد الخائنين﴾ أي لا يسدده. قوله: [ثم تواضع لله] أي فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع، وإلا فيستحيل في حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته.

قوله: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ هذه الجملة حالية من محذوف، والتقدير طلبتُ البراءة ليعلم الخ، والحال أني لم أقصد بذلك تنزيه نفسي ولا براءتها الخ. قوله: [الجنس] أي جنس النفوس. قوله: [كثيرة الأمر] أي لصاحبها، واعلم أن النفس واحدة ولها صفات، فأول أمرها تكون أمارة بالسوء، تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالي، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين، فإذا أراد الله لها الهدى، جعل لها واعظاً يأمرها وينهاها، فحينئذ تصير لوامة، تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لخالقه، فإذا كثر عليها ذلك واستمر، صارت مطمئنة ساكنة، تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه، فتستحق من الله العطايا والتحف، قال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ وهذا مقام الواصلين، وقيل ذلك يسمى مقام السائرين.

قوله: ﴿وقال الملك﴾ أي وهو الريان بن الوليد، وذلك أنه لما ظهر له في يوسف من المزايا التي لم توجد في غيره قال ما ذكر. قوله: [فجاءه الرسول] الخ، قدر المفسر هذه الجمل وهي ثمانية، إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿فلما كلمه﴾ مرتب على محذوف. قوله: [ودعا لهم] أي بقوله: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار. قوله: [ثم اغتسل] أي فلما خرج من السجن كتب على بابه، هذا بيت البلوغ، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. قوله: [ولبس ثياباً حساناً] يؤخذ من هذا أن مما ينبغي عند الدخول على السلاطين، الطهارة وتحسين الهيئة، وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده، أو أرسلها له الملك. قوله: [ودخل عليه] ورد أنه لما دخل سلم عليه بالعربية، فقال الملك: ما هذا اللسان؟ قال: لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية فقال له: ما هذا اللسان أيضاً؟ فقال: هذا لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به، فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه، لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثلاث عشرة منها مدة إقامته مع زليخا والسجن، وسبع عشرة قبلها، وعلى هذا فدعواه لعبادة الله في السجن إما نبوة قبل الأربعين، أو نصيحة منه لدين آبائه، على عادة العلماء وتأسيساً لنبوته.

قوله: ﴿مكين أمين﴾ أي قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا. قوله: [قال فماذا ترى أن نفعل] الخ، روي أن الملك قال ليوسف عليه السلام: أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاهاً قال نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف، كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً، فبينا أنت تنظر إليهن

كثيراً في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا ﴿قال﴾: يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾: أرض مصر ﴿إني حفيظ عليم﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب ﴿وكذلك﴾: كأنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾: أرض مصر ﴿يتبوأ﴾: ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾: بعد الضيق والحبس وفي القصة أن الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات

وقد أعجبك حسنهن، إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه، فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون، ليس لهن ضرع ولا أخلاف، ولهن أنياب وأضراس، وأكف كأكف الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع، فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومشمشن مخهن، فبينا أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل، ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن، وإذا سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات أخر سود يابسات في منبت واحد، عروقهن في الثرى والماء، فبينا أنت تقول في نفسك: أي شيء هذا، هؤلاء خضر مثمرات، وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد، أصولهن في الثرى والماء؟ إذ هبت ريح، فردت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات، فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سوداً، فهذا ما رأيت أيها الملك، ثم انتبهت مذعوراً. فقال الملك: والله ما أخطأت فيها شيئاً، فما شأن هذه الرؤيا؟ وإن كانت عجباً فما هي بأعجب مما سمعت منك، وما ترى من تأويل رؤياي أيها الصديق؟ قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطعام، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فإنه أبقى له، فيكون ذلك القصب والسنبل علفاً للدواب، وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضاً، فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها، ويأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة، ويجتمع عندك من الكنوز والأموال، ما لم يجتمع لأحد من قبلك، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ ومن يجمعه لي ويبيعه لي؟ ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك، ولم يكونوا فيه أمناء، فقال يوسف عند ذلك ﴿اجعلني﴾ الخ.

قوله: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾ إن قلت: إن في ذلك القول طلب التقدم والإمارة، وهو لا يليق بالأخيار. أجيب: بأن محل هذا ما لم يتعين عليهم، وإلا فحينئذ يجب طلبها، وأيضاً ذلك بوحي من الله، وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة، وإنما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه، ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر، ويصير معروفاً للخاص والعام، وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك.

قوله: ﴿إني حفيظ عليم﴾ تعليل لما قبله، ومفعول اجعل الثاني محذوف، والتقدير اجعلني أميناً على خزائن الأرض فإني حفيظ عليم. إن قلت: إن في هذا تزكية للنفس، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾. أجيب: بأن محل النهي حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله، بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والإخبار بالواقع، فلا ضرر في ذلك، بل ذلك من باب التحدث بالنعم، وهو مأمور به شرعاً.

قوله: ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي مكناه إياها. قوله: [بعد الضيق والحبس] أي بعد صبره على الضيق حين وضع في الجب وحين حبس. قوله: [وفي القصة أن الملك] الخ قال ابن عباس وغيره: لما انقضت السنة من يوم سؤال الإمارة، دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه، ووضع له سريراً من ذهب مكللا بالدر والياقوت، طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع، ووضع له ثلاثين فرشاً وستين مادة، وضرب له عليه حلة من استبرق، وأمره أن يخرج، فخرج متوجاً، لونه كالثلج ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير، ودانت ليوسف الملوك، وفوض الملك الأكبر إليه ملكه، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، قال

بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٦ ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٧: ودخلت سنو القحط

الزمخشري: إن يوسف قال للملك: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال له الملك: قد وضعته إجلالاً لك وإقراراً بفضلك، وكان لملك مصر خزائن كثيرة، فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله، وجعل أمره وقضاءه نافذاً حتى بمملكته، ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي، فزوج الملك ليوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، فلما دخل يوسف عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟ قالت له: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي وعصمك الله، قالوا: فوجدها يوسف عذراء فأصابها، فولدت له ولدين ذكرين أفراثيم وميشا، وبنتاً واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام، وميشا هو جد يوشع بن نون، وأقام في مصر العدل، وأحبه الرجال والنساء، فلما أطمأن يوسف في ملكه، دبر في جمع الطعام أحسن التدبير، فبنى الحصون والبيوت الكثيرة، وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة، وأنفق المال بالمعروف، حتى خلت السنون المخصبة، ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة، لم ير الناس مثله، وقيل: إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط، كان أول من أصابه الجوع الملك، فجاع نصف الليل، فنادى يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط، فهلك في السنة الأولى من سني القحط كلما أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف، فباعهم في السنة الأولى بالنقود، حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر، حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منهما شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام، حتى لم تبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري، حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار، حتى أتى عليها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم، حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه، فصاروا جميعاً عبيداً ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كاليوم ملكاً أجل ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني، فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك، أني قد أعتقتهم عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الإسلام ويتلطف به، حتى أسلم هو وكثير من الناس، ومات في حياة يوسف، وأما العزيز فلم يثبت إسلامه. قوله: [ومات بعد] أي مات العزيز بعد عزله. قوله: [فزوجه امرأته] أي بعد أن ذهب مالها، وعمي بصرها من بكائها على يوسف، فصارت تتكفف الناس، وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه، فقيل لها: لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء، فلما ركب في موكبه، قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم، فقال يوسف: ما هذه؟ فقدمت إليه فعرفها، فرق لها وبكى بكاء شديداً، ثم دعاها للزواج، وأمر بها، فهيئت ثم زفت إليه، فقام يوسف يصلي ويدعو الله وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يعيد لها شبابها وجمالها وبصرها، فرد الله عليها ذلك، حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته، إكراماً له عليه السلام لما عف عن محارم الله، فأصابها فإذا هي عذراء فعاشا في أرغد عيش. روي أن الله ألقى في قلب يوسف محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأنك لا تحبيني كما كنت أول مرة؟ فقالت: لما ذقت محبة الله، شغلني ذلك عن كل شيء. قوله: [ولدين] أي وبنتاً. قوله: [ودانت له الرقاب] أي خضعت له الناس.

قوله: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ أي نخص بنعمتنا من أردنا. قوله: ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ أي بل

وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾: إنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ ٥٨: لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادي فقالوا للميرة فقال: لعلكم عيون قالوا: معاذ الله قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فأمر بإنزالهم وإكرامهم ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: وفى لهم كيلهم ﴿قَالَ: ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أتمه من غير بخس ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ٥٩: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾: أي ميرة ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ ٦٠: نهي أو عطف على محل فلا كيل أي تحرموا ولا تقربوا ﴿قَالُوا: سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ٦١: ذلك ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾: وفي قراءة لفتيانه غلمانه ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: التي أتوا بها

نضاعفه لهم. قوله: ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ اللام موطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿للذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان، وقوله: ﴿وكانوا يتقون﴾ أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي. قوله: [ودخلت سنو القحط] الخ، قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ مرتب على محذوف، أي سبب مجيئهم أنه لما فرغت سنو الخصب، وأتت سنو القحط والجدب، واحتاجت الناس للطعام، فبلغ يعقوب أن بمصر ملكاً يبيع الطعام للمحتاجين، فبعثهم ليبتاعوا منه.

قوله: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ وكانوا عشرة، وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين، وهي ثغور الشام، وكانوا أهل بادية وإبل وشياه، وحكمة ذهاب العشرة جميعاً، أنه بلغهم أن الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير، قصداً للعدل بين الناس، فغرضهم بذلك أن تكون الأحمال عشرة. قوله: [ليمتاروا] أي ليحملوا الميرة، وهي الطعام المجلوب من بلد آخر. قوله: [لبعد عهدهم به] قال أبو صالح عن ابن عباس: كان بين أن ألقوه في الجب، وبين دخولهم عليه، اثنتان وعشرون سنة، فلذا أنكروه لأنه كان على سرير الملك، وكان على رأسه تاج الملوك وزي الملوك. قوله: [فقالوا للميرة] أي لأخذها. قوله: [لعلكم عيون] أي جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا.

قوله: ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أي هيأ لهم الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم. قوله: ﴿قال ائتوني بأخ لكم﴾ أي إن كنتم صادقين في ذلك، فأنا أكتفي منكم بذلك، قالوا: إن أبانا يحزن لفراقه، قال: فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به، فاقترعوا فيما بينهم، فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده، وقوله: ﴿بأخ لكم﴾ إنما لم يقل بأخيكم زيادة في الإبهام، وذلك للفرق بين قولك: رأيت غلامك وغلاماً لك، فإن الأول يقتضي أن عندك به نوع معرفة دون الثاني.

قوله: ﴿ألا ترون﴾ الخ غرضه بذلك الترغيب في العود مرة أخرى. قوله: ﴿وأنا خير المنزلين﴾ أي خير من يكرم الضيفان. قوله: ﴿فلا كيل لكم عندي﴾ أي إذا وعدتم مرة أخرى. قوله: [أي ميرة] أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل المكيل. قوله: [نهي] أي والفعل مجزوم بحذف النون، وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وهذه النون للوقاية. قوله: [أو عطف على محل: فلا كيل] أي وهو الجزم لأنه جواب الشرط، وحينئذ فلا نافية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال، وعليه فيكون المعنى: فلا كيل ولا قرب. قوله: ﴿وإنا لفاعلون﴾ [ذلك] أي المراودة والاجتهاد. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وكل من فتيته وفتيانه جمع لفتى، لكن الأول جمع قلة، والثاني جمع كثرة.

ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفرغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٦٢: إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا: يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: بالنون والياء ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٦٣ ﴿قَالَ هَلْ﴾: ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾: يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾: وفي قراءة حافظاً تمييز كقولهم لله دره فارساً ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٦٤: فأرجو أن يمن بحفظه ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: ما استفهامية أي أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لأخينا ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ٦٥: سهل على الملك لسخائه ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾ ٦٦: شهيد

قوله: ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي فقد وكل بكل رحل واحداً من غلمانه يضع فيه ثمن الطعام الذي في هذا الرحل. قوله: [وكانت دراهم] وقيل كانت نعالاً وجلوداً، والأقرب الأول لأن شأن الدراهم أن تخفى، ولا شك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفريغ أوعيتهم. قوله: [لأنهم لا يستحلون إمساكها] أي لأن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها، لأنهم مطهرون من أكل ما لا يحل لهم، وقيل قصد يوسف بذلك مواساة أبيه وإخوته، خوفاً أن لا يكون عندهم شيء من المال، وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه، ليكون ذلك باعثاً لهم على الرجوع، وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤم، وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب.

قوله: ﴿فلما رجعوا﴾ أي التسعة لما تقدم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين. قوله: ﴿منع منا الكيل﴾ أي بعد هذه المرة. قوله: [بالنون والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان، وأصل نكتل نكتيل، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين. قوله: ﴿هل آمنكم﴾ الاستفهام إنكاري ولذا فسر هل بما، والمعنى كيف آمنكم على ولدي بنيامين، وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وأنكم ذكرتم مثل هذا في شأن يوسف حيث قلتم ﴿وإنا له لحافظون﴾ فلما لم يحصل الحفظ هناك، فكيف آمنكم هنا. قوله: ﴿إلا كما أمنتكم﴾ الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، والتقدير إلا ائتماناً مثل ائتماني لكم على أخيه، الخ. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [تمييز] أي على كل من القراءتين. قوله: [فأرجو أن يمن بحفظه] أي ولا يجمع علي مصيبتين، قال كعب الأحبار: لما قال الله له: لأردن عليك كليهما حيث توكلت علي واستحفظتني عليه.

قوله: ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ أي بحضرة أبيهم. قوله: ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ أي وهي ثمن الميرة. قوله: [أعظم من هذا] ورد أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم، وحثوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم، فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، قالوا أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام، أوفى لنا الكيل ورد لنا الثمن، لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب: إذا رجعتم إلى مصر، فاقرئوه مني السلام وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك، ويدعو لك بما أوليتنا. قوله: ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أي على أحمالنا. قوله: ﴿لتأتنني به﴾ هذا هو جواب القسم. قوله: ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ استثناء من عموم الأحوال، والتقدير لتأتنني به في كل حال، إلا حال الإحاطة بكم.

قوله: ﴿فلما آتوه موثقهم﴾ أي بقولهم: بالله رب محمد لنأتينك به، والموثق العهد المؤكد باليمين. قوله: ﴿من

وأرسله معهم ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾: مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: لئلا تصيبكم العين ﴿وَمَا أُغْنِي﴾: أدفع ﴿عَنكُم﴾: بقولي ذلك ﴿مِنَ اللَّهِ مِن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ﴾: قدّره عليكم وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾: ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ٦٧: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾: أي متفرقين ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾: أي قضائه ﴿مِن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾: لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾: وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦٨: إلهام الله لأصفيائه ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾

أبواب متفرقة﴾ أي وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة. قوله: **[لئلا تصيبكم العين]** إنما خاف عليهم العين؛ لكمالهم وقوتهم واشتهارهم بين أهل مصر، بإكرام الملك لهم واحترامهم، فأمرهم بالتفرق ليسلموا من إصابة بالعين، فإنها كما قال أهل السنة، سبب عادي للضرر كالسم والسيف، يوجد الضرر عندها لا بها، وقالت الفلاسفة: إن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون، فيهلك أو يفسد، فأثبتوا للعين تأثيراً بنفسها، وهو كلام باطل واعتقاده كفر، وأعظم نافع في الرقي من العين سورتا المعوذتين.

قوله: **﴿من الله﴾** أي من قضائه. قوله: **[وإنما ذلك]** أي القول قوله **[شفقة]** أي رأفة بكم، إن قلت: لم أمرهم بذلك في هذه المرة، ولم يأمرهم في المرة الأولى؟ أجيب بجوابين: الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه، فخاف عليهم من أجل كونه معهم، والثاني أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجل واحد، وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال، سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة، بخلاف المرة الأولى. قوله: **﴿عليه توكلت﴾** أي فوضت أموري واعتمدت عليه، لا على ما أمرتكم به؛ لأن الأخذ في الأسباب مع التوكل، أفضل من ترك الأسباب.

قوله: **﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾** اختلف في جواب لمّا، فقيل هو قوله: **﴿ما كان يغني﴾** الخ، والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يدفع عنهم مما قدره الله شيئاً، بل الدخول متفرقاً كالدخول مجتمعاً، بالنسبة لقضاء الله، وقيل هو قوله: **﴿آوى إليه أخاه﴾** وهو جواب لمّا الثانية أيضاً؛ لأن المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف، والمقصود به إيواء الأخ، فلما الثانية مرتبة على لمّا الأولى، فصلح أن يكون جوابهما واحداً. قوله: **﴿من حيث أمرهم أبوهم﴾** أي من أبواب متفرقة.

قوله: **﴿ما كان يغني﴾** أي يدفع عنهم التفرق، ففاعل يغني ضمير يعود على التفرق. قوله: **﴿إلا حاجة﴾** استثناء منقطع ولذا فسره بلكن، والمعنى لم يكن تفرقهم دافعاً عنهم من قدر الله شيئاً، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها، وهي دفع العين عنهم، التي كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين، فإن التفرق في الدخول دفعها بإرادة الله. قوله: **[لتعليمنا إياه]** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية.

قوله: **﴿ولما دخلوا على يوسف﴾** أي منزله ومحل حكمه، وهذا الدخول غير الدخول السابق، فإن المراد به دخول المدينة، قال المفسرون: لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك، هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به، فقال أحسنتم وأصبتم، ستجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم نزلهم، ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه، فقال لهم يوسف: لقد بقي هذا وحده، فقالوا: كان له أخ فهلك، قال لهم: فأنا أجلسه معي، فأخذه فأجلسه معه على المائدة وجعل يؤاكله، فلما دخل الليل أمر لهم بمثل ذلك من الفراش وقال: كل اثنين يناما على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام عندي على

﴿آوَىٰ﴾: ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ: أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٦٩: من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾: هي صاع من ذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾: القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ ٧٠ ﴿قَالُوا وَ﴾: قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا﴾: ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ه ٧١ ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾: بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ ٧٢: كفيل ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ٧٣: ما سرقنا قط ﴿قَالُوا﴾: أي المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: أي السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾ ٧٤: في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾: مبتدأ خبره ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾: يسترق ثم أكد بقوله ﴿فَهُوَ﴾: أي السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾:

فراشي، فقام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح، فلمّا أصبح قال لهم: إني أرى هذا الرجل وحيداً ليس معه ثانٍ، فأنا أضمه إلي فيكون معي في منزلي، ثم إنه أنزلهم وأجرى لهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا، فلما خلا به قال له يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: فهل لك من ولد؟ قال: عشرة بنين، قال: فهل لك من أخ لأم؟ قال: كان لي أخ فهلك، قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل من أخيك الهالك؟ قال بنيامين: ومن يجد أخا مثلك أيها الملك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه السلام، وقام إليه وعانقه وقال: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ الخ، وقال كعب: لما قال له يوسف: إني أنا أخوك، قال بنيامين: أنا لا أفارقك، فقال يوسف: قد علمت اغتمام والدي بي، فإذا حبستك عندي ازداد غمه، ولا يمكنني هذا إلا أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحمد، فقال: لا أبالي، افعل ما بدا لك فإني لا أفارقك، قال يوسف: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة، لأحتال في ردك بعد إطلاقك، قال: فافعل ما شئت، فذلك قوله تعالى ﴿فلما جهزهم﴾ الخ.

قوله: ﴿فلما جهزهم﴾ عبّر هنا بالفاء، إشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف المرة الأولى، فإن المطلوب طول إقامتهم ليتعرف حالهم. قوله: [هي صاع من ذهب] وكان يشرب فيه الملك، فسمي سقاية باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره؛ لأن الصاع آلة للكيل. قوله: [مرصع بالجواهر] أي مزين ومحلّى بها. قوله: [بعد انفصالهم عن مجلس يوسف] أي خروجهم وسيرهم، بل قيل: إنهم وصلوا إلى بلبيش وردّوا من عندها.

قوله: ﴿أيتها العير﴾ هي في الأصل كل ما يحمل عليه من إبل وحمير، ويقال أطلقت وأريد أصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة. قوله: ﴿وأقبلوا﴾ قدر المفسر [قد] إشارة إلى أن الجملة حالية، والمعنى أنهم التفتوا إليهم وخاطبوهم بما ذكر. قوله: ﴿ماذا تفقدون﴾ أي أي شيء ضاع منكم. قوله: ﴿صواع الملك﴾ أي آلة كيله، وإنما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به في ذلك الوقت، وفيه قراءات كثيرة السبعية منها واحدة وهي صواع وما عداها شاذ. قوله: ﴿حمل بعير﴾ أي جعلاً له.

قوله: ﴿قالوا تالله﴾ الخ، إنما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم، حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات، حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم، لئلا تأكل شيئاً من أموال الناس. قوله: ﴿لقد علمتم﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تأكيد لما قبله. قوله: [ووجد فيكم] الجملة حالية، والمعنى فما جزاؤه إن كنتم غير صادقين في قولكم، والحال أنه ظهر خلاف ما قلتم. قوله: [خبره] ﴿من وجد﴾ أي فمن اسم موصول ووجد صلتها، والكلام

أي المسروق لا غيرُ وكانت سُنة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ : الجزاء ﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٧٥ : بالسرقة فصرّحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ : ففتشها ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ : لئلا يتهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ : أي السقاية ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ : قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ : الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ : علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ : يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ : رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ : حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ : أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ : بالإضافة والتنوين بالعلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ : من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ ٧٦ : أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ : أي يوسف وكان سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾ : يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ :

على حذف مضاف أي استرقاق من وجد، أشار المفسر بقوله يسترق. قوله: [وكانت سنة آل يعقوب] أي طريقتهم وشريعتهم يسترق السارق سنة.

قوله: ﴿كذلك﴾ [الجزاء] أي المذكور وهو استرقاق السارق. قوله: [فصرفوا] أي ردوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك. قوله: ﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ أي فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه، ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به، إلى أن وصل إلى رحل بنيامين فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه. قوله: ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ أي فلما أخرجها منه، نكس الإخوة رؤوسهم من الحياء، وأقبلوا على بنيامين يلومونه، ويقولون له: فضحتنا وسودت وجهنا يا ابن راحيل، ما زال لنا منكم بلاء، فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية، إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي، هو الذي وضع البضاعة في رحالكم.

قوله: ﴿كذلك﴾ [الكيد] أي الحيلة وهي استفتاء يوسف من إخوته. قوله: ﴿كدنا ليوسف﴾ أي ألهمناه أن يضع الصاع في رحل أخيه ليضمه إليه، على ما حكم به إخوته. قوله: [علمناه الاحتيال] الخ، أي فما وقع من يوسف في تلك الواقعة بوحي من الله تعالى، وحينئذ فلا يقال كيف نادى على إخوته بالسرقة واتهمهم بها مع أنهم بريئون. قوله: [لأن جزاءه عنده الضرب] الخ، أي وهذه الطريقة لا توصله إلى أخذ أخيه. قوله: [مثلي المسروق] أي مثلي قيمته.

قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء منقطع، والمعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك، ولكن أخذ بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه، إذ لو شاء عدم أخذه لما علمه تلك الحيلة. قوله: [بحكم أبيه] أي شريعته. قوله: [بالإضافة والتنوين] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وفوق﴾ خبر مقدم، و﴿عليم﴾ مبتدأ مؤخر، والمعنى أن إخوة يوسف وإن كانوا علماء، إلا أن الله جعل يوسف فوقهم في العلم، بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها: الرسالة والملك والإنعام عليهم وغير ذلك.

قوله: ﴿قالوا إن يسرق﴾ الخ، سبب هذه المقالة، أنه لما خرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الإخوة ونكسوا رؤوسهم، فقالوا تبرئة لساحتهم ﴿إن يسرق﴾ الخ، وأتوا بإن المفيدة للشك، لأنه ليس عندهم تحقق سرقته، بمجرد إخراج الصاع من رحله، وبالمضارع لحكاية الحال الماضية. قوله: [وكان سرق لأبي أمه صنماً] الخ، هذا أحد أقوال في السرقة التي نسبوها له، وقيل جاءه سائل يوماً فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل، وقيل أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلاً، وقيل كان يخبئ الطعام من المائدة للفقراء، وقيل لم يسرق أصلاً لا ظاهراً ولا

والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قال﴾: في نفسه ﴿أنتم شر مكاناً﴾: من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿والله أعلم﴾: عالم ﴿بما تصفون﴾ ٧٧: تذكرون في أمره ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾: يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فخذ أحدنا﴾: استعبده ﴿مكانه﴾: بدلاً منه ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ ٧٨: في أفعالك ﴿قال معاذ الله﴾: نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أي نعوذ بالله من ﴿أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾: لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب ﴿إنا إذاً﴾: إن أخذنا غيره ﴿لظالمون﴾ ٧٩ ﴿فلما استيأسوا﴾: يئسوا ﴿منه خلصوا﴾: اعتزلوا ﴿نجياً﴾: مصدر يصلح للواحد وغيره أي يناجي

باطناً، وإنما كانت تهمة فقط، وذلك أن عمته حضنته بعد موت أمه، فأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه، فقال لأخته: يا أختاه سلمي إلي يوسف، فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة واحدة، فقالت: لا أعطيكه، فقال: والله ما أنا بتاركه عندك، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه، لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة كانت لإسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، وكانت أكبر أولاد إسحاق، وكانت عندها، فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك فهو سلم لك، فأمسكته عندها حتى ماتت. قوله: [لئلا يعبده] أي يدوم على عبادته. قوله: [والضمير للكلمة] الخ، أي فهو عائد على متأخر لفظاً ورتبة، وحينئذ يكون في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير قال أنتم شر مكاناً وأسرها في نفسه، وهذا أحد قولين، وقيل إنه عائد على قوله: ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾. قوله: ﴿فأسرها﴾ لم يرد لها جواباً.

قوله: ﴿أنتم شر مكاناً﴾ أي منزلة، والمعنى أن ما ظهرتم به شر مما ظهر به يوسف وأخوه، فإنهما اتهما بالسرقة ظاهراً، وأنتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به ما فعلتم. قوله: [لسرقتكم أخاكم من أبيكم] أي وهو يوسف. قوله: [عالم] أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لا مشاركة بين الحادث والقديم.

قوله: ﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ الخ، سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين، غضب روبيل لذلك، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، وكان إذا صاح ألقت كل حامل حملها إذا سمعت صوته، وكان مع ذلك، إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه، وكان أقوى الإخوة وأشدهم، وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب، فقال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا: عشرة، قال: اكفوني أنتم الأسواق، وأنا أكفيكم الملك، أو اكفوني أنتم الملك، وأنا أكفيكم الأسواق، فدخلوا على يوسف فقال روبيل: أيها الملك لتردن علينا أخانا، أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت حملها، وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه، فقال يوسف لابن صغير له: قم إلى جنب هذا فمسه أو خذ بيده، فأتى له، فلما مسه سكن غضبه، فقال لإخوته: من مسني منكم؟ فقالوا: لم يصبك منا أحد، فقال روبيل: إن هذا بذر من بذر يعقوب، فغضب ثانياً، فقام يوسف إليه فوكزه برجله، وأخذ يداً من يده فوقع على الأرض، وقال لهم: أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشد منكم، فلما رأوا ما نزل بهم، ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص، خضعوا وذلوا، و﴿قالوا يا أيها العزيز﴾ الخ.

قوله: ﴿كبيراً﴾ أي في السن أو القدر، لأنه نبي من أولاد الأنبياء. قوله: ﴿استعبده﴾ أي استرقه. قوله: ﴿مكانه﴾ منصوب على الظرفية أو ضمن خذ معنى اجعل، فمكانه مفعول ثان. قوله: ﴿من المحسنين﴾ أي في أفعالك، وإلينا في توفية الكيل وحسن الضيافة وغير ذلك. قوله: ﴿إنا إذاً لظالمون﴾ أي في أخذ أحدكم مكانه. قوله:

بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: سنًّا روبيل أو رأياً يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: في أخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ٨٠: أعدلهم ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: تيقناً من مشاهدة الصاع في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ٨١: ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: هي مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾: أي أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٨٢: في قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زينت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: ففعلتموه اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾: يوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٨٣: في صنعه

[يئسوا] أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان. قوله: [اعتزلوا] أي مجلس الملك. قوله: ﴿نجياً﴾ هو حال، والمعنى خلصوا لحال كونهم متناجين ومتشاورين في أمر هذه القضية. قوله: [في أخيكم] أي في رده. قوله: ﴿ما﴾ [زائدة] أي والجار والمجرور متعلق بفرطتم. قوله: [وقيل ما مصدرية مبتدأ] أي وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ، فالمبتدأ في الحقيقة المصدر المنسبك، والمعنى: وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم في بنيامين، واعترض هذا الإعراب، بأن الظروف المنقطعة عن الإضافة لا تقع خبراً، ويجاب بأن محل ذلك ما لم يتعين المضاف إليه كما هنا.

قوله: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ أشار بذلك إلى أن أبرح ضمنت معنى: أفارق الأرض مفعول به، وأبرح تامة. قوله: ﴿أو يحكم الله﴾ إما معطوف على يأذن، أو منصوب بأن مضمرة في جواب النفي، كأنه قال: لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله، كقولهم: لألزمنك أو تقضيني حقي، أي إلا أن تقضيني حقي.

قوله: ﴿فقولوا يا أبانا﴾ الخ إنما أمرهم بذلك لتزول التهمة عنهم عند أبيهم. قوله: ﴿إن ابنك سرق﴾ أي نسبوه للسرقة، لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من متاعه، فغلب على ظنهم أنه سرق، فلذلك نسبوه إلى السرقة، في ظاهر الحال لا في الحقيقة. قوله: ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ أما وما كنا للعواقب عالمين، فلم ندر حين أعطيناك الموثق، أنه سيسرق وتصاب به، كما أصبت بيوسف. قوله: [أي أرسل إلى أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، وكذا في قوله: ﴿والعير﴾. قوله: [وهم قوم من كنعان] أي وكانوا جيراناً ليعقوب. قوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ أي سواء نسبتنا إلى التهمة أم لا، وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة، لأن دعوى الخصم لا تثبت بنفسها. قوله: [فرجعوا] أي التسعة، وقدره إشارة إلى أن قوله: ﴿قال بل سولت﴾ الخ مرتب على محذوف. قوله: ﴿فصبر جميل﴾ خبر لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: [صبري] وتقدم أن الصبر الجميل، هو الذي لا شكوى معه لمخلوق، ولا جزع من فعل الخالق، ولذلك فوض أمره لله، ولم يسأل العير، ولم يرسل يستخبر من القرية التي كانوا فيها، بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء.

قوله: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم﴾ إنما قال ذلك لأنه لما طال حزنه واشتد كربه، علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً، لأنه إذا اشتد الكرب كان إلى الفرج أسرع، وقيل إن يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر، وأن أولاده أحياء لم

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ: يَا أَسَفَى﴾: الألف بدل من ياء الإضافة أي يا حزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾: عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ٨٤: مغموم مكروب لا يظهر كربه ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: لا ﴿تَفْتَؤُا﴾: تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضاً﴾: مشرفاً على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ﴾ ٨٥: الموتى ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾: هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ﴾: لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه

يصابوا بشيء، وأنه سيجتمع عليهم، غير أنه أمر بكتم ذلك، فلوّح تلك الإشارة إلى علمه. قوله: [وأخويه] أي بنيامين وكبيرهم. قوله: ﴿الحكيم﴾ في صنعه، أي لأنه يضع الأشياء في محلها.

قوله: ﴿وتولى عنهم﴾ مرتب على ما ذكروه له. قوله: [الألف بدل من ياء الإضافة] أي والأصل يا أسفي بكسر الفاء وفتح الياء، قلبت الكسرة فتحة، ثم تحركت الياء، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً. فيقال في إعرابه أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً. قوله: ﴿على يوسف﴾ إنما يجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين، لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر، كان أوجع للقلب، وأعظم لهيجان الحزن. وليس في هذا إظهار جزع، بل هو شكوى لله لا للخلق، ومعنى يا أسفى، أشكو إلى الله شدة حزني، فلا ينافي قوله ﴿فصبر جميل﴾.

قوله: ﴿وابيضت عيناه﴾ قيل معناه عمي فلم يبصر شيئاً ست سنين، وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهار الأمر، وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء، واتصال الدمع بعضه ببعض، ولم يكن عمي حقيقة، بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين غشاوة مانعة له من النظر، ولم يذهب أصلاً، وهذا هو الأقرب. قوله: ﴿فهو كظيم﴾ أي مكظوم، ممتلىء من الحزن ممسك عليه، لا يذكره لأحد، قال قتادة: الكظيم الذي يرد حزنه في جوفه، ولم يقل إلا خيراً.

قوله: ﴿قالوا تالله﴾ أي تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم. إن قلت: كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته؟ أجيب: بأنهم حلفوا على غلبة الظن، وهي بمنزلة اليقين، فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد. قوله: ﴿تفتأ تذكر يوسف﴾ الخ، إنما قدر المفسر [لا] لأن القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين، أو بهما عند البصريين، فلما رأينا الجواب هنا خالياً منهما، علمنا أن القسم على النفي بمعنى أن جوابه منفي لا مثبت، فلو قيل: والله أحبك كان المراد لا أحبك، وهو من قبيل التورية، ومن ذلك إذا قال: والله أجيئك غداً في فيحنث في المجيء، بخلاف ما إذا قال لأجيئنك فيحنث بعدمه. قوله: ﴿حتى تكون حرضاً﴾ هو من باب تعب، يقال: حرض حرضاً أشرف على الهلاك. قوله: [وغيره] أي المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث.

قوله: ﴿قال﴾ [لهم] أي جواباً لقولهم. قوله: ﴿أشكو بثي﴾ البث تفريق الحزن وإظهاره، لأن الإنسان إذا ستر الحزن وكتمه كان همّاً، وإذا ذكره لغيره كان بثاً، فالبث أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام لما ورد أنه كان ليعقوب شخص مؤاخ له، فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك، قال: أما الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له: يا يعقوب، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، وإنما عوتب يعقوب بهذا، لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، لأن العتاب على

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨٦: من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي ثم قال: ﴿يَا بَنِيَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَيْأَسُوا﴾: تقنطوا ﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾: رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ ٨٧: فانطلقوا نحو مصر ليوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾: مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوْفِ﴾: أتم ﴿لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ٨٨: يثيبهم فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم ﴿قَالَ﴾: لهم توبيخاً ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾: من الضرب والبيع

قدر المرتبة. قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ أي من رحمته وإحسانه. قوله: [وهو حي] أي لما روي أن ملك الموت زار يعقوب، فقال له يعقوب: أيها الملك، الطيب ريحه، الحسن صورته، الكريم على ربه، هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا، فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته.

قوله: ﴿يا بني اذهبوا﴾ الخ، سبب تلك المقالة، أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر، وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله، أحست نفس يعقوب، وطمع أن يكون هو يوسف، فعند ذلك قال ﴿يا بني﴾ الخ قوله: ﴿فتحسسوا﴾ هو بالحاء المهملة، طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه، روي أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه، كتب لهم كتاباً إلى يوسف، لما حبس عنده بنيامين، من يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، إلى ملك مصر، أما بعد، فإنا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدي إبراهيم، فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار، فصبر لأمر الله، وأما عمي إسماعيل فابتلي بالغربة في صغره، فصبر لأمر الله، وأما أبي إسحاق، فابتلي بالذبح ووضع السكين على قفاه، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن، وكان أحب أولادي إلي، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا: قد أكله الذئب فذهبت عيناي، ثم كان لي ابن آخر، وكان أخاه من أمه، فكنت أتسلى به، وأنك حبسته وزعمت أنه سرق، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته إلي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه، اشتد بكاؤه وقل صبره، وأظهر نفسه لإخوته.

قوله: ﴿وأخيه﴾ لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر، فلم يخف عليه حاله. قوله: [اطلبوا خبرهما] أي بالحاسة، كما أن التجسس طلب الخبر بالحاسة أيضاً، فهما بمعنى واحد، ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذاً.

قوله: ﴿من روح الله﴾ بالفتح مصدر بمعنى الرحمة، وهو في الأصل استراحة القلب من غمه، والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله. قوله: [فانطلقوا نحو مصر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فلما دخلوا عليه﴾ مرتب على محذوف. قوله: [مدفوعة] أي مردودة. قوله: [وكانت دراهم زيوفاً] أي معيبة. قوله: [أو غيرها] أو لتنويع الخلاف، فقيل كانت نعالاً، وقيل صوفاً.

قوله: ﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد، فإنا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد. قوله: [بالمسامحة] وقيل برد أخينا بنيامين. إن قلت: إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم، من التحسس من يوسف وأخيه. أجيب: بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها، لأن الاعتراف بالعجز، وضيق اليد وشدة الحاجة، مما يرقق القلب، فإن كان يوسف فسيظهر لهم حاله، لحصول الرقة والعطف منه لهم، وإن كان غيره فلا يرق ولا يعطف.

قوله: [ورفع الحجاب] الخ، قيل هو اللثام الذي كان يتلثم به، وقيل هو الستر الذي كان يكلمهم من خلفه، وقيل هو تاج الملك الذي كان يضعه على رأسه، وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة، وكان ليعقوب مثلها، ولسارة مثلها، فعرفوه بها.

وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾: من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ٨٩: ما يؤول إليه أمر يوسف ﴿قَالُوا﴾: بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين ﴿أَئِنَّكَ﴾: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾: أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾: على ما يناله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٩٠: فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ﴾: فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بالملك وغيره ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إن ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ٩١: آثمين في أمرك فأذللناك ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾: عتب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾: خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٩٢: وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾: وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيها ريحها ولا يلقى على مبتلي إلا عوفي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾: يصر ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٣ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾:

قوله: ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ أي هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما، من تسليم الله إياهما من كل مكروه، وإنعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة. قوله: [من هضمكم له] أي ظلمكم وإذايتكم له. قوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ أي وقت جهلكم بعاقبة أمرهما. قوله: [من شمائله] أي أخلاقه. قوله: [وإدخال ألف بينهما] الخ، أي فالقراءات أربع: التحقيق والتسهيل للثانية، مع الألف بينهما وبدونها، وبقي قراءة خامسة سبعية أيضاً وهي إنك بهمزة واحدة.

قوله: ﴿قال أنا يوسف﴾ إنما عرض باسمه، تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته، ولما عوضه الله من النصر والملك. قوله: ﴿إنه من يتق﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وبحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الإثبات تكون من موصولة والفعل صلتها، وعلى الحذف تكون شرطية، والفعل مجزوم بحذفها. قوله: [فيه وضع الظاهر الخ] أي والأصل لا يضيع أجرهم. قوله: [وغيره] أي كالصبر والصفح والحلم. قوله: ﴿لخاطئين﴾ يقال خطىء إذا كان عن عمد، أو خطأ إذا لم يكن عن عمد، ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين.

قوله: ﴿قال لا تثريب﴾ أي لا توبيخ ولا لوم عليكم. قوله: ﴿اليوم﴾ خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الأقرب، ولذا مشى عليه المفسر، وقوله: ﴿يغفر الله لكم﴾ استئناف، ويصح أن يكون ظرفاً لقوله يغفر، فالوقف على قوله عليكم. قوله: ﴿يغفر الله لكم﴾ الجملة دعائية. قوله: ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ أي يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين، ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه قالوا له: إنك تدعونا بكرة وعشياً إلى الطعام، ونحن نستحي منك لما تقدم منا فقال: إن أهل مصر كانوا ينظرون إلي بعين العبودية ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت بكم، وعظمت في عيونهم، حيث علموا أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام. قوله: [وسألهم عن أبيه] أي حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله: ﴿اذهبوا بقميصي﴾. قوله: [وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار] أي لأنه لما ألقي فيها عرياناً، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم، فلما مات ورثه إسحاق، فلما مات ورثه يعقوب، وجعله في قصبة من فضة، وسد رأسها وعلقها في عنق يوسف حفظاً من العين، فلما ألقي في الجب عرياناً، أتاه جبريل، وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه. قوله: [وقال] أي جبريل. قوله: ﴿يأت بصيراً﴾ يحتمل أن يأت بمعنى يصير، فبصيراً مفعول ثان، وهو الذي درج عليه المفسر، ويحتمل أنها بمعنى يجيء فبصيراً حال.

خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ ٩٤: تسفهون لصدقتموني ﴿قَالُوا﴾: له ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾: خطئك ﴿الْقَدِيمِ﴾ ٩٥: من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾: زائدة ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿أَلْقَاهُ﴾: طرح القميص

قوله: ﴿بأهلكم أجمعين﴾ أي وكانوا اثنين وسبعين، ما بين رجل وامرأة، وقيل ثلاثاً وسبعين، فأرسل لهم مائتي راحلة، وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً، سوى الذراري والضعفاء، وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتي ألف، فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد في تلك المدة اليسيرة، لأنه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة. قوله: [خرجت من عريش مصر] أي متوجهة إلى أرض كنعان، والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر، وأول بلاد الشام، وما ذكره المفسر أحد قولين، والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر.

قوله: [لمن حضر من بنيه وأولادهم] الخ مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعاً لمصر، بل بقي بعضهم، وقال غيره: إن الأولاد ذهبوا جميعاً، وهذا الخطاب لأولادهم.

قوله: ﴿إن لأجد ريح يوسف﴾ أي ريح الجنة من قميص يوسف، فالإضافة لأدنى ملابسة، وهذا دليل على أن كل سهل فهو في مدة المحنة صعب، وكل صعب فهو في زمان الإقبال سهل، حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد، عند انقضاء مدة الفراق، ومنع من وصول خبره إليه، مع قرب إحدى البلدتين من الأخرى، في تلك المدة العظيمة، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض رضي الله عنه:

أعوام إقباله كاليوم في قصر   ويوم إعراضه في الطول كالحجج

قوله: [أوصلته إليه الصبا] هي ريح تهب من مطلع الشمس. إن قلت: إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام، فإذا كانت تقابله، فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمقتضى العادة أن التي حملت هي الدبور، لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام؟ أجيب: بأن هذا خرق عادة، أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط، وأما ما حصل، فقد فاح شذاه على جميع الدنيا، ولذا قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة من ذلك القميص، وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر، لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط، بل حملته لأهل الدنيا، وقد بالغ الناس في مدح الصبا، حتى قال بعض الحكماء: لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران، وقال بعضهم مادحاً لها:

أيا جبلي نعمان بالله خليا   نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت   على نفس مهموم تجلت همومها
أجد بردها أو تشف مني حرارة   على كبد لم يبق إلا رسومها

قوله: [أو أكثر] قيل عشرة وقيل شهر. قوله: ﴿لولا أن تفندون﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوباً، وجواب لولا محذوف أيضاً، وتقدير الكلام: لولا تفنيدكم لي موجود لصدقتموني، والتفنيد هو تضعيف الرأي. قوله: ﴿قالوا﴾ أي من حضر عنده من أولاد بنيه. قوله: ﴿لفي ضلالك القديم﴾ أي من ذكر يوسف وعدم نسيانك إياه، لأنه كان عندهم قد مات وهلك. قوله: [فأحب أن يفرحه] أي فقال لإخوته: إني ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم، فأنا أذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزنته، فحمله وخرج به حافياً حاسراً، ومعه سبع أرغفة لم يستوف

﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾: رجع **﴿بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**٩٦ **﴿قَالُوا يَا أَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾**٩٧ **﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾**٩٨: أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾**: في مضربه **﴿آوَى﴾**: ضم **﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾**: أباه وأمه أو خالته **﴿وَقَالَ﴾**: لهم **﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ آمِنِينَ﴾**٩٩:

أكلها، حتى أتى أباه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً، فلما وصل إليه علّمه في نظير تلك البشارة، كلمات كان ورثها من أبيه إسحاق، وهو عن أبيه إبراهيم وهي: يا لطيفاً فوق كل لطيف، الطف بي في أموري كلها كما أحب، ورضني في دنياي وآخرتي. قوله: **﴿فارتد بصيراً﴾** أي رجع بصره لحالته الأولى. قوله: **﴿قال ألم أقل لكم إن أعلم من الله ما لا تعلمون﴾** أي من أمور باطنية لا تعلمونها، فأنتم تنظرون للظاهر، وأنا أنظر للباطن.

قوله: **﴿قالوا يا أبانا﴾** الخ، أي لما ظهر الحق وتبين، اعتذروا لأبيهم مما وقع منهم. قوله: **﴿استغفر لنا﴾** أي اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا. قوله: **﴿إنا كنا خاطئين﴾** أي آثمين. قوله: **[أخر ذلك إلى السحر]** فلما انتهى إلى وقت السحر، قام إلى الصلاة متوجهاً إلى الله، فلما فرغ منها رفع يديه وقال: اللهم اغفر لي جزعي على يوسف، وقلة صبري عنه، واغفر لأولادي ما أتوا إلي وإلى أخيهم يوسف، فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك ولهم أجمعين. قوله: **[أو إلى ليلة الجمعة]** أي وقيل إلى الاجتماع بيوسف، ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم، ويؤيده ما روي أنه استقبل القبلة قائماً يدعو، فقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين، حتى نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة، وهذا إن صح فهو دليل على نبوتهم، ويجاب عما وقع منهم بما مر. قوله: **[ثم توجهوا إلى مصر]** وقال أصحاب الأخبار: لما دنا يعقوب من مصر، كلم يوسف الملك الأكبر، وعرفه بمجيء أبيه وأهله، فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند، وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام، وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا، فلما نظر إلى الخيل والناس قال: يا يهوذا هذا فرعون مصر، قال: لا، بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد من صاحبه، أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام، فقال له جبريل: خل يعقوب يبدأ بالسلام، فقال يعقوب: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقيل إنهما نزلا وتعانقا، وفعلا كما يفعل الوالد بولده، والولد بوالده، وبكيا، وقيل إن يوسف قال لأبيه: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيت أن يسلب دينك، فيحال بيني وبينك، وخرج يوسف للقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند، لكل واحد منهم جبة من فضة، وراية خز وقصب، فتزينت الصحراء بهم، واصطفوا صفوفاً، ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالألوان، فنظر إليهم متعجباً، فقال جبريل: انظر إلى الهواء، فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالك، كانوا باكين محزونين مدة لأجلك، وهاجت الفرسان بعضهم في بعض، وصهلت الخيول، وسبحت الملائكة، وضربت الطبول والبوقات، فصار كأنه يوم القيامة، قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء.

قوله: **﴿فلما دخلوا﴾** أي يعقوب وأولاده. قوله: **[في مضربه]** أي خيمته، وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك. قوله: **﴿آوى إليه أبويه﴾** أي قربهما منه. قوله: **[وأمه]** أي على القول بحياتها حينئذ، وقوله: **[أو خالته]** أي واسمها ليا، وهذا على القول بموت راحيل، وقيل المراد بخالته امرأة أخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدهما، وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له، تحقيقاً لرؤياه، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: **﴿ادخلوا مصر﴾** هذا الدخول غير الدخول الأول، لأن المراد به هنا دخول نفس المدينة، وأما الأول فالمراد

فدخلوا وجلس يوسف على سريره ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾: أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: السرير ﴿وَخَرُّوا﴾: أي أبويه وإخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾: سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾: إليّ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾: لم يقل من الجب تكرماً لئلا تخجل إخوته ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: البادية ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسد ﴿ٱلشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بخلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ١٠٠: في صنعه وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثماني عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾: خالق

دخول خيمته خارج البلد. قوله: ﴿إن شاء الله آمنين﴾ أي من كل مكروه، لأن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر، فلا يدخلها أحد إلا بجوارهم، فقال لهم يوسف: ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم، لأنكم أنتم ملوكها، فلا تخافون من أحد. قوله: [فدخلوا] الخ، قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿ورفع أبويه﴾ مرتب على محذوف.

قوله: ﴿وخروا له سجداً﴾ يحتمل أن يكون ذلك السجود خارج البلد عند أول اللقاء، ويحتمل أنه بعد الدخول، وجلوس يوسف وأبويه على السرير. قوله: [سجود انحناء] أي على عادة تحية الملوك، وهذا أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون إلا لله، لأنه يقال: إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود، وما قيل في سجود الملائكة لآدم يقال هنا. إن قلت: كيف رضي يوسف بسجود أبيه له، مع كونه أكبر منه، وكان الواجب مراعاة الأدب؟ أجيب: بأن هذا بأمر من الله تحقيقاً لرؤيا يوسف، لأن رؤيا الأنبياء وحي. قوله: ﴿هذا﴾ أي السجود. قوله: ﴿حقاً﴾ أي صدقاً حيث وجدت، وتحققت في الخارج على طبق ما في النوم.

قوله: ﴿وقد أحسن بي﴾ أي أنعم علي. قوله: [لئلا يخجل إخوته] أي ولأن نعمة الله عليه في الخروج من السجن، كان سبباً لوصوله إلى الملك، بخلاف إخراجه من الجب، فإنه أعقبها الرق والتهمة والسجن، وليس في ذلك إدخال سرور على أبويه. قوله: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ عطف على أخرجني، والمعنى وقد أنعم علي وقت إخراجي من السجن، ووقت مجيئكم من البدو.

قوله: ﴿إن ربي لطيف﴾ ضمنه معنى مدبر فعداه باللام، واللطيف معناه الرفيق المحسن. قوله: [وكانت مدة فراقه ثماني عشرة] الخ، حاصله أنه اختلف في مدة فراق يوسف لأبيه، فذكر المفسر ثلاثة أقوال، وقيل اثنان وعشرون، وقيل ست وثلاثون، وقيل خمس وثلاثون، وقيل سبعون، ولا يعلم الحقيقة إلا الله، واتفقوا على أن عمر يوسف مائة وعشرون سنة. قوله: [فوصى يوسف أن يحمله] الخ، أي وقد فعل، فجعله في تابوت من ساج حتى قدم به الشام، فوافق ذلك موت عيصو أخي يعقوب، وكانا قد ولدا في بطن واحد، فدفنا في قبر واحد. قوله: [ولما تم أمره] أي في ملكه. قوله: [وعلم أنه] أي الملك. قوله: [إلى الملك الدائم] أي وهو نعيم الآخرة. قوله: [فقال] أي طلب الملك الدائم بوفاته على الإسلام، وما قبل ذلك فهو ثناء على الله، قدم على الدعاء لمراعاة الأدب، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له إذا أراد أن يدعو، يقدم الثناء على الله اعترافاً بالنعم، ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه. قوله: ﴿من الملك﴾ أي

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ﴾: متولي مصالحي ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ١٠١: من آبائي فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون في قبره فجعلوه في صندوق من مرمر ودفنوه في أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾: في كيده أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ١٠٢: به أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠٣ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: أي القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: تأخذه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾: أي القرآن ﴿إِلَّا

بعضه وهو ملك مصر، إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة، اثنان مسلمان: اسكندر ذو القرنين وسليمان بن داود، واثنان كافران: بختنصر وشداد بن عاد.

قوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ يصح أن يكون نعتاً لرب، أو بدلاً أو عطف بيان أو نداء ثانياً. قوله: ﴿توفني مسلماً﴾ إن قلت: كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لا يجوز؟ أجيب: بأنه علم بالوحي قرب أجله، فطلب ما يكون عند الموت، وهو اللحوق بالصالحين، فمحط طلب الموت على ما بعده. إن قلت: إن كان نبي مقطوع بموته على الإسلام، فلم طلب ذلك؟ أجيب: بأن الله تجلى على يوسف بخوف الإجلال فطلب ذلك، لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة. قوله: [من آبائي] أي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فالمراد لحوقاً خاصاً الذي هو أعلى المراتب. قوله: [مات] أي وقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه، إلى أن بعث الله موسى عليه السلام، وأغرق فرعون وقومه، فقطع الله الفراعنة منها، وأورثها الله بني إسرائيل. قوله: [وتشاح المصريون في قبره] أي حتى هموا أن يقتتلوا، ثم اصطلحوا على أن يدفنوه في أعلى النيل من جهة الصعيد، لتعم بركته الجميع، فجعلوه في صندوق من مرمر، وهو نوع من أجود الرخام، ودفنوه في الجانب الأيمن فأخصب، وأجدب الجانب الأيسر فنقل له فأخصب، وأجدب الجانب الأيمن، فدفنوه في وسط النيل وربطوه بسلسلة، فأخصب الجانبان، فبقي أربعمائة سنة، فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر، أمره بأخذ يوسف معه ودفنه في الأرض المقدسة بقرب آبائه، فلم يهتد إلى مكانه، فدلته عليه عجوز، قيل إنها من أولاد يعقوب، وشرطت عليه أن تكون معه في الجنة، فضمن لها ذلك، وشرطت عليه أيضاً أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها، فكانت كلما وصلت في السن خمسين سنة، رجعت بنت ثلاثين، فعاشت ألفاً وستمائة سنة، فحمله موسى ودفنه بالأرض المقدسة، فهو الآن هناك. وأما إخوته فلم يثبت في محل دفنهم شيء، وما قيل من أنهم مدفونون في المحل المعروف بالقرافة الكبرى، فهو بالظن فقط. قوله: [المذكور] أي من أمر يوسف وقصته.

قوله: ﴿من أنباء الغيب﴾ أي الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي. قوله: ﴿وما كنت لديهم﴾ كالعلة لقوله: ﴿من أنباء الغيب﴾ ولقوله: ﴿نوحيه إليك﴾. قوله: ﴿وهم يمكرون﴾ أي يحتالون فيما دبروه. قوله: [وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي] أي فيكون إخباره معجزة، لأنه لم يطالع الكتب القديمة، ولم يأخذ من أحد من البشر، فإتيانه بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجه، من غير غلط ولا تحريف، غاية الإعجاز. قوله: ﴿وما أكثر الناس﴾ الخ هذه تسلية له ﷺ.

قوله: ﴿ولو حرصت﴾ هذه الجملة معترضة بين ما وخبرها. قوله: ﴿وكأين﴾ مبتدأ، و﴿من آية﴾ تمييز، وهو

﴿ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ ١٠٤ ﴿وَكَأَيِّنْ﴾: وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾: دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ١٠٥: لا يتفكرون فيها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ١٠٦: به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك يعنونها ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾: نقمة تغشاهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٠٧: بوقت إتيانها قبله ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: وفسّرها بقوله ﴿أَدْعُوا إِلَى﴾: دين ﴿اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٠٨: من جملة سبيله أيضاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى﴾: وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾: لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾: أي أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: أي الجنة ﴿خَيْرٌ

تسلية أخرى له ﷺ، والمعنى لا تتعجب من إعراضهم عنك، فإن إعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب. قوله: [كم] أشار بذلك إلى أن ﴿كأين﴾ بمعنى [كم] الخبرية التي للتكثير. قوله: ﴿في السموات والأرض﴾ صفة الآية، وقوله ﴿يمرون عليها﴾ خبر المبتدأ. قوله: ﴿وهم عنها معرضون﴾ الجملة حالية.

قوله: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ أي وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرزاق المعطي المانع وغير ذلك. قوله: [يعنونها] أي الأصنام بقولهم [إلا شريكاً هو لك]. قوله: [نقمة تغشاهم] أي عقوبة تشملهم وتحيط بهم. قوله: ﴿هذه سبيلي﴾ أي طريقي وشريعتي. قوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ أي أدل الناس على طاعته ودينه. قوله: [حجة واضحة] أي بها يتميز الحق من الباطل. قوله: [عطف على أنا المبتدأ] الخ، أي فأنا مبتدأ ﴿ومن اتبعني﴾ عطف عليه، وقوله: ﴿على بصيرة﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، فالوقف على قوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ يكون في المقام جملتان: الأولى تنتهي لقوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ والثانية مبدؤها قوله: ﴿على بصيرة﴾ الخ، وهذا ما جرى عليه المفسر في الإعراب. قوله: [من جملة سبيله] راجع لقوله: ﴿وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ فهما معطوفان على قوله: ﴿أدعو إلى الله﴾ كأنه قال: شريعتي أدعو إلى الله وأسبح الله، وكوني لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعني.

قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ رد على أهل مكة حيث قالوا: هلا بعث الله لنا ملكاً، والمعنى كيف يتعجبون من ذلك، مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [لجفائهم] أي غلظ طبعهم، وهو مقابل لقوله: [وأحلم]، وقوله: [وجهلهم] مقابل لقوله: [أعلم] فهو لف ونشر مشوش.

قوله: ﴿أفلم يسيروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا فلم يسيروا الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿في الأرض﴾ أي في أسفارهم. قوله: ﴿الذين من قبلهم﴾ أي كقولهم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا. قوله: [من إهلاكهم] بيان لآخر أمرهم. قوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ أي الدار الآخرة.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٩: بالياء والتاء أي يا أهل مكة هذا فتؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾: غاية لما دل عليه وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أي فتراخى نصرهم حتى ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: يئس ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا﴾: أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾: بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّيَ﴾: بنونين مشدداً ومخففاً وبنون مشدداً ماض ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ١١٠: المشركين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾: هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يختلق ﴿وَلَٰكِن﴾: كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ١١١: خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

قوله: ﴿خير للذين اتقوا﴾ أي وأما لغيرهم فليست خيراً لهم لحرمانهم من نعيمها. قوله: [الله] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿اتقوا﴾ محذوف. قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [يا أهل مكة] راجع لقراءة التاء، فيكون خطاباً لهم، وعلى الياء يكون إخباراً عنهم. قوله: [غاية لما دل عليه وما أرسلنا] الخ، أي وحينئذ يكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فكذبتهم أممهم فتراخى نصرهم حتى الخ. قوله: [أيقن الرسل] هذا راجع لقراءة التشديد، والمعنى أيقن الرسل بالوحي من الله، بأن قومهم يكذبونهم تكذيباً لا إيمان بعده، وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه. قوله: [والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [من النصر] بيان لما. قوله: [بنونين مشدداً] الخ حاصل ما ذكره ثلاث قراءات: التشديد والتخفيف مع النونين، والتشديد مع النون الواحدة، وظاهر كلامه أن جميعها سبعي وليس كذلك، بل التشديد مع النونين قراءة شاذة. قوله: [ماض] أي مبني للمفعول، و﴿من نشاء﴾ نائب فاعل.

قوله: ﴿في قصصهم﴾ القصص بالفتح مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر، والمراد الأخبار. قوله: [الرسل] أي كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم، ويحتمل أن الضمير عائد على يوسف وإخوته بدليل قوله تعالى في أول السورة ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ والمعنى أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب والسجن، ومن عليه بالعز والملك، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة، قادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته وإظهار دينه، رغماً على أنف كل معارض. قوله: ﴿عبرة﴾ أي تفكر واتعاظ. قوله: ﴿لأولي الألباب﴾ تعريض بأنهم ليسوا بأولي ألباب. قوله: [هذا القرآن] أي الذي تقدم ذكره في قوله ﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً﴾.

قوله: ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ هذه أخبار أربعة، أخبر بها عن كان المحذوفة التي قدرها المفسر، والمعنى أن هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التي جاؤوا بها، فقول المفسر [من الكتب] لا مفهوم له. قوله: [في الدين] أي من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك. قوله: ﴿ورحمة﴾ أي إنعاماً وإحساناً.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٣] ـ سورة الرَّعْد

[مكِّيَة إلَّا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآيَة و﴿يقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ الآية أو مَدَنية إلَّا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين ثلاثٌ أو أربع أو خمس أو ستٌ وأربعون آية]

﴿الٓمٓر﴾: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿آيَاتُ ٱلْكِتَابِ﴾: القرآن والإضافة بمعنى مِنْ ﴿وَٱلَّذِيٓ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: أي القرآن مبتدأ خبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾: لا شكَّ فيه ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: بأنه من عنده تعالى ﴿ٱللهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي العمد جمع عماد وهو

بسم الله الرحمٰن الرَّحيم

سورة الرعد مكية

إلا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية، ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾ الآية، أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين.

وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

قوله: [مكية إلا ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ الآية] مبتدأ وقوله: [مكية] خبر أول، وقوله: [ثلاث] الخ خبر ثان. قوله: [أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين] وقيل المدني منها قوله تعالى ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ إلى قوله: ﴿له دعوة الحق﴾ قوله: [أو مدنية إلا ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآيتين] وقيل مدنية كلها، وقيل مكية كلها، فتحصل أن فيها خمسة أقوال، وسميت بالرعد لذكره فيها، ومن فضائلها، أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح. قوله: [ثلاث أو أربع] الخ حاصل ما ذكره من الخلاف في عدد آياتها أربعة أقوال. قوله: [الله أعلم بمراده بذلك] تقدم أن هذا القول هو الأسلم في تفسير تلك بالأحرف المقطعة. قوله: [هذه الآيات] أي آيات السورة، وأشير لها باعتبار علم الله بها، أو اعتبار وجودها في اللوح المحفوظ فلا يقال إن اسم الإشارة لا بد أن يكون لحاضر، وهي لم توجد في الخارج، ويصح أن يعود اسم الإشارة على ما مضى من أول القرآن إلى هنا.

قوله: ﴿والذي أنزل إليك﴾ اسم الموصول مبتدأ و﴿أنزل﴾ صلته و﴿من ربك﴾ متعلق به أو حال، وقوله: ﴿الحق﴾ خبر كما قال المفسر، والمعنى أن القرآن الذي أنزل عليك من ربك، هو الحق الذي لا شك فيه. قوله: [أي أهل مكة] هذا تفسير للناس باعتبار النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأكثر الناس لا يؤمنون في كل زمان. قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون بذلك، والمعنى لا تعتبرهم، فإنهم لا يعول عليهم.

الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استواء يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾: منهما ﴿يَجْرِي﴾: في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾: يبين ﴿ٱلْآيَاتِ﴾: دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم﴾: يا أهل مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾: بالبعث ﴿تُوقِنُونَ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ﴾: بسط ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: من كل نوع ﴿يُغْشِي﴾: يغطي ﴿ٱللَّيْلَ﴾: بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات

قوله: ﴿الله الذي رفع﴾ الخ هذا شروع في ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى، واتصافه بالكمالات، وبدأ بأدلة من العالم العلوي، وأعقبها بأدلة من العالم السفلي بقوله ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ الخ. قوله: [جمع عماد] أي على غير قياس، وقياسه أن يجمع على عمد بضمتين، وقد قرئ به شاذاً، وقيل جمع عمود. قوله: [وهو الاسطوانة] ويقال له سارية. قوله: [وهو صادق بأن لا عمد أصلاً] أي وهو المراد، فالنفي منصب على المقيد بقيده، أي لم تروها لعدم وجودها، وقيل إن لها عمداً على جبل قاف، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة، فالنفي منصب على القيد دون المقيد، وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد، والضمير عائد عليها، وقيل إن ترونها حال من السموات، والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد، وقيل إنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وعلى هذين القولين، فالضمير عائد على السموات.

قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ثم لمجرد العطف لا للترتيب، إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش، والاستواء في الأصل الركوب والتمكن، وذلك مستحيل عليه تعالى، لاستلزامه الجسمية أو الجهة، والمراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء، لأن من شأن من ركب على شيء، أن يكون قاهراً غالباً له، ومن ذلك قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف، وما مشى عليه المفسر طريقة السلف، وكل من الطريقتين صحيح. قوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي لنفع العالم بهما. قوله: [يوم القيامة] أي وحينئذ فيلقيان في النار بعد ذهاب نورهما، ليعذب بهما عبادهما، وما درج عليه المفسر، من أن المراد بالأجل المسمى هو يوم القيامة، أحد تفسيرين، والآخر أن المراد به الوقت المعين لقطع الفلك، فإن الشمس تقطعه في سنة واحدة، والقمر في شهر لا يختلف جري واحد منهما، قال تعالى ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ الخ، وكل صحيح.

قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي أمر العالم العلوي والسفلي، وذلك بالإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال، وغير ذلك من أنواع التصرفات. قوله: ﴿لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ أي لأن من قدر على ذلك كله، فهو قادر على إحياء الإنسان بعد موته. قوله: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ شروع في ذكر أدلة من العالم السفلي. قوله: [بسط] ﴿الأرض﴾ أي طولاً وعرضاً ليرتاح الحيوان عليها. قوله: [ثوابت] أي لتمسكها عن الاضطراب بأهلها، وفي الحديث «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت، ثم مدت منها الأرض، وأول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس، ثم مدت منه الجبال».

قوله: ﴿ومن كل الثمرات﴾ متعلق بجعل، ومفعولها الثاني محذوف تقديره لكم. قوله: ﴿زوجين اثنين﴾ بيان لأقل مراتب العدد، وإلا فقد يكون أكثر من نوعين كما هو بالمشاهدة، والمراد بالثمر ما يشمل الحب، وتعداد الأصناف المذكورة، إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد، والطعوم كالحلاوة والملوحة والحموضة والمزوزة، أو القدر كالكبر

على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٣ في صنع الله ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بقاع مختلفة ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾: متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَنَّاتٌ﴾: بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾: بالرفع عطفاً على جنات والجر على أعناب وكذا قوله: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: منفردة ﴿تُسْقَى﴾: بالتاء أي الجنات وما فيها والياء أي المذكور ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾: بالنون والياء ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾: بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤: يتدبرون ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾: يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾: حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾: منكرين للبعث ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم وفي الهمزتين في

والصغر، أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والحشونة وغير ذلك. قوله: [يغطي] ﴿الليل﴾ [بظلمته] ﴿النهار﴾ أي ويزيل ظلمة الليل بضياء النهار، فيعدم كلاً بوجود الآخر، ففي الآية اكتفاء.

قوله: ﴿يتفكرون﴾ أي يتأملون، فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها، ويعرفون أن لها صانعاً حكيماً قادراً متصفاً بالكمالات، وخص المتفكرون بالذكر لأنهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والإيمان. قوله: [طيب] أي ينبت. قوله: [وسبخ] أي لا ينبت شيئاً. قوله: [وهو] أي هذا الاختلاف. قوله: [بالرفع] أي له وللثلاثة بعده، وقوله: [والجر] أي كذلك، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وهي النخلات] أي الصنوان. قوله: [بالتاء] أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون والياء، وقوله: [والياء] أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لا غير، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع.

قوله: ﴿في الأكل﴾ أي وغيره، كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك، وهذا كمثل بني آدم، منهم الصالح الهين اللين، والخبيث الغليظ الطبع، خلقوا من آدم، وفضل الله من شاء على من شاء، ولذا قال الحسن: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها، فصارت قطعاً متجاورات، وأنزل على وجهها ماء السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرتها، وتخرج هذه نباتها، وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء، كذلك الناس من خلقوا من آدم، فينزل الله عليهم من السماء تذكرة، فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع، وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع. قوله: [بضم الكاف وسكونها] أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى مأكول.

قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ خصوا بالذكر لأنهم الذين ينتفعون بالتفكر والاعتبار.

قوله: ﴿وإن تعجب﴾ بإدغام الباء في الفاء وبتحقيقها قراءتان سبعيتان، والعجب استعظام أمر خفي سببه. قوله: [من تكذيب الكفار لك] أي مع كونك كنت مشهوراً بينهم بالأمانة والصدق، فلما جئت بالرسالة كذبوك. قوله: ﴿فعجب قولهم﴾ لا بد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة، والتقدير فعجب عظيم أو أي عجب، وعجب خبر مقدم، وقولهم مبتدأ مؤخر. قوله: [منكرين للبعث] حال من الضمير في ﴿قولهم﴾.

قوله: ﴿أئذا كنا تراباً﴾ هذه الجملة في محل نصب مقول القول وهو أحسن ما يقال. قوله: [لأن القادر] الخ، تعليل لقوله: ﴿فعجب قولهم﴾. قوله: [وما تقدم] أي من رفع السماوات بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأمور المتقدمة. قوله: [قادر على إعادتهم] أي لأنه إذا تعلقت قدرته بشيء كان، فلا فرق بين الابتداء والإعادة، وأما قوله تعالى ﴿وهو أهون﴾ فذلك باعتبار عادة المخلوقات، إن القادر على الابتداء تسهل عليه الإعادة

الموضعين التحقيق وتحقيق الأول وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها وفي قراءة الإستفهام في الأولى والخبر في الثاني وأخرى عكسه ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ٥. ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: العذاب ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: جمع المثلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾: مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾: وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ٦: من عصاه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: كالعصا واليد والناقة قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ

بالأولى، وإلا فالكل في قدرته تعالى سواء. قوله: [وفي الهمزتين في الموضعين] الخ من هنا إلى قوله: [وتركها] أربع قراءات. قوله: [وفي قراءة بالاستفهام في الأول] الخ، وفي ذلك ثلاث قراءات: تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، مع إدخال الألف بينهما وبدونها. قوله: [وأخرى عكسه] قراءتان التحقيق مع الألف ودونها، ولا يجوز تسهيل الثانية، فتكون القراءات تسعاً وكلها سبعية، واختلف القرّاء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشراً، وهو في أحد عشر موضعاً، في تسع سور من القرآن، أولها في هذه السورة. والثاني والثالث في الإسراء بلفظ واحد ﴿أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾. والرابع في المؤمنون: ﴿أئذا كنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾. والخامس في النمل ﴿أئذا كنا تراباً أئنا لمخرجون﴾. والسادس في العنكبوت ﴿أئنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال﴾. والسابع في الم السجدة: ﴿أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد﴾. والثامن والتاسع في الصافات ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾، ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾. والعاشر في الواقعة ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾. والحادي عشر في النازعات: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاماً نخرة﴾. والوجه في الاستفهام في الموضعين أن الأول للإنكار، والثاني تأكيد، والوجه في كونه في موضع واحد، حصول الإنكار به، وإحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداهما، حصل الإنكار في الأخرى.

قوله: ﴿الأغلال﴾ جمع غل، وهو طوق من حديد يجعل في أعناقهم. قوله: ﴿أصحاب النار﴾ أي لا محيص لهم عنها، فهم ملازمون لها، كالصاحب الملازم لصاحبه. قوله: [ونزل في استعجالهم العذاب] أي وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. قوله: ﴿قبل الحسنة﴾ أي وهو تأخير العذاب عنهم.

قوله: ﴿وقد خلت من قبلهم﴾ الجملة حالية. قوله: [جمع المثلة] بفتح الميم وضم المثلثة، أي وهي النقمة تنزل بالشخص، فجعل مثلاً يرتدع به غيره. قوله: [بوزن السمرة] أي وهو شجرة الطلح أي الموز. قوله: ﴿لذو مغفرة﴾ المراد بها ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالاً، بل يؤخر الأخذ بها، فإن تاب الشخص ورجع، دام ذلك الستر عليه، وإلا أخذه أخذ عزيز مقتدر. قوله: ﴿على ظلمهم﴾ الجملة حالية، أي والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصي. قوله: [لمن عصاه] أي ودام على ذلك، فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، وأما في الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة.

قوله: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ أي تعنتاً. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض. قوله: [كالعصا واليد]

هَادٍ﴾[٧]: نبيّ يدعوهم إلى ربّهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تنقص ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾: من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٨]: بقدر وحدّ لا يتجاوزه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غاب وما شوهد ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيم ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾[٩]: على خلقه بالقهر بياء ودونها ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾: في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ

أي وغير ذلك مما اقترحوا، قال تعالى حكاية عنهم ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآية. قوله: ﴿إنما أنت منذر﴾ أي ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك؛ لأنهم معاندون كفار، ليس قصدهم بذلك الإيمان، بل التعنت في الكفر. قوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ الجملة مستأنفة، وهاد بإثبات الياء وحذفها في الوقف، وبحذفها في الوصل لا غير، فثلاث قراءات سبعية، وأما في الرسم فهي محذوفة.

قوله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ أي لأنه الخالق المصور، فلا تخفى عليه خافية، ويعلم عرفانية متعدية لواحد، وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف. قوله: [وغير ذلك] أي من أوصاف الحمل، من كونه أبيض أو أسود، قصيراً أو طويلاً، سعيداً أو شقياً، قوياً أو ضعيفاً. قوله: [تنقص] ﴿الأرحام﴾ [من مدة الحمل] أي المعتادة وهي تسعة أشهر، فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة. وقوله: ﴿وما تزداد﴾ أي وما تزيد، فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد عليها، لا يخفى عليه شيء من أوقات الحمل ولا من أحواله، وقيل النقصان السقط، والزيادة زيادتها على تسعة أشهر، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، وقد يولد لهذه المدة ويعيش.

قوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ هذا أعم مما قبله، فالشيء يشمل الحمل وغيره، من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم، فقد دبّر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلقت به قدرته وإرادته، ولا يعجزه شيء، ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ فينبغي للإنسان أن لا يدبر لنفسه شيئاً، ولا يشتغل بشيء يتكفل به غيره، بل يعتمد على من يدبر الأمور، ويفوض له أحواله، ويترك الأوهام التي حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب. قوله: [بقدر وحد لا يتجاوزه] أي لا يتخلف شيء عن الحد الذي قدره الله له، من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك. قوله: [ما غاب وما شوهد] أي ما غاب عنا وما شوهد لنا، وإلا فكل شيء بالنسبة له مشاهد، فلا فرق بين ما في أعلى السماوات وما في تخوم الأرضين.

قوله: ﴿الكبير﴾ الذي يصغر كل شيء عند ذكره، وليس المراد به كبر الجثة، إذ هو مستحيل عليه تعالى، فالمراد الكبير المتصف بكل كمال أزلاً وأبداً. قوله: ﴿المتعال﴾ أي المنزه عن كل نقص. قوله: [بياء ودونها] أي فهما قراءتان سبعيتان في الوصل والوقف، وأما في الرسم فالياء محذوفة لا غير. قوله: ﴿سواء منكم﴾ الخ ﴿سواء﴾ خبر مقدم، و﴿من أسر القول ومن جهر به﴾ مبتدأ مؤخر، ولم يثن الخبر لأنه في الأصل مصدر، وهو لا يثنى ولا يجمع، و﴿منكم﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿سواء﴾ لأنه بمعنى مستو. قوله: [في علمه تعالى] أي فهو يعلم الجميع على حد سواء، لا يتفاوت من جهر على من أسر.

---

* أسباب نزول الآية ٨: أخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس: أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: ليس ذلك لك ولا لقومك، فخرجا فقال عامر لأربد: إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف، فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه وسل أربد السيف، فلما وضع يده على قائم سيفه يبست والتفت رسول الله ﷺ، فرآه فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ إلى قوله ﴿شديد المحال﴾.

﴿مُسْتَخْفٍ﴾: مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾: بظلامه ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾: ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه بالنهار ١٠ ﴿لَهُ﴾: للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾: ملائكة تعتقبه ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي بأمره عن الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾: من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ﴾: لمن

قوله: ﴿من أسر القول﴾ أي في نفسه فلم يسمعهُ غيره. قوله: ﴿ومن جهر به﴾ أي سمعه غيره، والمعنى سواء ما أضمرته القلوب، وما نطقت به الألسنة. قوله: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ أي وسواء من استخفى في ظلام الليل، ومن هو ظاهر في النهار، لأنه الخالق لليل وظلمته، والنهار ونوره، وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر، وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها أورثته الإخلاص في أعماله، فيستوي عنده إسرار العبادة وإظهارها ليلاً أو نهاراً والمراقبة، لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده، ولا يخفى عليه شيء منها، فلا يستطيع أن يقدم على ما نهى عنه، لا ظاهراً ولا باطناً. قوله: [في سربه] بفتح السين وسكون الراء، يقال سرب في الأرض سروباً ذهب فيها ذهاباً، والسرب بفتحتين بيت في الأرض لا منفذ له وهو الوكر، وليس مراداً هنا، بل المراد الطريق الظاهرة، وهي بفتح السين وسكون الراء. قوله: [للإنسان] أي مؤمن أو كافر، وهذا من مزيد التكرمة للنوع الإنساني، وإلا فهو الحافظ لكل شيء. قوله: [ملائكة] قيل: خمسة بالليل وخمسة بالنهار، واحد على اليمين يكتب الحسنات، وواحد على الشمال يكتب السيئات، وواحد موكل بناصيته، فإذا تواضع رفعه، وإذا تكبر وضعه، وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الأذى، وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام، والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، كما في شرح الجوهرة نقلاً عن حديث البخاري، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين كانوا من قبل، فيسألهم الله ويقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، ولا يفارقون الشخص أبداً إلى الممات، فإذا مات فقد فرغ حفظهم له، وهم واحد على يمينه، وآخر على شماله، وآخر أمامه، وآخر خلفه، واثنان على عينيه، وواحد على شفتيه، واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبي ﷺ، وواحد آخذ بناصيته، فإن تواضع رفعه، وإن تكبر خفضه، وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد، كاتبي الحسنات والسيئات على المعتمد، وحكمة هذا السؤال وإن كان الله عالماً بكل شيء تشريف بني آدم بين أهل الملأ الأعلى، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم: تركناهم وهم يصلون، ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة، أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء، فيتشرف بنو آدم على العموم، وتنزل عليهم الرحمة، وتكثر أرزاقهم، لأن الرحمة تعم الطائع والعاصي، وإخبار الملائكة بطاعة بني آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب.

قوله: ﴿من أمر الله﴾ اختلف المفسرون في من، فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف، والتقدير يحفظونه بأمر الله من الحوادث، وقيل إن من على حقيقتها، والمحفوظ منه مذكور بقوله: ﴿من أمر الله﴾ أي يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك، إذا علمت ذلك، فالمفسر قد أفاد القول الأول. قوله: [من الحالة الجميلة] أي وهي الطاعة، والمعنى أنها جرت عادة الله، أنه لا يقطع نعمة عن قوم، إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة ومعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت قسوة في قلبك، وحرماناً في رزقك، ووهناً في بدنك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك». فالنعم تأتي من الله بلا سبب، وسلبها يكون بسبب المعاصي.

قوله: ﴿إذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ إذا شرطية وجوابها قوله: ﴿فلا مرد له﴾ والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب

أراد الله بهم سوءًا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: أي غير الله ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿وَالٍ﴾ [١١]: يمنعه عنهم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً﴾: للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعاً﴾: للمقيم في المطر ﴿وَيُنْشِئُ﴾: يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [١٢]: بالمطر ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾: هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾: أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾: يسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: أي الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾: فتحرقه نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه فقال: من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم

عليه، تقديره لم يرد أو واقع، والمعنى متى سبق في علم الله نزول بلاء بقوم، فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم، إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول: لو كانت الأولياء موجودين، لما نزل علينا بلاء. قوله: ﴿ما لهم من دونه من وال﴾ أي ناصر يدفعه، قال تعالى ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ فلا دافع لما قضاه، ولا رادّ لما قدّره.

قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له﴾ رتّب عليه قوله: ﴿هو الذي يريكم البرق﴾ الخ، إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب. قوله: ﴿البرق﴾ هو لمعان يظهر من خلال السحاب، وقيل لمعان المطراق الذي يزجر به السحاب. قوله: ﴿خوفاً وطمعاً﴾ منصوبان على الحال من الكاف في يريكم، وليس مفعولاً لأجله لعدم اتحاد الفاعل، فإن فاعل الإرادة الله، وفاعل الخوف والطمع العبيد، وبعضهم جعله مفعولاً لأجله، بتأويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون. قوله: [للمسافرين] لا مفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر، كمن يجفف الثمار والحبوب، وكذلك قوله: ﴿وطمعاً﴾ [للمقيم] الخ لا مفهوم له أيضاً، بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلاً، كذلك فالبرق تارة يكون خيراً، وتارة يكون شراً للمسافرين والمقيمين، فينبغي للإنسان أن يكون دائماً خائفاً راجياً، لأن الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شر، ويأتي بالشر فيما ظاهره خير.

قوله: ﴿وينشىء السحاب﴾ هو ثمر شجرة في الجنة، يخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء، فالسحاب من الجنة، وماؤه من الجنة، تهب الريح من تحت ساق العرش، فتخرج الحامل والمحمول من الجنة، وهذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالإبل، فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع في الجو، فتنسفه الرياح فيحلو، فينزله الله على من أراد من خلقه. قوله: [هو ملك موكل بالسحاب] الخ، هذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب، فإذا سمعته الملائكة، ضجت معه بالتسبيح، فعندها ينزل المطر، وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب. قوله: [أي يقول سبحان الله وبحمده] أي تنزيهاً له عن النقائص، واتصافاً له بالكمالات. قوله: [ملتبساً] أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة.

قوله: ﴿والملائكة﴾ قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب، وقيل المراد جميع الملائكة. قوله: ﴿من خيفته﴾ أي هيبته وجلاله. قوله: [وهي نار] إلخ، وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو، ثم يكون فيه نار. قوله: [تخرج من السحاب] أي فإذا نزلت من السماء، فربما تغوص في البحر فتقتل الحيتان. قوله: [نزل في رجل] أي من طواغيت العرب، وقد اختصرها المفسر، وحاصلها أن رسول الله ﷺ بعث إليه نفراً من أصحابه، يدعونه إلى الله تعالى ورسوله،

---

* أسباب نزول الآية ١٣: وأخرج النسائي والبزار عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال: ايش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو من ذهب؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ إلى آخرها.

نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُمْ﴾: أي الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾: يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ ١٣: القوة أو الأخذ ﴿لَهُ﴾: تعالى ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾: أي كلمته وهي لا إله إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: بالتاء والياء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾: أي غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾: مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾: استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾: أي كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾: على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِ﴾: أي فاه أبداً فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ ١٤: ضياع ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾: كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾: كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿وَ﴾: يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ﴾: البكر ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ ١٥: العشايا

فقال لهم: أخبروني من ربّ محمد الذي يدعوني إليه؟ فهل هو من ذهب او فضة أم حديد أم نحاس؟ فاستعظم القوم كلامه، فانصرفوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا أكفر قلباً ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل، فقال: ارجعوا إليه فرجعوا، فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئاً بل قال أخبث منها، فرجعوا إلى النبي ﷺ فقال لهم: ارجعوا إليه فرجعوا، فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه، ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده، فرجعوا ليخبروا النبي ﷺ، فبادرهم وقال لهم: احترق صاحبكم، فقالوا: من أين علمت؟ قال: قد أوحي إلي ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾. قوله: [بقحف رأسه] بكسر القاف عظم الرأس الذي فوق الدماغ. قوله: ﴿وهو شديد المحال﴾ بكسر الميم من المماحلة وهي المكايدة، وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى ولذا مشى عليه المفسر.

قوله: ﴿دعوة الحق﴾ أي شرعها وأمر بها. قوله: [وهي لا إله إلا الله] أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله، فهي كلمة الحق جعلت مفتاحاً للإسلام، فلا يقبل من أحد إلا بالإقرار بها. قوله: [بالياء والتاء] أما الياء فمتواترة، وأما التاء فشاذة، وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها. قوله: ﴿لا يستجيبون لهم﴾ أي لا يجيبونهم. قوله: ﴿إلا﴾ [استجابة] أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير مصدر مضاف إلى المفعول، والمعنى أن الأصنام التي يعبدها الكفار، لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر، فلا تجيب عابديها بشيء أصلاً، وقد ضرب الله مثلاً لعدم إجابتها لهم بقوله: ﴿إلا كباسط﴾ الخ، والمعنى أن من بسط كفيه للماء ليدخل في فيه لا يجيبه الماء، لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك، فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كربة أو توليه نعمة، لا تجيبه بشيء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلاً عن غيرها.

قوله: ﴿وما هو﴾ أي الماء. قوله: [عبادتهم الأصنام أو حقيقة] الخ، هذان قولان في تفسير الدعاء، والأقرب الأول بدليل قوله أولاً ﴿والذين يدعون﴾ [يعبدون]. قوله: [ضياع] إنما كان دعاؤهم ضائعاً، لأنه طلب ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأما دعاؤهم لله فليس بضائع، بل يستجيب لهم إن شاء، فإن كان بأمور الدنيا فظاهر، وإن كان كالجنة فيهديهم للإيمان، هذا هو الذي يجب المصير إليه، ويؤيده قوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإنها في مشركي مكة، وجملة ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ نتيجة ما قبلها.

قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات﴾ أي وهم الملائكة، ولا يكون إلا طوعاً، وقوله: ﴿والأرض﴾ أي من الإنس والجن، وقوله: ﴿طوعاً وكرهاً﴾ حالان من الفاعل أي طائعين ومكرهين، والكره في المنافقين كما قال المفسر، وأما باقي الكفار فلم يكن منهم سجود، وهذا إن حمل السجود على حقيقته، وهو وضع الجبهة على الأرض بالفعل،

﴿قُلْ﴾: يا محمد لقومك ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾: إنْ لم يقولوه لا جوابَ غيره ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾: أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: وتركتم مالكهما استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمانُ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾: أي خَلْقُ الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أي ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق

وإنْ أريدَ من السجود الأمر به، بقيتْ على عمومها، فيندرج تحتها الإنس والجن والملك، ويصح حمله على معناه المجازي، وهو الخضوع والانقياد، والمعنى ولله خضع وانقاد وذل مَنْ في السماوات والأرض جميعاً، وهو بمعنى قوله تعالى ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً﴾ وعلى هذا فالمراد بمَنْ في السموات والأرض، السماواتُ والأرض ومَنْ فيهن، وغلب العاقل لشرفه، ولأنه المكلف بالسجود الحقيقي واللغوي، فالعارف بربه، المسلم لأحكامه، ولو غير عاقل، بدليل ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ خضع طوعاً إجلالاً لهيبة الله وجلاله، والجاهل خضع كرهاً، بمعنى جرت المقادير عليه رغماً على أنفه.

قوله: ﴿وظلالهم﴾ معطوف على مَنْ مسلط عليه يسجد، كما قدره المفسر، ومعنى سجود الظل: سجوده حقيقة تبعاً لصاحبه إنْ أريد بالسجود حقيقته، وخضوعه وانقياده إنْ أريدَ به المعنى المجازي، وسجود الظلال كلها طوعاً، لخلوها عن النفس التي تحمل الإنسان على عدم الرضا، ففي الحقيقة الكارة إنما هو النفس التي حواها الجسم، وأما الجسم والظل فخضوعهما طوعاً، ولذا قيل: إن الكافر إذا سجد للصنم، سجد ظله لله. قوله: [البكر] جمع بكرة وهي من أول النهار. قوله: ﴿والآصال﴾ جمع أصيل وهو من بعد العصر إلى الغروب، فالمراد جميع الأوقات إن أريد بالسجود الخضوع والانقياد، وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقته.

قوله: ﴿قل من رب السموات والأرض﴾ هذا مرتب على ما قبله. قوله: [لا جواب غيره] أي لتعينه عليهم لاعترافهم به، وإنما يتركون هذا الجواب عناداً. قوله: ﴿قل أفاتخذتم﴾ الخ، المعنى أبعد إقراركم بأنه رب السماوات والأرض واعترافكم به، يليق بكم أن تتخذوا من دونه من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟ قوله: [تركتم مالكها] أي وهو الله. قوله: [استفهام توبيخ] أي للثاني، وأما الأول فهو للتقرير.

قوله: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ هذا ترق في الرد عليهم. قوله: [الكافر والمؤمن] أي فالمراد بالأعمى أعمى القلب، والبصير بصيره. قوله: [الكفر] أي وعبر عنه بالظلمات جمعاً لتعدد أنواعه، بخلاف الإيمان فهو متحد، فلذا عبر عنه بالنور مفرداً، سمي الكفر ظلمات لأنه موصل لدار الظلمات وهي النار، وسمي الإيمان بالنور، لأنه موصل لدار النور وهي الجنة. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن استفهام إنكاري بمعنى النفي، وبمعنى هذه الآية قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾.

قوله: ﴿أم جعلوا﴾ أي بل أجعلوا، فأم منقطعة تفسر ببل والهمزة. قوله: ﴿شركاء﴾ أي الأصنام. قوله: ﴿خلقوا﴾ أي الأصنام. وقوله: ﴿كخلقه﴾ أي الله، والمعنى هل لهذه الأصنام خلق كخلق الله؟ فاشتبه بخلقه فاستحقت العبادة لذلك، وهو إنكار عليهم، أي لم يخلقوا أصلاً، بل ولا يستطيعون دفع ما ينزل بهم، فكيف العاجز يعبد؟ قوله: [أي ليس الأمر كذلك] أي لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله، بل الكفار يعلمون بالضرورة، أن هذه الأصنام لم يصدر عنها فعل ولا خلق ولا أثر أصلاً، وإذا كان كذلك فجعلهم إياها شركاء لله في الألوهية محض جهل وعناد.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ ١٦: لعباده ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال ﴿أَنزَلَ﴾: تعالى ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: بمقدار ملئها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: عالياً عليه هو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ﴾: من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾: زينة ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾: ينتفع به كالأواني إذا أذيب ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾: أي مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: أي مثلهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾: من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾: يبقى ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: زماناً كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق ﴿كَذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾: يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ ١٧ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: أجابوه بالطاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾: وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾: من العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: وهو

قوله: ﴿وهو الواحد القهار﴾ أي المنفرد بالإيجاد والإعدام، القاهر لعباده، المختار في أفعاله فلا يُسأل عما يفعل. قوله: [ثم ضرب مثلاً] أي بيّنه، والمراد بالمثل الجنس لأن المذكور للحق مثلاً وللباطل كذلك. قوله: ﴿فسالت أودية﴾ أي أنهار جمع واد، وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، وحينئذ فهو مجاز عقلي من إسناد الشيء لمكانه، والأصل فسال الماء في الأودية. قوله: ﴿بقدرها﴾ بفتح الدال باتفاق السبعة، وقرئ شذوذاً بسكونها. قوله: [بمقدار ملئها] أي ما يملأ كل واحد بحسبه صغراً وكبراً. قوله: ﴿زبداً﴾ الزبد ما يظهر على وجه الماء من الرغوة، أو على وجه القدر عند غليانه، وقد تم المثل الأول.

قوله: ﴿ومما توقدون﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿زبد﴾ مثله مبتدأ مؤخر. قوله: [بالتاء والياء] أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿في النار﴾ متعلق بتوقدون، وقوله: ﴿ابتغاء حلية﴾ علة لتوقدون. قوله: [كالأواني] أي والمسكوك الذي ينتفع به الناس في معايشهم. قوله: ﴿زبد مثله﴾ أي في كونه يصعد ويعلو على أصله. قوله: [الكير] هو منفاخ الحداد، وأما الكور فهو الموضع الذي توقد فيه النار كالكانون. قوله: [المذكور] أي من الأمور الأربعة التي للحق والباطل.

قوله: ﴿فأما الزبد﴾ لف ونشر مشوش. قوله: [مرمياً به] أي يرميه الماء إلى الساحل، ويرميه الكير فلا ينتفع به. قوله: [والحق ثابت] أي ماكث، كما أن الماء والجوهر ثابتان، وإنما يرمى بزبدهما، والمعنى أن مثل الباطل كمثل الرغوة التي تعلو على وجه الماء، وخبث الجوهر الذي يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه، ومثل الحق كمثل الماء الصافي والجوهر الصافي، كما أن الرغوة في كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى، كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى، والحق ثابت ينتفع به، كالجوهر والماء الصافيين. وفي هذه الآية بشرى للأمة المحمدية، بأنها ثابتة على الحق، لا يضرهم من خالفهم في العقائد، بل وإن علا وارتفع لا بد من اضمحلاله وزواله. قوله: ﴿يضرب الله الأمثال﴾ أي لإرشاد عبيده باللطف والرفق، فإن من جملة ما جاء به القرآن الأمثال. قوله: ﴿للذين استجابوا﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿الحسنى﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: [الجنة] أي وزيادة بدليل الآية الأخرى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور: الأول قوله: ﴿لو أن لهم﴾. الثاني: قوله: ﴿أولئك لهم﴾ الخ.

المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [١٨]: الفراش هي ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: لا يعلمه ولا يؤمن به لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾ [١٩]: أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ﴾: بترك الإيمان أو الفرائض ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: أي وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [٢١]: تقدم مثله ﴿وَٱلَّذِينَ

الثالث: قوله: ﴿ومأواهم﴾ الخ. والمعنى: أن الكفار يتمنون أن لو كان لهم قدر ما في الأرض جميعاً مرتين، ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة. قوله: ﴿سوء الحساب﴾ أي السيء، فهو من إضافة الصفة للموصوف، والمراد أنهم يناقشون الحساب، ويسألون عن النقير والقطمير، كما ورد في الحديث «من نوقش الحساب هلك».

قوله: ﴿ومأواهم جهنم﴾ أي منزلهم المعد لهم. قوله: ﴿وبئس المهاد﴾ هو ما يمهد أي يفرش، وقدر هي إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف. قوله: [ونزل في حمزة وأبي جهل] أي بسبب نزول هذه الآيات، مدح حمزة بالصفات الجميلة، والوعد عليها بالخير، وذم أبي جهل بالصفات القبيحة، والوعيد عليها بالشر، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فآيات الوعد لحمزة، ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة، وآيات الوعيد لأبي جهل، ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿أفمن يعلم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيستوي المؤمن والكافر فمن يعلم؟ الخ. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [أصحاب العقول] أي السليمة الكاملة. قوله: ﴿الذين يوفون﴾ بدل من من، وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية، أولها قوله ﴿يوفون بعهد الله﴾، وآخرها قوله ﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾. قوله: ﴿المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر﴾ أي بالتوحيد وهو قول الله لهم ﴿ألست بربكم﴾. قوله: [أو كل عهد] أي كل ميثاق أخذ عليهم، كان للخالق أو للمخلوق، ولو كافراً فيجب الوفاء بالعهد، ولا تجوز الخيانة، ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفي بالعهد، قدم عليها وجعل ما بعده تفصيلاً له، وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد، امتثال المأمورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات.

قوله: ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ تأكيد لما قبله ولازم له، لأن الموفي بالعهد غير ناقض للميثاق، فالعهد هو الميثاق، وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق، والعهد هو أمر الله. قوله: [بترك الإيمان] راجع للأول، وقوله: [أو الفرائض] راجع للثاني في تفسير العهد. قوله: [من الإيمان] بيان لما، والمعنى أنهم يأتون بالإيمان بشروطه وأركانه وآدابه. قوله: [والرحم] أي القرابة لما في الحديث «يقول الله تعالى: أنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته». وقال عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله». وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والإنفاق بحسب الاستطاعة. قوله: [وغير ذلك] أي كالتوادد للناس، وعيادة المريض، وغير ذلك لما في الحديث «التوادد مع الناس نصف العقل»، وفي الحديث «وخالق الناس بخلق حسن، والتوادد بإعطاء من حرمك، ووصل من قطعك، والعفو عمن ظلمك». قوله: [ويخشون ربهم] أي يهابونه إجلالاً وتعظيماً، فلا يخشون غيره، ولا يلتفتون لما سواه. قوله: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ أي يخافون الحساب السيء المؤدي لدخول النار.

صَبَرُوا﴾: على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا﴾: في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾: يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٢: أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: هم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾: آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ ٢٣: من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾: هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٤: عقباكم

قوله: ﴿والذين صبروا﴾ [على الطاعة] الخ، أشار المفسر إلى أن مراتب الصبر ثلاثة: أعلاها الصبر عن المعصية، وهو عدم فعلها رأساً. ويليها الصبر على الطاعات، أي دوام فعلها على حسب الطاقة. ويليها الصبر على البلاء. وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات، لأنه مرتبة الأولياء والصديقين. قوله: ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ أي طلباً لمرضاته. قوله: [لا غيره من أعراض الدنيا] أي كالصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته، أو لئلا يعاب على الجزع، أو لئلا تشمت به الأعداء، وغير ذلك من الأمور التي تكون لغير وجه الله، وفضل الصبر لوجه الله عظيم جداً، قال تعالى: ﴿وبشر الصابرين﴾ الآية، وورد: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فتقول: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصي الله، وصبرناها على البلايا والمحن في الدنيا، فتقول لهم الملائكة: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار.

قوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أي فرضاً أو نفلاً، بالإتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿وانفقوا﴾ [في الطاعة] أي انفاقاً واجباً كالزكاة والنفقات الواجبة، أو مندوباً كالتطوعات. قوله: ﴿سراً وعلانية﴾ أي لم يعلم به أحد أو علم، فالمدار على الإخلاص في النفقة، سترها أو أعلن. قوله: [كالجهل بالحلم] أي فيدفع السفه والتعدي بالحلم وعدم المؤاخذة. قوله: [والأذى بالصبر] أي فلا يكافئون الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر. قوله: ﴿أولئك﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لهم﴾ خبر مقدم، و﴿عقبى الدار﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول، وهي مستأنفة لبيان جزاء من ذكر. قوله: [أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة] أشار بذلك إلى أن النعت محذوف، والإضافة على معنى في، فالعقبى المحمودة هي الجنة.

قوله: ﴿جنات عدن﴾ قدر المفسر [هي] إشارة إلى أن ﴿جنات عدن﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها، لا خصوص الدار المسماة بذلك. قوله: [هم] ﴿ومن﴾ الخ، قدر الضمير للإيضاح، وإلا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب. قوله: ﴿من آبائهم﴾ أي أصولهم وإن علوا ذكوراً وإناثاً. قوله: ﴿وأزواجهم﴾ أي اللاتي متن في عصمتهم. قوله: ﴿وذرياتهم﴾ أي فروعهم وإن سفلوا. قوله: [وإن لم يعملوا] أي الآباء والأزواج والذريات. قوله: [تكرمة لهم] أي لأن الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله، ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للمطيع، إذ كل من كان صالحاً في عمله فله الدرجات العلية استقلالاً. قوله: [أو القصور] جمع قصر، وهو كما ورد خيمة من درة مجوفة، طولها فرسخ وعرضها فرسخ، لها ألف باب، مصارعها من ذهب، يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا، يقولون ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾. قوله: [أول دخولهم للتهنئة] هذا التفسير لم يرَ لغيره، بل في كلام غيره ما يدل على خلاف ذلك، قال مقاتل: إن الملائكة يدخلون في مقدار

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾: البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ ٢٥: العاقبة السيئة في الدار الآخرة وفي جهنم ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُوا﴾: أي أهل مكة فرح بطر ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي بما نالوه فيها ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى﴾: جنب حياة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ ٢٦: شيء قليل يتمتع به ويذهب ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿لَوْلَآ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: كالعصا واليد والناقة ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿وَيَهْدِىٓ﴾: يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ ٢٧: رجع إليه ويبدل من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي

كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات، معهم الهدايا والتحف من الله تعالى، يقولون ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾. قوله: [يقولون] قدره إشارة إلى أن قوله تعالى ﴿سلام عليكم﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف.

قوله: ﴿سلام عليكم﴾ أي سلمكم الله من آفات الدنيا، فهو دعاء لهم وتحية. قوله: ﴿بما صبرتم﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: [هذا الثواب] الخ. قوله: [بصبركم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، تسبك مع ما بعدها بمصدر. قوله: ﴿فنعم عقبى الدار﴾ المراد بالدار قيل الدنيا، وقيل الآخرة. قوله: [عقباكم] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿والذين ينقضون﴾ جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة، أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة، وهذه أوصاف أبي جهل ومن حذا حذوه إلى يوم القيامة. قوله: ﴿من بعد ميثاقه﴾ أي من بعد الاعتراف والقبول.

قوله: ﴿أولئك﴾ أي من هذه صفاته. قوله: [وهي جهنم] تفسير للعاقبة السيئة. قوله: ﴿الله يبسط الرزق﴾ الخ، هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا: لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون، لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا في الدنيا، فرد الله عليهم شبهتهم بذلك، والمعنى أن بسط الرزق في الدنيا ليس تابعاً للإيمان، بل ذلك بتقدير الله في الأزل لمن يشاء، فقد يبسط الرزق للكافر استدراجاً. ويضيقه على المؤمن امتحاناً. قوله: [يوسعه] ﴿لمن يشاء﴾ أي مؤمن أو كافر، وقوله: [يضيقه لمن يشاء] أي مؤمن أو كافر. قوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ هذا بيان لقبح أحوالهم فهو مستأنف. قوله: [فرح بطر] أي لا فرح سرور وشكر لنعم الله.

قوله: ﴿في الآخرة﴾ أي منسوبة للآخرة، والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة في جنب الحياة الآخرة إلا متاع. قوله: [يتمتع به ويذهب] أي فلا بقاء لها، قال تعالى ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل﴾. قوله: [هلا] أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية. قوله: ﴿آية من ربه﴾ أي غير ما جاء به من نبع الماء وتسبيح الحصى وغير ذلك. قوله: [فلا تغني الآيات عنه شيئاً] أي فمجيئها لا يفيدهم شيئاً، إذ ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر، فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحراً أو كهانة، يقولونه في حق ما لم يأت به على فرض إتيانه به، قال تعالى ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾. قوله: ﴿ويهدي إليه﴾ أي يوصله لمرضاته ولما يحبه. قوله: [ويبدل من من] أي بدل كل، ويصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثاني، وما بينهما اعتراض.

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالتصديق الباطني الناشىء عن إذعان وقبول. قوله: ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ هذه علامة المؤمن الكامل، والطمأنينة بذكر الله، هي ثقة القلب بالله، والاشتغال به عمن سواه، ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب، وآية الأنفال تفيد أن ذكر الله يحصل به الوجل والخوف، فمقتضى ذلك أنه بين الآيتين

وعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ٢٨: أي قلوب المؤمنين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: مبتدأ خبره ﴿طُوبَى﴾: مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ ٢٩: مرجع ﴿كَذَلِكَ﴾: كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ﴾: تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾: حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ٣٠. ونزل لما قالوا له: إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة

تنافي، وأجيب: بأن الطمأنينة هنا معناها السكون إلى الله والوثوق به، فينشأ عن ذلك عدم خوف غيره، وعدم الرجاء في غيره، فلا ينافي حصول الخوف من الله والوجل منه، وهذا معنى آية الأنفال، وحينئذ فصار الغير عندها هباء منثوراً ليس معداً لدفع ضر، ولا لجلب نفع، وبمعنى الآيتين قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ فتحصل أن المؤمن الكامل هو المطمئن بالله الواثق به، الخائف من هيبته وجلاله، فلا يشاهد غيره، لا في جلب نفع ولا دفع ضر؛ لأن الله هو المالك المتصرف في الأمور، خيرها وشرها، فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله في الوجود، أعرض عما سواه واكتفى به، فلا يعرج على غيره أصلاً، وهذا أتم مما ذكره المفسر، حيث دفع الشافي بأن معنى الطمأنينة، سكون القلب بذكر الوعد، والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات. قوله: ﴿تطمئن قلوبهم﴾ أي الكاملة في الإيمان.

قوله: ﴿طوبى﴾ أصلة طيبى، وقعت الياء ساكنة بعد ضمة، قلبت واواً، والمعنى عيشة طيبة لهم، وقد فسرت في آية أخرى بقوله تعالى ﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية﴾. قوله: [أو شجرة في الجنة] أي وأصلها في دار النبي ﷺ، وفي كل دار وغرفة في الجنة، منها غصن لم يخلق الله لوناً ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل، كل ورقة منها تظل أمة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها، فتنبت الحلل والحلي، ويخرج منها الخيل المسرجة الملجمة، والإبل برحالها وأزمتها، وما ذكره المفسر في تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة، وقيل إنه دعاء من الله لهم، والتقدير طيب عيشكم، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿وحسن مآب﴾ أي ولهم حسن مرجع ومنقلب في الآخرة وهي الجنة.

قوله: ﴿كذلك ارسلناك﴾ هذا تسلية له ﷺ، أي فلا تحزن على عدم إيمان قومك، فإننا أرسلنا الأنبياء إلى قومهم فكفروا ولم يطيعوا، فليس من كذبك بأول مكذب. قوله: ﴿في أمة﴾ أي إلى أمة. قوله: ﴿قد خلت من قبلها أمم﴾ أي سبقت ومضت. قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الجملة حالية. قوله: [لما أمروا بالسجود له] أي كما ذكر في سورة الفرقان بقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ وهذا القول منهم على سبيل العناد، ويسمى عند أرباب المعاني تجاهل العارف، فإن الرحمن هو المنعم على عباده، وهم يشاهدون نعمه عليهم، ومع ذلك قالوا: [وما الرحمن] وهذا كقول فرعون ﴿وما رب العالمين﴾.

قوله: ﴿هو ربي﴾ أي الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي. قوله: ﴿عليه توكلت﴾ أي فوضت أموري إليه. قوله: ﴿متاب﴾ أي توبتي ومرجعي. قوله: [ونزل لما قالوا] أي كفار مكة منهم: أبو جهل وعبد الله بن أمية، جلسوا خلف الكعبة، وأرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم، وقيل إنه مر بهم وهم جلوس، فدعاهم إلى الله، فقال عبد الله بن أمية: إن سرك أن نتبعك، فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح، فإنها أرض ضيقة لمزارعنا، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين، فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود، حيث سخر له الجبال تسير معه،

واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شققت ﴿بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ﴾: يعلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن﴾: مخففة أي أنه ﴿لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾: إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾: بصنعهم أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: بالنصر عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٣١]: وقد حل

أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا، كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت، فلست أهون على ربك من سليمان، وأحي لنا جدك قصياً، فإن عيسى كان يحيي الموتى، وليست بأهون على الله منه؛ فنزلت هذه الآية.

قوله: ﴿أو قطعت به الأرض﴾ أي من خشية الله عند قراءته فجعلت أنهاراً وعيوناً. قوله: [لما آمنوا] جواب لو، والمعنى لو فعل الله ما ذكر وأجابهم، لم يحصل منهم إيمان لأن الله علم عدم هداهم. قوله: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ أي القدرة على كل شيء، وهو إضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفي، والمعنى بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه، إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون. قوله: [وإن أوتوا ما اقترحوا] أي أعطوا ما طلبوه. قوله: [لما أراد الصحابة] الخ أي فقالوا: يا رسول الله إنك مجاب الدعوة، فاطلب لهم ما اقترحوا، عسى أن يؤمنوا. قوله: [يعلم] يطلق اليأس على العلم في لغة هوازن ونخع لتضمنه معناه، فإن الآيس من الشيء عالم بأنه لا يكون. قوله: ﴿أن﴾ [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿لو يشاء﴾ الخ خبر أن.

قوله: ﴿لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أي ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم. إن قلت: لم لم يجب الله نبيه بعين ما طلبوا، كما أجاب صالحاً في الناقة، وعيسى في المائدة، مع علمه بأنهم لا يؤمنون؟ أجيب: بأنه جرت عادة الله في عبادة الكفار، أنهم متى طلبوا شيئاً من المعجزات، وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها، ولم يؤمنوا، أنه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم، وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة المحمدية، وعدم استئصالها بالهلاك، إكراماً لنبيها، فلم تحصل الإجابة بعين ما طلبوا رحمة بهم وإكراماً لنبيهم.

قوله: ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ إخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره. قوله: [تصيبهم] خبر يزال. قوله: [بصنعهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر، والباء سببية، أي بسبب صنعهم. قوله: ﴿قارعة﴾ التنوين للتنكير، إشارة إلى أنها ليست مخصوصة بشيء معين، بل هي عامة في كل ما يهلكهم. قوله: [تقرعهم] أي تهلكهم. قوله: ﴿أو تحل قريباً﴾ معطوف على قارعة، والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة، أو حلولك قريباً من دارهم، والعطف يقتضي المغايرة، فالمراد بالقارعة غير حلوله، وإن كان من أعظم القوارع، وهذا تسلية

● أسباب نزول الآية ٣١: وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: قالوا للنبي ﷺ إن كان كما تقول فأرنا أشياخنا الأول نكلمهم من الموتى، وافسح لنا هذه الجبال جبال مكة التي قد ضمتنا، فنزلت ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي قال: قالوا للنبي ﷺ: لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرث فيها أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، لو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه، فأنزل الله: ﴿ولو أن قرآناً﴾ الآية.

بالحديبية حتى أتى فتح مكة ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: كما استهزىء بك وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ٣٢: أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾: رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام لا دلّ على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: له من هم ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تُنَبِّئُونَهُ﴾: تخبرون الله ﴿بِمَا﴾: أي بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ـه ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: استفهام إنكار أي لا شريك له إذ لو كان لعلمه تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾: بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَاهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾: كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق الهدى ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ٣٣ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

له ﷺ، والمعنى اصبر فإنك منصور ومؤيد، وهم مخذولون، فإن الدواهي مسلطة عليهم. قوله: ﴿قريباً﴾ أي مكاناً قريباً وهو الحديبية. قوله: [بالنصر عليهم] أي بفتح مكة. قوله: [وقد حل بالحديبية] أي مرتين: الأولى سنة ست حين أراد العمرة وبعث عثمان، وقد صدوا النبي ﷺ والمؤمنين عن البيت، فصالح الكفار النبي على أن يمكنوه من الدخول في السنة السابعة، فدخلها واعتمر، والثانية سنة ثمان، حين أراد فتح مكة، فإنه حل بها هو وجيشه، وأمرهم أن يتفرقوا ويوقد كل شخص ناراً على حدة إرهاباً للعدو، ففي صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة.

قوله: ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عدل في رعيته، حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة، وأغدق عليهم النعم، وكلما عصوه سترهم وأمدهم بالعطايا، فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب، فهل هذا ظلم منه أو عدل؟ وجواب الاستفهام أنه عدل لو كان صادراً من سلطان في رعيته، فكيف من الخالق الذي يستحيل عليه الظلم عقلاً؟ قوله: [فكذلك أفعل بمن استهزأ بك] أي لا على العموم إكراماً لنبيه ﷺ.

قوله: ﴿أفمن هو قائم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعميتم وسويتم بين الله وبين خلقه فمن هو قائم الخ، والمعنى أفمن كان حافظاً للنفوس ورازقها وعالماً بها كمن ليس بقائم، بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلاً عن غيره؟ قوله: [لا] هذا هو جواب الاستفهام. قوله: [دل على هذا] أي على الجواب المحذوف، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ أي كمن قسا قلبه، يدل عليه قوله ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾، ونظيره قوله تعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ ولكنه صرح فيها بالمقابل.

قوله: ﴿قل سموهم﴾ أي صفوهم، وانظروا هل بتلك الأوصاف تستحق العبادة؟ قوله: [من هم] أي بينوا حقيقتهم من أي جنس ومن أي نوع. قوله: ﴿أم تنبئونه﴾ الخ أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة، والمعنى أتخبرون الله بشريك لا يعلمه في الأرض لعدم وجوده إذ لو وجد لعلمه، وخص الأرض لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كائنين فيها. قوله: ﴿أم بظاهر﴾ أم هنا للأضراب الإبطالي، ولذا فسرها ببل فقط، والمعنى أن تسميتهم شركاء ظن باطل فاسد لا يعتبر، وإنما هو اسم من غير مسمى.

قوله: ﴿بل زين للذين كفروا﴾ إضراب عن محاجتهم كأنه قال: لا تلتفت لهم ولا تعتبر بهم، فإنهم لا فائدة فيهم، لأنهم زين لهم ما هم عليه من المكر والكفر. قوله: ﴿وصدوا﴾ بضم الصاد وفتحها قراءتان سبعيتان، والمعنى منعوا عن طريق الهدى، أو منعوا الناس عنه.

فائدة ـ قال الطيبي: في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان، أولها: ﴿أفمن هو قائم على كل

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشد منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي عذابه ﴿مِن وَاقٍ﴾ ٣٤: مانع ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقص عليكم ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ أُكُلُهَا﴾: ما يؤكل فيها ﴿دَآئِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وَظِلُّهَا﴾: دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ﴾: أي الجنة ﴿عُقْبَى﴾: عاقبة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾: الشرك ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَافِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ ٣٥ ﴿وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾: كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾: كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾: فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾:

نفس بما كسبت﴾ [كمن ليس كذلك] احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما. ثانيها: ﴿وجعلوا الله شركاء﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير، للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد، لا يشاركه أحد في اسمه. ثالثها: قوله: ﴿قل سموهم﴾ أي عينوا أسماءهم، فقولوا فلان وفلان، فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول: إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه، لأن المراد بالاسم العلم. رابعها: قوله: ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم﴾ احتجاج من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وهو المعلوم وهو كناية. خامسها: قوله: ﴿أم بظاهر من القول﴾ احتجاج من باب الاستدراج، والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير رؤية، فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه. وسادسها: التدريج في كل من الاضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها، كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز، وأنه ليس من كلام البشر، اهـ.

قوله: ﴿وما لهم﴾ خبر مقدم، و﴿واق﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿من الله﴾ متعلق به، أي ليس لهم مانع من عذاب الله إذا جاءهم. قوله: ﴿مثل الجنة﴾ مبتدأ و﴿التي﴾ صفته، و﴿وعد المتقون﴾ صلة الموصول والخبر محذوف، والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر. قوله: ﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت قصورها وغرفها. قوله: ﴿الأنهار﴾ فسرت في آية أخرى في قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الخ. قوله: ﴿أكلها دائم﴾ أي كل شيء يؤكل يتجدد غيره، فلا تنقطع أنواع مأكولاتها، فليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض الأحيان. قوله: ﴿وظلها﴾ [دائم] المراد بالظل فيها عدم الشمس، فلا ينافي أنها نورة نورها حاصل من نور العرش لأنه سقفها، ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء العرش. قوله: ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ أي مآلهم ومنتهاهم. قوله: ﴿الذين اتقوا﴾ [الشرك] تقدم أن هذا أدنى مراتب التقوى. قوله: ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ أي مآلهم ومنتهاهم.

قوله: ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ أي التوراة والإنجيل، فأل في الكتاب للجنس. قوله: [من مؤمني اليهود] أي ومؤمني النصارى، كأهل نجران والحبشة واليمن، فإنهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول، فاضت أعينهم دموعاً، كما تقدم في المائدة. قوله: [لموافقته ما عندهم] أي في التوراة والإنجيل. قوله: ﴿من ينكر بعضه﴾ أي فكانوا إذا سمعوا شيئاً يوافق هواهم سلموه وأقروا به، وإذا خالف هواهم أنكروه، فمثل القصص لا ينكرونها، ومثل الدعاء إلى التوحيد ينكرونه. قوله: [كذكر الرحمن] أي بالنسبة إلى مشركي العرب، وذلك أن رسول الله ﷺ لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه: بسم الله الرحمن، قالوا: وما نعرف الرحمن، إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، لقول بعضهم مادحاً له:

سُمِّيتَ بالمجدِ يا ابنَ الأكرمينَ أباً ... وأنتَ غيثُ الورى لا زلتَ رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله:

سُمِّيتَ بالخبثِ يا ابنَ الأخبثينَ أباً ... وأنتَ شرُّ الورى لا زلتَ شيطانا

أي بأن ﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾٣٦: مرجعي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: أي الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾: زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾: ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾٣٧: مانع من عذابه. ونزل لما عيروه بكثرة النساء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مدة ﴿كِتَابٌ﴾٣٨: مكتوب فيه تحديده ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ﴾: منه ﴿مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من

قوله: ﴿أعبد الله﴾ أي أوحِّده. قوله: ﴿إليه أدعو﴾ أي إلى عبادته وشريعته. قوله: [مرجعي] أي في الآخرة.

قوله: ﴿وكذلك﴾ مثل إنزال الكتب السابقة. قوله: ﴿حكماً عربياً﴾ حالان من الضمير في أنزلناه، والمعنى أنزلناه حاكماً بين الناس بلغة العرب، وأسند الحكم له لأنه ترجمان عن الله فطاعته طاعة الله. قوله: [فيما يدعونك إليه من ملتهم] أي كقولهم له اعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، وكالصلاة إلى بيت المقدس بعد ما حولت عنه. قوله: [فرضاً] أي على سبيل الفرض والتقدير، والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى لأن المعصوم إذا خوطب بمثل ذلك، كان المقصود غيره.

قوله: ﴿ولا واق﴾ أصله واقي، استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما.

قوله: [لما عيروه بكثرة النساء] أي حيث قالوا: لو كان مرسلاً حقاً، لكان مشتغلاً بالزهد وترك الدنيا والنساء، فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله: ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ، فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية، وكان لأبيه داود مائة امرأة، ومع ذلك فلم يقدح في نبوتهما، فكيف يجعلون ذلك قادحاً في نبوتك، واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال النبوة، فالشبهة الأولى قولهم: ﴿مَا لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾، وسيأتي ذكرها في الفرقان. الثانية قولهم: رسول الله إلى الخلق لا بد وأن يكون من جنس الملائكة، كما قالوا: ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾، وقالوا: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾، وستأتي أيضاً. الثالثة قولهم: لو كان رسولاً من عند الله لما اشتغل بالنساء. فأجاب الله بقوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ الآية. الرابعة قولهم: لو كان رسولاً من عند الله، لكان أي شيء طلبناه من المعجزات أتى به. فأجاب تعالى بقوله: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ الآية. الخامسة قولهم: لو كان رسولاً لحصل ما أوعدنا به من نزول العذاب. فأجاب الله تعالى بقوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ أي لكل حادث وقت معين، لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه. السادسة قولهم: لو كان صادقاً، ما نسخ الأحكام التي هي ثابتة في التوراة والإنجيل، وما نسخ بعض الأحكام التي جاء بها. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾.

قوله: ﴿وذرية﴾ أي وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث، وترتيبهم في الولادة هكذا: القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبد الله فإبراهيم، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية، وكلهم ماتوا في حياته إلا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر. قوله: ﴿وما كان لرسول﴾ الخ أي لم يجعل الله للرسول الإتيان بآية مما اقترحه قومه إلا بإرادته تعالى. قوله: [مربوبون] أي مقهورون مغلوبون.

قوله: ﴿لكل أجل كتاب﴾ رداً لاستعجالهم العذاب، فإنه كان يخوفهم بذلك، فاستعجلوه عناداً. قوله:

---

* أسباب نزول الآية ٣٨: وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر، فأنزل الله ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾.

الأحكام وغيرها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾٣٩: أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام
نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾: به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف
أي فذاك ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾: لا عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾٤٠: إذا
صاروا إلينا فنجازيهم ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أي أهل مكة ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾: نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا﴾:
بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ﴾: في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾: لا راد ﴿لِحُكۡمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾٤١
﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾: وليس مكرهم كمكره لأنه
تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ فيعد لها جزاءه وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون
﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكَٰفِرُ﴾: المراد به الجنس وفي قراءة الكفار ﴿لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾٤٢: أي العاقبة المحمودة في الدار

[مكتوب فيه] أي في ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ. قوله: [بالتخفيف والتشديد] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [وهو ما كتبه في الأزل] أي قدّره بمعنى تعلّق به علمه وإرادته، وما مشى عليه المفسر، من أن الصحف واللوح المحفوظ، يقع فيها التغيير والتبديل، والمراد بأم الكتاب، علم الله المتعلق بالأشياء أزلاً، هو أحد تفسيرين: إن قلت: يرد على هذا ما ورد أن الله لمّا خلق اللوح والقلم، وأمر بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن، قال رفعت الأقلام وجفت الصحف. أجيب: بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله. والتفسير الآخر: أن المحو والإثبات، يقعان في صحف الملائكة فقط، والمراد بقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ اللوح المحفوظ، وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل، والحاصل: أن ما في علم الله، لا يقبل التغيير جزماً، وما في الصحف يقبل التغيير جزماً، والخلاف في اللوح المحفوظ، والآية محتملة، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: ﴿وإما نرينك﴾ إن شرطية مدغمة في ما الزائدة كما قال المفسر، و﴿نرينك﴾ فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره نحن، والكاف مفعول أول، و﴿بعض الذي﴾ مفعول ثان، والمفعول الثالث محذوف، قدّره المفسر بقوله: [في حياتك]. قوله: [أي فذاك] مبتدأ خبره محذوف تقديره شاف صدرك من أعدائك.

قوله: ﴿أو نتوفينك﴾ معطوف على ﴿نرينك﴾ فهو شرط أيضاً، وجوابه محذوف، والتقدير فلا لوم عليك، وقوله: ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ دليل للمحذوف. قوله: [فنجازيهم] أي على أعمالهم خيرها وشرها، وقد جمع الله لنبيه بين تعذيبهم على يده في الدنيا، ومجازاة الله لهم في الآخرة. قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أينكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا، الخ. قوله: [نقصد أرضهم] أي أرض أهل مكة، فالمقصود نصر للنبي بزوال نعمة الكفار وملكه إياهم، قال تعالى ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم﴾ الآية، فالمراد بنقص أطراف الأرض ملك كبرائها وخذلانهم، وما ذكره المفسر هو أحد قولين، والآخر أن المراد بالأرض جميعها، لا خصوص أرض الكفار، وبنقص أطرافها موت العلماء والأشراف والكبراء والصلحاء، وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله، كأن الله يقول: ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة في الدنيا، من الخراب بعد العمارة، والموت بعد الحياة، والذل بعد العز؟ فإذا كان هذا مشاهداً لهم، فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزهم، ومقهورين بعد قدرتهم؟ قوله: ﴿لا معقب لحكمه﴾ أي لا مغير ولا ناقض له. قوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾ أي فيحاسبهم في زمن يسير. قوله: ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿فلله المكر جميعاً﴾ أي لأنه الخالق لهم، العالم بأحوالهم، فهو يوصل إليهم العذاب من جهة لا يعلمون بها. قوله: [فيعد لها] أي يهيىء ويحضر. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً.

الآخرة ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ﴾: لهم ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: على صدقي ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ﴾ ٤٣: من مؤمني اليهود والنصارى.

قوله: ﴿قل كفى بالله شهيداً﴾ أي لأنه الخالق للمعجزات على يدي. قوله: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية في الشهادة بيني وبينكم، وأل في الكتاب للجنس، فيشمل التوراة والإنجيل والفرقان، قوله: [من مؤمني اليهود والنصارى] أي أو مطلقاً فهو نظير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.

* *

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٤] ـ سورة إبراهيم

[مكيّة إلاّ ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين إحْدى أو ثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية]

﴿الرۤ﴾: الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾**: يا محمد **﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾**: الكفر **﴿إِلَى النُّورِ﴾**: الإيمان **﴿بِإِذْنِ﴾**: بأمر **﴿رَبِّهِمْ﴾**: ويبدل من إلى النور **﴿إِلَىٰ صِرَاطِ﴾**: طريق **﴿الْعَزِيزِ﴾**: الغالب **﴿الْحَمِيدِ﴾**[١]: المحمود **﴿اللَّهِ﴾**: بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره **﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**: ملكاً وخلقاً وعبيداً **﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ[٢] الَّذِينَ﴾**:

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم عليه السلام مكية
إلا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا﴾ الآيتين.
وهي احدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

سُميتْ بذلك لذكر قصته فيها. إنْ قلتَ: إن قصّة إبراهيمَ قد ذُكرتْ في غير هذه السورة كالأنبياء والبقرة. أجيبَ: بأنّ علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية، بل التسمية أمرٌ توقيفي. قوله: [الآيتين] أي إلى قوله تعالى **﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾**. قوله: [إحدى] الخ، أي ففي آياتها أربعة أقوال. قوله: **[هذا القرآن]** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿كتاب﴾** خبرٌ لمحذوف. قوله: **﴿أنزلناه﴾** أي لفظاً ومعنى. قوله: **﴿لتخرج الناس﴾** هذا هو حكمة الإنزال. قوله: **[الكفر]** عبّر عنه بالظلمات جمعاً لتعدد طرقه، بخلاف الإيمان فهو متّحد لا تعدد فيه، وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات؛ أنه يوصل لدار الظلمات وهي النار، وعن الإيمان بالنور لأنه يوصل إلى دار النور وهي الجنة.

قوله: **﴿بإذن ربهم﴾** فسره بالأمر، إشارة إلى أن المعنى: لنأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور. قوله: **[ويبدل من إلى النور]** أي بإعادة الجار، وهو بدل كل من كل. قوله: [طريق] **﴿العزيز﴾** أي وهو الإسلام، وسمي بذلك؛ لأنه الموصل لدار السعادة. قوله: **[بدل أو عطف بيان]** أي من العزيز، وهذا على القاعدة، من أن نعت المعرفة إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل، وتعرب هي منه بدلاً أو عطف بيان، وحينئذ فالأصل **﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾**. قوله: **[والرفع مبتدأ]** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **[ملكاً وخلقاً وعبيداً]** أي فلا شريك له في شيء من ذلك.

نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾: معوجة ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾[٣]: عن الحق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾: بلغة ﴿قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: ليفهمهم ما أتى به ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾[٤]: في صنعه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: التسع وقلنا ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾: بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾: بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: التذكير ﴿لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾[٥]: للنعم ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾: لقول بعض الكهنة أن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: الإنجاء أو

قوله: ﴿وويل﴾ قيل معناه دمار وهلاك للكافرين، وقيل واد في جهنم، لو وضعت في جبال الدنيا لذابت من حره، وهو مبتدأ، وسوغ الابتداء به قصد الدعاء. قوله: [نعت] أي للكافرين، وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي وهو قوله: ﴿من عذاب شديد﴾ فالأوضح أن يكون مبتدأ خبره ﴿أولئك في ضلال بعيد﴾. قوله: ﴿يستحبون الحياة الدنيا﴾ أي يحبونها ويألفونها زيادة على الآخرة، والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة. قوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي يمنعون الناس عن الدين الحق. قوله: ﴿ويبغونها عوجاً﴾ أي يطلبون العدول والانحراف عنها، والمعنى أنهم يضلون غيرهم، ويضلون في أنفسهم. قوله: ﴿في ضلال بعيد﴾ أي كفر مبعد لهم عن الرحمة والخير.

قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ أي محمداً أو غيره فظاهر. إن قلت: إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم، وإن كان المراد الذين أرسل لهم، فرسول الله أرسل لكافة الخلق، مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربي، وهو لسان بعض قومه. أجيب: بأن الله علمه جميع اللغات، فكان يخاطب كل قوم بلغتهم، وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية، لأنه لم يتفق أنه خاطب أحداً من أهلها، ولو خاطبه لكلمه بها. قوله: ﴿فيضل الله من يشاء﴾ استئناف مفصل لقوله: ﴿ليبين لهم﴾. ﴿وهو العزيز﴾ أي الغالب على أمره وهو كالعلة لقوله: ﴿فيضل الله من يشاء﴾ الخ. قوله: ﴿حكيم﴾ أي الذي يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ تفصيل لما أجمل في قوله ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ الآية. قوله: [التسع] تقدم منها ثمانية في الأعراف، والتاسعة في يونس. قوله: [وقلنا له] لا حاجة لتقديره، بل المناسب أن يفسر أن بأي التفسيرية، لأن ضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو ﴿أرسلنا﴾، ويصح جعلها مصدرية أي بإخراج قومك، وهذه الباء للتعدية، وفي ﴿بآياتنا﴾ للحال. قوله: [بنعمه] أي فالمراد بالأيام النعم، وعبر عنها بالأيام لحصولها فيها. قوله: ﴿لكل صبار﴾ أي كثير الصبر. وقوله: ﴿شكور﴾ أي كثير الشكر، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها. قوله: ﴿و﴾ [اذكر] خطاب للنبي ﷺ، والمعنى اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون. قوله: ﴿يسومونكم﴾ أي يذيقونكم. قوله: ﴿سوء العذاب﴾ أي العذاب السيء وهو الشديد. قوله: ﴿ويذبحون أبناءكم﴾ عطفه بالواو هنا، إشارة إلى أنه غير العذاب السيء المذكور، وأما في البقرة فهو تفسير لسوء العذاب، فصح التغاير بهذا الاعتبار، وإن كانت الصحة واحدة.

قوله: ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي للخدمة، فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن أزواجهن. قوله: [لقول بعض الكهنة] جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة، وأما العراف فهو المخبر عن الأمور الماضية. قوله: ﴿وفي

العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾: إنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[6] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾: نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾: جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دلّ عليه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[7] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾: لقومه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾[8]: محمود في صنعه بهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: استفهام تقرير ﴿نَبَأُ﴾: خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾: قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾: لكثرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾: أي الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[9]: موقع في الريبة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾: استفهام إنكار أي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾: خالق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

ذلكم بلاء من ربكم﴾ أي فالله سبحانه وتعالى، يختبر عباده بالخير والشر، قال تعالى ﴿ونبلوكم بالخير والشر فتنة﴾ لأن النعمة أو البلية، إذا أصابت الشخص فهو معرض: إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر.

قوله: ﴿وإذ تأذن ربكم﴾ من جملة كلام موسى لقومه، كأنه قيل: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾، واذكروا حين تأذن ربكم. قوله: [بالتوحيد والطاعة] أي بأن وحدتموني ودمتم على طاعتي. قوله: ﴿لأزيدنكم﴾ أي من خيري الدنيا والآخرة، فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين. قوله: ﴿ولئن كفرتم﴾ لم يصرح بالجواب في جانب الوعيد، وصرح به في جانب الوعد إشارة إلى كرمه سبحانه وتعالى، وأن رحمته سبقت غضبه، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿بيدك الخير﴾ ولم يقل وبيدك الشر. قوله: [لأعذبنكم] هذا هو جواب القسم، وحذف جواب الشرط للقاعدة أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ أي بعد أن أيس من إيمانهم. قوله: ﴿فإن الله لغني﴾ أي عن شكركم وإيمانكم. قوله: ﴿حميد﴾ أي مستحق للحمد، والمعنى: أن كفركم بالله أنتم وأهل الأرض جميعاً لا ينقص من ملكه شيئاً، وإيمانكم لا يزيد في ملكه شيئاً، بل على حد سواء، وإنما ذلك راجع إلى أنفسكم، وهو غني عنكم. قوله: ﴿ألم يأتكم﴾ من كلام موسى أيضاً، أو من كلام الله. قوله: ﴿والذين من بعدهم﴾ إما مبتدأ خبره قوله: ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ أو معطوف على قوله: ﴿قوم نوح﴾. قوله: ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ اعتراض. قوله: ﴿جاءتهم رسلهم﴾ مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما قصتهم وما شأنهم. قوله: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي لكراهتهم ذلك، فإن شأن الإنسان، إذا كره شيئاً واغتاظ منه، ولم يقدر على دفعه، يعض على يديه. قوله: [ليعضوا عليها] بفتح العين وضمها. قوله: [على زعمكم] أي وإلا فلم يعترفوا برسالة رسلهم.

قوله: ﴿وإنا لفي شك﴾ الخ أي والشك كفر، فلا ينافي قولهم ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾. قوله: [في الريبة] أي وهي عدم اطمئنان النفس إلى الشيء. قوله: ﴿قالت رسلهم﴾ أي جواباً لقول الأمم ﴿إنا كفرنا بما ارسلتم به﴾. قوله: ﴿أفي الله شك﴾ الهمزة للاستفهام، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أثبت، و﴿شك﴾ فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام، والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿شك﴾ مبتدأ مؤخر، والأولى الأول لسلامته من الفصل بين الصفة وهو ﴿فاطر﴾، والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبي وهو المبتدأ. قوله: [للدلائل الظاهرة] أي العقلية والنقلية قوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ هذا من جملة أدلة توحيده.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾: إلى طاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: مِنْ زائدة فإن الإسلام يُغفر به ما قبله أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾: بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أجل الموت ﴿قَالُوا إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠: حجة ظاهرة على صدقكم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن﴾: ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: كما قلتم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره لأنا عبيد مربوبون ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١١: يثقوا به ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾: أي لا مانع لنا من ذلك ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾: على أذاكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ١٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾: ديننا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ١٣: الكافرين ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ

قوله: ﴿يدعوكم﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿ليغفر لكم﴾ أي لا ليتكمل بطاعتكم، بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم. قوله: [من زائدة] هذا مبني على مذهب الأخفش، من أنها تزاد في الإثبات، وهي طريقة ضعيفة، فلا يناسب تخريج القرآن عليها، وقوله: [أو تبعيضية] فيه أنه ظاهر في المسلم الأصلي، وأما الكافر إذا أسلم فلا يظهر، لأن الإسلام يجب ما قبله، ولو حقوق العباد، وحينئذ فالجواب الأتم، أن تجعل ﴿من﴾ بمعنى بدل، أي يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم، أو ضمن يغفر معنى يخلص، ومن على بابها للتعدية، والتقدير ليخلصكم من ذنوبكم، ولعل هذا الجواب هو الأقرب.

قوله: ﴿ويؤخركم﴾ معطوف على يغفر، والمعنى يدعوكم إلى طاعته لأمرين: غفران ذنوبكم، وتأخير العذاب إلى أجل مسمى، بأن تعيشوا في الدنيا سالمين من الخزي، كالخسف والمسخ، فإذا متم على الإيمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين. قوله: ﴿قالوا﴾ أي الأمم، جواباً لمقالة الرسل. قوله: ﴿إلا بشر مثلنا﴾ أي فلا مزية لكم علينا فلم اختصصتم بالنبوة دوننا. قوله: ﴿أن تصدونا﴾ ﴿أن﴾ مصدرية، وتصدوا منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، ونا مفعوله. قوله: [من الأصنام] بيان لما. قوله: [حجة ظاهرة] أي غير ما جئتم به.

قوله: ﴿قالت لهم رسلهم﴾ أي جواباً لمقالتهم. قوله: ﴿ولكن الله يمن على من يشاء﴾ أي فإننا وإن كنا بشراً مثلكم، إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة، وأعطانا المعجزات على مراده، فإن آمنتم فهو خير لكم، وإن كفرتم فهو شر لكم، فلا قدرة لنا على إتيان ما تطلبونه، لأننا عبيد مقهورون. قوله: [بأمره] المناسب أن يقول بإرادته. قوله: ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ أي يفوضوا أمورهم إليه، ويصبروا على ما أصابهم. قوله: ﴿وما لنا﴾ أي أي شيء ثبت لنا. قوله: [أي لا مانع لنا من ذلك] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ أي أرشدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى. قوله: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ أي فلا نبالي بكم ولا بإذايتكم. قوله: [على أذاكم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية. قوله: ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ أي يدوموا على التوكل.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي المتعنتون المتمردون. قوله: ﴿لنخرجنكم من أرضنا﴾ أي فلا تخالطونا، بل أريحونا من هذا التعب. قوله: [لتصيرن] دفع بذلك ما يقال: إن العود يقتضي أنه سبق لهم التلبس بملتهم، مع أن الرسل معصومون من ذلك؛ فأجاب المفسر: بأن المراد بالعود الصيرورة، أي لتصيرن داخلين في ملتنا.

قوله: ﴿فأوحى إليهم﴾ أي إلى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم. قوله: ﴿لنهلكن الظالمين﴾ أي

﴿الْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد هلاكهم ﴿ذَٰلِكَ﴾: النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾: أي مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ١٤: بالعذاب ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾: استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وَخَابَ﴾: وخسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾ ١٥: معاند للحق ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾: أي أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾: فيها ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ ١٦: هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ يزدرده لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾: أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ١٧: قوي متصل ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: مبتدأ ويبدل منه ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: الصالحة كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثوراً لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾: أي الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أي لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه ﴿ذَٰلِكَ﴾

نستأصلهم بالهلاك، فلا يبقى منهم أحد. قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿لمن خاف﴾ الخ. قوله: [أي مقامه بين يدي] أي موقفه عندي يوم القيامة. قوله: [وخاف وعيد] [بالعذاب] في هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده؛ لأن العطف يقتضي المغايرة. قوله: ﴿واستفتحوا﴾ أي طلب الرسل الفتح من الله، لما أيسوا من إيمان قومهم. قوله: [استنصر الرسل] أي طلبوا من الله النصر.

قوله: ﴿وخاب﴾ معطوف على مقدر، والتقدير فنصروا وخاب الخ. قوله: [خسر] أي في الدنيا والآخرة. قوله: [متكبر عن طاعة الله] أي متعظم في نفسه محتقر لما سواه. قوله: [أي أمامه] أي فالوراء يستعمل في الأمام والخلف، فهو من الأضداد، وقيل هو اسم لما توارى عنك، سواء كان من خلفك أو من أمامك. قوله: ﴿صديد﴾ بدل أو عطف بيان. قوله: [هو ما يسيل] الخ، وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر. قوله: ﴿يتجرعه﴾ أي يكلف تجرعه ويقهر عليه.

قوله: ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي لا يقرب من إساغته: قال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرعه﴾ قال «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه، شوى وجهه ووقعت فروة رأسه أي جلدتها بشعرها، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» كما قال ﴿وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾، وقال ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾.

قوله: ﴿وما هو بميت﴾ أي فيستريح، قال ابن جريج: تعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة. قوله: [بعد ذلك العذاب] أشار بذلك إلى أن الضمير في ورائه عائد على العذاب، وقيل عائد على كل جبار، والمعنى: ويستقبل في كل وقت عذاباً أشد مما هو فيه، كالحيات والعقارب والزمهرير، وغير ذلك، أجارنا الله من ذلك. قوله: [متصل] أي لا ينقطع بل هو دائم مستمر. قوله: [ويبدل منه] أي من الموصول، والأصل مثل أعمال الذين كفروا. قوله: [في عدم الانتفاع بها] أي فهي وإن كانت أعمال بر، إلا أنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره، ولأن كفره أحبطها وأبطلها، وإنما جزاؤها إن كانت لا تتوقف على الإسلام يكون في الدنيا بتوسيع الرزق والعافية في البدن.

قوله: ﴿اشتدت به الريح﴾ أي حملته وذهبت به. قوله: [لعدم شرطه] أي وهو الإيمان. قوله: ﴿البعيد﴾ أي

﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾: الهلاك ﴿ٱلْبَعِيدُ﴾١٨ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر يا مخاطب استفهام تقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بخلق ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾١٩ بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾٢٠: شديد ﴿وَبَرَزُوا۟﴾: أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا۟﴾: أي المتبوعون ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: لدعوناكم إلى الهدى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾: زائدة ﴿مَّحِيصٍ﴾٢١: ملجأ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾: بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾: أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن﴾: زائدة

الذي لا يرجى زواله. قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر، فليس خاصاً بالنبي ﷺ. قوله: [تنظر] أي تبصر وتتأمل ببصيرتك، فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات. قوله: [استفهام تقرير] أي والمعنى أقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تعاند، فإن القادر على خلق السموات لا يعجزه شيء، فهو حقيق بالعبادة دون غيره. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء إما للسببية أو الملابسة، والمعنى خلق السموات والأرض بسبب الحق أو ملتبساً بالحق، أي الحكمة الباهرة لا عبثاً. قوله: [متعلق بخلق] أي أو بمحذوف حال من فاعل.

قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أي يعدمكم، فإن القادر لا يصعب عليه شيء، قال تعالى ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين﴾. قوله: ﴿وما ذلك﴾ أي الإذهاب والإتيان بشديد على الله، قال تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: ﴿وبرزوا﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار، مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة، والبروز الظهور، والمعنى يظهرون بين الخلائق، فلا يغيب لهم شيء من أوصافهم أبداً. قوله: [خرجوا] أي من القبور للحساب والجزاء. قوله: [والتعبير] الخ، جواب عما يقال: إن هذه الأشياء لم تحصل. فأجاب: بأن ذلك لتحقق الوقوع، أي لأن الله سبحانه وتعالى، عالم بما كان وما يكون وما هو كائن، فالماضي والمستقبل في علمه على حد سواء.

قوله: ﴿قال الضعفاء﴾ أي في الرأي. قوله: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ أي في تكذيب الرسل والدخول في دينكم. قوله: [من الأولى للتبيين] الخ، أي والكلام فيه تقديم وتأخير، والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله. قوله: ﴿قالوا﴾ أي جواباً لهم، واعتذاراً عما فعلوا بهم. قوله: ﴿لو هدانا الله﴾ أي لو وصلنا الله لدار السعادة في الدنيا بالإيمان لهديناكم، لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم، فاخترنا لكم ما لأنفسنا. قوله: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ هذا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء، ويؤيده ما روي أنهم يقولون: تعالوا نجزع، فيجزعون خمسمائة عام، فلا ينفعهم، فيقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون كذلك، فلا ينفعهم ثم يقولون ﴿سواء علينا﴾ الخ، والجزع: القلق وعدم تحمل الشدائد. قوله: [ملجأ] أي محل هروب نلتجىء له.

قوله: ﴿وقال الشيطان﴾ الخ، أي حين يوضع له منبر من نار في النار، فيجتمع عليه أهل النار يلومونه، فيقول لهم ﴿إن الله وعدكم﴾ الخ. قوله: ﴿لما قضي الأمر﴾ أي نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. قوله: ﴿وعد الحق﴾ أي الوعد الثابت الناجز، وليس المراد الوعد بالخير، بل المراد به الجزاء والبعث. قوله: [فصدقكم] أشار بذلك إلى أن في الكلام حذفاً بدليل ﴿فأخلفتكم﴾. قوله: [أنه غير كائن] قدره إشارة إلى أن مفعول

﴿سُلْطَانٍ﴾: قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم﴾: على إجابتي ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: بفتح الياء وكسرها ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٢٢: مؤلم ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾: حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾: من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَٰمٌ﴾ ٢٣ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: ويبدل منه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: أي لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾: غصنها ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ٢٤ ﴿تُؤْتِيٓ﴾: تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء وينال بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾: يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾

وعد الثاني محذوف. قوله: ﴿فأخلفتكم﴾ أي تبين خلافه. قوله: [لكن] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن دعوته ليست من جنس السلطان.

قوله: ﴿فلا تلوموني﴾ أي على وسوستي لكم. قوله: ﴿ولوموا أنفسكم﴾ أي وبخوها على اتباعي، فإني لم أكن مكرهاً لكم على اتباعي، بل جاءتكم البينات والرسل، وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله، فتركتموها واتبعتموني. قوله: [على اجابتي] أي ومخالفة ربكم. قوله: [بمغيثكم] أي من العذاب. قوله: [بفتح الياء وكسرها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والأصل بمصرخين لي، حذفت اللام للتخفيف، والنون للإضافة، فاجتمع مثلان أدغم أحدهما في الآخر، فحركت ياء الإضافة بالفتح طلباً للخفة على إحدى القراءتين، وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى.

قوله: ﴿إني كفرت بما أشركتمون﴾ أي تبرأت وأنكرت إشراككم إياي مع الله، حيث اطعتموني في وسوستي لكم بالشرك، فكأنهم أشركوه مع الله. قوله: [قال تعالى] أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس، وقيل من كلامه. قوله: ﴿وأدخل الذين آمنوا﴾ لما ذكر أحوال الأشقياء، شرع في ذكر أحوال السعداء. قوله: [حال مقدرة] أي مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم. قوله: ﴿بإذن ربهم﴾ متعلق بأدخل. قوله: [من الله] قال تعالى ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾. قوله: [ومن الملائكة] قال تعالى ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم﴾.

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخطاب إما للنبي، أو لكل من يتأتى منه الخطاب. قوله: ﴿مثلاً﴾ المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه. قوله: [أي لا إله إلا الله] خصها بالذكر لأنها مفتاح الجنة، ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بها، وقيل كل كلمة حسنة، كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك. قوله: ﴿أصلها ثابت﴾ أي عروقها ثابتة في الأرض ماكثة فيها، حتى أنها لا تحتاج لسقي، بل تشرب من عروقها. قوله: ﴿وفرعها في السماء﴾ أي لجهة العلو.

قوله: ﴿كل حين﴾ اختلف في مقداره، فقيل الحين كل سنة، لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة، وقيل ستة أشهر، لأنه من وقت طلعها إلى طيبها كذلك، وقيل ثمانية أشهر لأن حملها ظاهراً وباطناً كذلك، وقيل أربعة أشهر، لأنه من حين ظهورها إلى إدراكها كذلك، وقيل شهران، لأن من وقت أكلها إلى قطع ثمرها كذلك، وقيل كل وقت، لأن ثمر النخل يؤكل دائماً، فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر، وهو الأولى. قوله: [وعمله يصعد إلى السماء] قال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ ووجه الشبه بين الإيمان والشجرة أن الشجرة

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٥ : يتعظون فيؤمنون ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ : هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ : هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ : استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ٢٦ : مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ : هي كلمة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ : أي القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ : الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ٢٧ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ : أي شكرها ﴿كُفْرًا﴾ : هم كفار قريش ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ : أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ : بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ ٢٨ : الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ : عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ : يدخلونها ﴿وَبِئْسَ

لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل، والإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان، فإذا أكثر الإنسان من ذكر هذه الكلمة، ظهرت عليه أنوارها، ولمعت في فؤاده أسرارها، فدام نفعه بها في العاجل والآجل، ومن هنا اختص الصوفية بها، بمعنى أنهم تلقوه عن أشياخهم بالسند المتصل وتعلقوا بها، فصارت شعارهم ودثارهم، ولذا قال السنوسي: فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضراً، لما احتوت عليه من المعاني، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب، ما لا يدخل تحت حصر. قوله: [هي كلمة الكفر] أي كل ما يدل عليه. قوله: [هي الحنظل] حكمة التشبيه بها، أنها لا تغوص في الأرض، بل عروقها في وجه الأرض، ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء، بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ، وثمرها رديء، وتسميتها شجراً مشاكلة، لأنها من النجم لا من الشجر، لأن الشجر ما له ساق، والنجم ما لا ساق له. قوله: اجتثت أي قلعت جثتها، والمعنى على التشبيه، أي كأنها لعدم ثبات أصلها وامتداده في الأرض كالشيء المقلوع جثته. قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ هذا راجع للمثل الأول. قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي فلا يتزلزلون عن الدين إذا ابتلوا بالمصائب، كالقتل، وأخذ المال، وفقد الأحباب، والفتنات عند الممات، وغير ذلك، وهذه بشرى للمؤمنين، بأن إيمانهم ثابت في قلوبهم، لا يتزلزل أبداً بل يثبتهم الله دنيا وأخرى. قوله: [أي في القبر] خصه بالذكر لأنه بعد سؤاله لا يفتنون في التوحيد، وإنما يكون حسابهم في الموقف على فروع الدين. قوله: [لما يسألهم الملكان] أي حين يحيي الله الميت، حتى يسمع قرع من كان ماشياً في جنازته، فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فيقولان له: نم نومة العروس، قد علمنا إن كنت لموقناً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فقلت مثل ما يقولون، فيضربانه بمطراق من نار، فيصيح صيحة يسمعه من في الأرض غير الثقلين، ويقولان له: لا دريت ولا تليت. قوله: ﴿ويفعل ما يشاء﴾ أي يحكم لا معقب لحكمه، وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره: لم هدى هؤلاء، وأضل هؤلاء؟ فأجاب: بأنه يفعل ما يشاء، فلا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿ألم تر﴾ استفهام تعجيب، وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل. قوله: [أي شكرها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [هم كفار قريش] أي فنعم الله التي بدلوا شكرها كفراً كون نسبهم أشرف الأنساب، وبلدهم أشرف البلاد، وكون الخلق تسعى إليهم ولا يسعون، فبدلوا ذلك، حيث كذبوا خير الخلق، وعبدوا الأصنام. قوله: ﴿قومهم﴾ أي أتباعهم. قوله: ﴿دار البوار﴾ يقال بار يبور بواراً بالضم هلك، وبار الشيء

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ الآية.

﴿ٱلْقَرَارُ﴾٢٩: المقر هي ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾: بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾: دين الإسلام ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿تَمَتَّعُوا﴾: بدنياكم قليلا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾: مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾٣٠ ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾: فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾٣١: مخالة أي صداقة تنفع هو يوم القيامة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ

بواراً كسد، فأطلق اللازم وأريد الملزوم، لأنه يلزم من الكساد الهلاك. قوله: ﴿يصلونها﴾ حال من القوم.

قوله: ﴿وجعلوا﴾ عطف على ما بدلوا. قوله: ﴿أندادا﴾ جمع ند بمعنى النظير. قوله: ﴿ليضلوا﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، لأن اتخاذهم الأنداد ليس لأجل الضلال، بل لكونهم يقربونهم إلى الله زلفى. قوله: [بفتح الياء وضمها] أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى ليضلوا في أنفسهم وهذا على الفتح، أو ليضلوا غيرهم وهذا على الضم. قوله: [بدنياكم] أي أو بعبادتكم الأصنام، لأنها من جملة الشهوات التي يتمتع بها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذا تهديد لكل ظالم. قوله: ﴿فإن مصيركم إلى النار﴾ أي مآلكم إليها.

قوله: ﴿قل لعبادي﴾ بثبوت الياء مفتوحة، وبحذفها لفظاً لا خطاً، قراءتان سبعيتان هنا وفي أربعة مواضع من القرآن، في سورة الأنبياء في قوله: ﴿إن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾. وفي العنكبوت في قوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾. وقوله في سبأ ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾. وقوله في سورة الزمر ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾. والإضافة في عبادي للتشريف، ولذا قال العارف:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيا

قوله: ﴿الذين آمنوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان، وفي ذلك إشارة إلى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر، لا تكون إلا لمن اتصف بالإيمان، فلا تنفع الكافر في حال كفره، فلا ينافي أنه مخاطب بفروع الشريعة، لكن لا تصح منه إلا بالإسلام، وفائدة خطابه بها أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر، بدليل قوله تعالى ﴿ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين﴾ الآية. قوله ﴿وينفقوا مما رزقناهم﴾ أي النفقة الواجبة كالزكاة، والمندوبة كالتطوعات. قوله ﴿سراً وعلانية﴾ أي فالإنسان مخير في الاتفاق، إما سراً، أو جهراً، لكن الأفضل في الواجبة الجهر، لئلا يتهم بقلة الدين، وفي التطوعات السر لكونه أقرب إلى الإخلاص. قوله: [فداء] مشى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء، ومشى غيره على إبقاء البيع على ظاهره، أي لا شيء يباع فيه للفداء. قوله: [مخالة] أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿خلال﴾ مصدر بمعنى المخالة، وقال غيره إن خلال جمع خلة، كقلال جمع قلة. قوله: [أي صداقة تنفع] هذا محمول على الكفر بدليل آية الزخرف ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾، فالمتقون لهم الأخلاء يوم القيامة، وفي القبور، وفي كل موطن مخوف، والكفار قد تقطعت بهم الأسباب، فليس لهم أخلاء نافعون أصلاً.

قوله: ﴿الله الذي خلق﴾ شروع في ذكر دلائل وحدانيته تعالى، واتصافه بالكمالات، وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة. قوله: ﴿من السماء ماء﴾ أي فمنها المطر من السماء، كما ذكره أهل السنة. قوله: ﴿من الثمرات﴾ المراد بها ما يشمل المطعوم والملبوس. قوله: ﴿رزقاً لكم﴾ حال من الثمرات. قوله: [السفن] أي الكبار والصغار،

﴿ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ ٣٢ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾: جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾: لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ ٣٣ لتبتغوا فيه من فضله ﴿وَآتاكم مِن كل ما سألتموه﴾: على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: بمعنى إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تطيقوا عدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ٣٤: كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: مكة ﴿آمِنًا﴾: ذا أمن وقد أجاب

قوله: [بالركوب] أي على ظهرها، قوله: [والحمل] أي حمل الأثقال من محل إلى آخر.

قوله: ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ جمع نهر، أي ذللها لكم في جميع الأرض على ما تشتهي أنفسكم. قوله: ﴿دائبين﴾ الدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة، والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله، لا يخلقان ولا يفتران عن سيرهما إلى آخر الدهر، فالشمس نعمة النهار، والقمر نعمة الليل، وهما منافع للعالم، بهما يهتدون، ويعرفون السنين والحساب، وتطيب ثمارهم وزروعاتهم، فهما سبب عادي لنفع العالم، يوجد النفع عندهما لا بهما. قوله: [لا يفتران] أي لا يضعفان ولا ينكسران. قوله: [في فلكهما] أي محلهما ومقرهما، وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر. قوله: [لتسكنوا فيه] أي تطمئنوا فيه من تعب النهار. قوله: [لتبتغوا من فضله] أي تسعوا في معايشكم ومعادكم، قال تعالى ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾.

قوله: ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ عطف عام على خاص، و﴿من﴾ قيل صلة على مذهب الأخفش، من زيادتها في الإثبات، أي آتاكم كل ما سألتموه، وقيل تبعيضية، أي آتاكم بعض كل ما سألتموه، أي احتجتم إليه، ولو لم يحصل سؤال بالفعل، فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم إليه، فإن الله أعطانا النعم من غير سؤال منا، والمعنى أعطى الله كل فرد، فرد، بعض كل ما يحتاج إليه العالم، فأصول النعم اشترك فيها جميع العالم، عقلاء وغيرهم، مسلمين وكفاراً، وما يحتمل أنها موصولة وهو الأتم، والتقدير بعض كل ما سألتموه، أو مصدرية، والتقدير بعض كل مسؤولكم. قوله: [على حسب مصالحكم] جواب عما يقال: إن الإنسان لم يعط بعض كل ما سأل، فإنه قد يسأل السلطنة مثلاً ولا يعطاها، فأجاب: بأن هذه العطية ليست على حسب ما يصلح للعبد، بل على حسب مراد الله تعالى، فعطاياه سبحانه وتعالى، على حسب مراده في خلقه، فمنهم من جعل رزقه واسعاً، ومنهم من جعل رزقه ضيقاً، وهكذا.

قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ أي أفرادها فإنها غير متناهية. قوله: [بمعنى إنعامه] أشار بذلك إلى أن المراد بالنعمة الإنعام، وهو صفة فعل، ودفع بذلك ما يقال، كيف يقول الله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾، مع أن كل نعمة دخلت الوجود متناهية ويمكن عدها؟ فأجاب: بأن المراد بالنعمة الإنعام، بمعنى تجددها شيئاً فشيئاً. قوله: [الكافر] المراد به أبو جهل، لأنها نزلت فيه، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ ﴿إذ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر] وهو خطاب للنبي ﷺ، أي اذكر لهم قصة إبراهيم، ودعواته لساكني البيت الحرام ولبنيه، لعلهم يعتبرون، فينزجروا عما هم عليه، فإن لم يعتبروا، فقد تعرضوا لما يحل بهم. قوله: ﴿هذا البلد﴾ قال الأشياخ: حكمة تعريف البلد هنا، وتنكيرها في البقرة، أن إبراهيم تكرر منه الدعاء، فما في البقرة كان قبل بنائها، فطلب من الله أن يجعل بلداً، وأن تكون آمناً، وما هنا

اللهَ دُعاءه فجعله حَرَماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يُظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾: بَعِّدني ﴿وَبَنِيَّ﴾: عن ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾: أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾: على التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾: من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٦﴾: هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾: أي بعضها وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي

بعد بنائها، فطلب من الله أن تكون آمناً. قوله: [لا يسفك فيه دم إنسان] أي لا يتمكن منه جبار، بقصد إهانة البيت وأهله، وما وقع من الحجاج، في مقاتلته لابن الزبير، وهدمه للبيت، إنما كان بقصد التعظيم للبيت، بسبب دعواه أن ابن الزبير كان مخطئاً في بنائه البيت على قواعد إبراهيم، وقوله: [لا يسفك فيه دم إنسان] أي ولو قصاصاً، وهو مذهب أبي حنيفة، وإنما يضيق عليه ليخرج، فإذا خرج اقتص منه. قوله: [ولا يظلم فيه أحد] أي ومن تجرأ وظلم فيه، فقد تعرض لعذاب الله، قال تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾. قوله: [ولا يصاد صيده] أي يحرم صيد البر في الحرم، على كل شخص محرماً أو غيره. قوله: [ولا يختلى خلاه] أي لا يقطع حشيشه النابت بنفسه، واستثنى العلماء من ذلك الإذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محله لأنه ينبغي توسعته. إن قلت: إن قوله: ﴿آمناً﴾ يعارضه ما روي: أن ذا السويقتين يخرب البيت، ويخيف أهله في آخر الزمان. أجيب: بأن معنى الأمن الطمأنينة، ظاهراً وباطناً، من سطوات الخالق والمخلوق، للحيوان العاقل، وغيره غالباً، فلا ينافي حدوث النوادر من بعض الجبابرة. وأجيب أيضاً: بأن المراد الأمن من الخراب إلى قرب الساعة، فإن ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة، بعد موت عيسى عليه السلام.

فائدة: قول إبراهيم ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ الخ يقتضي أن دأبه الدعاء، وما ورد من قوله حين ألقي في النار: حسبي من سؤالي علمه بحالي، يقتضي أنه لم يكن دأبه الدعاء، فما السر في ذلك؟ أجيب: بأنه كان في زمن إلقائه في النار في مقام الفناء والسكر، وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق، فلا يشهد أثراً، وفي زمن دعائه في مقام البقاء وجمع الجمع، وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها، فمقامه في حال دعائه أعلى وأجل من مقامه في حال تركه له، ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام، بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم، فالأولياء وإن عظموا لا يصلون لأدنى رتب الأنبياء، وأما قول أبي الحسن الشاذلي: واقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ، فمعناه قرباً يليق بي، لا كقرب الخليل، فقد طلب من الله أن يذيقه قطرة من بحار تجلياته التي تجلى بها على الخليل حتى أسكره، فلم يشهد شيئاً سواه.

قوله: ﴿واجنبني وبني﴾ المراد أولاده وأولاد أولاده، كإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط. إن قلت: إن الأنبياء معصومون من الشرك، ففي دعائه تحصيل الحاصل. والجواب الأتم أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع، مع كونه يعلم عصمة نفسه، ويقال مثل هذا في دعوات باقي الأنبياء بالنجاة، مما هم معصومون منه، كعذاب النار، وغضب الجبار، ونحو ذلك.

قوله: ﴿رب إنهن﴾ كرر النداء تأكيداً. قوله: [بعبادتهم لها] أشار بذلك إلى أن نسبة الإضلال للأصنام مجاز، لأنها سبب في الضلال بسبب عبادتها. قوله: ﴿فإنه مني﴾ أي منسوب لي وملحق بي. قوله: [هذا قبل علمه] الخ. جواب عما يقال: إن الله لا يغفر الشرك، فكيف يقول ﴿فإنك غفور رحيم﴾؟ وأجيب أيضاً: بأن قوله ﴿ومن عصاني﴾ أي بغير الكفر، وبأن طلب الغفران لذريته الكفار إن ماتوا على الإسلام. قوله: [وهو إسماعيل مع أمه هاجر] وسبب ذلك الإسكان، أن هاجر كانت جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم، فولدت منه إسماعيل، فغارت سارة منها، لأنها لم تكن

زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: الذي كان قبل الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾: قلوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ﴾: تميل وتحن ﴿إِلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ٣٧: وقد فعل بنقل الطائف إليه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾: نسر ﴿وَمَا

قد ولدت قط، فأنشدته بالله أن يخرجهما من عندها، فأمره الله تعالى بالوحي أن ينقلها إلى أرض مكة، وأتى له بالبراق، فركب عليه هو وهاجر والطفل، فأتى من الشام ووضعهما في مكة عند البيت مكان زمزم، وليس بمكة أحد، ولا بناء ولا ماء، ثم قام إبراهيم منطلقاً، فتبعته هاجر وقالت: أين تذهب وتتركني بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء؟ فلم يلتفت، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعني ثم رجعت، فانطلق إبراهيم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: ﴿ربنا إني أسكنت﴾ الخ. قوله: ﴿بواد﴾ أي في واد، والوادي هو المنخفض بين الجبلين. قوله: ﴿غير ذي زرع﴾ أي لا يصلح للزرع به، لكونه أرضاً حجرية لا تنبت شيئاً. قوله: [الذي كان قبل الطوفان] أشار بذلك، إلى أن تسميته بيتاً محرماً فيه مجاز باعتبار ما كان، ويصح أن يكون مجازاً، باعتبار ما يؤول إليه الأمر، لأن الله أوحى إليه وأعلمه، أن هناك بيتاً حراماً، وأنه سيعمره.

قوله: ﴿ربنا﴾ كرر النداء لأن الدعاء ينبغي فيه الأطناب وكثرة الأبتهال. قوله: ﴿ليقيموا الصلاة﴾ اللام لام كي متعلقة بأسكنت، والمعنى أسكنتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفق، ليشتغلوا بأشرف العبادات في أشرف الأماكن، والمراد من الدعاء بإقامة الصلاة توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل. قوله: ﴿تهوي﴾ القراء السبعة على كسر الواو، أي تسرع وتطير شوقاً إليهم، وقرئ شذوذاً بفتح الواو، وخرجت على زيادة إلى، أي تهواهم، وخص الأفئدة بالذكر، لأن القلوب سلاطين الأعضاء، فإذا حنت إليهم القلوب، سعت لهم الأجساد قهراً. قوله: [تميل وتحن] أشار بذلك إلى أنه ضمن تهوي معنى تميل، فعداه بإلى، وإلا فهو يتعدى باللام، وفي هذا دعاء للمؤمنين، بأن يرزقهم الله حج البيت، ودعاء لسكان مكة من ذريتهم بميل الناس إليهم، ليرتفقوا وينتفعوا بهم، فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس ولذريته. قوله: [لو قال أفئدة الناس] الخ، أي ولكنه لم يقل ذلك، فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى، أنه لا يحن إليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم، فإبراهيم دعا بما سيحصل في الخارج، المطابق لما علمه الله.

قوله: ﴿لعلهم يشكرون﴾ أي يصرفون النعم في مصارفها. قوله: [وقد فعل بنقل الطائف إليه] أي وهو قطعة من أرض الشام، من مكان يقال له حوران، بدلت بقطعة من الحجاز، فصارت العيون والأشجار بالطائف، والحجارة والحصا والقفر بأرض حوران، يشاهده كل من رآه، وهو إجابة قوله ﴿وارزقهم من الثمرات﴾، وأما قوله: ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ الخ، فقد حصل مبدأ إجابته بجرهم، وذلك أن إبراهيم لما وضع إسماعيل وأمه، تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء، فلما نفد الماء، عطشت هي وولدها، فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطت ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت، هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، ولذلك شرع السعي بينهما سبعاً فعند ذلك جاء جبريل، وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زمي زمي، وفي الحديث «يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم لكانت عيناً معيناً» فجعلت تشرب منه، فمكثوا كذلك، حتى مرت بهم قبيلة من جرهم، كانوا ذاهبين إلى الشام، فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، فقالوا لها: أشركينا في مائك، نشركك في ألباننا، ففعلت، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فلما شب إسماعيل، تعلم منهم العربية وكان أنفسهم، فزوجوه بامرأة منهم، وماتت أمه وما تزوج.

قوله: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ أي تعلم ما نسره من جميع أمورنا وما نظهره منها، أو المعنى تعلم

نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ ٣٨: يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي﴾: أعطاني ﴿عَلَى﴾: مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ﴾: وَلِدَ وله تسع وتسعون سنة ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾: وَلِدَ وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ﴾ ٣٩ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾: اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾: مَنْ يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ ٤٠: المذكور ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرىء والدي مفرداً وولدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾: يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾ ٤١: قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾: بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ٤٢: لهول ما ترى يقال شخص

ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع. وما نعلن، أي من قول هاجر آلله أمرك بهذا؟ وقولي لها نعم. قوله: [يحتمل أن يكون] أيْ قوله: ﴿وما يخفى على الله من شيء﴾ الخ، فعلى الأول: هو اعتراض بين كلامي إبراهيم، وعلى الثاني: ففيه وضع الظاهر موضع المضمر.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ الخ هذا قاله إبراهيم في وقت آخر بعد الدعاء، فإنه حين الدعاء، لم يكن إسحاق موجوداً، بل كان إسماعيل فقط طفلاً، وحين الحمد كان إسحاق موجوداً، ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة. قوله: ﴿إن ربي لسميع الدعاء﴾ مجيبه. قوله: ﴿مقيم الصلاة﴾ أي مواظباً عليها، بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿و﴾ [اجعل] ﴿من ذريتي﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿ومن ذريتي﴾ معطوف على الياء في اجعلني، فيكون الفعل مسلطاً عليه. قوله: ﴿وتقبل دعائي﴾ بثبوت الياء وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿ربنا اغفر لي﴾ إن قلت كيف يطلب المغفرة، مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب؟ أجيب: بأن المغفرة لا تستدعي سبق ذنب، بل تكون من الطاعات، كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه، فيستغفر الله مما كان فيه، على حد ما قيل في قوله ﷺ «إني ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة». قوله: [هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله] جواب عما يقال: كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كافران. قوله: [وقرىء] أي شذوذاً في هذه والتي بعدها، وقرىء شذوذاً أيضاً وولدي بضم الواو وسكون اللام، فالقراءات الشواذ ثلاث: والدي مفرداً، وولدي بالتثنية، وولدي جمع ولد. قوله: [يثبت] أي يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة، والله لا يرد دعاء خليله إبراهيم، ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة.

قوله: ﴿ولا تحسبن﴾ بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان في هذه، وفي قوله الآتي ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ وفي هذه الآية تسلية لكل مظلوم، ووعيد عظيم لكل ظالم، فإن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فإنها وإن كان نزولها في حق كفار قريش، إلا أن المراد عمومها لكل ظالم، لأن كل آية وردت في الكفار فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين. قوله: ﴿غافلاً﴾ الغفلة في الأصل معنى يعتري الإنسان من قلة التحفظ، وقيل معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وهذا المعنى في حق الله مستحيل فظنه كفر، بل المراد لازم الغفلة، وهو عدم المجازاة، لأنه يلزم من الغفلة عن الشيء تركه، فالمعنى لا تحسبن الله يا مخاطب تاركاً مجازاة الظالمين، بل مجازيهم ولا بد، وإمهالهم مدة حلم منه، وسيخرجهم منه في الآخرة لما ورد «الظلمة وأعوانهم كلاب النار». قوله: [من أهل مكة] خصهم بالذكر، وإن كان المراد العموم، لأن الآية نزلت فيهم.

قوله: ﴿إنما يؤخرهم﴾ في معنى التعليل لقوله: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً﴾ الخ، والتقدير: لا تظن أن الله تارك

بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾: قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ ٤٣: خالية من العقل لفزعهم ﴿وَأَنذِرِ﴾: خوّف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾: الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾: بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾: بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾: فيقال لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾: حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾: في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾: زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ ٤٤: عنها إلى الآخرة ﴿وَسَكَنتُمْ﴾: فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾: بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾: بيّنا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ ٤٥: في القرآن فلم تعتبروا ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾: بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾: حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: أي علمه أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾: ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾: وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ٤٦: المعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع

مجازاتهم، ولا تحزن بتأخير العذاب، لأن تأخيره للتشديد والتغليظ. قوله: ﴿ليوم﴾ أي لأجل حصول يوم، أو اللام بمعنى إلى التي للغاية. قوله: ﴿تشخص فيه الأبصار﴾ أي فلا تقر في أماكنها. قوله: [مسرعين] أي إلى الداعي وهو إسرافيل، وقيل جبريل حيث ينادي على صخرة بيت المقدس، وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ إسرافيل في الصور. قوله: [حال] أي من المضاف المحذوف، والتقدير تشخص فيه أبصارهم، حال كون أصحاب الأبصار مهطعين الخ.

قوله: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ أي لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول، وهو تأكيد لشخوص البصر. قوله: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ إما مستأنف أو حال. قوله: [خالية من العقل لفزعهم] أي خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة، والمعنى أن القلوب حينئذ تكون فارغة من الإدراك والفهم، والأبصار شاخصة، والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته. قوله: ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ مفعول ثان لأنذر على حذف مضاف، أي أنذرهم هوله وشدته.

قوله: ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ فيه إظهار في مقام الاضمار، لزيادة التشنيع عليهم. قوله: ﴿إلى أجل قريب﴾ أي أخر العذاب عنا، وردنا إلى الدنيا مدة من الزمان، نستدرك فيها ما فات. قوله: ﴿نجب دعوتك﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: [فيقال لهم] القائل لهم الملائكة أو الله. قوله: [حلفتم] أي كما حكى الله عنهم ذلك في سورة النحل بقوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾. قوله: ﴿وسكنتم﴾ معطوف على ﴿أقسمتم﴾. قوله: ﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ المراد بمساكنهم دار الدنيا، لا خصوص منازل الذين ظلموا، فإن كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم. قوله: [السابقة] أي كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم. قوله: ﴿وتبين لكم﴾ أي حالهم وخبرهم. قوله: [من العقوبة] بيان لقوله: ﴿كيف فعلنا بهم﴾.

قوله: ﴿وقد مكروا﴾ أي أهل مكة. قوله: [حيث أرادوا قتله] الخ، أي حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون في شأنه، وقد تقدم ذلك في الأنفال في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الخ. قوله: [ما] ﴿كان﴾ فسر إن بما، لأن اللام في لتزول لام الجحود، وهي لا تقع إلا بعد كون منفي بما أو لم. قوله: [لا يعبأ به] أي لا يلتفت إليه. قوله: [والمراد بالجبال هنا] أي ففيها قولان: قيل المراد حقيقتها، وقيل شرائع الإسلام، فهي مستعملة في مجازها. قوله:

الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات وفي قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وعلى الأول ما قرىء وما كان ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ بالنصر ﴿إن الله عزيز﴾: غالب لا يعجزه شيء ﴿ذو انتقام﴾ ٤٧: ممن عصاه اذكر ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾: هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ؟ قال: «على

[في القرار والثبات] هذا هو وجه الشبه بينهما. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً. قوله: [فإن مخففة] أي واللام في لتزول فارقة. قوله: [والمراد تعظيم مكرهم] أي على هذه الثانية فتحصل أن المعنى على القراءة الأولى ما كان مكرهم مزيلاً للجبال، لضعفه وعدم العبرة به، وعلى الثانية: والحال أن مكرهم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته، والمكر على القراءتين قيل تشاورهم في شأن النبي، وقيل كفرهم، ولكن القول الثاني، يوافق القراءة الثانية، بدليل آية ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا﴾. قوله: [وعلى الأولى] أي القراءة الأولى وهي النافية. قوله: [ما قرىء] أي الذي قرىء وهي قراءة شاذة.

قوله: ﴿فلا تحسبن الله﴾ هذا مفرع على قوله ﴿ولا تحسبن الله غافلا﴾ وهو تسلية للنبي ﷺ وتهديد للظالمين.

قوله: ﴿مخلف وعده رسله﴾ القراءة السبعية بإضافة مخلف إلى وعده ورسله بالنصب، وقرىء شذوذاً بإضافته إلى رسله ونصب وعده، فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول، وهذا نظير قراءة ابن عامر في الأنعام: قتل أولادهم شركائهم. قوله: [اذكر] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿يوم﴾ ظرف معمول لمحذوف، ويصح أن يكون معمولاً لقوله: ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾، ويصح أن يكون بدلاً من يوم الأول في قوله: ﴿يأتيهم العذاب﴾.

قوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ اختلف المفسرون في هذا التبديل، فقيل: المراد تبدل صفاتهما فتسوى الجبال، وتقلع الأشجار، وتنشق الأنهار، وتذهب الكواكب من السماوات وتكسف شمسها ويخسف قمرها، وقيل: تبدل ذاتهما، فتبدل الأرض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم، وتبدل السماوات بسماء من ذهب، وعلى هذا القول، فالخلائق يكونون قيل: على الصراط وما زاد منهم يكون على متن جهنم، وقيل يكون في ظلمة قبل المحشر، وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا، وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولاً قبل نفخة الصعق، وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية. قوله: [فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية] أي ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس والضحاك، أن الخلائق إذا جمعوا في صعيد واحد، الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله، بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم، فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين، إنساً وجناً، ووحشاً وطيراً، وحولوهم إلى الأرض التي تبدل، وهي أرض بيضاء من فضة نورانية، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة، فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله يأمر بملائكة السماء الثانية، فيحدقون بهم حلقة واحدة، وإذا هم مثلهم عشرين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة، فيحدقون من وراء الكل بهم حلقة واحدة، فإذا هم مثلهم ثلاثين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة، فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة، فيكونون مثلهم خمسين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم ستين مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة، فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة، وهم مثلهم سبعين مرة، والخلق تتداخل وتندمج، حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان، وإلى الصدر، وإلى الحقوين، وإلى الركبتين، ومنهم يصيبه الرشح

الصراط» ﴿وَبَرَزُوا﴾: خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾٤٨ ﴿وَتَرَى﴾: يا محمد تبصر ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾٤٩: القيود أو الأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَىٰ﴾: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾٥٠ ﴿لِيَجْزِيَ﴾: متعلق ببرزوا ﴿ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: من خير وشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿هَٰذَا﴾: القرآن ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: أي أنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾: بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾: أي الله ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾: بإدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾٥٢: أصحاب العقول.

اليسير، كالقاعد في الحمام، ومنهم من يصيبه البلة، كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق، وقد قربت الشمس من رؤوسهم، حتى لو مد أحد يده لنالها، وتضاعف حرها سبعين مرة، وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة، لاحترقت الأرض وذاب الصخر، ونشفت الأنهار. قوله: ﴿وبرزوا﴾ عطف على تبدل، فهو بمعنى المضارع، أي يوم تبدل الأرض وتبرز الخلائق. قوله: ﴿وترى﴾ معطوف على تبدل أيضاً. قوله: [مشدودين مع شياطينهم] أي فتجمع أيديهم وأرجلهم في أعناقهم، ويشد كل واحد مع شيطانه الذي كان معه في الدنيا. قوله: ﴿في الأصفاد﴾ جمع صفد بفتحتين وهو القيد. قوله: [والأغلال] جمع غل بالضم، وهو طوق من حديد. قوله: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ أي جلودهم تطلى بالقطران، حتى يكون الطلاء كالقميص. قوله: ﴿وتغشى وجوههم﴾ أي وقلوبهم. قوله: [متعلق ببرزوا] أي وما بينهما اعتراض. قوله: [في نصف نهار] أي وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده. قوله: [هذا بلاغ للناس] في هذه الآية من المحسنات البديعة رد العجز على الصدر، فقد افتتحت هذه السورة بقوله ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾. قوله: [لتبليغهم] أي توصيلهم إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم.

* *

بسم الله الرّحمن الرّحيم
[١٥] سورة الحجر

[مكية تسع وتسعون آية]

﴿الر﴾: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾: هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾: القرآن والإضافة بمعنى من ﴿وقرآن مبين﴾[١]: مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة ﴿رُبَما﴾: بالتشديد والتخفيف ﴿يود﴾: يتمنى ﴿الذين كفروا﴾: يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لو كانوا مسلمين﴾[٢] ورب للتكثير فإنه يكثر تمني ذلك وقيل للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان ﴿ذرهم﴾: اترك الكفار يا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر مكية

وهي تسعة وتسعون آية

أي بإجماع، وسميت بالحجر لذكره فيها، وهو واد بين المدينة والشام، وسيأتي قصة أصحابه. قوله: [الله أعلم بمراده] تقدم أن هذا هو التحقيق عند ذوي التحقيق. قوله: [هذه الآيات] أي آيات السورة. قوله: [والإضافة بمعنى من] أي لأن الآيات بعض الكتاب. قوله: [عطف] أي مرادف، وإنما سوغه وحسنه تغاير اللفظ، وزيادة الصفة في المعطوف، فحينئذ يؤخذ من الآية أنه كما يسمى كتاباً، يسمى قرآناً. قوله: [بزيادة صفة] أي وهي قوله: ﴿مبين﴾. قوله: [بالتشديد والتخفيف] أي فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان في رب. قوله: ﴿الذين كفروا﴾ أي من أهل مكة وغيرهم. قوله: [وإذا عاينوا حالهم] أي من العذاب. قوله: [وحال المسلمين] أي من النعيم المقيم.

قوله: ﴿لو كانوا مسلمين﴾ يصح في ﴿لو﴾ أن تكون امتناعية، وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك، أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود، والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين. قوله: [ورب للتكثير] أي وما كافة لها عن الجر. إن قلت: إن [رب] إذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضي، وهنا قد دخلت على المضارع، أجيب: بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك، فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى، وإنما ذلك بالنظر لعقولنا. قوله: [وقيل للتقليل] أي باعتبار الأوقات التي يفيقون فيها من الدهشة، فالكفار من شدة الهول يدهشون، فلا يفيقون إلا في بعض الأوقات، فإذا أفاقوا كثر منهم التمني.

قوله: ﴿ذرهم﴾ لم يستعمل لهذا الأمر ماض استغناء عنه بترك، بل يستعمل منه المضارع، وقد جاء منه الماضي

﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾: بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾: يشغلهم ﴿ٱلْأَمَلُ﴾: بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن﴾: زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾: أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾: أجل ﴿مَّعْلُومٌ﴾٤: محدود لإهلاكها ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ﴾: زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾٥: يتأخرون عنه ﴿وَقَالُوا﴾: أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾: القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾٦ ﴿لَّوْ مَا﴾: هلا ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾٧: في قولك إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله قال تعالى: ﴿مَا تَنَزَّلُ﴾: فيه حذف إحدى التاءين ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓا إِذًا﴾: أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُّنظَرِينَ﴾٨: إنا ﴿نَحْنُ﴾: تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾٩: من

قليلاً، قال عليه الصلاة والسلام «ذروا الحبشة ما وذرتكم». قوله: ﴿يأكلوا﴾ مجزوم بحذف النون في جواب الأمر، وكذا قوله: ﴿ويتمتعوا﴾. قوله: ﴿ويلههم﴾ مجزوم أيضاً بحذف الياء، وفيه ثلاث قراءات سبعية: كسر الهاء الثانية والميم وضمهما، وكسر الهاء وضم الميم، وأما الهاء الأولى فمكسورة لا غير، لأنها من بنية الكلمة. قوله: ﴿الأمل﴾ فاعل ﴿يلههم﴾. قوله: [عاقبة أمرهم] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي قوله: ﴿ذرهم﴾ الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال. قوله: [زائدة] أي في المفعول. قوله: [أريد أهلها] أي ففيه مجاز، إما بالحذف، أو مرسل من إطلاق المحل وإرادة الحال فيه. قوله: ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ الجملة حالية، والمعنى وما أهلكنا قرية في حال من الأحوال، إلا في حال أن يكون لها كتاب، أي أجل مؤقت لهلاكها، وجعلنا الواو حالية، أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف. قوله: ﴿من أمة﴾ فاعل تسبق، و﴿من﴾ زائدة في الفاعل للتأكيد قوله: ﴿أجلها﴾ أي وهو الكتاب المتقدم. قوله: [يتأخرون عنه] أي الأجل.

قوله: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ نادوه ﷺ على سبيل التهكم والاستهزاء، لا إقرار بأنه نزل عليه الذكر، ولذا قال المفسر [في زعمه] فدفع به ما قد يقال، إن في الآية مضاربة أولها لآخرها. قوله: ﴿إنك لمجنون﴾ أي إنك لتقول قول المجانين، حيث تدعي أن الله نزل عليك الذكر، وقولهم هذا كقول فرعون ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ والحاصل أنهم قالوا مقالتين: الأولى ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾، والثانية ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ وقد رد الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوش فقوله: ﴿ما تنزل الملائكة﴾ رد للثانية، وقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ رد للأولى.

قوله: ﴿لوما تأتينا﴾ تستعمل ﴿لوما﴾ حرف تحضيض، وحرف امتناع لوجود، فالتحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظاً أو تقديراً، إذا علمت ذلك فهي هنا للتحضيض، ولذا فسرها بهلا. قوله: ﴿بالملائكة﴾ أي لتخبرنا بصدقك. قوله: [فيه حذف إحدى التاءين] أي والأصل تتنزل، وفي قراءة سبعية أيضاً ننزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي المشددة، ونصب الملائكة على المفعولية، وقرئ شذوذاً ما تنزل، بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاي، و﴿الملائكة﴾ فاعل.

قوله: ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق لا بما قلتم واقترحتم، والمعنى جرت عادة الله في خلقه، أنه لا يظهر الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم، وهو لا يريد ذلك مع أمته ﷺ لعلمه بقاءها، وأنه يخرج منها من يعبد الله ويوحده إلى يوم القيامة، فهم لا يجابون لما اقترحوا. قوله: ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أصل إذن إذ بمعنى حين، فضمت

التبديل والتحريف والزيادة والنقص ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾: رسلاً ﴿فِي شِيَعِ﴾: فرق ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا﴾: كان
﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١١﴾: كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾: أي مثل
إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٢﴾: أي كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالنبي ﷺ
﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣﴾: أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم
بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعْرُجُونَ ١٤﴾: يصعدون ﴿لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾: سدت ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ
قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ١٥﴾: يخيل إلينا ذلك ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء

لها أن فصار إذ أن، فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار إذن، ومجيء لفظة أن دليل على إضمار فعل بعدها، والتقدير وما كانوا إذ كان ما طلبوه، الخ.

قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي وليس إنزاله بزعمك كما اعتقدوا. قوله: [أو فصل] أي ضمير فصل، واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة، ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقتصر على الأول. قوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾ أي حيث جعله معجزاً للبشر مغايراً لكلامهم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، باق على مر الدهور، سيما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه، فترى الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ، يرده أصغر صغير في المجلس، مع عدم العيب في ذلك، بخلاف الكتب السماوية، فقد دخل فيها التبديل والتغيير، والزيادة والنقص، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ الآية.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: [رسلاً] قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿أرسلنا﴾ محذوف، وعدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، وقيل لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى. قوله: ﴿في شيع﴾ جمع شيعة، والمراد بها هنا الفرقة المتفقة في المذهب كان حقاً أو باطلاً، وإضافة شيع للأولين على حذف مضاف، أي في شيع الأمم الأولين.

قوله: ﴿وما يأتيهم﴾ قدر المفسر [كان] إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً، استحضاراً للحال الماضية للتعجب منها. قوله: ﴿يستهزئون﴾ أي يسخرون. قوله: [وهذا تسلية له] أي فاصبر ولا تحزن، فلست بأول من سخر به قومه، بل وقع لمن قبلك مثلك. قوله: ﴿كذلك نسلكه﴾ السلك بالفتح إدخال الخيط في اللؤلؤة، وبالكسر نفس الخيط. قوله: [أي مثل إدخالنا التكذيب] أي الذي دل عليه بقوله: ﴿يستهزئون﴾. قوله: ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ أي طريقتهم، والجملة مستأنفة. قوله: [وهؤلاء مثلهم] أي فانتظر ما ينزل بالمكذبين من العذاب.

قوله: ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ أي على كفار مكة. قوله: ﴿فظلوا﴾ الضمير إما عائد على المشركين، والمعنى فتحنا باب السماء لهؤلاء المشركين، ولو صعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ، أو على الملائكة، والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار، فرأوا باب السماء مفتوحاً، والملائكة تصعد منه، لما آمنوا. قوله: ﴿إنما سكرت﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان. قوله: [سدت] أي فيقال سكرت النهر، من باب قتل سدته، والسكر بالكسر ما يسد به، والمعنى يسد أبصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيلات. قوله: ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ إضراب انتقالي عما أفادة أولاً من خصوص سحر العين بالحصر، والمعنى أنهم يقولون: إنما سدت أبصارنا، فخيل لها أمر لا حقيقة له، ولم يتجاوزها لقلوبنا، ثم أضربوا عن ذلك، وجعلوا السحر واصلاً لقلوبهم. قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾ هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى، والبروج جمع برج، والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة. قوله: [اثني عشر برجاً] أي وقد جمعها بعضهم في قوله:

والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ: وله الحمل والعقرب، والزهرة: ولها الثور والميزان، وعطارد: وله الجوزاء والسنبلة، والقمر: وله السرطان، والشمس: ولها الأسد، والمشتري: وله القوس والحوت، وزحل: وله الجدي والدلو ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ ١٦ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾: بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ١٧: مرجوم ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٨: كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخبله ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ١٩: معلوم مقدر ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾: بالياء من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾: جعلنا لكم ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ٢٠: من العبيد

حمل الثور جوزة السرطان ... ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي ... نزح الدلو بركة الحيتان

قوله: [وهي منازل الكواكب] أي محل سيرها. قوله: [المريخ] بكسر الميم نجم في السماء الخامسة، وقد جمع الكواكب بعضهم في قوله:

زحل شرى مريخه من شمسه ... فتزاهرت لعطارد الأقمار

فزحل في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في الأولى، وهي سماء الدنيا. قوله: [والشمس ولها الأسد] أي بيتها المنسوب لها، فلا ينافي أنها تسير في البروج كلها، المتقسمة لثمان وعشرين منزلة، لكل برج منزلتان وثلث، وتقطعها الشمس في سنة، والقمر في شهر، وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع في العالم السفلي، كالأكل والشرب، يوجد النفع عندها لا بها، فهي أسباب عادية. قوله: ﴿وزيناها﴾ [بالكواكب] أي جعلنا الكواكب زينة للسماء، وهل الكواكب في السماء الدنيا، أو ثوابت في العرش، قولان للعلماء. قوله: ﴿للناظرين﴾ أي المتأملين بأبصارهم وبصائرهم. قوله: ﴿وحفظناها﴾ أي السماء. قوله: ﴿من كل شيطان رجيم﴾ أي وذلك لأن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات، فيدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة، فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات، ولما ولد سيدنا محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها، ولما بعث رميت عليهم الشهب، فكانت تخطئ وتصيب، فلما عرج به ﷺ صارت لا تخطئهم أبداً.

قوله: ﴿إلا من استرق السمع﴾ استثناء منقطع لأن ما قبل الاستثناء دخولهم السماء، وما بعده استراقهم من خارجها، والمعنى أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً، يريدون الاستراق، فتكون الشهب بالمرصاد لهم، كما صرحت به سورة الجن في قوله: ﴿وأنا كنا نقعد منها﴾ الخ. قوله: [كوكب مضيء] وقيل الشهاب شعلة نار تنفصل من الكوكب، وهو الصحيح. قوله: [أو يخبله] أي يفسد أعضاءه، فيصير غولاً في الوادي يضل الناس. قوله: ﴿والأرض مددناها﴾ الأرض منصوب بفعل محذوف يفسره ﴿مددناها﴾. قوله: [بسطناها] أي على الماء. قوله: [لئلا تتحرك بأهلها] أي لأن الله لما خلقها وبسطها على الماء، تحركت واضطربت، فثبتها بالجبال الرواسي فسكنت. قوله: [معلوم] أي لله، فيعلم قدر ما يحتاج إليه الخلق في معاشهم. قوله: ﴿معايش﴾ جمع معيشة، وهي ما يعيش بها الإنسان، من المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك. قوله: [بالياء] أي باتفاق السبعة لأنها في المفرد أصلية، فلا تقلب في الجمع همزة، بل تبقى على حالها، بخلاف المد الزائد في المفرد، فإنه يقلب همزة في الجمع، قال ابن مالك:

والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن﴾: زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾: مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ٢١: على حسب المصالح ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾: تلقح السحاب فيمتلىء ماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً﴾: مطراً ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ٢٢: أي ليست خزائنه بأيديكم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ٢٣: الباقون نرث جميع الخلق ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾: أي من تقدم من

والمد زيد ثالثاً في الواحد همزاً يرى في مثل كالقلائد

وقرىء شذوذاً بالهمزة على التشبيه بشمائل. قوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾ مشى المفسر على أنه معطوف على ﴿معايش﴾ حيث قدر قوله جعلنا لكم. قوله: [من العبيد] أي والخدم وغيرهم، فأنتم تنتفعون بتلك الأشياء، ولستم برازقين لها، وإنما رزقها على خالقها. قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ كالدليل لقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ و ﴿من لستم له برازقين﴾ فهو إعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى، وقوله: ﴿شيء﴾ نكرة في سياق النفي، فتعم كل شيء كان في الدنيا أو الآخرة، جليلاً أو حقيراً. قوله: ﴿إلا عندنا خزائنه﴾ أي إلا يوجده الله إذا تعلقت قدرته وإرادته به، ففي الكلام مجاز، حيث شبه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل، وجعلها في خزائن، والجامع بينهما سرعة الحصول في كل، فالمعنى بيده الأشياء كلها، خيرها وشرها، جليلها وحقيرها، فإذا أراد الله شيئاً حصل، فلا يطلب الإنسان من غيره، بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن، والمفاتيح كناية عن التسهيل، فمن أراد الله له شيئاً أعطاه مفتاحه، بمعنى سهل أسبابه.

قوله: ﴿إلا بقدر معلوم﴾ أي فيسعد هذا ويشقى هذا، ويفقر هذا ويغني هذا، على حسب ما قدره الله، إذا علمت ذلك، فالمناسب للمفسر أن يقول على حسب تقدير الله، فإن الله تعالى ليس مراده مقيداً بمصالح عباده، بل أفعاله على حسب ما أراده وعلمه، وإلا فنجد الكافر يطول عمره، وهو في فقر ومرض، ثم يختم له بالكفر ويكون في النار، فأي مصلحة في ذلك؟

قوله: ﴿وأرسلنا الرياح﴾ جمع ريح، وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المرور. قوله: ﴿لواقح﴾ إما جمع ملقح من ألقح، وحينئذ فجمعه ملاقح، حذفت الميم تخفيفاً، أو جمع لاقح من لقح، يقال لقحت الريح إذا حملت الماء إلى السحاب، واعلم أن الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح الأربعة لخدمة المطر، فريح الصبا تثير السحاب من ثمر شجرة في الجنة، وريح الشمال تجمعه، وريح الدبور تفرقه. قوله: [تلقح السحاب] أي تمج الماء فيه. قوله: [السحاب] أي فالمراد بالسماء كل ما علا وارتفع، ويصح أن يراد بالسماء حقيقتها، لأن أصل ماء المطر من السماء. قوله: ﴿فأسقيناكموه﴾ الكاف مفعول أول، والهاء مفعول ثاني، والمعنى جعلناه سقياً لكم ولأرضكم ومواشيكم. قوله: [أي ليست خزائنه بأيديكم] أي بل خزائنه عند الله، فهو من مشمولات. قوله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾.

قوله: ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ أي جميع الخلق، وإن حرف توكيد ونصب، ونا اسمها، وجملة ﴿نحيي﴾ خبرها، وقوله: ﴿لنحن﴾ ضمير منفصل توكيد لنا، لا ضمير فصل، لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك. قوله: ﴿ونحن الوارثون﴾ الوارث في الأصل، هو الذي يأخذ المال بعد موت مورثه، ثم أطلق الإرث وأريد لازمه، وهو البقاء بعد فناء غيره، فإنه يلزم من أخذ الوارث مال الموروث بقاؤه بعد موت صاحبه، فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعد فنائهم.

● أسباب نزول الآية ٢٤: قوله تعالى: ﴿ولقد علمنا﴾ الآية، روى الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي =

الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ٢٤: المتأخرين إلى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾: في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ ٢٥: بخلقه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾: طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ ٢٦: متغير ﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾: أي قبل خلق آدم ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ ٢٧: هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٨ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾: فصار حياً وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٢٩: سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٣٠: فيه تأكيدان ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾: امتنع من ﴿أَنْ

قوله: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم﴾ أي علماً تفصيلياً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله: [المتأخرين] أشار بذلك إلى أن السين والتاء في المستقدمين والمستأخرين زائدتان، والمعنى أن علمه محيط بجميع خلقه، متقدمهم ومتأخرهم، طائعهم وعاصيهم، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه. قوله: ﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾ أي يجمعهم للحساب، ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير. قوله: ﴿من صلصال﴾ الصلصال بمعنى المصلصل، كالزلزال بمعنى المزلزل، ووزنه فعلال بتكرار اللام، فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة، والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطينية، لأنه أولاً كان تراباً ثم عجن بأنواع المياه فصار طيناً، ثم ترك حتى أنتن واسود، فصار حمأ مسنوناً، ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالاً، ثم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة، أربعين وهو طين، وأربعين وهو حمأ مسنون، وأربعين وهو صلصال مصور، وهكذا أطوار أولاد آدم، تمكث النطفة في الرحم أربعين يوماً، ثم تصير علقة مثل ذلك، ثم تصير مضغة مثل ذلك، ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوماً. قوله: [متغير] أي من طول مكثه حتى يتخمر. قوله: [أبا الجن وهو إبليس] هذا أحد قولين، وقيل هو أبو الشياطين، فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد، والجان هو أبو الجن، وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة: آدم وهو أبو البشر، وإبليس وهو أبو الشياطين، والجان وهو أبو الجن، وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط: آدم وإبليس.

قوله: [هي نار لا دخان لها] أي ومنها تكون الصواعق. قوله: [تنفذ في المسام] أي تدخل فيها، للطف المسام وشدة حرارة النار، فإذا دخلت في الإنسان قتلته.

قوله: ﴿وإذ قال ربك﴾ ﴿إذ﴾ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: [اذكر]. قوله: ﴿من صلصال﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية. قوله: ﴿فإذا سويته﴾ أي صورته إنساناً كاملاً، معتدل الأعضاء والطبائع. قوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ أي أفضت عليه روحاً من الأرواح التي خلقتها، فصار بها حياً، وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله. قوله: [وإضافة الروح إليه] أي كما يقال: بيت الله وناقة الله. قوله: ﴿فقعوا﴾ الفاء واقعة في جواب إذا، وقعوا فعل أمر من وقع يقع، بمعنى سقط وخر. قوله: [بالانحناء] أي لا بوضع الجبهة، وهذا أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته، وآدم كالقبلة، والسجود لله، أو يقال إن السجود لذات آدم، وقولهم السجود لغير الله كفر، محله في غير ما أمر الله به، وأما في مثل هذا، فالكفر في المخالفة. قوله: [فيه تأكيدان] أي للمبالغة وزيادة الاعتناء، فبالتأكيد الأول اندفع

= خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح أنه سأل سهل بن حنيفة الأنصاري ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ أنزلت في سبيل الله؟ قال: لا ولكنها في صفوف الصلاة.

يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ ٣١ قَالَ﴾: تعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾: ما منعك ﴿أَنْ لَا﴾: زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ﴾: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٣٣ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ ٣٤: مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ٣٥: الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٦: أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ٣٧: وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾: أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ٤٠: أي المؤمنين ﴿قَالَ﴾: تعالى ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٤١: وهو ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: أي المؤمنين ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤٣: أي من اتبعك معك ﴿لَهَا

توهم المجاز، وبالثاني استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة. قوله: [كان بين الملائكة] أشار بذلك إلى صحة الاستثناء، ثم هو يحتمل أن يكون منقطعاً، لأنه لم يكن منهم حقيقة أو متصلاً، باعتبار أنه كان متصفاً بصفاتهم، وقيل إنه منهم، والتحقيق خلافه. قوله: ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود.

قوله: ﴿قال﴾ [تعالى] إن قلت: إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم، وإبليس ليس من أهل ذلك. أجيب: بأن محل كونها شرفاً إن كانت على سبيل الإكرام، وأما كلام الله تعالى لإبليس فهو على سبيل الإهانة والطرد، فلم يكن تشريفاً. قوله: [ما منعك] الخ، يحمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ ولذا قال ﴿لا﴾ [زائدة] ويصح أن تكون غير زائدة، والمعنى أي شيء ثبت لك في عدم كونك مع الساجدين. قوله: [لا ينبغي لي] أي لا يصح ولا يليق. قوله: ﴿لبشر خلقته﴾ الخ، أي وخلقتني من نار فأنا خير منه، لأن النار جسم لطيف نوراني، والصلصال جسم كثيف ظلماني، والنوراني خير من الظلماني، هذا وجه تكبره عن السجود، وادعائه الخيرية وهي مردودة، بأن آدم مركب من العناصر الأربع، بخلاف إبليس، وأيضاً فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء. قوله: [وقيل من السماوات] وهذا الخلاف مرتب على الخلاف في أن السجود لآدم هل كان في الجنة أو خارجها، فمن قال بالأول، جعل الضمير في منها عائداً على الجنة، ومن قال بالثاني جعله عائداً على السماوات.

قوله: ﴿فإنك رجيم﴾ أي مرجوم، والرجم كما في القاموس اللعن والشتم والطرد والهجران. قوله: ﴿إلى يوم الدين﴾ أي وبعد ذلك يزداد عذاباً على اللعنة التي هو فيها. قوله: ﴿إلى يوم يبعثون﴾ قصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبداً، لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث، الذي هو يوم النفخة الثانية، فقد أمهل إلى الأبد لانقطاع الموت حينئذ، وقصد أيضاً الفسحة في الأجل، لأجل الإغواء، فأجابه الله إلى الثانية دون الأولى. قوله: [وقت النفخة الأولى] أي فيموت في جملة الخلائق، ثم يبعث مع الناس، فمدة موته أربعون سنة، ولم يكن هذا الإمهال إكراماً له، بل إهانة وشقاوة ليزداد عذابه. قوله: [والباء للقسم] وقيل للسببية. قوله: ﴿لأزينن لهم﴾ الضمير عائد على أولاد آدم، وإن لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم. قوله: ﴿المخلصين﴾ أي الذين أخلصوا في أعمالهم، فلا تسلط لي عليهم.

قوله: ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾ أي هذا دين مستقيم لا اعوجاج فيه، فعليّ حفظه تفضلاً وإحساناً. قوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ حاصل ذلك، أن إبليس لما قال ﴿لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ أوهم بذلك أن له سلطاناً على غير المخلصين، فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد، لا من المخلصين، ولا من غيرهم، بل من اتبعه، فهو ممن طرد الله لا من سلطنة إبليس، ويؤيده قوله في الآية الأخرى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وتقييد المفسر بالمؤمنين نظراً للصورة. قوله: [لكن] أشار بذلك إلى أن

﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾: منها ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾: نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾ ٤٤ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ٤٥: تجري فيها ويقال لهم ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾: أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام أي سلموا وادخلوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ ٤٦: من كل فزع ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حقد ﴿إِخْوَٰنًا﴾ حال منهم ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ

الاستثناء منقطع. قوله: ﴿لها سبعة أبواب﴾ أي وأعلاها جهنم، وهي لعصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لعباد الوثن، ثم الهاوية للمنافقين.

قوله: ﴿لكل باب﴾ أي طبقة من أطباقها. قوله: ﴿جزء مقسوم﴾ أي حزب معد لها. قوله: ﴿إن المتقين﴾ أي الذين اتقوا الشرك، وهم المؤمنون ولو عصاة، لأن المتقي هو الآتي بالتقوى ولو مرة واحدة، غير أن العاصي إذا مات مصراً على المعاصي تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه مدة، ثم يعفو عنه بشفاعة النبي ﷺ، وإن شاء لم يعذبه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال أبو هاشم الجبائي وجمهور المعتزلة: إن المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصي، فلا يثبت دخول الجنة، إلا لمن ترك جميع المعاصي، وهذا مذهب باطل، لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والذي يجب الإيمان به، أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد، ولو صحبها أمثال الجبال من المعاصي، غير أن أهل الجنة مراتب.

قوله: ﴿وعيون﴾ يحتمل أن المراد بها الأنهار التي قال فيها ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الآية، ويحتمل أن تكون زيادة عليها، وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار، أو كل له بستان ونهر، لمقابلة الجمع بالجمع. قوله: [ويقال لهم] أي إذا إرادوا الانتقال من محل إلى آخر، وإلا فهم مستقرون فيها، فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى. قوله: ﴿بسلام﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو في ادخلوا، أي ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره، وهذا محلي المعنى الأول الذي ذكره المفسر، ويقال على المعنى الثاني: ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض، ومن الملائكة، أي يسلم بعضكم على بعض، وتسلم الملائكة عليكم. قوله: [أي سلموا] تفسير للمعنى الثاني.

قوله: ﴿آمنين﴾ قدر المفسر [ادخلوا] إشارة إلى أنه حال ثانية، وهي مرادفة للأولى، ولا حاجة لهذا التقدير. قوله: [من كل فزع] أي ومنه زوال ما هم فيه من النعيم المقيم. وقوله: ﴿بسلام آمنين﴾ زيادة في سرور أهل الجنة، لأن النعيم إذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان في غاية السرور، ولا شك أن الجنة كذلك، بخلاف الدنيا، فإن نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله، فلذلك كانت دار هم وغم. قوله: ﴿من غل﴾ الغل هو من أمراض القلب، كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء، روي أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة، فيقتص بعضهم من بعض، ثم يؤمر بهم إلى الجنة، وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد، فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم، وشأن المحب أن

---

* أسباب نزول الآية: ٤٥ قوله تعالى: ﴿إن المتقين﴾ الآية، أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى النبي ﷺ، فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾.

* أسباب نزول الآية: ٤٧ قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين: أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ قيل: وأي غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تميم، وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية.

﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ ٤٧: حال أيضاً أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ٤٨: أبداً ﴿نَبِّئْ﴾: خبر يا محمد ﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ﴾: للمؤمنين ﴿الرَّحِيمُ﴾ ٤٩: بهم ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾: للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ٥٠: المؤلم ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٥١: هم ملائكة اثنا

لا يكون لمحبوبه غلّ في قلبه، بل بينهم الصفاء والوفاء. قوله: [حال من هم] أي من ضمير صدورهم المضاف إليه، والشرط موجود، لأن المضاف جزء المضاف إليه، أو المعنى: ونزعنا ما في صدورهم من غلّ، حال كونهم متآخين في المودة والمحبة.

قوله: ﴿على سرر﴾ جمع سرير وهو كما قال ابن عباس: من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية. قوله: [حال أيضاً] أي من الضمير في ﴿إخواناً﴾. قوله: [لدوران الأسرة بهم] أي أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا، ثم أرادوا الانصراف، يدور سرير كل واحد منهم، بحيث يبقى مقابلاً بوجهه لمن كان عنده، وقفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير، وهذا أبلغ في الأنس والإكرام. قوله: ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ أي إعياء بخلاف الدنيا، ففيها الأعياء والتعب والكدرات والمشقات. قوله: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أي بل هم خالدون فيها، لا يزالون ولا يحولون، فالجنة بلا زوال، وبقاء بلا فناء، وكمال بلا نقصان.

قوله: ﴿نبىء عبادي﴾ الخ أي أخبر يا محمد عبادي المؤمنين العاصين، بأني أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتي، ولا يخافون عذابي. وهذا من الله تعطف لعباده واستجلابهم للتوبة. وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة: أولها ﴿أني﴾ وثانيها ﴿أنا﴾، وثالثها تعريف الجملة بأل. ولما ذكر العذاب لم يقل وإني أنا المعذب، وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب، فلا يستبعد العاصي رحمة الله، بل يقبل على سيده بالتوبة والإنابة، فإنه هو الغفور الرحيم، فمتى كان في العبد أوصاف متعددة، تقتضي الغضب، ووصف واحد يقتضي الرحمة، فإن وصف الرحمة يغلب.

قوله: ﴿وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ أي بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولاً، فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر ما يناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش، واستفيد من هذه الآية، أن العبد يكون بين الرجاء والخوف، ففي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال «لو يعلم العبد قدر عفو الله، ما تورع عن حرام، ولو يعلم قدر عذابه، لجمع نفسه إلى قتله». وعنه ﷺ أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال: أتضحكون وبين أيديكم النار؟ فنزل ﴿نبىء عبادي﴾ الخ.

قوله: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ معطوف على قوله: ﴿نبىء عبادي﴾ الخ، والمعنى وأخبر عبادي عن قصة ضيوف إبراهيم الخ، واعلم أنه في هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد ﷺ أولاً، ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد، ثم خلق آدم وما يتعلق به، ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء، ليكون عبرة للمعتبرين، وأوقع في نفس المتعظين، وقد ذكر هنا أربع قصص: قصة إبراهيم، ثم قصة لوط، ثم قصة شعيب، ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا. قوله: ﴿عن ضيف إبراهيم﴾ الضيف في الأصل

---

* أسباب نزول الآية: ٤٩ قوله تعالى: ﴿نبىء عبادي﴾ الآية، أخرج الطبراني عن عبد الله بن الزبير قال: مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون فقال: أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم؟! فنزلت هذه الآية ﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، قال: لا أراكم تضحكون، ثم أدبر، ثم رجع القهقرى، فقال إني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: يا محمد إن الله يقول لك: لم تقنط عبادي؟ ﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾.

عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً﴾: أي هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾: إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ ٥٢: خائفون ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾: تخف ﴿إِنَّا﴾: رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي علم كثير هو إسحاق كما ذكر في هود ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾: بالولد ﴿عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ حال أي مع مسه إياي ﴿فَبِمَ﴾: فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ ٥٤: استفهام تعجب ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ ٥٥: الآيسين ﴿قَالَ وَمَن﴾: أي لا ﴿يَقْنَطُ﴾: بكسر النون وفتحها ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ٥٦: الكافرون ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٧ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ٥٨: كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٩ لإيمانهم ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٦٠: الباقين في العذاب لكفرها ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾: أي لوطاً ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالَ﴾: لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ

الميل، سمي النازل للقرى بذلك، لميله إليك ونزوله عندك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وقد يجمع ويثنى. قوله: [منهم جبريل] أي على كل من الأقوال الثلاثة.

قوله: ﴿إذا دخلوا﴾ ﴿إذا﴾ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر. قوله: [أي هذا اللفظ] أي لفظ ﴿سلاماً﴾ وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك، أو سلم الله عليك سلاماً، ولم يذكر هنا رد السلام، ولا بقية القصة اختصاراً. قوله: ﴿إنا منكم وجلون﴾ تقدم أن سبب خوفه منهم، أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته. قوله: ﴿قالوا لا توجل﴾ قرأ السبعة بفتح التاء والجيم، وفعله وجل كعلم، وقرئ شذوذاً بالبناء للمفعول، ولا تأجل بقلب الواو ألفاً، ولا تواجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو، فالقراءات الشاذة ثلاث. قوله: ﴿أبشرتموني﴾ هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور، وقرئ شذوذاً بحذفها، فيحتمل الإخبار والاستفهام، وحذفت أداته للعلم بها. قوله: ﴿على أن مسني الكبر﴾ أي فكان عمره إذ ذاك مائة واثنتي عشرة سنة.

قوله: ﴿فبم تبشرون﴾ الجار والمجرور متعلق بتبشرون، وقدم لأن الاستفهام له صدر الكلام، وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها نون الرفع، وقرأ نافع بكسرها مخففة، وابن كثير بكسرها مشددة. قوله: [استفهام تعجب] أي من أن يولد له ولد مع مس الكبر إياه، وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله تعالى، ولذا دفع ذلك بقوله: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾. قوله: ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أي اليقين الذي لا لبس فيه. قوله: [أي لا] ﴿يقنط﴾ أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: [بكسر النون وفتحها] أي فهما قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بضم النون.

قوله: ﴿قال فما خطبكم﴾ أي الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة فإن البشارة يكفي فيها واحد، فلا تحتاج لعدد. قوله: ﴿إلا آل لوط﴾ يحتمل أن يكون مستثنى من الإرسال، والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، إلا آل لوط، فلم نرسل لهلاكهم، بل أرسلنا لنجاتهم، وحينئذ يكون الاستثناء متصلاً، أو مستثنى من قوم مجرمين، فهو منقطع لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين، ويشير للثاني قول المفسر لإيمانهم.

قوله: ﴿إلا امرأته﴾ الأقرب أنه مستثنى من ضمير منجوهم. قوله: ﴿قدرنا﴾ إسناد التقدير للملائكة مجاز، إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى، وهذا كما يقول خواص الملك: أمرنا بكذا، والآمر هو الملك. قوله: [الباقين في العذاب] أي فيقال غبر الشيء بقي، ويقال أيضاً مضى، فهو من الأضداد. قوله: ﴿فلما جاء آل لوط﴾ أي بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وسافروا لقرية لوط، وكان بينهما أربعة فراسخ. قوله: [أي لوطاً] أشار بذلك إلى أن لفظة آل زائدة، بدليل

مُنكَرُونَ﴾ ٦٢ : لا أعرفكم ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ : أي قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٦٣ : يشكون وهو العذاب ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٦٤ : في قولنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ : امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ : لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ٦٥ : وهو الشام ﴿وَقَضَيْنَا﴾ : أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ : وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ٦٦ : حال أي يتم استئصالهم في الصباح ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ : مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط مرداً حساناً وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٦٧ : حال طمعاً في فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾ : لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ٦٨ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ٦٩ : بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٧٠ : عن إضافتهم ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٧١ : ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي وحياتك ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٧٢ : يترددون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ : صيحة جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ ٧٣ : وقت شروق الشمس ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ : أي قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ : بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ﴾ ٧٤ : طين طبخ بالنار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ : المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ : دلالات على وحدانية الله

الآية الأخرى ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً﴾ . قوله : ﴿منكرون﴾ أي تنكركم نفسي وتجزع منكم ، وإنما جزع منهم ، لخوفه من قومه عليهم ، بدليل آية هود ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾ . قوله : ﴿وأتيناك بالحق﴾ الباء للملابسة أي متلبسين بالحق .

قوله : ﴿فأسر بأهلك﴾ أي وهم بنتاه ، فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه . قوله : ﴿بقطع من الليل﴾ أي جزء منه . قوله : [امش خلفهم] أي لتطمئن عليهم . قوله : [لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم] أي فينزعج من ذلك . قوله : [وهو الشام] أي فطوى الله لهم الأرض في الوقت حتى نجوا ، ووصلوا إلى إبراهيم . قوله : [أوحينا] أشار بذلك إلى أن ﴿قضينا﴾ ضمن معنى [أوحينا] فعدي بما تعدى به .

قوله : ﴿وجاء أهل المدينة﴾ الواو لا تقضي ترتيباً ولا تعقيباً ، فإن هذا المجيء قبل إعلام الملائكة له بأنهم رسل الله ، فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعي ، بخلافها في هود . قوله : [مدينة سذوم] بالسين المهملة والذال المعجمة ، وأخطأ من قال بالمهملة . قوله : ﴿يستبشرون﴾ أي يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط ، وتقدم أن المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط . قوله : ﴿فلا تفضحون﴾ أي لا تسيئوني فيهم . قوله : ﴿واتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه . قوله : ﴿عن العالمين﴾ أي عن تضييف أحد من الغرباء ، وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس وإضافتهم خوفاً من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم . قوله : [فتزوجوهن] أي إن أسلمتم ، ويحتمل أنه كان في شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة ، وتقدم في هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته .

قوله : ﴿لعمرك﴾ بفتح العين لغة في العمر بضمتين ، وهو مدة حياة الإنسان في الدنيا ، ولكن لم يرد القسم في كلام العرب إلا بالفتح . قوله : ﴿إنهم﴾ أي قوم لوط ، وقيل المراد قريش ، وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط . قوله : [أي وقت شروق الشمس] أي طلوعها ، وهذا بيان لانتهاء العذاب ، وابتداؤه كان وقت الصباح .

قوله : ﴿فجعلنا عاليها﴾ أي وجه الأرض وما عليه . قوله : [أي قراهم] أي وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف . قوله : ﴿وأمطرنا عليهم﴾ تقدم في هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائباً عن القرى ، ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم . قوله : ﴿إن في ذلك﴾ [المذكور] أي من قصة إبراهيم ولوط .

﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ٧٥: للناظرين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾: أي قرى قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ٧٦: طريق قريش إلى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٧٧ ﴿وَإِن﴾: مخففة أي أنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ﴾ ٧٨: بتكذيبهم شعيباً ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾: أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ﴾: طريق ﴿مُّبِينٍ﴾ ٧٩: واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾: واد بين المدينة والشام وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ٨٠: بتكذيبهم صالحاً لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾: في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٨١: لا يتفكرون فيها ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ ٨٢ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ٨٣: وقت الصباح ﴿فَمَا أَغْنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنْهُم﴾: العذاب ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٤: من بناء الحصون وجمع الأموال ﴿وَمَا

قوله: ﴿للمتوسمين﴾ أي المتفكرين الذين يتأملون الشيء فيعرفون حقيقته. قوله: [لم تندرس] أي آثارهم. قوله: [لعبرة] ﴿للمؤمنين﴾ خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة﴾ شروع في ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة، وذكرت هنا مختصرة، وسيأتي بسطها في سورة الشعراء. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن، و﴿كان﴾ ناقصة، و﴿أصحاب الأيكة﴾ اسمها، و﴿لظالمين﴾ خبرها، واللام للتوكيد، والجملة خبر ﴿إن﴾. قوله: [هي غيضة شجر] الغيضة في الأصل اسم للشجر الملتف، والمراد بها هنا المكان الذي فيه الشجر الكثير، ونسبوا لها لملازمتهم لها وإقامتهم عندها، وكان عامة شجرهم المقل أي الدوم. قوله: [بتكذيبهم شعيباً] أي وبخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق. قوله: [بشدة الحر] أي فسلطها الله عليهم سبعة أيام، حتى قربوا من الهلاك، فبعث الله لهم سحابة كالظلة، فالتجؤوا إليها، واجتمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها ناراً فأحرقتهم جميعاً. فإهلاكهم أولاً بشدة الحر، ثم بالظلة، وأما أهل مدين، فأهلكوا بالصيحة، كما تقدم في سورة هود، من أنه أرسل لأهل مدين ولأصحاب الأيكة. قوله: [طريق] ﴿مبين﴾ أي وسمي الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع، لأن الإنسان إذا أراد الانتقال من موضع لآخر، فإنه يأتم بالطريق حتى يصل إلى الموضع الذي يريده.

قوله: ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ شروع في قصة صالح. قوله: [واد بين المدينة والشام] أي وآثاره باقية، يمر عليها الذاهب من الشام للحجاز. قوله: [لأنه تكذيب لباقي الرسل] جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولاً واحداً. قوله: ﴿وآتيناهم﴾ أضاف الإيتاء لهم، وإن كان لصالح لأنه مرسل لهم. قوله: [في الناقة] أشار بذلك إلى أن الناقة، وإن كانت آية واحدة، إلا أنها اشتملت على آيات، كخروجها من الصخرة، وعظم جثتها، وغزارة لبنها، وولادتها فصيلاً قدرها. قوله: [لا يتفكرون] أي لا يتأملون ولا ينظرون فيها.

قوله: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ أي ينقرون الجبال بالمعاويل، حتى تصير بيوتاً من غير بنيان. قوله: ﴿آمنين﴾ أي من وصول اللصوص لهم، ومن تخريب الأعداء لبيوتهم لشدة اتقانها. قوله: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ أي من السماء، والزلزلة من الأرض، لما عقروا الناقة، وتقدم في هود، أن صالحاً قال لهم قبل نزول العذاب بهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام. قوله: [وقت الصباح] أي بعد مضي الثلاثة الأيام. قوله: ﴿ما كانوا يكسبون﴾ ﴿ما﴾ اسم موصول أو مصدرية أو نكرة موصوفة فاعل أغنى؛ والتقدير الذي كانوا يكسبونه أو كسبهم أو شيء يكسبونه. قوله: [من بناء الحصون] الخ، بيان لما.

خلقنا ﴿السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾: لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَٱصْفَحِ﴾: يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ ٨٥: أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾: لكل شيء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ٨٦: بكل شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾: قال ﷺ: «هي الفاتحة» رواه الشيخان لأنها تثنى في كل ركعة ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ ٨٧ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: ألن جانبك ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٨ ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾: من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ ٨٩: البين الإنذار ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾: العذاب ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ ٩٠: اليهود

قوله: ﴿إلا بالحق﴾ أي إلا خلقاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد، ودلائل على وحدانية الله. قوله: ﴿وإن الساعة﴾ أي القيامة. قوله: [فيجازي كل واحد بعمله] أي فينتقم من المسيء، وينعم على المحسن. قوله: [وهذا منسوخ] أي قوله: فاصفح الصفح الجميل، وهو أحد قولين، والثاني أن الآية محكمة، ولا ينافي أمره بالقتال، فإن المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل، ويعاملهم بالخلق الحسن، فيعفو عن المسيء، ويسامح المذنب، وإن كان مأموراً بقتال المشركين، فقتاله للأمر به لا لهوى نفسه، ولذا قال البوصيري:

ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

قوله: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل، أتت من بصرى وأذرعات في يوم واحد، ليهود قريظة والنضير، فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها، وأنفقناها في سبيل الله فنزلت، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات، خير لكم من سبع قوافل. إن قلت: إن مقتضى ذلك، أن تكون الآية مدنية، مع أنه تقدم أن السورة مكية بإجماع. أجيب: بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. قوله: [هي الفاتحة] أي لأنها سبع آيات، فمن عد البسملة آية منها، تكون الآية الأخيرة. ﴿صراط الذين﴾ الخ، ومن لم يعدها آية، تكون السابعة قوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، وهذا القول هو الراجح، وعليه فيكون عطف قوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ من عطف الكل على الجزء، أو من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالسبع المثاني الحواميم، وقيل السبع الطوال أولها البقرة، وآخرها مجموع الأنفال مع براءة، وقيل جميع القرآن، وعليه يكون العطف مرادفاً. قوله: [لأنها تثنى في كل ركعة] أي تعاد في كل ركعة، وهذا أحد الوجوه في سبب تسميتها بالمثاني، وقيل سميت بذلك، لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين، فنصفها الأول ثناء على الله، ونصفها الثاني دعاء، وقيل لأن كلماتها مثناة مثل قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى آخرها، وقيل لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، معها سبعون ألف ملك.

قوله: ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي لا ترغب فيما متعنا به أصنافاً من الكفار، فإنه مستحقر، وفي الحديث عن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ «من أوتي القرآن، فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي، فقد صغر عظيماً، وعظم صغيراً». قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي لأجلهم. قوله: [ألن جانبك] أي تواضع لهم وارحمهم، كالطائر الذي يخفض جناحه على أفراخه، رحمة بها وشفقة عليها، وقد فعل ﷺ ما أمر به، قال البوصيري في هذا المعنى:

أحل أمته في حرز ملته كالليث حل مع الأشبال في أجم

قوله: ﴿كما أنزلنا﴾ الكاف حرف تشبيه وجر، وما اسم موصول في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير: وقل: إني أنا النذير لكم بالعذاب، كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين والماضي بمعنى

والنصارى ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾ ٩١: أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الإسلام وقال بعضهم في القرآن سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩٢: سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ ﴿فَٱصْدَعْ﴾: يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾: به أي اجهر به وأمضه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٤: هذا قبل الأمر بالجهاد ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ ٩٥: بك بإهلاكنا كلا منهم بآفة وهم الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعيد بن قيس والأسود بن

المستقبل؛ إذ الذي نزل بأهل مكة لم يكن واقعاً حين نزول الآية، بل وقع بعد الهجرة، وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعاً حينئذ، بل وقع يوم بدر. إن قلت: إن العذاب المنذر به ينبغي تشبيهه بشيء قد وقع ليحصل به الاتعاظ. أجيب: بأنه شبهه بذلك لتحتم نزوله، فكأنه واقع ولا بد، وقد تحقق ذلك يوم بدر. قوله: [اليهود والنصارى] أي حيث اقتسموا كتبهم، فآمنوا ببعضها الذي وافق هواهم، وكفروا بالبعض الذي خالفه.

قوله: ﴿الذين جعلوا﴾ بيان للمقتسمين. قوله: ﴿القرآن﴾ المراد به على هذا التفسير معناه اللغوي، فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم. قوله: ﴿عضين﴾ جمع عِضة، وأصلها قيل عضو، وقيل عضة، فعلى الأول يكون من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء، أي أجزاء متفرقة. وعلى الثاني يكون من عضه إذا كذب، والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، أو جعلوه أكاذيب. قوله: [وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة] أي وهم ستة عشر رجلاً، بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم، فاقتسموا عقبات مكة وأنقابها وفجاجها ويقولون لمن سلكها: لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا ساحر، وربما قالوا شاعر، وربما قالوا كاهن، وسموا المقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم الله شر ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكماً على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي ﷺ قال: صدق أولئك، وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي. قوله: [وقال بعضهم] معطوف على اقتسموا، والضمير في بعضهم عائد على الذين اقتسموا، وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء، وحيث اختلفت أقوالهم فيه، فقال بعضهم سحر، وبعضهم كهانة، أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به. قوله: [سؤال توبيخ] جواب عما يقال: إنه أثبت سؤالهم هنا، ونفاه في سورة الرحمن حيث قال ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فحاصل الجواب أن المنفي هناك سؤال الإكرام والاحترام، والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع.

قوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ سبب نزولها أن رسول الله أول أمره كان يدعو إلى الله مختفياً، ويأمر كل من آمن به بالاختفاء، فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره وبالغ في إظهاره. قوله: [هذا قبل الأمر بالجهاد] أي فتكون الآية منسوخة، وقيل ليست منسوخة بل هي محكمة، والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم. قوله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ أي وهم جماعة من قومه، كانوا يسخرون به ويبالغون في إيذائه، وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة لشدة إيذائهم لرسول الله وبغضهم له، وإلا فالمستهزئون كثير، كأبي لهب وزوجته وولده، وأبي جهل. قوله: [وهم الوليد بن المغيرة] أي وقد مر برجل نبال وهو يجر إزاره، فتعلقت قطعة من النبل بإزار الوليد، فمنعه الكبر أن يطاطىء رأسه وينزعها، فجعلت تضرب

---

* أسباب نزول الآية: ٩٥ قوله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ الآية، أخرج البزار والطبراني عن أنس بن مالك قال: مر النبي ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل باصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾.

المطلب والأسود بن عبد يغوث ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٦: عاقبة أمرهم ﴿وَلَقَدْ﴾: للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٩٧: من الاستهزاء والتكذيب ﴿فَسَبِّحْ﴾: ملتبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي قل سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ٩٨: المصلين ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ ٩٩: الموت.

في ساقه فخدشته، فمرض منها فمات، وقوله: [والعاصي بن وائل] خرج على راحلته يتنزه، فدخل شعباً فدخلت شوكة في أخمص رجله، فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير، فمات مكانه، وقوله: [وعدي بن قيس] الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة، كما ذكره في الهمزية وشراحها، والخازن وغيره من كتب التفسير، وقد هلك بأن صار القيح يجري من أنفه وعينه وفمه حتى مات، وقوله: [والأسود بن المطلب] رماه جبريل بورقة خضراء، فذهب بصره ووجعت عينه، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك، وقوله: [والأسود بن عبد يغوث] أصابه مرض الاستسقاء فمات به، وقيل إن النبي شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام، فكفاه الله شرهم، وقد أجاد صاحب الهمزية حيث قال في حقهم:

كفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبياً من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ ... بيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء ... والردى من جنوده الأدواء
فدهى الأسود بن المطلب ... أي عمى ميت به الأحياء
ودهى الأسود بن عبد يغوث ... أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم ... قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ... ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا ... ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الأر ... ض فكف الأذى بهم شلاء

قوله: ﴿الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾ أي يشركون في عبادته غيره. قوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ هذا تهديد ووعيد لهم. قوله: ﴿بما يقولون﴾ أي بسبب قولهم وتكلمهم في شأنك، فإن شأن ذلك يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية. قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي فافزع إلى ربك والتجىء إليه، يكفك ما يهمك من أمور الدنيا والآخرة، ففي الحديث «اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه». قوله: [أي قل سبحان الله وبحمده] أي تنزيهاً له عن كل نقص، واتصافاً له بكل كمال. قوله: [المصلين] أشار بذلك إلى أن الكلام فيه مجاز، من إطلاق الجزء على الكل، وخص السجود بالذكر لأنه أشرف أركانها. قوله: ﴿واعبد ربك﴾ عطف عام على خاص، والمعنى دم على عبادته. قوله: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾ أي اعبد ربك في جميع زمن حياتك، ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة، فإن العمر ساعة فاجعله طاعة، وهذا الخطاب وإن كان للنبي، إلا أن المراد منه العموم. قوله: [الموت] أي وسمي يقيناً لأنه متيقن الوقوع والنزول.

***

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٦] ـ سورة النحل

[مكيّة إلا ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخرها مائة وثمان وعشرون آية]

لما استبطأ المشركون العذاب نزل ﴿أَتَى أَمْرُ ٱللهِ﴾: أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي قرب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]: به غيره

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النحل مكية

إلا ﴿وإن عاقبتم﴾ إلى آخرها. وهي مائة وثمان وعشرون آية

سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها، على سبيل العبرة العظيمة، وتسمى أيضاً سورة النعم، لكثرة تعداد النعم فيها، والمقصود من ذكر هذه السورة، الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال، وتنزيهه عن كل نقص، وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحلة وشأنها في دقة فهمها واتخاذها البيت، واختلاف ألوان ما يخرج منها، وجعله شفاء، مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارة، الحلوة والمرة، وغير ذلك. قوله: [إلا وإن عاقبتم] فإنها نزلت بالمدينة في قتل الحمزة، وظاهر المفسر أنه لم يكن فيها مدني إلا تلك الآيات وهو المشهور، وقيل مكية إلا خمس آيات، هؤلاء الثلاثة، وقوله: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾، وقوله: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾، وقيل غير ذلك. قوله: [لما استبطأ المشركون العذاب] الخ قال ابن عباس: لما نزل قوله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم عليه، حتى تنظروا ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئاً، فنزل ﴿اقترب للناس حسابهم فأشفقوا﴾، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فنزل ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا. قوله: [أي الساعة] مشى المفسر على أن المراد بأمر الله القيامة، وهو أحد قولين، وقيل المراد بأمر الله، عقوبة المكذبين في الدنيا بالسيف. قوله: [وأتى بصيغة الماضي] أي على سبيل المجاز، ففي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الإتيان في المستقبل، بالإتيان في الماضي،

---

* أسباب نزول الآية ١: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿أتى أمر الله﴾ وغر أصحاب رسول الله ﷺ، حتى نزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾ فسكتوا. وأخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: لما نزلت ﴿أتى أمر الله﴾ قاموا، فنزلت ﴿فلا تستعجلوه﴾.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: أي جبريل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾: مفسِّرة ﴿أَنذِرُوٓا﴾: خوِّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾[٢]: خافون ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي محقاً ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣]: به من الأصنام ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: منيّ إلى أن صيَّره قوياً شديداً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾[٤]: بيِّنها في نفي البعث قائلاً: من يحيي العظام وهي رميم؟ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾: من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: من النسل والدر والركوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[٥]: قدم الظرف للفاصلة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردونها إلى

بجامع تحقق الحصول في كلٍّ، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الإتيان في الماضي أتى بمعنى يأتي. قوله: [فإنه واقع لا محالة] أي ولا مفرَّ لكم منه. قوله: ﴿عما يشركون﴾ تنازعه كل من سبحانه وتعالى، وقوله: [غيره] قدره إشارة إلى أنّ مفعول ﴿يشركون﴾ محذوف. قوله: [أي جبريل] أي وجمع تعظيماً له. قوله: [بالوحي] أي وسمي روحاً، لأنّ به حياة القلوب، الناشيء عنه السعادة الأبدية، ومن حاد عنها فهو هالك، كما أن الروح بها حياة الأجسام، وهي بدونها هالكة. قوله: [بإرادته] أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الإرادة، ومن بمعنى الباء. قوله: ﴿أن﴾ [مفسرة] أي وضابطها تقدّم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾. قوله: [خوّفوا الكافرين] أي بعد إعلامهم بالتوحيد. قوله: [بالعذاب] قدره إشارة إلى أن معمول الإنذار محذوف، وقوله: ﴿أنه لا إله إلا أنا﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [وأعلموهم]. قوله: ﴿فاتقون﴾ أي امتثلوا أوامري واجتنبوا نواهي، ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية، بعد التنبيه على التوحيد. قوله: [أي محقاً] أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور في محل نصب على الحال. قوله: ﴿تعالى عما يشركون﴾ أي تنزه عن إشراكهم به غيره. قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ أي غير آدم. قوله: ﴿من نطفة﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، وقوله: [إلى أن صيره قوياً شديداً] قدره جواباً عما يقال: إن كونه خصيماً مبيناً لا يكون عقب خلقه من نطفة، بل بعد قوته وشدته. قوله: [في نفي البعث] في للسببية، والمعنى أنه يخاصم ويجادل، بسبب كونه منكراً للبعث. قوله: [قائلاً من يحيي العظام] الخ، أشار بذلك إلى ما روي أن أبيّ بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أتظن أن الله يحيي هذا بعدما رمّ؟ قال ﷺ: نعم، ففي هذه الآية رد على هذا الكافر، ومن حذا حذوه.

قوله: ﴿والأنعام خلقها﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السماوات والأرض أتبعه بذكر خلق الإنسان، ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته من أكل ولبس، فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك. قوله: [في جملة الناس] أشار بذلك إلى أن الخطاب في ﴿لكم﴾ لقريش، ولو حمل على العموم، كما هو الواقع لاستغني عن ذلك. قوله: ﴿فيها دفء﴾ هو بوزن حمل، يطلق على كل ما يستدفأ به من ملبوس ومأكول. قوله: [وأصوافها] أي وأوبارها. قوله: ﴿ومنافع﴾ عطف عام على خاص. قوله: [والدر] أي اللبن. قوله: [والركوب] أي بالنسبة للمجموع. قوله: [للفاصلة] أي لا للحصر، فإن الإنسان قد يأكل من غيرها، وليس منهيًّا عنه، قال تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

قوله: ﴿ولكم فيها﴾ أي الأنعام. قوله: ﴿حين تريحون﴾ قدم الإراحة على التسريح، مع أنه خلاف الواقع، لأن الجمال في الرواح أعظم منه في وقت التسريح، لأن النعم تقبل من المرعى، مملوءة البطون حافلة الضروع، فيفرح

مراحها بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾٦: تخرجونها إلى المرعى بالغداة ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾: بجهدها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾٧: بكم حيث خلقها لكم ﴿وَ﴾: خلق ﴿الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾: مفعول له والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾٨: من الأشياء العجيبة الغريبة ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: أي بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾: أي السبيل ﴿جَائِرٌ﴾: حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾: هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ﴾: إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾٩: فتهتدون إليه باختيار منكم ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾: تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾١٠: ترعون

أهلها بها، بخلاف تسريحها إلى المرعى، فإنها تخرج جائعة البطون، ضامرة الضروع، وأكثر ما تكون هذه الاراحة أيام الربيع، لحسن النعم إذ ذاك.

قوله: ﴿وتحمل﴾ أي النعم، والمراد بها خصوص الإبل. قوله: ﴿وأثقالكم﴾ جمع ثقل، وهو ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة. قوله: ﴿إلى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ الخ، المراد أي بلد بعيد، مكة أو غيرها، وقال ابن عباس: أريد بها اليمن ومصر والشام، وقال عكرمة: مكة، والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كما علمت. قوله: ﴿إلا بشق الأنفس﴾ أي تعبها.

قوله: ﴿والخيل﴾ معطوف على ﴿الأنعام﴾ ولذا قدر المفسر [خلق]. قوله: ﴿والبغال﴾ جمع بغل، وهو المتولد بين الخيل والحمير. قوله: [مفعول له] أي لأجله، وجر الأول باللام لأن الفاعل مختلف، ففاعل الخلق هو الله، وفاعل الركوب المخلوق. قوله: [بهما] أي الركوب والزينة. قوله: [لا ينافي خلقهما لغير ذلك] أي فلا يفيد الحصر في الركوب والزينة، بل خلقها للأكل أيضاً، وبذلك أخذ الشافعي، وأما عند الأئمة الثلاثة، فأكل الخيل حرام كباقي الدواب، واستدلوا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، فلو كان أكل لحوم الخيل جائزاً، لكان أولى بالذكر، فلما لم يذكره الله، علمنا تحريمه، ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال ﴿ومنها تأكلون﴾، وخص هذه بالركوب فقال ﴿لتركبوها﴾، فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل، وفي الحقيقة الآية ليست صريحة، في نهي ولا جواز، وإنما مستند الأئمة السنة، فمن حرم لحم الخيل، حمل الحديث الصحيح على النسخ أو الاضطرار، ومن جوزها قال: الأصل عدم الاضطرار والنسخ. قوله: [بحديث الصحيحين] أي وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة فأكلناه. قوله: [من الأشياء العجيبة] أي كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات.

قوله: ﴿وعلى الله﴾ أي تفضلاً وإحساناً. قوله: [أي بيان الطريق المستقيم] أي طريق الهدى والحق وتبيينها، بإرسال الرسل وإنزال الكتب. قوله: ﴿ومنها جائر﴾ أي سبيل جائر، وهو سبيل الضلال والكفر. والجور العدول عن الاستقامة. قوله: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم، ولكنه لم يشأ ذلك، فلم يحصل لما سبق في علمه، أن الجنة لها أهل، وأن النار لها أهل.

قوله: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بني آدم، بخلق الحيوانات، الخاصة بهم، أعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات، آدميين وغيرهم، وهي إنزال الماء من السماء، الناشىء عنه النباتات، التي ينتفع بها جميع الحيوانات. قوله: ﴿لكم﴾ الجار والمجرور صفة الماء، وقوله: ﴿منه شراب﴾ مبتدأ وخبر. إن قلت:

دوابكم ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَةً﴾: دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١١]: في صنعه فيؤمنون ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ﴾: بالنصب عطفاً على ما قبله والرفع مبتدأ ﴿وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾: بالوجهين ﴿مُسَخَّرَٰتٌ﴾: بالنصب حال والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [١٢]: يتدبرون ﴿وَ﴾: سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١٣]: يتعظون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو

إنه ليس خاصاً ببني آدم، بل هو عام لكل حيوان. أجيب: بأن بني آدم هم المقصودون بالذات، وغيرهم بالتبع، والضمير في ﴿منه﴾ عائد على الماء، أي تشربون من ماء السماء. إن قلت: إن غالب الشرب، يكون من السحاب والأنهار والعيون، وهي بالأرض. أجيب: بأن أصل الماء الكائن في الأرض من السماء، لقوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾.

قوله: ﴿ومنه شجر﴾ المراد بالشجر هنا مطلق النبات، سواء كان له ساق أم لا. قوله: [ينبت بسببه] أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية، وأما الأولى فهي ابتدائية. قوله: ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ المراد به الحب الذي يقتات، وقدمه لأن به قوام البدن، وثنى بالزيتون لأنه إدام ودهن، وثلث بذكر النخيل لأنه غذاء وتفكه، وأخر الأعناب لأنها تشبه النخيل في ذلك. قوله: ﴿ومن كل الثمرات﴾ عطف عام على خاص. قوله: [المذكور] أي من إنزال الماء وإنبات النبات قوله: ﴿لآية﴾ ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات، خمس بالإفراد، واثنان بالجمع. والحكمة في ذلك: أن ما جاء بلفظ الإفراد، باعتبار المعلول الذي هو وحدانية الحق، وما جاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل، فإن في كل شيء آية تدل على أنه الواحد.

قوله: ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ لما ذكر النعم الكائنة في العالم السفلي، أعقبه بذكر النعم الكائنة في العالم العلوي، وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه. قوله: [بالنصب] أي ففي الشمس والقمر والنجوم ومسخرات، قراءتان سبعيتان، الرفع والنصب. قوله: ﴿مسخرات بأمره﴾ أي مذللات بإرادته، فهو سبحانه وتعالى، المؤثر في العالم العلوي والسفلي، فلا تتحرك ذرة في الدنيا، ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها، وإنما هذه الأشياء أسباب عادية، يوجد النفع عندها لا بها، ففي هذه الآية رد على القائلين: إن العالم العلوي هو المؤثر في العالم السفلي، بطبع أو علة. قوله: [بالنصب حال] أي مؤكدة لعاملها، وهو سخر.

قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ عبر هنا بالعقل، إشارة إلى أن العالم العلوي مغيب عن الأبصار، فيحتاج المتأمل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلي فهو مشاهد، فيكفي فيه أدنى تأمل وتعقل، والأسلم أن يقال: إن التغاير في هذا وما قبله وما بعده، تفنن في التعبير، دفعاً للثقل، وإشارة إلى أن من اتصف بواحد منها، فقد اتصف بجميعها. قوله: ﴿وما ذرأ﴾ معطوف على ﴿الليل﴾، ولذا قدر المفسر الفعل. قوله: [من الحيوان والنبات] فهي مذللة لبني آدم، ينتفعون بها ولا يعجزون عنها. قوله: [وغير ذلك] أي كالأحجار والمعادن والأنهار. قوله: ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي وطعومه.

قوله: ﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي عذباً وملحاً. قوله: [لركوبه] أي بالسفن والعوم. قوله: [والغوص] أي النزول فيه. قوله: ﴿لحماً طرياً﴾ وصف بالطراوة لأنه يسرع إليه الفساد، وحكمة ذلك، انتفاع الناس به، وعدم عزته

السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾: تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾: السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: عطف على لتأكلوا تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٤]: الله على ذلك ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت لـ ﴿أَنْ﴾: لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِكُمْ وَ﴾: جعل فيها ﴿أَنْهَارًا﴾: كالنيل ﴿وَسُبُلًا﴾: طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٥]: إلى مقاصدكم ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾: بمعنى النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[١٦]: إلى الطرق والقبلة بالليل ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾: وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾: وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١٧] هذا فتؤمنون ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: تضبطوها فضلاً أن تطيقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٨]: حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[١٩] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: بالتاء والياء تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢٠]: يصورون من الحجارة وغيرها ﴿أَمْوَاتٌ﴾: لا روح فيهم خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾: وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾[٢١]: أي الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغيب

عن الفقراء، وإلا فلو كان يمكث من غير فساد، لادخره الأغنياء، وحرموا منه الفقراء. قوله: ﴿وتستخرجون منه﴾ أي البحر وهو الملح فقط. قوله: [والمرجان] هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف. قوله: [عطف على لتأكلوا] أي وما بينهما اعتراض. قوله: [بالتجارة] أي فيسافرون لها في البحر، ويقدمون في أقل زمن. قوله: ﴿أن تميد﴾ قدر المفسر «لا» ليصح الكلام، لأن جعل الجبال في الأرض لأجل عدم الميد، لا لأجل حصوله، والمراد بالميد الميل والتحرك والاضطراب. قوله: [طرقاً] أي في الجبال. قوله: ﴿وعلامات﴾ أي أمارات. قوله: ﴿وبالنجم﴾ المراد به الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدي، فيهتدي بها إلى الطريق والقبلة.

قوله: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ أي أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الفخيمة، وبين من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن غيره، والكلام على القلب، والتقدير أفمن لا يخلق كمن يخلق، لأنهم يشبهون من لا يخلق بمن يخلق في العبادة، وإنما أتى بالعبارة مقلوبة، زيادة في التشنيع عليهم. قوله: [لا] أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ هذا تذكير إجمالي، بعد تفصيل بعض النعم. قوله: [حيث ينعم عليكم مع تقصيركم] أي ولم يقطع نعمة عنكم بسبب ذلك، بل وسعها عليكم. قوله: ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أي ما تخفون من العقائد والأعمال، وما تظهرونه من ذلك. قوله: [بالياء والتاء] فهما قراءتان سبعيتان في قوله: ﴿تدعون﴾ فقط، وأما ﴿تسرون﴾ و ﴿تعلنون﴾ فبالتاء الفوقية سبعية، والياء التحتية شاذة. قوله: ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ ليس تكراراً مع. قوله: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ لأنه أولاً أفاد أنهم لا يخلقون شيئاً، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئاً، هم مخلوقون، ففيه زيادة فائدة. قوله: [خبر ثان] أي والأول قوله: ﴿يخلقون﴾ وقوله: ﴿وما يشعرون﴾ خبر ثالث. قوله: [أي الخلق] ويصح أن يعود الضمير على الأصنام، والمعنى أن الأصنام لا تشعر متى يبعثها الله، قال ابن عباس: إن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها، فتبرأ من عابديها، فيأمر الله بالكل إلى النار.

﴿إِلَٰهُكُمْ﴾: المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: لا نظير له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾٢٢: متكبرون عن الإيمان بها ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾٢٣: بمعنى أنه يعاقبهم ونزل في النضر بن الحارث ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾: استفهامية ﴿ذَا﴾: موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: على محمد ﴿قَالُوا﴾: هو ﴿أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾٢٤ إضلالاً للناس ﴿لِيَحْمِلُوا﴾: في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾: لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ﴾: بعض ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم

قوله: ﴿إلهكم إله واحد﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدم ذكرها، فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة في الذات والصفات والأفعال، فلا شريك له فيها. قوله: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدقون بها، وما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء، وهذا نتيجة قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ وحينئذ فيكون المعنى: أتى أمر الله، فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها، فالذين لا يؤمنون الخ. قوله: [متكبرون] أشار بذلك إلى أن السين مزيدة للتوكيد.

قوله: ﴿لا جرم﴾ تقدم أن فيها ثلاثة أوجه، أحسنها أن ﴿لا﴾ نافية، ومنفيها محذوف، و﴿جرم﴾ فعل ماض بمعنى حق وثبت، وأن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل، وحينئذ يصير المعنى: لا عبرة بإنكار الكفار واستكبارهم، بل حق وثبت، علم الله بما يسرونه وما يعلنونه، وعلى هذا فقول المفسر [حقاً] مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقاً. قوله: [بمعنى أن يعاقبهم] روي عن الحسين بن علي أنه مر بمساكين قد قدموا كسراً لهم وهم يأكلون فقالوا: الغداء يا أبا عبد الله، فنزل وجلس معهم وقال ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ ثم أكل، فلما فرغوا قال: قد أجبتكم فأجيبوني، فقاموا معه إلى منزله، فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا، وفي الحديث «إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة، تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم». قوله: [ونزل في النضر بن الحرث] أي في شأنه وسببه. وكان عنده كتب التواريخ، ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم﴾ القائل يحتمل أن يكون المسلمين، أو الوافد عليهم، أو بعضهم لبعض، على سبيل التهكم، فإن الكفار لا يقرون بأنه منزل من عند الله. قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ جمع أسطورة، كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب، جمع أحدوثة وأكذوبة وأعجوبة. قوله: [إضلالاً للناس] علة للقول. قوله: [في عاقبة الأمر] أشار بذلك إلى أن اللام في ﴿ليحملوا﴾ لام العاقبة والصيرورة، والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن، بكونه أساطير الأولين، كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم. قوله: ﴿كاملة﴾ أي وبلاياهم التي أصابتهم في الدنيا لا تكفر عنهم شيئاً يوم القيامة، بل يعاقبون على جميع أوزارهم، بخلاف بلايا المؤمنين، فإنها تكفير لذنوبهم، أو رفع درجات لهم، فالبلايا للمجرمين عقوبات، وللأبرار مكفرات، وللعارفين درجات، فقد يكون السابق في علمه تعالى أن العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بمنحة، فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة.

قوله: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ أي ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم، بعض أوزار الأتباع، وهو السبب، هذا ما قرره المفسر تبعاً للبيضاوي، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق أن ﴿من﴾ بمعنى مثل، والمعنى أن على الرؤساء مثل أوزار الاتباع، ويشهد لذلك قوله ﷺ «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه،

دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ ٢٥: يحملونه حملهم هذا ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وهو نمرود بنى صرحاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾: قصد ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾: الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: أي وهم تحته ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٢٦: من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾: الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾: بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾: تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾: أي يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: من الأنبياء والمؤمنين ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٢٧: يقولونه شماتة بهم ﴿الَّذِينَ

لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

قوله: ﴿بغير علم﴾ إما حال من المفعول، أي يضلون الأتباع، حال كون الأتباع غير عالمين بأن الرؤساء في ضلال، بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم، أو من الفاعل، والمعنى يضلون غيرهم، حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب، في مقابلة ضلالهم وإضلالهم. قوله: [فاشتركوا في الإثم] أي العقوبة، فعقوبة المتبوعين بضلالهم وإضلالهم، وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد، ولا يعذرون بالجهل. قوله: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ ﴿ساء﴾ فعل ماض لإنشاء الذم كبئس، و﴿ما﴾ اسم موصول و﴿يزرون﴾ صلته أو نكرة موصوفة، و﴿يزرون﴾ صفة لها، والعائد على كل محذوف، والتقدير يزرونه، والمخصوص بالذم محذوف، كما أشار له المفسر بقوله: [حملهم] هذا.

قوله: ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: [وهو نمروذ] بضم النون وبالذال المعجمة، وهو ابن كنعان، وكان يدعي الألوهية، وكان أعظم أهل الأرض تجبراً. قوله: [بنى صرحاً طويلاً] أي ببابل، وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع، وقيل كان طوله فرسخين. قوله: [الأساس] بكسر الهمزة جمع أس بضمها، كرماح جمع رمح، أو فتحها جمع أسس بضمتين، كعنق وأعناق. قوله: [فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها] أي فقصفته وألقت رأسه في البحر، وخر عليهم الباقي فأهلكهم وهم تحته.

قوله: ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ أي سقط ونزل عليهم. قوله: [أي وهم تحته] تفسير لقوله: ﴿من فوقهم﴾ ودفع بقوله: ﴿من فوقهم﴾ ما يتوهم أنهم لم يكونوا تحته. قوله: [وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه] أي فإن الآية محمولة على العموم، وليس هناك بناء حقيقة، بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله، فأهلكهم الله بمكرهم، فمثلهم بقوم بنوا بنياناً شديداً، فانهدم ذلك البنيان، وسقط عليهم فأهلكهم. قوله: [على لسان الملائكة] مرور منه على القول بأن الله لا يكلم الكفار، وقيل إن الله يكلمهم، وقوله تعالى ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي كلام رحمة وتعظيم. قوله: ﴿أين شركائي﴾ أي ما لهم لا يحضرون معكم، ليدفعوا معكم ما نزل بكم من العذاب. قوله: ﴿تشاقون﴾ بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بكسر النون مع التشديد، والأصل تشاقونني فأدغم. قوله: [تخالفون المؤمنين] أي تنازعونهم في شأنهم.

قوله: ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ أي وهم في الموقف. قوله: [شماتة بهم] أي فرحاً بما حصل لهم، جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، وظهر أهل الحق، وأكرموا بأنواع الكرامات، وعذب أهل الباطل بأنواع العذاب، فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك، ويقول رؤساء المؤمنين: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾: بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ﴾: انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾: شرك فتقول الملائكة ﴿بَلَى إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٨: فيجازيكم به ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٢٩ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾: الشرك ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: بالإيمان ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي الجنة ﴿خَيْرٌ﴾: من الدنيا وما فيها قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٠ هي ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة مبتدأ خبره

قوله: [بالياء والتاء] أي فهما قراءتان سبعيتان، لكنه مع الياء يقرأ بالإمالة، و﴿الملائكة﴾ فاعل، والمراد بهم عزرائيل وأعوانه، وإنما أنث الفعل على قراءة التاء لأن لفظ الجمع مؤنث.

قوله: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ إنما أنكروا ذلك، رجاء أن يقبلوا. قوله: [ويقال لهم] أي عند خروج أرواحهم، وحينئذ فيكون المراد بالدخول شهود أرواحهم دار العذاب، أو يوم القيامة؛ والدخول على حقيقته. قوله: ﴿أبواب جهنم﴾ أي طبقاتها، والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التي أعدت له. قوله: ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ أي مقامهم ومنزلهم، والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو.

قوله: ﴿وقيل للذين اتقوا﴾ مقابل قوله: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد، فكانوا إذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾، وإذا صادفوا الكفار سألوهم. وقالوا: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ فكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ ﴿ماذا﴾ بتمامها اسم استفهام مفعول مقدم لأنزل، وحينئذ فتكون الجملة فعلية، وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال، فإن الجواب جملة فعلية أيضاً، لأن ﴿خيراً﴾ مفعول بفعل محذوف، تقديره أنزل خيراً، بخلاف ما تقدم، فإن ما اسم استفهام، وذا اسم موصول، و﴿أنزل﴾ صلته، فالجملة اسمية لمطابقة الجواب، فإنه مرفوع باتفاق السبع، وما هنا منصوب باتفاق السبع، والحكمة في رفع الأول ونصب الثاني، الفرق بين جواب المقر، حيث طابق بين السؤال والجواب، فجعلهما من جنس واحد، وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال: هو أساطير الأولين، وليس من الإنزال في شيء.

قوله: ﴿للذين أحسنوا﴾ هذا بيان لقوله: ﴿خيراً﴾ كأنهم قالوا: أنزل ربنا من أحسن في الدنيا بالطاعة، فله حسنة في الدنيا، وحسنة في الآخرة. قوله: [حياة طيبة] أي وهي تختلف باختلاف الإقبال على الله وعدمه، فكلما زاد العبد في الإقبال على ربه طابت حياته، فيزداد ترقياً في القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة، وغير ذلك من الكرامات التي تحصل له في الدنيا، وما خفي كان أعظم، قال تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

قوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أو للابتداء مؤكدة. قوله: ﴿خير﴾ [من الدنيا وما فيها] أي ولو حصل له في الدنيا، غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه، إن أعطي العبد النعيم في الجنة، وليس على بابه إن لم يكن من أهل الجنة، إذ لا خير في لذة بعدها النار، بل كان من عظم تنعمه في الدنيا، ولم يكن مرضياً عليه، فتنعمه زيادة في عذابه، قال تعالى ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾، وقال تعالى ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾. قوله: [قال تعالى] إنما قال ذلك، إشارة إلى أن جواب المؤمنين تم بقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾، وقوله: ﴿ولنعم دار المتقين﴾ ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التي هي خير. قوله: [هي] قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف.

﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ كَذَٰلِكَ﴾: الجزاء ﴿يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ﴾: نعت ﴿تَتَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾: لهم عند الموت ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: ويقال لهم في الآخرة ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢ هَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ﴾: بالتاء والياء ﴿ٱلْمَلَائِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العذاب أو القيامة المشتملة عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٣٣﴾: بالكفر ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: أي جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٣٤﴾: أي العذاب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: من أهل مكة ﴿لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا

قوله: ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة لا يطرأ عليها زوال ولا فناء، بل هي دائمة بأهلها على سبيل التأبيد. قوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي من تحت قصورها وغرفها، قال تعالى ﴿من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ أو المراد بالأنهار المذكورة في قوله تعالى ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الخ. قوله: ﴿ما يشاؤون﴾ أي يطلبون مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قوله: ﴿كذلك﴾ الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول يجزي، والتقدير يجزي الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء. قوله: ﴿المتقين﴾ أي الذين اجتنبوا الشرك، وأل في المتقين للاستغراق. قوله: [نعت] أي للمتقين.

قوله: ﴿تتوفاهم الملائكة﴾ أي تقبض أرواحهم. قوله: ﴿طيبين﴾ حال من ضمير ﴿تتوفاهم﴾ وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم، بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح، فيسهل عليهم قبض أرواحهم، ويطيب لهم الموت على هذه الحالة، فلو خير المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا، ويعطى جميع ما يشتهي فيها، وبين الموت، لاختار الموت، ولا يرجع إلى الدنيا، لشهوده حقارة الدنيا، بالنسبة لما رآه مهيأ له. قوله: [عند الموت] أي لما ورد «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت، جاءه ملك فقال له: السلام عليك يا ولي الله، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة». قوله: [في الآخرة] هذا أحد قولين، وقيل إن القول المذكور يكون عند خروج الروح، ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم، ويشهد له قوله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾ الآية، بناء على أن هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه. قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ الباء سببية، وما اسم موصول، والعائد محذوف، والتقدير بسبب الذي كنتم تعملونه.

قوله: ﴿هل ينظرون﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ولذا فسره بما النافية، والمعنى لا ينتظر الكفار إلا أحد أمرين: إما نزول الموت بهم، أو حلول العذاب، وأو مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: [بالتاء والياء] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [أو القيامة] أو لحكاية الخلاف.

قوله: ﴿وما ظلمهم الله﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [كذبوا رسلهم فأهلكوا]. قوله: ﴿فأصابهم﴾ معطوف على فعل ﴿الذين من قبلهم﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: [أي جزاؤها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل: فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا. قوله: ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي جزاء الذي كانوا به يستهزئون.

قوله: ﴿وقال الذين أشركوا﴾ الخ، هذا كلام صحيح في حد ذاته، لكنهم توصلوا به إلى أمر باطل، وحاصل ذلك أنهم قالوا: لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل، لكن وقعت منا العبادة لغيره، فهي بمشيئته، فهو راض بها، واعتقدوا أن الإرادة لازمة للرضا في حقه تعالى، وهو اعتقاد باطل، وحاصل الرد عليهم أن يقال: إن الإرادة لا تستلزم

آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾: من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راضٍ به قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾**: أي كذبوا رسلهم فيما جاءوا به **﴿فَهَلْ﴾**: فما **﴿عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾** ٣٥: إلا البلاغ البيّن وليس عليهم الهداية **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾**: كما بعثناك في هؤلاء **﴿أَنِ﴾**: أي بأن **﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾**: وحّدوه **﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**: الأوثان أن تعبدوها **﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾**: فآمن **﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ﴾**: وجبت **﴿عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾**: في علم الله فلم يؤمن **﴿فَسِيرُوا﴾**: يا كفار مكة **﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** ٣٦: رسلهم من الهلاك **﴿إِن تَحْرِصْ﴾**: يا محمد **﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾**: وقد أضلهم الله لا تقدر على ذلك **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾**: بالبناء للمفعول وللفاعل **﴿مَن يُضِلُّ﴾**: من يريد إضلاله **﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾** ٣٧: مانعين من عذاب الله **﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾**: أي غاية اجتهادهم فيها **﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن**

الرضا، بل قد يريد شيئاً ولا يرضى به، لتنزهه عن الأغراض في الأحكام والأفعال، فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد، وذلك لأن ما يغضب الله لا يصل له منه ضرر، وما يرضيه لا يصل له منه نفع، بل معنى ذلك أنه يعاقب على ما يغضبه، ويثيب على ما يرضيه، بخلاف العباد، فرضاهم لازم لإرادتهم، لأن ما يرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بإرادتهم، وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر، فهو غير واقع بإرادتهم، والكفار قد سووا بين الخالق والمخلوق، فقالوا ما قالوا، والمقصود من هذه الشبهة إبطال إرسال الرسل وجعله عبثاً، تعالى الله عن ذلك. قوله: **﴿من دونه من شيء﴾** من الأولى ابتدائية، والثانية زائدة. قوله: **[فهو راض به]** هذا هو محط شبهتهم التي رتبوا ما ذكر عليها. قوله: **[الإبلاغ البين]** أشار بذلك إلى أن البلاغ مصدر بمعنى الإبلاغ.

قوله: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً﴾** أي فلا خصوصية لك. قوله: **[أي بأن]** **﴿اعبدوا﴾** أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، ويصح جعلها تفسيرية، والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول. قوله: **﴿واجتنبوا الطاغوت﴾** أي تباعدوا عن عبادة الطاغوت، والمراد بالطاغوت، قيل كل ما يعبد من دون الله، وقيل الشيطان. قوله: **[فلم يؤمن]** أفرد باعتبار لفظ من، وفي نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى.

قوله: **﴿فسيروا﴾** أمر لأهل مكة بالسير، والنظر في أحوال من تقدمهم. قوله: **﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾** أي مآلهم وآخر أمرهم على أي كيفية. قوله: **[رسلهم]** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿المكذبين﴾** مفعوله محذوف. قوله: **[وقد أضلهم الله]** الجملة حالية. قوله: **[لا تقدر على ذلك]** هذا هو جواب الشرط، وقوله: **﴿فإن الله﴾** الخ تعليل للجواب. قوله: **﴿لا يهدي من يضل﴾** الجملة خبر إن، والرابط ضمير مقدر في يضل، تقديره من يضله، والظاهر أن هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله، وأما الضمير المفعول الذي هو الهاء، فإنه عائد على من ولا ربط فيه. قوله: **[بالبناء للفاعل والمفعول]** أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى أن من أراد الله إضلاله، فلا تمكن هدايته، فلا تتعب نفسك في هداه. إن قلت: إن التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل. أجيب: بأنه لا يسأل عما يفعل. قوله: **﴿وما لهم من ناصرين﴾** أي من يريد إضلاله، لا مانع له من عذاب الله إذا نزل به.

قوله: **﴿وأقسموا بالله﴾** أي حلفوا به، وقوله: **﴿جهد أيمانهم﴾** أي لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم، فإذا كان

---

* أسباب نزول الآية: ٣٨ قوله تعالى: ﴿وأقسموا﴾ الآية. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت، فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية.

يموت﴾: قال تعالى: ﴿بلى﴾: يبعثهم ﴿وعداً عليه حقاً﴾: مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أي وعد ذلك وحقه حقاً ﴿ولكن أكثر الناس﴾: أي أهل مكة ﴿لا يعلمون﴾ ٣٨: ذلك ﴿ليبين﴾: متعلق بيبعثهم المقدر ﴿لهم الذي يختلفون﴾: مع المؤمنين ﴿فيه﴾: من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ ٣٩: في إنكار البعث ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه﴾: أي أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ ٤٠: أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفاً على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث ﴿والذين هاجروا في الله﴾: لإقامة دينه ﴿من بعد ما ظلموا﴾: بالأذى من أهل مكة وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لنبوئنهم﴾: ننزلهم ﴿في الدنيا﴾: داراً ﴿حسنة﴾: هي المدينة ﴿ولأجر الآخرة﴾: أي الجنة ﴿أكبر﴾: أعظم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ ٤١: أي الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم هم ﴿الذين صبروا﴾: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ ٤٢: فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾: لا ملائكة ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾: العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا

الأمر عظيماً حلفوا بالله. قوله: [أي غاية اجتهادهم] أي فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة، فقولهم الجهد بالفتح المشقة، وبالضم الطاقة بحسب الغالب. قوله: [قال تعالى] أي رداً لمقالتهم. قوله: [مصدران مؤكدان] أي للجملة المقدرة بعد ﴿بلى﴾. قوله: [أي وعد ذلك] الخ، الأوضح أن يقول أي وعد ذلك وعداً، وحقه حقاً. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ [ذلك] أي أنهم يبعثون لجهلهم. قوله: [المقدر] أي بعد ﴿بلى﴾. قوله: [من أمر الدين] أي وهو البعث. قوله: [بتعذيبهم] الخ متعلق ﴿ليبين﴾ والمعنى ليميز لهم الأمر الذي يختلفون فيه، بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي. قوله: ﴿وليعلم﴾ معطوف على ﴿ليبين﴾. قوله. ﴿لشيء﴾ تسميته شيئاً باعتبار ما يؤول إليه، وإلا فالمعدوم لا يسمى شيئاً. قوله: [والآية لتقرير القدرة على البعث] أي فهي رد على من قال: إن الله لا يبعث من يموت، والأمر كناية عن سرعة الإيجاد عند تعلق الإرادة بالإيجاد، وليس ثم كاف ولا نون، وإلا لزم إما خطاب المعدوم حال عدمه، وهو لا يعقل، أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده، وكلا الأمرين محال.

قوله: ﴿والذين هاجروا﴾ أي انتقلوا من مكة للمدينة. قوله: [لإقامة دينه] أشار بذلك إلى أن في بمعنى اللام، والكلام على حذف مضافين. قوله: ﴿أكبر﴾ أي من دار الدنيا. قوله: [أو المتخلفون] تفسير ثان للضمير في ﴿يعلمون﴾. قوله: [لوافقوهم] جواب الشرط. قوله: ﴿الذين صبروا﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: [هم]. قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يثقون به، ويفوضون أمورهم إليه، والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية، إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل، وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم في مرضاة ربهم، ورضوا بالذل بدل العز، وبالفقر بدل الغنى، فجازاهم الله بإبدال الذل عزاً والفقر غنى، فصاروا سادات الناس في الدنيا والآخرة، قال البوصيري رضي الله عنه:

مـا لـموسى ولا لـعيسى حـواريـو … ن فـي فـضـلـهـم ولا نـقـبـاء

قوله: ﴿فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون﴾ نتيجة التوكل، وليست معنى التوكل. قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا: ما كان الله أن يرسل رسولاً من الرجال، بل اللائق أن يرسل ملكاً. قوله:

---

* أسباب نزول الآية: ٤١ قوله تعالى: ﴿والذين هاجروا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن داود بن أبي هند قال: نزلت ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ إلى قوله ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ في أبي جندل بن سهيل.

﴿تَعْلَمُونَ﴾٤٣: ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الكتب ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾٤٤: في ذلك فيعتبرون ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟﴾: المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾: كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾٤٥: أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾: في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾٤٦: بفائتين العذاب ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ

﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ جواب شرط مقدر دل عليه. قوله: ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ تقديره: إن شككتم في ذلك فاسألوا.

قوله: ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ أي على سبيل الفرض والتقدير، وإلا فهم عالمون بذلك، وإنما كفرهم عناد. قوله: [أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد] أي لأن كفار مكة، كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب عندهم علم الكتب القديمة، وقد أرسل الله لهم رسلاً، كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم، وكانوا بشراً، فإذا سألوهم، فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشراً، فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك. قوله: [متعلق بمحذوف] أي جواباً لسؤال مقدر، كأنه قال: لم أرسلوا؟ فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر، وهذا أحسن ما قيل هنا. قوله: [القرآن] إنما سمي القرآن ذكراً لأنه مشتمل على المواعظ التي بها يتذكر العاقل، ويتنبه الغافل.

قوله: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ أي ما أجمل من الأحكام، فبيان المجمل من القرآن، تكفل به رسول الله ﷺ فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن. قوله: ﴿أفأمن الذين﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره أعموا ولم يتفكروا، فأمن الذين الخ. قوله: ﴿السيئات﴾ صفة لمقدر محذوف، قدره المفسر بقوله: [المكرات] بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر. قوله: ﴿أن يخسف﴾ ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر معمول لأمن، والتقدير أفأمنوا خسف الله بهم الأرض. قوله: [وقد أهلكوا ببدر] أي أهلك صناديدهم، وهم الذين اجتمعوا في دار الندوة. قوله: [يقدروا ذلك] أي الهلاك، أي يعتقدوه ويظنوه، وهو بدل من يكونوا، والمبدل من المجزوم مجزوم، أو حذفت النون تخفيفاً. قوله: ﴿في تقلبهم﴾ أي حال كونهم متقلبين في أسفارهم. قوله: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي يهلكهم في حال خوفهم، أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته إذا انتقصته، روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا التخوف التنقص، فقال: هل تعرف العرب ذلك في اشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته:

تخوف الرحل منها تامكاً قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم، والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة، والتامك بالفوقية السنام، والقرد بفتح القاف وكسر الراء، هو المرتفع أو المتراكم، والنبع شجر تتخذ منه القسي، والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم، والمعنى أن الرحل أثر في سنام تلك الناقة، فأكله وانتقصه كما ينقص المبرد أو القدوم العود من الشجر.

﴿لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ٤٧: حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾: تتميل ﴿ظِلَالُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ﴾: جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾: حال أي خاضعين بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾: أي الظلال ﴿دَاخِرُونَ﴾ ٤٨: صاغرون نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾: أي نسمة تدب عليها أي يخضع له بما يراد منه وغلب في الإتيان بما لا يعقل لكثرته ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ﴾: خصهم بالذكر تفضيلا ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٩: يتكبرون عن عبادته ﴿يَخَافُونَ﴾: أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون ﴿رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾: حال من هم أي عالياً عليهم بالقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٥٠: به ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ﴾ ٥١: خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة ﴿وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يروا، والاستفهام للتوبيخ. قوله: [له ظل] خرج الملك والجن. قوله: ﴿تتفيأ﴾ أي تنتقل من جانب إلى آخر، واختلف في الفيء، فقيل: هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده، وهو الموافق لمعنى الآية هنا، وقيل: الظل ما كان قبل الزوال، والفيء ما كان بعده، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿عن اليمين والشمائل﴾ أي يمين المستقبل للقبلة وشماله، وذلك أن الشمس إذا طلعت من المشرق، وأنت متوجه إلى القبلة، كان ظلك عن يمينك، فإذا ارتفعت واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك، فإذا مالت إلى الغروب، كان ظلك عن يسارك، وأفرد اليمين، وجمع الشمال تفنناً. قوله: [أي عن جانبيهما] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: [حال] أي من قوله: ﴿ظلاله﴾. قوله: [بما يراد منهم] أي من طول وقصر وتحول من جانب لآخر. قوله: ﴿وهم داخرون﴾ الجملة حالية من الضمير في ﴿سجداً﴾. قوله: [نزلوا] أي في جمعهم بالواو والنون كالعقلاء، وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله، وذلك من وصف العقلاء، فجمعت بالواو والنون.

قوله: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ أي طوعاً وكرهاً، فسجود الملائكة وغير العاقل طوعاً فقط، وسجود الآدميين والجن طوعاً من مؤمنيهم، وكرهاً من كافرهم. قوله: [أي يخضع له] أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود معناه اللغوي. قوله: ﴿والملائكة﴾ عطف على ما في قوله: ﴿ما في السموات﴾. قوله: [تفضيلاً] أي تشريفاً وتعظيماً. قوله: [يتكبرون عن عبادته] أي لا يتركون عبادة ربهم، ولا يتكبرون عنها. قوله: [حال من هم] صوابه من ربهم بدليل قوله: [عالياً] الخ، والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعلياً عليهم وقاهراً لهم، فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة لأنها مستحيلة عليه تعالى. قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي فلا يعصون ربهم أبداً، بل هم ممتثلون لأمره مجتنبون لنهيه.

قوله: ﴿وقال الله﴾ أي لعباده. قوله: ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ ﴿لا﴾ ناهية، و﴿تتخذوا﴾ مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، و﴿إلهين﴾ مفعول أول، و﴿اثنين﴾ تأكيد له، والمفعول الثاني محذوف تقديره معبوداً، ويعلم من النهي عن اتخاذ اثنين النهي عن اتخاذ الأكثر بالأولى. قوله: ﴿إنما هو إله واحد﴾ أتى به لإثبات الألوهية والوحدانية، والمعنى أن المعبود لا يكون إلا واحداً، وإلا لم يوجد شيء من العالم، قال تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقال تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾.

قوله: ﴿فإياي فارهبون﴾ إياي مفعول لفعل محذوف، يفسره قوله ارهبون، أي ارهبوا إياي فارهبون، والمعنى لا تخافوا

وعبيداً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾: دائماً حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [٥٢]: وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للإنكار والتوبيخ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: لا يأتي بها غيره وما شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾: أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الفقر والمرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [٥٣]: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٥٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾: من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٥٥]: عاقبة ذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنها تضر ولا تنفع وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: من

غيري، فإن النفع والضر بيدي، والألوهية وصفي، فلا تخشوا غيري، ولا ترجوا غيري. قوله: [وفيه التفات عن الغيبة] أي إلى التكلم، لأنه أبلغ في التخويف.

قوله: ﴿وله ما في السموات والأرض﴾ فيه التفات من التكلم للغيبة، وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية، إذ غيره لا يخلو، إما أن يكون في السماوات أو الأرض، وكل بما فيها مملوك لله، فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلهاً. قوله: [ملكاً وخلقاً وعبيداً] أي فجميع ما في السماوات والأرض مملوكون مخلوقون له، يتصرف فيهم كيف يشاء. قوله: ﴿وله الدين﴾ أي التدين والانقياد لا لغيره، فالطاعة لا تكون إلا لله وحده، وطاعة الرسول والوالدين وأولي الأمر، من طاعة الله لأمره بها. قوله: [والعامل فيه معنى الظرف] أي الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور، والمعنى استقر الدين له حال كونه دائماً، وهذا ظاهر على أن ﴿الدين﴾ فاعل بالجار والمجرور، وأما إن جعل الدين مبتدأ مؤخراً، والجار والمجرور خبراً مقدماً، فلا يصح ما قاله المفسر، لأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، والمبتدأ ليس معمولاً للخبر، وحينئذ فالأولى أن يجعل حالاً من الضمير الكائن في الظرف، والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصباً. قوله: ﴿أفغير الله تتقون﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون. قوله: [والاستفهام للإنكار] أي والمعنى لا يليق منكم، أن تتقوا غيره، ولا تطيعوا غيره، إلا إذا كان الأمر بذلك هو الله، كطاعة الوالد والرسول، ففي الحقيقة التقوى لله. قوله: ﴿وما بكم من نعمة﴾ أي دنيوية أو أخروية. قوله: [وما شرطية] أي وفعل الشرط محذوف، والتقدير ما نزل بكم. وقوله: ﴿فمن الله﴾ جواب الشرط، وقوله: ﴿من نعمة﴾ بيان لما، ويرد عليه أنه لا يحذف فعل الشرط، إلا بعد إن في موضعين: الأول في باب الاشتغال نحو: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره. الثاني أن تكون لا النافية تالية، لأن مع وجود ما يدل على الشرط، كقول الشاعر:

فطلقها فلست لها بكفء ... وإلا يعل مفرقك الحسام

فإن لم توجد لا، أو كانت الأداة غير إن، لم يحذف إلا لضرورة، فالأحسن الإعراب الثاني. قوله: [أو موصولة] أي بمعنى الذي، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما، و﴿من نعمة﴾ بيان لما وهو مبتدأ: وخبره قوله: ﴿فمن الله﴾ والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط، والمعنى أن الله هو مولي النعم لا غيره، وتسمية غيره منعماً، باعتبار أن النعم أجريت على يده، وهو مظهر لها. قوله: ﴿تجأرون﴾ من الجؤار بوزن غراب، وهو رفع الصوت بالدعاء، في كشف ما نزل من الضر.

قوله: ﴿ثم إن كشف الضر عنكم﴾ أي أزله بإيصال النفع لكم. قوله: ﴿ليكفروا﴾ اللام لام كي، وهي متعلقة بيشركون، أو لام العاقبة والصيرورة، أو لام الأمر للتهديد. قوله: [أمر تهديد] أي تخويف. قوله: [عاقبة ذلك] أي وهي الخلود في النار. قوله: [لأنها لا تضر ولا تنفع] أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿يعلمون﴾ محذوف. قوله: [وهي الأصنام]

الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾: سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ﴾ ٥٦: على الله من أنه أمركم بذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً
له عما زعموا ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ ٥٧ أي البنون والجملة في محل رفع أو نصب بيجعل المعنى يجعلون له البنات
التي يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيختصون بالأسنى كقوله فاستفتهم ألربك
البنات ولهم البنون ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: تولد له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ
كَظِيمٌ﴾ ٥٨: ممتلئ غماً فكيف تنسب البنات إليه تعالى ﴿يَتَوَارَىٰ﴾: يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾: أي قومه ﴿مِن سُوءِ مَا
بُشِّرَ بِهِ﴾: خوفاً من التعيير متردداً فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾: يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي
التُّرَابِ﴾: بأن يئده ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٥٩: حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هي
عندهم بهذا المحل ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: أي الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾: أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة
وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ
الْعَزِيزُ﴾: في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ٦٠: في خلقه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: أي
الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾: نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: عنه

تفسير لما، والمعنى: ويجعل المشركون للأصنام، التي لا يعلمون منها نفعاً ولا ضراً نصيباً، الخ. قوله: [من الحرث] بيان لما، والمراد بالحرث الزرع. قوله: [بقولهم] متعلق بيجعلون. قوله: [وفيه التفات عن الغيبة] أي لزيادة التوبيخ عليهم. قوله: [بقولهم الملائكة بنات الله] أي وليس المراد بالبنات بناتهم التي يلدونها، لأنهم يعترفون بأنها منسوبة لهم، فلا يضيفونها لله، وإنما البنات التي يضيفونها لله، هي الملائكة، والقائل ذلك كنانة وخزاعة. قوله: [والجملة في محل رفع] المناسب أن يقول مستأنفة، لأن هم خبر مقدم، وما مبتدأ مؤخر لا محل لها من الإعراب. قوله: [أو نصب بيجعل] أي بالعطف على معمولي يجعل، فإن قوله: ﴿لهم﴾ معطوف على ﴿لله﴾، و ﴿ما﴾ معطوف على ﴿البنات﴾ مسلط عليهما، ويجعل فيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائز باتفاق. قوله: [بالأسنى] أي الأرفع والأشرف.

قوله: ﴿وإذا بشر أحدهم﴾ الجملة في محل نصب حال من الواو في ﴿يجعلون﴾ والمراد بالبشارة الإخبار. قوله: [صار] أشار بذلك إلى أن ﴿ظل﴾ ليست على بابها من أنها تدل على الإقامة على تلك الصفة نهاراً، بل المراد منها الانتقال من حالة لأخرى. قوله: ﴿من سوء ما بشر به﴾ أي من أجل سوء الأنثى التي بشر بها، وسوءها من حيث إنه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها، وكونها لا تكتسب وغير ذلك. قوله: [متردداً] قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أيمسكه﴾ الخ، معمول لحال محذوفة، ولا يصلح أن يكون حالاً لأنه جملة طلبية. قوله: ﴿على هون﴾ حال من المفعول، والمعنى أيمسكه مهيناً له. قوله: ﴿أم يدسه﴾ أي يخفيه. قوله: [بأن يئده] الوأد دفن البنت حية. قوله: [بهذا المحل] أي الرتبة، وهي الحقارة والذل. قوله: [أي الصفة السوأى] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مثل السوء﴾ من إضافة الموصوف لصفته، والسوأى بضم السين والقصر بوزن طوبى. قوله: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ أي فصفات الله أعلى الصفات، وصفات الكفار أخسها، حيث ينسبون لله ما يكرهون لأنفسهم، مع كونه منزهاً عن صفات الحوادث. قوله: ﴿وهو العزيز﴾ [في ملكه] أي الغالب فلا يعجزه شيء. قوله: ﴿الحكيم﴾ [في خلقه] أي يضع الشيء في محله.

قوله: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ الخ أي لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم، لم يبق أحداً. قوله: ﴿ما ترك عليها﴾ الضمير عائد على الأرض المفهومة من السياق، لأن الدابة ما دب على وجه الأرض. قوله: ﴿من دابة﴾

﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ٦١: عليه ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾: تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾: مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾: وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾: عند الله أي الجنة لقوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ ٦٢: متروكون فيها أو مقدمون إليها وفي قراءة بكسر الراء أي متجاوزون الحد ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: رسلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾: أي في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٦٣: مؤلم في الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾:

﴿من﴾ زائدة في المفعول، ووجه هلاك الجميع أن الله تعالى يمسك السماء عن المطر، والأرض عن النبات، فإذا حصل ذلك، هلك كل مرزوق، لأن كل دابة محتاجة للقوام، فإذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها، وهو أقرب ما يقال في ذلك.

قوله: ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي لكن سبقت حكمة الله، بأن الدنيا تصير عماراً، إلى أن تنقضي المدة التي قدرها الله تعالى، فإذا كان كذلك، فلا يعاجلهم بالعقوبة، بل يوفيهم أرزاقهم وآجالهم لغلبة الرحمة على الغضب، فلو عاجلهم بالعقوبة، لكان الغضب غالباً على الرحمة، وهو خلاف ما سبق علمه به. قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ أي لا يتقدمون على الأجل المعين الذي حضر. إن قلت: إنه لا يحسن ترتبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء، لا يتوهم التقدم عليه إذ هو مستحيل، ولا ينفي إلا ما يتوهم ثبوته. أجيب: بأن قوله: ﴿ولا يستقدمون﴾ معطوف على جملة الشرط، وجوابه كأنه قال: فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة، وإذا لم يجيء لا يستقدمون عليه.

قوله: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ هذا من جملة صفات السوء. قوله: [والشريك في الرياسة] أي وهو الأصنام، جعلوها شركاء لله في الألوهية التي هي أعلى أوصاف الرياسة. قوله: [وإهانة الرسل] أي كما أهانوا رسول الله، فهم يكرهون البنات والشريك في الرياسة وإهانة رسلهم، ويجعلونه ما يكرهونه لله، فينسبون لله البنات، ويشركون مع الله في الألوهية غيره، ويهينون رسول الله. قوله: ﴿الكذب﴾ مفعول به، وقوله: ﴿أن لهم الحسنى﴾ بدل كل من كل. والمعنى: وتقول ألسنتهم زيادة على ما سبق منهم، أن لهم الحسنى. قوله: [لقوله] دليل لقوله: [عند الله]. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم وتبكيتاً لهم.

قوله: ﴿لا جرم﴾ تقدم أن ﴿لا﴾ نافية لمعنى ما قبلها، و﴿جرم﴾ بمعنى حق وثبت، و﴿أن﴾ وما دخلت عليه في محل رفع فاعل. والمعنى: لا عبرة بقولهم الكذب، بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها، وتقدم أن قول المفسر [حقاً] مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقاً. قوله: [أو مقدمون إليها] أي معجلون إليها قبل غيرهم. قوله: [وفي قراءة] وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿تالله لقد أرسلنا﴾ شروع في تسليته ﷺ. قوله: ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي جعلها حسنة ليضلهم بها. قوله: [أي في الدنيا] هذا أحد قولين ذكرهما المفسر، وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل، لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة، وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ، أي وعليه فاليوم مستعمل في غير معناه الأصلي، لأنه حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم، ولذا أوله المفسر بقوله: [على حكاية الحال الآتية] أي فعبر عن الزمان الذي لم يحصل، بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله، فكأنه حاضر الآن. قوله: [أي لا ولي لهم] أي لا ناصر ولا

القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس ﴿ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: من أمر الدِّين ﴿وَهُدًى﴾: عطف على لتبيّن ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦٤: به ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَةً﴾: دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ٦٥: سَماع تدبر ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: اعتباراً ﴿نُسْقِيكُم﴾ بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾: أي الأنعام ﴿مِنۢ﴾ للابتداء متعلقة بنسقيكم ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: ثفل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾: لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ٦٦: سهل المرور في حلقهم لا يغص به ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: ثمر ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: خمراً تسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إِنَّ

مغيث لهم غيره. قوله: [وهو عاجز] الخ، الجملة حالية. قوله: [فكيف ينصرهم] أشار بذلك إلى أن المراد بالولي على هذا القول الثاني الناصر، وأما على الأول فمعناه القرين المتولي إغواءهم.

قوله: ﴿وما أنزلنا﴾ الخ هذا من جملة تسليته ﷺ. قوله: [من أمر الدين] أي كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك. قوله: ﴿وهدى﴾ أي من الضلال. قوله: ﴿ورحمة﴾ أي إحساناً. قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ خصّهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾. قوله: ﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى. قوله: [دالة على البعث] أي لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يبسها، قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها. قوله: [سماع تدبر] أي فالمراد بالسماع سماع القلوب، لا سماع الآذان.

قوله: ﴿وإن لكم في الأنعام﴾ ﴿في﴾ للسببية. والمعنى: وإن لكم بسبب الأنعام لعبرة الخ. قوله: ﴿لعبرة﴾ أي اتعاظاً وتذكاراً، يعتبر بها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعّال لما يريد. قوله: [بيان للعبرة] أي لمتعلقها وهو المعتبر به. قوله: ﴿مما في بطونه﴾ من للتبعيض، وقوله: ﴿من بين فرث﴾ ﴿من﴾ ابتدائية كما قال المفسر. والمعنى: نسقيكم بعض الذي في بطونه لبناً خالصاً ناشئاً من بين فرث ودم، وذكر الضمير في بطونه هنا، مراعاة للفظ الأنعام، وأنثه في سورة المؤمنون مراعاة للمعنى الذي هو جماعة الأنعام، لأن الأنعام اسم جمع. قوله: [ثفل الكرش] بضم المثلثة وسكون الفاء، و[الكرش] بوزن الكبد. قوله: ﴿لبناً﴾ مفعول ثان لنسقيكم، والأول هو الكاف. قوله: [وهو بينهما] وذلك لأن البهيمة إذا أكلت العلف طبخه الكرش، فيجعل الله أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء، وأعلاه دماً، وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى، ثم يسلط الكبد عليه، فتجري عليه الدم في العروق، واللبن في الضروع، ويبقى الفرث في الكرش، فينزل من مخرجه روثاً. قوله: [سهل المرور] أي ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التي ترضعها أمهاتها، ولعظم مزيته يقال عقب أكله: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، بخلاف غيره من الأطعمة، فيقال وعوضنا خيراً منه.

قوله: ﴿ومن ثمرات النخيل﴾ خبر مقدم، والمبتدأ محذوف قدّره المفسر بقوله: [ثمر]، وقوله: ﴿تتخذون﴾ نعت لذلك المحذوف، والضمير في ﴿منه﴾ عائد على ذلك المحذوف. قوله: [خمراً] أي وقيل إنه اسم للخل بلغة الحبشة، وقيل اسم للعصير ما دام حلواً، وتسميته سكراً باعتبار ما يؤول إليه، وعلى هذين التفسيرين، فالامتنان به باق لم ينسخ. قوله: [سميت بالمصدر] أي فالسكر مصدر سكر من باب فرح. قوله: [وهذا قبل تحريمها] أي لأن هذه السورة مكية، وتحريم الخمر كان بالمدينة، نزلت به سورة المائدة وهي مدنية. قوله: [والدبس] هو عسل الرطب

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿لَآيَةً﴾: دالة على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٦٧: يتدبرون ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾: وحي إلهام ﴿أَنِ﴾: مفسرة أو مصدرية ﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: تأوين إليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾: بيوتاً ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ٦٨: أي الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي﴾: ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طرقه في طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا عن العود منها وإن بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾: هو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾: من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى

ويطلق على عسل العنب. قوله: [المذكور] أي من إخراج اللبن على هذه الكيفية، واتخاذ السكر والرزق من الثمرات.

قوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ لما ذكر سبحانه وتعالى، ما يدل على باهر قدرته وعظيم حكمته، من إخراج اللبن من بين فرث ودم، وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذكر إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من النحل، وهي دابة ضعيفة، لما فيه من العجائب البديعة والأمور الغريبة، وكل هذا يدل على وحدانية الصانع، وقدرته وعظمته. قوله: ﴿إلى النحل﴾ هو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء، كنمل ونملة، وشجر وشجرة، ويذكر ويؤنث، فمن التأنيث قوله هنا: ﴿أن اتخذي﴾ ويجوز في غير القرآن تذكيره فيقال: أن اتخذ. قوله: [وحي إلهام] أي هداية ورشد، لا وحي نبوة، إذ هي مستحيلة على غير المختصين من بني آدم، فمن أثبتها لغير النوع الإنساني فقد كفر. قوله: [مفسرة] أي لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: ﴿أوحى﴾. قوله: [أو مصدرية] أي فهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير أوحى ربك إلى النحل باتخاذها.

قوله: ﴿من الجبال بيوتاً﴾ أي أماكن و﴿من﴾ بمعنى في، أي اتخذي في الجبال أماكن تأوين إليها الخ. ومن عجيب قدرته تعالى، أن ألهمها اتخاذ بيوت على شكل مسدس، من أضلاع متساوية، لا يزيد بعضها على بعض، وليس فيه فرج خالية ولا خلل، وألهمها الله تعالى، أن تجعل عليها أميراً كبيراً نافذاً حكمه فيها وهي تطيعه، وهذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة، يسمى يعسوب، وألهمها سبحانه وتعالى، أن تجعل على كل باب خلية بواباً، لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تضل عنها. قوله: ﴿ومما يعرشون﴾ أي وفيما [يبنون لك] أي فالنحل تارة تبني بيوتها التي هي من الشمع والماء، تارة في الجبال، وتارة في الأشجار، وذلك في النحل الوحشي، وتارة تبنيه في الخلايا، وهذا في النحل الأهلي. قوله: [وإلا لم تأو إليها] أي وإلا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت في الأماكن الثلاثة لم تأو إليها، فيضيع عسلها ولا ينتفع به.

قوله: ﴿من كل الثمرات﴾ أي حلوها ومرها، طيبها ورديئها. قوله: [وإن توعرت] أي صعبت. قوله: [ولا تضلي] معطوف على قوله: [فلا تعسر عليك]. قوله: [أي منقادة لما يراد منك] أي ممتثلة، ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها، فالبعض يعمل الشمع، والبعض يعمل العسل، والبعض يأتي بالماء ويصبه في البيت، والبعض يبني البيوت.

قوله: ﴿شراب مختلف ألوانه﴾ أي ما بين أبيض وأصفر وأحمر، وغير ذلك من ألوان العسل، واختلف في سبب اختلاف ألوانه، فقيل بسبب اختلاف المرعى، وقيل بسبب اختلاف سن النحل، فالأبيض لصغيرها، والأصفر لكهلها، والأحمر لمسنها، ورد هذا بأنه لا دليل عليها. قوله: [قيل لبعضها] أي الأوجاع، كالبلغم والبرودة وباقي الأمراض الباردة. قوله: [أو لكلها] أي الأوجاع جميعها، فالأمراض التي شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه، والأمراض التي شأنها

غيره أقول وتُبدونها بنيته وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٦٩: في صنعه تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾: عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: أي أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة

الحرارة، ينفع فيها مضموماً لغيره، ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو منه. قوله: [أقول وبدونها بنيته] أي بنية الشفاء الجازمة، أن الله يخلق الشفاء عند استعماله، لأخباره تعالى بذلك، فتحصل أن في قوله تعالى ﴿فيه شفاء للناس﴾ أقوالاً ثلاثة: قيل شفاء لبعض الأوجاع التي شأنها البرودة، وقيل شفاء لجميعها، لكن في الأمراض الباردة يستعمل خالصاً، والحارة يستعمل مشوباً بغيره، وقيل شفاء لجميعها بالنية في كل ولكل أحد، ولذا روي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً، إلا جعل عليها عسلاً، حتى الدمل إذا خرج، طلى عليه عسلاً، وحكى النقاش عن أبي وجرة، أنه كان يكتحل بالعسل، ويتنشق بالعسل، ويتداوى بالعسل. قوله: [وقد أمر به ﷺ] الخ قد اقتصر المفسر الحديث ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً، فسقاه ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلاً، فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات، ثم جاءه الرابعة فقال: اسقه عسلاً، فقال: سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ، ولا عبرة باعتراض الملحدين الذين في قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل، فكيف يوصف لمن به الإسهال، لأن الإسهال يكون من أنواع كثيرة، منها الإسهال الحادث من التخم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعين على الإسهال، إذ حبس الطبيعة مضر فهذا الحديث محمول على ذلك، ولذا نفعه آخراً، حين نظفت المعدة، وخلصت من الغش.

قوله: ﴿إن في ذلك الآية﴾ أي دلالة على وحدانية الصانع الحكيم القادر. قوله: ﴿والله خلقكم﴾ أي أنشأكم وأوجدكم. قوله: ﴿ثم يتوفاكم﴾ أي يميتكم. قوله: ﴿ومنكم﴾ الخ، معطوف على محذوف، والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت، ومنكم الخ. قوله: ﴿إلى أرذل العمر﴾ أي أضعفه، قال بعض العلماء: عمر الإنسان له أربع مراتب: أولها: سن النشوء والنماء، وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد. ثم المرتبة الثانية: سن الوقوف، وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين. وهو غاية القوة وكمال العقل. ثم المرتبة الثالثة: سن الكهولة، وهي الأربعين إلى ستين سنة، وفي هذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص، غير أنه يكون خفيا. ثم المرتبة الرابعة: سن الشيخوخة والانحطاط، من الستين إلى آخر العمر، وفيه يتبين النقص، ويكون الهرم والخرف، وقد استعاذ منه ﷺ حيث قال: «اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات».

قوله: ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾ اللام لام التعليل، وكي مصدرية، ولا نافية، و﴿شيئاً﴾ تنازعه الفعل والمصدر، فأعمل في الثاني، وأضمر في الأول وحذف. والمعنى لأجل انتفاء علمه بالأشياء التي كان يعلمها قبل هذه الحالة، فيرجع إلى مبدئه في عدم المعرفة والعلم، كالطفل الذي لا يدري شيئاً. قوله: [من قرأ القرآن] أي عاملا به، وكذلك العلماء العاملون، لا يصيرون بهذه الحالة، بل كلما ازدادوا في العمر، ازدادوا في العلم والمعرفة والعقل، كما هو مشاهد، ولذا قالوا: أعلى كلام العارفين ما صدر منهم في آخر عمرهم، بل قالوا: الرد لأرذل العمر، يكون للكفار وللمنهمكين في الشهوات من عوام المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ ٧٠: على ما يريده ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾: فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا﴾: أي الموالي ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾: أي المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾: شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ٧١: يكفرون حيث يجعلون له شركاء ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ٧٢: بإشراكهم ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: بالنبات ﴿شَيْـًٔا﴾: بدل من رزقاً ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٧٣: يقدرون على شيء وهو الأصنام ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: لا تجعلوا لله أشباهاً تشركوهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٧٤: ذلك ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾:

قوله: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ المقصود من ذلك الرد على الكفار، حيث جعلوا لله شريكاً في ألوهيته، كأنه قال: الله جعل منكم أغنياء وفقراء، فالأغنياء لا ترضى أن تشرك الفقراء في أوصافهم، فكيف يجعلون لله شريكاً في صفاته، مع أنه الغني المطلق عما سواه، وهذا من ثمرات قوله ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾. قوله: [أي الموالي] المراد بهم السادة. قوله: [المعنى ليس لهم شركاء] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فهم فيه سواء﴾ حذف منه أداة الاستفهام، والتقدير أفهم فيه سواء، ومعناه النفي، أي ليسوا مستوين فيه، أي لا ترضى الأغنياء بتسوية الفقراء معهم في غناهم، ولا الموالي بتسوية العبيد معهم في سيادتهم، فكيف يجعلون وصف الألوهية لغيره تعالى. قوله: ﴿أفبنعمة الله﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، وهي داخلة على الفعل. والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته؟ قوله: [يكفرون] أشار بذلك إلى أنه ضمن قوله: ﴿يجحدون﴾ معنى [يكفرون] فعداه بالباء، وإلا فالجحد يتعدى بنفسه.

قوله: ﴿من أنفسكم﴾ أي نوعكم وجنسكم. قوله: [فخلق حواء من ضلع آدم] أي الأيسر القصير. قوله: ﴿بنين﴾ لم يذكر البنات لكراهتهم لهن، فلم يمتن عليهم إلا بما يحبونه. قوله: [أولاد الأولاد] أي وسموا حفدة لأنهم يخدمون أجدادهم، ويسارعون في طاعتهم، لأن الحافد معناه الخادم. قوله: ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يقال فيه ما قيل فيما قبله، فيكون التقدير أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل؟ وهو استفهام توبيخ وتقريع. قوله: ﴿ويعبدون﴾ عطف على ﴿يكفرون﴾. قوله: ﴿ما لا يملك﴾ الخ أي أصناماً، لا تستطيع جلب نفع ولا دفع ضر. قوله: [بالمطر] أي بإنزاله. قوله: [بدل من رزقاً] أي على أن الرزق اسم عين بمعنى المرزوق، وفيه أن البدل إما للتوكيد أو للبيان، وشيئاً لا يصلح لذلك، وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك، والتقدير ما لا يملك لهم ملكاً شيئاً، أي قليلاً أو كثيراً، جليلاً أو حقيراً. قوله: [تشركونهم به] أي فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال، والله منزه عن الأحوال والكيفيات، وأما ضرب المثل، بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض، لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات، فلا ينهى عنه، بل ذكره الله تعالى في كتابه، وعلمنا كيفية ضربه. قال تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ إلى آخره، وقال هنا ﴿ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً﴾ الخ. قوله: [أن لا مثل له] وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون كيفيتها.

ويبدل منه ﴿عَبْداً مَّمْلُوكاً﴾: صفة تميزه من الحر فإنه عبد الله ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾: نكرة موصوفة أي حراً ﴿رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً﴾: أي يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾: أي العبيد العجزة والحر المتصرف لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾. ويبدل منه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: ولد أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: لأنه لا يفهم ولا يفهم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾: ولي أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾: منه ﴿بِخَيْرٍ﴾: ينجح وهذا مثل الكافر ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾: الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾: طريق

قوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ لأن المنهي عنه، الأمثال التي تفيد تشبيه الله بغيره، وأما المثل الذي يفيد التوحيد، فقد ضربه الله بقوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ الخ. قوله: [صفة تميزه من الحر] جواب عما يقال: إن كل شخص مملوك لله، حراً كان أو عبداً. فأجاب: بأن المراد به الرقيق، إذ الحر لا يسمى مملوكاً عرفاً، وإن كان عبداً لله. قوله: ﴿لا يقدر على شيء﴾ أي من التصرفات. واختلف العلماء في العبد، هل يملك ما تحت يده من الأموال، أو لا يملكها؟ فقال مالك: إنه يملك، غير أن ملكه غير تام. وقال الشافعي: لا يملك أصلاً، وإنما الذي تحت يده ملك سيده، والآية مفروضة في عبد لا يقدر على شيء، وكون العبد يملك أو لا شيء آخر.

قوله: ﴿ومن﴾ معطوف على عبداً. قوله: ﴿حسناً﴾ أي حلالاً. قوله: [والأول مثل الأصنام والثاني مثله تعالى] أي فالمقصود من ذلك التوصل إلى إبطال الشريك، والرد على الكفار، كأن الله يقول: أنتم لا تسوون العبد المملوك العاجز، بالحر الغني الذي يتصرف في ماله كيف يشاء، فكيف تشركون الأصنام التي هي أضعف من العبد المملوك، مع الله القادر المتصرف في خلقه. قوله: ﴿هل يستوون﴾ أي في الإجلال والتعظيم، ولم يقل يستويان، نظراً إلى تعدد أفراد كل قسم، وإنما لم يجمع المفسر الحر، كما جمع العبيد، إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله، والله تعالى واحد فأفرده تأدباً. قوله: [لا] هو جواب استفهام.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ هذا حمد من الله لنفسه، في مقام الرد على المشركين، أي هو المستحق لجميع المحامد، المنعم المتفضل الخالق الرازق، وأما هذه الأصنام فلا تستحق ذلك، لأنها جمادات عاجزة، لا تنفع ولا تضر. قوله: [فيشركون] أي يعبدون غير الله، مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى. قوله: ﴿أحدهما أبكم﴾ أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه، أينما يوجهه يأت بخير، وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ الخ. قوله: [ولد أخرس] المناسب تفسيره بالذي لا يسمع ولا يبصر ليظهر قوله: [لأنه لا يفهم ولا يفهم]. قوله: ﴿أينما يوجهه﴾ الخ أين اسم شرط جازم، و﴿يوجهه﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿لا يأت﴾ جواب الشرط مجزوم بحذف الياء. قوله: [بنجح] بضم النون بوزن قفل، أي لا يأت بشيء نافع.

قوله: ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ معطوف على الضمير في ﴿يستوي﴾ والشرط موجود، وهو الفصل بالضمير

---

* أسباب نزول الآية ٧٥: قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبده، وفي قوله ﴿رجلين أحدهما أبكم﴾، قال: نزلت في عثمان ومولى له كان يكره الاسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ ٧٦: وهو الثاني المؤمن لا وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام والذي قبله في الكافر والمؤمن ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي علم ما غاب فيهما ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: منه لأنه بلفظ كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٧٧ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾: الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾: بمعنى الأسماع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨: على ذلك فتؤمنون ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾: مذللات للطيران ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾: أي الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: بقدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٧٩: هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: موضعاً تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾: كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: للحمل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾: أي الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: أي الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾: أي المعز ﴿أَثَاثًا﴾: متاعاً لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَاعًا﴾: تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٨٠: يبلى فيه ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَالًا﴾: جمع ظل تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: جمع كن وهو

المنفصل. قوله: [وقيل هذا] أي من يأمر بالعدل. قوله: [والذي قبله] أي وهو قوله ﴿عبداً مملوكاً﴾ ﴿ومن رزقناه﴾ وقيل كل في الكافر والمؤمن، وقيل كل من المعبود بحق، والمعبود بباطل، فتكون الأقوال أربعة. قوله: [في الكافر والمؤمن] قيل محمول على العموم، وقيل المراد بالكافر أبو جهل، والمؤمن النبي ﷺ، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿ولله غيب السموات﴾ هذا دليل على كمال علمه وقدرته. قوله: [أي علم ما غاب] أي خفي وبطن. قوله: ﴿وما أمر الساعة﴾ أي قيام الخلق من القبور. قوله: ﴿إلا كلمح البصر﴾ أي انطباق جفن العين أو فتحه. قوله: [لأنه بلفظ كن فيكون] فيه تسامح، إذ ليس ثم كاف ولا نون، بل المراد سرعة الإيجاد، فإذا أراد شيئاً أوجده سريعاً. قوله: ﴿لا تعلمون﴾ أي لا تعرفون قوله: [حال] أي من الكاف في أخرجكم. قوله: ﴿وجعل لكم السمع﴾ أفرده باعتبار كونه مصدراً في الأصل.

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ أي ينظروا بأبصارهم. قوله: ﴿مسخرات﴾ هو حال من ﴿الطير﴾. قوله: ﴿في جو السماء﴾ الجو الفضاء الكائن بين السماء والأرض، قال كعب الأحبار: إن الطير يرتفع في الجو مسافة اثني عشر ميلاً، ولا يرتفع فوق ذلك. قوله: [عند قبض أجنحتهن] هذا يفيد أنها في حال الطيران تقبض أجنحتها، مع أنه خلاف المشاهد، فالمناسب أن يقول ما يمسكهن في حال طيرانهن إلا الله، فإن ثقل أجسادها يقتضي سقوطها، ولا علاقة فوقها، ولا شيء تحتها يمسكها. قوله: ﴿من جلود الأنعام بيوتاً﴾ أي وذلك في بعض الناس كالسودان، فإنهم يتخذون خيامهم من الجلود. قوله: [كالخيام] جمع خيمة، والقباب جمع قبة، وهي دون الخيمة. قوله: ﴿تستخفونها﴾ أي يخف عليكم حملها في رحيلكم وإقامتكم، فلا يثقل عليكم حملها في الحالين. قوله: ﴿ومن أصوافها﴾ معطوف على ﴿من جلود الأنعام﴾، وقوله: ﴿أثاثاً﴾ معطوف على ﴿بيوتاً﴾، ولم يذكر القطن والكتان لأنهما لم يكونا ببلاد العرب. قوله: [كبسط] بضم الباء والسين وقد تسكن.

قوله: ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ أي ما تستظلون به، وذكر في مقام الامتنان، لأن بلاد العرب شديدة الحر، فحاجتهم للظلال، وما يدفع عنهم شدة الحر وقوته أكثر. قوله: [والغمام] أي السحاب. قوله: [جمع كن] أي

مما يستكن فيه كالغار والسرب ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾: قمصاً ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: أي والبرد ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: حربكم أي الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ﴾: في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾: بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿تُسْلِمُونَ﴾ ٨١: توحدونه ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ٨٢: الإبلاغ البين وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: أي يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بإشراكهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ ٨٣ و﴿ ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٨٤: لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

غطاء، والأكنة الأغطية، ومنه ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ قوله: [أي والبرد] أشار بذلك إلى أن فيه حذف الواو مع ما عطفت، ويسمى عند أهل المعاني اكتفاء. قوله: [كالدروع] أي دروع الحديد، وقوله: [والجواشن] جمع جوشن وهو الدرع، فالعطف للتفسير. قوله: ﴿فإن تولوا﴾ أي داموا على التولي والإعراض. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] مراده أن هذه الآية منسوخة، وفيه أنه لا يظهر إلا لو قدر جواب الشرط، فلا تقاتلهم مثلاً، وأما لو قدر، فلا عتب عليك ولا مؤاخذة، لأنك لا قدرة لك على خلق الإيمان في قلوبهم، فلا يظهر النسخ لأنه لا ينافي الأمر بقتالهم.

قوله: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ أي وهي ما تقدم من أول السورة إلى هنا من النعم العظيمة، بأن يقرونها من عند الله، ولا يصرفونها في مصارفها. قوله: ﴿ثم ينكرونها﴾ أتى بثم إشارة إلى أن إنكارهم مستبعد بعد المعرفة، لأن من عرف النعمة، فحقه أن لا ينكرها بعد ذلك. قوله: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي يموتون كفاراً، وأقلهم يهتدي للإسلام، فإن أكثر صناديدهم مات كافراً والأقل منهم أسلم.

قوله: ﴿ويوم نبعث﴾ ﴿يوم﴾ منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيداً، أو المراد بالبعث الإحياء، أي يوم نحيي من كل أمة شهيداً، والأول أقرب. قوله: [يشهد عليها] أي بالتكذيب والكفر، وقوله: [ولها] أي بالتصديق والإيمان. قوله: [وهو يوم القيامة] أي لأنه ورد: أنه يؤتى بالأمم الماضية وأنبيائهم، فيقال للأنبياء: هل بلغتم أممكم؟ فيقولون: نعم بلغنا، فيقال للأمم: هل بلغكم رسلكم؟ فيقولون: يا ربنا ما جاءنا من نذير، فيؤتى بالأمة المحمدية، فتشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب، فتقول الأمم: من أين أتى لكم ذلك، وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا، وهو صادق عن صادق، فيأتي رسول الله ﷺ فيزكي أمته حين يقول: يا رب قد بلغتهم تنقطع حجتهم، فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة، من غير مزك له.

قوله: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ اختلف في متعلق الإذن المنفي، فقال المفسر في الاعتذار، ويدل له قوله تعالى: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ وقيل لا يؤذن لهم في كثرة الكلام، وقيل في الرجوع إلى الدنيا والتكليف، وقيل في التكلم وقت شهادة الشهود، بل يسكتون وقتها، ولا يقدر أحد منهم على التكلم إذ ذاك. قوله: ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي

---

* أسباب نزول الآية ٨٣: قوله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله: فقرأ عليه ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ قال الأعرابي: نعم، ثم قرأ عليه: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾ قال: نعم، ثم قرأ عليه كل ذلك يقول: نعم حتى بلغ ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ فولى الأعرابي، فأنزل الله ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾.

كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: النارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾: العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ٨٥: يمهلون عنه إذا رأوه ﴿وَإِذَا رَأَى ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: من الشياطين وغيرها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين أشركوا شركاءهم﴾: من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾: أي قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ٨٦: في قولكم إنكم عبدتمونا كما في آية أخرى ما كانوا إيانا يعبدون سيكفرون بعبادتهم ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: أي استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ٨٧: من أن آلهتهم تشفع لهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: الذي استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب أنيابها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ٨٨: بصدهم الناس عن الإيمان ﴿وَ﴾: اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: هو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: أي قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾: بياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه

لا تزال عتباهم، وهي ما يعتبون ويلامون عليها، يقال استعتبت فلاناً، بمعنى أزلت عتباه، فالسين والتاء للسلب، نظير الهمزة في أعذر اليه على ألسنة المرسلين. قوله: [إلى ما يرضي الله] أي من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها. قوله: ﴿فلا يخفف عنهم﴾ أي فهم لا يخفف عنهم، وإنما احتيج لتقدير المبتدأ، لصحة دخول الفاء، لأن الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة لا يقرن بالفاء، فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء. قوله: ﴿العذاب﴾ تفسير للضمير المستتر في الفعل.

قوله: ﴿وإذا رأى﴾ أي أبصر. قوله: ﴿شركاءهم﴾ مفعول به، والإضافة لأدنى ملابسة، لكون الإشراك نشأ منهم، وكذا يقال في قوله: ﴿هؤلاء شركاؤنا﴾. قوله: ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾ إنما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم. قوله: ﴿فألقوا إليهم القول﴾ المعنى: فيخلق الله الحياة والعقل والنطق في تلك الأصنام ويقولون: إنكم قد كذبتم في عبادتكم لنا، فإنكم ما عبدتمونا، بل عبدتم هواكم، وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم، لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك، فكأنهم لم يعبدوهم. قوله: [أي استسلموا] أي انقادوا بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين، ولكن هذا الانقياد لا ينفعهم. قوله: [من أن آلهتهم تشفع لهم] أي حيث قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿زدناهم﴾. قوله: ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ أي منعوا الناس عن الدخول في الإيمان، وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر، ولو كان يقول: لا إله إلا الله. قوله: [قال ابن مسعود] أي في تفسير العذاب الزائد. وقال سعيد بن جبير: حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفاً. وقال ابن عباس ومقاتل: يعني بزيادة العذاب خمسة أنهار، من أصفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش، يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل، واثنان على مقدار النهار، وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير، فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها. قوله: [أنيابها كالنخل الطوال] أي وجسمها بالنسبة لأنيابها، كجسم أحدنا بالنسبة إلى نابه، فتكون عظيمة الجثة جداً، أجارنا الله والمسلمين منها. قوله: ﴿بما كانوا يفسدون﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كونهم مفسدين. قوله: ﴿يوم نبعث﴾ كرر لزيادة التهديد. قوله: [أي قومك] هذا أحد تفسيرين، وقيل المراد بهؤلاء الأنبياء، لاستجماع شرعه لشرائعهم، وأما كونه شهيداً على أمته، فقد علم مما تقدم، فحملها عليه فيه تكرار، إلا أن يقال: المراد بشهادته على أمته تزكيته وتعديله لهم، حتى شهدوا على تبليغ الأنبياء؛ وهذا لم يعلم مما مر، مع أنه الوارد في الحديث.

الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ : من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾ : بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٨٩] : الموحّدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ : التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ : أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما في الحديث

قوله : ﴿ونزلنا عليك﴾ أي في الدنيا، فهو كلام مستأنف. قوله : ﴿تبياناً﴾ حال أو مفعول لأجله، وهو مصدر، ولم يجيء من المصادر على وزن تفعال بالكسر إلا تبيان وتلقاء، وفي الأسماء كثير، نحو التمساح والتمثال. قوله : ﴿تبياناً﴾ أي بياناً شافياً بليغاً، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى. قوله : ﴿لكل شيء﴾ محتاج إليه من أمر الشريعة. إن قلت : إنا نجد كثيراً من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلاً، كعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة وغير ذلك، فكيف يقول الله تبياناً لكل شيء؟ أجيب : بأن البيان إما في ذات الكتاب، أو بإحالته على السنة، قال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ أو بإحالته على الإجماع، قال تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ الآية، أو على القياس، قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق، لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها، وكلها مذكورة في القرآن، فكان تبياناً لكل شيء بهذا الاعتبار. قوله : ﴿للمسلمين﴾ تنازعه كل من هدى ورحمة وبشرى. قوله : [الموحدين] أي وأما الكفار فهو لهم خسران وعذاب وإنذار.

قوله : ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ هذه الآية من ثمرات قوله : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ حتى قال العلماء : إن لم يكن في القرآن غير هذه الآية، لكفت في البيان والهدى والرحمة، لأنها آمرة بكل خير، ناهية عن كل شر. قوله : [التوحيد] أي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس، وفي رواية عنه أيضاً : العدل خلع الأنداد، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك، فإن كان مؤمناً، تحب أن يزداد إيماناً، وإن كان كافراً تحب أن يكون أخاك في الإسلام. وفي رواية : العدل التوحيد، والإحسان الاخلاص، وكل هذا أفاده المفسر بقوله : [التوحيد والانصاف] أي في كل الأمور، فالانصاف في التوحيد، اعتقاد أن الله متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص، والانصاف في الاعتقاد، نسبة الأفعال كلها لله، ونسبة الكسب للعبيد، خلافاً للجبرية والمعتزلة، فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلاً. وقالوا : العبد كالخيط المعلق في الهواء، لا فعل له أصلاً، وتعذيب الله له ظلم، وهؤلاء كفار. والفرقة الثانية قالوا : العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وهؤلاء فساق، وكلا المذهبين جور، والانصاف نسبة الأفعال كلها لله، خيرها وشرها، ظاهرها وباطنها، ولكن من الأفعال ما هو جبري، وهذه لا كسب للعبد فيها، ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب، ومنها ما هو اختياري، وهذه للعبد فيها نوع كسب، ولذا يثاب عليه إن كان خيراً، ويعاقب عليه إن كان شراً، وهذا مذهب أهل السنة، خرج من بين فرث ودم، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، والانصاف في العبادات، عدم التفريط والإفراط فيها، بل يكون بين ذلك قواماً، والانصاف في النفقات أن لا يسرف ولا يقتر، قال تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ والانصاف بين عباد الله : يقسم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظالم، ويعامل الخلق باللطف والرفق، وغير ذلك.

قوله : ﴿والإحسان﴾ أي مع الله ومع عباده، فالإحسان مع الله أداء فرائضه على الوجه الأكمل، والاحسان مع عباده، أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك. قوله : [كما في الحديث] أي فقد سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الاحسان، فقال له عليه الصلاة والسلام : «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والمعنى إن تعبد الله ملاحظاً لجلاله، كأنك تراه ببصرك، وهذا مقام المشاهدة، فإن لم تصل لهذه المرتبة، فلاحظ أنه يراك وأنك في حضرته، وهذا مقام المراقبة، فمثل المشاهد كالبصير الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهتين : كونه

﴿وَإِيتَاءِ﴾: إعطاء ﴿ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القربة خصّه بالذكر اهتماماً به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ﴾: الزنا ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: الظلم للناس خصّه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾: بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٩٠: تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

رائياً الملك، وكون الملك رائياً له، ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس في حضرة الملك، فأدبه من جهة ملاحظته، كون الملك رائياً له.

قوله: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ أي التصدق على القريب، وهو آكد من التصدق على غيره، لأن فيه صدقة وصلة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم». قوله: [من الكفر والمعاصي] أي فيدخل فيه الزنا وغيره، فهو تعميم بعد تخصيص. قوله: [اهتماماً به] أي لأنه أعظم المعاصي بعد الكفر، ولذا قال بعض العلماء: أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي. وفي الحديث: «لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر، لانتقم الله من الباغي». وفيه أيضاً «الظلمة وأعوانهم كلاب النار». قوله: [كما بدأ بالفحشاء كذلك] أي اهتماماً به، لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض، ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله، قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾.

قوله: ﴿يعظكم﴾ حال من فاعل يأمر وينهى، أي يأمركم وينهاكم، حال كونه واعظاً لكم. قوله: [في الأصل] أي فأصله تتذكرون، قلبت التاء ذالاً، وأدغمت في الذال. قوله: [هذه أجمع آية] الخ، روي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة. فقال: أعدها يا محمد، فلما قرأها قال: إن له حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر، ولكونها أجمع آية استعملها الخطباء في آخر الخطبة.

قوله: ﴿وأوفوا بعهد الله﴾ هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل، وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد، لأنه آكد الحقوق، وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الاسلام، ولكن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. قوله: [من البيع] بكسر الباء جمع بيعة، وهي المعاهدة على أمر شرعي. قوله: [والأيمان] جمع يمين، أي وأوفوا بما حلفتم عليه، ولا تحنثوا في أيمانكم، أي إذا كان فيها صلاح، وإلا فالحنث خير، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه» فهو عام مخصوص. قوله: [وغيرها] أي كالمواعيد، فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به، سواء أوجبه الله على الشخص، أو التزمه الشخص من نفسه، كعهود المشايخ التي يأخذونها على المريدين، بأنهم يلازمون طاعة الله، ولا يخالفونه في أمرها، فالواجب على المريدين الوفاء بها، حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع، متصفين بالأخلاق الحميدة والأفعال السديدة. قوله: ﴿بعد توكيدها﴾ أي تغليظها، والتوكيد مصدر وكد بالواو، ويقال أكد بالهمزة، فمصدره التأكيد، وهما لغتان. قوله: ﴿كفيلاً﴾ أي شهيداً. قوله: [والجملة حال] أي من فاعل تنقضوا.

---

* أسباب نزول الآية ٩١: قوله تعالى: ﴿وأوفوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ.

﴿يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٩١: تهديد لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾: ما غزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾:
أحكام له وبرم ﴿أَنكَاثًا﴾: حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل
طول يومها ثم تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حال من ضمير يكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾: هو ما
يدخل في الشيء وليس منه أي فساداً وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾: بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾: أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعة
﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾. أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾. وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم
﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾: أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو يكون أمة أربى
لينظر أتفون أم لا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٩٢: في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب
الناكث ويثيب الوافي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: أهل دين واحد ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ
وَلَتُسْأَلُنَّ﴾: يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ لتجازوا عليه ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾:

قوله: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾ أي لا تنقضوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق، أو المخلوق في غير معصية، فتكونوا كالتي نقضت غزلها. قوله: [حال] أي أو منصوب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت، فهو مطابق لعامله في المعنى. قوله: [جمع نكث] بكسر النون. قوله: [وهي امرأة حمقاء] أي واسمها ريطة بنت سعد بن تميم قرشية، قد اتخذت مغزلاً بقدر ذراع، وصنارة مثل الأصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلته، وقوله حمقاء أي قليلة العقل. قوله: [كانت تغزل] أي الصوف والوبر والشعر.

قوله: ﴿تتخذون﴾ أي تصيرون، و﴿أيمانكم﴾ مفعول أول، و﴿دخلا﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿دخلا﴾ أصل الدخل العيب، فإن شأنه أن يدخل في الشيء وليس من جنسه، والمراد به هنا الفساد والخديعة، كما قال المفسر. قوله: [أي لأن] أشار بذلك إلى أن النصب على وجه التعليل، أي لأجل ﴿أن تكون﴾، و﴿أمة﴾ فاعل ﴿تكون﴾ على أنها تامة، أو اسمها على أنها ناقصة، وجملة ﴿هي أربى﴾ خبرها. قوله: [وكانوا] أي قريش، وهو مشاهد في أهل زماننا، حيث يلتجئون لأرباب المناصب ما داموا في مناصبهم، فإذا عزلوا أو نقصت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم، وكأنهم لم يعرفوهم، وليس هذا من الإيمان، بل الإيمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه، إن لم يكن في بقائه عصيان الله. قوله: [فإذا وجدوا أكثر منهم] أي مالاً أو جاهاً. قوله: [حلف أولئك] الحلف بكسر فسكون، العهد يكون بين القوم. قوله: [لينظر المطيع] أي ليظهر لكم المطيع من غيره، فإن المطيع يدوم على العهد والود، وإن ذهبت من حليفه حظوظ المظاهر، وغيره يدور مع المظاهر. قوله: [أو يكون] معطوف على قوله: [بما أمر به]، وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون، والمعنى لا تتخذوا عهودكم حيلة وخداعاً، من أجل كون تلك الأمة التي عاهدتموها ذات مال أو جاه، فإن انتقل المال أو الجاه لغيرهم، نقضتم عهود الأوائل، فصاحب هذه الأوصاف خائن لله ولعباده. قوله: ﴿فيه تختلفون﴾ أي ترددون.

قوله: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ هذا تسلية له ﷺ. قوله: [سؤال تبكيت] أي لا تفهم، وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع، بين هذه الآية وبين قوله تعالى ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ فالمثبت سؤال التبكيت،

---

* أسباب نزول الآية ٩٢: قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾.

كرره تأكيداً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ﴾: أي أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾: أي العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾: أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ٩٤: في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ﴾: من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٩٥ ذلك فلا تنقضوا ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾: من الدنيا ﴿يَنْفَدُ﴾: يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾: دائم ﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾: بالياء والنون ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٦: أحسن بمعنى حسن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾

والمنفي سؤال التفهيم. قوله: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم﴾ أي عهودكم. قوله: ﴿دخلاً بينكم﴾ أي فساداً وخديعة. قوله: [كرره تأكيداً] أي كرر النهي عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلة، تأكيداً للإشارة إلى أن هذا أمر فظيع جداً، فإن نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض، والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فتزل قدم﴾ منصوب بإضمار أن في جواب النهي، وأفرد القدم ونكره، إشارة إلى أن زلة القدم ولو مرة واحدة، أو أي قدم مضرة، لأن من زل به القدم فقد طرد عن باب الله. قوله: [عن محجة الاسلام] أي طريقه، ومثل ذلك من زل به القدم في عهد شيخه فنقضه، فإنه مطرود عن طريقته، ومتى طرد عن طريقته، فقد سلب ما وهبه الله له من النور الالهي، فلا يرجى له الفتح في طريقة أخرى لأن غاية الطرق واحدة، وهو قد طرد عن الغاية. قوله: [العذاب] أي في الدنيا بدليل قوله: ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ [في الآخرة]. قوله: ﴿عن سبيل الله﴾ أي دينه الموصل لمرضاته.
قوله: [أي بصدكم عن الوفاء] هو من صد اللازم، أي امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء. قوله: [أو بصدكم غيركم عنه] هو من صد المتعدي، أي منعكم غيركم. قوله: [لأنه] أي ذلك الغير. قوله: [يستن] أي يقتدي بكم في نقض العهود.

قوله: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ أي لا تتركوا عهد الله، في نظير عرض قليل تأخذونه. قوله: [بأن تنقضوه] أي العهد. وقوله: [لأجله] أي الثمن القليل، وظاهره ولو من حلال، وإذا كان نقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموماً، فالحرام أولى بالذم، والمراد بالثمن القليل أعراض الدنيا وإن كثرت. قوله: ﴿إنما عند الله هو خير لكم﴾ علة لما قبله، وإن حرف توكيد ونصب، وما اسم موصول اسمها، و﴿عند الله﴾ صلته، وجملة ﴿هو خير لكم﴾ خبرها، وقوله: [من الثواب] بيان لما. قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ شرط حذف جوابه. وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا.

قوله: ﴿ما عندكم ينفد﴾ مبتدأ وخبر، والنفاد بالفتح الفناء والذهاب، يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح، فني وفرغ، وأما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم فمعناه مضى، يقال: نفذ حكم الأمير بمعنى مضى. قوله: ﴿باق﴾ يصح الوقف عليه، بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف، قراءتان سبعيتان. قوله: [دائم] أي لا يفرغ ولا يفنى. قوله: [بالياء والنون] أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: [على الوفاء بالعهود] أي والمراد مشاق التكاليف. قوله: ﴿أجرهم﴾ مفعول ثان ليجزي، وقوله: ﴿بأحسن﴾ الباء بمعنى على. قوله: [أحسن بمعنى حسن] أشار بذلك إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه، ودفع بذلك ما يتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذي هو الواجبات، مع أنهم يجازون على الواجبات والمندوبات. وهناك تقدير آخر في الآية، وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف، أي بثواب أحسن من عملهم، أي أكثر منه تفضلاً وإحساناً، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والباء لمجرد التعدية.

قوله: ﴿من عمل صالحاً﴾ ﴿من﴾ اسم شرط مبتدأ، و﴿عمل﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿فلنحيينه﴾ جوابه. قوله:

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: قيل هي حياة الجنة وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٩٧ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي أردت قراءته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ٩٨: أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٩٩ ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: بطاعته ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: أي الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾ ١٠٠ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: بنسخها وإنزال غيرها

[قيل هي حياة الجنة] هذا القول لمجاهد وقتادة، ورواه عوف عن الحسن وقال: لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة، لأنها حياة بلا موت، وغنى بلا فقر، وصحة بلا سقم، وملك بلا هلاك، وسعادة بلا شقاوة. قوله: [وقيل في الدنيا بالقناعة] هذا القول للحسن، وقوله: [أو الرزق الحلال] هو لسعيد بن جبير وعطاء وزيد، على ما ذكره المفسر ما قيل هي حلاوة الطاعة، وقيل رزق يوم بيوم، وقيل الحياة الطيبة تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها، وقيل ما هو أعم، فالحياة الطيبة في الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال، وفي القبر بالراحة من النكد والتعب، وفي الجنة بالنعيم المقيم.

قوله: ﴿ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي في الجنة، واستفيد من هذا، أن الحياة الطيبة ليست هي الجزاء، لأنه قد قيل بأنها تكون في الدنيا أو القبر، وليس النعيم في ذلك بجزاء، بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنة وما فيها. قوله: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ حكمة التفريع على ما تقدم، أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال، فطلب بالاستعاذة عند قراءته، ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية، والمعنى إذا علمت مما تقدم، أن عظم الجزاء بمحاسن الأعمال، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، عند قراءة القرآن، الذي هو أحسن الأعمال وأزكاها. قوله [أي أردت قراءته] أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة، وإليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين، ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة، فتقديمها أولى، وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها، وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة، ووجهه بأن القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته، وربما حصلت له الوسوسة في قلبه، هل حصل له ذلك أم لا؟ فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة، ويبقى الثواب خالصاً، لأن التردد في صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه.

قوله: ﴿فاستعذ﴾ السين والتاء للطلب، أي اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره، والأمر للاستحباب، وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقاً في الصلاة وغيرها. وأنه أخذ الشافعي ووافقه مالك في النفل، وكره الاستعاذة في صلاة الفرض، لدليل أخذه من السنة. قوله: [أي قل أعوذ بالله] الخ هذا بيان للأفضل، وإلا فامتثال الأمر يحصل بأي صيغة كانت، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذي نسخ به من اللوح المحفوظ، ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا، وليس المراد به القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ، فإنه مقدم الرتبة على اللوح. قوله: ﴿من الشيطان الرجيم﴾ هو من شطن إذا بعد، أو من شاط إذا احترق، والرجيم بمعنى المرجوم أي المطرود عن رحمة الله.

قوله: ﴿إنه ليس له سلطان﴾ تعليل لمحذوف، والتقدير فإذا استعذت بالله كفيت شره، ودخلت في أمان الله لأنه الخ. قوله: [تسلط] أي استيلاء وقهر. قوله: ﴿على الذين يتولونه﴾ مقابل قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾. وقوله: ﴿والذين هم به مشركون﴾ مقابل قوله: ﴿على الذين آمنوا﴾. قوله: [أي الله] أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعدية، ويصح أن يعود على الشيطان، وتكون الباء سببية وهي أولى لعدم تشتيت الضمائر.

لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟﴾: أي الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾: كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠١: حقيقة القرآن وفائدة النسخ ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بنزل ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٠٢ ﴿وَلَقَدْ﴾: للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾: القرآن ﴿بَشَرٌ﴾: وهو قين نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه قال تعالى: ﴿لِّسَانُ﴾: لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾: أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾: القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣: ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤: مؤلم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن بقولهم هذا من قول البشر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ١٠٥: والتأكيد بالتكرار وإن وغيرهما رد لقولهم إنما أنت مفتر ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾: على التلفظ

قوله: ﴿وإذا بدلنا آية﴾ الخ سبب نزولها، أن المشركين من أهل مكة قالوا: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، ما هذا إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه. قوله: ﴿والله أعلم بما ينزل﴾ هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه، أتى بها تسلية له ﷺ، والمعنى والله أعلم بالناسخ والمنسوخ، فيكفيك علمه، فلا يحزنك ما قالوه. قوله: [تقوله من عندك] أي تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن. قوله: [حقيقة القرآن] أي وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد ﷺ للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته. قوله: [وفائدة النسخ] أي وهي المصالح التي تعود على العباد. قوله: ﴿روح القدس﴾ بضم الدال وسكونها، قراءتان سبعيتان، أي الروح المقدس، بمعنى المطهر المنزه عن الرذائل، فهو من إضافة الموصوف للصفة. قوله: ﴿بالحق﴾ الباء للملابسة، أي نزله تنزيلاً ملتبساً بالحق. قوله: [بإيمانهم به] أي بسبب إيمانهم بالقرآن. قوله: ﴿للمسلمين﴾ أي وأما لغيرهم فهو خسران، لا يزيدون به إلا ضلالاً، فهو تعريض بحصول ضد ذلك لغير المسلمين.

قوله: ﴿ولقد نعلم﴾ أي علماً مستمراً لا تجدد فيه. قوله: ﴿إنما يعلمه﴾ إنما أداة حصر، أي لا يعلم محمد القرآن إلا بشر، لا جبريل كما يقول. قوله: [وهو قين] أي حداد وكان رومياً وفي نسخة قن أي عبد واسمه جبر، وهو غلام عامر بن الحضرمي، وقيل يعنون جبراً ويساراً، كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل باللغة التي نزلا بها، وكان الرسول ﷺ يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه، ليتسلى بما وقع للأنبياء قبله، وقيل غير ذلك، وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذي نسبوا لرسول الله التعلم منه. قوله: [قال تعالى] أي رداً عليهم. قوله: [يميلون] ﴿إليه﴾ أي ينسبون إليه أنه يتعلم منه. قوله: ﴿أعجمي﴾ الأعجمي الذي لم يتكلم بالعربية. قوله: ﴿وهذا لسان عربي﴾ أي ولا يكون العربي متلقياً من العجمي. قوله: [فكيف يعلمه أعجمي] أي لا يصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة.

قوله: ﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ أي في علمه، وقوله: ﴿لا يهديهم الله﴾ أي في الخارج. قوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ أي في قولهم إنما يعلمه بشر. قوله: [والتأكيد] مبتدأ، وقوله: [رد] خبر.

---

* أسباب نزول الآية ١٠٣: قوله تعالى: ﴿ولقد نعلم﴾ الآية، أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ الآية، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان: أحدهما يقال له يسار، والآخر جبر، وكانا صقليين فكانا يقرآن كتابهما ويسلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيستمع قراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما، فنزلت.

* أسباب نزول الآية ١٠٦: قوله تعالى: ﴿إلا من أكره﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة =

بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَانِ﴾: ومَنْ مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له أي فتحه ووسّعه بمعنى طابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦ ذَٰلِكَ﴾: الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختاروها ﴿عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ١٠٨ عما يُراد بهم

قوله: ﴿ومن كفر بالله من بعد إيمانه﴾ نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للإسلام وهم: عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم، وذلك أن الكفار، أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الإيمان، فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين، وضربها أبو جهل بحربة في فرجها فماتت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه، وقلبه كاره لذلك، فأخبر النبي ﷺ بأن عماراً كفر، فقال كلا إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه، فأتى عمار وهو يبكي، فقال رسول الله ﷺ ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله، نلت منك وذكرت، فقال: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، فجعل النبي يمسح عينيه وقال له: إن عادوا لك فقل لهم ما قلت. وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول: أحد أحد، حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه، وأما خباب فقد أوقدوا له ناراً، فلم يطفئها إلا ودك ظهره. وأما أبو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته. وفيما فعله عمار، دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل، ولكن القتل أجمل، كما وقع من أبويه، ولما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول في، قال: أنت أيضاً فخلاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: ما تقول في؟ قال: أنا أصم، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له. قوله: [على التلفظ بالكفر] أي أو فعله. قوله: [والخبر أو الجواب] الخ، الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء. قوله: [لهم وعيد] الأولى أن يقدره بالفاء، لأن الجواب إذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء، والمبتدأ الذي يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء أيضاً لشبهه بالشرط. قوله: [دل على هذا] أي على الجواب أو الخبر.

قوله: ﴿ولكن من شرح﴾ أتى بالاستدراك، لأنه ربما يتوهم من قوله [إلا من أكره] أنه حين الإكراه يجوز التكلم بالكفر، ولو انشرح صدره له في بعض الأحيان، فدفع التوهم بالاستدراك، ولا يبعد الوهم قوله: ﴿مطمئن بالإيمان﴾، و﴿من﴾ إما شرطية أو موصولة، ويلزم تقدير مبتدأ قبل ﴿من﴾، وما قيل إن الاستدراك لا يقع في الشروط ممنوع. قوله: [بمعنى طابت به نفسه] أي قبله ومال إليه. قوله: ﴿فعليهم﴾ جمع مراعاة لمعنى ﴿من﴾. قوله: ﴿ذلك بأنهم﴾ أي حاصل وثابت بسبب أنهم الخ، واسم الإشارة مبتدأ، والجار والمجرور في محل رفع خبره. قوله: ﴿لا يهدي القوم الكافرين﴾ أي لا يوصلهم إلى الإيمان، ولا يعصمهم من الزيغ.

قوله: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ الخ، أي جعل عليها غلافاً معنوياً، بحيث لا تذعن للحق، ولا

= أخذ المشركون بلالاً وخبابا وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه، فقال: كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشرحاً بالذي قلت؟ قال: لا، فأنزل الله ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ وأخرج عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب اليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدري ما يقول، وبلال وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٠٩ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾: عذبوا وتلفظوا بالكفر وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾: على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: أي الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾: لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ ١١٠: بهم وخبر أن الأولى دل عليه خبر الثانية اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾: تحاج ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾: لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾: جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١١١ شيئاً ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ

تسمعه ولا تبصره. قوله: ﴿الخاسرون﴾ أي لأنهم ضيعوا أعمارهم في غير منفعة تعود عليهم، والموجب لخسرانهم، أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت: الغضب، والعذاب العظيم، واختيار الدنيا على الآخرة، وحرمانهم من الهدى، والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلهم من الغافلين.

قوله: ﴿ثم إن ربك﴾ نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة، وكان أخا أبي جهل من الرضاعة، وقيل من أمه، وفي أبي جندل بن سهل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن أسد الثقفي، فتنهم المشركون وعذبوهم، فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم هاجروا وجاهدوا. قوله: ﴿للذين هاجروا﴾ متعلق بمحذوف هو خبر إن، أي لغفور رحيم للذين هاجروا، وهذا معنى قوله الآتي: وخبر ﴿إن﴾ الأولى الخ. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم، فيكون معنى قوله: ﴿فتنوا﴾ افتتنوا، بمعنى قامت بهم الفتنة، وقد أشار له المفسر بقوله: [أي كفروا] أو متعدٍ كما قال [أو فتنوا الناس عن الايمان].

قوله: ﴿يوم تأتي﴾ ﴿يوم﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله [اذكر]، والأمر للنبي ﷺ، أي اذكر يا محمد لقومك، أهوال الآخرة، وما يقع فيها، لعلهم يعتبرون. قوله: [تحاج] أي تخاصم وتسعى في خلاصها. قوله: ﴿عن نفسها﴾ إن قلت: إن ظاهر الآية مشكل لأنه يقتضي أن النفس لها نفس وليس كذلك. أجيب: بأن المراد بالنفس الأولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة، والمراد بالنفس الثانية، الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره، والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم، كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، روي عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى يخاصم الروح الجسد، فيقول الروح: يا رب لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فضعف عليه العذاب، فيقول الجسد: يا رب أنت خلقتني كالخشبة، ليس لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشعاع النور، فيه نطق لساني، وبه أبصرت عيناي، وبه مشت رجلاي، فيضرب الله لهم مثلاً: أعمى ومقعداً دخلا حائطاً أي بستاناً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يتناوله. فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر، فعلى من يكون العذاب؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعاً العذاب. إذا علمت ذلك، تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر، وأما المؤمن فهو في أمن وأمان، لا يحزنه الفزع الأكبر، وإن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته، لأن الله تعالى سبحانه وتعالى في ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عباده، فيخاف المسلمون والمشركون، فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم، والمسلمون يخافون من هيبته تعالى، وإن كانوا مطمئنين بالايمان. قوله: [لا يهمها غيرها] أي لشغلها بهمها. قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾ [شيئاً] أي لا يعذبون من غير ذنب، أو المراد لا ينقصون من أجورهم شيئاً، والأول أولى لأن نفي النقص من الأجر علم من قوله: ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾.

مَثَلاً﴾: ويبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾: هي مكة والمراد أهلها ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾: من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾: لا يحتاج إلى
الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً﴾: واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ﴾: بتكذيب النبي ﷺ
﴿فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾: فقحطوا سبع سنين ﴿وَالْخَوْفِ﴾: بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ ١١٣ فَكُلُوا﴾:
أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١٥ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ

قوله: ﴿وضرب الله مثلاً﴾ المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة، ليتبين أحدهما ويظهر. قوله: [هي مكة] هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح، وعليه فالآية مدنية، لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات في أهل مكة، حين كان النبي ﷺ بالمدينة، وعلى القول بأنها مكية، يكون إخباراً بالغيب تنزيلاً لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول. قوله: ﴿رغداً﴾ بفتح الراء والغين المعجمة، يقال رغد العيش بالضم رغادة اتسع. قوله: ﴿من كل مكان﴾ أي من كل جهة من البر والبحر. قوله: ﴿بأنعم الله﴾ جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نعماء، كأبؤس وبأساء. قوله: [بتكذيب النبي] الباء سببية.

قوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ أي وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين، فقطع عنهم المطر، وقطعت العرب عنهم الميرة، حتى جهدوا، فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة، وشربوا الدماء، واشتد بهم الأمر، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله ﷺ في ذلك فقالوا له: ما هذا دأبك، عاديت الرجال، فما بال النساء والصبيان، فأذن رسول الله ﷺ للناس في حمل الطعام إليهم، وفي رواية أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب في جماعة، فقدموا عليه المدينة، وقال له أبو سفيان: يا محمد إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، فدعا لهم رسول الله ﷺ، وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون، واعلم أن العلماء ذكروا في هذه الآية ثلاث استعارات: الأولى تصريحية أصلية في الجوع والخوف، من حيث إضافة اللباس إليهما، وتقريرها أن يقال: شبه ما غشيهم من اصفرار اللون ونحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه. الثانية مكنية، وتقريرها أن يقال: شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية، بالطعم المر البشع، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإذاقة، فإثباتها تخييل. الثالثة تبعية وتقريرها أن يقال: شبه الابتلاء بالإذاقة، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الإذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم. قوله: [بسرايا النبي] الباء سببية، والمراد بسراياه جماعته التي كان يبعثها للإغارة عليهم، فكان أهل مكة يخافونهم. قوله: ﴿بما كانوا يصنعون﴾ أي بسبب صنعهم، أو بسبب الذي كانوا يصنعونه.

قوله: ﴿ولقد جاءهم﴾ أي أهل مكة. قوله: ﴿رسول منهم﴾ أي من جنسهم. قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ الجملة حالية، والمراد بالظالمين الكافرون. قوله: ﴿فكلوا﴾ مفرع على التمثيل، أي فإذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان، وما حل بهم، بسبب كفر النعم، فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ. قوله: ﴿حلالاً طيباً﴾ حالان من ما، أي كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالاً طيباً. قوله: ﴿تعبدون﴾ أي تطيعون.

قوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ الخ شروع في ذكر المحرمات، ليعلم أن ما عدا ذلك حلال طيب. قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ﴾ أي خارج على الإمام كالبغاة. وقوله: ﴿ولا عاد﴾ أي قاطع للطريق، فلا يباح لهم تعاطي الميتة إذا

﴿أَلْسِنَتُكُمُ﴾: أي لوصف ألسنتكم ﴿ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ
ٱلْكَذِبَ﴾: بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ١١٦ لهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: في الدنيا
﴿وَلَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١١٧: مؤلم ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا﴾: أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن
قَبْلُ﴾: في آية وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: بتحريم ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ١١٨: بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ﴾: الشرك ﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ
تَابُوا﴾: رجعوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا﴾: عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: أي الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾: لهم
﴿رَّحِيمٌ﴾ ١١٩: بهم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إماماً قدوة جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾: مطيعاً ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾: مائلاً
إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٠ ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ﴾: اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ١٢١

اضطروا ما لم يتوبوا، وأما المضطر غير ما ذكر فيحل له الأكل منها والشبع والتزود عند مالك، وعند الشافعي لا يحل له إلا ما يسد رمقه. قوله: ﴿ولا تقولوا﴾ (لا) ناهية والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، وقوله: ﴿هذا حلال﴾ الخ مقول القول، وقوله: ﴿لما تصف﴾ اللام للتعليل، وما مصدرية و﴿الكذب﴾ مفعول لتصف، وقوله: ﴿لتفتروا﴾ بدل من التعليل الأول، والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك إليه. قوله: [بنسبة ذلك] أي التحليل والتحريم. قوله: ﴿لا يفلحون﴾ أي لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، والوقف هنا، وقوله: ﴿متاع قليل﴾ كلام مستأنف. قوله: ﴿متاع قليل﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: [لهم] وقدره مقدماً ليكون مسوغاً للابتداء بالنكرة.

قوله: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ شروع في ذكر ما يخص اليهود من التحريم، إثر بيان ما يحل لأهل الإسلام وما يحرم عليهم، وتحريم الشيء إما لضرر فيه، وإما لبغي المحرم عليهم، فأشار للأول بقوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ الخ، وأشار للثاني بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ الخ. قوله: ﴿إن ربك﴾ لما بالغ في تهديد المشركين، وبين ما حل وما حرم، ذكر أن فعل تلك القبائح لا يمنع من التوبة والرجوع والإنابة، بل باب التوبة مفتوح لكل كافر ما لم يغرغر، فهو ترغيب للكافر في الإسلام، وللعاصي في التوبة، والإقلاع عن الذنوب. قوله: ﴿الذين﴾ متعلق بمحذوف دل عليه خبر ﴿إن﴾ الآتية، تقديره ثم إن ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء، الخ. قوله: ﴿بجهالة﴾ أي بسبب جهل العواقب وجلال الله، إذ لا يقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب، أو جاهل بجلال الله، ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصي، ما قدم على معصية قط. قوله: ﴿من بعد ذلك﴾ أي الشرك. قوله: [أو التوبة] أو لتنويع الخلاف في مرجع الضمير. قوله: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال، قيل الأمة معلم الخير، أي إنه كان معلماً للخير، يأتم به أهل الدنيا، وقيل إنه كان مؤمناً وحده، والناس كلهم كفار، فلهذا المعنى كان أمة وحده، وقيل الأمة الذي يقتدي ويؤتم به، لأنه كان إماماً يقتدى به، وفي الأصل الأمة الجماعة، وإطلاق الأمة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق، ومنه قول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات إبراهيم، عشرة أوصاف حميدة. قوله: [مائلاً إلى الدين القيم] أي تاركاً لما عداه من الأديان الباطلة. قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾ هذا الوصف قد علم التزاماً من قوله: ﴿حنيفاً﴾ وإنما ذكره رداً على المشركين، حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم. قوله: ﴿شاكراً لأنعمه﴾ أي صارفاً جميع ما أنعم الله به

﴿وآتيناه﴾: فيه التفات عن الغيبة ﴿في الدنيا حسنة﴾: هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ ١٢٢: الذين لهم الدرجات العلى ﴿ثم أوحينا إليك﴾: يا محمد ﴿أن اتبع ملة﴾: دين ﴿إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ ١٢٣: كرر رداً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه ﴿إنما جعل السبت﴾: فرض تعظيمه ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾: على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا: لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ١٢٤: من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته ﴿ادع﴾: الناس يا محمد ﴿إلى سبيل ربك﴾: دينه ﴿بالحكمة﴾:

عليه، إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة، وعن كل شاغل يشغله عن الله، ظاهراً وباطناً. قوله: ﴿اجتباه﴾ أي اختاره من دون خلقه، وهذا الوصف وما بعده، ناشئ من الله خاصة، لم يكن له فيه كسب، إشارة إلى أن ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة، باختيار الله له لا بنفسه. قوله: ﴿إلى صراط مستقيم﴾ أي دين قويم لا اعوجاج فيه. قوله: [فيه التفات عن الغيبة] أي إلى التكلم، إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه. قوله: [هي الثناء الحسن] أي الذكر بخير. قوله: [في كل أهل الأديان] أي عند كل أهل الملل، فجميعهم يترضون عنه ولا يكفرون به، ويزعمون أنهم على ملته. قوله: ﴿لمن الصالحين﴾ أي من أكملهم وأعلاهم درجة، وهذا تتميم لقوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾ فإن حسنة الدنيا لا تتم إلا بحسنة الآخرة.

قوله: ﴿ثم أوحينا إليك﴾ هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لإبراهيم وأجلها وأكملها، اتباع رسول الله ﷺ ملته، فصله عما قبله، حيث عطفه بثم. قوله: ﴿أن اتبع﴾ يصح أن تكون ﴿أن﴾ تفسيرية أو مصدرية، فتكون مع ما دخلت عليه في محل نصب مفعول لقوله: ﴿أوحينا﴾. قوله: ﴿ملة إبراهيم﴾ أي شريعته، ومعنى اتباع النبي فيها اتباعه في الأصول، وهي عقائد التوحيد، فرسول الله أمر باتباع إبراهيم، بل وباتباع من تقدمه من الأنبياء في التوحيد، لأنهم مشتركون فيه، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ الآية. قوله: ﴿حنيفاً﴾ حال من ﴿ملة إبراهيم﴾ وهو وإن كان مضافاً إليه، إلا أن شرطه موجود، وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه، لأنه يصح الاستغناء بالثاني عن الأول. قوله: [رداً على زعم اليهود والنصارى] المناسب أن يقول رداً على المشركين لأن اليهود والنصارى لم يكونوا مدعين للإشراك.

قوله: ﴿إنما جعل السبت﴾ الخ، هذا رد على اليهود، حيث كانوا يدعون أن تعظيم السبت من شريعة إبراهيم، وهم متبعون له، فرد الله عليهم بأنه ليس السبت من شريعة إبراهيم التي زعمتم أنكم متبعون لها، بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة، ولذا اختاره الله للأمة المحمدية، لأنه يوم تمام النعمة، ويوم المزيد في الجنة.

قوله: ﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ أي خالفوا نبيهم، حيث أمرهم على لسان نبيهم، أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه، فأبوا واختاروا السبت، فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم، وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضي به والبعض لم يرض، بل المراد امتناع الجميع. قوله: [واختاروا السبت] أي وقالوا لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السماوات والأرض وما فيهما، فنحن نوافق ربنا في ترك الأعمال يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد، وقالوا لأنه مبدأ الخلق، فنجعله عيداً لنا. قوله: [من أمره] أي السبت. قوله: [بأن يثيب الطائع] أي وهو من لم يصطد به ويعظمه. قوله: [ويعذب العاصي] أي وهو من صنع الحيلة، واصطاد فيه، فعذبوا في الدنيا بمسخهم قردة وخنازير، وفي الآخرة بالعذاب الدائم.

قوله: ﴿ادع﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت، ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: [الناس] وفي

بالقرآن ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي﴾: أي المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾: كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: أي عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٥: فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال. ونزل لما قتل حمزة ومثّل به فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلن بسبعين

هذا إشارة إلى أن بعثته عامة، وعبّر بالناس وإن كان داعياً للجن أيضاً، باعتبار ما ظهر لنا فقط. قوله: [دينه] سمي الدين سبيلاً، لأنه الموصل لدار السعادة الأبدية، والسعادة السرمدية. قوله: [بالقرآن] أي وسمي حكمة، لأنها العلم النافع.

قوله: ﴿والموعظة الحسنة﴾ عطف خاص على عام، لأن القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها، والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب، والحكمة في ذكر الموعظة الحسنة، التشويق للعبادة والنشاط لها، وسهولة العبد عن المخالفات، كما في الحديث «كان ﷺ يتخولنا بالموعظة أحياناً، مخافة السآمة علينا» أي يخلل كلامه، بالترغيب والترهيب في بعض الأحيان، لئلا يحصل لنا الملل من توالي الأمر والنهي، وتتابعهما من غير تخللهما بشيء يروح النفوس ويشوقها، ويحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات. قوله: [أو القول الرفيق] تفسير ثان للموعظة الحسنة، والمراد بالقول الرفيق، الألفاظ التي فيها اللين والرفق كقوله تعالى ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾ الآيات.

قوله: ﴿بالتي هي أحسن﴾ أي ليترتب على ذلك حصول الفائدة لهم، والانقياد للطريق القويم. قوله: [بآياته] أي كقصة إبراهيم مع قومه، حيث قال لهم حين جن عليه الليل ورأى كوكباً (هذا ربي) الخ. قوله: [والدعاء إلى حججه] أي براهينه ودلائله، قال تعالى ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ الآية. قوله: [أي عالم] أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة، مع أن صفات الله قديمة، لا مشارك له فيها. قوله: ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ أي حاد وزاغ عنه.

قوله: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ حكمة التعبير في جانب أهل الهدى بصيغة الاسم، وفي جانب أهل الضلال بالفعل، الإشارة إلى أن أهل الهدى استمروا على الفطرة الأصلية، وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها بإحداث الضلال. إن قلت: قوله تعالى ﴿إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا﴾ الخ، يقتضي أن الأصل في الإنسان الضلال والهدى طارىء عليه. أجيب: بأنه محمول على العالم الجسماني، أي أن الأصل في الإنسان، باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال، والهدى طارىء ببعثة الرسل، وما في هذه الآية محمول على عالم الأرواح، وهو الأصل الأصيل، لأن الله لما خاطب الأرواح في عالم الذر وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا جميعاً: بلى، فالمهتدي في عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل، ومن ضل في عالم الأجساد، فقد نسي ذلك العهد، وتبع شهوات نفسه. ثم اعلم أن مقتضى حل المفسر، يقتضي أن المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن واحد، وقال بعضهم: الناس خلقوا ثلاثة أقسام، الأول العلماء الراسخون، فهم المشار إليهم بقوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ أي العلم النافع، لينتفعوا وينفعوا الناس. الثاني الذين لم يبلغوا حد الكمال، وكانوا دون الأوائل، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿الموعظة الحسنة﴾. الثالث الكفار أصحاب الجدال والخصام، وهم المشار إليهم بقوله: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي لينقادوا للحق ويرجعوا إليه. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة، وقيل ليست منسوخة، لأن الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيها نهي عن القتال، بل المراد ادعهم وجادلهم برفق في أول الأمر، فإن امتثلوا فواضح، وإلا فشيء آخر. قوله: [ونزل] أي بالمدينة. قوله: [لما قتل حمزة] أي في السنة الثانية في أحد،

منهم مكانك» ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾: أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ ١٢٦: فكف ﷺ وكفر عن يمينه رواه البزار ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ١٢٧: أي لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾: الكفر والمعاصي ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ ١٢٨: بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع، وقريبه من الأم أيضاً، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين. قوله: [ومثل به] أي مثل به المشركون، فقطعوا أنفه وأذنيه، وذكره وأنثييه وفجروا بطنه. قوله: [وقد رآه] الجملة حالية. قوله: [والله لأمثلن] الخ في كلام المفسر اختصار للحديث، ولفظه «أما والله لئن ظفرني الله بهم لأمثلن» الخ. قوله: ﴿وإن عاقبتم﴾ أي أردتم المعاقبة. قوله: ﴿ولئن صبرتم﴾ أي عفوتم وتركتم القصاص. قوله: ﴿لهو﴾ بضم الهاء وسكونها، قراءتان سبعيتان. قوله: [فكف] أي عن التمثيل بهم. قوله: ﴿واصبر﴾ الخطاب للنبي، والمراد به العموم، تعليماً للأمة حسن الأدب. قوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ أي بإقداره لك عليه لا بنفسك، فإن الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب، والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء، فمن خلق الله فيه الصبر صبر، ومن لا فلا، فليس للعبد مدخل فيه. قوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي لا تتأسف على إعراضهم عن الهدى. قوله: ﴿ولا تك في ضيق﴾ بفتح الضاد وكسرها، قراءتان سبعيتان، أي لا يكن فيك ضيق، فالكلام على القلب، وإنما أتى به مقلوباً إشارة إلى أن الضيق إذا اشتد، كان كالشيء المحيط، وأتى هنا بحذف نون تك، وفي النمل بإثباتها تفنناً، لأن حذفها للتخفيف، وهو حذف غير لازم، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

لأن أصل يك يكون، دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، وحذفت النون تخفيفاً. قوله: [أي لا تهتم بمكرهم] أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، تسبك مع ما بعدها بمصدر. قوله: [بالعون والنصر] أشار بذلك إلى أن المعية مع المتقين، والمحسنين معية معنوية خاصة، وهذا لا ينافي قوله تعالى ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ لأن المعية خاصة وعامة، فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق، والخاصة بالإعانة والنصر والرضا، للمتقين والمحسنين، أحياء وأمواتاً، فرضى الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع، فإذا كان كذلك، فينبغي زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم في حضرة الرضى أحياء وأمواتاً، لا ينقطع عنهم مدد ربهم؛ وقوله في الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، علم ينتفع به» الخ المراد ثواب أعمالهم المتجدد، فلا يتجدد لهم ثواب عمل، وأما ما ثبت لهم في نظير العمل السابق فهو دائم مستمر، وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه، أو ولد صالح، إلى آخر ما في الحديث. ومن هنا زيارة الصالح الحي أفضل من زيارة الصالح الميت، لأن الحي أعماله كلها مستمرة الصعود ما دام حياً، ويتجدد له ثوابها، ولذلك تضن روح المؤمن الصالح بالحياة، فلا تحب الموت، لأن فيه عزلها عن خدمة ربها، التي هي أشرف الأشياء وأفضلها.

* أسباب نزول الآية ١٢٦: قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم﴾، أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والبزار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال: لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف بخواتيم سورة النحل ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ إلى آخر السورة فكف رسول الله ﷺ وأمسك عما أراد، وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ الآية، وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصار بأنها نزلت أولاً بمكة، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح، تذكيراً من الله لعباده.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

[١٧] - سورة الإسراء

[مكية إلّا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان
مائة وعشر آياتٍ أو وإحدى عشرة آية]

﴿سُبْحَانَ﴾: أي تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾: محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾: نصب على الظرف والإسراء سير الليل

بسم الله الرحمٰن الرّحيم

سورة الإسراء مكية

إلا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان. وهي مائة وعشر آيات أو وإحدى عشرة آية

وتسمّى سورة بني إسرائيل، وتسمّى سورة سُبْحان، لأنه جرت عادة الله في كتابه، أنه يُسمي السورة باسم بعضها، وسورة مُبتدأ، ومكية خبر أول، وقوله: [مائة] الخ خبرٌ ثانٍ قوله: [إلا وإن كادوا] الخ وقيل كلها مكية. قوله: [الآيات الثمان] أي وآخرها قوله تعالى ﴿سلطاناً نصيراً﴾ لكن بحث البيضاوي فيه، بأن قوله تعالى ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ نزلت بمكة حين أمر ﷺ بالهجرة، وقد يُجاب عن بحثه بأنها نزلت بعد الأمر بالهجرة، فالتحقت بالمدني خصوصاً، وقد قال العلماء: المدني ما نزل بعد الهجرة وإن بأرض مكة.

قوله: ﴿سبحان﴾ هو في الأصل مصدر سماعي لسبّح المشدّد، أو اسم مصدر له، ثم صار علماً على التنزيه، أي وعلى كل، فهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبّح، فالمقصود منه إمّا التنزيه فقط، أي تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص، لأن هذه معجزة لم تُسبق لغيره ﷺ، أو المقصود التعجب فقط، على حدّ سبحان الله، المؤمن لا ينجس، أي عجباً لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله، أو التنزيه مع التعجّب، كأنه قال: عجباً لتنزيه الله تعالى عن كل نقص، حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة.

قوله: ﴿الذي﴾ اسم موصول مضاف لسُبحان، والموصول وإن كان مُبهماً، إلا أنه تميّز بالصلة، فإن هذه الصلة ليست لغيره تعالى، سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذي هو مختص بالله. قوله: ﴿أسرى﴾ هو وسَرَى فعل لازم، بمعنى سار في الليل، فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول. قوله: ﴿بعبده﴾ لم يقل بنبيه ولا برسوله، إشارة إلى أن وصف العبودية، أخصّ الأوصاف وأشرفها، لأنه إذا صحّت نسبة العبد لربه، بحيث لا يشرك به في عبادته له أحداً، فقد فاز وسعد، ولذا ذكره الله في المقامات الشريفة كما هنا، وفي مقام الوحي قال تعالى ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وفي مقام الدعوة قال تعالى، وأنه لمّا قام عبد الله يدعوه الخ، ولذا قال القاضي عياض:

وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي مكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى﴾: بيت المقدس لبعده منه ﴿ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾: بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾: عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

وممـا زادني شرفـاً وتيـهـاً وكـدت بـأخمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخـولـي تحـت قـولـك يـا عبـادي وأن صـيـرت أحـمـد لـي نـبـيـا

وهناك وجه آخر، وهو خلاف ضلال أمته به، كما ضلت أمة عيسى به حيث قالوا: ابن الله، وقوله: ﴿بعبده﴾ أي بروحه وجسمه على الصحيح، خلافاً لمن قال: إن الإسراء بالروح فقط، ونقل عن عائشة وهو مردود، بأنها كانت حديثة السن إذ ذاك، ولم تكن في عصمته ﷺ. قوله: [محمد] إنما لم يصرح به لعلمه من السياق، ومن سبب النزول. قوله: [وفائدة ذكره] أي مع علمه من ذكر الإسراء. قوله: [إلى تقليل مدته] أي فقيل قدر أربع ساعات، وقيل ثلاث، وقيل قدر لحظة، قال السبكي في تائيته: وعدت وكل الأمر في قدر لحظة.

قوله: ﴿من المسجد الحرام﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية. قوله: [أي مكة] إنما فسره بذلك، ليصدق بكل من القولين وهما: هل كان مضطجعاً في المسجد، أو في بيت أم هانىء، وفي الحقيقة لا تخالف لأنه على القول بأنه كان في بيت أم هانىء، لقد احتملته الملائكة، وجاؤوا به إلى المسجد، وشقوا صدره هناك، ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك، فلم يحصل الإسراء إلا من المسجد، فالأولى للمفسير أن يبقي الآية على ظاهرها، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف، ثم وسعه الملوك. وأول من وسع فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه.

قوله: ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ هو أول مسجد بني في الأرض بعد الكعبة، بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة، والحكمة في الإسراء به إلى بيت المقدس، ليظهر شرفه على جميع الأنبياء والمرسلين لأنه صلى بهم إماماً في مكانهم، وشأن الذي يتقدم على الانسان في بيته، يكون هو السلطان، لأن السلطان له التقدم على غيره مطلقاً، وليسهل على أمته المحشر، حيث وضع قدمه فيه، فإن الخلق يحشرون هناك. قوله: [بيت المقدس] من إضافة الموصوف لصفته، أي البيت المقدس، أي المطهر من عبادة غيره تعالى، ولذا لم يعبد فيه صنم قط.

قوله: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي بركة دنيوية بالثمار والأنهار كما قال المفسر، وأما في داخله فليست مختصة به، بل البركة في كلا المسجدين، بل هي أتم في المسجد الحرام. قوله: ﴿لنريه﴾ اللام للحكمة، أي حكمة إسرائنا به رؤيته من آياتنا، وعامة القراء على قراءته بالنون، وقرأ الحسن ليريه بالياء، فعلى الأول يكون في الكلام التفاتان، الأول من الغيبة للمتكلم في قوله: ﴿باركنا﴾ و﴿لنريه﴾، الثاني في قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ وعلى الثاني يكون فيه أربع التفاتات: الأول من الغيبة في قوله: ﴿بعبده﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿باركنا﴾. الثاني من التكلم إلى الغيبة في ﴿ليريه﴾. الثالث من الغيبة إلى التكلم في قوله: ﴿من آياتنا﴾. الرابع من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ ومن في قوله: ﴿من آياتنا﴾ للتبعيض، أي لنريه بعض آياتنا، وإنما أتى بها تعظيماً لآيات الله، أي أن محمداً، وإن رأى ما رأى، من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة، فهو بعض بالنسبة لآيات الله، وعجائب قدرته، وجلائل حكمته. إن قلت: إن ما هنا يقتضي التبعيض، وقوله تعالى في حق إبراهيم ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ أنه لا تبعيض، فظاهر هذا أن ما رآه إبراهيم أكثر مما رآه محمد، وهو خلاف الإجماع. أجيب: بأن ملكوت السماوات والأرض، بعض الآيات العظيمة التي رآها محمد، فإبراهيم رأى بعض البعض.

قوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى، أي هو السميع للأقوال، البصير

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾١: أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال

بالأحوال والأفعال، وقيل الضمير عائد على النبي ﷺ، وحكمة الإتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله ﷺ، حيث شاهد ما شاهد، وسمع ما سمع، ولم يزغ بصره، ولم يدهش سمعه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه، ولذا قال العارف البرعي:

وإن قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فإن الله كلم ذاك وحياً ... وكلم ذا مشافهة وأدنى

إلى أن قال:

فموسى خر مغشياً عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهناً

قوله: [على اجتماعه بالأنبياء] أي الرسل وغيرهم وصلوا خلفه. قوله: [وعروجه إلى السماء] أي صعوده إليها محفوفاً بالملائكة الكرام. قوله: [ورؤية عجائب الملكوت] أي كالملائكة والجنة والنار. واعلم أن العوالم أربع: عالم الملك وهو ما نشاهده، وعالم الملكوت وهو ما خفي عنا، وعالم الجبروت وهو العلوم والأسرار، وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله، ويسمى سر سر السر. قال السيد البكري: وسر سر سرك الذي لا تفي بالإفصاح عن حقيقته الرقائق. قوله: [ومناجاته له تعالى] أي شفاهاً مع رفع الحجاب. قوله: [فإنه ﷺ] الخ، القصد على ذلك تفصيل ما أجمل في الآية الكريمة، وقد اختلفت الروايات في الإسراء والمعراج جداً، وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخاري ومسلم. قوله: [أتيت بالبراق] أي بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر، فاحتملوه حتى جاؤوا به زمزم، فأضجعوه وشقوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات، ثم ملؤوه حلماً وعلماً ويقيناً وإسلاماً، ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتي بالبراق بضم الباء مأخوذة من البرق لسرعة سيره، أو من البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه، وهو من جملة أربعين ألف براق، ترتع في رياض الجنة معدة له ﷺ. قوله: [دابة] أي ليست ذكراً ولا أنثى، وفي الاستعمال يجوز التذكير، باعتبار كونه مركوباً، ويؤنث باعتبار كونه دابة. قوله: [فوق الحمار ودون البغل] أي وهو متوسط بينهما. قوله: [عند منتهى طرفه] هو بسكون الراء البصر. قوله: [فركبته] أي وكان جبريل عن يمينه آخذاً بركابه، وميكائيل عن يساره آخذاً بزمام البراق. قوله: [حتى أتيت بيت المقدس] في هذه الرواية اختصار، وزيد في غيرها أنه نزل بالمدينة ومدين وطور سيناء وبيت لحم، فصلى في كل موضع ركعتين، بأمر من جبريل عن الله، لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن، وليقتدي به غيره في العبادة بالأماكن المشرفة، ورأى بين كل موضع والآخر، عجائب مذكورة في قصة النجم الغيطي. قوله: [فربطت الدابة] يقال ربط يربط من باب ضرب شده. قوله: [بالحلقة] بسكون اللام ويجوز فتحها، والربط تعليماً للاحتياط في الأمور، وإشارة إلى أن الأخذ في الأسباب لا ينافي التوكل. قوله: [التي تربط فيها الأنبياء] أي الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته، وفي رواية أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجد، وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها. قوله: [فصليت فيه ركعتين] أي إماماً بالأنبياء أجساداً وأرواحاً، والملائكة وأرواح المؤمنين، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضاً أو نفلاً، غاية ما يقال إنه أمر بها وهو مطيع، وفي الحديث اختصار، لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد، حين اجتمع

جبريل: أصبتَ الفطرة قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل: مَن أنت؟ قال: جبريل قيل: ومَن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنتَ؟ فقال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل فقيل: ومَن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء

جمعَ الأنبياء والملائكة وأرواحَ المؤمنين، ويحتمل أنّ الركعتين المذكورتين في الحديث هما تحية المسجد، وطوى ذكر الركعتين اللتين أمّ فيهما الناس. قوله: [فجاءني جبريل] أي حين أخذني من العطش أشدّ ما أخذني. قوله: [أصبتَ الفطرة] أي الخلقة الأصلية وهي فطرة الإسلام، وفي بعض الروايات أن جبريل قال له: ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا قليل، وفي رواية إن الآنية كانت ثلاثاً والثالث فيه ماء، وأن جبريل قال له: ولو اخترت الماء لغرقت أمتك. قوله: [قال] أي الراوي وهو أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ. قوله: [ثم عرج بي] أي بعد أن أتي بالمعراج، ووضع على صخرة بيت المقدس، وهو سلم له عشر مراق: إحداها من ذهب، والأخرى من فضة، وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء، والآخر من ياقوتة بيضاء، وهو مكلل بالدر، سبع منها للسماوات السبع، والثامنة للسدرة، والتاسعة للكرسي، والعاشرة إلى العرش، فلما هما بالصعود، نزلت المرقاة التي عند السماء الدنيا، فركباها وصعدت بهما إلى محلها، ثم نزلت الثانية لهما وهكذا. قوله: [إلى الدنيا] أي وهي من موج مكفوف، والثانية من مرمرة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، والكرسي من ياقوتة بيضاء، والعرش من ياقوتة حمراء، وأبواب السماوات كلها من ذهب، وأقفالها من نور، ومفاتيحها اسم الله الأعظم. قوله: [فاستفتح جبريل] أي طلب الفتح من الملك الموكل بالباب، وحكمة غلقها إذ ذاك، لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له ﷺ. قوله: [قيل من أنت] الخ، فيه اختصار، وفي الرواية المشهورة قيل مرحباً به وأهلاً، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء. قوله: [قيل وقد أرسل اليه؟] المعنى أجاء وقد أرسل إليه؟ إن قلت: إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها. أجيب: بأن المراد أرسل اليه للعروج إلى السماوات والمكالمة. قوله: [فإذا أنا بآدم] في بعض الروايات: وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة، وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر قبل شماله حزن وبكى، فسأل جبريل عن ذلك فقال: هذه الأسودة نسم بنيه، والباب الذي عن يمينه باب الجنة، والذي عن يساره باب النار، فإذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك، وإذا رأى من يدخل قبل يساره بكى. قوله: [فرحب بي] أي قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. قوله: [ثم عرج بنا] أي أنا مع جبريل. قوله: [بابني الخالة] فيه مسامحة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى، ويحيى ابن خالة أم عيسى لأن عيسى ابن مريم وهي بنت حنة، وحنة أخت أشاع، وأشاع أم يحيى، وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. قوله: [شطر الحسن] أي نصفه، والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه ﷺ، غير ذلك الحسن الذي أعطي يوسف شطره، إذ هو غير منقسم، ولم يعط منه شيء لغيره، قال البوصيري:

منزّه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل فقيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك

قوله: [بإدريس] وهو أول من خاط الثياب، وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود. قوله: [بهارون] في بعض الروايات وصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء، وذلك من مسك أخيه موسى لها، حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل. قوله: [فإذا أنا بموسى] في بعض الروايات: وحوله نفر من قومه، فلما جاوزته بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي، فلو أنه في نفسه لم أبال، وفي رواية أنه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد ﷺ فأجابه الله. قوله: [بإبراهيم] أي خليل الرحمن، فقال لي: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ودعا لي بخير وقال: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قوله: [وإذا هو] القصد من ذلك بيان أن الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾. قوله: [ثم ذهب بي] أي عرج بي، لأن هذا هو المعراج الثامن. قوله: [إلى سدرة المنتهى] أي إلى أعلاها، فإن السدرة أصلها في السماء السادسة، وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة. قوله: [كآذان الفيلة] أي في الشكل، وإلا فكل ورقة تظلل هذه الأمة. قوله: [كالقلال] جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين، وفي بعض الروايات كقلال هجر، وهي بلدة القلة فيها كالزير الكبير. قوله: [فلما غشيها] أي قام بها من الحسن والبهاء. قوله: [قال فأوحى] فيه اختصار، أي ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وهو المعراج التاسع، ثم دلي الرفرف فزج به في النور، فعند ذلك تأخر جبريل فقال له: أهنا يفارق الخليل خليله؟ فقال له: هذا مكاني فلو فارقته لاحترقت من النور، أي ذهب نوري وتلاشيت لشدة الأنوار وظهورها، قال رسول الله: فخاطبني ربي ورأيته بعيني بصري وأوحى الخ. قوله: [ما أوحى] أبهم ذلك إشارة إلى عظم ما أوحى به إليه، وعدم إحاطة جميع الخلق به، قال البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

قوله: [وفرض علي] الخ، عطف خاص على عام، وإنما صرح به لتعلقه بالأمة، وأما عطاياه التي تخصه فلم يعبر عنها، إذ لا تحيط بها العبارة ولا تحصيها الإشارة، وقوله: [علي] أي وعلى أمتي لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل يدل على التخصيص، فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته. قوله: [فنزلت] أي ومررت على إبراهيم فلم يقل شيئاً. قوله: [إلى موسى] أي في السماء السادسة، والحكمة في أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء أن

على أمتك قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمساً قال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت» رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: قال ﷺ: «رأيت ربي عز وجل» قال

أمته كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم، فرفق موسى بأمة محمد ﷺ لكونه طلب أن يكون منها، وأيضاً فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها، ومحمد نالها من غير طلب، فأحب مراجعته وتردده ليزداد من نور الرؤية، فيقتبس موسى من تلك الأنوار، ليكون كإسرائيل من رأى، قال ابن الفارض:

أبق لي مقلة لعلي يوماً ... قبل موتي أرى بها من رآك

وفي هذا المعنى قال ابن وفا:

والسر في قول موسى إذ يردده ... ليجتلي النور فيه حيث يشهده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا ... لله حسن جمال كان يشهده

قوله: [وخبرتهم] أي جربتهم، حيث كلفهم الله بركعتين في الغداة، وركعتين في وقت الزوال، وركعتين في العشي، فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه. قوله: [قال فرجعت إلى ربي] أي إلى المكان الذي ناجيت فيه ربي، وليس المراد أن الله في ذلك المكان ورجع له، فإن اعتقاد ذلك كفر، بل المراد أن الله جعل هذا المكان محلاً لسيدنا محمد ﷺ يناجيه فيه، ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية. قوله: [ويحط عني] أي الله تعالى، فجملة المرات تسع، وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه في المرة الأولى، فقد رأى ربه في تلك الليلة عشر مرات. قوله: [حتى قال] الخ هذا حديث قدسي من هنا إلى قوله: [كتبت سيئة واحدة]. قوله: [بكل صلاة عشر] أي في المضاعفة والثواب، فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة. قوله: [ومن هم بحسنة] المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم، لأنه الذي يكتب في الخير ولا يكتب في الشر، وأما العزم والتصميم فيكتب في الخير والشر، وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس فلا يؤاخذ الإنسان بها، لا في خير ولا شر، وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

قوله: [فنزلت] في بعض الروايات إن الله قال له: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي. قوله: [استحييت] بياءين بعد الحاء المهملة. قوله: [رواه الشيخان] أي البخاري ومسلم. والمعنى رويا معنى حديث الإسراء واتفقا عليه. قوله: [واللفظ لمسلم] أي وأما البخاري ففيه تغيير لبعض الألفاظ. قوله: [رأيت ربي] أي بعيني رأسي، وأتى بهذا الحديث تتميماً للقصة، ثم بعد تمام الأمر، هبط من السماوات السبع إلى بيت المقدس، فركب البراق وأتى مكة

تعالى: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: لـ﴿أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[٢]: يفوضون إليه أمرهم وفي قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتاً فأن زائدة والقول مضمر ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٣]: كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله ﴿وَقَضَيْنَا﴾: أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[٤]: تبغون بغياً عظيماً ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾: أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحاب قوة في

قبيل الصبح، فلما أصبح قطع، وعرف أن الناس تكذبه، فقعد حزيناً، فمر أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل كان من شيء؟ قال: نعم أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، فقال أبو جهل: إذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به؟ قال: نعم، فقال: يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا، فجاؤوا حتى جلسوا إليهما، فحدثهم ﷺ بذلك، فبقي الناس بين مصفق، وواضع يديه على رأسه متعجباً، وضجوا لذلك وعظموه، فجاء أبو بكر فحدثه ﷺ بذلك فقال: صدقت صدقت، فقالوا: أتصدقه إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم أني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي الصديق، فقال القوم: صف لنا بيت المقدس، فشرع في وصفه، حتى إن جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه ﷺ، وجعل ينظر إليه ويصف لهم، فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم عنها تفصيلاً، فقالوا: إن هذا لسحر مبين، فأنزل الله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

قوله: ﴿وآتينا موسى﴾ معطوف على جملة ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ ومناسبتها لما قبلها أن كلاً متعلقة بعطايا نبي، فالأولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد، وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما السلام بجامع أن موسى أعطي التوراة بمسيره إلى الطور، وهو بمنزلة معراجه ﷺ لأنه منح ثمة التكلم، وشرف باسم الكليم. قوله: ﴿وجعلناه﴾ أي موسى أو الكتاب. قوله: ﴿هدى﴾ أي هادياً من الضلالة والشرك.

قوله: ﴿أن لا يتخذوا﴾ ﴿أن﴾ مصدرية و﴿لا﴾ نافية، والفعل منصوب بحذف النون، ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر، وهذا على قراءة التحتية، وأما على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا الناهية، وأن زائدة، والقول مقدر والتقدير: وقلت لهم لا تتخذوا الخ، وقوله: ﴿من دوني﴾ في محل المفعول الثاني، و﴿وكيلا﴾ مفعول أول وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى، أي لا تتخذوا وكلاء غيري تلتجئون إليهم، وتفوضون أموركم إليهم. قوله: [فأن زائدة] المناسب أنها هنا مفسرة، لأن هذا ليس من مواضع زيادتها، وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولما كان وجه زيادتها ظاهراً بحسب الصورة، حملها المفسر عليه. قوله: ﴿ذرية﴾ الخ، أعربه المفسر منادى، وحرف النداء محذوف، وحينئذ فالمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح، وحدوا الله واعبدوه واشكروه في جميع حالاتكم كما كان نوح، إنه كان عبداً شكوراً، فقوله: ﴿إنه كان﴾ الخ تعليل لمحذوف، وهذا هو الأقرب والأسهل، وبعضهم أعرب ﴿ذرية﴾ مفعولاً ثانياً لتتخذوا. و﴿وكيلا﴾ مفعول اول، أو ذرية بدل من وكيلا، أو منصوب على الاختصاص، فتحصل أن في إعراب ذرية أربعة أقوال، أسهلها ما مشى عليه المفسر. قوله: [أوحينا] فسر القضاء بالوحي لتعديه بإلى، فإن قضى يتعدى بنفسه أو بعلى، وما هنا فهو مضمن معنى الإيحاء، والمراد بالكتاب التوراة، ويصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه التقدير والحكم، وتكون إلى بمعنى على، أي حكمنا وقدرنا على بني إسرائيل، وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ. قوله: ﴿مرتين﴾ تثنية مرة وهي الواحدة من المر أي المرور. قوله: [تبغون] أي تظلمون وتطغون. قوله: ﴿وعد أولاهما﴾ المراد بالوعد الوعيد، أي جاء وقت العقاب الموعود به. قوله: ﴿بعثنا عليكم عباداً

الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾: ترددوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسط ديارهم ليقتلوكم ويسبوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ٥: وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ٦: عشيرة وقلنا ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾: بالطاعة ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾: لأن ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾: بالفساد ﴿فَلَهَا﴾: إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾: المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾: بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾: بيت المقدس فيخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾: وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾: يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾: غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾ ٧: هلاكاً وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى

لنا﴾ أي جالوت وجنوده كما يأتي للمفسر، وقيل بختنصر. قوله: ﴿فجاسوا﴾ هو بالجيم باتفاق الجمهور، وقرىء شذوذاً بالحاء المهملة، والمعنى على كل نقبوا وفتشوا. قوله: ﴿خلال الديار﴾ إما مفرد بمعنى [وسط] كما قال المفسر، أو جمع خلل كجبل وجبال. قوله: ﴿وكان﴾ أي البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم. قوله: [بقتل زكريا الخ] مشى المفسر على أن المرة الأولى هي قتل زكريا، والثانية هي قتل ولده يحيى، ومشى غيره على أن المرة الأولى مخالفة أحكام التوراة، وقتل شعياء وقيل أرمياء، والثانية قتل زكرياء ويحيى، وقصد قتل عيسى. قوله: [فبعث عليهم جالوت وجنوده] الصحيح أن الذي بعث عليهم في المرة الأولى بختنصر، قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة وأما جالوت وجنوده، فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس، بل جاؤوا ليغزوهم، فخرج اليهم داود وطالوت بجيوشهم، فقتل الله جالوت على يد داود، كما تقدم مفصلاً في سورة البقرة. قوله: [الدولة] في المصباح تداول القوم الشيء، وهو حصوله في يد هذا تارة، وفي يد هذا أخرى، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها، وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع، وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اهـ. قوله: [والغلبة] تفسير. قوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ أي بعد النهب والقتل الأول. قوله: ﴿أكثر نفيراً﴾ أي أكثر الناس اجتماعاً وذهاباً للعدو، ونفيراً منصوب على التمييز. قوله: ﴿إن أحسنتم﴾ الخطاب لبني إسرائيل. قوله: ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ أي فلا يصل إلي شيء من طاعتكم إذ يستحيل على الله تعالى أن يصل له من عباده نفع أو ضر، وحينئذ فلا ينبغي للإنسان أن يفتخر بطاعته، بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه، لأنها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعيم، ففي الحديث «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، وإنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه». وقال العارف:

ماذا يضرك وهو عاص ... أو يفيدك وهو طائع

فمن ظن أن الله ينتفع بالعبادة فقد كفر لنسبة الافتقار له تعالى الله عنه. قوله: ﴿فلها﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر، واللام بمعنى على، وإنما عبر بها للمشاكلة. قوله: ﴿فإذا جاء﴾ جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله: [بعثناهم] دل عليه جواب إذا الأولى. قوله: ﴿الآخرة﴾ صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: [المرة]. قوله: ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ متعلق بهذا الجواب المحذوف، وفيها ثلاث قراءات سبعية: الأولى بضمير الجماعة مع الياء، فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخراً، والفاعل هو الله. الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة، والفاعل إما الله وإما الوعد وإما البعث وإما النفير، تأمل. قوله: [بقتل يحيى] أي وقيل بقتل زكرياء ويحيى، وقصد قتل عيسى.

فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفاً وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾: إلى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ٨: محبساً وسجناً ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾: أي الطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾: أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله: [فبعث عليهم بختنصر] وهو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مركب وسمي بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحاً عند صنم ولم يعرف له أب فنسب إليه قيل إنه ملك الأقاليم كلها، قيل المسلط عليهم في المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتي في السيرة. قوله: [ألوفاً] أي نحو الأربعين. قوله: [وسبى ذريتهم] أي نحو السبعين ألفاً. قوله: [وقلنا في الكتاب] أي التوراة. قوله: [وضرب الجزية عليهم] أي على باقيهم كأهل خيبر. قوله: [وسجناً] تفسير فيكون معنى حصيراً محلاً حاصراً لهم وقيل حصيراً فرشا كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد. ـ تتمة ـ يذكر فيها تلخيص القصة التي ذكرها المفسرون في هذه الآيات، قال محمد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب، وكان الله متجاوزاً عنهم ومحسناً إليهم، وكان أول ما نزل بهم، أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة، وكان الله إذا ملك عليهم الملك، بعث معه نبياً يسدده ويرشده ويتبع الأحكام التي تنزل عليه، فبعث الله معه شعيا بن أمضيا عليه السلام، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى، ففي آخر مدة صديقة، عظمت الأحداث فيهم والمعاصي، فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية، فنزل حول بيت المقدس، والملك مريض من قرحة كانت في ساقه، فجاء شعيا إليه وقال له: يا ملك بني إسرائيل، إن سنحاريب نزل بك هو وجنوده، فقال: يا نبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به؟ فقال: لم يأتني وحي في ذلك، فبينما هم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء، أن ائت إلى ملك إسرائيل، فمره أن يوصي وصيته، ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فإنه ميت، فأخبره شعيا بذلك، فأقبل الملك على القبلة، وصار يصلي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص، فاستجاب الله دعاء الملك، وأوحى إلى شعياء، أن أخبر صديقة أن ربه استجاب له ورحمه، وأخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب، فلما قال له ذلك، انقطع عنه الحزن، وخر ساجداً شاكراً لله متضرعاً، فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعيا، أن قل للملك يأتي بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، فأخبره ففعل فشفاه الله، فقال الملك لشعيا: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا، قال الله لشعيا: سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه، فلما أصبح وجدوا الأمر كما ذكر، فخرج الملك والتمس سنحاريب، فلم يجده في الموتى، فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم بختنصر، فجعلوهم في أطواق الحديد، وقال الملك لسنحاريب: كيف رأيت فعل ربنا بكم، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب: قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم، قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشداً، وأوقعتني في الشقوة قلة العقل، فقال الملك لسنحاريب: إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه، وإنما أبقاك ومن معك، لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم، ثم إن الملك أطال عليهم العذاب، فقال سنحاريب له: القتل خير مما تفعل، فأوحى الله إلى شعيا، أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبروهم الخبر، فقال له قومه: نهيناك فلم تطعنا، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنحاريب تخويفاً لبني إسرائيل، ثم كفاهم الله تعالى شرهم بتذكرة وعبرة، ثم إن سنحاريب لبث سبع سنين ومات، فاستخلف على ملكه بختنصر، فعمل بعمله واستمر متباعداً عن بني إسرائيل، حتى مات ملكهم، فتنافسوا في الملك،

....

وقتل بعضهم بعضاً، وشعيا ينهاهم فلم يقبلوا، فأوحى الله لشعيا قم في قومك أوح على لسانك، فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال: يا سماء استمعي، ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقضي شأن بني إسرائيل، الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه، وخصهم بكرامته، وفضلهم على عباده، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، وضرب الله لهم مثلاً ثم قال: إنه مثل ضربته لهم، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى، والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها، وأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، ويزوقون لي المساجد ويزينونها، ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها، فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها، وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها، إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح، يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلينا فلم تنور صلاتنا، وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئاب، في كل ذلك لا يستجاب لنا، قال الله: فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم؟ ألست أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأقرب المجيبين، وأرحم الراحمين؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور، ويتقوون عليه بطعمة الحرام؟ أم كيف أنور صلاتهم، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكو عندي صدقاتهم، وهم يتصدقون بأموال غيرهم؟ إنما آجر عليها أهلها المغصوبين. أم كيف أستجيب دعاءهم؟ وإنما هو قول بألسنتهم، والفعل من ذلك بعيد، إلى أن قال: وإني قد قضيت يوم خلقت السماوات والأرض، أن أجعل النبوة في الأجراء، وأن أجعل الملك في الرعاء، والعز في الأذلاء، والقوة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والعلم في الجهلة، والحلم في الأميين، فسلهم متى هذا؟ ومن القائم بها من أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون؟ فإني باعث نبياً أمياً ليس أعجمياً من عميان ضالين، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، واحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، أجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء مشتتة، وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، توحيداً لي، وإيماناً بي، وإخلاصاً لي، يصلون لي قياماً وقعوداً، وركعاً وسجوداً، يقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحوفاً، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد، والتسبيح والتحميد، والمدحة لي والتمجيد لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، والله ذو الفضل العظيم. فلما فرغ شعيا من مقالته، عدوا عليه ليقتلوه، فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها، واستخلف الله عليهم ملكاً يقال له ناشئة بن أموص، وبعث لهم أرميا بن حلقيا نبياً، ثم عظمت الأحداث وارتكاب المعاصي، فأوحى الله إلى أرميا، أن ائت قومك من بني إسرائيل، فاقصص عليهم ما آمرك به، إلى أن قال: وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم، ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً، ألبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، فسلط الله عليهم بختنصر، فخرج في ستمائة ألف راية، ودخل بيت المقدس بجنوده، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس، وكان من أجل البيوت، ابتناه الله لسليمان ابن داود عليهما السلام، سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن، وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد، وبنوه بهذه الأصناف، فاحتمل تلك المعادن والأموال، على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة، فأودعها ببابل، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مائة عام، إلى أن

. . . .

قال: فذلك قوله تعالى ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾ يعني بختنصر وأصحابه، ثم إن بختنصر قام في سلطانه ما شاء الله، ثم رأى رؤيا عجيبة، إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الذي رأى، فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل، وكانوا من ذراري الأنبياء، وسألهم عنها فقالوا: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال: ما أذكرها. ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعن أكتافكم، فخرجوا من عنده فدعوا الله فأعلمهم بالذي سألهم، فجاؤوا فقالوا: رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، ورأسه وعنقه من حديد، قال: صدقتم، قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، أرسل الله عليه صخرة فدقته، فهي التي أنستكها، قال: صدقتم فما تأويلها؟ قالوا: إنك أريت ملك الملوك، بعضهم كان ألين ملكاً، وبعضهم كان أحسن ملكاً، وبعضهم كان أشد ملكاً، فالفخار أضعفه، ثم فوقه النحاس أشد منه، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك، والذهب أحسن من الفضة، ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله، والصخرة التي رأيت، أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع، ويصير الأمر إليه، فلما تجبر بختنصر على أهل الأرض، ظن أنه بحوله وقوته، فقال لأصحابه: قد ملكت الأرض فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا، فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً، فبعث الله عز وجل إليه بعوضة، فدخلت في منخره، حتى عضت على أم دماغه، فما كان يقر ولا يسكن حتى مات، فلما مات؛ شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه؛ وارتحل من بقي من بني إسرائيل إلى الشام، وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، وكانت التوراة قد حرقت، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل، فلما رجع إلى الشام، جعل يبكي ليله ونهاره، وخرج عن الناس؛ فبينما هو كذلك، إذ جاءه ملك على صورة رجل فقال له: يا عزير ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره، قال: أفتحب أن يرد إليك؟ ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك، ثم موعدك هذا المكان غداً ففعل، فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء، فسقاه من ذلك الماء، فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فأملاها لهم وعادت كما كانت، ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصي، يكذبون الأنبياء ويقتلونهم، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى، فقتلوا زكريا ويحيى، وقصدوا إلى قتل عيسى، فرفعه الله، والسبب في قتل يحيى أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه، وأن الملك هوى بنت امرأته، وقيل بنت أخيه، فسأل يحيى تزويجها، فنهاه عن نكاحها، فبلغ ذلك أمها، فحقدت على يحيى، وعمدت حين جلس الملك من شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيبتها وألبستها الحلي، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، فإن هو راودها عن نفسها، أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله، فسألته أن يأتيها برأس يحيى في طست ففعل. وفي الحديث: لا خير في الدنيا، فإن يحيى بن زكريا قتلته امرأة، فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش، فسار إليهم بأهل بابل، فدخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم؛ أمر رأساً من رؤساء جنوده يقال له بيروزاذن، فدخل بيت المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فسألهم عنه فقال: يا بني إسرائيل؛ ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبره، فقالوا: هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي، فقال: ما صدقتموني، وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحاً، فلم يهدأ الدم، فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم، فذبحهم على الدم، فلم يهدأ، فقال لهم: يا بني إسرائيل، ويلكم اصدقوني قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، من ذكر ولا أنثى إلا قتلته، فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم منكم ربكم، وآمن بالتوراة وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش، ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم، فاهدأ بإذن ربك، قبل أن لا أبقي من قومك أحداً، فهدأ الدم بإذن الله، ورفع القتل عن بني إسرائيل وقال لهم: إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري، وإني لا أستطيع أن أعصيه، فأمرهم فحفروا خندقاً، وأتوا بالخيل

﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ ٩ ﴿وَ﴾ : يخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ : أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ ١٠ : مؤلماً هو النار ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ : على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُ﴾ : أي كدعائه له ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ : الجنس ﴿عَجُولاً﴾ ١١ : بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ : دالتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱلَّيْلِ﴾ : طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ : أي مبصراً فيها بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾ : فيه ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ : بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ : بهما ﴿عَدَدَ

والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم، فأمر بذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك، فطرحوا على ما قتل من المواشي، فلم يظن خردوش، إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل، فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل، وهذه هي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله فيها ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم﴾ الخ. ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها، إلى الروم واليونانيين، إلا أن بقايا بني إسرائيل كثير، وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك، وكانوا في نعمة، إلى أن بدلوا وأحدثوا، فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومي، فخرب بلادهم وطردهم عنها، ونزع الله منهم الملك والرياسة، وضرب عليهم الذلة، فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية، وبقي بيت المقدس خراباً، إلى خلافة عمر بن الخطاب، فعمره المسلمون بأمره اهـ.

قوله: ﴿إن هذا القرآن﴾ أي الذي أنزل على محمد. قوله: ﴿يهدي﴾ أي يرشد ويوصل. قوله: ﴿للتي هي أقوم﴾ أي فمن تمسك به نجا، ومن حاد عنه هلك ففي الحديث «إني تارك فيكم ثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي». قوله: ﴿أجراً كبيراً﴾ أي لا يعلم قدره غيره تعالى، وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات، وإن لم يكن حافظاً لألفاظ القرآن، بل المدار على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي. قوله: ﴿و﴾ [يخبر] أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وأن الذين لا يؤمنون﴾ الخ معطوف على ﴿يبشر﴾ فهو غير داخل في حيز البشارة. قوله: [أعددنا] أي هيأنا وأحضرنا.

قوله: ﴿ويدع الإنسان﴾ حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وحذفت من الخط، تبعاً لحذفها من اللفظ. قوله: [إذا ضجر] أي أصابه شدة الغم والغيظ. قوله: [أي كدعائه] أشار بذلك إلى أن الكلام على التشبيه، والمعنى أن الإنسان إذا أصابه الغم، يدعو على نفسه وأهله بالشر، كما يدعو لهم بالخير، إذا كان منبسطاً راضياً، وتقدم في قوله تعالى ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم﴾ الآية، إن الله يستجيب الدعاء بالخير، ولا يستجيب الدعاء بالشر. قوله: ﴿عجولاً﴾ أي لا يتأمل في عاقبة ما يريد فعله، بل يقدم على فعل كل ما خطر بباله، فإذا كان كذلك، فينبغي للإنسان التأني في الأمور، وتفويضها إلى الله تعالى، ليحصل له الراحة في الدنيا، والسعادة في العقبى، ولا يتعجل في الأمور، بحيث يسارع إلى الانتقام ممن ظلمه، والدعاء على من أساء إليه، بل الواجب، إما التفويض أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير.

قوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا، حيث جعلناهما على منوال واحد، ينقص هذا ويزيد هذا. قوله: ﴿فمحونا آية الليل﴾ أي خلقناه على هذه الحالة، وليس المراد أنه كان مضيئاً ثم محي ضوؤه، وفي الحقيقة في الكلام حكمتان، الأولى: حكمة خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما، وهي الدلالة على باهر قدرة صانعهما. الثانية: حكمة كون الليل خلق مظلماً، والنهار خلق مضيئاً، وهي لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله في النهار. قوله: [لتسكنوا فيه] قدره أخذاً له من مقابله، وهو قوله في جانب النهار لتبتغوا، الخ. قوله: [والإضافة للبيان] أي آية هي الليل، وكذا يقال في آية النهار. قوله: [أي مبصراً فيها] هو بفتح الصاد، وأشار بذلك إلى

﴿ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [١٢]: بيّناه تبييناً ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾: عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾: خصّ بالذكر لأن اللزوم فيه أشد وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾: مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣]: صفتان لكتاباً ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [١٤]: محاسباً ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾:

أن الكلام فيه الحذف، والإيصال حذف الجار فاتصل الضمير، فيكون فيه مجاز عقلي، من إسناد الحدث إلى زمانه.

قوله: ﴿لتبتغوا﴾ أي تطلبوا. قوله: ﴿ولتعلموا﴾ [بهما] أي فهو متعلق بكل من محونا وجعلنا، لأن علم عدد السنين والحساب، بمرور الليل والنهار جميعاً. قوله: ﴿والحساب﴾ هو معطوف على ﴿عدد﴾ ولا يقال هو تكرار، لأنه يقال: إن العدد موضوع للحساب. قوله: ﴿وكل شيء فصلناه﴾ الأحسن أنه من باب الاشتغال، فكل منصوب بفعل محذوف يفسره. قوله: ﴿فصلناه﴾ وكذا يقال في قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه﴾. قوله: [للأوقات] أي كآجال الديون، وأوقات الصلاة، والحج والصوم والزكاة، وغير ذلك من أمور الدين والدنيا. قوله: ﴿تفصيلاً﴾ مصدر مؤكد لعامله، إشارة إلى أن الله لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا، إلا بيّنه نظير قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾.

قوله: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره﴾ فسّر المفسر الطائر بالعمل، وفسّره غيره بالكتاب، وإليه يشير بقول مجاهد: وسمي العمل طائراً، إما لأن العرب إذا أرادوا فعل أمر، نظروا إلى الطير إذا طار، فإن طار متيامناً، قدموا على ذلك الأمر، وعرفوا أنه خير، وإن طار متياسراً، تأخروا وعرفوا أنه شر، فلما كثر ذلك منهم، سمّوا نفس الخير والشر بالطائر، تسمية للشيء باسم لازمه. قوله: [خصّ بالذكر لأن اللزوم فيه أشد] أي لأن العنق إما محل الزينة كالقلادة ونحوها، أو للشين كالأغلال ونحوها، فإن كان عمله خيراً، كان كالقلادة في عنقه، وهو مما يزينه، وإن كان شراً، كان كالغل في عنقه، وهو مما يشينه. قوله: [مكتوب فيها شقي أو سعيد] خص مجاهد السعادة والشقاوة، وإن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضاً، لأن السعادة أو الشقاوة، هما اللذان يبقيان معه في الآخرة، وأما الرزق والأجل فيقتضيان بموته. قوله: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً﴾ قال الحسن: بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك، حتى إذا مت، طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك، حتى تخرج لك يوم القيامة.

قوله: ﴿اقرأ كتابك﴾ روي أن الإنسان يقرأ كتابه، وإن لم يكن قارئاً في الدنيا. قوله: ﴿كفى بنفسك﴾ الباء زائدة في فاعل كفى، و﴿حسيباً﴾ تمييز، و﴿عليك﴾ متعلق به، وحسيباً بمعنى حاسب أو كاف أو محاسب كما قال المفسر، والمعنى أنه يكتفي بمحاسبة الشخص لنفسه، فلا يحتاج لأحد يحاسبه، بل إذا أنكر، تشهد عليه أعضاؤه بما علمت، ثم ما مشى عليه المفسر، من أن المراد بالطائر، العمل يكتب ويوضع في عنقه وهو في بطن أمه، فيلزمه ما دام في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة، يخرج له كتاباً من خزانة تحت العرش، وهو الصحيفة التي كانت الملائكة تكتبها عليه في الدنيا، فيأخذها إما بيمينه إن كان مسلماً، أو بشماله إن كان كافراً، فيقابله على ما في عنقه، هو أحد تفسيرين في الآية، والآخر أن الكتاب واحد، تكتبه الملائكة عليه ما دام في الدنيا، فإذا مات طوي ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة، أخرج من تلك الخزانة وألزمه في عنقه، فيكون معنى ألزمناه طائره في عنقه أي في يوم القيامة عند تطاير الصحف، ويكون عطف قوله: ﴿ونخرج له يوم القيامة﴾ على ما قبله من عطف السبب على المسبب. قوله: ﴿فإنما

لأنّ ثوابَ اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: لأنّ إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾: نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾: نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾: أحداً ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ١٥: يبيّن له ما يجب عليه ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسولنا ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾: بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ١٦: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها ﴿وَكَمْ﴾: أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ١٧: عالماً ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾: بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: أي الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾:

يهتدي لنفسه﴾ أي فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتعداه إلى غيره. قوله: ﴿فإنما يضل عليها﴾ أي فإنما وبال ضلاله على نفسه، لا على من عداه ممن لم يباشر، وهذا تحقيق معنى قوله تعالى ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا تحمل نفس مذنبة، بل ولا غير مذنبة، ذنوب نفس أخرى. إن قلت: ورد في الحديث «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافياً لهذه الآية. أجيب: بأن المراد بالوزر الذي يحمله في الحديث وزر التسبب، ولا شك أن التسبب من فعل الشخص، ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيء، فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه، والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط.

قوله: ﴿وما كنا معذبين﴾ أي ولا مثيبين على الأعمال، لأن شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة، فمن لم تبلغه الدعوة لا تجب عليه عبادة، ولا تصح منه، لو فعلها فلا يثاب عليها، وعموم هذه الآية يدل على أن أهل الفترة جميعاً ناجون بفضل الله، ولو غيروا وبدلوا، وما ورد من تخصيص بعض أفراد، كحاتم الطائي وامرىء القيس بدخولهم النار، فهي أحاديث آحاد لا تعارض القطعي. قوله: ﴿مترفيها﴾ الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشيء الظريف. قوله: [منعميها] أي المنهمكين في شهواتها الغافلين عن الآخرة. قوله: [بالطاعة] متعلق بأمرنا. قوله: [بإهلاك أهلها] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي دمرنا أهلها.

قوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ كم خبرية منصوبة بأهلكنا، و﴿من القرون﴾ تمييز لكم. قوله: ﴿من بعد نوح﴾ خص بالذكر لأنه أول من كذبه قومه. قوله: ﴿وكفى بربك﴾ الباء زائدة في الفاعل، و﴿خبيراً بصيراً﴾ تمييزان، و﴿بذنوب﴾ متعلق بخبيراً بصيراً، وقوله: [عالماً ببواطنها وظواهرها] لف ونشر مرتب، فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير، وبالظواهر هو معنى البصير. قوله: [وبه يتعلق بذنوب] هكذا في النسخ التي بأيدينا، ولعل فيه تحريفاً، والأصل بذنوب متعلق بخبيراً بصيراً.

قوله: ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي من كان حظه الدنيا فهو صادق بالكافر والمنافق، ويدخل في ذلك المراؤون بأعمالهم، إذ لولا المدحة والثناء عليهم ما فعلوا الطاعات. قوله: ﴿عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ أي أعطينا لمن نريد في الدنيا الذي نشاؤه، من سعة رزق وعافية وغير ذلك، والمعنى لا نزيده على ما قدر له أزلاً، بل ما يعطى إلا ما

---

* أسباب نزول الآية ١٥: قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الآية، أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: هم من آبائهم ثم سألته بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام، فنزلت ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ وقال: هم على الفطرة أو قال: في الجنة.

التعجيل له بدل من له بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾: في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾: يدخلها ﴿مَذْمُوماً﴾: ملوماً ﴿مَدْحُوراً﴾ ١٨: مطروداً عن الرحمة ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾: عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: حال ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ ١٩: عند الله أي مقبولاً مثاباً عليه ﴿كُلّاً﴾: من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾: نعطي ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾: بدل ﴿مِنْ﴾: متعلق بنمد ﴿عَطَاءِ رَبِّكَ﴾: في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾: فيها ﴿مَحْظُوراً﴾ ٢٠: ممنوعاً عن أحد ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: في الرزق والجاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾: أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ ٢١: من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً﴾ ٢٢: لا ناصر لك ﴿وَقَضَى﴾: أمر ﴿رَبُّكَ أَنْ﴾: أي بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾: أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾

سبق في علمه تعالى أنه يعطاه، فمحبته في الدنيا لم تزده شيئاً منها، فينبغي الإخلاص في العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه، ليحظى بسعادة الدارين. قوله: [بدل من له] أي إن قوله: ﴿لمن نريد﴾ بدل من قوله: ﴿له﴾ بدل بعض من كل بإعادة اللام، وقوله: ﴿عجلنا﴾ جواب الشرط وهو ﴿من﴾ و﴿كان﴾ فعله و﴿يريد﴾ خبر ﴿كان﴾ واسمها ضمير مستتر.

قوله: ﴿ثم جعلنا﴾ أتى بثم إشارة إلى أن دخول النار متأخر. قوله: [ملوماً] أي أن الخلق في القيامة يلومونه على ما حصل منه في الدنيا. قوله: ﴿مدحوراً﴾ من دحر يدحر من باب خضع، فهو مدحور، بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته. قوله: ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي من كان حظه ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة، بأن لم يجعل الدنيا قراراً له ولا وطناً، بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده. قوله: ﴿سعيها﴾ إما مفعول به أو مفعول مطلق، والمعنى كما قال المفسر، عمل عملها الذي يليق بها؛ كأعمال البر والطاعات واجتناب المنهيات. قوله: [حال] أي من ضمير ﴿سعى﴾.

قوله: ﴿فأولئك﴾ جواب الشرط، وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها، وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال، فهو من أهل الجنة: الإيمان والعمل الصالح والاخلاص، ولذا قال بعضهم: من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا هذه الآية، وهذا هو كمال الإيمان. قوله: [مثاباً عليه] أي فشكر الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم. قوله: [كلا] مفعول لنمد. قوله: [من الفريقين] أي مريد الدنيا ومريد الآخرة. قوله: [بدل] أي من ﴿كلا﴾ بدل كل من كل كأنه قال: ﴿نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ الأول للفريق الأول، والثاني للفريق الثاني، فهو لف ونشر مرتب. قوله: [في الدنيا] أي كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك. قوله: [ممنوعاً عن أحد] أي مؤمن أو كافر. وأما في الآخرة، فعطاؤه ممنوع عن الكافر، وهو مختص بالمؤمن.

قوله: ﴿كيف﴾ منصوب على الحال من ﴿فضلنا﴾ كأنه قال: انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائناً على أي حالة. قوله: [من الدنيا] أي من درجاتها، لأن فضل الآخرة عظيم لا ينقطع، بل هو دائم لا يفنى. قوله: [فينبغي الاعتناء بها] أي بالآخرة، وقوله: [دونها] أي الدنيا. قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب إما للنبي والمراد غيره، أو لكل مكلف، وهو الأولى، والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مع الله، لا في ظاهرك ولا باطنك، بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه، ولا تجعل الغير في خيالك، فإنه نقص عن مراتب الأخيار، ولذا قال ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ يصح أن تكون قعد بمعنى عجز، فمذموماً مخذولاً حالان، ويصح أن تكون

﴿إِحْسَاناً﴾: بأن تبروهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾: فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾: وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾: بفتح الفاء وكسرها منوناً وغير منون مصدر بمعنى تباً وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: تزجرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ٢٣: جميلاً ليناً ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾: ألن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ

بمعنى صار، فمذموماً مخذولاً خبران لها. قوله: [لا ناصر لك] تفسير لمخذولاً، وتقدم تفسيره مذموماً بملوماً، والمعنى ملوماً من الخلق، مخذولاً من الخالق، لم يجعل له ناصراً.

قوله: ﴿وقضى ربك﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات جملة من التكاليف، نحو خمسة وعشرين حكماً، بعضها أصلي، وبعضها فرعي، وابتدأ منها بالتوحيد بقوله: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾ وختم به بقوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾ إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها، وما عداه من الأحكام مبني عليه، ولما كان حق الوالدين آكد الحقوق، بعد حق الله ورسوله، ذكر بعد التوحيد وشدد فيه، دون بقية التكاليف، لأن أمر العقوق فظيع، وفيه الوعيد الشديد، ففي الحديث «قل لعاق والديه يفعل ما يشاء فإن مصيره الى النار». قوله: [أمر] أي أمراً جازماً، وقيل إن قضى بمعنى أوصى، وقيل بمعنى حكم، وقيل بمعنى ألزم، وقيل بمعنى أوجب، وكل صحيح.

قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ بأن لا تشركوا معه في العبادة غيره، فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، ودخل في ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة، ومحبته وتعظيمه، لأن ذلك من جملة المأمور به، قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾. قوله: [أي بأن] أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، ويكون الفعل منصوباً بحذف النون، ويصح أن أن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، ولا ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والواو فاعل على كل حال. قوله: ﴿وبالوالدين﴾ متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: ﴿و﴾ [أن تحسنوا] والجملة معطوفة على جملة ﴿أن لا تعبدوا﴾. قوله: [بأن تبروهما] أي تطيعوا أمرهما في غير معصية الله. قوله: ﴿إما يبلغن﴾ إن شرطية مدغمة في ما الزائدة، والفعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، في محل جزم، وأحدهما فاعل، وكلاهما معطوف عليه، وجواب الشرط هو قوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ وما عطف عليه من بقية الخمسة التي كلف بها الإنسان في حق والديه. قوله: [وفي قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع، والألف فاعل، والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييد بحالة الكبر، خرج مخرج الغالب، لأن الولد غالباً إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما، ومعنى قوله: ﴿عندك﴾ أن يكونه في منزلك وكفالتك، ومعدوداً من عيالك، وهذا بحسب الغالب، وإلا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقاً، كانا عنده أو لا. قوله: [بفتح الفاء] أي من غير تنوين، وقوله: [وكسرها] أي منوناً وغير منون، فالتعميم راجع لقراءة الكسر، خلافاً لما يوهمه المفسر، فالقراءات السبعية ثلاث، وقرئ شذوذاً بالرفع مع التنوين وتركه، وبالفتح مع التنوين وسكون الفاء، فتكون الشواذ أربعاً، فجملة القراءات سبع هنا، وفي الأنبياء وفي الأحقاف ولغاتها أربعون لغة، ذكرها ابن عطية في تفسيره. قوله: [مصدر بمعنى تباً] بفتح التاء وضمها أي خسراناً، وقوله: [وقبحاً] أي لا تقل لهما قبحاً لكما ولأفعالكما، والأوضح أن يقول اسم فعل المضارع، أي لا تقل لهما أنا أتضجر من شيء يصدر منكما. قوله: [وتزجرهما] أي عما لا يعجبك منهما بإغلاظ، بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما، ولو كان ذلك الأمر غير مناسب، بل إذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما، فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق. قوله: ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي حسناً، كأن يقول لهما: يا أبتاه يا أماه، ولا يسميهما.

قوله: ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ في الكلام استعارة تبعية في الفعل، حيث شبهت إلانة الجانب بخفض

ٱلرَّحْمَةِ﴾: أي لرقتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾: رحماني حين ﴿رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ٢٤ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ﴾: طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: الرجاعين إلى طاعته ﴿غَفُورًا﴾ ٢٥: لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمرون عقوقاً ﴿وَءَاتِ﴾: أعط ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾: من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ٢٦: بالإنفاق في غير طاعة الله ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أي على طريقتهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ ٢٧: شديد الكفر

الجناح، والجامع الرأفة في كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه، وإضافة جناح للذل من إضافة الموصوف للصفة، أي جانبك الذليل، وقد أشار لذلك كله المفسر. قوله: [أي لرقتك عليهما] أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ للتعليل، والمعنى من أجل الرحمة، لا خوفاً من العار مثلاً. قوله: ﴿وقل رب ارحمهما﴾ أي ادع لهما بالرحمة، ولو في كل يوم وليلة خمس مرات، ولو كافرين إذا كانا حيين، لأن من الرحمة أن يهديهما للإسلام. قوله: ﴿كما ربياني صغيراً﴾ الكاف للتعليل، أي من أجل أنهما رحماني حين ربياني صغيراً. روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبوي بلغا مني في الكبر، أني إلي منهما ما وليا مني في الصغر، فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما.

قوله: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ هذا وعد ووعيد، والمعنى لا عبرة بادعاء البر باللسان، فإن الله عالم بالسرائر. قوله: [طائعين لله] أي في حق الوالدين. قوله: ﴿فإنه كان للأوابين﴾ مرتب على محذوف، والتقدير وفعلتم معهما خلاف الأدب. قوله: [الرجاعين إلى طاعته] وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها، وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة الأواب هو التواب. قوله: [من بادرة] البادرة الزلة تقع خطأ. قوله: [وهم لا يضمرون عقوقا] الجملة حالية.

قوله: ﴿وآت ذا القربى﴾ لما قدم حق الله وحق الوالدين، ذكر حق الأقارب وغيرهما، وحق المساكين وأبناء السبيل الأجانب، والخطاب في هذه الآيات إما للنبي والمراد هو وأمته، لأن الأصل عدم الخصوصية، أو للمكلف والأمر للوجوب عند أبي حنيفة، فعنده يجب على الموسر مواساة أقاربه المحارم، كالأخ والأخت، وللندب عند غيره، ومحل الخلاف في المواساة بالمال بأن ينفق عليهم، وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبة إجماعاً، كنفقة الأصول والفروع، والآية شاملة لذلك كله. قوله: [من البر] أي الإحسان بالمال. وقوله: [والصلة] أي مطلقاً فهو عطف عام على خاص. قوله: ﴿والمسكين﴾ المراد به ما يشمل الفقير، والمعنى وآت المسكين حقه من البر والاحسان على حسب الطاقة، فإن ذلك من أوصاف المتقين، قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم﴾ إلى أن قال ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾. قوله: ﴿وابن السبيل﴾ أي الغريب، وسمي بذلك لأنه ملازم للطريق فكأنه ابن لها. قوله: [في غير طاعة الله] أي كالمعاصي والشهوات المستغنى عنها، بأن يزيد في الإنفاق على المباح، وهذا مذموم إذا كان المال حلالاً أما إن كان حراماً، فلا يجوز له الإنفاق منه أصلاً، بل يجب عليه أن يرده لأربابه.

قوله: ﴿إن المبذرين﴾ الخ هذا غاية في الذم. قوله: ﴿كانوا إخوان الشياطين﴾ أي لم يزالوا كذلك، والمعنى

---

* أسباب نزول الآية ٢٦: قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى﴾ الآية. أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك، قال ابن كثير: هذا مشكل فانه يشعر بأن الآية مدنية، والمشهور خلافه، وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله.

لنعمه فكذلك أخوه المبذر ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: أي المذكورين من ذي القربى وما بعده فلم تعطهم ﴿ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أي لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ٢٨: ليناً سهلاً بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾: في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا﴾ ٢٩: منقطعاً لا شيء عندك

إن المبذرين يشبهون الشياطين، في أن كلا منهما ضل في نفسه وأضل غيره، فالشياطين صرفوا هممهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به في معاصي الله ولم يصلحوا، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا. قوله: [أي على طريقتهم] أي مقتدين بهم وملازمين لأفعالهم، لأن الملازم للشيء يسمى أخاً له. قوله: [شديد الكفر لنعمه] أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفوراً. قوله: [فكذلك أخوه المبذر] أي فقد كفر نعم ربه، حيث صرفها في غير طاعة الله.

قوله: ﴿وإما تعرضن﴾ معطوف على محذوف تقديره: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شيء وإما تعرضن الخ، والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك، بل إما أن تعطيه إن كان معك شيء، أو ترده بلطف، كما كان من خلقه ﷺ، فكان إذا سئل أعطى أو وعد بالعطاء. قوله: [وما بعده] أي المسكين وابن السبيل. قوله: ﴿ابتغاء رحمة﴾ مفعول لأجله، وهو علة مقدمة على المعلول، والمعنى: وإما تعرضن عنهم لأجل عسرك، فقل لهم قولا ميسوراً، اعتماداً على الله وطلباً لرحمة من ربك ترجوها، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان، لا ينبغي له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائماً في عسره ويسره، فإن الغنى هو وثوق القلب بالله، فلا يعتمد على سبب من الأسباب، بل يتوكل على الله، ولا يقطع رجاءه منه، ولا رجاء غيره فيه ثقة بربه. قوله: [بأن تعدهم] أي أو تدعو لهم بأن تقول: أغناكم الله، سهل لكم أسباب الخير، وغير ذلك.

قوله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي مضمومة ومجموعة معه في الغل، وهو بضم الغين المعجمة، طوق من حديد يجعل في العنق. قوله: [أي لا تمسكها عن الإنفاق] أي فهو نهي عن البخل على سبيل الكناية، لأن شأن من جعل يده مغلولة إلى عنقه، عدم القدرة على التصرف، وشأن البخيل عدم التصرف في المال بالإنفاق وغيره. قوله: [كل المسك] المناسب الامساك لأن الفعل رباعي، وكأنه شاكل قوله: ﴿البسط﴾. قوله: ﴿كل البسط﴾ أي بأن تنفق زيادة على ما يجب وما يندب. قوله: ﴿فتقعد﴾ أي تصير. قوله: ﴿ملوماً﴾ خبر لتقعد، و﴿محسوراً﴾ معطوف عليه. قوله: [راجع للأول] أي البخيل. قوله: [منقطعاً لا شيء عندك] أي فهو من حسرة السفر إذا أثر فيه، ويصح أن

---

* أسباب نزول الآية ٢٨: قوله تعالى: ﴿وإما تعرضن﴾ الآية، أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخرساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ فقال: لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة﴾ الآية، وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين.

* أسباب نزول الآية ٢٩: قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك﴾ الآية. أخرج سعيد بن منصور عن سيار عن أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بز، وكان معطياً كريماً فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: ما عندنا شيء اليوم، قال: فتقول لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه فجلس في البيت حاسراً، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ وأخرج أيضاً عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال لعائشة: أنفق ما على ظهر كفي، فقالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ الآية، وظاهر ذلك أنها مدنية.

راجعٌ للثاني ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسّعه ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ٣٠: عالماً ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَادَكُمْ﴾: بالوأد ﴿خَشْيَةَ﴾: مخافة ﴿إِمْلَاقٍ﴾: فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾: إثماً ﴿كَبِيرًا﴾ ٣١: عظيماً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ﴾: أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾: قبيحاً ﴿وَسَاءَ﴾: بئس ﴿سَبِيلًا﴾ ٣٢: طريقاً هو ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾: تسلطاً على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: يتجاوز الحد ﴿فِّي ٱلْقَتْلِ﴾: بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ ٣٣ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ﴾

يكون من الحسرة بمعنى الندامة، أي نادماً على ما حصل منك. قوله: [راجع للثاني] أي وهو من بسط يده كل البسط، ولا تشكل هذه الآية، على ما ورد من فعل السلف، الذين خرجوا عن أموالهم في محبة الله ورسوله وصاروا فقراء، لأن النهي محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر، وأما من فعل ذلك من السلف، وأقره عليه رسول الله، كأبي بكر وغيره، من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم، ومدحهم الله على ذلك، فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لفنائهم عنها وبقائهم بالله، وخطاب تلك الآيات، إنما هو على حسب أخلاق العامة.

قوله: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾ الخ، أي فانظر لما رزقك الله به، وأنفق على حسبه، وارض بما قسم الله لك، فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه، وكن حيث أقامك الله. قوله: [ببواطنهم وظواهرهم] لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾ سبب ذلك: أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر، وبعضهم خوف العار، فحصل النهي عن ذلك، لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب العالم، وكل منهما مذموم، وهو خطاب للموسرين بدليل قوله: ﴿خشية إملاق﴾ ولذلك قدم الأولاد، وما تقدم في الأنعام خطاب للمعسرين، ولذلك قدم ذكر الآباء، وأخر ذكر الأولاد. قوله: [بالوأد] أي الدفن بالحياة، وخص بالذكر وإن كان القتل بأي شيء حراماً، لأنه الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية. قوله: ﴿كان خطأ﴾ إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطىء كعلم، وبفتحتين اسم مصدر لأخطأ رباعياً، أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر لخاطأ كقاتل، ثلاث قراءات وكلها سبعية.

قوله: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ هو بالقصر في القراءة الشائعة، وقرىء شذوذاً بالمد، وخرجت على وجهين: أحدهما أنه لغة في المقصور، والثاني أنه مصدر زاني كقاتل، لأنه يكون من اثنين. قوله: [أبلغ من لا تأتوه] أي لأنه يفيد النهي عن مقدماته، كاللمس والمباشرة والقبلة صريحاً، والنهي عن الفعل بالأولى. قوله: ﴿وساء سبيلا﴾ أي لأنه طريق من طرق النار، وخص الزنا بالنهي، وإن كان اللواط أشنع وأقبح، لأنه كان سارياً في العرب، بخلاف اللواط، فقد كان في قوم لوط وتنوسي، ثم ظهر في هذه الأمة، بعد قرن الصحابة والتابعين. قوله: ﴿التي حرم الله﴾ أي حرم قتلها بأن عصمها منه، وهو المسلم أو الكافر الذي تحت ذمتنا. قوله: ﴿إلا بالحق﴾ مستثنى من النهي، والمعنى لا تقتلوا النفس المعصومة، إلا بالقتل بالحق، وهو أحد ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل مؤمن معصوم عمداً كما في الحديث.

قوله: ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ أي وهو المؤمن المعصوم. قوله: [تسليطاً على القاتل] أي فحيث ثبت القتل عمداً عدواناً، وجب على الحاكم الشرعي، أن يمكن ولي المقتول من القاتل، فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية، ولا يجوز للولي التسلط على القاتل، من غير إذن الحاكم، لأن فيه فساداً وتخريباً. قوله: [غير قاتله] أي

﴿أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾: إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ٣٤: عنه ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾: الميزان السوي ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ٣٥: مآلاً ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾: القلب ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦: صاحبه ماذا فعل به ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ٣٧ المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ٣٨ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾: الموعظة ﴿وَلَا

غير قاتل المقتول. قوله: [أو بغير ما قتل به] يستثنى منه من قتل بمحرم كلواط وسحر، فإنه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف. قوله: ﴿إنه كان﴾ أي الولي منصوراً أي من الله ومن الحاكم.

قوله: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ أي لا تقربوه بحال من الأحوال، إلا بالخصلة التي هي أحسن من جميع الخصال، وهي تنميته والانفاق عليه منه بالمعروف. قوله: ﴿حتى يبلغ أشده﴾ غاية لقوله: ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ كأنه قال: فاقربوه بالتي هي أحسن، إلى أن يبلغ أشده أي رشده، فإذا بلغ أشده فادفعوا اليه المال، ولا تصرف لكم فيه بوجه، والأشد إما مفرد بمعنى القوة، أو جمع لا واحد له من لفظه، أو جمع شدة، أو شد بكسر الشين فيهما، أو شد بفتحها، وعلى كل فالمراد به القوة، بأن يبلغ عاقلاً رشيداً، وإن كان الأشد في الأصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة. قوله: [إن عاهدتم الله أو الناس] أي أو ما عاهدكم الله عليه من التكاليف. قوله: ﴿كان مسؤولاً﴾ [عنه] أي هل وفى به صاحبه أم لا، وقدر المفسر عنه إشارة إلى أن المسؤول صاحب العهد لا نفس العهد، إذ لا يتأتى سؤاله.

قوله: ﴿وأوفوا الكيل﴾ خطاب للبائعين، قال بعضهم: يؤخذ من الآية أن أجرة الكيال على البائع لأنها من تمام التسليم، ما لم تشترط أو يجر عرف بأنها على المشتري. قوله: ﴿بالقسطاس﴾ بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان رومي استعملته العرب في لغتهم، وأجرته مجرى كلامهم في الإعراب ونحوه فصار عربياً. قوله: ﴿ذلك﴾ أي المذكور من قوله: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى هنا، والمعنى امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات خير في الدنيا وأحسن تأويلاً أي عاقبة في الآخرة، ويحتمل عود اسم الاشارة على خصوص إيفاء الكيل والميزان، فخيره في الدنيا لما فيه من إقبال المشتري على البائع، وفي الآخرة بحسن العاقبة.

قوله: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ أي لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم. قوله: ﴿كل أولئك﴾ أي الحواس الثلاثة. قوله: ﴿كان عنه مسؤولاً﴾ أي في الآخرة، فلا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره بمجرد الظن، ومن ذلك الفتوى بغير علم، وشهادة الزور، وظن السوء بالناس، وغير ذلك. قوله: ﴿مرحاً﴾ مصدر مرح كفرح وزناً ومعنى. قوله: ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي بكبرك وفخرك، فلست أعلى من الأرض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها. قوله: [تثقبها] بالثاء المثلثة والنون. قوله: ﴿طولاً﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي ولن يبلغ طولك الجبال، وهذا تهكم على العبد المتكبر، كأن الله يقول له: شأن المتكبر أن يرى كل شيء أحقر منه، وأنت ترى كل شيء أعظم منك، لأنك بمشيك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها، ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها، فلا يليق منك التكبر.

قوله: ﴿كل ذلك﴾ أي المذكور من الخمس والعشرين المذكورة في قوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾. قوله: ﴿كان سيئه﴾ بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى يكون المراد من قوله: ﴿كل ذلك﴾ المنهيات وهي اثنتا عشرة خصلة، والتأنيث في ﴿سيئة﴾ باعتبار معنى ﴿كل﴾ وتذكير ﴿مكروهاً﴾

﴿تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ ٣٩: مطروداً عن رحمة الله ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: أخلصكم يا أهل مكة ﴿رَبُّكُمْ بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً﴾: بنات لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ﴾: بذلك ﴿قَوْلاً عَظِيماً﴾ ٤٠ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ﴾: من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: ذلك ﴿إِلَّا نُفُوراً﴾ ٤١: عن الحق ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾: أي الله ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا﴾: طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ﴾: أي الله ﴿سَبِيلاً﴾ ٤٢: ليقاتلوه ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾: من الشركاء ﴿عُلُوّاً كَبِيراً﴾ ٤٣ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تنزهه ﴿ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ﴾: ما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: من المخلوقات ﴿إِلَّا

باعتبار لفظها، وعلى الثانية يكون المراد جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات، وقوله: ﴿كان سيئه﴾ أي السيء منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة، ويكون في الآية اكتفاء، أي وكان حسنه محموداً. قوله: ﴿ذلك مما أوحى﴾ أي ما تقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحي إليك.

قوله: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ ختم به الأحكام كما ابتدأها، إشارة إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها، وهو رأس الأشياء وأساسها، والأعمال بدونه باطلة لا تفيد شيئاً. قوله: ﴿أفأصفاكم ربكم﴾ لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك اتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب له الولد، خصوصاً أخس الأولاد في زعمهم وهي البنات، فالاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: [أخلصكم] بيان لمعنى الصفاء اللغوي، يقال: صفاه بمعنى خلصه، والمعنى اخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون أنهم أشرف الأولاد، وجعل لنفسه البنات اللاتي تدعون خستها عن الذكور، إن هذا الرأي شنيع من وجوه: أولها نسبة الولد من حيث هو لله، ثانيها نسبة الخسيس له، ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة، مع انهم عباد مكرمون، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وكل ذلك موجب للخلود في النار. قوله: [بنات لنفسه] في بعض النسخ بإسقاط ألف بعد التاء وهي الصحيحة، لأن من المعلوم أن بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة، وفي بعض النسخ بثبوتها، ولعلها من سهو الناسخ، أو مخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة. قوله: ﴿قولاً عظيماً﴾ أي كبيراً لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوثه، وهو محال في حقه تعالى. قوله: ﴿ولقد صرفنا﴾ أي أظهرنا ووضحنا. قوله: [من الأمثال] الخ بيان للمفعول، و﴿من﴾ زائدة، والمعنى بينا في هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد. قوله: ﴿إلا نفوراً﴾ أي إعراضاً واستكباراً عن الهدى، قال البوصيري:

عجباً للكفار زادوا ضلالاً ... بالذي فيه للعقول اهتداء

قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي في الاستدلال على إبطال التعدد، وإثبات الوحدانية له تعالى. قوله: ﴿لو كان معه آلهة﴾ هذا إشارة إلى قياس استثنائي، يستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم، وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والأصل لكنهم لم يطلبوا طريقاً لقتاله، فلم يكن معه آلهة، والمعنى لو فرض أن له شريكاً في الملك، لنازعه وقاتله واستعلى عليه، لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة، فبطل التعدد، وثبتت الوحدانية والكبرياء له سبحانه وتعالى. قوله: [ليقاتلوه] أي على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم. قوله: ﴿وتعالى﴾ عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى.

قوله: ﴿تسبح له السموات السبع﴾ الخ، القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكاً، والمعنى كيف يشركون مع الله غيره، وكل شيء ينزهه عن كل نقص. قوله: ﴿والأرض﴾ أفردها مع أنها سبع كالسماوات، لكون جنسها واحداً وهو التراب. قوله: [من المخلوقات] أي الإنس والجن والملك وسائر الحيوانات والجمادات. قوله

﴿يُسَبِّحُ﴾: ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾: أي يقول سبحانَ الله وبحمده ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾: تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ⁴⁴: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ ⁴⁵: أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ⁴⁶: عنه ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾: بسببه من الهزؤ ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾: يتناجون بينهم أي يتحدثون ﴿إِذْ﴾: بدل من إذ قبله

[أي يقول سبحان الله وبحمده] أي اعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده، أي بكل كمال. قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ هذا يقتضي أن يسبح الجمادات والحيوانات غير العاقلة بلسان المقال، وهو الذي اختاره جمهور السلف، وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال، بمعنى أنها تدل تلك المخلوقات، على أن لها صانعاً متصفاً بالكمالات، منزهاً عن النقائص، فكان ذلك تسبيحاً لها، قال العارف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قوله: [حيث لم يعاجلكم بالعقوبة] أي مع غفلتكم، وعدم تدبركم في آياته، ونظركم في مصنوعاته. قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ خطاب للنبي ﷺ حين أراد الكفار قتله على حين غفلة، وأل في القرآن، إما للجنس الصادق بأي آية وهو الحق، كما في الحديث «خذ من القرآن ما شئت لما شئت» وكون القرآن حجاباً ساتراً، ليس من خصوصياته ﷺ، بل له ولأمته المؤمنين به المخلصين، كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين، وأدلة السنة في ذلك أشهر من أن تذكر، أو للعهد، والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية، وهي قوله تعالى في سورة النحل ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم﴾. وفي سورة الكهف ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾. وفي الجاثية ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ الآية، وزاد العلماء أول سورة يس إلى قوله ﴿فهم لا يبصرون﴾ لما ورد أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه لإرادة قتله، وأذن الله له في الهجرة، فأخذ حفنة من تراب في يده، وخرج وهو يتلو يس إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ وجعل ينثر التراب على رؤوسهم، ثم انصرف، فلم يره أحد منهم، بل أخذ الله أبصارهم.

قوله: ﴿وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي وهم المنكرون للبعث. قوله: [أي ساتراً] أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: [فيمن أراد الفتك به] أي كأبي جهل، وأم جميل زوجة أبي لهب، ويهود خيبر، ويهود المدينة، والمنافقين، والفتك بتثليث الفاء هو القتل على غفلة. قوله: [أغطية] أي حجباً معنوية تمنعهم من إدراكه. قوله: [فلا يسمعونه] أي إما أصلاً كما وقع لبعض الكفار، حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعونه، أو المنفي سماع التدبر والاتعاظ، وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين. قوله: ﴿وحده﴾ حال من قوله: ﴿ربك﴾ بمعنى منفرداً في الألوهية. قوله: ﴿ولو على أدبارهم نفوراً﴾ أي أعرضوا ولم يؤمنوا.

قوله: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ المقصود من هذه الآية، تسلية النبي ﷺ عما وقع من المشركين وتهديد لهم، حيث كانوا يجلسون عند النبي مظهرين الاستماع، وفي الواقع قاصدين الاستهزاء. قوله: [من الهزء] بيان لما.

* أسباب نزول الآية ٤٥: قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الآية. أخرج ابن المنذر عن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤون به ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الآيات.

﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: في تناجيهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ٤٧: مخدوعاً مغلوباً على عقله قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا۟﴾: بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ٤٨: طريقاً إليه ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: منكرين للبعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ٤٩ ﴿قُل﴾: لهم ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ٥٠ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾: يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾: إلى الحياة ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ولم تكونوا شيئاً لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾: استهزاء ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾: أي البعث ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ٥١ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فتجيبون دعوته من القبور ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بأمره وقيل وله الحمد

قوله: ﴿إذ يستمعون﴾ ظرف لأعلم، وكذا قوله: ﴿وإذ هم نجوى﴾ والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون بسببه، ووقت استماعهم اليك ووقت تناجيهم. قوله: ﴿نجوى﴾ إما مصدر او جمع نجي. قوله: [بدل من إذ قبله] أي وهو قوله: ﴿وإذ هم نجوى﴾ قوله: ﴿يقول الظالمون﴾ أي لبعضهم، او لمن كان قريباً منهم في المجلس من المؤمنين. قوله: ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي حيث شبهوك بالأوصاف الناقصة، كالمسحور والشاعر والكاهن. قوله: ﴿فضلوا﴾ [بذلك عن الهدى] أي لأن الهدى تابع للتسليم، وحسن العقيدة، وهؤلاء بريئون من ذلك. قوله: [طريقاً اليه] أي إلى الهدى لعدم تيسير أسبابه لهم. قوله: [منكرين للبعث] أشار بذلك الى أن الاستفهام للإنكار والاستبعاد. قوله: ﴿ورفاتاً﴾ هو ما بولغ في تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب، وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً.

قوله: ﴿قل كونوا حجارة﴾ أي جواباً عن إنكارهم البعث. والمعنى قل لهم: لو صرتم حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر غيرهما، كالسماوات والأرض والجبال، فلا بد من إيجاد الحياة فيكم، فإن قدرة الله لا تعجز عن إحيائكم، وإعادتكم للجسمية والروحية، فكيف إذا كنتم عظاماً ورفاتاً؟ وليس المراد الأمر، بل المراد أنكم لو كنتم كذلك، لما أعجزتم الله عن الإعادة. قوله: ﴿مما يكبر في صدوركم﴾ أي اعتقادكم. والمعنى لو كنتم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة، لكونها بعيدة منها، لأحياكم الله، إذ القادر لا يعجزه شيء.

قوله: ﴿قل الذي فطركم﴾ أي يعيدكم الذي فطركم. قوله: [بل هي أهون] أي لأن البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الإعادة، وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا، وإلا فالبدء والإعادة بالنسبة اليه تعالى على حد سواء، فخلق الجبل العظيم عنده، مساو لخلق الذرة، قال تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾. قوله: ﴿فسينغضون اليك رؤوسهم﴾ يقال نغض الشيء تحرك، وأنغض رأسه حركه، كالمتعجب من الشيء. قوله: ﴿أن يكون قريباً﴾ هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة، واسمها ضمير يعود على البعث، أو في محل رفع فاعل بها على أنها تامة.

قوله: ﴿يوم يدعوكم﴾ ظرف لقوله: ﴿قريباً﴾. قوله: [على لسان إسرافيل] هو أحد قولين، والآخر أن المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصورة النداء أنه يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: [فتجيبون] أي تبعثون. قوله: ﴿بحمده﴾ حال من الواو في تستجيبون، أي تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك، لما قيل: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك. قوله: [بأمره] تفسير آخر لمعنى الحمد هنا وعليه فالباء سببية. قوله: [وقيل وله الحمد] أي لما ورد أنهم يقولون نعم وله الحمد، وهو إخبار عن جميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمنون يحمدون

﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ﴾: ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٥٢: لهول ما ترون ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾: المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾: للكفار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ﴾: يفسد ﴿بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ٥٣: بيّن العداوة والكلمة التي هي أحسن هي ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ﴾: تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾: بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ٥٤: فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾: بتخصيص كلٍّ منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ

الله شكراً على ما أولاهم من النعم، والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر، وهو لا ينفعهم، وقيل هو في خصوص المؤمنين. قوله: [في الدنيا] أي أو في القبور لأنهما من جملة عمر الدنيا. قوله: ﴿يقولوا﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: ﴿بالتي هي أحسن﴾ أي ولا يغلظوا عليهم، فإن ذلك داع إلى الشر، كأن يقولوا لهم: إنكم من أهل النار ومن الأشقياء، وغير ذلك. قوله: ﴿إن الشيطان﴾ الخ تعليل لمفهوم. قوله: ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ كأنه قال: ولا يقولوا غيرها مما ينفر النفوس لأن الشيطان، الخ. قوله: ﴿بينهم﴾ أي بين المؤمنين والمشركين. قوله: [يفسد ﴿بينهم﴾ أي لأن الاغلاظ عليهم، ربما يثير العناد، ويؤدي لزيادة الفساد. قوله: [هي] ﴿ربكم أعلم﴾ الخ أي وما بينهما اعتراض. والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم. قوله: [بالتوبة والايمان] أي بسببهما.

قوله: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ أي وما جعلنا أمرهم موكولاً لك، بل ليس عليك إلا البلاغ، فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم. قوله: [وهذا قبل الأمر بالقتال] أي فهو منسوخ بآية ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ ومقتضي العلة أنه حيث أدى الاغلاظ إلى زيادة الفساد، وجب تركه في أي زمن. قوله: ﴿بمن في السموات والأرض﴾ أي بأحوالهم، فيخص بالنبوة من شاء من خلقه، وبولايته وسعادته من شاء منهم، وفي هذه الآيات رد على المشركين، حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم: كيف يكون يتيم أبي طالب نبياً؟ وكيف يكون العراة الجوع أصحابه؟ وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها على النبي، إلا في مقام الحكاية على الكفار، ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام النقيض. والباء متعلقة بأعلم، ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السماوات والأرض، لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر، وقد رد العلماء على من اعتبره، كأبي بكر الدقاق.

قوله: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها، ميز بعضهم عن بعض. قوله: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ خص بالذكر، لأن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، وقصدهم بذلك إنكار نبوة محمد وإنكار كتابه، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ لأنهم يعترفون بنبوة داود، ونزول الزبور عليه، مع أنه جاء بعد موسى، والزبور كتاب أنزل على داود، مشتمل على مائة وخمسين سورة، أطولها قدر ربع من القرآن، وأقصرها قدر سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ وكلها دعاء وتحميد، ليس فيها حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام، وفي هذه الآية، إشارة إلى أن تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية، والتخلي عن العلائق الجسمانية، والتحلي بالأخلاق الرحمانية، لا بكثرة الأموال والأتباع، حتى داود عليه السلام، فإن شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب، لا بما أوتيه من الملك، فالعز والتفضيل في المزايا الأخروية لا الدنيوية، فإنها تكون في المؤمن والكافر، فلا يمتن الله بها على أحبابه وأصفيائه.

زَبُوراً﴾٥٥ ﴿قُلِ﴾: لهم ﴿ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: أنهم آلهة ﴿مِن دُونِهِ﴾: كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾٥٦: له إلى غيركم ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: هم آلهة ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾: بدل من واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾: إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾: كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾٥٧ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾: أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً﴾: بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُوراً﴾٥٨: مكتوباً ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾: التي

قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي قل يا محمد رداً على من اعتقد مع الله شريكاً. قوله: [أنهم آلهة] أشار بذلك إلى أن مفعولي زعم محذوفان. قوله: ﴿من دونه﴾ أي غيره، وفي الآية تقديم وتأخير، والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة، فالمعنى أنهم يعبدونها كما يعبدون الله، فاندفع ما يقال: إن المشركين إنما يعتقدون الشركة مع الله، لا أن الآلهة غيره، وهو ليس بإله. قوله: [كالملائكة] الخ، أي وكمريم، فالكلام في خصوص العقلاء بدليل قوله: ﴿أولئك الذين تدعون﴾ قوله: ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ أي لا يستطيعون إزالته لعجزهم، وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة، لأن الإله هو القادر الذي لا يعجزه شيء، والجملة جواب الأمر.

قوله: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ هذا من تتمة ما قبله، واسم الاشارة مبتدأ، وجملة ﴿يبتغون﴾ وما عطف عليه خبر، و﴿الذين﴾ بدل من اسم الإشارة أو عطف بيان عليه و﴿يدعون﴾ صلته، وقدر المفسر مفعوليه والمعنى أن العقلاء الذين زعمتموهم وعبدتموهم آلهة، يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم، ويرجون رحمته، ويخافون عقابه، بل كل من كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشد خضوعاً وخوفاً، ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله. قوله: [بدل من واو يبتغون] أي و﴿أقرب﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة، أي كما أشار له المفسر بقوله: [يبتغيها الذي هو] ﴿أقرب﴾. قوله: [فكيف تدعونهم آلهة] أي مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم، والإله لا يكون كذلك. قوله: ﴿كان محذوراً﴾ أي مخافاً منه، والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد.

قوله: ﴿وإن من قرية﴾ أي طائعة أو عاصية، وقوله: ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي الطائعة، وقوله: ﴿أو معذبوها﴾ أي العاصية، والمعنى أن كل أحد يفنى قبل يوم القيامة، قال تعالى ﴿كل من عليها فان﴾ ولكن الفناء مختلف، فمنهم من يموت ميتة حسنة، ومنهم من يموت ميتة سوء. قوله: [بالموت] أي فالهلاك قد يستعمل في الموت، قال تعالى ﴿إن امرؤ هلك﴾. قوله: ﴿كان ذلك﴾ أي ما ذكر من الإهلاك والتعذيب. قوله: ﴿مسطوراً﴾ أي فلا يغير ولا يبدل.

قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل﴾ الخ، سبب نزول هذه الآية، أنهم قالوا للنبي ﷺ: اقلب لنا الصفا ذهباً، وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها، وأحي لنا آباءنا الموتى، فإن فعلت ذلك آمنا بك، فشرع النبي يسأل الله تعالى في ذلك، فنزلت هذه الآية، والمعنى ما كان السبب في تركنا إجابتهم عجزاً منا، بل السبب في ترك الإجابة غلبة رحمتنا

---

* أسباب نزول الآية ٥٦: قوله تعالى: ﴿قل ادعوا﴾ الآية، أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجنيون واستمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه﴾ الآية.
* أسباب نزول الآية ٥٩: قوله تعالى: ﴿وما منعنا﴾ الآية، أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت تؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون﴾ الآية، وأخرج الطبراني وابن مردويه منها عن الزبير نحوه أبسط منه.

اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾: آية ﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿بِهَا﴾: فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾: المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفاً﴾ ٥٩: للعباد فيؤمنوا ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾: علماً وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾: عياناً ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْآنِ﴾: وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾: بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ ٦٠ ﴿وَ﴾: اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا

بهم، فإنه قد جرت عادتنا، من أول الزمان إلى وقتك هذا، أن كل أمة طلبت من نبيها آية يأتيهم بها، فإذا كفروا استأصلناهم بالهلاك، وقد سبق في علمنا أن أمتك تبقى على وجه الأرض إلى يوم القيامة، ولو آتيناهم ما طلبوه ولم يؤمنوا، لاستأصلناهم بالهلاك، فلم يتم ما سبق في علمنا، فمنعهم مما طلبوه رحمة بأمتك جميعاً. قوله: [التي اقترحوها] أي كقلب الصفا ذهباً، وغير ذلك مما يأتي في قوله وقالوا ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآيات.

قوله: ﴿مبصرة﴾ بكسر الصاد باتفاق السبعة، وإسناد الإبصار لها مجاز، لأنها سبب في التبصر والاعتبار والاهتداء، وخصت معجزة صالح بالذكر هنا، لأن المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم، يبصرونها في أسفارهم ذهاباً وإياباً. قوله: [المعجزات] دفع بذلك ما يقال إن في الآية تعارضاً، حيث نفى إرسال الآيات أولاً، وأثبته ثانياً. وحاصل الجواب أن يقال: إن المنفي أولاً الآيات المقترحة، والمثبت ثانياً المعجزات الغير المقترحة.

قوله: ﴿وإذ قلنا لك﴾ إذ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]. قوله: [فهو يعصمك منهم] أي قتلهم لا من أذاهم فإنه حاصل. قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ المراد الرؤية بالبصر، واستعمالها بالألف قليل، والكثير استعمال البصرية بالتاء، والحلمية بالألف، وإنما عبر عنها بالألف لوقوعها بالليل، ولسرعة تقضيها كأنها منام.

قوله: ﴿والشجرة﴾ معطوفة على الرؤيا. قوله: ﴿الملعونة﴾ إسناد اللعن لها، إما حقيقة بالاعتبار أنها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله، لأنها تخرج في أصل الجحيم، أو مجاز والمراد ملعون آكلوها. قوله: ﴿في القرآن﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة الشجرة، أي المذكورة في القرآن. قوله: [وهي الزقوم] هي أخبث الشجر المر تنبت بتهامة، وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار. قوله: [إذ قالوا النار تحرق الشجر] الخ، أي فقصدوا بذلك،

---

* أسباب نزول الآية ٦٠: قوله تعالى: ﴿وما جعلنا﴾ الآية. أخرج أبو يعلى عن أم هانيء أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر فأنزل الله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس﴾. وأخرج ابن المنذر عن الحسن نحوه. وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً مهموماً، فقيل له: مالك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم، فأنزل الله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس﴾.

وأخرج ابن جرير من حديث سهل بن سعد نحوه وأخرج ابن أبي حاتم من حديث عمرو بن العاص ومن حديث يعلى بن مرة، ومن مرسل سعيد بن المسيب نحوها وأسانيدها ضعيفة، قوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال: لما ذكر الله الزقوم خوف به هذا الحي من قريش قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقماً فأنزل الله ﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً﴾ وأنزل ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾.

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾ : سجود تحية بالانحناء **﴿فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ: ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾** ٦١ : نصب بنزع الخافض أي من طين **﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾** : أي أخبرني **﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾** : فضلت **﴿عَلَىَّ﴾** بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار **﴿لَئِنْ﴾** : لام قسم **﴿أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾** : لأستأصلن **﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾** بالإغواء **﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾** ٦٢ : منهم ممن عصمته **﴿قَالَ﴾** : تعالى له : **﴿ٱذْهَبْ﴾** : منظراً إلى وقت النفخة الأولى **﴿فَمَن تَبِعَكَ**

إنكار قدرة الله تعالى وإثبات العجز له، والاستهزاء بقول الرسول، وهو غفلة منهم عن قدرة الله، معتمدين على الأمر العادي، مع أنه شوهد تخلفه في مثل النعامة، فإنها تبتلع الجمر والحديد المحمي بالنار ولا يحرقها، وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل، فإذا اتسخت ألقيت في النار، فيزول وسخها وتبقى بحالها.

قوله: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾** كرر قصة آدم مع إبليس في القرآن مراراً، لابتناء السعادة والشقاوة عليها، وإشارة إلى أن السعيد هو من تبع آدم، والشقي هو من تبع إبليس، ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة، والعذاب الأليم لأهل الشقاوة. قوله: **﴿اسجدوا لآدم﴾** أي بعد أن قال لهم (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) قال لهم **﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾** ثم علمه أسماء الأشياء كلها، ثم عرض الله على الملائكة المسميات، وأمر آدم أن يقول للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء، قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا، قال الله: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم صار شيخاً لهم، فوجب تعظيمه واحترامه، فأمروا بالسجود له، وفاء ببعض حقوقه عليهم. قوله: **[سجود تحية بالانحناء]** دفع بذلك ما يقال: إن السجود لغير الله كفر، والملائكة بريئون منه، ويدفع أيضاً بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة، وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة، وأيضاً محل كون السجود لغير الله كفراً، ما لم يكن الأمر به هو الله، وإلا فيجب امتثاله، وقد تقدم ذلك.

قوله: **﴿فسجدوا﴾** أي الملائكة جميعاً. قوله: **﴿إلا إبليس﴾** أي امتنع من السجود قولاً وفعلاً. قوله: **﴿قال أأسجد﴾** الخ الاستفهام إنكاري فهو بمعنى النفي. قوله: **﴿قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي﴾** الهمزة للاستفهام، ورأى فعل ماض، والتاء فاعل، والكاف مؤكدة لتاء الخطاب، واسم الإشارة مفعول أول، و **﴿الذي﴾** بدل منه أو صفة له، و **﴿كرمت﴾** صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره كرمته، والمفعول الثاني محذوف تقديره لم كرمته علي؟ ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيراً له، حيث اعترض على مولاه، وتكبر وحسد عباد الله، والإراءة هنا بمعنى الإخبار، ففيه مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب على المسبب، لأن شأن من كان رائياً لشيء أن يخبر به، وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب، ففيه مجاز مرسل على مجاز، وتقدم نظائر هذه الآية في الأنعام، وسيأتي في القصص. قوله: **[خلقتني من نار]** أي وهي أفضل العناصر الأربع. قوله: **[لام القسم]** أي مقدرة تقديره والله. وقوله: **﴿لأحتنكن﴾** جواب القسم، والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف، والتقدير فطرده الله، فطلب اللعين الإمهال للنفخة الثانية، فأجابه الله بخلاف ما طلب فقال **﴿لئن أخرتني﴾** الخ، والاحتناك في الأصل مأخوذ من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها، واحتنك الجراد الأرض أكل ما عليها، والياء في أخرتني ثابتة لبعض القراء وصلاً ووقفاً، ومحذوفة لبعضهم كذلك، وثابتة لبعضهم وصلاً، وحذفها وقفاً، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية هنا، وأما التي تأتي في المنافقين فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم. قوله: **[ممن عصمته]** أي عصمة واجبة كالأنبياء، أو جائزة كالصلحاء.

قوله: **﴿قال﴾ [تعالى] ﴿اذهب﴾** هذا تهديد له، وليس الأمر في المواضع الخمسة على حقيقته، بل هو استدراج وتهديد لأنه معصية، والله لا يأمر بها، على حد: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. قوله: **[إلى وقت النفخة الأولى]** هذا جواب له على خلاف ما طلب، فإنه طلب الانظار إلى النفخة الثانية ليفر من الموت، فإنه يعلم أن لا موت بعد النفخة

مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءً مَّوْفُوراً﴾ ٦٣: وافراً كاملاً ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استخف ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ﴾: صح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَٱلْأَوْلَادِ﴾: من الزنا ﴿وَعِدْهُمْ﴾: بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ﴾: بذلك ﴿إِلَّا غُرُوراً﴾ ٦٤: باطلاً ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: تسلط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ ٦٥: حافظاً لهم منك ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي﴾: يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾: تعالى بالتجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ ٦٦: في تسخيرها لكم ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: الشدة ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾: خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾: غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾: تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا

الثانية. قوله: ﴿جزاؤكم﴾ غلّب المخاطب لأنه متسبب في الاغواء. قوله: ﴿جزاء﴾ منصوب بالمصدر قبله. قوله: [وافر] أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: [بالغناء] بكسر الغين والمد، وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرّمة. قوله: [وكل داع إلى معصية] كالكلام مع الأجنبية ونحوه. قوله: ﴿بخيلك﴾ الباء للملابسة، والمعنى صح عليهم حال كونك ملتبساً بجنودك الركاب والمشاة، فالمراد بالخيل ركابها، وذلك كقطاع الطرق، الذين يركبون الخيل، ويأخذون الأموال، ويقتلون النفوس. قوله: ﴿وشاركهم في الأموال﴾ أي بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام، والتصرف فيها فيما لا ينبغي. قوله: [من الزنا] أي ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثاً، وأتى منها بالأولاد، فإن الشيطان شريكه فيهم. قوله: ﴿وعدهم﴾ أي احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء.

قوله: ﴿إن عبادي﴾ الإضافة للتشريف. قوله: ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أي بل هم محفوظون منك. قوله: ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ أي إن الشيطان، وإن كان قادراً على الوسوسة بأقدار الله، فالله أرحم بعباده، فهو يدفع عنهم كيده وشره، فالمعصوم من عصمه الله، وليس للعبد قدرة على دفع الوساوس عنه ـ فائدة ـ ذكر اليافعي عن الشاذلي، أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان، أنك عند وسوسته لك، تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب وتقول: سبحان الملك القدوس والخلاق الفعال سبع مرات، ثم تقرأ قوله تعالى ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ اهـ.

قوله: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر﴾ لما أخبر الله سبحانه وتعالى، بأن الشيطان مسلط على بني آدم، إلا من عصمه منهم، وحفظه بيّن أوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان، كأنه قال: ربكم الحافظ لكم هو الذي يزجي، والإزجاء الاجراء، يقال: زجاه وأزجاه بمعنى أجراه، والفلك السفينة؛ يستعمل مفرداً وجمعاً، ووزن المفرد قفل، والجمع بدن، ويذكر باعتبار المركب، ويؤنث باعتبار السفينة. قوله: [السفن] يشير إلى أن الفلك مستعمل في الجمع. قوله: ﴿في البحر﴾ أي عذباً وملحاً. قوله: ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي الوصول إلى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب وللحج وزيارة الصالحين.

قوله: ﴿إنه كان بكم رحيما﴾ تعليل ثان لقوله: ﴿يزجي﴾ قوله: [الشدة] أي من أجل هبوب الريح. قوله: [خوف الغرق] أي من أجل خوفه. قوله: ﴿ضل من تدعون﴾ أي ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه. قوله: ﴿إلا إياه﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ويحتمل أن يكون منقطعاً بحمله على المعبود بباطل، وتكون على هذا إلا بمعنى لكن. قوله: [من

يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾: من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: عن التوحيد ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ كَفُوراً﴾ ٦٧: جحوداً للنعم ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: أي الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾: أي يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾ ٦٨: حافظاً منه ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾: أي البحر ﴿تَارَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾: أي ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾ ٦٩: ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾: بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾: على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: على السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾: كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلاً﴾ ٧٠: فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس

الغرق] الجار والمجرور متعلق بنجاكم، وقوله: ﴿إلى البر﴾ متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: [وأوصلكم]. قوله: ﴿أعرضتم﴾ [عن التوحيد] أي تركتموه، فالكافر يرجع لعبادة الأصنام، والعاصي يرجع لغفلاته وشهواته، بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين إلى الله خائفين منه. قوله: ﴿وكان الانسان كفوراً﴾ كالتعليل لقوله: ﴿أعرضتم﴾.

قوله: ﴿أفأمنتم﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أنجوتم من الغرق فأمنتم الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿أن يخسف بكم جانب البر﴾ أي يخفيكم في باطن الأرض، والمعنى أنتم وإن أمنتم من الغرق في البحر، لا تأمنون من الخسف في البر، والأفعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان. قوله: [كقارون] أي فقد وقع به الخسف، قال الله تعالى ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾. قوله: [أي نرميكم بالحصباء] أي بسبب ريح تأتيكم. قوله: [كقوم لوط] أي فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم. قوله: [حافظاً منه] أي مما ذكر من الخسف وإرسال الحصباء. قوله: ﴿تارة﴾ مصدر وتجمع على تيرة وتارات. قوله: [إلا قصفته] أي كسرته. قوله: ﴿فتغرقكم﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: [فتكسر فلككم]. قوله: [بكفركم] أي بسببه، وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول، أي بسبب الذي كفرتم به. قوله: [نصيراً] أي ناصراً لكم علينا، فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم. قوله: [أو تابعاً يطالبنا] الخ، تفسير ثان لتبيعا. والمعنى عليه لا تجدوا لكم مطالباً يأخذ ثأركم منا.

قوله: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي شرفناهم على جميع المخلوقات، بأمور جليلة عظيمة، منها أنهم يأكلون بأيديهم لا بأفواههم، ومنها كونهم معتدلي القامة، على شكل حسن وصورة جميلة، ومنها أن الله خلق لهم ما في الأرض جميعاً، ومنها إخدام الملائكة الكرام لهم، حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم، وغير ذلك. قوله: [بالعلم] أي والعقل. قوله: [ومنه طهارتهم بعد الموت] أي فذوات بني آدم طاهرة بعد الموت، ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث باطنهم، وعليه يحمل قوله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾. قوله: [على الدواب] أي الابل والخيل والبغال والحمير. قوله: ﴿من الطيبات﴾ أي المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه في جميع الأزمان.

قوله: ﴿وفضلناهم على كثير﴾ الخ، أي ميزناهم بفضائل ليست في كثير من غيرهم. قوله: [فمن بمعنى ما] أي فهي مستعملة في غير العقلاء، ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة. قوله: [أو على بابها] أي فهي مستعملة في العقلاء، وغلبوا على غيرهم. قوله: [والمراد تفضيل الجنس] أي فجنس الانسان أفضل من جنس الملائكة، وهذا جواب عما يقال: لا نسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة، فأجاب: بأن التفضيل بالجنس،

ولا يلزم تفضيل أفراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: نبيهم فيقال: يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾: منهم ﴿كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: وهم السعداء أولوا البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ ٧١: قدر قشرة النواة ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾: أي الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾: عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾: عن طريقة النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ٧٢: أبعد طريقاً عنه ونزل في ثقيف وقد سألوه ﷺ أن يحرم واديهم

فلا ينافي أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر. قوله: [إذ هم] أي الملائكة. قوله: [أفضل من البشر] ظاهره مطلقاً، وهو خلاف التحقيق، والتحقيق الذي عليه الأشاعرة أن خواص البشر كالأنبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وعوام البشر وهم الصلحاء أفضل من عوام الملائكة وهم ما عدا الرؤساء الأربعة.

قوله: ﴿يوم ندعو﴾ ﴿يوم﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: [اذكر]. والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لأمتك، ليكون داعياً إلى الاتعاظ والخوف، فيحملهم على الاستعداد.

قوله: ﴿كل أناس﴾ وزنه فعال، ويجوز حذف همزته فيقال ناس، فيصير وزنه عال. قوله: [نبيهم] أي لما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، فينادي يوم القيامة: يا أمة إبراهيم، يا أمة موسى، يا أمة عيسى، يا أمة محمد ﷺ، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء، فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم ينادي الأتباع: يا أتباع نمروذ. يا أتباع فرعون، يا أتباع فلان وفلان، من رؤساء الضلال وأكابر الكفار، فيأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهرهم. قوله: [أو بكتاب أعمالهم] أي لقوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وما ذكره المفسر قولان في تفسير الإمام، وبقي أقوال أخر، قيل المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم، فينادي في القيامة: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن، ماذا عملتم في كتابكم؟ هل امتثلتم أوامره؟ هل اجتنبتم نواهيه؟ وقيل: المراد به المذهب الذي كانوا يعبدون الله عليه، فيقال: يا حنفي، يا شافعي، يا معتزلي، يا قدري، ونحو ذلك، وقيل: المراد به عمل البر الذي اشتهر به في الدنيا، فينادي أهل الصدقات، وأهل الجهاد، وأهل الصيام وغير ذلك، وقيل المراد به الأمهات لأن الإمام جمع أم، كخفاف جمع خف، فينادي الخلق بأمهاتهم فيقال: يا ابن فلانة، ستراً على ولد الزنا، ورعاية حق عيسى، وإظهار شرف الحسن والحسين، ورد هذا القول الزمخشري وقال: إنه من بدع المفتيرين. قوله: [فيقال يا صاحب الخير] هو على حذف مضاف، أي يا صاحب كتاب الخير. قوله: [وهو يوم القيامة] وله أسماء كثيرة منها: الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر، وغير ذلك.

قوله: ﴿فمن أوتي كتابه﴾ من إما شرطية أو موصولة، ودخلت الفاء في خبرها، لشبهها بالشرط. قوله: ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾ أي وإن لم يكونوا قارئين في الدنيا، وحين يقرؤون كتابهم يظهرون لأهل الموقف، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ الخ. قوله: [قدر قشرة النواة] الصواب أن يقول: قدر الخيط الذي في قلب النواة، وأما القشرة التي ذكرها فهي القطمير، وأما النقير فهو الذي في النقرة التي في ظهرها، والثلاثة مذكورة في القرآن.

قوله: ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي وهو الذي يعطى كتابه بشماله، فيسود وجهه حينئذ ويحصل له الندم، قال تعالى ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ الخ. قوله: ﴿أعمى﴾ [عن الحق] أي فالمراد أعمى القلب لا يبصر رشده. قوله: [وقراءة الكتاب] أي قراءة سارة، وإلا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة

والحوا عليه ﴿وَإِن﴾: مخففة ﴿كَادُوا﴾: قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: ليستنزلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾: لو فعلت ذلك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ٧٣ ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾: على الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾: تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا﴾: ركونا ﴿قَلِيلًا﴾ ٧٤: لشدة احتيالهم وإلحاحهم وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب ﴿إِذًا﴾: لو ركنت ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾: عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ﴾: عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾: أي مثلي ما يعذب

والحزن. قوله: ﴿وأضل سبيلاً﴾ أي لأنهم حينئذ لا ينفعهم الايمان. قوله: [عنه] أي عن طريق النجاة. قوله: [ونزل في ثقيف] أي وهم قبيلة يسكنون الطائف، وحاصله أنهم قالوا للنبي ﷺ: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب، لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا، فالمراد بقولهم لا نعشر، لا نعطي العشر من الزكاة، وبقولهم لا نحشر، لا نؤمر بالجهاد، وبقولهم لا نجبى بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة، لا نركع ولا نسجد في صلاتنا، والمراد لا نصلي، وكل ربا لنا فهو لنا، وكل ربا علينا فهو موضوع عنا، وأن تمتعنا باللات سنة، حتى نأخذ ما يهدى لها، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة، فإن قالت العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إن الله أمرني، فسكت النبي وطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك، فأنزل الله ﴿وإن كادوا﴾ الخ. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن. قوله: [يستنزلونك] أي يطلبون نزولك عن الحكم الذي أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي. قوله: ﴿لتفتري﴾ أي تختلق وتكذب. قوله: ﴿غيره﴾ أي غير ما أوحينا إليك.

قوله: ﴿وإذاً﴾ هي حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر. قوله: ﴿لاتخذوك﴾ جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك، وهو مستقبل في المعنى لاقتضاء المجازاة الاستقبال. قوله: [وهو صريح] أي قوله: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾. قوله: [لم يركن] أي بالطريق الأولى، وقوله: [ولا قارب] أي بمنطوق التركيب. والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا إياك، وإذا امتنع القرب من الركون، فامتناع الركون أولى. قوله: [لو ركنت] المناسب أن يقول: لو قاربت الركون، لأن جواب لولا هو المقاربة، ولأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإن المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموماً، والكاملون يشدد عليهم على قدر مقامهم قال العارف:

وإذا منحت القرب فاعرف قدره ... إن السخي لمن يحب شحيح

قوله: [أي مثلي ما يعذب غيرك] أي من جميع الخلق، والمعنى لو قاربت الركون، لأنزلنا عليك عذاباً في الدنيا

---

* أسباب نزول الآية ٧٣: قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات، أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق اسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد تعال تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحب اسلام قومه فرق لهم، فأنزل الله ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك﴾ الى ﴿نصيراً﴾ قلت هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو اسناد جيد وله شاهد. وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا، فقال رسول الله ﷺ: وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فنزلت. وأخرج نحوه عن ابن شهاب.

وأخرج عن جبير بن نفير أن قريشاً أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت أرسلت الينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم فنكون نحن أصحابك فركن اليهم فنزلت. وأخرج عن محمد بن كعب القرظي أنه ﷺ قرأ ﴿والنجم﴾ الى ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ فألقى عليه الشيطان: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فنزلت، فما زال مهموماً حتى أنزل الله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله﴾ الآية. وفي هذا دليل على أن هذه الآيات مكية، ومن جعلها مدنية استدل بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن شعباً قال للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى يهدى الى آلهتنا، فإن قبضنا الذي يهدى للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا فهم أن يؤجلهم واسناده ضعيف.

غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾٧٥: مانعاً منه. ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء ﴿وَإِن﴾: مخففة ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾: لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ﴾: فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾٧٦: ثم يهلكون ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾: أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾٧٧: تبديلا ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: أي من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: إقبال ظلمته أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: صلاة

والآخرة، مثل عذاب الخلق مرتين. قوله: [مانعاً منه] أي من العذاب المضاعف. قوله: [لما قال له اليهود] الخ، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، كره اليهود مقامه فيها حسداً، فأتوه فقالوا: يا أبا القاسم، لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء، فإن أرض الأنبياء الشام، وهي الأرض المقدسة، وكان بها إبراهيم والأنبياء، فإن كنت نبياً مثلهم فائت الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله، فسار النبي بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة، وفي رواية إلى ذي الحليفة، حتى يجتمع إليه أصحابه، ويأتي الإذن من الله فيخرج، فنزلت هذه الآية، فرجع، وسلطه الله عليهم، فقتل منهم بني قريظة، وأجلى بني النضير بعد زمن قليل، وهذا مبني على أن الآية مدنية، وأما على أن الآية مكية، فالمراد بالأرض أرض العرب، والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها، فمنعهم الله عنه، ولم ينالوا منه ما أملوه.

قوله: ﴿ليستفزونك﴾ أي يزعجونك بمكرهم وعداوتهم. قوله: ﴿وإذاً لا يلبثون﴾ العامة على ثبوت النون، ورفع الفعل لعطفه على قوله: ﴿ليستفزونك﴾ وقرئ شذوذاً بحذف النون وخرجت على أنه منصوب بإذاً. قوله: ﴿خلفك﴾ وفي قراءة خلافك وهما سبعيتان والمعنى واحد. قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ صفة لمصدر أو لزمان محذوف، أي إلا لبثاً أو زماناً قليلاً. قوله: ﴿سنة من قد أرسلنا﴾ سنة منصوب بنزع الخافض، كما أشار له المفسر بقوله: [أي كسنتنا] والمعنى يفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك، كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل، حيث نهلك من أخرجهم، وهذا على أن الآية مدنية وعلى أنها مكية، فالمعنى نفعل بأهل مكة الذين عزموا على إخراجك، كما فعلنا بمن مضى قبلهم، وقد قطع الله دابرهم بسيفه ﷺ في بدر وغيرها.

قوله: ﴿أقم الصلاة﴾ أي دم على أداء الصلاة التي فرضها الله عليك، وهي الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها. قوله: ﴿لدلوك الشمس﴾ مادة الدلوك تدل على التحول والانتقال، ومنه الدلاك لعدم استقرار يده، وفي الزوال انتقال الشمس، من وسط السماء إلى ما يليه، ويستعمل في الغروب أيضاً. قوله: [أي من وقت زوالها] أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية، والكلام على حذف مضاف، والدلوك بمعنى الزوال، ويصح أن تكون اللام على بابها للتعليل، ويصح أن تكون بمعنى بعد، والأسهل ما قاله المفسر.

---

* أسباب نزول الآية ٧٦: قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني اسرائيل بعدما ختمت السورة ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾ وأمره بالرجوع الى المدينة وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال: ما تأمرني أن أسأل؟ قال: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك. هذا مرسل ضعيف الإسناد وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم ولفظه: قال المشركون للنبي ﷺ: كانت الأنبياء تسكن الشام فما لك والمدينة، فهم أن يشخص فنزلت، وله طريق أخرى مرسلة عند ابن جرير أن بعض اليهود قاله له.

الصبح ﴿إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ ٧٨: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: فصلّ ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾: يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾: في الآخرة ﴿مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ ٧٩: يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء ونزل لما أمر بالهجرة ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي﴾: المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره

قوله: ﴿إلى غسق الليل﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم، والتقدير أقم الصلاة، مبتدئاً من دلوك الشمس، منتهياً إلى غسق الليل. قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ بالنصب عطف على الصلاة. قوله: [صلاة الصبح] أي وسميت قرآناً، لأنه أحد أركانها، فسميت باسم بعضها. قوله: [تشهده ملائكة الليل] الخ، أي تحضره الملائكة الحفظة لما في الحديث «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة الصبح، وعند صلاة العصر، فيصعد الذين باتوا فيكم، فيسألكم الله وهو أعلم بهم فيقول: ماذا تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون، وأخذ مالك من الآية، أن الصلاة الوسطى هي الصبح.

قوله: ﴿ومن الليل﴾ الجار والمجرور متعلق بتهجد، و﴿من﴾ بمعنى بعض، والتهجد في الأصل من الهجود، وهو النوم بالليل، ثم استعمل في الصلاة بالليل، بعد الانتباه من النوم، فهو من تسمية الأضداد، يستعمل في النوم وضده، والمعنى انتبه من نومك، وصلّ في جوف الليل والناس نيام. قوله: [بالقرآن] أي فالضمير عائد على القرآن، لا بالمعنى المتقدم ففيه استخدام. قوله: [فريضة زائدة لك] هذا مبني على أن قيام الليل كان واجباً عليه دون أمته، وحينئذ فيكون معنى النافلة الزيادة اللغوية. قوله: [أو فضيلة] تفسير ثان، وهو مبني على أنه في حقه مندوب، فالنافلة على بابها. إن قلت: على هذا التفسير لا خصوصية للنبي ﷺ بذلك، بل هو مندوب لأمته كذلك. أجيب: بأنها له علو درجات، وشكر لله على نعمائه لما في الحديث «كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه» فقالت له عائشة: أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ولغيره تكفير لذنوبه وخطراته، وتهجده ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان، وما بقي طوال.

قوله: ﴿عسى أن يبعثك﴾ الخ ﴿عسى﴾ في كلام الله للتحقيق لأنه وعد كريم وهو لا يتخلف. قوله: ﴿مقاماً﴾ منصوب بيبعثك لأنه مضمن معنى يقيمك، وإليه يشير المفسر بقوله: [يقيمك في الآخرة] ﴿مقاماً﴾. قوله: [وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء] أي حين يجمع الله الناس في صعيد واحد، وتدنو الشمس، حتى يكون بينها وبين رؤوس الخلائق قدر الميرود، وتحيط النار بهم، الملائكة تحدق بهم سبع صفوف، حتى يكون على القدم ألف قدم، أو مائة ألف قدم على قدم، فيشتد الكرب على الخلائق، فيذهبون إلى آدم فيسألونه الشفاعة فيقول: إني أكلت من الشجرة، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: إني دعوت على قومي، ولكن ائتوا إبراهيم، فيأتونه فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ولكن ائتوا موسى، فيأتونه فيقول: إني قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتونه فيقول: إن قومي عبدوني من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ، فيأتونه فيقول: أنا لها، أنا لها، فيستأذن الله فيؤذن له، ثم يخر ساجداً، ويثني على الله بثناء عظيم، فيقال: ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، فيرفع رأسه فحينئذ ينفض الموقف، ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يشفع ثانياً، فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وفي الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي». قوله: [لما

---

* أسباب نزول الآية ٨٠: قوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني﴾ الآية. أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة،

﴿وَأَخْرِجْنِي﴾: من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰناً نَّصِيراً﴾ ٨٠: قوة تنصرني بها على أعدائك ﴿وَقُلْ﴾: عند دخولك مكة ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: بطل الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ ٨١: مضمحلاً زائلاً وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾: للبيان ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾: من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿إِلَّا خَسَاراً﴾ ٨٢: لكفرهم به ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا

أمر بالهجرة] فيه أن الآية مدنية، إلا أن يقال إن ما هنا مرور على القول بأن السورة كلها مكية، وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تقدم.

قوله: ﴿أدخلني﴾ [المدينة] أي وتسمى طيبة وقبة الإسلام، وقد استنارت به ﷺ. قوله: ﴿مدخل صدق﴾ المدخل بضم الميم، والمخرج كذلك لأن فعلهما رباعي مصدران بمعنى الإدخال والإخراج. قوله: [مرضياً] أي تطمئن به نفسي بحيث لا يزعجني شيء. قوله: [لا ألتفت بقلبي إليها] أي إلى مكة لبلوغ الآمال بغيرها، وما تقدم من شرح تلك الآية، هو ما مشى عليه المفسر، وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق، وأخرجني من الدنيا، وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق، وقيل أدخلني في طاعتك مدخل صدق، وأخرجني من المناهي مخرج صدق، وقيل أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق، وأخرجني بالصدق، ولا تجعلني ممن يدخل بوجه، ويخرج بوجه، فإن ذا الوجهين لا يكون أميناً عند الله، ولورود تلك المعاني، استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: [قوة تنصرني بها على أعدائك] أي وقد أجاب الله دعاءه، فوعده بملك فارس والروم وقال له: ﴿والله يعصمك من الناس﴾، وقال: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ قوله: [وقل عند دخولك مكة] أي يوم الفتح.

قوله: ﴿وزهق الباطل﴾ يقال زهق اضمحل، وزهقت روحه خرجت. قوله: [يطعنها] أي يطعن كلا منها في عينه. قوله: [حتى سقطت] أي مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة، وكان من نحاس أصفر، فقال النبي: يا علي ارم به، فصعد فرمى به فكسره. قوله: ﴿من﴾ [للبيان] أي لبيان الجنس، وقدم على المبين اهتماماً بشأنه، فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية، بدليل ما ورد في حديث الفاتحة: وما يدريك أنها رقية وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية، كالاعتقادات الباطلة، والأخلاق المذمومة، كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته، وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها، وما مشى عليه المفسر من أن ﴿من﴾ [للبيان] هو التحقيق لما ورد: خذ من القرآن ما شئت لما شئت، وورد: من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله، وقيل إنها للتبعيض، والمعنى أن منه ما يشفي من الأمراض، كالفاتحة وآيات الشفاء. قوله: [من الضلالة] أي سوء الاعتقاد، وخصت بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسية أيضاً، لأن الضلالة رأس الأمراض. قوله: ﴿ورحمة﴾ أي بركة دنيوية وأخروية، فهو عطف عام. قوله: ﴿للمؤمنين﴾ أي فهم المنتفعون به دون غيرهم، ولكن يشترط حسن النية، والاعتقاد والجزم بالاجابة. قوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي نقصاً وطغياناً لأنهم لا يصدقون به، فحرموا من الانتفاع به.

= فنزلت عليه ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ وهذا صريح في أن الآية مكية، وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصرح منه.

عَلَى ٱلْإِنسَانِ﴾: الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾: عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِۦ﴾: ثنى عطفه متبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقر والشدة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ ٨٣: قنوطاً من رحمة الله ﴿قُلْ كُلٌّ﴾: منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ ٨٤: طريقاً فيثيبه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: أي اليهود ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾: الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾:

قوله: ﴿وإذا أنعمنا على الانسان﴾ أي بأن أعطيناه الصحة والغنى. قوله: [الكافر] أي فهذه الأوصاف في حقه، وكل ما ورد في حق الكفار من الذم، فإنه يجر بذيله على عصاة الأمة المتصفين بتلك الأوصاف. قوله: ﴿أعرض﴾ [عن الشكر] أي عن صرف النعم في مصارفها وتكبر وتعاظم. قوله: [ثنى عطفه] ألوى جانبه. قوله: [متبختراً] أي متكبراً. قوله: ﴿كان يؤوساً﴾ أي غير راج رحمة الله، ولا ينافي ما هنا قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ لأن الكفار مختلفون، فبعضهم في حال الشر يكثر الدعاء، وبعضهم يقنط من رحمة الله، أو يقال: إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهراً هم قانطون في الباطن من رحمة الله.

قوله: ﴿على شاكلته﴾ أي كل واحد منا ومنكم، يعمل على حالته وطبيعته وروحه التي جبل عليها، فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء، وتظهر منه الأخلاق المرضية، والأفعال الجميلة، وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الأشقياء، وتظهر منه الأخلاق القبيحة، والأفعال الخبيثة. وفي هذه الآية دليل على أن الظاهر عنوان الباطن. قوله ﴿أهدى﴾ يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد، وأن يكون من هدى المتعدي، وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى، و﴿سبيلاً﴾ تمييز على كل حال، وفي الآية اكتفاء، أي وبمن هو أضل سبيلاً.

قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا وقالوا: إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق، وما اتهمناه بكذب، وقد ادعى ما ادعى، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه، فإنهم أهل كتاب، فبعثوا جماعة إليهم فقالت: سلوه عن ثلاثة أشياء، فإن أجاب عن كلها، أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي، وإن أجاب عن اثنين، ولم يجب عن واحد فهو نبي. فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجيب. وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره؟ وعن الروح. فسألوا النبي ﷺ فقال: أخبركم بما سألتم غداً، ولم يقل إن شاء الله، فلبث الوحي اثني عشر، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعين يوماً، وأهل مكة يقولون: وعدنا محمد غداً، وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء، حتى حزن رسول الله ﷺ من مكث الوحي، وشق عليه ما يقول أهل مكة، ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ ونزل في الفتية ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ الآيات. ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ الآيات. ونزل في الروح قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح﴾ الآية فأصل السؤال من اليهود، والناقل له قريش. قوله: ﴿عن الروح﴾ أي عن حقيقة الروح الذي به حياة البدن، وهذا هو الأصح، وقيل الروح التي سألوه عنها هو جبريل، وقيل ملك له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، يسبح الله تعالى

---

* أسباب نزول الآية ٨٥: قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكىء على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى اليه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فأنزل الله ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ قال ابن كثير يجمع بين الحديثين بتعدد النزول، وكذا قال الحافظ ابن حجر، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك والا فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس.

لهم ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: أي علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥: بالنسبة إلى علمه تعالى ﴿وَلَئِنْ﴾: لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ ٨٦ ﴿إِلَّا﴾: لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ ٨٧: عظيماً حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل ﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ﴾: في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ٨٨: معيناً نزل رداً لقولهم لو نشاء

بجميع ذلك، فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً، وقيل إنهم جند من جنود الله على صورة بني آدم، لهم أيد وأرجل ورؤوس، ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام، وقيل ملك عظيم عن يمين العرش، لو شاء أن يبتلع السماوات السبع في لقمة واحدة لابتلعها، ليس شيء أعظم منه إلا العرش، يشفع يوم القيامة في أهل التوحيد، متحجب عن الملائكة، لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره، وقيل عيسى، وقيل القرآن.

قوله: ﴿من أمر ربي﴾ أي مما استأثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح، وقيل الروح هي الدم، وقيل النفس، ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة كجسد صاحبها، وفي الآية اقتصار على وصف الروح، كما اقتصر موسى في جواب قول فرعون: وما رب العالمين، على ذكر صفاته، فإن إدراكه بالكنه على ما هو عليه لا يعلمه إلا الله. قوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ رد لقول اليهود: أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير، بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا، وقيل الخطاب عام لجميع الخلق، أي إن الخلق عموماً، وإن أعطوا من العلم ما أعطوا، فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى.

قوله: ﴿ولئن شئنا﴾ هذا امتنان من الله تعالى على نبيه ﷺ بالقرآن، وتحذير له عن التفريط فيه، والمقصود غيره، والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن، واحذروا من التفريط فيه، فإننا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم، ولكن إبقاؤه رحمة بكم. قوله: [لام قسم] أي وجوابه قوله: ﴿لنذهبن﴾، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. قوله: [لكن أبقيناه] أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وقدره بلكن على طريقة البصريين، وعند الكوفيين يقدر ببل، وقوله: [أبقيناه] إلى قرب قيام الساعة، فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور كما في الحديث «لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش، فيقول الله: ما لك؟ فيقول: أتلى فلا يعمل بي، ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به، ولا يبقى إلا لكع بن لكع، فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور، ويفيضون في الشعر، فتخرج الدابة، وتقوم القيامة بأثر ذلك». قوله: [حيث أنزله] علة لقوله: ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾. قوله: [وغير ذلك] أي ككونك خاتم المرسلين، وسيد ولد آدم، ونحو ذلك.

قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، وجوابه قوله: ﴿لا يأتون بمثله﴾ ولم يقل والملائكة، مع أنه معجز لهم أيضاً، لأنهم مسلمون منقادون، فلا يحتاج للرد عليهم. قوله: ﴿لا يأتون بمثله﴾ أي لأنه خارج عن طوق البشر لأن الكلام على حسب علم المتكلم، وهو قد أحاط بكل شيء علماً، وقوله: ﴿بمثله﴾ أي كلا أو بعضاً، قال بعضهم: إن أقل الإعجاز يقع بآية، قال البوصيري:

أعجز الجن آية منه والإنس فهلا تأتي به البلغاء

---

* أسباب نزول الآية ٨٨: قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا﴾ الآية، أخرج ابن اسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية.

لقلنا مثل هذا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: أي أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ ٨٩: جحوداً للحق ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على أبي ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ ٩٠: عيناً ينبع منها الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ

وقال بعضهم: إن أقل الإعجاز يكون بأقصر سورة، لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة، بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها، فتكون ثلاث آيات. قوله: ﴿ولو كان بعضهم﴾ الخ، عطف على محذوف تقديره: لا يأتون بمثله، ولو لم يكن بعضهم لبعض ظهيراً، ولو كان الخ [قوله نزل رداً] الخ مرتبط بما قبله. قوله: ﴿ولقد صرفنا للناس﴾ أي كررنا وأظهرنا، ومن زائدة في المفعول، أي صرفنا للناس كل مثل، والمثل المعنى الغريب. قوله: ﴿فأبى أكثر الناس﴾ أي امتنعوا. قوله: [جحوداً للحق] الجحود الإنكار مع العلم والمعاندة، فهو أخص من مطلق إنكار.

قوله: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ الخ، لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها، أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا ﴿لن نؤمن لك﴾ الخ، روى عكرمة عن ابن عباس، أن نفراً من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة، وطلبوا رسول الله ﷺ فجاءهم، فقالوا: يا محمد، إن كنت جئت بهذا الحديث، يعنون القرآن، تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا؛ وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئياً من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً، فقال رسول الله ﷺ: ما بي شيء مما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني، فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي، أصبر لأمر الله عز وجل، حتى يحكم الله بيني وبينكم، فقالوا: يا محمد، إن كنت صادقاً فيما تقول، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا، ويبسط لنا بلاداً، ويفجر لنا فيها الأنهار، إلى آخر ما قص الله عنهم.

---

* أسباب نزول الآية ٩٠: قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن اسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري والأسود بن المطلب وربيعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف والعاصي بن وائل ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج اجتمعوا فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد سببت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت انما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت انما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ربما يأتيك رئيا تراه قد غلب بذلنا أموالنا في طلب العلم حتى نبرئك منه، فقال رسول الله ﷺ: ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم مبشراً ونذيراً، قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فلتسأل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من قد مضى من آبائنا، فإن لم تفعل فسل ربك ملكاً يصدقك بما تقول، وأن يجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة تعينك بها على ما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش. فإن لم تفعل فأسقط السماء كما زعمت أن ربك ان شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك الا أن تفعل، فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية، فقال يا محمد: عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ الى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول. فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ الى قوله ﴿بشراً رسولاً﴾. وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله: - ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ قال: نزلت في أخي أم سلمة عبد الله بن أبى أمية، مرسل صحيح شاهد لما قبله يجبر المبهم في اسناده.

وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾: وسطها ﴿تَفْجِيرًا ٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾: مقابلة وعياناً فنراهم ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾: تصعد ﴿فِي
ٱلسَّمَآءِ﴾: على السلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾: منها ﴿كِتَٰبًا﴾: فيه تصديقك
﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾: لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾: تعجب ﴿هَلْ﴾: ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ٩٣﴾: كسائر الرسل ولم يكونوا
يأتوا بآية إلا بإذن الله ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾: أي قولهم منكرين ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا
رَّسُولًا ٩٤﴾: ولم يبعث ملكاً ﴿قُل﴾: لهم ﴿لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ٩٥﴾: إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه ﴿قُلْ
كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: على صدقي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ٩٦﴾: عالماً ببواطنهم وظواهرهم ﴿وَمَن
يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ماشين

قوله: ﴿حتى تفجر﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة، وبفتح التاء وضم الجيم مخففة، قراءتان سبعيتان هنا فقط، وأما قوله فتفجر، فبالقراءة الأولى لا غير. قوله: ﴿ينبوعاً﴾ أي عيناً لا يغور ماؤها ولا يذهب. قوله: ﴿جنة﴾ أي بستان. قوله: ﴿كما زعمت﴾ أي قلت: إن نشأ نخسف بهم الأرض، أو نسقط عليهم كسفاً من السماء. قوله: ﴿كسفا﴾ بسكون السين وفتحها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿قبيلا﴾ حال من الله والملائكة، أي حال كونهم مرئيين لنا. قوله: ﴿أو ترقى﴾ هو بفتح القاف مضارع رقي بكسرها، والمصدر رقياً ومعناه الصعود الحسي، وأما في المعاني فبفتح القاف في الماضي والمضارع، يقال رقى في الخير، وأما الرقيا للمريض فماضيها رقى كرمى. قوله: [لو رقيت] بكسر القاف. قوله: ﴿نقرؤه﴾ حال مقدرة من الضمير في علينا أو نعت لكتاب. قوله: [تعجب] أي من اقتراحاتهم، وتنزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد في ألوهيته. قوله: ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي وليس في طاقتي الإتيان بما تطلبونه.

قوله: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لمنع، والتقدير وما منع الناس الإيمان، وقوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ في تأويل مصدر فاعل ﴿منع﴾. قوله: ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ ظرف لقوله: ﴿منع﴾ والمعنى لا يمنع الناس من الإيمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة لأنه أعظمها. قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي رداً لشبهتهم. قوله: ﴿لو كان في الأرض ملائكة﴾ الخ، أي فجرت عادة الله في خلقه، أنه لا يرسل لخلقه رسولاً إلا من جنسهم، لأنهم يألفونه ويستطيعون خطابه، بخلاف ما إذا أرسل لهم رسولاً من غير جنسهم، فإنهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه لعدم الإلفة بينهم، فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لأنزل عليكم ملكاً رسولاً. قوله: ﴿مطمئنين﴾ أي مستوطنين بها، لا يعرجون إلى السماء. قوله: ﴿شهيداً﴾ أي على أني رسول الله إليكم، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، وأنكم كذبتم وعاندتم. قوله: ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ فيه تسلية له ﷺ، ووعيد للكفار.

قوله: ﴿من يهد الله﴾ أي من يخلق فيه الهدى، وقوله: ﴿فهو المهتد﴾ أي يكون كذلك في الدنيا، بمعنى أن يكون حاله في الدنيا مطابقاً لما قدره الله له أزلاً، وبذلك اندفع ما يقال: إن فيه اتحاد الشرط والجزاء، والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكهف، فإنها في الموضعين من ياءات الزوائد، وأما في النطق، فتحذف وصلاً ووقفاً عند بعض القراء، ووقفاً لا وصلاً عند بعضهم. قوله: ﴿فلن تجد لهم أولياء﴾ أي أنصاراً. قوله: ﴿على وجوههم﴾ الجار

﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لهبها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ ٩٧: تلهباً واشتعالاً ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾: منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾ ٩٨ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾: للموت والبعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ ٩٩: جحوداً له ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: من الرزق والمطر ﴿إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ﴾: لبخلتم ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾: خوف نفادها بالإنفاق فتقتروا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً﴾ ١٠٠: بخيلاً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ

والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في ﴿نحشرهم﴾ قدره المفسر بقوله: [ماشين]، رُوي عن أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله، قال الله: الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم، أيُحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟» وروي أيضاً: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يلقون بوجوههم كل حدب وشوك» والحدب ما ارتفع من الأرض.

قوله: ﴿عمياً وبكماً وصماً﴾ أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، إن قلت: كيف وصفهم الله بذلك هنا، وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف في قوله: ﴿ورأى المجرمون النار﴾، ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾، ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾؟ أجيب: بأن المعنى عمياً لا يرون ما يسرهم، وبكماً لا يتكلمون بحجة، وصماً لا يسمعون ما يسرهم، أو المعنى يحشرون معدومي الحواس، ثم تعاد لهم. قوله: ﴿مأواهم جهنم﴾ أي مسكنهم ومقرهم. قوله: ﴿كلما خبت﴾ أصله خبوت كقعدت، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقائهما. قوله: [سكن لهبها] أي بأن أكلت جلودهم ولحومهم. قوله: ﴿زدناهم سعيراً﴾ أي بدلناهم جلوداً غيرها، فتعود ملتهبة متسعرة.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من أن مأواهم جهنم، وإعادتهم بعد فنائهم. قوله: ﴿وقالوا﴾ معطوف على ﴿كفروا﴾. قوله: ﴿خلقاً جديداً﴾ إما مصدر من معنى الفعل، أو حال أي مخلوقين. قوله: ﴿أو لم يروا﴾ رد لإنكارهم البعث. قوله: ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ أي فلا يستبعد عليه إعادتهم بأعيانهم. قوله: [أي الأناسي] جمع إنسي وهو البشر. قوله: ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ معطوف على جملة ﴿أو لم يروا﴾ فليس داخلاً في حيز الإنكار. قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في ذلك الأجل.

قوله: ﴿قل﴾ [لهم] أي شرحاً لحالهم التي يدعون خلافها حيث قالوا ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا﴾ الخ، أي لأجل أن ننبسط ونتسع في الرزق ونوسع على المقلين، فبين الله لهم، أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم. قوله: ﴿لو أنتم تملكون﴾ يجوز أن المسألة من باب الاشتغال، و﴿أنتم﴾ مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر لأن لو لا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً، والأصل لو تملكون، فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه، فانفصل الضمير وهو الواو. قوله: ﴿إذاً لأمسكتم﴾ أي منعتم حق الله فيها. قوله: ﴿خشية الإنفاق﴾ علة للإمساك. قوله: [بخيلاً] أي ممسكاً عن بذل ما ينبغي فيما ينبغي، فالأصل في الانسان الشح، والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات وهي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم أو الطمس والسنين ونقص الثمرات ﴿فَاسْأَلْ﴾: يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك أو فقلنا له اسأل وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ١٠١: مخدوعاً مغلوباً على عقلك ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ﴾: الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾: عبراً ولكنك تعاند وفي قراءة بضم

قوله: ﴿ولقد آتينا﴾ مُوطئة لقسم محذوف. قوله: ﴿بينات﴾ إما منصوب بالكسرة صفة لتسع، أو مجرور بها صفة لآيات. قوله: [واضحات] أي ظاهرات دالة على صدقه. قوله: [وهي اليد] أي التي كان يضمها إليه ويخرجها، فتخرج بيضاء لها شعاع. قوله: [والعصا] أي التي يلقيها، فتصير حية عظيمة. قوله: [والطوفان] أي الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم، فكانوا لا يستطيعون أن يوقدوا ناراً أصلاً. قوله: [والجراد] أي فأكل زروعهم وحبوبهم. قوله: [والقمل] تقدم أنه قيل هو السوس، وقيل هو القمل المعروف. قوله: [والضفادع] أي فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم. قوله: [والدم] أي فانقلبت مياههم دماً، حتى كادوا يموتون عطشاً. قوله: [والطمس] أي مسخ الأموال حجارة. قوله: [والسنين ونقص الثمرات] هذان شيء واحد لأن نقص الثمرات لازم للسنين، وما ذكره المفسر في عد الآيات التسع هو المشهور، لأن هذه التسع هي التي ظهرت على يد موسى تهديداً لفرعون وقومه رجاء إيمانهم، وقيل إن التسع هي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل وفيه بعد لأن انفجار الماء من الحجر، وانفلاق البحر، ونتق الجبل، لم تكن مقصودة لفرعون، بل البحر كان لهلاكه، والباقي بعده، وقيل: إن يهودياً سأل النبي ﷺ عنها فقال: «أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت، فقبّل اليهودي يده ورجله، وعلى هذا فالمراد بالآيات الأحكام التي كلفوا بها، وهي عامة ثابتة في جميع الشرائع، وقوله عليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود.

قوله: ﴿فاسأل﴾ [يا محمد] ﴿بني إسرائيل﴾ أي ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين، وعلى هذا، فالجملة معترضة بين قصة موسى وفرعون. قوله: [عنه] أي عن ما جرى بين موسى وفرعون. قوله: [سؤال تقرير] أي سؤالاً يترتب عليه التقرير من بني إسرائيل، وقوله: [للمشركين] اللام للتعليل أي لأجل المشركين، والمعنى اسأل يا محمد بني إسرائيل، عما جرى بين موسى وفرعون، ليكون ذلك داعياً لإيمان المشركين وانقيادهم. قوله: [أو فقلنا له] معطوف على قوله: [يا محمد]، والمعنى أن الخطاب لموسى، وحينئذ فيكون القول مقدراً، والمفعول محذوف، والتقدير اسأل فرعون بني إسرائيل، أي اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام، يدل عليه قوله في الآية الأخرى ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾. قوله: [وفي قراءة] المناسب أن يقول وقرئ لأنها شاذة، وإنما القراءة السبعية بالأمر، وفيها وجهان الهمز وتركه، بنقل حركة الهمزة إلى الساكن. قوله: [بلفظ الماضي] أي بلا همز بوزن قال.

قوله: ﴿إذ جاءهم﴾ ظرف لآتينا على الاحتمال الأول، وعلى الثاني فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا. قوله: ﴿فقال له فرعون﴾ معطوف على مقدر، والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة، ووقع بينهم ما وقع من المحاورات، فقال الخ. قوله: [مغلوباً على عقلك] أشار بذلك إلى أن ﴿مسحوراً﴾ باق على معناه الأصل، أي أنك سحرت فغلب على عقلك، ويصح أن يكون بمعنى فاعل كمشؤوم، أي أظنك ساحراً لإتيانك بالغرائب والعجائب.

قوله: ﴿لقد علمت﴾ هو بفتح التاء خطاب لفرعون، أي فقال له موسى: يا فرعون والله لقد علمت أن هذه الآيات ما أنزلها إلا رب السماوات والأرض عبراً، وإنما كفرك عناد خوفاً على ضياع ملكك ورياستك. قوله: [وفي

التاء ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾١٠٢: هالكاً أو مصروفاً عن الخير ﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾: يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾١٠٣ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: أي الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾١٠٤: جميعاً أنتم وهم ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾: المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾: كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّراً﴾: مَنْ آمن بالجنة ﴿وَنَذِيراً﴾١٠٥: من كفر بالنار ﴿وَقُرْآناً﴾: منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو وثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾: مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾١٠٦: شيئاً بعد شيء على حسب المصالح ﴿قُلْ﴾: لكفار مكة ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾: تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ

قراءة] أي وهي سبعية أيضاً، وقوله: [بضم التاء] أي والضمير لموسى، ويكون المعنى لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها، منزلة من عند الله تعالى. قوله: ﴿وإني لأظنك﴾ أي أتحققك وعبّر بالظن مشاكلة، فإن ظن فرعون كذب، وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته. قوله: [أو مصروفاً عن الخير] أي ممنوعاً منه. قوله: [يخرج موسى وقومه] أي بقتلهم جميعاً.

قوله: ﴿فأغرقناه ومن معه﴾ أي ففعلنا بهم ما أرادوه بموسى وقومه. قوله: ﴿من بعده﴾ أي بعد إغراقه. قوله: ﴿اسكنوا الأرض﴾ أي أرض مصر والشام. قوله: [أي الساعة] أي القيامة ووعدها وقتها، وهو النفخة الثانية. قوله: ﴿جئنا بكم﴾ أي أحييناكم وأخرجناكم من القبور. قوله: [جميعاً] أشار بذلك إلى أن ﴿لفيفاً﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل مصدر لفّ لفيفاً، والمعنى جئنا بكم منضماً بعضكم لبعض. قوله: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ معطوف على قوله ﴿ولقد صرفنا﴾ وهذا على أسلوب العرب، حيث ينتقلون مما كانوا بصدده لشيء آخر، ثم يرجعون له، واختلف المفسرون في الحق الأول والثاني، فمشى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والأمثال التي اشتمل عليها القرآن، وإنما التكرير للتأكيد، إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يتبدل إلى يوم القيامة، كما تغيرت التوراة والإنجيل، وقيل المعنى وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله لا عبثاً، وما نزل إلا بالحكم والمواعظ لاشتماله على الهداية إلى سبيل الرشاد، فالحق الأول كناية عن سبب نزوله، والحق الثاني هو ما اشتمل عليه من المعاني. قوله: [المشتمل عليه] أي المحتوي عليه القرآن.

قوله: ﴿إلا مبشراً ونذيراً﴾ حالان من الكاف في أرسلناك. قوله: [منصوب بفعل] أي فهو من باب الاشتغال، وعليه فجملة ﴿فرقناه﴾ لا محل لها من الاعراب، والتنوين للتعظيم أي قرآناً عظيماً. قوله: ﴿فرقناه﴾ هو بالتخفيف في القراءة المشهورة، وقرىء شذوذاً بالتشديد. قوله: [نزلناه مفرقاً] هذا أحد أقوال في تفسير قوله: ﴿فرقناه﴾، وقيل بيّنا حلاله وحرامه، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل. قوله: [أو وثلاث] أو لحكاية الخلاف، أي أنه اختلف في مدة نزول القرآن، هل هي عشرون سنة، أو ثلاث وعشرون، وهو المبني على الخلاف في تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما.

قوله: ﴿لتقرأه﴾ متعلق بفرقنا، وقوله: ﴿على الناس﴾ متعلق بتقرأه، وكذا قوله: ﴿على مكث﴾ ولا يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد، لأن الأول في محل المفعول به، والثاني في محل الحال أي متمهلاً فاختلف المعنى. قوله: [مهل وتؤدة] أي سكينة وتأن. قوله: [ليفهموه] أي ليسهل حفظه وفهمه. قوله: [على حسب المصالح] أي الوقائع التي تقتضي نزوله، فالحاصل أنه نزل مفرقاً لحكمتين: الأولى ليسهل حفظه، والثانية

قَبْلِهِ﴾: قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ١٠٧ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾:
تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾: مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾: بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ ١٠٨ ﴿وَيَخِرُّونَ
لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ ١٠٩: تواضعاً لله وكان ﷺ يقول: «يا الله
يا رحمن» فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر معه فنزل: ﴿قُلْ﴾: لهم ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا

اقتضاء الوقائع، لذلك قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾. قوله: [تهديد لهم] أي فالمعنى أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالاً، وامتناعكم لا يورثه نقصا.

قوله: ﴿إن الذين أوتوا العلم﴾ تعليل لقوله: ﴿آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ والمعنى إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به من هو خير منكم، وفيه تسلية له ﷺ، أي لا تحزن على إعراضهم وعدم إيمانهم، وتسل بإيمان هؤلاء العلماء. قوله: [وهم مؤمنو أهل الكتاب] أي كعبد الله بن سلام، وسلمان والنجاشي وأقرانهم. قوله: ﴿للأذقان﴾ اللام بمعنى على، أو على بابها متعلقة بيخرون، ويكون بمعنى يدلون، وخصت الأذقان بالذكر لأنها أول جزء من الوجه تقرب من الأرض عند السجود، و﴿سجداً﴾ حال، أي ساجدين لله على انجاز وعده الذي وعدهم به في الكتب القديمة، أنه يرسل محمداً ﷺ، وينزل عليه القرآن.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي في حال سجودهم. قوله: [عن خلف الوعد] أي الذي رأيناه في كتبنا، بإنزال القرآن وإرسال محمد ﷺ. قوله: [مخففة] أي واسمها ضمير الشأن، وقوله: ﴿لمفعولاً﴾ أي موفى ومنجزاً. قوله: [بزيادة صفة] أي وهي البكاء، ومراده بهذا دفع التكرار، وهو معنى قوله تعالى في سورة المائدة ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ الخ. قوله: ﴿ويزيدهم﴾ [القرآن] أي فالضمير يعود على القرآن، ويصح عوده على البكاء. قوله: [وكان ﷺ] أشار بذلك إلى سبب نزولها وحاصله أنه سجد ﷺ ذات ليلة، فجعل يقول في سجوده: يا الله، يا رحمن، فقال أبو جهل: إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين. قوله: [إلهاً آخر] أي وهو الرحمن، ظناً منهم أن المراد به مسيلمة الكذاب، لأن قومه كانوا يسمونه رحمان اليمامة، قال بعضهم في حقه:

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله:

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أباً ... وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

---

* أسباب نزول الآية ١١٠: قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله﴾ الآية، أخرج ابن مردويه وغيره عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: انظروا الى هذا الصابيء ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين فأنزل الله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾. قوله تعالى: ﴿ولا تجهر﴾ الآية، أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾. قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فكان المشركون اذا سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به، فنزلت.

وأخرج البخاري أيضاً عن عائشة: أنها نزلت في الدعاء. وأخرج ابن جرير من طريق ابن عباس مثله، ثم رجح الأولى لكونها أصح سنداً، وكذا رجحها النووي وغيره. وقال الحافظ ابن حجر: لكن يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة. وقد أخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ اذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء. فنزلت، وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في التشهد، وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة، ولابن منيع في مسنده عن ابن عباس: كانوا يجهرون بالدعاء: اللهم ارحمني، فنزلت فأمروا أن لا يخافتوا ولا يجهروا.

الرَّحْمٰنَ﴾: أي سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا الله يا رحمٰن ﴿أَيًّا﴾: شرطية ﴿مَّا﴾: زائدة أي أيَّ هذين ﴿تَدْعُوا﴾: فهو حسن دل على هذا ﴿فَلَهُ﴾: أي لمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: وهذان منها فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

قوله: [أي سموه بأيهما] أي اذكروا في غير نداء. قوله: [أو نادوه] تفسير ثان لقوله: ﴿ادعوا﴾ فعلى الأول يكون ناصباً لمفعولين: أولهما محذوف تقديره معبودكم، وعلى الثاني يكون ناصباً لمفعول واحد. قوله: [بأن تقولوا يا الله يا رحمن] أشار بذلك إلى أن أسماء الله توقيفية، فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد في الشرع، قال صاحب الجوهرة: واختير أن أسماءه توقيفية. قوله: ﴿أيًّا﴾ [شرطية] أي منصوبة بتدعوا فهي عاملة ومعمولة، والمضاف إليه محذوف قدره المفسر بقوله: [أي هذين]. قوله: ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ هذه الجملة جواب الشرط، وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين، وقدر المفسر جوابه بقوله: [فهو حسن] فتكون الجملة دليل الجواب، والأسماء جمع اسم، وهو اللفظ الدال على ذات المسمى، وأسماؤه تعالى كثيرة، قيل ثلاثمائة وقيل ألف وواحد، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، بعدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به، مع امداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها، وقيل ليس لها حد ولا نهاية لها، على حسب شؤونه في خلقه، وهي لا نهاية لها، والحسنى إما مصدر وصف به، أو مؤنث أحسن، كأفضل وفضلى، فأفرد لأنه وصف جمع القلة لما لا يعقل، فيجوز فيه الإفراد والجمع، وإن كان الأحسن الجمع، قال الأجهوري:

وجمع كثرة لما لا يعقل ... الأفصح الإفراد فيه يا فل
وغيره فالأفصح المطابقة ... نحو هبات وافرات لائقة

وحسن أسمائه تعالى لدلالتها على معان شريفة هي أحسن المعاني، لأن معناها ذات الله أو صفاته. قوله: [كما في الحديث] أي ونصه: «إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو» إلى آخر الرواية التي ذكرها المفسر واختارها، وإن كان الحديث وارداً بأوجه خمسة لكونها أصح الروايات الواردة، ومنها: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، إنه وتر يحب الوتر، وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة». ومنها: إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها كلها دخل الجنة، أسأل الله تعالى، الرحمن الرحيم، الإله الرب» الى آخره. ومنها: «إن لله عز وجل، تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، إنه وتر، يحب الوتر، من حفظها دخل الجنة، الله الواحد الصمد» الخ. ومنها: «إن لله تعالى مائة اسم غير اسم، من دعا بها استجاب الله له» وكلها في الجامع الصغير، في حرف الهمزة مع النون، عن علي، وعن أبي هريرة، والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر، معرفة ألفاظها ومعانيها، وعند أهل الله هو الاتصاف بها، والظهور بحقائقها، والعثور على مدارج نتائجها. قوله: [هو] ليس من الأسماء الحسنى، بل هو عند أهل الظاهر ضمير شأن يفسره ما بعده، وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون بذكره، وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين. قوله: [الله] هو أعظم الأسماء المذكورة، لكونه جامعاً لجميع الأسماء والصفات، وهو علم على الذات الواجب الوجود المسمى لجميع المحامد، والألف واللام لازمة له، لا للتعريف ولا غيره، وهو ليس بمشتق على الصحيح. قوله: [الذي لا إله إلا هو] نعت للاسم الجليل، أي الذي لا معبود غيره. قوله: [الرحمن] أي المنعم بجلائل النعم، كماً وكيفاً، دنيوية وأخروية، ظاهرة وباطنة. قوله: [الرحيم] أي المنعم بدقائق النعم كماً وكيفاً، دنيوية وأخروية، ظاهرية وباطنية، والدقائق ما تفرعت عن الجلائل، كالزيادة في الإيمان، والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر. قوله: [الملك] أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعدام وغير ذلك، وتسمية غيره تعالى به مجاز. قوله: [القدوس] أي

الخالق الباريء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل
السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب

المنزه عن صفات الحوادث، وأتى به عقب الملك، لدفع توهم بطرأ عليه نقص كالملوك. قوله: [السلام] أي المؤمن من المخاوف والمهالك، أو الذي يسلم على عباده. قوله: [المؤمن] أي المصدق لرسله بالمعجزات، ولأوليائه بالكرامات، ولعبادة المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم، لأنه لا يطلع على الاخلاص نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنما يعلم من الله. قوله: [المهيمن] أي المطلع على خطرات القلوب. قوله: [العزيز] من عز بمعنى غلب وقهر، فهو من صفات الجلال، أو من عز بمعنى قل، فلم يوجد له مثيل ولا نظير، فهو من صفات السلوب. قوله: [الجبار] أي المنتقم القهار، فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر، يقال: جبر الطبيب الكسر أصلحه، فيكون من صفات الجمال. قوله: [المتكبر] من الكبرياء وهو التعالي في العظمة، وهي مختصة به تعالى، لما في الحديث القدسي: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته». قوله: [الخالق] أي الموجد للمخلوقات من العدم. قوله: [الباريء] أي المبريء من الأسقام، أو المظهر لما في الغيب، من بريء بمعنى أظهر ما كان خفياً، فيرجع لمعنى الخالق. قوله: [المصور] أي المبدع للأشكال على حسب إرادته، فأعطى كل شيء من المخلوقات، صورة خاصة، وهيئة منفردة، يتميز بها على اختلافها وكثرتها. قوله: [الغفار] إما مأخوذ من الغفر بمعنى الستر، لأنه يستر على عباده قبائحهم، فيحجبها في الدنيا عن الآدميين، وفي الآخرة عن الملائكة، ولو كانت موجودة في الصحف، أو من الغفر بمعنى المحو من الصحف، وهو مرادف للغفور والغافر، وقيل: إن الغافر هو الذي يغفر بعض الذنوب، والغفور الذي يغفر أكثرها، والغفار الذي يغفر جميعها، والصحيح الأول، لأنه لا مبالغة في أسماء الله، بل صيغتها صيغة نسبة، كتمار نسبة للتمر. قوله: [القهار] أي ذو البطش الشديد، فهو من صفات الجلال. قوله: [الوهاب] أي ذو الهبات العظيمة لغير غرض ولا علة، فالطاعات لا تزيد في ملكه شيئاً، وإنما رتب الثواب عليها من فضله وكرمه، وهذا الاسم من صفات الجمال. قوله: [الرزاق] أي معطي الأرزاق لعباده دنيا وأخرى، قال تعالى ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ وهو بمعنى الرازق، والرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحو ذلك، وباطن وهو العلوم والأسرار والمعارف، فالأول رزق الأبدان، والثاني رزق الأرواح، وكل من عند ربنا. قوله: [الفتاح] أي ذو الفتح لما كان مغلوقاً، حسياً أو معنوياً، فهو المسهل لكل عسير، من خيري الدنيا والآخرة فضلاً منه وإحساناً، وهذا وما قبله من صفات الجمال. قوله: [العليم] أي ذو العلم، وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، تعلق احاطة وانكشاف، لا يوصف بنظر ولا ضرورة ولا كسب. قوله: [القابض] أي ذو القبض ضد البسط، فهو جل وعز، قابض للأرزاق والأرواح وغير ذلك، فيكون من صفات الجلال. قوله: [الباسط] أي ذو البسط ضد القبض، فهو سبحانه وتعالى باسط الأرزاق في الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك، قال تعالى ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾ وهذان الاسمان يظهر أثرهما في العبيد. وللعارفين مقدمات في القبض والبسط، فالمبتديء يسمون تجليه قبضاً وبسطاً، والمتوسط يسمونه أنساً وهيبة، والكامل يسمونه جلالاً وجمالاً. قوله: [الخافض] أي لمن أراد خفضه، أي فهو خافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغير ذلك. قوله: [الرافع] أي ذو الرفع لأهل الاسلام والعلماء والصديقين والأولياء والسماوات والجنة وغير ذلك من الحسي والمعنوي، والأول من صفات الجلال، والثاني من صفات الجمال. قوله: [المعز] أي خالق العز لمن يشاء من خلقه. قوله: [المذل] أي خالق الذل لمن أراد من عباده، والأول من صفات الجمال، والثاني من صفات الجلال. قوله: [السميع] أي ذو السمع، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات، تعلق احاطة وانكشاف. قوله: [البصير] أي ذو البصر، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات، تعلق احاطة وانكشاف،

الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي

فهي مساوية في التعلق لصفة السمع، ولا يعلم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى، وهما تخالفان لتعلق العلم، لأن العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات، وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط، وكل منها منزه عن صفات الحوادث، قال بعض العارفين: من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه، فليقرأ عند مروره عليهم ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ تسع مرات. قوله: [الحكم] أي ذو الحكم التام. قوله: [العدل] أي ذو العدل أو العادل، فلم يظلم مثقال ذرة، فأحكام الله لا جور فيها، بل دائرة بين الفضل والعدل، لأن الجور التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحد معه، وأردف الحكم بالعدل دفعاً لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل، وتارة يكون بالجور. قوله: [اللطيف] أي العالم بخفيات الأمور، أو معطي الإحسان في صورة الامتحان، كإعطاء يوسف الصديق الملك في صورة الابتلاء برقيه، وآدم الفوز الأكبر في صورة ابتلائه بأكله من الشجرة وإخراجه من الجنة، ونبينا ﷺ الفتح والنصر المبين في صورة ابتلائه بإخراجه من مكة، وهي سنة الله في عباده الصالحين.

ـ فائدة ـ من قرأ قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز﴾ في كل يوم تسع مرات، لطف الله به في أموره، ويسر له رزقاً حسناً، وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف.

قوله: [الخبير] أي المطلع على خفيات الأشياء، فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الأول، أو القادر على الإخبار بما عجزت عنه المخلوقات، قال بعضهم: من أراد أن يرى شيئاً في منامه، فليقرأ قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ تسع مرات عند نومه. قوله: [الحليم] هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله، فإن تاب محا عنه خطاياه، ومن أقبح ما تقول العامة: حلم ربنا يفتت الكبود، إذ معناه اعتراض على سعة حلمه، ولا يدرون أنه لولا حلمه علينا لخسف بنا، فسعة حلمه من أجل النعم علينا، قال العارف: الحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته. قوله: [العظيم] أي الذي يصغر كل شيء عند ذكره، ولا يحيط به إدراك، ولا يعلم كنه حقيقته سواه، ففي الحديث: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته»، فهو من الصفات الجامعة. قوله: [الغفور] تقدم معناه عند تفسير اسمه الغفار. قوله: [الشكور] أي الذي يشكر عباده، أي يثني عليهم في الدنيا والآخرة، فيعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، ويرفع ذكرهم في الملإ الأعلى. قوله: [العلي] أي المرتفع المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال، المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. قوله: [الكبير] هو والعظيم بمعنى واحد. قوله: [الحفيظ] أي الحافظ للعالم العلوي والسفلي، دنيا وأخرى، قال تعالى: ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾. قوله: [المقيت] أصله المقوت، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ما قبلها، أي خالق القوت للأجساد والأرواح، دنيا وأخرى، وقوت الأجسام الطعام والشراب ونفعها بذلك وتلذذها به، وقوت الأرواح: الإيمان والأسرار والمعارف وانتفاعها بها، والكافر لا قوت لروحه. قوله: [الحسيب] أي الكافي من توكل عليه، أو الشريف الذي كل من دخل حماه تشرف، أو المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير في قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل. قوله: [الجليل] أي العظيم في الذات والصفات والأفعال، فيرجع لمعنى العظيم والكبير. قوله: [الكريم] أي المعطي من غير سؤال، أو الذي عم عطاؤه الطائع والعاصي. قوله: [الرقيب] أي المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه، وهو أعم من المهيمن، لأنه المطلع على خطرات القلوب، والرقيب المطلع على الظاهر والباطن. قوله: [المجيب] أي لدعوة الداعي، قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾. وفي الحديث: «ما من عبد يقول يا رب إلا قال الله لبيك يا عبدي». قوله: [الواسع] المتسع في حقه تعالى ترجع لنفي الأولية والآخرية

الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر

والإحاطة، فهو من صفات السلوب، أو يراد منها: أن رحمته وسعت كل شيء، فيكون من صفات الجمال. قوله: [الحكيم] أي ذو الحكمة، وهي العلم التام والصنع المتقن. قوله: [الودود] أي المحبّ لعباده الصالحين المحبين الراضي عليهم، قال تعالى ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ أو الودود بمعنى المحبوب، لأنه محبّ ومحبوب، فمحبته لعباده: إنعامه عليهم، أو إرادة إنعامه، فترجع لمعنى الرضا، ومحبة عباده له: ميلهم اليه وشغلهم به عمن سواه. قوله: [المجيد] أي الشريف، ومثله الماجد. قوله: [الباعث] أي الذي يبعث الأموات، أي يحييهم للحساب، ويبعث الرسل لعباده لإقامة الحجة عليهم، والأرزاق الدنيوية والأخروية. قوله: [الشهيد] أي المطلع على الظاهر والباطن، فيرجع لمعنى الرقيب، وأما قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فتسميته غيباً بالنسبة لنا، وإلا فالكل شهادة عنده. قوله: [الحق] أي الثابت الذي لا يقبل الزوال، أزلاً ولا أبداً، فيرجع لمعنى واجب الوجود. قوله: [الوكيل] أي المتولي أمور خلقه، دنيا وأخرى. قوله: [القوي] أي ذو القدرة التامة، التي يوجد بها كل شيء ويعدمه على طبق مراده. قوله: [المتين] أي صاحب القوة العظيمة التي لا تعارض، ولا يعتريها نقص ولا خلل. قوله: [الولي] أي الموالي والمتابع للإحسان لعبيده، أو المتولي للخير والشر، بمعنى صدور الكل منه، فيرجع لمعنى الوكيل، ويشهد للأول قوله تعالى ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ الآية، وللثاني قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي﴾، وأما الولي من الخلق، فمعناه الموالي لطاعة ربه، والمداوم عليها، أو من تولى الله أمره، فلم يكله لغيره. وقوله: [الحميد] أي المحمود، أي المستحق الحمد كله، والحامد لعبيده الصالحين، ولنفسه بنفسه. قوله: [المحصي] أي الضابط لعدد مخلوقاته، جليلها وحقيرها، قال تعالى: ﴿وأحصى كل شيء عدداً﴾. قوله: [المبدىء] بالهمزة أي المنشىء من العدم الى الوجود، وأما بغير همزة فمعناه المظهر، وليس مراداً هنا لكون الرواية بالهمزة. قوله: [المعيد] أي الذي يعيد الخلق بعد انعدامهم، قال تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ وهو أهون عليه، واختلف أهل السنة في تلك الاعادة، قيل عن عدم محض، وقيل عن تفريق أجزاء، قال صاحب الجوهرة:

وقل يعاد الجسم بالتحقيق ... عن عدم وقيل عن تفريق

قوله: [المحيي] أي المقوم للأبدان بالأرواح للخلائق من العدم، أي الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة. قوله: [المميت] أي الخالق للموت، وهو عدم الحياة عما من شأنه الحياة، قال تعالى ﴿خلق الموت والحياة﴾. قوله: [الحي] أي ذو الحياة، وهي في حقه تعالى، صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعاني والمعنوية. قوله: [القيوم] أي القائم بذاته تعالى المستغني عن غيره، أي المقوم لغيره بقدرته، فهو المتصرف في العالم دنيا وأخرى. قوله: [الواجد] أي الغني، من الوجدان، وهو عدم نفاد الشيء، بمعنى أنه لو أغنى الخلق جميعاً، وأعطاهم سؤلهم، لم ينقص من ملكه، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. قوله: [الماجد] هو بمعنى المجيد المتقدم، وهو الشريف أو واسع الكرم. قوله: [الواحد] أي الذي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو مستلزم لنفي الكموم الخمسة: المتصل والمنفصل في الذات، والمتصل والمنفصل في الصفات، والمنفصل في الأفعال، والمتصل فيها لا ينفى، بل هو تعلق القدرة والارادة في سائر الكائنات إيجاداً واعداماً، فلا غاية له، قال تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ أي كل لحظة ولمحة في شؤون يبديها ولا يبتديها، والوحدة في غيره نقص، وفي حقه كمال، كما ورد أنه واحد لا من قلة، بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر، لانعدام الشبيه والنظير والمثيل، وفي بعض النسخ زيادة لفظ الأحد، وهو بمعنى الواحد، والصواب إسقاطه، لأنه ليس ثابتاً في حديث الترمذي الذي نسب الحديث اليه. قوله: [الصمد] أي الذي يقصد في الحوائج، فهو كالدليل للوحدانية. قوله: [القادر] أي ذو القدرة التامة، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق

المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور» رواه الترمذي. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا

بالممكنات إيجاداً واعداماً على وفق الارادة. قوله: [المقتدر] مبالغة في القدرة التي لا شبه لها ولا مثيل ولا نظير، فيرجع لمعنى القوي المتين. قوله: [المقدم] بكسر الدال، أي لمن أراد من عباده. قوله: [المؤخر] أي لمن أراد تأخيره، قال تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ الآية. قوله: [الأول] أي الذي لا افتتاح لوجوده. قوله: [الآخر] أي الذي لا انتهاء لوجوده. قوله: [الظاهر] أي الذي ليس فوقه شيء، ولا يغلبه شيء، أو الظاهر بآثاره وصنعه، ومن الحكم: هذه آثارنا تدل علينا، قال تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾. قوله: [الباطن] أي الذي ليس أقرب منه شيء، أو الذي تحجب عنا بجلاله وهيبته، فلا تراه الأبصار في الدنيا، ولا تدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى، وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة في قوله ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر». قوله: [الوالي] أي المتولي على عباده، بالتصرف والقهر والايجاد والاعدام، فيرجع لمعنى الملك. قوله: [المتعالي] أي المنزه عن صفات الحوادث، فيرجع لمعنى القدوس، وأتى به عقب الوالي لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة. قوله: [البر] أي المحسن لعباده، الطائعين والعاصين. قوله: [التواب] أي كثير التوبة لعباده المذنبين، أي يقبل توبتهم إن تابوا، أو الذي يخلق التوبة في العبد فتظهر فيه، قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾، وقال تعالى ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾. قوله: [المنتقم] أي المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة، الذين ماتوا مصرين على ذلك، فهو من صفات الجلال كقهار. قوله: [العفو] أي الذي لا يؤاخذ المذنب بالذنوب، بل يمحوها ويبدلها بحسنات. قوله: [الرؤوف] من الرأفة وهي شدة الرحمة، ومعناها تحقه تعالى: الانعام أو إرادته. قوله: [مالك الملك] أي المتصرف فيه على ما يريد ويختار، قال تعالى ﴿يحكم لا معقب لحكمه﴾. قوله: [ذو الجلال] أي صاحب الهيبة والعظمة. وقوله: [والاكرام] أي الإنعام والاحسان. قوله: [المقسط] أي الذي يحكم بالانصاف بين خلقه، وضده القاسط بمعنى الجائر. قوله: [الجامع] أي لكل كمال أو للخلق يوم القيامة، قال تعالى ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ أو ما هو أعم وهو أولى. قوله: [الغني] أي ذو الغنى المطلق، وهو المستغني عن كل ما سواه، المفتقر اليه كل ما عداه. قوله: [المغني] أي المعطي الغنى لمن يشاء، دنيا وأخرى، قال تعالى ﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾. قوله: [المانع] أي الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والأخروية، قال تعالى ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾. قوله: [الضار] أي خالق الضر ضد النفع، وهو إيصال الشر لمن شاء من عباده. قوله: [النافع] أي خالق النفع ضد الضر، وهو إيصال الخير لمن شاء من عباده، دنيا وأخرى. قوله: [النور] أي الظاهر في نفسه المظهر لغيره، أو خالق النور. قوله: [الهادي] أي خالق الهدى والرشاد، الموصل له من أحب من عباده. قوله: [البديع] أي المبدع والمحكم كل شيء صنعه، أو المخترع الأشياء على غير سابقة مثال، قال تعالى ﴿بديع السموات والأرض﴾ أي محكمهما ومتقنهما ومخترع لهما على غير مثال سابق. قوله: [الباقي] أي الدائم الذي لا يزول ولا يحول. قوله: [الوارث] أي الباقي بعد فناء خلقه، أو الذي يرجع اليه كل شيء، قال تعالى ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾. قوله: [الرشيد] أي صاحب الرشد، وهو الذي يضع الشيء في محله، أو خالق الرشد في عباده، فيرجع لمعنى الهادي. قوله: [الصبور] أي الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فيرجع لمعنى الحليم، والله أعلم بحقيقة معاني أسمائه

القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾: ليتنفع أصحابك ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اقصد ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ ١١٠: طريقاً وسطاً ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ﴾: في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾: أجل ﴿ٱلذُّلِّ﴾: أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ ١١١: عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق

وأسرارها. قوله: [رواه الترمذي] أي عن أبي هريرة. واعلم أن للعارفين في استعمال هذه الأسماء طرقاً، فمنهم من يستعملها نثراً، ومنهم من يستعملها نظماً، كالشيخ الدمياطي، وسيدي مصطفى البكري، وغيرهما، وأجل ما تلقيناه، منظومة أستاذنا بركة الوقت والزمان، وإمام العصر والأوان، القطب الشهير والشهاب المنير، أبو البركات، مهبط الرحمات، الذي عم فضله الكبير والصغير، شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير، فإنها عديمة النظير، لاحتوائها على الدعوات الجامعة، والأسرار اللامعة، بمظاهر تلك الأسماء، وهي آخر العلوم الإلهية التي ظهرت على لسانه، وقد ألقيت عليه في ليلة واحدة، فقام من فراشه وكتبها، وكان يقرؤها في كل يوم وليلة ثلاث مرات، فمن أراد الفوز الأكبر، والظفر بالمقصود، من خيري الدنيا والآخرة، فعليه بحفظها والمواظبة عليها، صباحاً ومساء، ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها، فعليه بشرحنا عليها، فإن فيه النفع التام إن شاء الله تعالى.

قوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ سبب نزولها كما قال ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان مختفياً بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه، رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون، سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله لنبيه ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلاً، وهذا الأمر قد زال من يوم إسلام عمر والحمزة فهو منسوخ، فللمصلي الجهر في الصلاة الجهرية، ولا يزيد على سماع المأمومين، وقيل نزلت في الدعاء، وروي ذلك عن عائشة وجماعة، ومثل الدعاء سائر الأذكار، فلا يجهر بها، ولا يخافت بها، بل يكون بين ذلك قواماً، وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة، بل العمل بها مستمر. قوله: ﴿ولا تخافت بها﴾ المخافتة عدم رفع الصوت، يقال خفت الصوت إذا سكن. قوله: [ليتنفع أصحابك] علة للنهي عن المخافتة.

قوله: ﴿وقل الحمد لله﴾ أي الثناء بالجميل واجب لله. قوله: ﴿الذي لم يتخذ ولداً﴾ أي لم يكن له ولد لاستحالته عليه. قوله: [الألوهية] أي لم يكن له مشارك في ألوهيته، إذ لو كان معه مشارك فيها، لما وجد شيء من العالم، قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقال تعالى: ﴿ما اتخذ من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾. قوله: ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ أي لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل، لاستحالته عليه عقلاً، واستفيد من الآية أن له أولياء، لا من أجل الذل، بمعنى أنه ينصرهم ويتولى أمورهم، مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار، وإنما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحباباً فمن فضله وإحسانه، وكما أنه يستحيل عليه الولي، بمعنى الناصر له من الذل، يستحيل عليه العدو، بمعنى الموصل الأذى إليه، وأما بمعنى أنه مغضوب عليه وليس راضياً بأفعاله فهو واقع. قوله: [أي لم يذل] أي لم يجر عليه وصف الذل، لا بالفعل ولا بالقوة. قوله: [عظمه عظمة] أي نزهه عن كل نقص. قوله: [وترتيب الحمد] الخ دفع بذلك ما يقال: إن المقام للتنزيه لا للحمد لأن الحمد يكون

---

* أسباب نزول الآية ١١١: قوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل، فأنزل الله ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾.

لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته، روى الإمام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك إلى آخر السورة» والله تعالى أعلم.

قال مؤلفه: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه وقد أفرغت فيه جهدي وبذلت فكري فيه في نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدي. وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم. وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم. وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل. وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول. فرحم الله امرأً نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه. وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني ... لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطا فأرد عنه ... ومن لي بالقبول ولو بحرف

في مقابلة نعمه، وهنا ليس كذلك. أجيب: بأن الله كما يستحق الحمد لأوصافه، يستحقه لذاته. قوله: **[آية العز]** أي التي من قرأها مؤمناً بها حصل له العز والرفعة، وورد في عدة استعمالها، أنها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم، ويقول قبلها، توكلت على الحي الذي لا يموت، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً إلى آخرها. قوله: **[جلال الدين المحلي]** كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم، حتى كان من أخلاقه أنه يقضي حوائج بيته بنفسه، مع كونه كان عنده الخدم والعبيد. قوله: **[وقد أفرغت فيه]** والضمير عائد على ما في قوله: **[آخر ما كملت به]** وكذا بقية الضمائر. قوله: **[جهدي]** بفتح الجيم وضمها أي طاقتي. قوله: **[وبذلت فكري]** الفكر قوة في النفس، يحصل بها التأمل. قوله: **[في نفائس]** أي دقائق ونكات مرضية. قوله: **[أراها]** بفتح الهمزة وضمها. قوله: **[تجدي]** أي تنفع. قوله: **[قدر ميعاد الكليم]** أي وهو أربعون يوماً، لأنه سيأتي أنه ابتدأ فيه أول يوم رمضان، وختمه لعشرة من شوال، وفي ذلك إشارة إلى أن في هذه المدة، حصل لموسى الفتح، وإعطاء التوراة وهي كلام الله، فقد خلعت علي خلعة من خلعه حيث فتح علي في تلك المدة، بخدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة، فإن هذا الزمن بحسب العادة لا يسع هذا التأليف إلا بعناية من الله، سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ، فإنه كان عمره أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور. قوله: **[وهو]** أي ما كملت به. قوله: **[مستفاد من الكتاب المكمل]** هذا تواضع من الشيخ، وإشارة إلى أنه حذا حذوه واقتفى أثره، فالشيخ المحلي قدس الله روحه قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطي، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. قوله: **[وعليه]** أي الشيخ أو الكتاب المكمل، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، و**[الاعتماد]** مبتدأ مؤخر، وقوله: **[في الآي]** الخ متعلق بالاعتماد **[والمعول]** معطوف على الاعتماد، عطف مرادف. قوله: **[بعين الانصاف]** إما على حذف مضاف، أي بعين صاحب الانصاف، أو في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه الانصاف بإنسان ذي عين، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العين، فإثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف، فإنها لا ترى محاسن أصلاً كما قال العارف:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

قوله: **[ووقف على خطأ]** أي اطلع عليه. قوله: **[فأطلعني]** أي دلني عليه وعرفني به. قوله: **[وقد قلت]** أي شاكراً لله سالكاً سبيل الاعتذار. قوله: **[إذ هداني]** أي لأجل هدايته لي. قوله: **[لما أبديت]** متعلق بهداني. قوله: **[فمن لي بالخطأ]** أي من يتكفل لي بإظهار الخطأ. قوله: **[فأرد عنه]** أي أجيب عنه أو أصلحه. قوله: **[ومن لي بالقبول]**

هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك. وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً. ويفتح به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً. وكأني بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسماً. وعدل إلى صريح العناد ولو يوجه إلى دقائقها فهماً. ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى. رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً. واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً. وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

(وفرغ) من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة (وكان) الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعي أو وضعك فقال: وضعي فقال: انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعتقده وأجزم

أي من يبشرني بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفاً لأن القبول من رحمة الله ومن رحمه لا يعذبه. قوله: [هذا] أي افهم وتأمل ما ذكرته لك. قوله: [في خلدي] بفتحتين معناه البال والقلب. قوله: [لذلك] أي لتأليف تلك التكملة. قوله: [المسالك] أي مسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم لاحتياجه إلى الجمع بين المعقول والمنقول. قوله: [وعسى الله] هذا ترج من الشيخ رضي الله عنه، وقد حقق الله رجاءه. قوله: [جماً] بفتح الجيم أي كثيراً. قوله: [غلفاً] أي مغطاة ممنوعة من فهم علم التفسير لصعوبته. قوله: [عمياً] أي لا تبصر، فإذا نظرت فيه وتأملته فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره وتدركه. قوله: [وآذاناً صماً] أي فبسماعه يزول عنها الصمم، وتصير مستمعة لدقائق التفسير. قوله: [وكأني بمن اعتاد المطولات] أي ملتبس بمن اعتاد، فالباء للملابسة، ويصح أن تكون بمعنى من، والمعنى وكأني قريب ممن اعتاد الخ. قوله: [وقد أضرب] أي أعرض. قوله: [وأصلها] أي وفي قطعة الجلال المحلي. قوله: [حسماً] الحسم المنع والقطع، وهو مفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوي الذي هو أعرض، كأنه قال وقد أعرض إعراضاً. قوله: [وعدل] أي مال. قوله: [إلى صريح العناد] من اضافة الصفة للموصوف، أي العناد الصريح. قوله: [ومن كان في هذه] أي التكملة مع أصلها، وفي بمعنى عن، وقوله: [أعمى] أي معرضاً عنها، وغير واقف على دقائقها، وقوله: [فهو في الآخرة] المراد بها المطولات، وقوله: [أعمى] أي غير فاهم لها، وهو اقتباس من الآية الشريفة، والاقتباس تضمين الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه. قوله: [رزقنا الله] الخ هذا الضمير وما بعده لما كمل به. قوله: [هداية] أي وصولاً للمقصود. قوله: [على دقائق كلماته] أي القرآن. قوله: [مع الذين أنعم الله عليهم] المراد بالمعية أنه يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان كل في منزلته. قوله: [فرغ من تأليفه] أي جمعه وتسويده بدليل قوله: [وفرغ من تبييضه]. قوله: [سنة سبعين وثمانمائة] أي وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين. قوله: [وفرغ من تبييضه] أي تحريره ونقله من المسودة. قوله: [سادس صفر] أي فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام. قوله: [السيوطي] بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر، واعلم أنه قد وجد بعد

به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعة أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك وأما الذي رؤي في المنام في المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جداً ما أظنها تبلغ عشرة مواضع منها أن الشيخ قال في سورة ص: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولاً فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية. فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها. ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بياناً لقول ثان فإنه المعروف خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء وفي المنهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن، وفي شرحه أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

ختم هذه التكملة، مما هو منقول عن خط السيوطي ما نصه: قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي، أخبرني صديقي الشيخ العلامة كمال الدين المحلي الخ، فليس من تأليف السيوطي، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، قال مؤلفه: وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء، يوم الخميس المبارك ثالث عشر شعبان سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف، عليه أفضل الصلاة والسلام بمشهد الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا.

الجزء الثالث وأوله (سورة الكهف)

فهرس الجزء الثاني من حاشية الصاوي على تفسير الجلالين